الجُّمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة

وزارة التعليم العالي – جامعة دمشق

كليَّة الشَّريعة – قسم علوم القرآن والحَديث

أَثَرُ تَعَدُّدِ القِرَاءَاتِ فِي بَلَاغَةِ النَّظْمِ القُرْآنِيِّ

أطروحة مقدَّمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالبة

انشراح أنس سويد

إشراف

أ. د. نور الدين عتر

المشرف المشارك

د. علي محمد أسعد

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

الجُّمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة

وزارة التعليم العالي – جامعة دمشق

كليَّة الشَّريعة – قسم علوم القرآن والحَديث

أَثَرُ تَعَدُّدِ القِرَاءَاتِ فِي بَلَاغَةِ النَّظْمِ القُرْآنِيِّ

أطروحة مقدَّمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

تمت المناقشة بتاريخ ١٩/٥/٢٠١٥م، ونالت تقدير امتياز.

أعضاء لجنة المناقشة: أ.د. نور الدين عتر / عضواً (المشرف)

أ.د. محمد الشربجي / عضواً

أ.د. نصار نصار / عضواً

د. عبد العزيز حاجي/ عضواً

د. أيمن الشوا / عضواً

إعداد الطالبة

انشراح أنس سويد

إشراف

أ. د. نور الدين عتر

المشرف المشارك

د. علي محمد أسعد

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

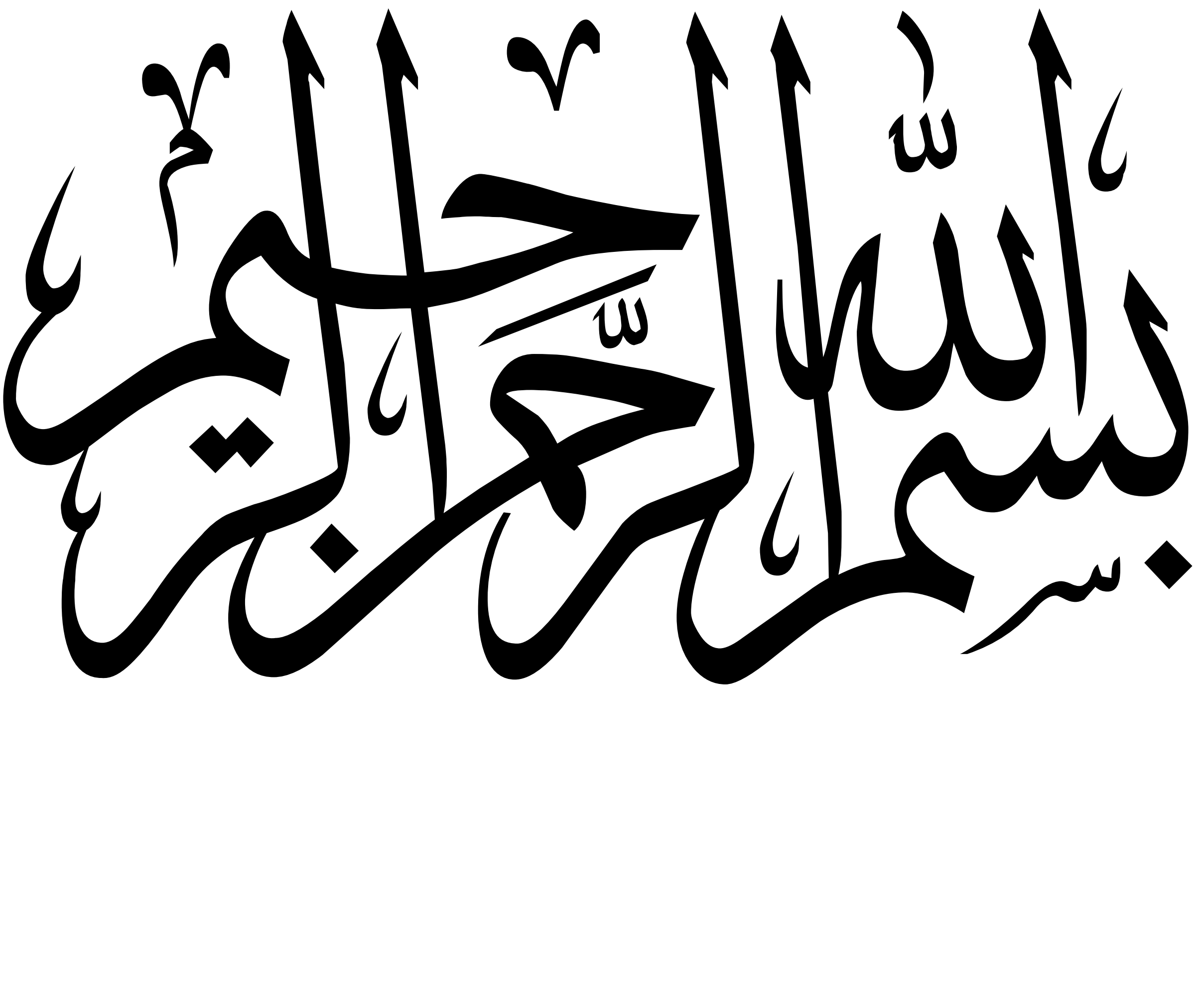
بسم الله الرحمن الرحيم

الرموز المستخدمة

ط	طبعة
ع	عدد
ص	صفحة
تح:	تحقيق
د.ط.	دون رقم طبعة
د.ت.	دون تاريخ
ح	حاشية

الإهداء

*إلى **سيدي رسول الله** ﷺ الذي كان سبب هدايتنا وخروجنا من ظلمات الشقاء والجهل إلى نور الإسلام والعلم.*

*إلى **والديّ وأخوتي** الذين أفخر بانتمائي إليهم، وأعترف أن نجاحي نمى في أرض رعايتهم، وسُقي من تضحياتهم.*

*إلى **زوجي** الذي اختاره الله ليكون لي سكناً، فأفاض عليَّ من مودته، وشاركني آمال الحياة وآلامها.*

*إلى ولديَّ **نور وأنور** اللَّذَيْنِ يفرح قلبي لابتسامتهما، ولا تكتمل سعادتي إلا بسعادتهما.*

إلى من كانت له أيادٍ بيضاء لا تُنكَر، وحمل من أعباء الظروف الصعبة التي مرَّت بأسرتي.

(السيد أبو ماهر محمود بن يوسف الحسن، وعائلته الكريمة)

أهدي هذا العمل.

شُكْرٌ وَتَقْدِيْرٌ

عندما وفَّقني الله ﷻ لدراسة العلم الشرعي أكرمني بنعمة عظيمة تضاف إلى جملة آلائه التي لا تُحصى، وهذه النعمة تتطلب مني الشكر والعرفان بحقِّ الله عليَّ، وهو واجب أمرني الله به عندما قال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [سورة البقرة/١٥٢]، وإنِّي بأداء واجب الشكر أتقرَّب إلى الله، وأرجو ما وعد به من إسباغ النعم، وزيادة العطاء، عندما قال: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [سورة إبراهيم/٧]. فالحمد والشكر لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، إنَّه أهل الفضل الذي لا ينفد، والجود الذي لا يُجحد.

وقد ثنى الله ﷻ في القرآن بشكر الوالدين، فأمر بشكرهما بعد شكره ﷻ، فقال: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [سورة لقمان/١٤]؛ ولذلك أتقدَّم إلى والديَّ بالشكر الجزيل فقد رعياني خير الرعاية، وأولياني من حسن التربية والتعليم ما لا يحظى به إلا القليلُ من أبناء المسلمين، فجزاهما الله عني كلَّ خير.

وإن مكارم الأخلاق والمروءة تدعو إلى الاعتراف بالفضل لأهله، وإعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقه؛ ولذلك يطيب لي أن أقدِّم الشكر لرئيس جامعة دمشق، وجميع العاملين على خدمة روَّادها، ففي هذه الجامعة نهلت العلم، وأتيح لي فرصة الارتقاء بمستوى التعليم، أسأل الله أن يديم هذه الجامعة منبراً للعلم النافع، ومنارة لدرب الأجيال.

كما أقدِّم شكري وتقديري لعميد كلية الشريعة في جامعة دمشق **أ.د. محمد توفيق رمضان**، الذي ترك آثاراً جليلة وبصمات واضحة تدلُّ على تفانيه في خدمة هذه الكلية وأبنائها، كما تدلُّ على الجهود التي بذلها في سبيل إيصال النفع لجميع طلَّاب العلم، فجزاه الله عنَّا خير الجزاء.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتقدَّم بخالص شكري وتقديري وعرفاني بالجميل لفضيلة المشرف أ.د. **نور الدين عتر** الذي منح هذا البحث رعايته، وأفاض عليه من علمه الجمِّ، ومعارفه الواسعة، ورأيه السديد، ومنهجه الدقيق، وحَرَصَ على تجلية الحقائق العلمية، ونبَّه على ضرورة إبرازها بأسلوب صحيح، وتركيب سليم، ولم يبخل عليَّ بشيء من وقته ونصحه وعلمه وتوجيهاته، وقد ترك صبرُه، وطيبُ أخلاقِه، وحسنُ رعايتِه لهذا البحث في نفسي أطيب الأثر؛ فقد كان – حفظه الله – يناقشني في المسائل، ولا يتعجَّل في النقد إلا بعد قراءة البحث كاملاً؛ ليقف على مواضع التناقض، ويوجِّه محور البحث ومسائله، ثم يعيد القراءة الكاملة بعد التصحيح؛ وتراه في كل مرة لا يكلُّ عن إضافات جديدة وتوجيهات سديدة؛ ولذلك فإني أجد عباراتي قاصرة عن أداء الشكر اللائق به، فقد علمني العلم، وعلَّمني الأخلاق التي يجب أن يكون عليها الإنسان في رحلة العلم – طالباً ومعلِّماً ومُشرِفاً – وحظيت بقراءاته المتكررة لبحثي، فأفدت من ذلك علماً وفيراً، ومنهجاً دقيقاً.

وكذلك أتقدَّم بخالص شكري وتقديري للدكتور **علي أسعد** الذي أشرف عليَّ في مرحلة الماجستير، وأفدت

من علمه ودقة منهجه وموضوعيته، واكتملت سعادتي في هذه المرحلة عندما شارك في الإشراف على هذه الأطروحة، وقد كان فضله عليَّ كبيراً، فهو الذي ساعدني في اختيار موضوع البحث، وأشرف عليَّ في وضع خطته، وقد استفدت كثيراً من علمه، ومن همته العالية وتوجيهاته الدقيقة، وعمله الدؤوب في سبيل النهوض بهذا العمل، فجزاه الله عني خيراً.

وأخيراً أقدِّم شكري إلى عميد كلية الشريعة في جامعة حلب **د.محمد ربيع صباهي**، ورؤساء الأقسام، وأعضاء الهيئة التعليمية في جامعتي دمشق وحلب على ما بذلوه لي من نصح وتوجيه وتعليم، ويحضرني أسماءُ كثيرٍ منهم من ذوي الفضل عليَّ في التحصيل العلميِّ، لكن المقام يضيق عن ذكر جميعِهِم، ولا أرغب بذكر بعضهم؛ لئلا أقع في شبهة الانتقاص من قدر غير المذكور. أسأل الله أن يجزل لهم جميعاً العطاء والمثوبة، وأن يجزيهم عني خير الجزاء، فإنهم جميعاً أولو الفضل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدِّمة:

الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وأكرَمنا بنعمة الإسلام وهداية القرآن، وجعلنا من أمة خير الرسل النبيِّ المصطفى العدنان، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وآل بيته عدد ما يكون وما كان، أما بعد:

فقد أنزل الله ﷻ كتابه الكريم، وجعله آخر رسالاته إلى أرضه، وجعل فيه النور المبين والهداية إلى الطريق المستقيم، وشرَّفه وأعلى قدره بالخلود إلى يوم الدين، وبهذا الخلودِ الذي اختص الله به القرآن تميَّزت معجزة النبي ﷺ عن معجزات سائر النبيِّين، فمعجزات الأنبياء جميعاً معجزات حسيَّة آنيَّة، أما القرآن فمعجزة عقلية خالدة، أُودِعَ فيها آياتٌ وخصائصُ تبهر عقول الناس والعربِ الذين اشتهروا بالبلاغة، وتجعلهم يسلِّمون لبلاغته وسمو بيانه، ولجميع ما احتواه من خصائصَ تميَّز بها عن كلام البشر أجمعين.

وقد أودع الله ﷻ في هذا الكتابِ دلائلَ متعددةً تدلُّ على إعجازِهِ وربانيَّةِ مصدرِهِ، ففيه تشريعاتٌ تفي بحاجاتِ البشرِ في كل عصرٍ ومصر، ولا تَخْلَقُ رغم التطوُّرِ الهائل الذي يكتنف جوانبَ حياةِ الإنسانِ، ومتطلباتِهِ؛ لأنها تشريعاتٌ تقوم على المقاصدِ النبيلةِ التي تحتاجها فطرةُ الإنسان. وفيه أخبارٌ أثبت التاريخُ صدقَها، ولا يزال الحاضرُ يثبت صدقَ ما أخبر به القرآنُ مما تأتي به الأيامُ، وفيه حقائقُ علميةٌ صادقةٌ ومطابقةٌ للواقع، وليس نظرياتٌ قابلةٌ للأخذِ والردِّ، وفيه وجوهٌ كثيرةٌ أخرى تشهدُ لمصدرِهِ السماويِّ.

غير أنَّ هذه الوجوه جميعاً لم تكن يوماً قضية الإعجاز ووجه المعارضة؛ لأن القرآن لم يدعُ العربَ للإتيان بأخبارٍ صادقةٍ، ولا بحقائقَ علميةٍ كالتي في القرآنِ، ولم يطالبهم بتشريعاتٍ شاملةٍ كالتشريعات التي جاء بها القرآنُ، بل طالبهم بالإتيان بكلام يكون في بلاغته وقوة بيانه مثل سور القرآن، وإن خلت مضامينه من أخبار الغيب، أو حقائق العلم. قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة هود/١٣]. فبيانُ القرآنِ وبلاغتُه هما موضع المعارضة ووجه الإعجاز الذي وقع به التحدي، فقد دعى الله ﷻ العرب والناس جميعاً إلى الإتيان بكلام بليغ كآيات القرآن، وإن كان مضمونه مكذوباً مفترى، وليس صادقاً كمضمون القرآن، وطالبهم بمعارضة القرآن مراراً وتكراراً، وتنازل من عشر سورٍ إلى السورة الواحدة، فعجزوا وسطَّر اللهُ عجزَهم آياتٍ تتلى إلى يوم الدين. قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة يونس/٣٨]، وقال أيضاً: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البقرة/ ٢٣].

وبذلك تبيَّن أن بلاغةَ القرآن، وطريقةَ نظمِه، وأسلوبَ صياغتِه هي وجه الإعجاز الأساس الذي دُعي العرب في عصر التنزيل وما بعده إلى معارضته. والبلاغة في نظم القرآن تتجلى بوجوه متعددة، منها: طريقة صياغته وتأليفه، وفصاحة ألفاظه، ودقة دلالاته، وسلاسة أسلوبه، وتعانق ألفاظه ومعانيه، وإيجاز عباراته.

وتعدُّ القراءات المتواترة التي أنزل الله بها القرآن على قلب نبيه ﷺ آية من الآيات الشاهدة على إعجاز القرآن وإيجازه، ومِنَّة عظيمة امتنَّ الله بها على هذه الأمة؛ فهي الوسيلة التي يسَّر الله بها تلاوة القرآن على المسلمين الَّذين تتباين لهجاتهم، وتتنوع لغاتهم، ويشقُّ عليهم الخروجُ من لغتهم إلى لغة قريش التي نزل بها القرآن أولاً.

والقراءات هي التي حملت الكثير من المعاني والوجوهِ البلاغية التي ينوء عن حملها اللفظ الأحادي القراءة، وهي الوسيلة التي تبلَّغ بها القرآن إلى حِكَم كثيرة وفوائدَ متعدِّدةٍ جعلت الآيةَ الواحدةَ تقوم بقراءاتها المتنوعةِ مقام آياتٍ متعدِّدةٍ تؤدي المعاني التي اشتملت عليها بأوجز أساليب التعبير، وبطرائقَ متغايرةٍ توقظ الأذهان، وتدعو الآذان إلى الإصغاء إلى مضمون الكلام المُلقَى.

وقد تحقق كل ذلك لنظم القرآن من خلال وجوه التنوع التي اشتملت عليها القراءات المتواترة، ومنها: أساليبُ صياغةِ الكلامِ تصريفياً ونحوياً، وأساليبُ الوصلِ والفصل، والحذفِ والذكر، والتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والفعلية والاسمية، وأساليبُ الالتفات، والخروجِ عن مقتضى الظاهر.

وهذه الوجوه المتنوعة التي اشتملت عليها وجوه القراءات المتواترة تمثِّل المباحث الأساسية التي يعنى أحدُ فنونِ البلاغةِ بدراستها، وهو علم المعاني الذي يهتمُّ بدراسة أساليبِ صياغة الكلام البليغ ونظمه؛ ولذلك عدَّ العلماء والمفسرون تعدُّدَ القراءات من أبرز الخصائصَ التي تتحقق من خلالها البلاغة لنظم القرآن؛ لأن القراءاتِ المتواترةَ هي القرآن المنزَّل على النبي ﷺ، وهي جزء لا يتجزأ من نسيج القرآن ونظمه.

وانطلاقاً من ذلك يأتي هذا البحث في دراسة نماذجَ من القراءات المتواترة التي يتجلَّى فيها إعجازُ القرآن الكريم وإيجازُه، ففي هذا البحث تفسير وتحليل لبعض القراءات المتواترة، وتوضيح لمعانيها بما يعين على فهم الآيات التي هي فيها، ويوضِّح أثرها في تحقيق البلاغة لنظم الآيات التي اشتملت عليها.

وقد جعلتُ نطاق البحث محصوراً في القراءات العشر التي أثبت العلماء تواترها؛ لأن هذه القراءات هي التي يطلق عليها اسم القرآن، دون القراءات الشاذة، إلا أن المقام في بعض المواضع كان يدعوني إلى مقارنة القراءة المتواترة بنماذج من القراءات الشاذة التي يتبيَّن بها فضل القراءة المتواترة ومزاياها، وقد جرى ذلك في مواضع يسيرة اقتضتها طبيعة القراءة التي يتضح بها الجانب البلاغي لنظم الآية.

وقد كانت نيَّتي في أول الأمر أن تكون دراستي استقرائيةً تتناول جميع القراءات المتواترة الدالَّة على بلاغة نظم

القرآن، ومقارنتها بنظائرها من القراءات الشاذة؛ إذ بالمقارنة يتبيّن فضلُ القراءة المتواترة ومزيةُ موقِعها من الآية، ولذلك استقرأت جميع القراءات المتواترة التي تتعلق بمعاني الآيات، وتبرز وجوه بلاغتها، واخترت نماذج تناظرها من القراءات الشاذة، حتى تشكَّل لديَّ مادة علمية ضخمة تنوء هذه الرسالة عن احتوائها؛ حيث تبيَّن لي بعد الاستقراء أن طاقةَ البحث وحدودَه والمدةَ الزمنية المتاحة له لا تسمح بدراسة جميع القراءات المتواترة التي تخدم هذا الموضوع، وتتصل به؛ فذلك مما تنقضي فيه الآجال ويستحق أن تفرَد فيه الأسفار العظام؛ ولذلك انثنيت عن عزمي، ووجَّهت اهتمامي إلى دراسة نماذجَ من القراءات العشر المتواترة، يتمُّ من خلالها إثراءُ مسائل البحث، وتوضيحُ المرادِ بها، فاخترت نماذجَ من القراءات المتبادلة بين الصيغ التصريفية المتنوعة، وأخرى من القراءات المتبادلة بين الوظائف الإعرابية المختلفة، ومثلَ ذلك في التبادل بين أساليب الوصل والفصل، والحذف والذكر، والتعريف والتنكير، وغيرِها من المسائلِ التي اشتملت عليها فصولُ البحث ومباحثُه.(١)

وقد تمَّ في هذه الدراسة تقسيم القراءات وفق مباحث علم المعاني؛ لأن استقراءَ القراءات المتواترة وجمعَ النظير إلى النظير أثبت أن تنوع القراءات يدور غالباً في فلك هذه المباحث. أما القراءات التي تخرج عن هذا المسار فهي إما قراءاتٌ تدور بين صيغٍ تصريفيةٍ متنوعة، أو وجوهٍ نحوية متعددة، أو قراءاتٌ تدور في فلك أصول القراءات التي لا يؤثر تنوعُها في معاني الآيات وبلاغتِها. وهذا النوع الأخير من القراءات لم يكن موضع الدراسة في هذا البحث؛ لأنه مما يتعلق بطرق الأداء، وكيفيات التلاوة.

وبناء على ذلك قسمت القراءات التي درستها وفق محورين: أحدهما تظهر بلاغته بشكل واضح في جانب دلالاته، وهذا القسم يشمل التنوعَ التصريفي والإعرابي للقراءات المتواترة، وقد درسته في الباب الأول، وأما المحور الثاني فيضم القراءاتِ التي تظهر بلاغتُها من جهة تنوع أساليبها والأغراض البلاغية التي تدل عليها هذه الأساليب في علم المعاني، وقد درستها في الباب الثاني. ولم أقتصر على ذلك بل قدمت بباب تمهيدي اشتمل على دراسة تأصيلية لبعض المسائل، كالتعريف بالقراءات والبلاغة ونظم القرآن، وما يتعلق بذلك من مسائلَ تخدم مادة البحث وترتبط به، وتحاول الإجابة عن التساؤلات التي يطرحها البحث، ومنها: ما أثر تنوع القراءات في بلاغة نظم القرآن، وهل كانت بلاغة القراءات من بين الأسباب التي يستند إليها المفسرون في ترجيح بعض القراءات المتواترة، وما الفنون البلاغية التي يدخلها تنوع القراءات، وكيف تحققت البلاغة لنظم القرآن من خلال القراءات المتنوعة، وما القواعد التي تضبط الآثار البلاغية الناتجة عن تنوع القراءات؟

---

(١) الحق أنَّ هذه المسائل تستحق أن تفرَد كل واحدة منها في رسالة علمية مستقلة تدرس القراءات المتواترة دراسة استقرائية تحليلية، توضِّح المعاني والوجوه البلاغية واللغوية والنحوية، وتبيِّن أثر تنوع القراءات في بلاغة نظم القرآن. فلعلَّ الله ييسِّر لي مثل هذا الأمر في المستقبل خاصة وأن المادة العلمية اللازمة لمثل هذه الدراسات لا تزال بين يديَّ.

وقد تمثّلت **أهداف هذا البحث** في عدة نقاط، هي:

أولاً: الكشف عن وجه جليل من وجوه إعجاز القرآن، وإبرازُ الدور المهم للقراءات المتواترة، وبيانُ ما ينتج عنها من وجوه بلاغية متنوعة تسهم في الكشف عن إعجاز نظم القرآن، وبلاغة الأساليب التي يسلكها القرآن في عرض موضوعاته.

ثانياً: الكشف عن أثر القراءات المتواترة في إثراء معاني الآيات، وتعدد دلالاتها، والتأكيدُ على أن الحكمة من تنوع القراءات لا تنحصر في تيسير تلاوة القرآن كما يفهم من ظاهر الأحاديث التي رخصت بقراءة القرآن على سبعة أحرف، بل إنَّ الأثر البلاغي والدلالي الناتج عن تنوع القراءات لا يقل أهمية عن مقصد التيسير الذي حفلت به القراءات المتنوعة.

ثالثاً: الكشف عن العلاقة التي تربط علم القراءات بعلوم اللغة العربية، والتأكيد على أن علوم اللغة العربية قد نشأت في ظلال القرآن، واستمدت حجيتها من قراءاته.

رابعاً: تسليط الضوء على دور الموسوعات التفسيرية في خدمة علم القراءات، وعناية المفسِّرين في بيان معانيها، وبيانُ أنها تعدُّ من أهم المصادر التي يمكن اعتمادُها في توجيه القراءات ودراستها.

خامساً: الدفاع عن جميع القراءات العشر المتواترة، والإشارةُ إلى مصدرها الرباني الذي ينبغي أن يكون حاجزاً يمنع من تضعيف بعض القراءات أو إنكارها، والكشف عن الوجوه والمعاني التي يتحقق بها هذا الغرض.

أما **أهمية البحث** فتتجلى في النقاط الآتية:

أولاً: موضوع البحث يتعلق بعلوم تُعَدُّ من أشرف العلوم المرتبطة بالقرآن، وهي: علم ألفاظ القرآن (علم القراءات)، وعلم معرفة معانيه (علم التفسير)، وعلم إعجاز القرآن، ويبحث في القراءات كأهم مصدر من مصادر التفسير، فهو بذلك يعنى بجانب من جوانب (أصول التفسير).

ثانياً: إنَّ هذا البحث يعرِّف بموقف المفسِّرين من القراءات المتواترة، ومعانيها، ووجوهها، ومزاياها.

ثالثاً: يعنى هذا البحث بدراسة الوجوه البلاغية والمعاني المتعدِّدة للقراءات المتنوعة، والوجوه البلاغية للقراءات التي لا يختلف معناها، فيكشف الستار عن وجه جليل من وجوه إعجاز القرآن؛ لأنه يبيِّن أن الكلمة الواحدة في القرآن تقوم مقام كلمات متعدِّدة.

رابعاً: إنَّ هذا البحث يتناول بالدراسة مسلك بعض المفسرين الذين ذهبوا للترجيح بين القراءات، ويبين مدى توافق مسلكهم مع المنهج العلمي.

خامساً: إنَّ هذه الرسالة تبحث في بلاغة نظم القرآن الذي يعدُّ الآية والمعجزة الدالة على نبوة النبي ﷺ،

والذي يستحق أن يستحوذ على المكانة العليا بين البحوث والدراسات القرآنية، وإلى ذلك أشار العلّامة عبد القاهر الجرجاني عندما قال: "وقد علمتَ إطباقَ العُلماءِ على تعظيمِ شأنِ النَّظْمِ، وتفخيمِ قَدْرِه، والتَّنويهِ بذكرِه، وإجماعِهم أنْ لا فضلَ معَ عَدمِه ولا قدرَ لكلامٍ إذا هو لم يستقمْ لَهُ، ولو بلغَ في غَرابةِ معناهُ ما بلغ. ... وما كانَ بهذا المحلِّ من الشَرَفِ، وفي هذِه المنزلةِ من الفضلِ، وموضوعاً هذا الموضعَ منَ المزيّة، وبالغاً هذا المبلغَ منَ الفضيلةِ كان حَرِياً بأن توقَظَ له الهِمَمُ، وتُوكَلَ به النُّفوسُ، وتحرَّكَ له الأفكارُ، وتُستخدمَ فيه الخواطرُ. وكان العاقلُ جَديراً أن لا يَرضى من نفسهِ بأن يجدَ فيهِ سبيلاً إلى مزيَّةِ علمٍ، وفضلِ استْبانةٍ، وتلخيصِ حُجّةٍ، وتحريرِ دليلٍ."[1] وهذا البحث يهتم بدراسة جوانب تحققت فيها بلاغة نظم القرآن.

أسباب اختيار الموضوع: تضافرت عدة عوامل وأسباب دعتني إلى البحث في هذا الموضوع، منها:

أولاً: أنَّ علم القراءات يعدُّ من العلوم الغامضة بالنسبة لكثير من طلبة العلم الشرعي الذين يتهيبون البحث فيه، ويفضّلون البحث في غيره من العلوم، كالتفسير والعقيدة والحديث والفقه، وغيرها من العلوم الشرعية، ولذلك ظلَّ هذا العلم غريباً على كثيرٍ منهم رغم أنه من أشرفِ العلوم الإسلامية، وأكثرها تعلقاً بكتاب الله ﷻ، ولذلك عزمت على تعلُّم هذا العلم والبحث في مجاله؛ لأكون ممن يحظى بشرف خدمته ونشره إن شاء الله تعالى.

ثانياً: رغبتي بالتخصص في علوم التفسير وعلوم القراءات معاً، بسبب انتسابي إلى قسم التفسير وعلوم القرآن في كلية الشريعة بجامعة دمشق، وقبولي معيدة بتخصص القراءات في كلية الشريعة بجامعة حلب، فرأيت أن دراسة الناحية البلاغية للقراءات المتواترة، وبيان أثرها في نظم القرآن من أبرز الوسائل التي تلبِّي هذه الرغبة.

ثالثاً: أنَّ البحث في بلاغة القراءات كان يوافق رغبةً في نفسي وأنا أعد لبحثي في الماجستير (أثر القراءات في تعدد المعاني في تفسير التحرير والتنوير- دراسة تطبيقية)؛ إذ كان يستوقفني في أثناء الدراسة مسلك بعض المفسرين في العناية بالأوجه البلاغية المترتبة على تنوع القراءات، بالإضافة إلى اللفتات التي كانت تظهر لي في أثناء البحث، وتُبيِّن أثر تنوع القراءات في تعدد المعاني وصلة ذلك بالإعجاز البلاغي للقرآن، ثم تَبيَّن لي في أثناء التفكير في موضوع جديد لمرحلة الدكتوراه أن العلاقة بين تعدد القراءات وبلاغة نظم القرآن لا تزال محتاجة إلى الدرس والبحث؛ حيث لم يتهيأ للبحث في هذا الاتجاه مؤلفات خاصة، وإنما الذي تهيأ له من ذلك إشاراتٌ وتحليلات متناثرة، وردت في معرض الاحتجاج للقراءات أو بها.

ولما نظرت في الدراسات والبحوث المتعلقة بعلم القراءات، ولم أعثر على بحثٍ متخصِّص في دراسة أثر

---

(١) دلائل الإعجاز، للإمام عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، تح: د.محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١٤١٥/١هـ-١٩٩٥م، ص ٧٦.

القراءات المتعددة في إعجاز نظم القرآن نمت لديَّ الرغبة في دراسة هذا الموضوع.

رابعاً: أنَّ دراسة أثر تعدد القراءات في بلاغة نظم القرآن ينبني على موضوع الأطروحة التي قدَّمتها لنيل درجة الماجستير. والبناء على ما تقدَّم دراسته يساعد الباحث على تعميق اختصاصه، والفهم الدقيق لموضوعه.

خامساً: أن العلماء الذين ألَّفوا في توجيه القراءات لم يقصدوا إلى دراسة الناحية البلاغية للقراءات المتعددة بشكل رئيس، بل على سبيل الاحتجاج للقراءة، وبيان مزاياها. أما العلماء الذين ألَّفوا في إعجاز القرآن، ومن حذا حذوهم من الباحثين الذي اهتموا بدراسة نظم القرآن فقد وجَّهوا جلَّ اهتمامهم إلى العناية بدراسة النصوص الأحادية القراءة، لكنهم أغفلوا القراءات المتعددة التي تهدي إلى لفتات بلاغية لا تقل أهمية عن بلاغة النصوص الأحادية القراءة.

أما أبرز **صعوبات البحث**، فهي:

أولاً: غموض علم القراءات بالنسبة لي كما هو الحال لدى أكثر طلاب العلم الشرعي؛ إذ لم يتيسَّر لي من المعرفة في هذا العلم إلا معلومات يسيرة استفدتها من خلال دراستي لمادة علوم القرآن في مرحلتي الإجازة والماجستير، وهي تعدُّ مدخلاً إلى علم القراءات، وهذا الأمر جعلني أعكف على دراسة أساسيات علم القراءات وكثير من مسائله التي لا تتصل بموضوع البحث؛ لأتمكن من خوض غمار بحثي بقوة ودراية.

ثانياً: كثرة القراءات المتواترة التي تشكل المادة العلمية لهذا البحث، وصعوبة حصرها ضمن التقسيم المذكور سابقاً؛ مما جعلني أقع في الحيرة في انتقاء النماذج الأوضح؛ لتكون موضع الدراسة من تلك المادة الضخمة، وقد نتج عن ذلك طول مدَّة الاستقراء والجمع، ثم التصنيف وفق فصول البحث ومباحثه.

ثالثاً: قلَّة الكتب المعنيَّة بتوجيه القراءات بالنسبة إلى كتب العلوم الأخرى.

رابعاً: الظروف التي تعصف ببلدنا الحبيب، وما نتج عن ذلك من نقص الخدمات التي يحتاجها طالب العلم عادةً، كالكهرباء التي تنير ظلام ليله وتشغِّل حاسبه الآلي، وانقطاع الطرق الذي يقطع طالب العلم عن ارتياد المكتبات العامة التي توجد في المحافظات الأخرى، مما أطال عمر التحضير والدراسة في مرحلة الدكتوراه.

الدراسات السابقة:

كثرت البحوث التي تهتمُّ بدراسة منهج مفسِّر معيَّن في عرض القراءات وتوجيهها، والبحوث التي تهتم بتحقيق كتب القراءات، وكذلك الدراسات التي تهتمُّ بتوجيه القراءات توجيهاً نحوياً أو صرفياً أو لغوياً... إلخ. والمقام لا يتسع لذكر هذه الدراسات والبحوث؛ لضعف صلتها بموضوع هذه الرسالة من جهة، وبسبب مخالفتها لأهداف هذه

الأطروحة وحدودها من جهة أخرى. وقد أوقفني البحث على دراسات وبحوث اهتمت بتوجيه القراءات المتواترة توجيهاً بلاغياً، وهي ثلاثة فقط فيما اطّلعت، أذكرها حسب ترتيبها التاريخي بدءاً بالأقدم:

أولاً: التوجيه البلاغي في القراءات القرآنية، للدكتور عبد الله حسن عليوه، رسالة مقدَّمة إلى كلية اللغة العربية في جامعة الأزهر، عام ١٩٨٦م. وهذا البحث يقتصر على التوجيه البلاغي للقراءات السبع المتواترة، وقد جعل الباحث خطته قائمة على التقسيم بحسب الاختلاف الفرشي بين القراءات، مما أدى إلى تشتيت الظاهرة البلاغية التي كان ينشدها في توجيهه. ولم أقف على هذه الرسالة، وإنما اعتمدت في توصيفها على ما ذكره د. أحمد سعد محمد في رسالته الآتي ذكرها.[(١)]

ثانياً: التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، للدكتور أحمد سعد محمد، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها (تخصص البلاغة والنقد الأدبي)، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، وقد نشرته مكتبة كلية الآداب في القاهرة. وهذا البحث يهدف - كما ذكر الباحث في مقدمة بحثه - إلى النقد الأدبي لنصوص المفسرين والموجهين، ويهتم بنقد التوجيه البلاغي، ولذلك فإنه يَغفَل عن مراعاة سياق القراءات المتنوعة، وأثرِ اختلافها في بلاغة النظم، ويصب كلَّ اهتمامه على دراسة الآراء القابلة للنقد أو المناقشة. والبحث لا يدرس الآيات التي تنوعت قراءاتُها دراسة شاملة، تعتمد منهج المقارنة بين آراء المفسرين والموجهين، وإنما يصب أكثر اهتمامه على دراسة القراءات الشاذة؛ لأنها القراءات التي قد يقع في توجيهها أحياناً تعسف أو تكلف قابل للنقد. وإذا وجه الباحث اهتمامه إلى دراسة آية تنوَّعت قراءاتُها فإنه لا يفرِّق بين القراءات المتواترة والشاذة من حيث القيمة والتوجيه، بل يتجه إلى دراسة مسلك المفسرين في التعامل مع الظاهرة البلاغية؛ لأن همه الأول هو نقد رأي المفسر، وليس الإحاطة الشاملة بالقراءات المدروسة. وقد اتضح ذلك جلياً في دراسته لظاهرة التبادل بين الخبر والإنشاء، ومسلك المفسرين في التعامل مع التناقض الظاهري بين الأسلوبين. وقد كان هدف الباحث يتوجه إلى "تتبع الظواهر البلاغية التي بثَّها علماء السلف في معرض توجيههم للقراءات المتواترة وغيرها، ورصدها ثم الوقوف على طرائقهم في الإشارة إليها أو تحليلها، وبيان أثرها في البحث البلاغي الخالص، أو تأثرها به؛ حتى تقع بذلك موضعها المناسب في حركة تأصيل البلاغة وتجديدها."[(٢)] أي إنَّ عمل د.محمد كان ينحصر في جمع أقوال العلماء في التوجيه البلاغي، وتصنيفها تحت عناوين بلاغية، ثم تحليلها "تحليلاً بلاغياً، ببيان موقعها من البحث البلاغي، والإشارة إلى ما أضافته إليه أو أفادته منه."[(٣)] ولذلك فإنَّ هذا البحث يُغرِق في العناية بالنواحي اللغوية

(١) انظر: التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، د.أحمد سعد محمد، نشر مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢/د.ت، ص ١٢-١٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠.

(٣) المرجع السابق، ص ١٠.

والنحوية والصرفية، والمباحث البلاغية وتفريعاتها، بعيداً عن أهداف المفسرين. ومما يُؤخَذ عليه أنه يذكر القراءات لمجرد التمثيل للقاعدة البلاغية، أي: إنَّ القراءات عند د.محمد تابعةٌ للظواهر البلاغية التي يدرسها، وليست أصلاً في البحث؛ وسبب ذلك – فيما أعتقد – هو أن هذه الأطروحة قدِّمت لتخصص اللغة العربية؛ لذا فإنها تُعنَى بأبحاث لغوية تَعرُضُ لآراء العلماء واستدلالاتهم على أنها هي الأصل.(١)

ثالثاً: الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، إعداد: محمد أحمد عبد العزيز الجمل، إشراف: أ.د.فضل حسن عباس، جامعة اليرموك، الأردن، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م. وقد اهتم الباحث بتوجيه القراءات المتواترة توجيهاً بلاغياً؛ إلا أنَّ دراسته كانت دراسة تحليلية تعتمد على جمع آراء المفسرين وتحليلها، دون استنباط العلاقة التي تربط الجانب البلاغي للقراءات بالجانب البلاغي لنظم الآيات التي اشتملت عليها. وقد أغفل الباحث عدداً من الفنون البلاغية التي يدخلها تنوع القراءات، ومنها التعريف والتنكير، رغم أن التبادل بين التنكير والتعريف بالإضافة جرى فيما بين القراءات المتواترة غالباً، وكذلك لم يتعرض البحث للحديث عن بلاغة الالتفات في القراءات المتنوعة رغم كثرة أمثلته في القراءات المتواترة، وأهمية هذا المبحث في علم البلاغة عموماً والتوجيه البلاغي خصوصاً. وكذلك أغفل الباحث دراسة القراءات المتواترة التي اتضحت بلاغتها من مخالفة القراءات الشاذة، ولذلك لا تجد في بحثه ذكراً للقراءات التي تخرج عن مقتضى الظاهر، وهذا الأمر يرجع إلى تحديد بحثه بالقراءات المتواترة فقط دون مقارنتها بالقراءات الشاذة، وإن اقتضى التوجيه البلاغي إجراء تلك المقارنة.

أما البحوث التي تربط بين إعجاز القرآن وتعدد القراءات فهي اثنان فقط فيما اطَّلعت، هما:

أولاً: الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة، أ.د.أحمد بن محمَّد الخراط، وهو كتاب يقع في حوالي ٣٨٠ صفحة تقريباً، طبعته وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف في المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م. وهذا الكتاب يدرس ثمانين نموذجاً من القراءات المتواترة، فيفسرها، ويكشف عن دور القراءات المتعددة في إثراء معاني الآيات، غير أنه يحصر دراسته في القراءات المتغايرة تصريفياً وإعرابياً، ولا يوجّه اهتمامه إلى تتبع آراء العلماء في القراءات التي يضعها موضع الدراسة، ولذلك فإن دراسته تفتقد إلى منهج التحليل والمقارنة والمناقشة في كثير من الأمثلة. والمؤلِّف لا يعير الفنونَ البلاغيةَ التي يدخلها تنوعُ القراءات أي اهتمام، ولذلك يمكن أن تَعدَّ هذه الدراسة دراسة تفسيرية تكشف عن معاني الآيات القرآنية بالنظر إلى جميع قراءاتها المتواترة.

---

(١) الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، إعداد محمد أحمد عبد العزيز الجمل، إشراف: أ.د. فضل حسن عباس، جامعة اليرموك، الأردن، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م، ص ١٢.

ثانياً: مدخل القراءات القرآنية في الإعجاز البلاغي، د. محمد إبراهيم شادي، أصدرته مطبعة دار السعادة بالقاهرة، عام ١٩٨٧م. وهذا البحث يهدف إلى التأكيد على أنَّ للقراءات القرآنية مدخل في الإعجاز البلاغي للقرآن من خلال دراسة تأصيلية تتناول بالدراسة نماذج قليلة من القراءات المتواترة ذات الصلة بفنون الالتفات، والفصل والوصل، والمبالغة، والمجاز العقلي. وقد ذكر د. شادي في بحثه أنه لم يقم بتتبع التوجيه البلاغي للقراءات عند العلماء؛ لهذا لا يمكن عدُّ هذا البحث رصداً للتوجيه البلاغي، وإنما هو بحث قائم على التأمل الذاتي في القراءات، وهو بحث مقتضب يمكن أن يُعدَّ مدخلاً تأصيلياً لهذا الموضوع كما يتضح من عنوانه، فهو لا يفي الناحية التطبيقية حقها، ولا يورد نماذج تكفي مباحث الدراسة وتغنيها، هذا إضافة إلى أنه يغفل دراسة أثر القراءات في بلاغة نظم الآيات المشتملة عليها.

وبذلك يتبيَّن أنَّ البحث الذي أضعه بين أيديكم ينفرد بدراسة مسائل لم يتعرض لها الباحثون السابقون، كما ينفرد بتحقيق الهدف الذي أعرضت عنه الدراسات السابقة، ويشمل بالدراسة مباحث وفصولاً لم يرد لها ذكر فيما تقدَّم، وخاصة تلك المباحث المتعلقة بالفنون البلاغية المتنوعة التي تشتمل عليها القراءات المتعددة، التي يدرسها الباب الثاني من هذا البحث.

وقد جعلت عنوانه (أثر تعدد القراءات في بلاغة النظم القرآني)؛ لبيان اختلافه عن غيره من البحوث التي اعتنت بالتوجيه البلاغي للقراءات، والإشارة إلى مجاله من البحث، والدلالة على الهدف المقصود به دون لبس أو إيهام. وأحسب أن الجديد في هذه الدراسة هو: الاهتمام بدراسة الوجوه البلاغية للقراءات المتنوعة ضمن سياقها في الآيات، وليس بمعزل عن سياقها كما في كثير من الأبحاث السابقة، والاهتمام بالتوفيق بين معاني القراءات المتواترة التي رجَّحها أو أنكرها بعض المفسرين، واستخراج المعاني الكلية التي يمكن أن تندرج تحتها جميع الوجوه البلاغية للقراءات المتواترة، واستخلاص الأثر البلاغي الجامع لكل الأغراض الثانوية التي تدلُّ عليها القراءات المتعددة.

وقد سرت في هذه الدراسة وفق **الخطة** الآتية، فقسَّمتُ البحث إلى باب تمهيدي، وبابين رئيسين، وخاتمة.

أما الباب التمهيدي فسمَّيته: **مدخل إلى القراءات وبلاغة نظم القرآن**. وتناولت فيه شرح المصطلحات التي اشتمل عليها عنوان البحث، وأهم المسائل التي تتصل به، وقد تضمَّن هذا الباب الفصلين الآتيين:

الفصل الأول: **التعريف بالقراءات**. وتضمَّن هذا الفصل ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: **تعريف القراءات والألفاظ ذات الصلة**. وقد شمل هذا المبحث ثلاثة مطالب، هي:

المطلب الأول: تعريف القراءات.

المطلب الثاني: القرآن والقراءات.

المطلب الثالث: القراءات والأحرف السبعة.

المبحث الثاني: دراسة تاريخية في علم القراءات وتوجيهها. وشمل هذا المبحث ثلاثة مطالب أيضاً، وهي:

المطلب الأول: نشأة علم القراءات.

المطلب الثاني: تدوين علم القراءات.

المطلب الثالث: علم توجيه القراءات: نشأته وتطوره.

المبحث الثالث: أنواع القراءات وأحكامها. وقد تضمَّن هذا المبحث مطلبين، هما:

المطلب الأول: أنواع القراءات من حيث أسانيدها وتوفُّر شروط قبولها، وأحكامها.

المطلب الثاني: أنواع القراءات من حيث تعلقها بالتفسير، وأحكامها.

وأما **الفصل الثاني**: فقد سمَّيته **دراسة موجزة في البلاغة ونظم القرآن**. وقد تضمَّن هذا الفصل مبحثين، هما:

المبحث الأول: تعريف البلاغة وأقسامها. وشمل هذا المبحث ثلاثة مطالب، هي:

المطلب الأول: تعريف البلاغة والألفاظ ذات الصلة.

المطلب الثاني: أقسام علم البلاغة.

المطلب الثالث: أثر علم البلاغة في توجيه القراءات وترجيحها.

المبحث الثاني: دراسة موجزة لنظم القرآن ووجوه إعجازه. وشمل هذا المبحث ثلاثة مطالب أيضاً، وهي:

المطلب الأول: تعريف إعجاز القرآن، وبيان وجوهه.

المطلب الثاني: تعريف نظم القرآن.

المطلب الثالث: بلاغة نظم القرآن وإعجازه في دراسات السابقين.

وبعد هذه الدراسة التأصيلية التي تقدَّمت في الباب التمهيدي شرعت في الدراسة التطبيقية، وقد جعلتها في بابين رئيسين، خصصت الأول منهما لدراسة الدلالات المتعددة الناتجة عن القراءات المتنوعة، والثاني لدراسة الأحوال العارضة لجمل القرآن نتيجة تنوع القراءات.

أما **الباب الأول**: فسمَّيته **تعدد دلالات كلمات القراءات، وأثره في بلاغة النظم**. ودرست فيه الدلالات

المتعددةَ الناتجةَ عن التغاير التصريفي أو الإعرابي للقراءات المتواترة، وقد شمل هذا الباب فصلين، هما:

الفصل الأول: **تعدد دلالات الصيغ الصرفية، وأثره في بلاغة النظم**. وتضمَّن هذا الفصل ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: **التنوع التصريفي في أبنية الأفعال، وأثره في بلاغة النظم**. وقد تضمَّن مطلبين، هما:

المطلب الأول: التنوع التصريفي للقراءات بين صيغ الثلاثي ومزيدها.

المطلب الثاني: التنوع التصريفي للقراءات بين صيغ مزيد الثلاثي.

المبحث الثاني: **التنوع التصريفي في أبنية الأسماء، وأثره في بلاغة النظم**. وشمل مطلبين أيضاً، هما:

المطلب الأول: التبادل بين المصادر، وأبنية المشتقات.

المطلب الثاني: التبادل بين أبنية المشتقات.

المبحث الثالث: **تبادل القراءات بين الاسمية والفعلية، وأثره في بلاغة النظم**. وشمل مطلبين، هما:

المطلب الأول: التبادل بين الاسمية والفعلية، وأثره في بلاغة النظم.

المطلب الثاني: التبادل بين الجذور اللغوية المتغايرة، وأثره في بلاغة النظم.

الفصل الثاني: **تغاير إعراب القراءات، وأثره في بلاغة نظم القرآن**. وتضمَّن هذا الفصل مبحثين، هما:

المبحث الأول: **تنوع إعراب الأسماء المختلف في قراءتها، وأثره في بلاغة النظم**. وفيه ثلاثة مطالب، هي:

المطلب الأول: تبادل القراءات بين الرفع والنصب، وأثره في بلاغة النظم.

المطلب الثاني: تبادل القراءات بين الرفع والجرِّ، وأثره في بلاغة النظم.

المطلب الثالث: تبادل القراءات بين الجرِّ والنصب، وأثره في بلاغة النظم.

المبحث الثاني: **تنوع إعراب الأفعال المختلف في قراءتها، وأثره في بلاغة النظم**. وفيه مطلبان، هما:

المطلب الأول: التبادل بين الرفع والنصب، وأثره في بلاغة النظم.

المطلب الثاني: التبادل بين الرفع والجزم، وأثره في بلاغة النظم.

ثم شرعت في **الباب الثاني**: الذي درس الأحوال العارضة لجمل القرآن نتيجة تنوع القراءات. وقد سمَّيته **تعدد أحوال الجمل القرآنية نتيجة تنوع القراءات، وأثره في بلاغة نظم القرآن**. وقد تضمَّن هذا الباب ثلاثة فصول، وجعلت خطَّته كالآتي:

الفصل الأول: تعدد أحوال الإسناد والربط في جمل القراءات، وأثره في بلاغة نظم القرآن. وقد تضمَّن هذا الفصل مبحثين: هما:

المبحث الأول: تبادل القراءات بين الإسنادين الخبري والإنشائي، وأثره في بلاغة النظم. واشتمل هذا المبحث على أربعة مطالب، هي:

المطلب الأول: تنوع القراءات بين الإخبار والاستفهام، وأثره في بلاغة النظم.

المطلب الثاني: تنوع القراءات بين الإخبار والأمر، وأثره في بلاغة النظم.

المطلب الثالث: تنوع القراءات بين الإخبار والنهي، وأثره في بلاغة النظم.

المطلب الرابع: تنوع القراءات بين الإخبار والنداء، وأثره في بلاغة النظم.

المبحث الثاني: تبادل القراءات بين الوصل والفصل، وأثره في بلاغة النظم. وفيه مطلبان، هما:

المطلب الأول: الوصل والفصل اللفظي، وأثرهما في بلاغة نظم القرآن.

المطلب الثاني: الوصل والفصل المعنوي، وأثرهما في بلاغة نظم القرآن.

الفصل الثاني: تعدد أحوال المسند والمسند إليه وعناصر الجملة، وأثره في بلاغة نظم القرآن. وقد تضمَّن هذا الفصل مبحثين: هما:

المبحث الأول: تبادل القراءات بين الحذف والذكر، وأثره في بلاغة النظم. وفيه ثلاثة مطالب، هي:

المطلب الأول: تبادل القراءات بين حذف الفاعل وإضماره، وأثره في بلاغة نظم القرآن.

المطلب الثاني: تبادل القراءات بين حذف المفعول وذكره، وأثره في بلاغة نظم القرآن.

المطلب الثالث: حذف عناصر الجملة الأخرى في بعض القراءات، وأثره في بلاغة نظم القرآن.

المبحث الثاني: التبادل بين التنكير والتعريف، أو التقديم والتأخير، وأثره في بلاغة النظم. واشتمل هذا المبحث على مطلبين، هما:

المطلب الأول: تبادل القراءات بين التعريف والتنكير، وأثره في بلاغة النظم.

المطلب الثاني: تبادل القراءات بين التقديم والتأخير، وأثره في بلاغة النظم.

الفصل الثالث: خروج بعض القراءات عن مقتضى الظاهر، وأثره في بلاغة نظم القرآن. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الالتفات في بعض القراءات، وأثره في بلاغة النظم. وفيه أربعة مطالب، هي:

المطلب الأول: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

المطلب الثاني: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

المطلب الثالث: الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

المطلب الرابع: الالتفات من التكلم إلى الغيبة.

المبحث الثاني: العدول في ضمائر الأعداد وصيغ الأفعال، وأثره في بلاغة النظم. وفيه أربعة مطالب، هي:

المطلب الأول: العدول عما يقتضي الظاهر من الإفراد إلى الجمع.

المطلب الثاني: العدول عما يقتضي الظاهر من الجمع إلى الإفراد.

المطلب الثالث: العدول عما يقتضي الظاهر من الإفراد أو الجمع إلى التثنية، وبالعكس.

المطلب الرابع: العدول عن مقتضى الظاهر في صيغ الأفعال.

ثم جاءت **الخاتمة** التي تضمَّنت أهم النتائج التي توصَّل إليها البحثُ، وبعضَ التوصيات والمقترحات، وتلا ذلك الفهارس التي تعرِّف بمضمون الرسالة، وهي: فهرس الآيات القرآنية، وفهرس القراءات المتواترة، والشاذة، وفهرس الأحاديث النبوية والآثار، وفهرس الأشعار، وفهرس المصطلحات العلمية، وفهرس الأعلام، وفهرس الموضوعات.

وقد اعتمدت في كتابة هذا البحث طريقة معينة يمكن أن تتلخص في الأمور الآتية:

- أكتب الآيات القرآنية برواية حفص عن عاصم بعد وضعها بين قوسين ﴿ ﴾، وأعزوها في المتن إلى موضعها من المصحف الشريف، فأذكر اسم السورة ورقم الآية حسب ورودها في المصحف المطبوع في مجمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف الذي أخذ بعدِّ الكوفيين للآيات التي بلغ عددها عندهم (٦٢٣٦).[1] وإذا ذكرت الآية بغير رواية حفص عن عاصم فإني أنبِّه على ذلك.
- أخرِّج الأحاديث الواردة في البحث، اعتماداً على الأصح فالأصح من كتب السنة، فإذا ورد حديث له رواية في صحيح البخاري ومسلم خرجته منهما، أما إن كان فيهما وفي غيرهما من كتب السنن كسنن الترمذي، فإني أكتفي بتخريجه من صحيح البخاري ومسلم، أو من أحدهما، ولا أخرِّجه من كتب السنن الأخرى.
- أوثِّق القراءات عند ورودها أول مرة في المتن، وقد اعتمدت في توثيق القراءات المتواترة على أربعة كتب، هي:

---

(١) انظر: التعريف الوارد في آخر هذا المصحف مع تقرير لجنة المراجعة.

السبعة في القراءات، لابن مجاهد، والتيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، والنشر في القراءات العشر، وتحبير التيسير في القراءات العشر، كلاهما لابن الجزري، وقد اعتمدت في توثيق القراءات المتواترة على هذه الكتب؛ لأنها أقدم مادة علمية تعزو القراءات المتواترة إلى أصحابها، فابن مجاهد هو أول من حصر القراءات المتواترة في سبع، وقد سار الداني على منهاجه فذكر القراءات السبع التي ذكرها ابن مجاهد وعزاها إلى أصحابها. وابن الجزري هو أول من ضمَّ قراءات الأئمة الثلاثة إلى القراءات السبع، وجمعها في كتاب النشر الذي عدَّه العلماء الميزان في الحكم على القراءة، فكل ما ورد فيه متواتر، وغيره شاذ. أما كتاب تحبير التيسير فقد جمع فيه ابن الجزري قراءات الأئمة الثلاثة مع القراءات السبع وفق طريقة الإمام الداني. وقد رجعت أحياناً إلى غير هذه الكتب في توثيق القراءات المتواترة؛ بهدف التعريف بمصادر علم القراءات، والتأكيد على توافق العلماء في عزو القراءات المتواترة. وقد أفردت للقراءات المتواترة الواردة في متن البحث فهرساً يُيسِّر الرجوع إليها.

- بيَّنت القراءات الشاذة، وميَّزتها عن القراءات المتواترة، ووثقتها من مصادرها ككتاب المحتسَب لابن جني، واعتمدت في توثيقها على كتب التفسير أيضاً، وخاصة الكشاف للزمخشري، والبحر المحيط لأبي حيان؛ لأنَّ هذه التفاسير قد ذُكِرَ فيها من القراءات الشاذة ما لم يُذكر في غيرها. وأفردت لهذه القراءات فهرساً خاصًّاً.
- وثقّت النصوص المنقولة حرفياً من الكتب وجعلتها بين قوسين"ـــــ" ووضعت ... للدلالة على الجزء المحذوف من النص، وأكملت ما وجِدَ من النقص في العبارات الحرفية المنقولة، ووضعته بين [ ].
- عرضت – قدر الإمكان – لأقوال المفسرين في توجيه القراءات، والكشف عن وجوهها البلاغية، وشاركت – على قدر ملكتي وفهمي – في إضافةِ وجوه بلاغية، وبسطِ أقوال العلماء وبيانِ مقاصدهم، والردِّ على ما يجانب الصواب من أقوالهم، والترجيحِ بين أقوالهم المختلفة، أو التوفيق بينها إن أمكن.
- بيَّنت معاني الألفاظ الغريبة، والمصطلحات العلمية في الحاشية مع التوثيق.
- ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في متن البحث في أول موضع يرد فيه ذكر اسم العلَم، ولا أشير بعدها إلى تقدّم ترجمتهم؛ طلباً للاختصار، واكتفاءً بفهرس الأعلام المترجم لهم الوارد في آخر الرسالة. ولم أترجم لأعلام الصحابة؛ اعتماداً على شهرتهم.
- اعتمدت - غالباً - في تراجم القرَّاء على كتابي معرفة القراء الكبار للذهبي، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري، لأنهما العمدة في الترجمة لأعلام القراءة، وترجمت لأعلام علم النحو من الكتب المتخصصة بالترجمة لهم، ومنها: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، للفيروز أبادي. وترجمت للمفسرين من الكتب المتخصصة بالترجمة لهم، ومنها: طبقات المفسرين للسيوطي،

وقد أستأنس أحياناً بغيرها من كتب التراجم الأصيلة، أما الأعلام الذين لم أعثر لهم على ترجمة في كتاب، فقد ترجمت لهم مما ورد على صفحات شبكة الانترنت، وأَثبتُّ رابط التوثيق في الحاشية.

- خرَّجت الشواهد الشعرية بعزوها إلى قائليها وتوثيقها من دوواينهم، أما الشواهد التي لم أعثر على قائلها فخرَّجتها من الكتب المعتمدة في توثيق الشواهد الشعرية التي لا يُعرَف قائلُها، ككتاب سيبويه، وذكرت عند كل بيت من الشعر بحره العروضي؛ تتميماً للفائدة، وجرياً على الطريقة المتَّبعة في الرسائل العلمية.
- اعتمدت على الرموز في الحاشية للدلالة على بعض الكلمات والعبارات التي تتكرر كثيراً في البحث، ك (تح: تحقيق)، (ط: طبعة)، ...إلخ.؛ طلباً للاختصار، وقد أشرت إلى الرموز المُستَخدَمة في مطلع هذا البحث.
- أذكر المعلومات الكاملة عن اسم الكتاب، والاسم الكامل لمؤلِّفه، ورقم الطبعة، وتاريخها، والدار الناشرة، ومكان وجودها في المرّة الأولى التي يرد فيه ذكر اسم الكتاب، ثم أذكر فقط اسم الكتاب ومؤلِّفه إن قل وروده في البحث، واسم الكتاب فقط مختصَراً إن كان من مصادر البحث المعتمدة بكثرة.
- اختصرت أسماء الكتب التي كثر الرجوع إليها في أثناء البحث والدراسة على النحو الآتي: البرهان في علوم القرآن: البرهان، والإتقان في علوم القرآن: الإتقان، واللباب في علوم الكتاب: اللباب، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: الإتحاف، والنشر في القراءات العشر: النشر، والسبعة في القراءات: السبعة، والتيسير في القراءات السبع: التيسير، وتحبير التيسير في القراءات العشر: تحبير التيسير، والمبسوط في القراءات العشر: المبسوط، والعنوان في القراءات السبع: العنوان، والتذكرة في القراءات الثمان: تذكرة ابن غلبون، والمبهج في القراءات الثمان: المبهج، والإقناع في القراءات السبع: الإقناع، والغاية في القراءات العشر: الغاية، والكفاية الكبرى في القراءات العشر: الكفاية، ومعاني القرآن للفرَّاء: معاني الفَرَّاء، ومعاني القرآن للأخفش: معاني الأخفش، ومعاني القرآن وإعرابه للزجَّاج: معاني الزجَّاج، ومعاني القرآن للنحَّاس: معاني النحَّاس، وإعراب القرآن للنحاس: إعراب النحَّاس، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: إرشاد العقل، والحجة للقُرَّاء السبعة لأبي علي الفارسي: حجة الفارسي، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه: حجة ابن خالويه، وحجة القراءات لأبي زرعة: حجة أبي زرعة، وإملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء العكبري: إملاء العكبري، والكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الكفوي: كليَّات الكفوي، وهكذا.
- ميّزت بين ما تشابه من أسماء الكتب، فإذا ورد كتابٌ يبتدئ عنوانه باسم مشابه لبعض الكتب التي اختصرتُ أسماءها أذكر اسم الكتاب كاملاً، فأقول مثلاً: البرهان في أصول الفقه؛ تمييزاً لهذا الكتاب الذي ألَّفه الإمام الجويني عن كتاب الزركشي (البرهان في علوم القرآن)، وأقول أيضاً: البحر المحيط في أصول الفقه؛ تمييزاً

للكتاب الذي ألَّفه الزركشي في أصول الفقه عن تفسير أبي حيان المسمَّى (البحر المحيط)، وأقول أيضاً: اللباب في علل البناء والإعراب؛ تمييزاً لهذا الكتاب الذي ألَّفه العكبري في النحو عن كتاب اللباب في علوم الكتاب الذي ألَّفه ابن عادل في التفسير، وعندما أقول تفسير القرآن العظيم مطلقاً فالمراد تفسير ابن كثير، أما تفسير ابن أبي حاتم فأقيده باسمه، وهكذا.

- رجعت في بعض المراجع إلى طبعتين لداري نشر مختلفتين، لكن ميَّزت بين الطبعتين بالإطلاق والتقييد، فإذا قلت الإيضاح في علوم البلاغة – على الإطلاق – فالمراد طبعة دار إحياء العلوم بتحقيق الشيخ بهيج غزاوي، أما طبعة دار الجيل بتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي فأقيدها باسم الدار أو المحقق في غير المرة الأولى التي يرد فيها ذكر هذه الطبعة، وكذلك عندما أطلق اسم الكشاف فالمراد طبعة دار إحياء التراث العربي بتحقيق عبد الرزاق المهدي، أما طبعة دار الكتب العلمية بتحقيق محمد شاهين فأقيدها بأوصافها.
- إذا اتفق بعض القُرَّاء العشرة في القراءة، وكان المتفقون ممن يجمعهم وصف واحد أختصر أسماءهم بهذا الوصف، فأطلق اسم (الحَرَمِيَّان) على نافع وابن كثير، و(المدنيَّان) على نافع وأبي جعفر، و(البصريان) على أبي عمرو ويعقوب، و(الكوفيُّون) على عاصم وحمزة والكسائي وخلف. واسم (الأخوان) على حمزة والكسائي؛ لتشابه أصول قراءتيهما، واتفاقهما في كثير من فرش حروف القرآن.
- عندما أذكر معلومات تتصل بالكلام اتصالاً غير مباشر ويمكن للقارئ التوسع فيها بالرجوع إلى كتب معينة، أحيل إلى تلك الكتب معبِّرة بكلمة (راجع:)، مشيرةً إلى أرقام الأجزاء والصفحات، وعندما أنقل حرفياً أضع الكلام بين " "، وأوثقه في الحاشية مباشرة، أما إذا كان النقل غير حرفي أو بتصرف فأوثِّق في الحاشية مباشرة دون وضع كلمة انظر، أو راجع، ودون استعمال " "؛ للدلالة على أن النقل بعبارة الباحثة.
- أعتمد في تفسير معاني القراءات، والكشف عن بلاغتها على الموسوعات التفسيرية، وكتب توجيه القراءات، إلا إذا كان المعنى غامضاً أو غريباً فإني أرجع إلى كتب اللغة. وقد اعتمدت منهج المقارنة بين أقوال المفسرين وموجهي القراءات؛ لإظهار مواضع الاتفاق والاختلاف.
- ميَّزت بين الوجوه البلاغية التي تدل عليها القراءات، ودرَستُ كل وجه بلاغي في فصل مستقلّ، وقد صنَّفت القراءات باعتبار الوجه البلاغي الأوضح، فعلى سبيل المثال: هناك أفعالٌ مضارعة اختلف القراء العشرة في قراءتها بين الرفع والجزم على النهي، وهذه القراءات يمكِّن أن تُدرَس في الفصل المختصِّ بدراسة أوجه البلاغة المترتبة على التغاير الإعرابي، ويمكن أن تُدرَسَ في الفصل المختص بدراسة الأوجه البلاغية المترتبة على التبادل بين الخبر والإنشاء؛ لأن الجزم على النهي يحوّل الفعل المضارع من الحال الخبرية إلى الطلبية، وقد ذكرت هذه القراءات في مبحث الخبر والإنشاء؛ لأن بلاغة تنوُّع القراءات في هذه الأفعال يتجلى في تعدد أحوال الجملة،

والآية تكتسب بلاغتها من هذه الجهة أكثر من المخالفة الإعرابية، لأن تبادل القراءات بين الإخبار والإنشاء يهدف غالباً إلى تأسيس معنى جديد؛ ولذلك جعلت تصنيف القراءات بحسب الوجه البلاغي الغالب.

- تمّمت الرسالة بخاتمة ذكرتُ فيها أهم النتائج التي توصّل إليها البحث، وذيّلتها بالفهارس العلمية التي تخدم البحث، وتعين القارئ في الكشف عن الآيات والقراءات والأحاديث والأشعار والمصطلحات والأعلام والموضوعات الواردة في البحث، وختمتها بفهرس شامل للمصادر والمراجع والمجلات والدوريات التي رجعت إليها، وقد اخترت المذهب القائل بترادف مصطلحي (المصدر) و (المرجع)، وهو أحد مناهج البحث العلمي في تصنيف المصادر والمراجع، والأكثر اعتماداً في الرسائل والدراسات الجامعية.

منهج البحث: اتبعت في هذا البحث المناهج العلمية المتبعة في دراسة القضايا القرآنية، وهي:

- **الاستقراء**: حيث استقرأت جميع القراءات المتواترة الواردة في فرش حروف القرآن، مما لها تعلُّق بمعاني الآيات وبلاغة النظم، وأحصيتها، غير أني لم أذكر في البحث إلا نماذج من القراءات التي كان لتعددها أثر في تعدُّد معاني الآيات التي اشتملت عليها، وتنوع وجوه بلاغتها، وقد اتبعت في دراسة هذه النماذج منهج الاستقراء؛ حيث استقرأت أقوال المفسرين وموجّهي القراءات في بيان معانيها ووجوه بلاغتها.
- **التحليل**: وقد اتبعت هذا المنهج في أثناء دراسة نصوص المفسرين، حيث حلَّلت هذه النصوص وصنَّفت الأقوال والوجوه البلاغية الواردة فيها.
- **المقارنة**: حيث قارنت بين الأقوال الواردة في توجيه القراءات المذكورة، وذكرت أوجه التشابه والاختلاف، ومواضع الاتفاق والافتراق.
- **الاستنتاج والترجيح**: بعد دراسة آراء المفسرين ومواقفهم من القراءات التي وضعتها موضع الدراسة ذهبت إلى استخلاص الرأي الذي يذهب إليه جمهور المفسرين والموجهين، واختيار المعنى الذي يمكن أن يجمع بين أقوالهم ويوفق بينها إن أمكن، أو ترجيح الرأي الذي رأيت الأدلة تشهد له.

وختاماً: أحمد الله ﷻ الذي وفّقني إلى إتمام هذا البحث، فله الحمد والمِنَّة على كل نعمة أنعم بها وأولى، فلولاه ما كان مني الجهد، ولا كان هذا البحث. وإنِّي لا أُبرّئ نفسي من النقص والزلل، ولا أدَّعي أنِّي وفيت البحث حقَّه، وأديت ما يستحقّه؛ فالكمال لله وحده، ولكتابه الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [سورة فصلت/٤٢]. وإني لآمل أن ألقى من قارئي هذا البحث نصحاً يسد خلله، وتوجيهاً يبدي لي قصوره، وينبّهني على مواضع الخطأ فيه؛ فإني أقبل التراجع عن خطئي، وأرحب بكل نقدٍ يقوم اعوجاج بحثي، وأسأل الله ﷻ أن يتجاوز عني فيما نسيت أو أخطأت، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني بالعلم، ويجعلني من حملة القرآن والساعين في خدمته وتعليمه، إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين.

الباب التمهيدي: مدخل إلى القراءات، وبلاغة نظم القرآن.

الفصل الأول: التعريف بالقراءات.

الفصل الثاني: دراسة موجزة في البلاغة ونظم القرآن.

إنَّ البحث التفصيلي في أي جزئية من جزئيات العلوم يتطلب من الباحث أولاً التعريف الدقيق بمصطلحات عنوان بحثه، ومن ثَمَّ الانطلاق إلى دراسة موضوعه؛ ليتمكن المطلع والقارئ من فهم الموضوع فهماً صحيحاً؛ لذا سأشرع في هذا الباب بالتعريف بمصطلحات العنوان (أثر تعدد القراءات في بلاغة النظم القرآني)، وسأتناول ذلك من خلال فصلين: أحدهما للتعريف الشامل بالقراءات، وأنواعها، وأحكامها، وتاريخ نشأتها وتطورها، وسأخصص الفصل الثاني لدراسة البلاغة، وأقسامها، وأثرها في توجيه القراءات، ودراسة نظم القرآن، ومزاياه.

الفصل الأول: التعريف بالقراءات

المبحث الأول: تعريف القراءات، والألفاظ ذات الصلة.

المبحث الثاني: تاريخ القراءات وتوجيهها.

المبحث الثالث: أنواع القراءات وأحكامها.

يُعدُّ علم القراءات من أشرف العلوم التي تخدم القرآن الكريم، وتنبثق عنه، كما يعدُّ علماً مستقلاً توفرت له مبادئ العلوم العشرة التي يجب توفرها في كل علم ليحصل على استقلاله،[١] وهي: اسم خاص بالعلم، وتعريف، وموضوع، وقواعد وأصول خاصّة بالعلم، ومصنفات مؤلفة فيه، ومصنِّفون ومؤلِّفون، واستمداد، وغاية، ومعرفة نسبته إلى العلوم الأخرى، وثمرة، وحكم الشارع فيه.[٢]

وعلم القراءات – وإن تناولته كتب التفسير بكثرة، واعتنت به إلا أنه علم مغاير لعلم التفسير وليس جزءاً منه؛ وذلك لتغاير الموضوع والاستمداد: فموضوع التفسير هو البحث عن معاني ألفاظ القرآن الكريم، وجمله، وما يستنبط منها، أما موضوع علم القراءات فهو البحث في كيفية النطق بحروف وألفاظ القرآن الكريم.[٣] واستمداد علم القراءات من النقول الصحيحة عن علماء القراءات، وحفَّاظها المتصلة السند[٤] بالنبي ﷺ. أما استمداد علم

(١) راجع: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للعلَّامة مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي (١٠٦٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤١٣/١هـ-١٩٩٢م، ١/٦-١٠، وأبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، لصديق بن حسن القنوجي (١٣٠٧هـ)، تح: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٣٩٨/١هـ-١٩٧٨م، ١/٤٤-٤٩.

(٢) أما اسمه: فعلم القراءات، وتعريفه: علم بكيفيات أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله. وموضوعه: حروف الكلمات القرآنية وكيفية النطق باللفظ القرآني وما يترتب على ذلك، وله قواعد كلية وضعها أئمة القراءة وبيَّنوها، وتُعرَف باسم أصول القراءات، كقواعد الإمالة والتقليل، والتسهيل، والإدغام الكبير، والمد والقصر، وغيرها. ومن المؤلفات في هذا العلم: النشر، والشاطبية، وطيبة النشر، والتحبير، والتيسير، وغيرها. ومن أشهر المؤلفين: ابن مجاهد، وأبو عمرو الداني، والشاطبي، وابن الجزري، وغيرهم. وهذا العلم يستمد من النقول الصحيحة عن علماء القراءات الموصولة السند بالنبيّ ﷺ. وغايته: إقامة اللسان في النطق بالقرآن الكريم، وصيانته عن اللحن. وهو أشرف العلوم على الإطلاق؛ لشدّة اتصاله بالقرآن الكريم، ولشرف متعلقه. وموضوعه: وهو النطق بالحروف القرآنية. ونسبته من العلوم الأخرى: التغاير. وحكم الشارع في وجوب تعلُّمه وتعليمه: الوجوب الكفائي. انظر: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، للإمام محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري (٨٣٣هـ)، تح: عبد الحليم بن محمد الهادي قابة، دار البلاغ، الجزائر، ط١٤٢٤/١هـ-٢٠٠٣م، ص ٣٧. والتذكرة في القراءات الثلاث المتواترة وتوجيهها من طريق الدرّة، د.محمد سالم محيسن، مطبعة مختار، د.ط/١٩٧٨م، ١/٩، والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، للشيخ عبد الفتاح القاضي (١٤٠٣هـ)، تح: الشيخ صبري رجب كَرَيِّم، دار السلام، القاهرة، ط١٤٢٩/١هـ-٢٠٠٨م، ١/١١.

(٣) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، للشيخ الطاهر ابن عاشور (١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١٤٢٠/١هـ-٢٠٠٠م، ١/١٠-١١.

(٤) السند: هو الطريق الموصل للمتن (الكلام المراد إيصاله)، وبعبارة أخرى هو: سلسلة الرواة الذين نقلوا المتن واحداً عن الآخر، حتى يبلغوا به إلى قائله. انظر: التوضيح الأبهر لتذكرة ابن الملقن في علم الأثر، للإمام محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان السخاوي (٩٠٢هـ)، تح: عبد الله بن محمد عبد الرحيم البخاري، مكتبة أصول السلف، الرياض، ط١٤١٨/١هـ-١٩٩٨م، ص ٣٠، واليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر، للعلَّامة عبد الرؤوف المناوي (١٠٣١هـ)، تح: المرتضي الزين أحمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١٤١٩/١هـ-١٩٩٩م، ١/٢٣٤، ومنهج النقد في علوم الحديث، أ.د. نور الدين عتر، دار الفكر، =

التفسير فمن علوم اللغة العربية، واستعمالات العرب، وأخبارهم، والآثار، والنقل، وأصول الفقه،[1] والقراءات. أي: إنَّ علم القراءات هو أحد العلوم التي يُستمَد منها علم التفسير، والتي يستعين بها المفسِّر للكشف عن مراد الله ﷻ.[2]

وفي هذا الفصل تعريف بعلم القراءات، وتاريخه، ومدارسه، وأنواعه، وأحكامها، ومنزلة القراءات من التفسير، والشروط الواجب توفرها لقبول القراءة، وقبول التفسير بها.

دمشق، ط٣/١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص ٣٤٤.

(١) علم أصول الفقه: هو معرفة دلائل الفقه إجمالاً، وكيفية الاستفادة منها، وحال المستفيد. انظر: الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، للعلَّامة علي بن عبد الكافي السبكي (٧٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ١/١٩، ونهاية السول شرح منهاج الوصول، للعلَّامة جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي (٧٧٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص ٧.

(٢) التحرير والتنوير، ١/١٦-٢٥.

المبحث الأول: تعريف القراءات، والألفاظ ذات الصلة.

المطلب الأول: تعريف القراءات.

المطلب الثاني: القرآن والقراءات.

المطلب الثالث: الأحرف السبعة والقراءات.

يبحث علم القراءات في كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريقة أدائها، وأوجه اختلاف الألفاظ القرآنية، وهو من هذه الجهة شديد الصلة بالقرآن الكريم؛ لأنه يعنى بدراسة نطق ألفاظه، كما يتصل اتصالاً قوياً بالأحرف السبعة؛ لأنه يشتمل على أوجه اختلافها.

وفي هذا المبحث تعريف بعلم القراءات وبيان صلته بالقرآن الكريم، والأحرف السبعة، مع إيضاح العلاقة بينه وبين كل واحد منهما.

المطلب الأول: تعريف القراءات:

أولاً: القراءات لغةً: جمع قراءة، والقراءة مصدر سماعي للفعل (قرأ) الذي يدل على معنى الجمع والضم، ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة جنيناً قط، أي: لم يُضم رحمها على ولد ولم تجمع جنيناً، وقرأت القرآن، أي: لفظت به مجموعاً، وسمي القرآن قرآناً؛ لأنه يجمع السور والآيات، ويجمع المواعظ، والقصص، والأحكام، ويَضمُّ بعضها إلى بعض باتساق وانسجام ضمن كل سورة من سور القرآن الكريم.[(١)]

واختار بعض علماء اللغة والاشتقاق[(٢)] أن الفعل المشتق من الجمع إنما هو الفعل المعتل، من قرى يقرِي كـ(قضى يقضِي)، وهو غير الفعل المهموز (قرأ يقرَأ) كـ(نحر ينحَر). يقال: قريت الماء في الحوض أقريه، أي: جمعته، ومنه سميت القرية، ومنه قرية النمل، للبيت الذي تجتمع فيه؛ لأنه يقريها، أي: يضمها ويجمعها.[(٣)] وأما الفعل المهموز فإنه من الظهور والخروج، ومنه القراءة.[(٤)] قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [سورة القيامة/١٧]، حيث فرّق الله ﷻ في هذه الآية بين الجمع والقرآن، ولو كانا واحداً لكان تكريراً محضاً. وهؤلاء اختاروا أن (القرآن)

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)، دار القلم، دمشق، د.ط.، د.ت.، ٢٣٨/٢، ولسان العرب، للعلّامة محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط١/د.ت، ١٢٨/١–١٢٩، ومختار الصحاح، للعلّامة محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (٧٢١هـ)، تح: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ط١٤١٥/١هـ–١٩٩٥م، ص ٥٦٠.

(٢) المحيط في اللغة، لأبي القاسم الصاحب إسماعيل بن عباد (٣٨٥هـ)، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط١٤١٤/١هـ–١٩٩٤م، ٧/٦–٨، والمحكم والمحيط الأعظم، للعلّامة أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (٤٥٨هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤٢٠/١هـ–٢٠٠٠م، ٤٩٧/٦–٤٩٨، وزاد المعاد في هدي خير العباد، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (٧٥١هـ)، تح: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط١٤٠٧/١٤هـ–١٩٨٦م، ٦٣٥/٥، والقاموس المحيط، للعلّامة محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط.، د.ت.، ص ١٧٠٦.

(٣) المحيط في اللغة، ٧/٦–٨.

(٤) المحيط في اللغة، ٩/٦–١٠.

مشتق من الظهور، لا من الجمع. وذهبوا إلى أن قولهم: ما قرأت هذه الناقة سلىً قط، وما قرأت جنيناً من هذا الباب، أي: ما ولدته وأخرجته وأظهرته. ومنه قولهم: قرأت المرأة حيضة أو حيضتين؛ لأن الحيض ظهور ما كان كامناً.(١)

وبعضهم جعل المعتل والمهموز بمعنى واحد، وذهب إلى أن كل منهما يحمل معنى الجمع والضم.(٢)

وقد اكتفى بعض العلماء المتأخرين ببيان أن المعنى اللغوي للقراءات يرجع إلى الفعل قرأ بمعنى تلا،(٣) دون الدخول في تفصيلات المعنى اللغوي للفعل قرأ. (٤)

وأرى أن التفصيل في بيان المعنى اللغوي للفعل قرأ – الذي اشتقت منه كلمة القراءات – هو الأنسب في هذا المقام؛ لأن الفارق اللغوي بين القراءة والتلاوة له أهميته في هذا الباب؛ فالتلاوة لا تكون إلا لكلمتين فأكثر، أما القراءة فتكون للكلمة الواحدة،(٥) وذلك لأن أصل المعنى اللغوي للتلاوة هو: إتباع الشيء للشيء، يقال: تلاه إذا تبعه،(٦) فالتلاوة تكون في الكلمات التي يتبع بعضها بعضاً، ولا تكون في الكلمة الواحدة؛ لخلوها من معنى التتابع. ولهذا يقال: قرأ فلان اسمه، ولا يقال: تلا اسمه. فالتلاوة "أخص من القراءة، فكل تلاوة قراءة، وليس كل قراءة تلاوة."(٧)

وأرى أن معنى القراءات لغةً يرجع إلى معنى الجمع والضم، وأختاره دون معنى التلاوة؛ لأن الكلمة الواحدة المختلف في كيفية أدائها تسمى قراءة، ولا يُشترَط تعدد الكلمات وتتابعها لإطلاق اسم القراءة عليها.

---

(١) زاد المعاد، ٥٤٦/٥.

(٢) تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (٣٧٠هـ)، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١/١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ٢٠٦/٩-٢١٣.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، للعلّامة أبي الفيض محمد بن محمّد بن عبد الرزّاق مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي (١٢٠٥هـ)، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ط.، د.ت.، ٣٦٤/١.

(٤) المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، د.محمد سالم محيسن، دار الجيل، بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة، ط٢/١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ٤٥/١، ونظرات في شروط القراءات وحجيتها لغةً وشرعاً، د.محسن هاشم درويش، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية، مجلد٥، ع١، ص ٢٤٨.

(٥) معجم الفروق اللغوية، لأبي الهلال العسكري (٣٩٥هـ)، تح: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الاسلامي، ط١/١٤١٢هـ-٢٠٠٠م، ص ١٤٠.

(٦) لسان العرب، ١٠٢/١٤.

(٧) مفردات ألفاظ القرآن، ١٤٧/١، وانظر: تاج العروس، ٣٦٤/١.

ثانياً: معنى القراءات اصطلاحاً: تأخر وضع تعريف لهذا العلم بالرغم من تقدُّم ظهوره، فقد عرَّفه العلَّامة المفسِّر أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)[١] بقوله: «كيفية النطق بألفاظ القرآن.» [٢]

ثم عرَّفه العلَّامة الزركشي (٧٩٤هـ)[٣] بقوله: «اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كِتبة الحروف، أو كيفيتها من تخفيف، وتثقيل، وغيرهما.»[٤]

وفي القرن التاسع ظهر أشهر تعريف لعلم القراءات على يد العلَّامة ابن الجزري (٨٣٣هـ)،[٥] الذي عرّف

---

(١) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني، أثير الدين، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية، والتفسير، والحديث، والتراجم، واللغات. ولد في غرناطة، عام ٦٥٤هـ، وأقام بالقاهرة. وتوفى فيها عام ٧٤٥هـ. من أشهر مصنفاته: (البحر المحيط) في تفسير القرآن، طبقات نحاة الأندلس، (تحفة الأريب) في غريب القرآن، (منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك)، (عقد اللآلئ) في القراءات، و(الحلل الحالية في أسانيد القرآن العالية). انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، د.ط.، د.ت.، ٢٨١/١-٢٨٣، وطبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنة وي، تح: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط١/١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ص ٢٧٨-٢٨٠.

(٢) البحر المحيط، للعلَّامة محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ١٢١/١.

(٣) هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين، عالم بفقه الشافعية والأصول والحديث. ولد في مصر عام ٧٤٥هـ، ٧٤٥هـ، وتوفي فيها عام ٧٩٤هـ رحمه الله تعالى. رحل إلى دمشق لطلب العلم، وأخذ فيها علوم الحديث عن ابن كثير، كما رحل إلى حلب وتتلمذ على الأذرعي. من مؤلفاته: البحر المحيط في أصول الفقه، البرهان في علوم القرآن، والتنقيح لألفاظ الجامع الصحيح. انظر: طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة (٨٥١هـ)، تح: د.الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط١/١٤٠٧هـ، ١٦٧/٣، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (٨٥٢هـ)، تح: محمد عبد المعيد ضان، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد/الهند، ط٢/١٣٩٢هـ-١٩٧٢م، ١٣٣/٥-١٣٥، ومعجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.، ١٢٢/٩.

(٤) البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، القاهرة، ط٣/١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ٣١٨/١.

(٥) هو محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، أبو الخير، شمس الدين الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي، الشهير بابن الجزري، ولد في في دمشق عام ٧٥١هـ، ونشأ فيها، وابتنى فيها مدرسة سماها (دار القرآن)، وكان شيخ الإقراء في زمانه. من كتبه: النشر في القراءات العشر، وغاية النهاية في طبقات القراء، وفضائل القرآن، ومنجد المقرئين، والتتمة في القراءات، وتحبير التيسير في القراءات العشر، وطيبة النشر في القراءات العشر، والمقدمة الجزرية. توفي في شيراز عام ٨٣٣هـ رحمه الله تعالى. انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للعلَّامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٩٠٢هـ)، مكتبة الحياة، بيروت، د.ط.، د.ت.، ٢٥٥/٩-٢٦٠، =

علم القراءات بقوله: «علم بكيفيات أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله.»[1]

وفي العصر الحديث اختار الشيخ عبد العظيم الزرقاني[2] في مناهل العرفان التعريف الآتي لهذا العلم: «مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء، مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواءً أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف، أم في نطق هيئاتها.»[3]

وأرى أن تعريف المحقق ابن الجزري أرجح التعاريف؛ للأسباب الآتية:

١- أن كلاً من التعريفين الأول والثاني يدخلهما النقص؛ فهما لم يشيرا إلى عنصر الإسناد الذي هو عماد هذا العلم، وركنه الأول، كما أن تعريف أبي حيان أقرب أن يكون تعريفاً لعلم التجويد منه إلى علم القراءات.

٢- أن تعريف ابن الجزري هو تعريف مختصر جامع، أما تعريف الشيخ الزرقاني فيميل إلى الطول، والتعريفات يطلب فيها الدلالة على ماهية الشيء، وتبيينه بأكثر العبارات إيجازاً [4].

٣- أن تعريف ابن الجزري أجمع، فقد اشتمل على عنصر الإسناد، في حين أشار الشيخ الزرقاني إلى اختلاف القراء، ولم يشر إلى ضرورة ذكر القارئ للسند الذي أدى إليه قراءته.

٤- أن كلمة أداء التي ذكرها ابن الجزري تغني عما ذكره الزركشي من الاختلاف في بعض الوجوه كـ«التخفيف، والتثقيل، وغيرهما» وما ذكره الشيخ الزرقاني من الاختلاف في النطق والهيئة؛ لأن كلمة أداء تشتمل الأمرين معاً.

وطبقات الحفاظ، للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٠٣هـ-١٩٨٢م، ص ٥٤٩.

(١) منجد المقرئين، ص ١٧.

(٢) هو محمد عبد العظيم الزرقاني، من علماء الأزهر بمصر، تخرج في كلية أصول الدين، وعمل بها مدرساً لعلوم القرآن والحديث، وتوفي بالقاهرة عام ١٩٤٨م رحمه الله تعالى. من كتبه (مناهل العرفان في علوم القرآن). انظر: الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط٥/١٩٨٠م، ٦/٢١٠.

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ عبد العظيم الزرقاني (١٣٦٧هـ)، تح: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ط١/١٩٩٦م، ١/٢٨٤.

(٤) الإمام محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير و التنوير، للطالب محمد سعد بن عبد الله القرني، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، إشراف: د.محمد ولد سيدي ولد حبيب، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، ص ٣٦.

٥- أن عبارة: «مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء، مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن» في تعريف الشيخ الزرقاني توهم أن القراءات المختلفة هي من اختيار القراء، وخاصةً أن الشيخ الزرقاني لم يشر في تعريفه إلى اشتراط السند، وضرورة عزو القراءة لناقلها.

٦- أن تعريف ابن الجزري هو الذي شاع وانتشر بين طلبة هذا العلم في العصور المتأخرة، والتعاريف التي ظهرت لاحقاً على يد بعض علماء هذا الفن كانت محاولة منهم لفهم تعريف ابن الجزري، وإعادة صياغة له.(١)

ويلا حظ مما سبق أن هناك ارتباطاً بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي؛ لأن علم القراءات يعنى بالجمع؛ فهو علم بكيفية النطق بحروف القرآن بضم بعضها إلى بعض مجموعةً ضمن الكلمات القرآنية، كما يهتم بجمع الطرق والروايات المختلفة التي تُقرأ بها الكلمات القرآنية، وبهذا النطق يتم معرفة كيفية إظهار الحرف والكلمة القرآنية، كما يتم من خلال هذا العلم ظهور الوجوه القرآنية المنقولة، والتعريف بها وبمزاياها، وما يحيط بها من علوم.

---

(١) كتعريف الشيخ عبد الفتاح القاضي لعلم القراءات بقوله: «علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقًا واختلافًا مع عزو كل وجه لناقله.» انظر: البدور الزاهرة، ١١/١. وهو التعريف الذي اعتمده الدكتور محمد سالم محيسن، انظر: النجوم الزاهرة في القراءات العشر المتواترة وتوجيهها من طريقي الشاطبية والدرة، د.محمد سالم محيسن (١٤٢٢هـ)، دار محيسن، القاهرة، د.ط.، د.ت.، ٦/١.

المطلب الثاني: القرآن والقراءات:

أولاً: تعريف القرآن: القرآن لغة مصدر للفعل (قرأ) بمعنى: جمع وضمّ، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۞ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [سورة القيامة/١٧-١٨] أي: قراءته. والقرآن مصدرٌ على وزن فُعلان كشُكْرَان وغُفْرَان، وسمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر، والقراءة: ضم الحروف بعضها إلى بعض في الترتيل. وقد أُطلِق اسمُ القرآن على الكلام المنزل على النبي ﷺ حتى صار كالعَلَم الشخصي عليه. ولفظ القرآن يطلق على جميع الكلام المكتوب في المصاحف وعلى آية منه، فإذا سمعنا شخصاً يقرأ آية من كتاب الله ﷻ صح أن يقال عنه إنه يقرأ القرآن. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة الأعراف/٢٠٤][(١)]

وقد تعددت عبارات العلماء التي تناولت **تعريف القرآن في الاصطلاح**، وهذه العبارات تتفاوت من ناحية الشمول، فبعضها أشمل من بعض، ومما وقفت عليه من تعريفات القرآن:

١- "القرآن كلام الله، منه بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدَّقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية."[(٢)]

٢- "القرآن اسم للكلام الموحى به إلى النبي ﷺ، وهو جملة المكتوب في المصاحف، المشتمل على مائة وأربع عشرة سورة، أولاها الفاتحة وأخراها سورة الناس."[(٣)]

٣- "القرآن: هو الكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر،[(٤)] المتعبد بتلاوته."[(٥)]

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، ٢/٢٣٨، ولسان العرب، ١/١٢٨-١٢٩، ومختار الصحاح، ص ٥٦٠. وانظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١١/١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص ١٤-١٥.

(٢) العقيدة الطحاوية، للإمام أبي جعفر الطحاوي (٣٢١هـ)، تح: مجدي أبو عريش، دار البيارق، بيروت، عمان، ط١/١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص ١٦.

(٣) التحرير والتنوير، ١/٧٠.

(٤) المنقول عنه بالتواتر: هو ما نقله جماعة كثيرون تحيل العادة تواطؤهم على الكذب عن جماعة مثلها من أوله إلى منتهاه. انظر: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تح: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير، الرياض، ط١/١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، ص ٣٧-٤٠، ومقدمة في أصول الحديث، للعلاَّمة عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي (١٠٥٢هـ)، تح: سلمان الحسيني الندوي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢/١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص ٧٥.

(٥) مناهل العرفان، ١/١٥، ومباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢٤/٢٠٠٠م، ص٢١.

٤- "كلام الله المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته."(١)

٥- "القرآن هو كلام الله المنزل على النبي ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المعجز، ولو بسورة منه."(٢)

وأختار من هذه التعريفات التعريف الأخير؛ لأنه تعريف جامع مشتمل على خصائص القرآن، وسماته العظمى، دالٌّ على جميع أجزاء المعرَّف وقيوده التي تميِّزه عما عداه، وهو مشتمل على ما ذُكِرَ في التحرير والتنوير من عدد السور، ومبدأ القرآن وآخره؛ لأن عبارة (المكتوب في المصاحف) تغني عن التفصيل المذكور، ومشتمل على ما ذكره الشيخ الزرقاني من القيود، إلا أنه أوضح من جهة بيانه للقدر المعجز من القرآن.

ثانياً: علاقة القرآن بالقراءات:

اختلف العلماء في العلاقة بين القراءات والقرآن على ثلاثة أقوال: فذهب بعضهم إلى أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، وذهب آخرون إلى أنهما حقيقتان متحدتان، وقال آخرون: إن العلاقة بين القرآن والقراءات هي علاقة الجزء بالكل. وهذا المطلب سيعزو الأقوال الثلاثة إلى أصحابها، ويذكر أدلتهم، ويبيِّن الرأي الراجح.

القول الأول: القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان: ذهب الإمام الزركشي في البرهان إلى أن "القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآنُ هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كِتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما."(٣)

وقد تابع الزركشي في هذا القول عدد من العلماء منهم: السيوطي(٤) في كتابه الإتقان(١)

---

(١) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ١٧.

(٢) التفسير وعلوم القرآن، أ.د.نور الدين عتر، منشورات جامعة دمشق، د.ط./١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص ٢١٩.

(٣) البرهان، ٣١٨/١.

(٤) هو عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري الأسيوطي، المعروف بجلال الدين السيوطي، ولد عام ٨٤٩هـ، وهو مفسِّر حافظ فقيه مؤرخ إمام في كثير من العلوم، له نحو ٦٠٠ مصنف ما بين كتاب ورسالة، منها: الإتقان في علوم القرآن، والدر المنثور في التفسير المأثور، ولباب النقول في أسباب النزول، والأشباه والنظائر في فروع الشافعية، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، وتدريب الراوي شرح تقريب النواوي، وتفسير الجلالين، وطبقات المفسرين. توفي عام ٩١١هـ رحمه الله تعالى. انظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبرهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١/١٣٦٨هـ-١٩٦٧م، ٣٣٥/١-٣٤٣، والنور السافر عن أخبار القرن العاشر، للشيخ عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروسي (١٠٣٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ٥١/١-٥٤.

والدمياطي البناء[٢] في كتابه إتحاف فضلاء البشر.[٣]

وحجة أصحاب هذا القول هي: أن القرآن الكريم هو اللفظ المعجز المكتوب في المصاحف المتعبد بتلاوته، أما القراءات فهي الاختلاف في نطق بعض ألفاظ القرآن، وهذا يشمل الاختلاف في بعض الحروف، والاختلاف في نطق هيئات حروف أخرى، كما يشمل القراءات المتواترة والشاذة، ومعلوم أنَّ القراءات الشاذة يطلق عليها اسم القراءات، لكن لا يطلق عليها اسم القرآن؛ ولهذا كان القرآن والقراءات حقيقتين متغايرتين.

القول الثاني: القرآن والقراءات حقيقتان متحدتان: ذهب إلى هذا الرأي الدكتور محمد سالم محيسن[٤] حيث قال: "وأرى أن كلاً من القرآن والقراءات حقيقتان بمعنى واحد، يتضح ذلك بجلاء من تعريف كل منهما، ومن الأحاديث الصحيحة الواردة في نزول القراءات."[٥]

وحجة الدكتور محيسن فيما ذهب إليه هي: أن كلاً من لفظي القرآن والقراءات لغةً مشتقٌ من الفعل قرأ، وأن القرآن مصدر مرادف للقراءة،[٦] واستدل بالأحاديث الصحيحة الواردة في الأحرف السبعة[٧] منها: الحديث

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط./١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، ٢٧٣/١.

(٢) هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي، الشهير بالبناء: ولد بدمياط ونشأ فيها، وأخذ علم القراءات عن علماء القاهرة والحجاز واليمن، وقرأ على مشايخ عصره، وتفقه في القاهرة على الشيخ سلطان المزاحي والنور الشبراملسي، وأخذ الحديث في الحجاز عن البرهان الكوراني، ألَّف كتاب إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، واختصر السيرة الحلبية، وألَّف كتاباً في أشراط الساعة. توفي في المدينة في أثناء حجه عام ١١١٧هـ ودفن في البقيع رحمه الله تعالى. انظر: معجم المطبوعات العربية، يوسف اليان سركيس، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، د.ط.، د.ت.، ٨٨٥/١، والأعلام، ٢٤٠/١.

(٣) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للعلَّامة شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي (١١١٧هـ)، تح: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤١٩/١هـ-١٩٩٨م، ص ٤.

(٤) هو محمد بن محمد بن محمد سالم محيسن، ولد بقرية الروضة في محافظة الشرقية في مصر عام ١٩٢٩م، ودرس في الأزهر العلوم الشرعية والعربية، وتخصص في علم القراءات، وحصل على الدكتوراه في العلوم العربية. عُيِّن مدرساً في الأزهر عام ١٩٥٢م فدرَّس فيه علوم القرآن والقراءات واللغة العربية وبلاغتها، وعيِّن عضواً بلجنة تصحيح المصاحف في الأزهر عام ١٩٥٦هـ، له أكثر من تسعين مؤلَّفاً، منها: الإرشادات الجليّة في القراءات السبع من طريق الشاطبية، والتذكرة في القراءات الثلاث وتوجيهاتها من طريق الدرة، والقراءات وأثرها في علوم العربية، والمستنير في تخريج القراءات. توفي عام ١٤٢٢هـ رحمه الله. انظر: ترجمته في ملحق كتابه: تاريخ القرآن الكريم، د.محمد سالم محيسن (١٤٢٢هـ)، دار محيسن، القاهرة، ط١٤٢٣/١هـ-٢٠٠٢م، ص ٢-٧.

(٥) في رحاب القرآن الكريم، د.محمد سالم محيسن (١٤٢٢هـ)، دار الجيل، بيروت، د.ط.، ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م، ٢٠٨/١، والمغني في توجيه القراءات العشر، د.محيسن، ٤٨/١.

(٦) في رحاب القرآن الكريم، د.محيسن، ١٦/١، ٢٠٧/١.

(٧) المرجع السابق، ٢٠٩/١.

الذي أخرجه مسلم[1] عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ - قَالَ - فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ. فَقَالَ: «أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ». ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَقَالَ: «أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ». ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلاَثَةِ أَحْرُفٍ. فَقَالَ: «أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ». ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَءُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا."[2] حيث يرى أن هذا الحديث يدل على أن جميع الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم هي القرآن، وهذا يقودنا للبحث في معنى الأحرف السبعة والفرق بينها وبين القراءات، وهو ما سأتناوله في المطلب الآتي.

القول الثالث: العلاقة بين القرآن والقراءات هي علاقة الجزء بالكل: وإلى هذا الرأي ذهب د.شعبان إسماعيل في كتابه القراءات: أحكامها ومصدرها، وهو ما ذهب إليه مؤلف كتاب إتقان البرهان في علوم القرآن، وهذا القول هو محاولة منهما للتوفيق بين رأيي الزركشي ود.محيسن.[3]

وحجة د.شعبان إسماعيل هي: أن القراءات لا تكون في جميع ألفاظه، بل في جزء منها، وأن القراءات المنقولة بخبر الآحاد لا يطلق عليها اسم القرآن؛ لشذوذها وعدم تواتر ورودها.[4]

---

(١) هو الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، من كبار الأئمة المحدثين. ولد بنيسابور عام ٢٠٤هـ، ورحل إلى الحجاز، ومصر، والشام، والعراق في طلب العلم، وسمع يحيى بن يحيى، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي، وعبد الله بن مسلمة القعنبي، ومالك بن إسماعيل النهدي، وأحمد بن حنبل، وغيرهم، وحدَّث عنه أبو عيسى الترمذي، وعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، وأبو عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفرايني، وغيرهم. من أشهر كتبه (صحيح مسلم) جمع فيه اثني عشر ألف حديث، كتبها في خمس عشرة سنة، وهو أحد الصحيحين المعول عليهما في الحديث، وله شروح كثيرة. توفي في رجب في نيسابور عام ٢٦١هـ رحمه الله تعالى. انظر: تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.، د.ت.، ١٣/١٠٠-١٠٣، والتقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، لأبي بكر محمد بن عبد الغني البغدادي (٦٢٩هـ)، تح: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٠٨هـ، ص ٤٤٦-٤٤٩.

(٢) صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط.، د.ت.، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، رقم/١٩٤٣، ٢/٢٠٣.

(٣) القراءات: أحكامها ومصدرها، د.شعبان محمد إسماعيل، دار السلام، القاهرة، د.ط/١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص ٢٢.

(٤) إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، ط١/١٩٩٧م، ص ١٤٠-١٤١، والقراءات: أحكامها ومصدرها، د.شعبان إسماعيل، ص ٢٢.

ثالثاً: مناقشة الآراء، وبيان الراجح منها.

توسع الإمام الزركشي كثيراً عندما قال إن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، وفعل د.محيسن العكس فضيق واسعاً — ولعله فعل ذلك لئلا يقع فيما وقع فيه الزركشي – ولعله يقصد بالاتحاد: اتحاد القرآن والقراءات المتواترة، لذا جاء د.شعبان ليوفق بين القولين ويخرج منهما بقول وسط فقال: إن بين القراءات والقرآن علاقة تداخل، وأن العلاقة بينهما هي علاقة الجزء بالكل.

وأرى أنَّ الرأي الثالث هو أرجح الآراء: فالقرآن ومطلق القراءات حقيقتان متغايرتان؛ لأن القراءات الشاذة ليست قرآناً، ولا يمكن إطلاق هذا الاسم عليها، أما القراءات المتواترة الصحيحة فكلها قرآن، ولعل هذا هو ما عناه الزركشي بالتغاير، وما عناه د.محيسن بالاتحاد.(١)

وسبب ترجيحي لهذا الرأي هو: أن تعريف القراءات على إطلاقه يشمل القراءات التي تواتر ورودها وصح سندها، وتوفرت لها أركان قبولها، والقراءات التي شذ فيها شرط من شروط القبول، فالأولى يطلق عليها اسم القرآن وتصح الصلاة بأي منها، أما القراءات الشاذة فلا يطلق عليها اسم القرآن ولا تصح الصلاة بها، – كما سيأتي لاحقاً — فالقرآن ليس هو رواية حفص(٢) عن عاصم(٣) التي اشتهرت في معظم الأقطار، وليس هو رواية ورش(١)

---

(١) وبذلك أوافق صبري الأشوح فيما ذهب إليه من موافقة الزركشي وأخالفه في رفضه لموقف د.محيسن وشعبان. حيث رجَّح أن القرآن ومطلق القراءات، والقرآن والقراءات السبع المتواترة، والقرآن والقراءات العشر حقيقتان متغايرتان. انظر: إعجاز القراءات القرآنية (دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القراء)، صبري الأشوح، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١٤١٩/١هـ–١٩٩٨م، ص ١٠٥. وقد انبنى رأيه على اعتقاد تبناه وأيده وتابع فيه د.شاهين وهو أن النبي ﷺ لم يقرأ بجميع القراءات بل قرأ ببعضها وأقر الصحابة على البعض الآخر؛ ترخيصاً واستجابة لمتطلبات الواقع وتعدد اللهجات ورغبة بعض الناس– ومنهم بعض الصحابة – بالاستمتاع بالرخصة. انظر: إعجاز القراءات، صبري الأشوح، ص ٢١–٢٣. وانظر: تاريخ القرآن، د.عبد الصبور شاهين، دار القلم، بيروت، د.ط./١٩٦٦م، ص ٤٠–٤٣.

(٢) هو أبو عمر حفص بن سليمان بن المغيرة بن أبي داود الأسدي الكوفي الغاضري البزاز، أخذ القراءة عرضاً وتلقيناً عن عاصم، وكان ربيبه ابن زوجته، ولد عام ٩٠هـ، أقرأ في مكة وبغداد، وانتشرت روايته في معظم الأمصار، توفي سنة ١٨٠هـ رحمه الله تعالى. انظر: معرفة القُرَّاء الكبار على الطبقات والأعصار، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (٧٤٨هـ)، تح: بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٤٠٤/١هـ، ١/ص١٤١–١٤١، وغاية النهاية في طبقات القراء، للإمام محمد بن محمد ابن الجزري (٨٣٣هـ)، نشر براجستر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤٠٢/٣هـ، ٢٥٤/١.

(٣) هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود الأسدي الكوفي القارئ الإمام، (اسم أبيه بهدلة) أحد القُرَّاء السبعة. قرأ القرآن على أبي عبد الرحمن السلمي، وزر بن حبيش الأسدي، انتهت إليه الإمامة في القراءة بالكوفة بعد شيخه أبي عبد الرحمن السلمي. قرأ عليه: الأعمش، والمفضل بن محمد الضبي، وحماد بن شعيب، وأبو بكر بن عياش، وحفص بن سليمان، وآخرون. روى عنه عطاء بن أبي رباح، وأبو صالح السمان، وهما من شيوخه ومن كبار التابعين. توفي عام ١٢٨هـ رحمه الله تعالى. انظر: معرفة القُرَّاء الكبار، ٨٨/١–
=

عن نافع[٢] التي اشتهرت في تونس،[٣] وليس هو قراءة أبي عمرو البصري[٤] التي اشتهرت في السودان فحسب، بل إن جميع الروايات الواردة عن القُرَّاء العشر التي توفرت فيها شروط القبول هي جميعها القرآن الكريم المتعبد بتلاوته.[٥]

٩٤، وغاية النهاية، ١/٣٤٧-٣٤٨.

(١) هو عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو بن سليمان، أبو سعيد المصري المقرئ، وقيل: أبو عمرو، ولد عام ١١٠هـ، قرأ القرآن وجَوَّده على نافع عدة ختمات، ونافع هو الذي لقبه بورش لشدة بياضه، وكان يعجبه، ويقول: أستاذي نافع سماني به. انتهت إليه رئاسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه، توفي بمصر عام ١٩٧هـ رحمه الله. انظر: معرفة القُرَّاء الكبار، ١/١٥٢-١٥٥.

(٢) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي، أبو رويم المقرئ المدني، قرأ على الأعرج، وأبي جعفر القارئ، وشيبة بن نصاح، ومسلم بن جندب، ويزيد بن رومان، وصالح بن خوات، وسمع الأعرج، ونافعاً مولى ابن عمر ﷺ، وعامراً بن عبد الله بن الزبير، وأبا الزناد، وعبد الرحمن بن القاسم. وقرأ عليه: عيسى بن وردان الحذاء، وسليمان بن مسلم بن جماز، وقالون، وورش. توفي عام ١٦٩هـ رحمه الله تعالى. انظر: معرفة القُرَّاء الكبار، ج١/ص١٠٧-١١١، وغاية النهاية، ٢/٣٣٣-٣٣٤.

(٣) التحرير والتنوير، ١/٦٢.

(٤) هو أبو عمرو بن العلاء المازني، النحوي البصري، مقرئ أهل البصرة. اسمه: زبَّان على الأصح. عرض بمكة على مجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء، وعكرمة بن خالد، وابن كثير. انتهت إليه الإمامة في القراءة بالبصرة. قرأ عليه يحيى بن المبارك اليزيدي، وعبد الوارث التنوري، وعبدالله بن المبارك، وغيرهم. توفي عام ١٥٤هـ رحمه الله تعالى. انظر: معرفة القُرَّاء الكبار، ١/١٠٠-١٠٥، وغاية النهاية، ١/٢٨٨.

(٥) القراءات: أحكامها ومصدرها، د.شعبان إسماعيل، ص ٢٢. وإتقان البرهان، فضل عباس، ص ١٤٠-١٤١.

المطلب الثالث: الأحرف السبعة والقراءات.[1]

كانت الغاية الأولى من إنزال القرآن الكريم على سبعة أحرف التيسيرَ على الأمة الإسلامية التي ضمَّت الشيخ الفاني والمرأة العجوز والرجل الذي لم يقرأ في عمره حرفاً؛ لذلك سأل النبي ﷺ الله ﷻ التخفيف عن هذه الأمة، وتيسير قراءة القرآن الكريم عليها، فأنزل الله ﷻ القرآن على سبعة أحرف.

جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي بن كعب ﷺ: «أنَّ النبيَّ ﷺ كان عند أضاةِ بني غِفَارٍ، قال: فأتاه جبريل ﷺ فقال: إنَّ اللهَ يأمرك أن تَقرَأَ أمتُك القرآنَ على حرفٍ، فقال: أسأل اللهَ معافاته ومغفرته، وإنَّ أمتي لا تطيق ذلك. ثم أتاه الثانية فقال: إن اللهَ يأمرك أن تَقرَأَ أمتك القرآن على حرفين، فقال: أسأل اللهَ معافاته ومغفرته، وإنَّ أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الثالثة فقال: إنَّ الله يأمُرك أن تَقرَأَ أمتُك القرآنَ على ثلاثةِ أحرفٍ، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الرابعة فقال: إنَّ الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعةِ أحرفٍ، فأيُّما حرفٍ قرؤوا عليه فقد أصابوا.»[2]

وفي سنن الترمذي[3] عن أبي بن كعب ﷺ قال: «لقيَ رسولُ الله ﷺ جبريلَ ﷺ، فقال: يا جبريلُ، إني بُعِثْتُ إلى أمةٍ أميِّينَ منهم العجوزُ، والشيخُ الكبيرُ، والغُلامُ، والجاريةُ، والرَّجلُ الذي لم يَقرَأ كتاباً قطُّ، قال: يا محمدُ، إنَّ القرآنَ أُنزِلَ على سبعةِ أحرفٍ.»[4]

---

(١) هذه الدراسة لن تدخل في تفاصيل موضوع الأحرف السبعة، وإحكامها أو نسخها؛ فإن لذلك مواضعه من كتب علوم القرآن. راجع: الأحرف السبعة للقرآن، للإمام أبي عمرو الداني (٤٤٤هـ)، تح: د.عبد المهيمن الطحان، دار المنارة، جدة، ط١/١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص ٢٧-٦٣. ومناهل العرفان، ١/٩٨-١٣٠، ونزول القرآن على سبعة أحرف، د.مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١/١٤١١هـ-١٩٩١م، ص ٣٢-١٠٠، والأحرف القرآنية السبعة، د.عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، عالم الكتب، الرياض، ط١/١٤١١هـ-١٩٩١م، ص ١٥-١٠٠. والذي يهم في هذا المطلب هو بيان معنى الأحرف السبعة والعلاقة بينها وبين القراءات.

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، رقم/٨٢١، ١/٥٦٢.

(٣) هو الإمام محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي الضرير أبو عيسى، من أئمة علماء الحديث وحفاظه، سمع بالحجاز من محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، وبالبصرة من محمد بن بشار بندار، ومحمد بن المثنى، وعمر بن علي بن بحر بن كثير الفلاس، وبالكوفة من أبي كريب، ومحمد بن عثمان بن كرامة، وعبيد بن أسباط، وعلي بن المنذر، وغيرهم، روى عنه أبو حامد أحمد بن عبد الله بن داود المروزي التاجر، والهيثم بن كليب الشامي، ومحمد بن محبوب أبو العباس المحبوبي المروزي، وآخرون. صنف كتاب الجامع الصحيح وعرضه على علماء الحجاز والعراق وخراسان فرضوا به. توفي بترمذ في رجب عام ٢٧٩هـ رحمه الله تعالى. انظر: التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، ص ٩٦-٩٨، وتهذيب التهذيب، للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، دار الفكر، دمشق، ط١/١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ٩/٣٤٤.

(٤) سنن الترمذي، للإمام الحافظ محمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي السلمي (٢٧٩هـ)، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء =

وهناك أحاديث أخرى كثيرة تؤكد حقيقة نزول القرآن على سبعة أحرف،[1] فما المراد بالأحرف السبعة وما علاقتها بالقراءات؟

أولاً: معنى الأحرف السبعة.

الحرف لغة: يطلق على عدة معانٍ، أبرزها:

١- طرف الشيء وناحيته، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ [سورة الحج/١١] أي: يعبد الله ﷻ على قلق وعدم ثبات. ومنه حروف الهجاء: أطراف الكلمة، وحرف السيف، وحرف الجبل، وحرف السفينة: أطرافها.

٢- العدول عن الشيء والميل عنه، يقال انحرف فلان عن الحق، إذا مال عن الاعتدال، ومنه قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [سورة النساء/٤٦] أي: يصرفونه عن معناه الحقيقي.

٣- تقدير الشيء، ومنه المحراف: وهو الميل الذي تقاس به الجراح. ويقال: لا تحارف أخاك بالسوء، أي: لا تجازه وتقابله.[2]

التراث العربي، بيروت، د.ط.، د.ت.، كتاب القراءات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، رقم/٢٩٤٤، ١٩٤/٥.

(١) راجع: صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي (٢٥٦هـ)، تح: د.مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ودار اليمامة، بيروت، ط٣/١٤٠٧هـ. ١٩٨٧م، الحديث رقم/٢٢٨٧، ٨٥١/٢، والحديث رقم/٣٠٤٧، ١١٧٧/٣، والحديث رقم ٤٧٠٦، ١٩٠٩/٤، وصحيح مسلم، الحديث رقم/٨١٨، ٨١٩، ٥٦٠/١-٥٦١، وسنن أبي داود، للإمام الحافظ سليمان بن الأشعث أبي داود السجستاني الأزدي (٢٧٥هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الحديث رقم/١٤٧٥، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ٤٦٥/١-٤٦٦، وسنن الترمذي، الحديث رقم/٢٩٤٣، ٢٩٤٤، ١٩٣/٥-١٩٤، والسنن الكبرى، للإمام أحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي (٣٠٣هـ)، تح: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١١هـ-١٩٩١م، الحديث رقم/١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ٣٢٤/١-٣٢٧، وسنن البيهقي الكبرى، للحافظ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبي بكر البيهقي (٤٥٨هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، د.ط./١٤١٤هـ-١٩٩٤م، الحديث رقم/٣٧٩٩، ٣٨٠٠، ٣٨٠٢، ٣٨٠٣، ٣٨٣/٢-٣٨٤.

(٢) العين، للإمام اللغوي الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ)، تح: د.مهدي المخزومي، ود.إبراهيم السامرائي، دار الهلال، د.ط.، د.ت.، ٢١١/٣، وتهذيب اللغة، ١٢/٥، ومعجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط٢/١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ٤٢/٢-٤٣، ومفردات ألفاظ القرآن، ٢٢٥/١، ولسان العرب، ٤١/٩، والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تح: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، د.ط.، د.ت.، ١٦٧/١. وانظر: نزول القرآن على سبعة أحرف، د.مناع القطان، ص ٢٩-٣٠، والأحرف السبعة ومنزلة =

والأحرف السبعة اصطلاحاً: كثرت الأقوال في تحديد معنى الأحرف السبعة، واختلف العلماء في بيانها اختلافاً كبيراً، وذكر الزرقاني في مناهل العرفان أن موضوع الأحرف السبعة موضوع شائك، كثر فيه القيل والقال إلى حد كاد يطمس أنوار الحقيقة، وإلى حد استعصى فهمه على بعض العلماء، ولاذ بالفرار منه، فقال: إنَّه من المشكل الذي لا يعلم المراد منه إلا الله ﷻ.(١) وقد ذكر الإمام السيوطي في الإتقان(٢) خمسةً وثلاثين قولاً في بيان معناها نقلاً عن ابن حبان،(٣) وهذه الأقوال التي ذكرها ترجع في حقيقتها إلى سبعة وجوه هي:

الأول: الأحرف السبعة من المشكل الذي لا يُعرَف معناه.(٤)

الثاني: ليس المراد بالأحرف السبعة حقيقة العدد دون زيادة أو نقصان، بل المراد به التعبير عن الكثرة والمبالغة من غير حصر.(٥)

الثالث: الأحرف السبعة هي أوجه من لغات العرب مختلفة الألفاظ مترادفة المعنى، نحو: هلم، وتعال، وأسرع، وعجِّل، وأقبل، فإذا لم يكن للمعنى أكثر من لفظ يعبِّر عنه جاء القرآن بهذا اللفظ.(٦)

الرابع: الأحرف السبعة هي سبع لغات من لغات العرب نزل بها القرآن، ثم اختلفوا في تعيين هذه اللغات:

فمنهم من قال: خمس من هوازن، واثنتان لسائر العرب.

القراءات منها، د.حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، دمشق، ط١/١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، ص ١١٧-١٢٠.

(١) مناهل العرفان، ٩٨/١.

(٢) الإتقان، ١٣٦/١-١٣٩.

(٣) هو محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد أبو حاتم، ولد في بست بسجستان، وتنقَّل في الأقطار طلباً للعلم، ونزل في الشام ومصر والعراق وخراسان، ولي القضاء بسمرقند، حدَّث عن أبي خليفة، والحسن بن سفيان النسوي، وأبي يعلى الموصلي، وغيرهم، وكان من الحفاظ الأثبات، وحدَّث عنه الحاكم، ومنصور بن عبد الله الخالدي، ومحمد بن أحمد بن منصور النوقاتي، وآخرون. من مؤلَّفاته: (المسند الصحيح) في الحديث، والضعفاء، والثقات. توفي في بست عام ٣٥٤هـ رحمه الله تعالى. انظر: التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، ص ٦٤-٦٥، وتذكرة الحفاظ، للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، تح: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ٨٩/٣-٩٠.

(٤) وقد نَسَب السيوطي هذا القول لابن سعدان النحوي، انظر: الإتقان، ١٦٤/١.

(٥) نُسِب هذا القول إلى القاضي عياض وابن عربي، والشيخ جمال الدين القاسمي، وإليه ذهب مصطفى صادق الرافعي. انظر: الإتقان، ١٦٤/١، ومباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٦٨-٧٢، وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي (١٩٣٧م)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٩/١٣٩٣هـ-١٩٧٣م، ص ٦٨.

(٦) نُسِب هذا القول إلى سفيان بن عيينة، وعبد الله بن وهب، وابن جرير الطبري، والطحاوي. انظر: الإتقان، ١٦٧/١، ومباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٣٥-٣٦.

ومنهم من قال: سبع لغات متفرقة لجميع العرب، كل حرف منها لقبيلة مشهورة.

ومنهم من قال: أربع لعجز هوازن: سعد بن بكر، وجشم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثلاث لقريش.

ومنهم من قال: لغة قريش، واليمن، وجرهم، وهوازن، وقضاعة، وتميم، وطيء.

ومنهم من قال: لغة الكعبيين: كعب بن عمرو، وكعب بن لؤي، ولهما سبع لغات.(1)

الخامس: الأحرف السبعة هي سبعة أنواع في القرآن، واختلفوا في تحديدها:

فمنهم من قال: زجر، وأمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال.

ومنهم من قال: حلال، وحرام، وأمر، ونهي، وزجر، وخبر ما هو كائن، وأمثال.

ومنهم من قال: وعد، ووعيد، وحلال، وحرام، ومواعظ، وأمثال، واحتجاج.

ومنهم من قال: أمر، ونهي، وبشارة، ونذارة، وأخبار، وأمثال.

ومنهم من قال: محكم، ومتشابه، وناسخ، ومنسوخ، وخصوص، وعموم، وقصص.

ومنهم من قال: أمر، وزجر، وترغيب، وترهيب، وجدل، وقصص، ومثل.

ومنهم من قال: أمر، ونهي، وحد، وعلم، وسر، وظهر، وبطن.

ومنهم من قال: ناسخ، ومنسوخ، ووعد، ووعيد، ورغم، وتأديب، وإنذار.

ومنهم من قال: حلال، وحرام، وافتتاح، وأخبار، وفضائل، وعقوبات.

ومنهم من قال: أوامر، وزواجر، وأمثال، وأنباء، وعتب، ووعظ، وقصص.

ومنهم من قال: حلال، وحرام، وأمثال، ومنصوص، وقصص، وإباحات.

ومنهم من قال: ظهر، وبطن، وفرض، وندب، وخصوص، وعموم، وأمثال.

ومنهم من قال: أمر، ونهي، ووعد، ووعيد، وإباحة، وإرشاد، واعتبار.

ومنهم من قال: مقدَّم، ومُؤَخَّر، وفرائض، وحدود، ومواعظ، ومتشابه، وأمثال.

---

(1) نُسِب هذا القول إلى أبي عبيد، وثعلب، والزهري، واختاره ابن عطية. ثم اختلفوا في تحديد اللغات السبع. انظر: الإتقان، ١/١٦٩، ومباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٣٧–٣٨، ٤١–٥٣. وهذا القول هو الذي رجَّحه د.حسن ضياء الدين عتر. انظر: الأحرف السبعة، ص ١٧٧–١٨٠.

ومنهم من قال: مُفسَّر، ومُجمَل، ومقضي، وندب، وحتم، وأمثال.

ومنهم من قال: أمرُ حتمٍ، وأمرُ ندبٍ، ونهيُ حتمٍ، ونهيُ ندبٍ، وأخبارٌ، وإباحات.

ومنهم من قال: أمرُ فرضٍ، ونهيُ حتمٍ، وأمرُ ندبٍ، ونهيٌ مُرشدٌ، ووعدٌ، ووعيد، وقصص.

ومنهم من قال: لفظ خاص أريد به الخاص، ولفظ عام أريد به العام، ولفظ عام أريد به الخاص، ولفظ خاص أريد به العام، ولفظ يستغنى بتنزيله عن تأويله، ولفظ لا يعلم فقهه إلا العلماء، ولفظ لا يعلم معناه إلا الراسخون.

ومنهم من قال: إظهار الربوبية، وإثبات الوحدانية، وتعظيم الألوهية، والتعبد لله، ومجانبة الإشراك، والترغيب في الثواب، والترهيب من العقاب.

ومنهم من قال: همز، وإمالة، وفتح، وكسر، وتفخيم، ومد، وقصر.

ومنهم من قال: تصريف، ومصادر، وعروض، وغريب، وسجع، ولغات مختلفة كلها في شيء واحد.

ومنهم من قال: أمهات الهجاء: الألف، والباء، والجيم، والدال، والراء، والسين، والعين؛ لأن عليها تدور جوامع كلام العرب.

ومنهم من قال: هي في أسماء الله ﷻ مثل: الغفور، الرحيم، السميع، البصير، العليم، الحكيم.

ومنهم من قال: هي آية في صفات الذات، آية تفسيرها في آية أخرى، وآية بيانها في السنة الصحيحة، وآية في قصة الأنبياء والرسل، وآية في خلق الأشياء، وآية في وصف الجنة، وآية في وصف النار.

ومنهم من قال: آية في وصف الصانع، وآية في إثبات الوحدانية له، وآية في إثبات صفاته، وآية في إثبات رسله، وآية في إثبات كتبه، وآية في إثبات الإسلام، وآية في نفي الكفر.

ومنهم من قال: سبع جهات من صفات الذات لله التي لا يقع عليها التكييف.

ومنهم من قال: الإيمان بالله ﷻ، ومباينة الشرك، وإثبات الأوامر، ومجانبة الزواجر، والثبات على الإيمان، وتحريم ما حرم الله، وطاعة رسوله ﷺ.

ومنهم من قال: المطلق ولمقيد، والعام والخاص، والنص والمؤول، والناسخ والمنسوخ، والمجمل والمفسر، والمحكم والمتشابه، والاستثناء وأقسامه.

ومنهم من قال: الحذف والصلة، والتقديم والتأخير، والقلب والاستعارة، والتكرار والكناية، والحقيقة والمجاز، والمجمل والمفسر، والظاهر والغريب.

ومنهم من قال: التذكير والتأنيث، والشرط والجزاء، والتصريف والإعراب، والأقسام وجوابها، والجمع والإفراد، والتصغير والتعظيم، واختلاف الأدوات.

ومنهم من قال: سبعة أنواع من المعاملات: الزهد والقناعة مع اليقين، والجزم والخدمة مع الحياء، والكرم والفتوة مع الفقر، والمجاهدة والمراقبة مع الخوف، والرجاء والتضرع والاستغفار مع الرضا، والشكر والصبر مع المحاسبة، والمحبة والشوق مع المشاهدة.

ومنهم من قال: سبعة علوم: علم الإنشاء والإيجاد، وعلم التوحيد والتنزيه، وعلم صفات الذات، وعلم صفات الفعل، وعلم العفو والعذاب، وعلم الحشر والحساب، وعلم النبوات.

وأخذ أصحاب كل فن وعلم يُفسِّر الأحرف السبعة بأنواع الفنون التي تنبثق عن الفن الذي يعنى به؛ ليقوي صلة علمه وفنه بالقرآن الكريم.[١]

السادس: الأحرف السبعة هي وجوه التغاير التي وقع فيها الاختلاف، ثم اختلفوا في تحديدها:[٢]

فمنهم من قال: ما يتغير حركته ولا يزول معناه وصورته، وما يتغير بالفعل، وما يتغير بالنقط، وما يتغير بإبدال حرف قريب المخرج، وما يتغير بالتقديم والتأخير، وما يتغير بالزيادة أو النقصان، وما يتغير بإبدال كلمة بأخرى.[٣]

ومنهم من قال : اختلاف الحركات بلا تغير في المعنى والصورة، واختلاف المعنى فقط، واختلاف في الحروف بتغير المعنى لا الصورة، أو العكس، أو بتغيرهما، أو في التقديم والتأخير، أو في الزيادة والنقصان.[٤]

ومنهم من قال: ما تتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته، وما لا تتغير صورته ويتغير معناه بالإعراب، وما تبقى صورته ويتغير معناه باختلاف الحروف، وما تتغير صورته ويبقى معناه، وما تتغير صورته ومعناه، والتقديم والتأخير، والزيادة والنقصان.[٥]

---

(١) انظر: الإتقان، ١/١٧٠–١٧٤، ومباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٣٧–٣٨، ٥٣–٥٩.

(٢) وقد نُسب هذا القول إلى ابن قتيبة، والقرطبي، وابن الجَزَري، انظر: الإتقان، ١/١٦٥ – ١٦٧، ومباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٥٩–٦٨.

(٣) ونُسب هذا القول إلى ابن قتيبة. انظر: الإتقان، ١/١٦٥.

(٤) ونُسب هذا القول إلى ابن الجزري. انظر: الإتقان، ١/١٦٦، والنشر في القراءات العشر، للإمام الحافظ محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري، (٨٣٣هـ)، تح: الشيخ علي محمد الضباع المصري، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.، د.ت.، ١/٣٧–٣٨.

(٥) نقل هذا القول القرطبي في تفسيره عن القاضي ابن الطيب. انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري =

ومنهم من قال: اختلاف الأسماء بالإفراد والتذكير والتثنية والجمع، والاختلاف في الإعراب، والاختلاف في التصريف، الاختلاف بالتقديم والتأخير، الاختلاف بالإبدال، الاختلاف بالزيادة والنقص، والاختلاف باللهجات من التفخيم والترقيق والإمالة.[1]

السابع: الأحرف السبعة هي القراءات.[2]

وهكذا فقد اختلف العلماء في تحديد المراد: فاختار بعض العلماء عدم الخوض في معناه، وذهب بعضهم إلى تفسير الأحرف بالأحاديث الواردة، وذهب آخرون إلى أنها أنواع تعبر عن الفنون والعلوم التي يشتغلون بها، واختار آخرون استقراء وجوه التغاير والاختلاف الواردة في القرآن وتفسير الآحرف السبعة بها. وهكذا تعددت الأقوال وتضاربت إلى حدٍ أورث الحيرة في تفنيدها أو ردها أو اختيار قول من الأقوال، وفيما يأتي بيان أدلة كل ووجه ومذهب ومناقشتها، وبيان المذهب الراجح حسب ما أراه بالأدلة.

ثانياً: مناقشة الوجوه المذكورة وبيان الوجه الراجح.

الوجه الأول: استدل أصحاب الوجه الأول بالمعنى اللغوي للحرف، فالحرف يطلق على المفرد من حروف التهجي، وعلى الكلمة والجملة وعلى المعنى، لذا فهو من المشترك اللفظي، ولا يمكن معرفة المراد منه،[3] ولا أدل على ذلك من كثرة الأقوال الواردة في بيان معناه.

ويرد على هذا القول بالآتي:

أولاً: كون لفظ الحرف من المشترك اللفظي لا يمنع بيان معناه؛ لأن المشترك اللفظي يدل على معناه المقصود متى قامت قرينة تعين ذلك المعنى.

القرطبي، (٦٧١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١/١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ٤٥/١، ومناهل العرفان، ١١٣/١.

(١) نُسب هذا القول إلى أبي فضل الرازي. انظر: الإتقان، ١٦٦/١.

(٢) نُسب هذا القول إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي. انظر: البرهان، ٢١٤/١، ومباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٧٢. ولا شك أن الخليل لم يكن يقصد القراءات السبع التي ذكرها ابن مجاهد؛ لأنه توفي قبل عصر ابن مجاهد عام ١٧٠هـ. أما ابن مجاهد فقد ولد عام ٢٤٥هـ، وتوفي عام ٣٢٤هـ رحمه الله تعالى. انظر: سير أعلام النبلاء، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (٧٤٨هـ)، تح: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩/١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ٤٢٩/٧-٤٣٠، ٢٧٢/١٥.

(٣) انظر: الإتقان، ١٦٤/١، ومناهل العرفان، ١٢١/١.

ثانياً: إن النبي ﷺ قد طلب من الله ﷻ التيسير على الأمة بإنزال القرآن على أكثر من حرف، وكان ﷺ يَحلُّ نزاعات أصحابه حول اختلاف القراءة، ويوصيهم بعدم الاختلاف، ويقول: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَؤوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ."(١) ولا شك أن الصحابة ﷺ قد فهموا معنى قول النبي ﷺ: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ." وتركوا الاختلاف والجدال الدائر بينهم بناءً على فهمهم لهذا القول، وإلا لسألوه عن معنى ما يقول.(٢)

الوجه الثاني: استدل أصحاب هذا القول بأن العرب تطلق العدد ولا تريد به حقيقته، بل تريد المبالغة والتعبير عن الكثرة.(٣)

ويرد عليه: بأن الأحاديث الواردة تدل بنصها على أن المراد حقيقة العدد سبعة الواقع بين العددين ستة وثمانية، من ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ ﷺ عَلَى حَرْفٍ، فَرَاجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ فَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ."(٤) والحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي بن كعب ﷺ أن النبي ﷺ قال: "أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنِ اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ: أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ: اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ: اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ."(٥) فهذه الأحاديث تدل بنصها على أن المراد حقيقة العدد وانحصاره، وهي لا تحتمل التأويل.(٦)

الوجه الثالث: استدل أصحاب هذا الوجه بالأحاديث الواردة، منها: الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي بكرة ﷺ: " أَنَّ جِبْرِيلَ ﷺ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ اقْرَأْ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، قَالَ مِيكَائِيلُ ﷺ: اسْتَزِدْهُ، فَاسْتَزَادَهُ، قَالَ: اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ، قَالَ مِيكَائِيلُ: اسْتَزِدْهُ، فَاسْتَزَادَهُ حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ، قَالَ: كُلٌّ شَافٍ كَافٍ

---

(١) سنن أبي داود، كتاب سجود القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم/١٤٧٥، ٤٦٥/١.

(٢) مناهل العرفان، ١٣٥/١، والأحرف السبعة، د.حسن ضياء الدين عتر، ص ١٢٨–١٢٩، واللآلئ الحسان في علوم القرآن، د.موسى شاهين لاشين، دار الشروق، القاهرة، ط١٤٢٣/١هـ-٢٠٠٢م، ص ١٠٧.

(٣) الإتقان، ١٦٤/١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم/٤٧٠٥، ١٩٠٩/٤، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، رقم/٨١٩، ٥٦١/١.

(٥) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، رقم/٨٢٠، ٥٦١/١.

(٦) الإتقان، ١٦٤/١، والأحرف السبعة، د.حسن ضياء الدين عتر، ص ٧٦، واللآلئ الحسان، د.لا شين، ص ١٠٨.

مَا لَمْ تَخْتِمْ آيَةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ أَوْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ، نَحْوَ قَوْلِكَ: تَعَالَ وَأَقْبِلْ وَهَلُمَّ وَاذْهَبْ وَأَسْرِعْ وَاعْجَلْ."(١)
والحديث الذي أخرجه أبو داوود عن أبي بن كعب ﷺ أن النبي ﷺ قال: " لَيْسَ مِنْهَا إِلاَّ شَافٍ كَافٍ، إِنْ قُلْتَ: سَمِيعًا عَلِيمًا عَزِيزًا حَكِيمًا مَا لَمْ تَخْتِمْ آيَةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ أَوْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ."(٢)

ويرد عليه: بما يأتي:

أولاً: إن الأحاديث المذكورة لا تدل على حصر الأحرف السبعة فيها وفي نوعها وحده حتى يصح الاستدلال بها على مذهبهم، بل هي من قبيل ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها، وهي "معان متفق مفهومها مختلف مسموعها، لا يكون في شيء منها معنى وضده، ولا وجهٌ يخالفُ معنى وجهٍ خلافًا ينفيه ويضادُّه، كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضده."(٣)

ثانياً: إن هذا القول يعارض الكثير من القراءات الثابتة بالتواتر المختلفة المعاني لاختلاف ألفاظها.(٤)

ثالثاً: إن الحكمة من إنزال القرآن على سبعة أحرف هي التيسير على الناس؛ بسبب اختلاف ألسنتهم، ولم يكن أكثر اختلاف العرب في استعمال الألفاظ المترادفة، بل كان أكثر اختلافهم في اللهجات، من فكٍّ وإدغامٍ، وفتح وإمالة، وهمزٍ وتخفيفٍ، ولا شك أن المشقة عليهم في اللهجات أعظم من المشقة في استعمال المرادفات، كاستعمال هلمَّ مكان تعالَ أو أقبلْ.(٥)

رابعاً: إن المعيار الأساس في قبول الحرف ورده هو السماع والتلقي من النبي ، أو عدم التلقي، ولهذا لا يمكن تفويض القراءة للقارئ بما يختاره من تلقاء نفسه من المرادفات؛ لأن ذلك يؤدي إلى ذهاب إعجاز القرآن وتعريضه لأن يبدَّل، والتغيير والتبديل مرفوض بدلالة قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢/١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، مسند الكوفيين، حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة ﷺ، رقم/٢٠٥١٤، ١٤٦/٣٤.

(٢) سنن أبي داود، كتاب سجود القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم/١٤٧٧، ٤٦٦/١، وانظر: الإتقان، ١٦٧/١-١٦٨.

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (٤٦٣هـ)، تح: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، نشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، د.ط./١٣٨٧هـ، ٢٨٣/٨، والإتقان، ٢١٣/١، ومناهل العرفان، ١٣٣/١.

(٤) راجع: النشر، ٦٦/١، والأحرف السبعة، د.حسن ضياء الدين عتر، ص ١٧٦.

(٥) الإتقان، ٢١٣/١.

أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة يونس/١٥]. فإذا كان هذا ليس من حق النبي ﷺ، فليس من حق أحد غيره من الناس من باب الأولى.

خامساً: إن الأحاديث الواردة في الأحرف السبعة تثبت أنها وجوه في أداء الألفاظ وكيفية القراءة فقط، فالخلاف بين الصحابة وقع حول قراءة الألفاظ، ولم يكن اختلافاً في تفسير المعاني،(١) كما يدل عليه حديث عمر بن الخطاب ﷺ الذي أخرجه مسلم: "سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلَّم، فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كذبتَ، فإن رسول الله ﷺ، قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال: رسول الله ﷺ: أرسله، اقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه."(٢)

الوجه الرابع: استدل أصحاب هذا القول بأن الحكمة من إنزال القرآن على سبعة أحرف هو التيسير على الأمة في اللفظ، وهذا يتحقق بإنزال القرآن بلغاتهم وإن اختلفوا في تعيين اللغات.

ويُردُّ عليه: بما يأتي:

أولاً: إن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم رضي الله عنهما كلاهما قرشي من قبيلة واحدة، ويتكلمان لغة واحدة، وقد اختلفت قراءتهما، ومن المحال أن ينكر عمر ﷺ لغته، فدل على أن المراد بالأحرف السبعة غير اللغات.(٣)

---

(١) التفسير وعلوم القرآن، أ.د.نور الدين عتر، ص ٢٨٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم/٤٧٠٦، ٤/١٩٠٩، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، رقم/٨١٨، ١/ ٥٦٠.

(٣) البرهان ١/٢١٩، والإتقان، ١/ ١٧٠.

ثانياً: في القرآن الكريم ألفاظٌ كثيرة من لغات قبائل أخرى غير السبعة التي عدوها،(١) وقد ذكر الإمام السيوطي في الإتقان أن في القرآن خمسين لغة من لغات العرب.(٢) وعليه فلا يصح تفسير الأحرف السبعة باللغات؛ لأن عدد اللغات المبثوثة في القرآن يتجاوز السبع بكثير.

ثالثاً: إن تفسير الأحرف السبعة باللغات يستلزم القول بأن بعض القرآن قد نزل بلغة قريش وبعضه بلغات أخرى لحكمة التيسير، وهذا يستلزم أن كل شخص لا يمكنه أن يقرأ إلا البعض الذي نزل بلغته دون البعض الذي نزل بلغة غيره، وهذا باطل.(٣)

وقد ردَّ د.حسن ضياء الدين عتر(٤) على الاعتراض الأول بأن عمر ﷺ لم ينكر قراءة هشام ﷺ لكونها مخالفة للغة قريش، بل لكونه لم يسمعها من النبي ﷺ.(٥) ورد على الاعتراض الثاني بأنه لا يجوز تعيين اللغات؛ لمنافاة التعيين لحكمة التيسير، بل يقال: أنزل القرآن على سبع لغات هي أفصح لغات العرب دون تعيين.(٦)

وأُردُّ على اعتراضه الأول: بأن النبي ﷺ قال حديث الأحرف السبعة بعد علمه بخلافهما، فدلَّ على أن قراءتيهما المختلفتين هما من لغة واحدة، ومن الأحرف السبعة في الوقت عينه، وورود حديث الأحرف السبعة في سياق اختلاف الصحابيين القرشيين يدلُّ على أن المراد بالأحرف السبعة شيء غير اللغات.

---

(١) مناهل العرفان، ١٢٧/١.

(٢) نقلاً عن أبي بكر الواسطي. انظر: الإتقان، ١٢٢/٢.

(٣) مناهل العرفان، ١٢٧/١، والأحرف السبعة، د.حسن ضياء الدين عتر، ص ١٧٣.

(٤) هو الدكتور الشيخ حسن ضياء الدين بن محمد بن حسن عتر الحلبي ثم المكي فالمدني، ابن أخت العلَّامة عبد الله سراج الدين، وأخ شقيق للعلَّامة المحدِّث نور الدين عتر، ولد الشيخ حسن عام١٣٥٧هـ-١٩٣٩م. درس وتخرَّج في كلية الشريعة بدمشق، ودرس مادة التربية الإسلامية في ثانويات حلب، وشارك في كتابة مناهجها الدراسية، وحصل على الماجستير من جامعة الأزهر في موضوع الأحرف السبعة، ثم نال درجة الدكتوراه في تفسير القرآن وعلومه بمرتبة الشرف الأولى من جامعة الأزهر سنة ١٩٧١م في موضوع (نبوة محمد ﷺ في القرآن وبينات المعجزة الخالدة)، وانتقل للتدريس في مكة المكرمة في جامعة أم القرى، وفي جامعة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة، واستمر في التدريس والعطاء العلمي حتى تقاعد وآثر الجوار في المدينة المنورة. من مؤلفاته: المعجزة الخالدة، والأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها، ووحي الله: حقائقه، خصائصه في الكتاب والسنّة، وتحقيق كتاب فنون الأفنان في عيون علوم القرآن للإمام ابن الجوزي. توفي الشيخ حسن في العاشر من المحرَّم عام ١٤٣٢هـ، في المدينة المنورة، وصلي عليه في المسجد النبوي ودفن في البقيع رحمه الله تعالى. انظر: http://http//www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php

(٥) الأحرف السبعة، د.حسن ضياء الدين عتر، ص ١٨٥.

(٦) المرجع السابق، ص ١٩٤.

كما أردُّ على اعتراضه الثاني: بأن حديث الأحرف السبعة يدل على أن المراد منه حقيقة العدد، وهذا يستلزم التعيين، وترك التعيين يخالف الحصر الذي يفيده حديث الأحرف السبعة، ويجعله قولاً عارياً عن الفائدة.

الوجه الخامس: هذا الوجه يقوم على الاجتهاد والنظر في الأنواع المختلفة المبثوثة في القرآن الكريم، ومعظم الأقوال التي ذكرها أصحابها لا تستند إلى دليل، كما يلاحظ أن أصحاب كل علم وفن قد فسروا الأحرف السبعة بأنواع الفنون التي يشتغلون بها؛ ليقووا صلة فنونهم بالقرآن الكريم.

ويرد على هذه الأقوال: بما يأتي:

أولاً: إن سياق الأحاديث الواردة في موضوع الأحرف السبعة لا ينطبق على هذه الأقوال؛ لأن هذه الأصناف المذكورة لا يتأتى الاختلاف فيها بسبب القراءة، والأحاديث الواردة تدل على أن الاختلاف ما كان إلا بسبب القراءة، فتعين أن يكون مرجعه التلفظ وكيفية النطق، لا تلك الأصناف والأنواع المذكورة المعارضة لحديث عمر وهشام بن حكيم رضي الله عنهما اللَّذَين لم يختلفا في تفسيره ولا أحكامه، وإنما اختلفا في قراءة حروفه.

ثانياً: لا يوجد سند صحيح يدل على حصر الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن فيما بينوه من الأنواع.

ثالثاً: إن التوسعة الملحوظة للشارع في نزول القرآن على الأحرف السبعة لا تتحقق فيما ذكر من تلك الأصناف والأنواع.

رابعاً: أجمع العلماء على أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال، ولا تحليل حرام ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة.

خامساً: الأخذ بهذا القول يفضي إلى اتهام الصحابة ﷺ بأخذ بعض القرآن وترك بعضه، وأن بعضهم كان يقرأ الأوامر منه، وبعضهم يقرأ النواهي، وبعضهم يتعلَّم منه الحلال، وبعضهم لا يعلم منه إلا ما هو حرام.(١)

سادساً: بعض تلك الآراء زادت على السبعة فيما ذكرته من الأصناف والأنواع، وأكثر ما ذكروه في تلك الآراء والأصناف يتداخل بعضه في بعض ويشبه بعضه بعضاً، فمن المتعسر اعتبارها أقوالاً مستقلة.

سابعاً: إن النبي ﷺ أشار إلى جواز القراءة بكل واحد من الحروف، وإبدال حرف بحرف، وقد أجمع المسلمون على تحريم إبدال آية أمثال بآية أحكام.(٢)

---

(١) الأحرف السبعة، د.حسن ضياء الدين عتر، ص ١٤١–١٤٤.

(٢) البرهان، ٢١٦/١، والإتقان، ١٧١/١–١٧٦، والأحرف السبعة، د.حسن ضياء الدين عتر، ص ١٢٤-١٢٦.

الوجه السادس: استدل أصحاب هذا الرأي بالاستقراء لوجوه التغاير الواردة في القرآن الكريم. ويدل على ذلك قول ابن الجزري: "قد تتبعت القراءات صحيحها وشاذها وضعيفها ومنكرها، فإذا هو يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف لا يخرج عنها."(١)

ويردُّ على أصحاب هذا الرأي: بأن بعضهم اعتمد الاستقراء التام، وبعضهم كان استقراؤه ناقصاً، بدليل أن بعض الأقوال تداخلت ببعض، وبعضها قصر عن بيان بعض الوجوه التي ذكرها آخرون. وبأن الاستقراء قائم على استنباطٍ عقلي دون الاعتماد على مستند شرعي، فلو جعلها قوم عشرين وجهاً، وآخرون خمسةً وعشرين محتجين بالاستقراء لأصابوا، ولم يخالفوا نصاً شرعياً.(٢)

الوجه السابع: لعل أصحاب هذا القول قد استدلوا بتطابق العدد بين الأحرف والقراءات السبع المتواترة.

ويرد على هذا القول: بالآتي:

أولاً: لا يوجد في القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه إلا القليل.(٣)

ثانياً: القراءات السبع إنما عرفت واشتهرت في القرن الرابع، على يد المقرىء ابن مجاهد(٤) الذي اجتهد في تأليف كتاب يجمع فيه قراءات بعض الأئمة المبرزين في القراءة، فاتفق له أن جاءت هذه القراءات سبعة موافقة لعدد الأحرف،(٥) فلو كانت الأحرف السبعة هي القراءات السبع، لكان معنى ذلك أن يكون فهم أحاديث الأحرف السبعة والعمل بها متوقفاً حتى يأتي ابن مجاهد ويخرجها للناس.(٦)

---

(١) النشر، ٣٧/١.

(٢) الأحرف السبعة، د.حسن ضياء الدين عتر، ص ١٨٠.

(٣) الإتقان، ١٦٥/١.

(٤) هو أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد. قرأ القرآن على قنبل، وتصدر للإقراء، وازدحم عليه أهل الأداء. قرأ عليه أبو طاهر عبد الواحد بن أبي هاشم، وصالح بن إدريس، وأبو الفرج الشنبوذي، وأحمد بن محمد العجلي. قال أبو عمرو الداني: فاق ابن مجاهد في عصره سائر نظائره من أهل صناعته، مع اتساع علمه، وبراعة فهمه، وصدق لهجته، وظهور نسكه. من مؤلفاته: السبعة في القراءات، وقراءة ابن كثير، وقراءة عاصم، وقراءة نافع، وقراءة حمزة، وقراءة الكسائي، وقراءة ابن عامر. توفي عام ٣٢٤هـ رحمه الله تعالى. انظر: معرفة القُرَّاء الكبار، ٢٦٩/١–٢٧١، وسير أعلام النبلاء، ٢٧٢/١٥–٢٧٣.

(٥) النشر، ٥٣/١.

(٦) التفسير وعلوم القرآن، أ.د.نور الدين عتر، ص ٢٨٧.

الرأي الراجح: وأرى أن أرجح الوجوه هو الوجه السادس وهو أن الأحرف السبعة هي وجوه التغاير الواردة في القرآن الكريم؛ لأن هذا الرأي يشتمل على جميع الآراء الستة الأخرى المذكورة، ولأنه يقوم على الاستقراء والتتبع للقراءات واللغات الفصيحة.

وأرجحها وأشملها – كما أرى – قول أبي الفضل الرازي(١)؛ لأنه دمج جميع الآراء الواردة بطريقة دقيقة، فاشتمل قوله على جميع الآراء الواردة، ولأن غيره قصر عنه في بيان الوجوه المتغايرة، ولأن قول الرازي اشتمل على اختلاف اللهجات الذي رأيته الوجه الأهم من بين الوجوه المذكورة؛ لأن اختلاف اللهجات هو الوجه الذي تتجلى به حكمة التيسير التي لأجلها أنزل القرآن على سبعة أحرف.

وهذا الوجه هو الذي رجَّحه الشيخ الزرقاني(٢) وهو الذي اختاره عدد من العلماء المعاصرين، ومنهم: أ.د.محمد سعيد رمضان البوطي،(٣) ود.شعبان إسماعيل.(٤)

---

(١) هو أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن بندار العجلي الرازي، مقرئ فاضل، ثقة عارف بالقراءات والروايات، عالم بالأدب والنحو. ولد بمكة سنة ٣٧٠هـ، وقرأ القرآن في دمشق بحرف ابن عامر على أبي الحسن بن داود، وعلى أبي عبد الله بن المجاهد. توفي بنيسابور سنة ٤٥٤هـ رحمه الله تعالى. انظر: سير أعلام النبلاء، ١٣٥/١٨، وبغية الوعاة، ٧٥/٢.

(٢) مناهل العرفان، ١٠٩/١.

(٣) من روائع القرآن (تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عزوجل)، أ.د.محمد سعيد رمضان البوطي (٢٠١٣م)، مكتبة الفارابي، دمشق، ط٥/١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، ص ٦٨، وقد وُلد الأستاذ الدكتور محمد سعيد البوطي عام ١٣٤٧هـ-١٩٢٩م في قرية "جليكا" التابعة لجزيرة ابن عمر المعروفة بجزيرة بوطان الواقعة على ضفاف نهر دجلة. هاجر مع والده الشيخ ملا رمضان إلى دمشق عام ١٩٣٣م. وقد تأثَّر أستاذنا البوطي بوالده الذي علَّمه مبادئ العقيدة، ومبادئ علوم الآلة من نحو وصرف. ارتقى أستاذنا منبر الخطابة وعمره ١٧ عاماً في أحد مساجد الميدان. حصل البوطي على الإجازة من كلية الشريعة بالأزهر عام ١٩٥٥م. وعُيّن مُعيداً في كلية الشريعة بجامعة دمشق عام ١٩٦٠م، ثمّ أُوفد إلى جامعة الأزهر للحصول على الدكتوراه في أصول الشريعة الإسلامية، وحصل عليها عام ١٩٦٥م، وفي العام نفسه عُين مدرساً في كلية الشريعة بجامعة دمشق، وفي عام ١٩٧٧م عُيّن عميداً لها، ثم رئيساً لقسم العقائد والأديان. تولى إمامة الجامع الأموي بدمشق، كما كان رئيس اتحاد علماء بلاد الشام، وله أكثر من ستين مؤلفاً، أبرزها: من روائع القرآن الكريم، والحكم العطائية شرح وتحليل، وكبرى اليقينيات الكونية، والجهاد في الإسلام، وفقه السيرة النبوية. خلال فترة الاضطرابات السورية ٢٠١١-٢٠١٣م رفض البوطي الحراك الشعبي، وانتقد المحتجين، ودعاهم إلى عدم الانقياد وراء دعوات مجهولة المصدر، وقد كان موقفه هذا سبباً في اغتياله، حيث استشهد يوم الخميس ٢١ آذار عام ٢٠١٣م في أثناء إعطائه درساً دينياً في مسجد الإيمان بحي المزرعة في دمشق، في تفجير انتحاري أودى بحياته. وقد صُلّي عليه في المسجد الأموي، ودُفن بجانب قبر صلاح الدين الأيوبي المحاذي لقلعة دمشق قُرب المسجد الأموي. انظر: http://ar.wikipedia.org/w/index.php?title

(٤) القراءات: أحكامها ومصدرها، د.شعبان إسماعيل، ص ٣٨. وقد ولِد الشيخ شعبان محمد إسماعيل في محافظة الشرقية بمصر سنة ١٣٥٩هـ-١٩٣٩م. أجيز شعبان إسماعيل في القراءات من طريق الشاطبية من الشيخ محمد سليمان صالح، وعبد الله الفقاعي، ومحمد إسماعيل الهمداني، ثم حصل على إجازة في القراءات العشر من طريق طيبة النشر للإمام ابن الجزري على الشيخ حسن أحمد =

وهذا المذهب هو المذهب ذاته الذي رجَّحه د.موسى شاهين لاشين[(١)] والأخوين: أ.د.نور الدين عتر،[(٢)] د.حسن ضياء الدين عتر.[(٣)]

المري، ودرس القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، على الشيخ عبد الفتاح القاضي. التحق بالأزهر وحصل على شهادة التخصص في القراءات وعلوم القرآن من معهد القراءات، ثم التحق بكلية الشريعة بجامعة الأزهر، فحصل على الإجازة العالية في الدراسات الإسلامية والعربية، ثم على الماجستير والدكتوراه في أصول الفقه، عمل مدرِّساً للتجويد والقراءات بالمعاهد الأزهرية، ثم بكلية الدراسات الإسلامية والعربية في جامعة الأزهر. له العديد من المؤلَّفات، أبرزها: المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية، والمدخل إلى علم القراءات، وعلوم القرآن نشأته وأطواره. ولا تزال علومه ومحاضراته منبعاً علمياً تتوافد إليه طلاب العلم. حفظه الله وبارك في عمره. انظر: ترجمته لنفسه في كتابه: المدخل إلى علم القراءات، د.شعبان إسماعيل، دار سالم، مكة المكرمة، ط١/ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، ص ١٥١-١٥٣. وانظر ترجمته على الرابط: http://vb.tafsir.net/tafsir6560

(١) اللآلئ الحسان في علوم القرآن، ص ١١١– ١١٣. وقد وِلِد الشيخ موسى شاهين لاشين في قرية أسنيت بمحافظة القليوبية في مصر عام ١٩٢٠م، وحصل على الإجازة الجامعية من كلية أصول الدين عام ١٩٤٦م، ثم (الماجستير) من كلية اللغة العربية عام ١٩٤٨م، ثم (الدكتوراه) في التفسير والحديث من كلية أصول الدين عام ١٩٦٥م، درَّس في المعاهد الأزهرية لمدة سبع عشرة سنة، ثمَّ درَّس في جامعة الأزهر بكلية أصول الدين منذ عام ١٩٦٥م، ثم عيِّن عميدًا للكلية عام ١٩٧٩م، وتَقَلَّد منصب نائب رئيس جامعة الأزهر للدراسات العليا في العام ذاته، كما تَقَلَّد منصب رئيس المركز الدولي للسِّيرة والسُّنة بالمركز الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف منذ عام ١٩٩٤م حتى وفاته في القاهرة عام ٢٠٠٩م. وحصل من رئيس الجمهورية على وسام جمهورية مصر العربية للعلوم والفنون والآدب من الطبقة الأولى عام (١٩٩٧م). له العديد من المؤلَّفات، أبرزها: فتح المنعم شرح صحيح مسلم، تيسير البخاري، واللآلئ الحسان في علوم القرآن. انظر ترجمته في: مجلة الوعي الإسلامي: مجلة كويتية شهرية، العدد ٥٣٢ لعام ٢٠١٠م، مقال للدكتور ناصر وهدان، بعنوان (د.موسى لاشين في ذمة الله)، ومجلة التبيان الصادرة عن الجمعية الشرعية الرئيسية بالقاهرة عدد ٥٥ صفر ١٤٣٠هـ، مقال للدكتور محمد المختار محمد المهدي بعنوان (وداعا شيخ علماء السنة موسى شاهين لاشين).

(٢) هو العالم الجليل والمحدث الفاضل، الشيخ نور الدين عتر ولد في حلب عام ١٣٥٥هـ-١٩٣٧م، في أسرة متدينة، فقد كان والده يأخذه معه لحضور مجالس العلماء، ومنهم جده العلَّامة الشيخ محمد نجيب سراج الدين الحسيني. وقد تتلمذ على العلَّامة الشيخ عبد الله سراج الدين الحسيني، وكان صهره وابن أخته، تخرج في الثانوية الشرعية بحلب عام ١٩٥٤م، ثم تخرج في جامعة الأزهر بتفوق، وعين مدرساً لمادة التربية الإسلامية في حلب عام ١٩٥٨م، ثم حصل على شهادة (الدكتوراه) بمرتبة الشرف الأولى، من شعبة التفسير والحديث في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر عام ١٩٦٤م. درَّس الحديث في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لمدة سنتين، ثم رجع إلى دمشق؛ ليدرِّس التفسير والحديث وعلوم القرآن في كلية الشريعة بجامعة دمشق وغيرها. عيِّن رئيساً لقسم علوم القرآن والسنة في كلية الشريعة بجامعة دمشق، وألَّف عدداً من المؤلفات زادت عن الخمسين كتاباً، ومن أبرزها: منهج النقد في علوم الحديث، وعلوم القرآن الكريم، والإمام البخاري وفقه التراجم في جامعه الصحيح. ولا تزال علومه ومحاضراته منبعاً علمياً تتوافد إليه طلاب العلم. حفظه الله وبارك في عمره. انظر: http://shamela.ws/index.php/categories

(٣) ذهب د.حسن ضياء الدين عتر إلى أن الأحرف السبعة هي اللغات الفصيحة التي أنزل بها القرآن مشتملة على فوارق اللغات، وفوارق اللغات التي ذكرها هي وجوه التغاير التي ذكرها الرازي عينها. انظر: الأحرف السبعة، د.حسن ضياء الدين عتر، ص ١٧٨ – ١٨١. وقد لخص د. نور الدين عتر هذا المذهب بقوله: "الأحرف السبعة هي سبعة أوجه فصيحة من اللغات والقراءات أنزل =

ثالثاً: العلاقة بين القراءات والأحرف السبعة.

تبين سابقاً أن القراءات ليست هي الأحرف السبعة، بل هي جزء من الأحرف التي نزل بها القرآن.(١)

يقول مكي بن أبي طالب(٢):"ليست قراءة كل قارئ من القُرَّاء السبعة هي أحد الحروف السبعة: فأما من ظن أن قراءة كل واحد من هؤلاء القُرَّاء - كنافع وعاصم وأبي عمرو - أحد الحروف السبعة التي نص النبي ﷺ عليها، فذلك منه غلط عظيم؛ لأن فيه إبطالاً أن يكون ترك العمل بشيء من الأحرف السبعة، وأن يكون عثمان ما أفاد فائدة بما صنع من حمل الناس على مصحف واحد وحرف واحد. ويجب منه أن يكون ما لم يَقرَأ به هؤلاء السبعة متروكاً؛ إذ قد استولوا على السبعة الأحرف عنده، فما خرج عن قراءتهم فليس من السبعة عنده. ويجب من هذا القول: أن نترك القراءة بما روى عن أئمة هؤلاء السبعة من التابعين والصحابة مما يوافق خط المصحف مما لم يَقرأ به هؤلاء السبعة. ويجب منه ألا تُروَى قراءة عن ثامن فما فوقه؛ لأن هؤلاء السبعة عند معتقد هذا القول قد أحاطت قراءتهم بالأحرف السبعة."(٣)

مما سبق يتبين أن القراءات علم يدرس أوجه اختلاف بعض ألفاظ القرآن الكريم، وهي على إطلاقها مغايرة للقرآن، والعلاقة بينهما هي علاقة الجزء بالكل، فالقراءات المتواترة قرآن دون القراءات الشاذة، كما يتبيَّن أن العلاقة بين القراءات والأحرف السبعة علاقة عموم وخصوص: فالأحرف السبعة أعم من القراءات، والقراءات هي بعض الأحرف السبعة، وباختلافها تتجلى الوجوه المختلفة للأحرف التي أخبر عنها النبي ﷺ.

عليها القرآن الكريم." انظر: التفسير وعلوم القرآن، ص ٢٨٢. ومعنى ذلك أن الأحرف السبعة في رأيه هي: سبعة أوجه من وجوه التغاير التي نزلت بها القراءات المشتملة على الوجوه السبعة التي ذكرها الرازي، وما فيها من فوارق اللغات. وقد ذكر د. نور الدين عتر أن أقوى المذاهب التي بيَّنت حقيقة الأحرف السبعة مذهب الرازي، ومذهب الذين قالوا بأن الأحرف السبعة هي لغات العرب، ثم قال: " والحاصل أن هذين المذهبين أقوى ما قيل في تفسير حقيقة الأحرف السبعة، ولا خلاف بينهما في النتيجة؛ لأن أحدهما يبيِّن أوجه الاختلاف، والثاني ما تنطبق عليه هذه الأوجه من لغات العرب. وهما يحققان ما وردت به الأحاديث من نزول القرآن على سبعة أحرف يُقرَأ بها." انظر: التفسير وعلوم القرآن، ص ٢٩٠.

(١) الإتقان، ٢٧٥/١، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي (٨٥٢هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، د.ط./١٣٧٩هـ. ١٩٥٩م، ٣١/٩. وانظر: فتح الرحمن الرحيم في تفسير القرآن الكريم، أ.د. محمد سالم محيسن، دار محيسن، القاهرة، ط١٤٢٤/١هـ-٢٠٠٣م، ٨٨/١-٩٠.

(٢) هو أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي، عالم بالتفسير والعربية. ولد في القيروان عام ٣٥٥هـ. من مؤلَّفاته: مشكل إعراب القرآن، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها، والتبصرة في القراءات السبع، والإبانة عن معاني القراءات. توفي في قرطبة عام ٤٣٧هـ رحمه الله. انظر: بغية الوعاة، ٢٩٨/٢، وطبقات المفسرين، للأدنه وي، ص ١١٤–١١٥.

(٣) الإبانة عن معاني القراءات، للإمام مكي بن أبي طالب حموش القيسي (٤٣٧هـ)، تح: د.عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ط.، د.ت.، ص ٣٦.

المبحث الثاني: دراسة تاريخية في علم القراءات، وتوجيهها.

المطلب الأول: نشأة علم القراءات.

المطلب الثاني: تدوين علم القراءات.

المطلب الثالث: علم توجيه القراءات: نشأته، وتطوره.

يرتبط تاريخ القراءات القرآنية بالمراحل الأولى التي تلقى فيها النبي ﷺ القرآن الكريم عن الله ﷻ بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، وبالطريقة التي تم بها تبليغ آيات القرآن الكريم للصحابة رضي الله عنهم، وبالجهود التي بذلها الصحابة الكرام في نقل هذه الآيات للناس كافة كما تلقوها من فم النبي ﷺ. كما يرتبط بموضوع الأحرف السبعة وصلتها بالقراءات، فمن المعلوم أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا من قبائل عديدة وأماكن مختلفة، وقد أدى اختلاف قبائلهم ومواطنهم إلى اختلاف لهجاتهم، كما أدى إلى انفراد كل قبيلة ببعض الألفاظ التي قد لا تعرفها القبائل الأخرى، ولو أن الله ﷻ كلّف كل فريق من هؤلاء أن يزول عن لغته لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه، فأراد الله ﷻ برحمته ولطفه أن يجعل مُتسعاً في اللغات، ومتصرفاً في الحركات، فأمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يُقرِئ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عاداتهم، فقوم جرت عاداتهم بالهمز، وقوم بالتخفيف، وقوم بالفتح، وقوم بالإمالة، وهكذا.[١] جاء في سنن الترمذي عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: "لقيَ رسولُ الله ﷺ جبريلَ عليه السلام، فقال: يا جبريلُ، إني بُعثْتُ إلى أمةٍ أميِّينَ منهم العجوزُ، والشيخُ الكبيرُ، والغُلامُ، والجاريةُ، والرَّجلُ الذي لم يَقرأ كتاباً قطُّ، قال: يا محمدُ، إنَّ القرآنَ أُنزِلَ على سبعةِ أحرفٍ."[٢] لهذا السبب راعى القرآن الكريم أمر اختلاف لغات القبائل ولهجاتها؛ فجاءت قراءاته المتعددة موائمة لمجموع من يتلقون القرآن؛ تيسيراً على الأمة، وهذا هو السبب الرئيس في تنوع القراءات.[٣] وفي المطلب الآتي تعريف بتاريخ نشأة علم القراءات، ومراحل تطوره.

المطلب الأول: نشأة علم القراءات.[٤]

نشأت القراءات القرآنية في العهد المدني بعد الهجرة النبوية؛ حيث أنزل الله ﷻ القرآن الكريم أولاً بلسان قريش ثم سَهَّل على الأمة أن يقرؤوه بغير لسان قريش، بعد أن كثر دخول العرب في الإسلام، ويشهد لذلك أن التخفيف حدث بعد الهجرة عند أضاة بني غِفار - موضع بالمدينة النبوية ينسب إلى بني غِفار- فتنوع القراءات لم

---

(١) تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ)، تح: أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط٢/١٣٩٣هـ-١٩٧٣م، ص ٣٩، والإبانة عن معاني القراءات، ص ٤٦-٥٠.

(٢) سنن الترمذي، كتاب القراءات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، رقم/٢٩٤٤، ٥/١٩٤.

(٣) النشر، ١/٣٣.

(٤) سأتحدث هنا عن نشأة القراءات، ومراحل تطورها، وتدوينها بإيجاز شديد؛ لأن هناك الكثير من الأبحاث والكتب التي اعتنت بتفاصيل هذه المسائل التي لا يتسع المقام هنا للتوسع فيها، والدخول في تفاصيلها. للتوسع: راجع: تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، د.محمد المختار ولد أباه، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، المغرب، د.ط.، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ص ١٢-٤٣٥، وإعجاز القراءات دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القراء، صبري الأشوح، ص ٦٠-١٠٥، وص ١٣٥-١٥٩.

يُعرَفْ في العهد المكي،[١] وإنما كان التنوع بعد الهجرة النبوية المباركة؛ لأنَّ الحاجة لتعدُّد القراءات لم تكن قائمة في العهد المكي؛ لأن القرآن أُنزِل بلسان قريش الذي هو أفصح ما انتهت إليه لغات العرب جميعاً.[٢]

ويشهد لذلك الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي بن كعب ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ – قَالَ – فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ. فَقَالَ: « أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ». ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَقَالَ: « أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ ». ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلاَثَةِ أَحْرُفٍ. فَقَالَ: « أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ ». ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَؤوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا."[٣]

وقد كان النبي ﷺ يحرص كل الحرص على حفظ القرآن كما أقرأه إياه جبريل ﷺ، وكان إذا لُقِّن القرآن يحرك شفتيه به وينازع جبريل ﷺ القراءة؛ مسارعة إلى الحفظ؛ لئلا ينفلت منه شيء، فأمره الله ﷻ بالإنصات والاستماع إلى تمام القراءة، وأخبره أنه قد تكفل له بحفظ القرآن، ووعده بأنه آمن من نسيانه، أو تفلُّت شيء منه. قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۞ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۞ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [سورة القيامة/ ١٦-١٩] فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل ﷺ استمع، فإذا انطلق قرأه النبي ﷺ كما أقرأه جبريل ﷺ. فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَالِجُ مِنْ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ ... فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۞ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ قَالَ: جَمْعُهُ فِي صَدْرِكَ ثُمَّ تَقْرَؤُهُ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ،

---

(١) وبذلك أخالف د. محيسن الذي ذهب إلى أن القراءات نزلت بمكة المكرَّمة؛ مستدلاً بعموم الأحاديث التي رخَّصت بقراءة القرآن على سبعة أحرف، وبعدم ورود دليل يدلُّ على أن السور المكية البالغ عددها ثلاث وثمانون سورة أُنزِلت قراءاتها في المدينة المنورة. انظر: فتح الرحمن الرحيم في تفسير القرآن الكريم، ٤٣/١-٤٤. وأعتقد أنَّ رأي د. محيسن مرجوح، وأدلته لا تقوى على معارضة الحديث الذي أخرجه مسلم؛ لأن حديث مسلم ينصُّ على أن الترخيص كان عند أضاة بني غفار، ولو كان النبي ﷺ يُقرِئ أصحابه القرآن بالأحرف السبعة في العهد المكي لما كان لقوله ﷺ: "أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ" أي معنى، أما استدلاله بعدم وجود دليل يدلُّ على أن السور المكية قد أُنزِلت قراءاتها في المدينة المنورة فمردود بما ثبت من عرض النبي ﷺ القرآن على جبريل ﷺ كل عام مرة، وعرضه مرتين في العام الذي قبض فيه، فلعل جبريل ﷺ قد أقرأ النبي ﷺ هذه السور بقراءاتها الثابتة في تلك العرضات. انظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ، ١٩١١/٤.

(٢) انظر: القراءات: أحكامها ومصدرها، د.شعبان محمد إسماعيل، ص ٤٦-٤٨.

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، رقم/١٩٤٣، ٢٠٣/٢، وانظر: فتح الباري، لابن حجر، ٢٨/٩.

قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا أَقْرَأَهُ."(١) فهذه الآيات تؤكد أن ليس للرسول ﷺ من أمر القرآن إلا اتباع الوحي في تبليغ الآيات دون زيادة أو نقصان أو تغيير.

وقد تلقى القرآن عن النبي ﷺ الصحابة الكرام، الذين كانوا " أئمة ثقات تجرَّدوا لتصحيحه، وبذلوا أنفسهم في إتقانه، وتلقوه من النبي ﷺ حرفاً حرفاً، لم يهملوا منه حركة ولا سكوناً، ولا إثباتاً ولا حذفاً، ولا دخل عليهم في شيء منه شك ولا وهم. وكان منهم من حفظه كله، ومنهم من حفظ أكثره، ومنهم من حفظ بعضه، كل ذلك في زمن النبي ﷺ"(٢) وكان من أشهرهم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وأبو الدرداء، وأبو موسى الأشعري رضي الله عنهم.(٣)

وقد وجَّه النبي ﷺ بعض أصحابه إلى البلدان ليعلِّموا الناس تلاوة القرآن، وأحكام الدين، وهناك حرص الصحابة رضي الله عنهم على قراءة القرآن كما أقرأهم إياه النبي ﷺ، كما حرصوا على نقله بغاية الأمانة والإتقان.

والحديث هنا عن تلقي الصحابة رضي الله عنهم للقرآن، ونقله يعود بنا إلى موضوع الأحرف السبعة، ويذكرنا باختلاف تلقي الصحابة رضي الله عنهم للقرآن الكريم وأحرفه؛ فقد ظهر في قراءة الصحابة رضي الله عنهم للقرآن اختلاف أقره النبي ﷺ، وهذا الاختلاف يرجع إلى اختلاف التلقي كما يرجع إلى الرخصة التي رخص بها النبي ﷺ في نطق بعض الكلمات بلغات ولهجات قبائل أخرى يصعب عليها قراءة القرآن بلغة قريش إلا بعد تكلُّف شديد؛(٤) لذلك حرص الصحابة الذين توجهوا إلى الأمصار على التيسير على الناس، وترك تنفيرهم بحملهم على لغة قريش، بل أقرؤوا الناس في تلك الأمصار بوجوه النطق التي اعتادوها، وألفوها، ونشؤوا عليها.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم/٥، ٦/١، وصحيح مسلم، كتاب الصلاة باب الاستماع للقراءة، رقم/٤٤٨، ٣٣٠/١. وانظر: فتح الباري، ٦٨٢/٨–٦٨٣.

(٢) النشر، ١٤/١.

(٣) البرهان، ٢٤١/١، والإتقان، ٢٥١/١. وأشير هنا إلى أني لن أترجم لأعلام الصحابة؛ لشهرتهم.

(٤) يشهد لذلك الحديث الذي أخرجه البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَؤُهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَقْرَأَنِيهَا وَكِدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمْهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ، ثُمَّ لَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا. فَقَالَ لِي: أَرْسِلْهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اقْرَأْ، فَقَرَأَ. قَالَ: هَكَذَا أُنْزِلَتْ. ثُمَّ قَالَ لِي: اقْرَأْ، فَقَرَأْتُ، فَقَالَ: هَكَذَا أُنْزِلَتْ. إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ." انظر: صحيح البخاري، كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض، رقم/٢٢٨٧، ٨٥١/٢.

وفي أثناء القراءة والتعليم كان بعض الصحابة يجتهد في تفسير الآيات، فيدرج كلماتٍ ليست من القرآن في أثناء قراءة بعض الآيات؛ بهدف بيان معناها، ومن هنا نشأت القراءات الشاذة.(١)

وقد قرأ التابعون الذين تلقوا عن علماء الصحابة القرآن على الوجه أو الحرف الذي سمعوه من صحابة النبي ﷺ،(٢) ثم حمل هؤلاء التابعون قراءاتهم، وانطلقوا بها إلى أرجاء البلاد الإسلامية التي فتحت على أيدي المسلمين، وكانوا حريصين على تعليم المسلمين في تلك الأمصار تلاوة القرآن على ضوء ما تلقوه من أصحاب رسول الله ﷺ. وقد ذاع صيت العشرات منهم ممن عرف بالقراءة والتلقي من أفواه الصحابة ﷺ، وأخذ المسلمون في تلك الأمصار يتلقون عنهم قراءة القرآن مع ما فيها من التيسير بالقراءة بالأحرف السبعة التي أقرها النبي ﷺ.

ثم بلغت ظاهرة تنوع القراءات أشدها في زمن خلافة عثمان بن عفان ﷺ، وتجاوزت إطارها العام والهدف الذي من أجله كان هذا التنوع في القراءات؛ حيث اختلف عوام الناس في القرآن حتى كاد يكفر بعضهم بعضاً، وهذا ما أدركه الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان ﷺ عندما حضر فتح أرمينية وأذربيجان، فرأى وسمع من الناس ما أفزعه، فقدم على عثمان ﷺ، وأشار عليه بأن يجمع الكلمة قبل تفاقم الأمر. فأرسل عثمان ﷺ إلى حفصة – رضي الله عنها – أن أرسلي إلينا بالصحف، فأرسلت بها، فأمر عثمان ﷺ زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ﷺ، فنسخوا المصاحف. وقال عثمان ﷺ للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا،(٣) حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردَّ عثمان ﷺ الصحف إلى حفصة، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة

---

(١) الإتقان، ١/٢٧٩–٢٨٠.

(٢) من أشهر قراء التابعين: في المدينة: سعيد بن المسيب، وعمر بن عبد العزيز، وزيد بن أسلم، ومسلم بن جندب، وابن شهاب الزهري، وعبد الرحمن بن هرمز. وفي مكة: عطاء بن أبي رباح القرشي، ومجاهد بن جبر، وطاوس بن كيسان، وعكرمة بن خالد بن سعيد بن العاص، وعبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، وغيرهم. وفي البصرة: رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي، وعمران بن ملحان أبو رجاء العطاردي ، ونصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، وجابر بن زيد، والحسن بن يسار البصري، وقتادة بن دعامة السدوسي، وغيرهم. وفي الكوفة: علقمة بن قيس، والأسود بن يزيد بن قيس النخعي، وعمرو بن ميمون، وأبو عبد الرحمن السلمي، وزر بن حبيش، وسعيد ابن جبير، وإبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي، وعامر بن شراحيل الشعبي. وفي الشام: المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، وخليد بن سعد مولى أبي الدرداء، وغيرهما. انظر: الإتقان، ١/٢٥١.

(٣) رأى عثمان ﷺ أن يكتب المصاحف بما يوافق لغة قريش؛ لأنها الأصل، ولأن القرآن نزل أولاً بلسان قريش – أحد الأحرف السبعة – ثم نزل بالأحرف السبعة المأذون في قراءتها تسهيلاً وتيسيراً، فلما جمع عثمان ﷺ الناس على حرف واحد رأى أن الحرف الذي نزل القرآن به أولاً هو أولى الأحرف، فحمل الناس عليه لكونه لسان النبي ﷺ. انظر: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (٦٦٥هـ)، تح: طيار آلتي قولاج، دار صادر، بيروت، د.ط./١٣٩٥ هـ–١٩٧٥ م، ص ٦٩، وفتح الباري، ٩/٢٨.

أو مصحف أن يحرق.[1] وقد أمر عثمان ﷺ بكتابة المصاحف العثمانية بطريقة تحفظ تغاير القراءات الثابت عن النبي ﷺ، ولم تكن كتابة القرآن بالطريقة المعهودة هي السبب في تنوع القراءات كما يزعم بعض المستشرقين.[2]

ولما كتب عثمان ﷺ المصاحف وجّهها إلى الأمصار، وحملهم على ما فيها، وأمرهم بترك ما خالفها، وقد توخى عثمان ﷺ في اختيار الموفَدين إلى الأمصار أن يكون مع كل مصحف قارئ توافق قراءته لهجة أهل المصر المرسَل إليه في الأكثر الأغلب،[3] وساعد رسم المصحف في ذلك الوقت من عدم النقط والشكل على بقاء جملة من القراءات مما لا تخالف خط المصحف، "فقرأ أهل كل مصر مصحفهم الذي وجه إليهم على ما كانوا يقرؤون قبل وصول المصحف إليهم مما يوافق خط المصحف، وتركوا من قراءتهم التي كانوا عليها ما يخالف خط المصحف، فاختلفت قراءة أهل الأمصار لذلك بما لا يخالف الخط، وسقط من قراءاتهم كلهم ما يخالف الخط، ونقل ذلك الآخر عن الأول في كل مصر، فاختلف النقل لذلك، حتى وصل النقل إلى هؤلاء الأئمة السبعة على ذلك، فاختلفوا فيما نقلوا على حسب اختلاف أهل الأمصار، لم يخرج واحد منهم عن خط المصحف فيما نقل، كما لم يخرج واحد من أهل الأمصار عن خط المصحف الذي وجِّه إليهم."[4] وكان هذا الأمر على ملأ من الصحابة ﷺ الذين تلقوه بالرضى والقبول والاستحسان.[5]

فعمل عثمان بن عفان ﷺ يتلخص في حمل الناس على القراءة بوجه واحد على ضوء ما نزل به القرآن أول نزوله ووافقه عليه الصحابة ﷺ، وبجعل التعليم العام للمسلمين من المصحف الذي أجمع على ما فيه الصحابة ﷺ.

أي: إنَّ عثمان بن عفان ﷺ لم يلغِ القراءات المخالفة لخط المصحف المجمع عليه، بل ترك الباب مفتوحاً لكل من كان يؤكد من الصحابة أنه سمع النبي ﷺ يقرأ بالقراءة التي سمعها بحرية تامة، ولكن بشكل خاص ونطاق

---

(١) انظر تمام القصة في صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، رقم/٤٧٠٢، ٤/١٩٠٨. والبرهان، ١/٢٣٦، والإتقان، ١/٢٠٨-٢٠٩.

(٢) راجع: مذاهب التفسير الإسلامي، جولد تسهير، ترجمة د.عبد الحليم النجار، دار اقرأ، بيروت، ط٢/١٩٨٣م، ص ٨-٩. وقد رد عليه الدكتور عبد الفتاح شلبي، وفنّد مزاعمه. راجع: رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم: دوافعها ودفعها، د.عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٤/١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ص ٢٩-٧٩.

(٣) شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لأبي القاسم محمد بن محمد بن محمد بن علي النويري (٨٥٧هـ)، تح: د.مجدي محمد سرور سعد باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ١/١١٢، ومناهل العرفان، ١/٢٧٩، ١/٢٨٥.

(٤) الإبانة عن معاني القراءات، ص ٤٩.

(٥) مناهل العرفان، ١/٢٧٩.

ضيق، ولذلك لم تحظَ القراءات المخالفة لمصحف عثمان ﷺ إلاّ بنقل الآحاد؛ لأنه ألزم العامة بالقراءة بالمصحف الذي اختار حروفه، ووافقه عليه إجماع الصحابة.(١)

وبهذا العمل المنظم والدقيق اختزلت القراءات التي كثرت وتنوعت زمن عثمان ﷺ، وسقط الكثير من القراءات المخالفة لخط المصحف الذي صار إليه الإجماع من قبل الصحابة ﷺ، ومضى المسلمون يتلقون القرآن بقراءاته من علماء التابعين، وتابعي التابعين جيلاً بعد جيل، متحرين الدقة في الرواية، معتمدين في ذلك على المشافهة والسماع دون الدراية والاجتهاد.

يقول ابن مجاهد: " والقراءة التي عليها الناس بالمدينة، ومكة، والكوفة، والبصرة، والشام هي القراءة التي تلقوها عن أوَّليهم تلقِّياً، وقام بها في كل مصر من هذه الأمصار رجل ممن أخذ عن التابعين، أجمعت الخاصة والعامة على قراءته، وسلكوا فيها طريقه، وتمسَّكوا بمذهبه."(٢)

وهكذا انتهى القرن الهجري الأول والناس يقرؤون المصاحف بما أقرأهم به الصحابة والتابعون، إلا أن بعض الناس كان يبتدع، فيقرأ بما يوافق رسم المصحف دون أن يتلقى القراءة عن الأئمة المقرئين، ومن أهل البدع والأهواء من كان يقرأ بما يوافق بدعته دون الاكتراث بمخالفة الثابت المنقول عن النبي ﷺ.(٣)

ثم تفرق هؤلاء القُرَّاء في البلاد وهم على هذه الحال من الاختلاف في القراءات، فاختلف بسبب ذلك أخذ الناس عنهم حتى وصل الأمر على هذا النحو إلى "قوم أسهروا ليلهم في ضبطها، وأتعبوا نهارهم في نقلها، حتى صاروا في ذلك أئمة للاقتداء، وأنجماً للاهتداء، وأجمع أهل بلدهم على قبول قراءتهم، ولم يختلف عليهم اثنان في صحة روايتهم ودرايتهم."(٤) هؤلاء القوم هم القُرَّاء الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات يضبطونها، ويعنون بها، وينشرونها، "ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم، وكان المعول فيها عليهم.(٥)"

"ثم إن القُرَّاء بعد هؤلاء كثروا، وفي البلاد انتشروا، وخلفهم أمم بعد أمم، وعرفت طبقاتهم، واختلفت صفاتهم، فكان منهم المتقن للتلاوة المشهورة بالرواية والدراية، ومنهم المُحصِّل لوصف واحد، ومنهم المُحصِّل

---

(١) الإبانة عن معاني القراءات، ص ٤٢.

(٢) السبعة في القراءات، للإمام أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي (٣٢٤هـ)، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢/١٤٠٠هـ. ١٩٨٠م، ص ٤٩.

(٣) حجة القراءات، للإمام عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبي زرعة (٤٠٣هـ)، تح: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٤١٨/٥هـ-١٩٩٧م، ص ١١، والإتحاف، ص ٥.

(٤) شرح طيبة النشر، للنويري، ١١٢/١، ومناهل العرفان، ٢٨٥/١.

(٥) مناهل العرفان، ٢٨٥/١.

لأكثر من واحد، فكثر بينهم لذلك الاختلاف، وقلَّ منهم الائتلاف، فقام عند ذلك جهابذة الأمة وصناديد الأئمة فبالغوا في الاجتهاد بقدر الحاصل، وميَّزوا بين الصحيح والباطل، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزوا الأوجه والروايات، وبيَّنوا الصحيح والشاذ، والكثير والفاذ بأصول أصَّلوها، وأركان فصَّلوها."[1]

وكان من أشهر القُرَّاء في هذه المرحلة:[2]

في المدينة: أبو جعفر يزيد بن القعقاع،[3] ثم شيبة بن نصاح،[4] ثم نافع بن أبي نعيم.

وفي مكة: عبد الله بن كثير،[5] وحميد بن قيس الأعرج،[6] ومحمد بن محيصن.[7]

---

(١) شرح طيبة النشر، للنويري، ١/١١٢، ومناهل العرفان، ١/٢٨٥-٢٨٦.

(٢) الإتقان، ١/٢٥٢.

(٣) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع، أحد القُرَّاء العشرة، مدني مشهور. قرأ القرآن على: مولاه عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي، وقرأ أيضا على أبي هريرة وابن عباس ﷺ عن قراءتهم على أبي بن كعب ﷺ، وقرأ عليه: نافع بن أبي نعيم، وسليمان بن مسلم بن جماز، وعيسى بن وردان الحذاء، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم. وثقه يحيى بن معين، والنسائي. اختلف في تاريخ وفاته، فقيل: توفي عام ١٢٧هـ، وقيل: ١٢٨، وقيل: ١٣٢هـ رحمه الله تعالى. انظر: معرفة القُرَّاء الكبار، ١/٧٢-٧٦، وغاية النهاية، ٢/٣٨٢.

(٤) هو شيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب، إمام ثقة مقرئ المدينة مع أبي جعفر، كان ختن أبي جعفر على ابنته ميمونة. عرض على عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، وعرض عليه نافع بن أبي نعيم، وسليمان بن مسلم بن جماز، وإسماعيل بن جعفر، وأبو عمرو بن العلاء، وزوجته ميمونة. توفي عام ١٣٠هـ رحمه الله تعالى. انظر: معرفة القُرَّاء الكبار، ١/٧٩-٨٠، وتهذيب التهذيب، ٤/٣٣٠.

(٥) هو أبو معبد عبد الله بن كثير بن المطلب، مولى عمرو بن علقمة الكناني الداري المكي، إمام المكيين في القراءة، قرأ على عبد الله بن السائب المخزومي، وعلى مجاهد، ودرباس مولى ابن عباس ﷺ، وتصدر للإقراء، وصار إمام أهل مكة في ضبط القرآن. قرأ عليه: أبو عمرو بن العلاء، وشبل بن عباد، ومعروف بن مشكان، وإسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين. توفي عام ١٢٠هـ رحمه الله تعالى. انظر: معرفة القُرَّاء الكبار، ١/٨٦-٨٨، وغاية النهاية، ٢/٤٤٣.

(٦) هو حميد بن قيس الأعرج أبو صفوان المكي القاري ثقة، أخذ القراءة عن مجاهد بن جبر وعرض عليه ثلاث مرات، روى القراءة عنه سفيان بن عيينة، وأبو عمرو بن العلاء، وإبراهيم بن يحيى بن أبي حية، وجنيد بن عمرو العدواني، وعبد الوارث بن سعيد. توفي عام ١٣٠هـ رحمه الله تعالى. انظر: معرفة القُرَّاء الكبار، ١/٩٧-٩٨، وإسعاف المبطأ برجال الموطأ، للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، د.ط./١٣٨٩هـ-١٩٦٩م، ص ٨.

(٧) هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي بالولاء، أبو حفص المكي، مقرئ أهل مكة بعد ابن كثير. انفرد بحروف خالف فيها المصحف، فترك الناس قراءته، ولم يلحقوها بالقراءات المشهورة. قرأ على مجاهد، وسعيد بن جبير، ودرباس مولى ابن عباس رضي الله عنهما، وقرأ عليه أبو عمرو بن العلاء، وشبل، وعيسى بن عمر. توفي عام ١٢٣هـ رحمه الله. انظر: معرفة القُرَّاء الكبار، ١/٩٨-٩٩.

وفي الكوفة: عاصم بن أبي النجود، وسليمان الأعمش،(١) ثم حمزة،(٢) ثم الكسائي.(٣)

وفي البصرة: عيسى بن عمر،(٤) وأبو عمرو بن العلاء، وعاصم الجحدري،(٥) ثم يعقوب الحضرمي.(٦)

---

(١) هو سليمان بن مهران الأعمش، أبو محمد الأسدي الكاهلي الكوفي. قرأ القرآن على يحيى بن وثاب، وزيد بن وهب، وزر بن حبيش. وعرضه على أبي العالية الرياحي، ومجاهد، وعاصم بن بهدلة، قرأ عليه حمزة الزيات، وغيره. روى عن عبد الله بن أبي أوفى، وزيد بن وهب، وإبراهيم النخعي، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأبي عمرو الشيباني، وغيرهم. وروى عنه الحكم بن عتيبة، وزائدة، وجرير بن عبد الحميد، وأبو معاوية، ووكيع، وعبيد الله بن موسى، وأبو نعيم. توفي عام ١٤٨هـ رحمه الله تعالى. انظر: الجرح والتعديل، للإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبي محمد الرازي التميمي (٣٢٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١/١٢٧١هـ-١٩٥٢م، ٤/١٤٦–١٤٧، ومعرفة القُرَّاء الكبار، ١/٩٤–٩٦.

(٢) هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، الإمام أبو عمارة الكوفي، مولى آل عكرمة بن ربعي التيمي الزيات، أحد القُرَّاء السبعة. قرأ القرآن عرضاً على الأعمش، وحمران بن أعين، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، ومنصور، وأبي إسحاق، وغيرهم. قرأ عليه الكسائي، وسليم بن عيسى، وعبد الرحمن بن أبي حماد. توفي عام ١٥٦هـ رحمه الله تعالى. انظر: معرفة القُرَّاء الكبار، ١/ص١١١-١١٨، وغاية النهاية، ١/٢٦١–٢٦٢.

(٣) هو علي بن حمزة الكسائي، أبو الحسن الأسدي الكوفي، المقرئ، النحوي، قرأ القرآن على حمزة الزيات، وعيسى بن عمر الهمداني، وإليه انتهت الإمامة في القراءة والعربية. قرأ عليه أبو عمر الدوري، وأبو الحارث الليث، ونصير بن يوسف الرازي، وأبو عبيد القاسم ابن سلام. وسمع من جعفر الصادق، والأعمش، وزائدة، وسليمان بن أرقم، وغيرهم، وحدَّث عنه يحيى الفرَّاء، وخلف البزَّار، ومحمد ابن المغيرة، وإسحاق بن أبي إسرائيل، ومحمد بن يزيد الرفاعي، ويعقوب الدورقي، وأحمد بن حنبل، ومحمد بن سعدان، وغيرهم. توفي عام ١٨٩هـ رحمه الله تعالى. انظر: معرفة القُرَّاء الكبار، ١/١٢٠-١٢٨، وغاية النهاية، ١/٥٣٥–٥٣٧.

(٤) هو أبو عمرو عيسى بن عمر الثقفي، إمام من متقدمي النحاة، شيخ الخليل وسيبويه وابن العلاء، وأول من هذب النحو ورتَّبه. وعلى وعلى طريقته مشى سيبويه. قرأ على عاصم بن أبي النجود، وطلحة بن مصرف، والأعمش. قرأ عليه الكسائي، وعبيد الله بن موسى، وجماعة، وكان مقرئ أهل الكوفة بعد حمزة. وله اختيار في القراءة على قياس العربية. من مؤلَّفاته: الجامع، والإكمال في النحو. توفي عام ١٤٩هـ، وقيل: ١٥٦هـ رحمه الله تعالى. انظر: معرفة القُرَّاء الكبار، ١/١١٩، وبغية الوعاة، ٢/٢٣٧–٢٣٨.

(٥) هو عاصم بن العجاج أبو المجشِّر الجحدري البصري. أخذ القراءة عرضاً عن سليمان بن قتة عن ابن عباس – رضي الله عنهما – وقرأ وقرأ على نصر بن عاصم، والحسن، ويحيى بن يعمر. قرأ عليه عرضاً أبو المنذر سلام بن سليمان، وعيسى بن عمر الثقفي. توفي عام ١٢٩هـ رحمه الله. انظر: الثقات، للحافظ محمد بن حبان بن أبي حاتم التميمي البستي (٣٥٤هـ)، تح: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، دمشق، ط١/١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، ٥/٢٤٠، ومشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، للحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (٣٥٤هـ)، تح: مرزوق على إبراهيم، دار الوفاء، المنصورة، ط١/١٤١١هـ-١٩٩١م، ص ١٥٢.

(٦) هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله ابن أبي إسحاق الحضرمي البصري، أحد القُرَّاء العشرة، وإمام أهل البصرة ومقرئها، أخذ القراءة عرضاً: عن سلام بن سليم، ومهدي بن ميمون، وشهاب بن شرنفة، وأبي الأشهب العطاردي، وسمع من حمزة الزيات، وشعبة، وهارون بن موسى النحوي، وسليم بن حيان، وهمام بن يحيى، والأسود بن شيبان. قرأ عليه روح بن عبد المؤمن، ومحمد بن المتوكل رويس، والوليد بن حسان التوزي، وأحمد بن عبد الخالق المكفوف، وأبو حاتم السجستاني، وأبو عمر الدوري.
=

وفي الشام: عبد الله بن عامر،[1] وعطية بن قيس الكلابي،[2] ثم يحيى بن الحارث،[3] ثم أبو حيوة.[4]

وهكذا سارت مرحلة القراءة في القرن الأول الهجري بالاعتماد على الرواية والمشافهة من أفواه الصحابة وأفواه التابعين الذين تلقوا عنهم.

توفي عام ٢٠٥هـ رحمه الله تعالى. انظر: معرفة القُرَّاء الكبار، ١/١٥٧–١٥٨، وغاية النهاية، ٢/٣٨٦–٣٨٧.

(١) هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي، أبو عمران على الأصح، وقيل: أبو عامر، إمام أهل الشام في القراءة، وإليه انتهت مشيخة الإقراء بها، أخذ القراءة عرضاً عن أبي الدرداء ﷺ، وعن المغيرة بن أبي شهاب صاحب عثمان ﷺ، وقيل: عرض على عثمان نفسه ﷺ. ثبت سماعه من جماعة من الصحابة منهم: معاوية بن أبي سفيان، والنعمان بن بشير، وواثلة بن الأسقع، وفضالة بن عبيد ﷺ. روى القراءة عنه عرضاً يحيى بن عامر، وربيعة بن يزيد، وجعفر بن ربيعة، وإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، وغيرهم. توفي في دمشق عام ١١٨هـ رحمه الله. انظر: معرفة القُرَّاء الكبار، ١/٨٢-٨٦، وغاية النهاية، ١/٤٢٣–٤٢٤.

(٢) هو عطية بن قيس الكلابي الحمصي الدمشقي أبو يحيى، تابعي ثقة قارئ دمشق بعد ابن عامر، ولد عام سبع في حياة النبي ﷺ، عرض القرآن على أم الدرداء رضي الله عنها، عرض عليه علي بن أبي حملة وغيره. روى عن معاوية، وعبد الله بن عمر ﷺ، وروى عنه ابنه سعد بن عطية، وأبو بكر بن أبي مريم، وداود بن عمرو الدمشقي، وعبد الرحمن بن يزيد ابن جابر، وعبد الله بن العلاء بن زبر. توفي عام ١٢١هـ رحمه الله تعالى. انظر: الجرح والتعديل، ٦/٣٨٣، والثقات، لابن حبان، ٥/٢٦٠.

(٣) هو يحيى بن الحارث الذماري، أبو عمرو الغساني الدمشقي، خلف ابن عامر بدمشق وانتصب للإقراء. أخذ عن ابن عامر وقرأ أيضاً على واثلة بن الأسقع ﷺ. قرأ عليه أيوب بن تميم، والوليد بن مسلم، ومدرك بن أبي سعد، وسويد بن عبد العزيز، وهشام بن الغازي، ويحيى بن حمزة، وصدقة بن عبد الله. توفي عام ١٤٥هـ رحمه الله تعالى. انظر: الجرح والتعديل، ٩/١٣٥، والثقات، لابن حبان، ٥/٥٣٠، ومعرفة القُرَّاء الكبار، ١/١٠٥–١٠٦.

(٤) هو شريح بن يزيد أبو حيوة الحضرمي الحمصي، والد حيوة بن شريح الحافظ، صاحب القراءة الشاذة، ومقرئ الشام، روى القراءة عن أبي البرهسم عمران بن عثمان، وعن الكسائي قراءته، روى عنه قراءته: ابنه حيوة، ومحمد بن عمرو بن حنان الكلبي، وعيسى بن المنذر، ومحمد بن المصفى، ويزيد بن قرة. توفي عام ٢٠٣هـ رحمه الله. انظر: الجرح والتعديل، ٤/٣٣٤، وتهذيب التهذيب، ٤/٢٩١.

المطلب الثاني: تدوين علم القراءات:

انتقلت القراءات في القرن الثاني من طور الرواية المجرَّدة إلى طور التدوين والتأليف، وكان من أوائل المصنفين في القراءات: أبان بن تغلب[1] (١٤١هـ)[2]، ومقاتل بن سليمان البلخي[3] (١٥٠هـ)،[4] وأبو عمرو بن العلاء (١٥٤هـ)،[5] وحمزة بن حبيب الزيات (١٥٦هـ)،[6] ويعقوب بن إسحاق الحضرمي (٢٠٥هـ).[7]

وذكر بعض العلماء أن أبا عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ)[8] هو أول من جمع القراءات في كتاب قيِّمٍ ضمنه قراءة خمسةٍ وعشرين قارئاً.[9]

ثم توالت المؤلفات التي اعتنت بضبط أصول وخصائص قراءة كل إمام ثقة اشتهر في ذلك الزمان، فكان من المصنفين في علم القراءات في أواخر القرن الثالث: القاضي إسماعيل بن إسحاق البغدادي[10] (٢٨٢هـ) الذي

---

(١) هو أبان بن تغلب الربعي الكوفي النحوي الشيعي، قرأ على عاصم، وأبي عمرو الشيباني، وطلحة بن مصرف، والأعمش. أخذ القراءة عنه عرضاً محمد بن صالح بن زيد الكوفي، روى الحديث عن الحكم بن عتيبة، وأبي إسحاق الهمداني، وغيرهما، وسمع منه شعبة، وابن عيينة، وحماد بن زيد. توفي عام ١٤١هـ رحمه الله. انظر: الكامل في ضعفاء الرجال، للعلَّامة عبد الله بن عدي بن عبد الله أبي أحمد الجرجاني (٣٦٥هـ)، تح: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، ط٣/١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، ٣٨٩/١، وبغية الوعاة، ٤٠٤/١.

(٢) الفهرست، للعلَّامة محمد بن إسحاق أبي الفرج ابن النديم البغدادي (٣٨٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، د.ط./١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، ص ٣٠٨، والأعلام، ٢٦/١- ٢٧.

(٣) هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، من أعلام المفسرين. روى عن مجاهد، والضحاك، وابن بريدة، وروى عنه حرمي بن عمارة، وعلى بن الجعد، وآخرون. قال فيه ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة. وقال الشافعي: الناس عيال في التفسير على مقاتل. توفي عام ١٥٠هـ رحمه الله تعالى. انظر: سير أعلام النبلاء، ٢٠١/٧، وتهذيب التهذيب، ٢٤٩/١٠-٢٥٣.

(٤) صنف كتاب الوجوه والنظائر في القراءات. انظر: الفهرست، ص ٢٥٣، ومعجم المؤلفين، ٣١٧/١٢.

(٥) الفهرست، ص ٥٣.

(٦) ألَّف كتاب قراءة حمزة. انظر: الفهرست ص ٤٤.

(٧) ألَّف كتاب الجامع. انظر: معجم المؤلفين، ٢٤٣/١٣.

(٨) هو أبو عبيد القاسم بن سلام الخراساني الأنصاري البغدادي الإمام الحافظ أحد الأعلام المجتهدين، وصاحب التصانيف في القراءات والحديث والفقه واللغة والشعر. أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن علي بن حمزة الكسائي، وشجاع بن أبي نصر، وسليمان بن حماد، وإسماعيل ابن جعفر، وحجاج بن محمد، وهشام بن عمار، وعبد الأعلى بن مسهر، روى عنه القراءة: أحمد بن إبراهيم، وعلي بن عبد العزيز البغوي، والحسن بن محمد بن زياد القرشي، ومحمد بن أحمد بن عمر البابي، له اختيار في القراءة وافق فيه العربية والأثر. توفي عام ٢٢٤هـ رحمه الله تعالى. انظر: معرفة القُرَّاء الكبار، ١٧٠/١-١٧٣، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، للعلَّامة محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (٨١٧هـ)، تح: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط١/١٤٠٧هـ، ص ٥٣، وبغية الوعاة، ٢٥٣/٢.

(٩) النشر، ٤٦/١، والإتقان، ٢٥٣/١، ومناهل العرفان، ٣٢٢/١، واللآلئ الحسان، د.لاشين، ص ٨٩.

(١٠) هو أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم الأزدي القاضي، من كبار علماء البصرة، ولي القضاء =

ألف كتاباً جمع فيه قراءة عشرين إماماً، والإمام ابن جرير الطبري[(١)] (٣١٠هـ) الذي ألف كتاباً حافلاً سماه الجامع جمع فيه قراءة بضعةٍ وعشرين إماماً.[(٢)] ومع تقدم الزمن ازداد عدد المؤلفات، وتكاثر عدد أئمة القراءات، وعدد الطرق المتفرعة عنهم.[(٣)]

ويعدُّ الإمام ابن مجاهد أحمد بن موسى (٣٢٤هـ) من أبرز الأعلام المدوِّنين لعلم القراءات؛ حيث رأى أن ترك الأمر على ما كان عليه من الاختلاف قد يؤدي إلى اختلاط المسائل، ودخول السليم في السقيم، إن لم يتم التمييز بين من يصلح للإمامة ويتوفر لديه الإسناد الثبت، وبين من يتلقى القراءة من غير أهلها فيشوبها بالخطأ واللحن، فقام بالبحث والتحقيق والاستقراء والتتبع، وضبط ما تواتر من أسانيد القُرَّاء، واختار من وجوه القراءات الكثيرة والمتنوعة التي عُرِفَت في عصره وقبله بقليل سبع قراءات رآها الأصح والأثبت من بين تلك القراءات، وهي التي اشتهر بخدمتها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي،[(٤)] والتي سميت بالقراءات السبع المتواترة.

وقد جاء اقتصاره على هؤلاء السبعة مصادفةً ومن غير قصد؛ إذ أخذ على نفسه ألا يروي إلا عمن اشتهر بالضبط، والأمانة، وطول العمر في ملازمة القراءة، واتفاق الآراء على الأخذ عنه والتلقي منه، فلم يتم له ما أراد إلا عن هؤلاء السبعة وحدهم.[(٥)] وفي ذلك ألَّف كتابه المشهور (السبعة في القراءات) الذي ضمنه قراءة الأئمة

في بغداد. روى القراءة عن قالون، وأحمد بن سهل عن أبي عبيد وعن نصر بن علي الجهضمي عن أبيه عن أبي عمرو، وروى القراءة عنه ابن مجاهد، وابن الأنباري، ومحمد بن أحمد الإسكافي. من مؤلفاته: أحكام القرآن، ومعاني القرآن، وكتاب القراءات جمع فيه قراءة عشرين إماماً. توفي في بغداد عام ٢٨٢هـ رحمه الله تعالى. انظر: أخبار القضاة، للقاضي أبي بكر محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي البغدادي، الملقب بوكيع (٣٠٦هـ)، تح: عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١/١٣٦٦هـ-١٩٤٧م، ٢٨٠/٣، وطبقات الفقهاء، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (٤٧٦هـ)، تهذيب محمد بن جلال الدين ابن منظور، تح: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ط١/١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، ص ١٦٤-١٦٥، وغاية النهاية، ١٤٠/١.

(١) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، المفسِّر المقرئ المحدِّث المؤرِّخ الفقيه الأصولي المجتهد. ولد بآمل طبرستان عام ٢٢٤هـ. من تصانيفه: جامع البيان في تأويل القرآن، وتاريخ الأمم والملوك، وتهذيب الآثار، واختلاف الفقهاء، والقراءات. توفي عام ٣١٠هـ رحمه الله. انظر: طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة، ١٠٠/١-١٠١، وطبقات المفسرين، للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، تح: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١/١٣٩٦هـ، ص ٨٢، وطبقات المفسرين، للأدنة وي، ص ٤٨-٤٩.

(٢) النشر، ٤٦/١.

(٣) راجع: النشر، ٤٦/١-٤٨.

(٤) السبعة، ص ٤٥-٤٦.

(٥) مناهل العرفان، ٢٨٨/١.

المذكورين، وما فيها من اختلاف وجوه القراءة بين راويَي كل منهم.[١] ثم ألف كتاباً آخر في القراءات الشاذة ذكر فيه القراءات التي اختلت فيها بعض الشروط التي وضعها لقبول القراءة والاعتداد بها.[٢]

ثم توالت المؤلَّفات تبيِّن أصول القراءات السبعة وفرشها، وكان من أهم تلك المؤلفات: كتابا التيسير وجامع البيان في القراءات السبع للإمام الحافظ أبي عمرو عثمان بن سعيد الدَّاني الأندلسي (٤٤٤هـ).[٣]

وهكذا أجمعت الأمة على تواتر القراءات السبع التي اختارها ابن مجاهد، وأخذ العلماء يبذلون الجهود المتضافرة في إظهار أسانيد هذه القراءات السبع، وتحديد رواتها وطرقها والتأليف فيها.

وتجدر الإشارة إلى أن عمل ابن مجاهد لم يرضِ بعض العلماء في ذلك الزمان، حيث انتقده بعضهم باختيار العدد سبعة الذي أدخل على العوام شبهة التباس القراءات السبع بالأحرف السبعة.[٤] كما انتقدوه بإسقاط قراءة بعض القُرَّاء الذين لا يقل فضلهم عن فضل من ذكرهم، كأبي جعفر يزيد بن القعقاع، ويعقوب الحضرمي.[٥]

---

(١) هم: قالون وورش: راويا الإمام نافع، والبزي وقنبل: راويا الإمام ابن كثير، والدوري والسوسي: راويا الإمام أبي عمرو بن العلاء، وهشام وابن ذكوان: راويا الإمام ابن عامر، وشعبة وحفص: راويا الإمام عاصم، وخلف وخلَّاد: راويا الإمام حمزة، وأبو الحارث والدوري: راويا الإمام الكسائي.

(٢) المحتَسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والكشف عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، تح: علي النجدي ناصيف، د.عبد الحليم النجار، د.عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د.ط./١٣٨٦هـ. ١٩٦٦م، ٣٥/١.

(٣) هو عثمان بن سعيد بن عثمان أبو عمرو الداني، إمام في علم القرآن، ورواياته، وتفسيره. ولد عام ٣٧١هـ. قرأ بالروايات على عبد العزيز بن جعفر الفارسي، وأبي الحسن بن غلبون، وخلف بن خاقان المصري، وغيرهم، وقرأ عليه أبو داود بن نجاح، وأبو الحسين بن التنار، وأبو الحسن بن الدوش. من مؤلفاته: التيسير في القراءات السبع، والمقنع في رسم المصاحف، والاهتدا في الوقف والابتدا، وجامع البيان، وطبقات القُرَّاء. توفي عام ٤٤٤هـ رحمه الله. انظر: تذكرة الحفاظ، ٢١٢/٣، ومعرفة القُرَّاء الكبار، ٤٠٦/١–٤٠٩.

(٤) نقل الإمام ابن الجزري في النشر عن أبي العباس المهدوي قوله: "ولقد فعل مسبع هؤلاء السبعة ما لا ينبغي له أن يفعله، وأشكل على العامة حتى جهلوا ما لم يسعهم جهله، وأوهم كل من قلَّ نظره أن هذه هي المذكورة في الخبر النبوي لا غير ... وليته إذ اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل هذه الشبهة." انظر: النشر، ٤٩/١.

(٥) نقل ابن الجزري عن مكي بن أبي طالب قوله: "وقد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سبعين ممن هو أعلى مرتبة وأجل قدراً قدراً من هؤلاء السبعة، على أنه قد ترك جماعة من العلماء في كتبهم في القراءات ذكر بعض هؤلاء السبعة، واطَّرحهم. فقد ترك أبو حاتم وغيره ذكر حمزة والكسائي وابن عامر، وزاد نحو عشرين رجلاً من الأئمة ممن هو فوق هؤلاء السبعة. وكذلك زاد الطبري في كتاب القراءات له على هؤلاء السبعة نحو خمسة عشر رجلاً. وكذلك فعل أبو عبيد، وإسماعيل القاضي. فكيف يجوز أن يظن ظان أن هؤلاء السبعة المتأخرين قراءة كل واحد منهم أحد الحروف السبعة المنصوص عليها؟ هذا تخلف عظيم، أكان ذلك بنص من النبي ﷺ أم كيف ذلك؟ وكيف يكون ذلك والكسائي إنما ألحق بالسبعة بالأمس في أيام المأمون." انظر: النشر، ٤٩/١–٥٠.

ثم أهل القرن السادس ونبغ فيه الإمام الشاطبي (٥٩٠هـ)(١) الذي تصدر للإقراء في الأندلس والمغرب الإسلامي ومصر، والذي عكف على دراسة كتاب التيسير في القراءات السبع للإمام الداني، ونظمه في قصيدة لامية من البحر الطويل سماها: (حرز الأماني ووجه التهاني)، وقد ذاع صيت هذه المنظومة في البلاد الإسلامية وحفظها طلاب فن القراءات، ومن خلالها ازداد اختيار ابن مجاهد رسوخاً.(٢)

ومضت السنون تتلو السنون والقرون تتلو القرون والأمة مسلِّمة بالتواتر لهؤلاء السبعة، مختلفة في تواتر قراءة غيرهم، حتى كان مطلع القرن التاسع، حيث لمع في هذا القرن نجم الإمام ابن الجزري (٨٣٣هـ) الذي أصبح مرجع العالم الإسلامي في القراءة والإقراء، والذي أضاف إلى القراءات السبع المتواترة ثلاث قراءات أخرى أثبت تواتر أسانيدها بالحجج الواضحة، بعد أن كانت الأمة - سابقاً - تختلف في تواترها، وهي قراءة الأئمة: أبي جعفر المدني، وخلف بن هشام الكوفي،(٣) ويعقوب الحضرمي.

ثم كتب نظماً من البحر الطويل على نهج الشاطبية سماه الدرَّة المُضيَّة في القراءات الثلاث تتمة العشر، وضمنه قراءة الأئمة الثلاث المذكورين بما في ذلك الوجوه المختلفة الواردة عن راويي كل منهم.(٤) وبذلك بوأ هذه القراءات الثلاث منزلة السبع المتواترات التي قررها ابن مجاهد، ثم صنف كتابه الشهير: النشر في القراءات العشر،

---

(١) هو القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد، الإمام أبو محمد، وأبو القاسم الرعيني الشاطبي الأندلسي، المقرئ الضرير، ولد عام ٥٣٨هـ. قرأ ببلده القراءات، وأتقنها على أبي عبد الله محمد بن أبي العاص النفزي، ثم ارتحل إلى بلنسية، فعرض بها القراءات والتيسير من حفظه على أبي الحسن بن هذيل. كان شاعراً بارعاً، وقد سارت الركبان بقصيدتيه: حرز الأماني، وعقيلة أتراب القصائد اللتين نظمهما في القراءات والرسم. وتعد قصيدته حرز الأماني من عيون الشعر، وتمتاز بالرقة والعذوبة، وسلاسة اللفظ وجزالته، وقد اختصر بها كتاب (التيسير في القراءات السبع) لأبي عمرو الداني، توفي في مصر عام ٥٩٠هـ رحمه الله تعالى. انظر: سير أعلام النبلاء، ٢٦١/٢١-٢٦٣، ومعرفة القُرَّاء الكبار ٥٧٣/٢-٥٧٥.

(٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٦٨١هـ)، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١/١٩٩٤م، ٧١/٤، ومعرفة القُرَّاء الكبار، ٥٧٣/٢-٥٧٤.

(٣) هو خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف بن ثعلب أحد القُرَّاء العشرة، ولد عام ١٥٠هـ، أخذ القرآن عرضاً عن سليم بن عيسى، وعبد الرحمن بن أبي حماد عن حمزة، ويعقوب بن خليفة الأعشى. وأخذ حرف نافع عن إسحاق المسيبي، وقراءة أبي بكر عن يحيى بن آدم. قرأ عليه أحمد بن يزيد الحلواني، ومحمد بن يحيى الكسائي الصغير، وإدريس بن عبد الكريم الحداد، ومحمد بن الجهم، وسلمة بن عاصم. توفي عام ٢٢٠هـ رحمه الله تعالى. انظر: معرفة القُرَّاء الكبار، ٢٠٨/١-٢٠٩، وغاية النهاية، ٢٧٢/١.

(٤) هم ابن وردان وابن جماز: راويا الإمام أبي جعفر، ورويس وروح: راويا الإمام يعقوب، وإسحاق وإدريس: راويا الإمام خلف.

وأورد فيه القراءات الثلاث المتممة للعشر، ورواياتها العشرين، والطرق والوجوه التي تفرَّعت عن تلك الروايات، والتي لم يكن الشاطبي قد أشار إليها من قبل.[1]

وبيان ذلك: أن العلماء اتفقوا على التمييز بين قراءة الأئمة السبعة أو العشرة، وقراءة رواتهم الذين أخذوا عنهم، وقراءة من أخذ عن رواتهم.

فأطلقوا اسم **القراءة** على ما نُسِبَ لأحد الأئمة السبعة أو العشرة، شريطة اتفاق الروايات والطرق التي نقلت عنه. واسم **الرواية** على ما نُسِبَ للراوي عن الإمام شريطة اتفاق الطرق التي نقلت عنه. وقد ذكر الشاطبي في قصيدته القراءات والروايات التي اختلف فيها راويا كلِّ قارئ.

وأطلق العلماء مصطلح **الطريق** على ما يُنسَب إلى من أخذ عن الرواة فنازلاً. واسم **الوجه** على ما كان راجعاً إلى تخيير القارئ فيه.[2] وهذه الطرق والوجوه هي التي زادها ابن الجزري في النشر، ولم يذكرها الشاطبي.

ويمكن إيضاح هذه المصطلحات بالأمثلة الآتية:

قرأ الأئمة عاصم والكسائي ويعقوب وخلف ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [سورة الفاتحة/٤] خلافاً للجمهور الذين قرؤوا ﴿مَلِكِ﴾ بحذف الألف،[3] وكل من ﴿مَالِكِ﴾ و﴿مَلِكِ﴾ يطلق عليه اسم (القراءة)؛ لأن الخلاف فيها بين الأئمة القراء، والرواة الذين نقلوا عن أئمتهم لم يختلفوا عنهم في قراءاتهم، وكل كلمة قرآنية اتفق الراويان في قراءتها عن شيخهما تُنسَب إلى الإمام، ولا يُذكر الرواة في أثناء بيانها، ويطلق عليها اسم القراءة.

أما إذا اختلف الراويان في القراءة عن شيخهما فنذكر الراوي عن إمامه، ولا نقول إن قراءة الإمام كذا؛ لاختلاف الرواة في النقل عنه، وإنما نقول هذه رواية حفص عن عاصم، أو ورش عن نافع، مثاله: قرأ رُوَيس[4] عن يعقوب ﴿انْطَلَقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ [سورة المرسلات/٣٠] بفتح لام ﴿انْطَلَقُوا﴾، على صيغة الفعل

---

(١) النشر، ١/٢١٨.

(٢) النشر، ٢/٢٢٨، واللآلئ الحسان، د.لاشين، ص ٩٠–٩١، والمنح الإلهية في جمع القراءات السبع من طريق الشاطبية، للشيخ خالد ابن محمد الحافظ العِلْمي، دار الزمان، المدينة المنورة، ط١/ ١٤١٩هـ–١٩٩٨م، ص ١٢–١٣. وقد أخَّرت الحديث عن الفرق بين القراءة والرواية والطريق ولم أذكره في المبحث الأول؛ لتعلُّق فهم معناه على معرفة تاريخ القراءات.

(٣) النشر، ١/٣١٠.

(٤) هو محمد بن المتوكل أبو عبد الله اللؤلؤي، رويس المقرئ، قرأ على يعقوب، وهو أحد أشهر راويين عنه، وتصدر للإقراء. قرأ عليه محمد ابن هارون التمَّار، وأبو عبد الله الزبيري الفقيه الشافعي. توفي في البصرة سنة ٢٣٨هـ رحمه الله. انظر: معرفة القراء الكبار، ١/ ٢١٦.

الماضي، خلافاً لرَوح[1] الذي قرأ ﴿انْطَلِقُوا﴾ بصيغة الأمر، وكل من ﴿انْطَلَقُوا﴾، ﴿انْطَلِقُوا﴾ يسمى رواية؛ لاختلاف الرواة في نقلهم عن إمامهم.

وفي حال اختلاف النقل عن الراوي نذكر الطريق الذي ورد فيه الخلاف، ولا نقول: هذه رواية هشام[2] عن ابن عامر مثلاً؛ لاختلاف الطرق الناقلة عنه. مثاله: قرأ الجمهور ﴿لِبَدًا﴾ [سورة الجن/١٩] بكسر اللام، خلافاً لابن عامر الذي قرأ بالضم والكسر، ثم أقرأ ابن عامر راويه ابن ذكوان[3] بكسر اللام، وأقرأ هشام بالوجهين، ثم أقرأ هشام تلميذه الحلواني[4] بالوجهين أيضاً، والحلواني أقرأ بعض تلاميذه بالكسر، وبعضهم بالضم فاختلف النقل عنه، ولذلك لا نقول إن ﴿لُبَدًا﴾ بضم اللام هو رواية هشام عن ابن عامر؛ لأنه يوهم أن هشاماً لا يقرأ إلا بالضم وهذا خلاف الواقع؛ لأن هشاماً يقرأ بكسر اللام أيضاً، وإنما نقول إن القراءة بضم اللام هي رواية هشام من طريق ابن عبدان[5] عن الحلواني، والقراءة بكسر اللام هي رواية هشام من طريق الفضل بن شاذان[6] عن الحلواني.[7]

---

(١) هو روح بن عبد المؤمن، أبو الحسن البصري المقرىء، صاحب يعقوب الحضرمي كان متقناً مجوداً، روى عن أبي عوانة، وحماد بن زيد، وجعفر بن سليمان الضبعي. قرأ عليه أحمد بن يزيد الحلواني، وأبو الطيب بن حمدان، وأبو بكر محمد بن وهيب الثقفي، وأحمد بن يحيى الوكيل. روى عنه البخاري في صحيحه. توفي عام ٢٣٣هـ رحمه الله تعالى. انظر: معرفة القُرَّاء الكبار، ٢١٤/١.

(٢) هو: هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة أبو الوليد السلمي، ويقال: الظفري الدمشقي، ولد عام ١٥٣هـ، وكان شيخ أهل دمشق، ومفتيهم، وخطيبهم، ومقرئهم، ومحدثهم. قرأ القرآن على عراك بن خالد، وأيوب بن تميم، وغيرهما من أصحاب يحيى الذماري، وهو أحد أشهر راويين عن ابن عامر. توفي عام ٢٤٥هـ رحمه الله تعالى. انظر: معرفة القُرَّاء الكبار، ١٩٥/١-١٩٨.

(٣) هو: عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان أبو عمرو، الدمشقي المقرىء. قرأ على أيوب بن تميم وغيره، وقرأ عليه هارون بن موسى الأخفش، ومحمد بن موسى الصوري، ومحمد بن القاسم الإسكندراني، وأحمد بن يوسف التغلبي، وآخرون. توفي عام ٢٤٢هـ رحمه الله تعالى. انظر: معرفة القُرَّاء الكبار، ١٩٨/١—٢٠١.

(٤) هو أحمد بن يزيد الحلواني بن أزداذ، ويقال: يزداذ الصفار، أبو الحسن المقرئ. قرأ بمكة على أحمد بن محمد القواس، وبالمدينة على قالون، وبالكوفة والعراق على خلف وخلاد والدوري، وبالشام على هشام بن عمار. كان ثبتاً متقناً ضابطاً خصوصاً في قالون وهشام. توفي عام ٢٥٠هـ رحمه الله تعالى. انظر: معرفة القُرَّاء الكبار ٢٢٢/١، وغاية النهاية، ١٤٩/١.

(٥) هو محمد بن أحمد بن عبدان الجزري، عرض على أحمد بن يزيد الحلواني عن هشام، قرأ عليه عبد الله بن الحسين السامري وحده. عاش أكثر من مائة سنة، ولا يُعرَف تاريخ وفاته رحمه الله تعالى. انظر: غاية النهاية، ٣٠٥/٢.

(٦) هو الفضل بن شاذان بن عيسى أبو العباس الرازي، أخذ القراءة عرضاً عن أحمد بن يزيد الحلواني، ومحمد بن إدريس الأشعري، ومحمد ومحمد ابن عيسى الأصبهاني، روى القراءة عنه ابنه أبو القاسم العباس، والحسن بن سعيد الرازي، وصالح بن مسلم، وأحمد بن محمد بن عبد الصمد، وأبو الحسن بن شنبوذ. توفي عام ٢٩٠هـ رحمه الله تعالى. انظر: معرفة القُرَّاء الكبار، ٢٣٤/١.

(٧) التيسير في القراءات السبع، للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو الداني (٤٤٤هـ)، دار الكتاب العربي، =

مثال آخر: أخذ نافع عن شيوخه القراءة بإثبات البسملة بين السورتين وعدمه، ثم أقرأ راويه قالون(١) بالإثبات، وأقرأ ورش بالوجهين، وكذلك فعل ورش أيضاً، فاختلف الأخذ عنه، ولذلك لا نقول: إن إثبات البسملة هو رواية ورش عن نافع؛ لأنه يوهم أن ورشاً لا يقرأ إلا بهذا الوجه، وهذا خلاف الواقع؛ لأنه يقرأ أيضاً بوجه آخر هو عدم الإثبات، وإنما نقول: إثبات البسملة هو رواية ورش من طريق الأصبهاني(٢).

ويمكن التمثيل بإثبات البسملة بين السورتين لكل من القراءة والرواية والطريق، فنقول: إثبات البسملة قراءة ابن كثير والكسائي وأبي جعفر، وهي رواية قالون عن نافع، وطريق الأصفهاني عن ورش.(٣)

وخلال الفترة ما بين عصري ابن مجاهد وابن الجزري كُتب الكثير من الكتب الأمهات في علم القراءات، التي كانت مرجعاً لابن الجزري في تأليف كتابه النشر.(٤) وبعد ابن الجزري ترسَّخ علم القراءات، واتضحت معالمه وكثرت المؤلفات فيه، ولا يزال الباحثون إلى يومنا هذا يهتمون بهذا العلم وبالتأليف فيه.(٥)

مما سبق يتبيَّن أن القراءات القرآنية نشأت في العهد المدني زمن نزول القرآن الكريم، وأن النبي ﷺ قرأ بها كما أقرأه جبريل عليه السلام ولم يعمل اجتهاده في شيء منها، ثم نقلها عنه الصحابة رضي الله عنهم حتى وصلت إلى الأئمة القراء، فوضعوا أصولها، وبيَّنوا قواعدها في ضوء ما وصل إليهم منقولاً عن النبي ﷺ. وبناءً عليه، فإن نسبة القراءات إلى القُرَّاء لا يعني أنهم هم الذين أنشؤوها أو اجتهدوا في تأليفها، وإنما نسبت القراءات إليهم؛ لأنهم هم الذين اعتنوا بها، وضبطوها، ووضعوا لها القواعد والأصول.

بيروت، ط١٤٠٤/٢هـ-١٩٨٤م، ص ١٣٦، والنشر، ٤٣٢/٢.

(١) هو عيسى بن ميناء بن وردان بن عيسى الزرقي مولى بني زهرة، أبو موسى، قارئ أهل المدينة في زمانه ونحويهم، قيل: إنه كان ربيب نافع، وهو الذي لقبه قالون؛ لجودة قراءته، وهي لفظة رومية معناها: جيد. لم يزل يقرأ على نافع حتى مهر وحذق، وعرض القرآن أيضاً على عيسى بن وردان الحذاء، توفي عام ٢٢٠هـ رحمه الله تعالى. انظر: معرفة القُرَّاء الكبار، ١٥٥/١-١٥٦.

(٢) هو محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن شبيب أبو بكر الأصبهاني المقرىء شيخ القُرَّاء في زمانه، قرأ لورش على عامر الجرشي، وعبد الرحمن بن داود بن أبي طيبة، وسمع القراءة على يونس بن عبد الأعلى صاحب ورش، وحذق في معرفة حرف نافع، قرأ عليه هبة الله ابن جعفر، وعبد الله بن أحمد المطرز، ومحمد بن يونس، وإبراهيم بن جعفر، وابن مجاهد. توفي عام ٢٩٦هـ رحمه الله تعالى. انظر: معرفة القُرَّاء الكبار، ٢٣٢/١-٢٣٣.

(٣) النشر، ٢٢٨/٢.

(٤) راجع: النشر، ٩٠/١-١١٨.

(٥) من أشهر الكتب المعاصرة التي جمعت القراءات العشر: كتاب البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، للشيخ عبد الفتاح القاضي.

ويجدر الذكر أن كل إمام من الأئمة العشرة لم يكن يؤمن بقراءة نفسه فقط، ويدعو إليها من دون القراءات الأخرى، بل كان كلٌّ واحدٍ من القراء العشرة يعلم ثبوت سائر القراءات الأخرى كما يعلم ثبوت قراءته، ولكنه كان قد أخذ بها وحدها، وعكف على خدمتها، وتخريج المزيد من أسانيدها.[1]

وفي المطلب الآتي دراسة تاريخية لعلم التوجيه الذي تفرع عن علم القراءات، وعني ببيان معانيها، وإعرابها.

---

(١) من روائع القرآن، ص ١٢٥.

المطلب الثالث: علم توجيه القراءات: نشأته وتطوره.

التوجيه لغةً: من الوجه، ووجهُ كل شيء: مستقبله، ووجهُ النهار: أوله، ووجهُ النجم: ما بدا منه، ولقيه وِجَاهاً ومُواجَهَةً: قابل وجْهَه بوَجهِهِ، وتَواجَه المنزلان والرجلان: تقابلا، ووُجوهُ القوم: سادتهم، ووجهُ الكلام: السبيل الذي يقصده به، والجهة والوِجْهَةُ: الموضع الذي تتوجه إليه وتقصده،[(١)] يقال: خرج القوم فوجَّهوا للناس الطريقَ توجيهاً: إذا وَطَّؤوه وسَلَكُوه حتى استبان أَثَرُ الطريق لمن يسلكه.[(٢)]

أما التوجيه اصطلاحاً: فلم تسعف مصادر هذا الفنّ بتقديم تعريف جامع مانع لعِلم التوجيه، ولعل سبب ذلك هو أن بعض علماء القراءات استعاضوا عن تعريفه بعناوين كتبهم، كـ (الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها)، لمكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ)، و(المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، والإيضاح عنها)، لابن جني (٣٩٢هـ).[(٣)]

ولعل أقرب ما يُعرَّف به هذا المصطلح أنه: (علم يُعنى بالكشف عن وجوه إعراب القراءات، وعللها، وحججها، وبيان معانيها، والإيضاح عنها.)[(٤)]

وقد تعرض الزركشي في البرهان للحديث عن هذا الفنِّ وبيَّن معناه بقوله: "معرفة توجيه القراءات وتبيين وجه ما ذهب إليه كل قارئ، وهو فن جليل وبه تعرف جلالة المعاني وجزالتها."[(٥)] فذهب بذلك إلى تخصيص هذا العلم بالبحث في وجوه المعاني المترتبة على تعدد القراءات. وهذا التخصيص غير صحيح؛ لأن الكتب التي اعتنت بتوجيه القراءات تناولت بالدراسة جهات أخرى غير البحث في معانيها كما سيأتي لاحقاً.

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم، ٣٩٦/٤-٣٩٨،

(٢) تهذيب اللغة، ١٨٧/٦.

(٣) هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، من أئمة الأدب والنحو. كان أبوه مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي. من كتبه: (المحتسب) في توجيه القراءات الشاذة، وسر صناعة الإعراب، واللمع، و(الخصائص) في النحو. توفي في بغداد عام ٣٩٢هـ رحمه الله تعالى. انظر: سير أعلام النبلاء، ١٧/١٧-١٩، وبغية الوعاة، ١٣٢/٢.

(٤) الأصول، دراسة أبيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، حسان تمام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط./١٩٨٢م، ص٩٤. وهو التعريف الذي تبناه الدكتور أحمد سعد محمد في كتابه التوجيه البلاغي، انظر: التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، د.أحمد سعد محمد، نشر مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢/د.ت، ص ٢٣.

(٥) البرهان، ٣٣٩/١.

وقد نشأ علم توجيه القراءات زمن الصحابة ﷺ؛ حيث ورد في بعض الروايات عنهم تعليلات وتوجيهات متفرقة لبعض القراءات بغرض تعليلها أو تفسيرها. فقد روي عن ابن عباس ﷺ أنه كان يقرأ ﴿نُنْشِرُهَا﴾(١) بالراء المهملة من قوله تعالى: ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ [سورة البقرة/٢٥٩] ويحتج لقراءته هذه بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ [سورة عبس/٢٢]، أي: إنَّه كان يحمل قراءته على معنى الإحياء.(٢)

وروي أن عائشة رضي الله عنها قالت في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء قَالَ اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة المائدة/١١٢] قالت: "كان الحواريّون أعلم بالله من أن يقولوا: هل يستطيع ربُّك، إنما قالوا: هل تستطيع أنت ربَّك؟ هل تستطيع أن تدعوه."(٣) وهي بذلك تحمل هذه القراءة على القراءة المتواترة الأخرى: ﴿هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ﴾.(٤)

كما وُجِدت بعض التعليلات والتوجيهات لبعض القراءات لدى بعض التابعين، مثال ذلك: ما ورد عن أبي عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) أنه كان يقرأ ﴿يَصْدُرَ﴾ بفتح الياء وضم الدال(٥) من قول الله تعالى: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ [سورة القصص/٢٣] ويحتج لاختياره بأن: "المراد من ذلك حتى ينصرف الرعاء عن الماء، ولو كان (يُصْدِر) كان الوجه أن يذكر المفعول فيقول: (حتى يُصْدِرَ الرعاءُ ماشيَتَهم)، فلما لم يذكر مع الفعل المفعول علم أنه غير واقع، وأنه (يَصْدُرَ الرّعاء) بمعنى: ينصرفون عن الماء."(٦)

ثم ظهرت في ثنايا كتب اللغة، وعلوم القرآن، والتفسير، ومعاني القرآن الكثير من التوجيهات التي يتبلّغ بها اللغويون إلى الاستشهاد على بعض قواعدهم، أو إلى ترجيح وجه لغوي على آخر، ويستعين بها المفسرون على

---

(١) قرأ ابن عامر والكوفيون بالزاي المعجمة والباقون بالراء المهملة. انظر: السبعة، ص ١٨٩، وتحبير التيسير في القراءات العشر، للإمام شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف ابن الجزري (٨٣٣هـ)، دار الفرقان، تح: د.أحمد محمد مفلح القضاة، الأردن، عمان، ط١/١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص ٣٠٩.

(٢) معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (٢٠٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط٣/١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ١٧٣/١.

(٣) إسناده ضعيف. أخرجه الطبري في تفسيره، ٢١٩/١١، وفي السند عنده ابن وكيع وهو سفيان بن وكيع بن الجراح. قال ابن حجر في التقريب: "كان صدوقاً إلا أنه ابتلى بِوراقه، فأدخل عليه ما ليس من حديثه، فنُصِح فلم يقبل، فسقط حديثه." انظر: تقريب التهذيب، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تح: محمد عوَّامة، دار الرشيد، حلب، ط١/١٤٠٦هـ، ٢٤٥/١.

(٤) قرأ الكسائي ﴿هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ﴾ بتاء الخطاب ونصب الباء، وقرأ الباقون ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ بياء الغيب ورفع الباء. انظر: السبعة، ص ٢٤٩، والتيسير، ص ٧٥، والنشر، ٢٨٩/٢.

(٥) قرأ البصري والشامي وأبو جعفر ﴿يَصْدُرَ﴾ بفتح الياء وضم الدال، وقرأ الباقون ﴿يُصْدِرَ﴾ بضم الياء وكسر الدال. انظر: التيسير، ص ١١٣، وتحبير التيسير، ص ٤٩٧.

(٦) حجة أبي زرعة، ص٥٤٣.

بيان المعاني التي تتضمنها الآيات.(١) فهذا سيبويه (١٨٠هـ)،(٢) يستشهد بالقراءات في كتابه، ويحتجُّ لها،(٣) وتستطيع أن تعُدّ ذلك مذهب أستاذه الخليل؛(٤) إذ كان سيبويه كثير النقل عنه والتأثر به.(٥)

ويعدُّ الإمام ابن جرير الطبري (٣١٠هـ) من أوائل من تتبعوا القراءات القرآنية توجيهاً وبياناً في تفسيره جامع البيان، حيث كان يذكر وجوه القراءات المتعددة، ويبيِّن حجة كل منها من حيث اللغة والنحو، ويحتج لها بما يحضره من شواهد الشعر والنثر، كما يحتج للقراءات من جهة موافقتها لبعض اللهجات العربية القديمة، ويستخرج الأحكام الفقهية المترتبة على تنوع القراءات.(٦)

وبعد الإمام الطبري جاء العلَّامة المقرئ ابن مجاهد (٣٢٤هـ)، فاختار سبع قراءات لسبعة من مشاهير قراء الأمصار، وضمَّنها كتابه (السبعة في القراءات)، ثم ألَّف كتاباً آخر في الشواذ من القراءات، ففتح بعمله هذا الباب لدراسات مستقلة في توجيه القراءات والاحتجاج لها، تمحورت حول ما في كتابيه من مرويات، فكان كتاب

---

(١) انظر: توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية لغة وإعراباً وتفسيراً، بحث مقدَّم لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، إعداد الطالب: عبد العزيز بن علي بن علي الحربي، إشراف: د. محمد سيدي الحبيب، عام ١٤١٧هـ، ص ٧٢.

(٢) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقَّب سيبويه: إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو. ولد في إحدى قرى شيراز عام ١٤٨هـ، أخذ النحو والأدب عن: الخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب، وأبي الخطاب الأخفش، وعيسى بن عمر، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه، وصنف كتابه المسمى (كتاب سيبويه) في النحو، ورحل إلى بغداد، فناظر الكسائي، وعاد إلى الأهواز، فتوفي بها عام ١٨٠هـ، وقيل: وفاته وقبره في شيراز رحمه الله تعالى. انظر: تهذيب الكمال، للحافظ يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبي الحجاج المزي (٧٤٢هـ)، تح: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١/١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ٣٣٢/٨، وسير أعلام النبلاء، ٣٥١/٨-٣٥٢، وبغية الوعاة، ٢٢٩/٢.

(٣) وقد أُلِّف في ذلك رسالة علمية هي: القراءات في الكتاب لسيبويه (توجيهاً نحوياً)، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة، إعداد الطالبة: نبيهة عبد الرحيم السندي، إشراف: أ.د. عبد العزيز برهام، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٤) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم أبو عبد الرحمن البصري الفراهيدي الأزدي النحوي اللغوي الزاهد، من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، وهو أستاذ سيبويه النحوي. ولد سنة ١٠٠هـ في البصرة. من كتبه: العين، ومعاني الحروف، وجملة آلات العرب، وتفسير حروف اللغة، وكتاب العروض، والنقط والشكل. توفي سنة ١٧٠هـ رحمه الله تعالى. انظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ص ٢١-٢٢، وبغية الوعاة، ٥٥٧/١-٥٦٠.

(٥) الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، إعداد محمد أحمد عبد عبد العزيز الجمل، إشراف: أ.د. فضل حسن عباس، جامعة اليرموك، الأردن، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ص ٢٠٦.

(٦) وقد أُلِّف في ذلك بعض الرسائل العلمية، منها: القراءات عند ابن جرير الطبري في ضوء اللغة والنحو، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية، إعداد أحمد خالد بابكر، وإشراف: د.عبد العزيز برهام، جامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه (٣٧٠هـ)[١] والحجة للقراء السبعة، للفارسي (٣٧٧هـ)[٢] والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني (٣٩٢هـ) والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ)، وكشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات، لنور الدين أبي الحسن علي بن الحسين الباقولي (٥٤٣هـ)،[٣] وغيرها، مما عرج بهذا الفن من مرحلة الملاحظات الأولية المتفرقة إلى مرحلة الاستقلال والنضج، فاتضحت بذلك معالم علم التوجيه، وترسخت أصوله.[٤]

ولا يزال الباحثون إلى يومنا هذا يتناولون علم توجيه القراءات بالدراسة والبحث، فنجد مثلاً من الكتب المعاصرة: القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، للشيخ عبد الفتاح القاضي (١٤٠٣هـ)، والمغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، للدكتور محمد سالم محيسن (٢٠٠١م).

وقد ازداد علم توجيه القراءات رسوخاً في العصر الحاضر على أيدي الباحثين المعاصرين الذين نهجوا نهجاً آخر في تناولهم لهذا العلم، فأخذوا يدرسون كل ناحية منه على حدة دراسة مستقلة تتميَّز بالتفصيل والاستقصاء، فترى بعضهم يحتج للقراءات من جهة موافقتها للقواعد النحوية، أو يحتج بها لإثبات بعض القواعد النحوية المرجوحة.[٥] وترى آخرين يهتمون بتعليل بعض وجوه الأداء تعليلاً يستند غالباً إلى معطيات علم الأصوات، ومبدأ

---

(١) هو الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله النحوي الهمداني، إمامُ اللغة والقراءة، قرأ القرآن على ابن مجاهد، والنحو والأدب على ابن دريد ونفطويه وأبي بكر ابن الأنباري، وسمع الحديث من محمد بن مخلد العطار وغيره. سكن حلب واختص بسيف الدولة بن حمدان وأولاده، وهناك انتشر علمه وروايته. من مؤلَّفاته: الجمل في النحو، والاشتقاق، والقراءات، وإعراب ثلاثين سورة، والبديع في القراءات السبع. توفي في حلب عام ٣٧٠هـ رحمه الله. انظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ص ١٨، وبغية الوعاة، ١/٥٢٩–٥٣٠.

(٢) هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الفسوي، أحد الأئمة في علم العربية. ولد عام ٢٨٨هـ، قدم حلب عام ٣٤١هـ، فأقام مدة عند سيف الدولة، ثم عاد إلى فارس وتعلم النحو ونبغ فيه. من مؤلفاته: الإيضاح، والحجة، وجواهر النحو، والإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني، والعوامل في النحو. توفي عام ٣٧٧هـ رحمه الله تعالى. انظر: سير أعلام النبلاء، ١٦/٣٧٩–٣٨٠، وبغية الوعاة، ١/٤٩٦.

(٣) هو علي بن الحسين بن علي الضرير النحوي، أبو الحسن الباقولي النحوي الجامع. من مؤلَّفاته: شرح الجمل، والجواهر، والمجمَل، والبيان في شواهد القرآن، وعلل القراءات. توفي نحو عام ٥٤٣هـ رحمه الله تعالى. انظر: بغية الوعاة، ٢/١٦٠، والأعلام، ٤/٢٧٩.

(٤) التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، د.أحمد سعد محمد، ص٢٤-٢٥.

(٥) ومن الرسائل العلمية في ذلك: القراءات العشر المختلفة في العلامة الإعرابية وأثر ذلك في المعنى، من خلال كتاب النشر لابن الجزري، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في النحو والصرف، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، للطالب: مبروك حمود الشمري، إشراف: د.سعد حمدان الغامدي، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، وأثر القراءات الشاذة في الدراسات النحوية والصرفية، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في النحو والصرف، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، إعداد: أحمد محمد أبو عريش الغامدي، إشراف: د.عبد =

ومبدأ الخفة والاختصار.(١) وآخرين يتناولون دراسة تنوع الصيغ الصرفية للقراءات المختلفة وأوزانها واشتقاقاتها.(٢) ومن الباحثين من يهتم بدراسة القراءات من حيث موافقتها لبعض اللهجات واللغات العربية القديمة.(٣) ومنهم من يعمل فكره باستنباط الأحكام الفقهية المتغايرة المترتبة على تعدد القراءات، ويحاول الجمع بينها،(٤) ويهتم باحثون آخرون بدراسة الوجوه البلاغية المترتبة على تنوع القراءات، ويبرزون دورها في إثراء بلاغة القرآن بوصفها وجهاً من وجوه إعجازه.(٥)

وهكذا فإن علم توجيه القراءات يشتمل على عدة أنواع بحسب الاتجاه الذي يختار الباحث الاعتناء به، والناحية التي يهتم بدراستها، فهو إما توجيهٌ لغويٌ، أو نحوي، أو صرفي، أو صوتي، أو فقهي، أو بلاغي.

الفتاح إسماعيل شلبي، ١٤٠٩هـ. ١٩٨٩م.

(١) من الرسائل العلمية في ذلك: الظواهر الصوتية في كتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الغرناطي في ضوء علم اللغة الحديث، بحث مقدَّم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، إعداد: عبد القادر سيلا، وإشراف: أ.د. فوزي يوسف الهابط، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية اللغة العربية، قسم اللغويات، العام الدراسي: ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ص ٨٨—٨١٣، والإعجاز البياني في الصوت القرآني، بحث مقدَّم إلى مؤتمر كلية الشريعة السابع المنعقد بجامعة الزرقاء الأهلية، الأردن، سنة ٢٠٠٥م، تحت عنوان (إعجاز القرآن الكريم)، إعداد: د.نجيب علي عبد الله السودي، ص ٥—٣٦، ومن الكتب التي تخصصت بالتوجيه الصوتي للقراءات: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د.عبد الصبور شاهين، والتجويد والأصوات، د.إبراهيم محمد نجا.

(٢) من الرسائل العلمية في ذلك: اختلاف البنيَّة الصرفيَّة في القراءات السبع من طريق الشاطبيَّة، توجيهه وأثره على المعنى، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغويات والنحو والصرف، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، إعداد الطالب: منصور سعيد أحمد أبو راس، إشراف: د.مصطفى عبد الحفيظ سالم، ١٤٢٥-١٤٢٦هـ، وأثر القراءات الشاذة في الدراسات النحوية والصرفية، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في النحو والصرف، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، إعداد: أحمد محمد أبو عريش الغامدي، إشراف: د.عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، مجلد٢/٤٦٣—٩٢٠.

(٣) من الرسائل العلمية في ذلك: الإعلال والإبدال والإدغام في ضوء القراءات القرآنية واللهجات العربية، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الفلسفة في اللغة العربية، تخصص النحو والصرف، جامعة أم القرى، كلية التربية للبنات، مكة المكرمة، إعداد الطالبة: أنجب غلام نبي بن غلام محمد، إشراف: أ. د.عبد الله درويش، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، ص ٢٧—٣٩٠. والمقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، د.محمد سالم محيسن (١٤٢٢هـ)، دار محيسن، القاهرة، ط٦/١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص ١٥—١١٣.

(٤) من الرسائل العلمية في ذلك: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية، لجامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، فرع الكتاب والسنة، إعداد الطالب: محمد بن عمر بن سالم بازمول، إشراف: د.عبد الستار فتح الله سعيد. ١٤١٢هـ-١٤١٣هـ.

(٥) من الرسائل العلمية في ذلك: التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، جامعة عين شمس، كلية التربية، إعداد أحمد سعد محمد، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م. والوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، إعداد محمد أحمد عبد العزيز الجمل، إشراف: أ.د. فضل حسن عباس، جامعة اليرموك، الأردن، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

وهذا البحث سيوجه الاهتمام إلى الجانب البلاغي للقراءات المتعددة ليتوصل من خلاله إلى معرفة أثر تنوع القراءات في بلاغة نظم القرآن، وهذا الجانب هو الذي يُعرَف باسم: التوجيه البلاغي للقراءات.

والتوجيه البلاغي للقراءات لم يحظَ بتعريف دقيق له في كتب المتخصصين، فقد عرَّفه: الدكتور أحمد سعد محمد بأنه: "اتجاه يعنى بالإشارة إلى الوجوه البلاغية المترتبة على تغاير القراءات واختلافها، وتلمُّس دورها في إثراء بلاغة القرآن بوصفها وجهاً من وجوه إعجازه."[1] وهذا التعريف فيه إسهاب؛ حيث يذكر المؤلِّف أن تعدد القراءات هو وجه من وجوه إعجاز القرآن، وهذا أمر معروف لا داعي لذكره ضمن التعريف، وفيه إشارة إلى أن تغاير القراءات يحمل بين طياته اختلاف التناقض كما توحي بذلك عبارة (تغاير القراءات واختلافها) والتعبير بكلمة تعدد أو تنوع أفضل. والتعريفات يطلب فيها الدقة والاختصار؛ لذا عرَّفت التوجيه البلاغي بما يأتي:

التوجيه البلاغي: هو العلم الذي يعنى بدراسة الأغراض البلاغية التي تشتمل عليها القراءات المتنوعة، ويبرز دورها في إثراء معاني القرآن ومقاصده البلاغية.

والمبحث الآتي سيتناول دراسة أنواع القراءات من حيث أسانيدها ومن حيث تعلقها بالتفسير، وحكم القراءة والتفسير بها؛ لينتقل في الفصول الآتية إلى الدراسة البلاغية للقراءات، وأثرها في بلاغة نظم القرآن.

---

(١) التوجيه البلاغي، ص ٣٠.

المبحث الثالث: أنواع القراءات وأحكامها.

المطلب الأول: أنواع القراءات من حيث أسانيدها وتوفُّر شروط قبولها، وأحكامها.

المطلب الثاني: أنواع القراءات من حيث تعلقها بالتفسير، وأحكامها.

تسابق العلماء منذ القرون الإسلامية الأولى إلى تنقيح القراءات وتمييز صحيحها، فاختار ابن مجاهد سبع قراءات لسبعة من مشاهير القراء، ثم اختار ابن الجزَري ثلاثة أخرى توفَّر فيها شروط السبع. كما تسابق العلماء في تلك العصور إلى تعليل القراءات وتوجيهها، وبيان المعاني المترتبة على اختلافها. وهذا المبحث سيبيِّن أنواع القراءات من حيث اختلاف أسانيدها، وتوفُّر شروط قبولها، ومن حيث علاقتها باختلاف المعاني، وحكم كل نوع منها.

المطلب الأول: أنواع القراءات من حيث أسانيدها، وتوفُّر شروط قبولها، وأحكامها.

يليق بعلم القراءات أن يتبوأ المرتبة العليا بين العلوم الإسلامية المتصلة بالقرآن الكريم؛ لأنه علم يُعنَى بكيفية أداء كلمات القرآن والنطق بها، معزوةً لناقليها بأسانيد صحيحة متصلة بالنبيّ ﷺ. أي: إنَّه يعنى بشكل مباشر بكلام الله ﷻ الذي هو أشرف كلام، وأصدقه.

ولأجل هذه المكانة التي يتمتع بها هذا العلم انبرى العلماء منذ العصور الإسلامية الأولى لتنقية هذا العلم وحفظه، فوضعوا شروطاً قوية تؤكّد أن هذا الكلام قد نُقِلَ برواياته المختلفة، ووجوهه عن النبيّ ﷺ عن ربّ العزة ﷻ. وهذه الشروط هي: أن يصح سندها،[1] وأن توافق وجهاً من وجوه النحو، وأن توافق رسم المصحف العثماني على الشكل الذي كتب في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه.[2]

وقد نظم المحقق ابن الجزري هذه الشروط في الآبيات الآتية:

فكل ما وافق وجــهَ نحوِ	وكان للرسم احتمالاً يحوي
وصحّ إســناداً هو القرآنُ	فــهذه الثـلاثــة الأركانُ
وحيثـما يختـلُ ركـنٌ أثبـتِ	شذوذَه لو أنهُ في السبعةِ[3]

(١) السند الصحيح: هو ما اتصل بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة. انظر: علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح، للإمام أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح (٦٤٣هـ)، تح: د.نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١/١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، ص ١٢، وتدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، د.ط.، د.ت.، ٦٣/١.

(٢) النشر، ١٩/١، والإتقان، ٢٥٨/١-٢٦٠، والإتحاف، ص ٥-٦، ومناهل العرفان، ٢٨٩/١.

(٣) طيبة النشر في القراءات العشر، للإمام محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن الجزري (٨٣٣هـ)، تح: محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى، جدة، ط١/١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ص ٣٢.

وقد اختلف العلماء في الحد المطلوب من صحة السند لقبول القراءة، واختلفوا بناء عليه في أنواعها، وفيما يأتي بيان أقوالهم في حد الصحة المطلوب لقبول القراءات وأنواعها.

أولاً: درجة الصحة المطلوبة لقبول القراءة:

اختلف العلماء في حدّ الصحة المطلوبة لقبول القراءة على أربعة أقوال:

الأول: يجوز إثبات القراءة حكماً لا علماً، بخبر الواحد، وهو قول جماعة من المتكلمين.(١)

الثاني: يجوز الاجتهاد في إثبات أوجه وأحرف إذا كانت صواباً في اللغة، وهو قول بعض المتكلمين.(٢)

الثالث: يشترط لقبول القراءة أن تكون متواترة إضافة إلى الشرطين الآخرين، ولا يُكتفى بصحة السند.(٣)

الرابع: الاكتفاء بصحة السند حال توفر الشرطين الآخرين، والاكتفاء بالتواتر حال عدم توفرهما. وهو قول جمهور العلماء(٤) ومنهم المحقق ابن الجزري،(٥) حيث يقول في منجد المقرئين: "ونحن ما ندعي التواتر في كل فرد فرد مما انفرد به بعض الرواة، أو اختص ببعض الطرق، لا يدعي ذلك إلا جاهل لا يعرف ما التواتر، إنما المقروء به عن القُرّاء العشرة على قسمين، متواتر وصحيح مستفاض متلقى بالقبول، والقطع حاصل بهما."(٦) ويبيّن في النشر أن التواتر يغني عن اشتراط الشرطين الآخرين، فيقول: "وقد شرط بعض المتأخرين التواتر في هذا الركن، ولم يكتف فيه بصحة السند، وزعم أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وأن ما جاء مجيء الآحاد لا يثبت به قرآن. وهذا ما لا يخفى ما فيه؛ فإن التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنين الأخيرين من الرسم وغيره؛ إذ ما ثبت من أحرف الخلاف متواتراً عن النبي ﷺ وجب قبوله، وقُطِع بكونه قرآناً – سواء وافق الرسم أم خالفه – وإذا اشترطنا التواتر

---

(١) البحر المحيط في أصول الفقه، للإمام بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ)، تح: د.محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤٢١/١هـ-٢٠٠٠م، ٣٨٠/١. نقلاً عن الإمام الباقلاني في الانتصار ولم أجده. لكن هذا الرأي ليس للباقلاني؛ لأن الباقلاني يرفض إثبات قرآن بخبر الواحد. راجع: نكت الانتصار لنقل لقرآن، للإمام أبي بكر الباقلاني (٤٠٣هـ)، تح: د.محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، دار بور سعيد، الإسكندرية، د.ط./١٩٩٧م، ص ٤٠١.

(٢) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه، ٣٨٠/١. و قد عزاه أيضاً المحقق ابن الجزري إلى محمد بن الحسن بن مقسم. النشر، ٢١/١.

(٣) النشر، ١٨/١. وقد عزاه الزرقاني إلى العلّامة النويري. راجع: شرح طيبة النشر، للنويري، ١١٧/١، ومناهل العرفان، ٣٠٠/١. ويتبنى هذا الرأي د.محيسن. راجع: الإرشادات الجلية في القراءات السبع من طريق الشاطبية، د.محمد سالم محيسن، دار محيسن، القاهرة، ط١٤٢٦/١هـ-٢٠٠٥م، ص ٢٢.

(٤) منهم العلّامة أبو شامة. راجع: المرشد الوجيز، ص ١٧١-١٧٦. والسيوطي. راجع: الإتقان، ٢٦١/١-٢٦٢، والزرقاني، راجع: مناهل العرفان، ٢٩٥/١، وغيرهم. وهو الرأي الذي اختاره أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي. راجع: من روائع القرآن، ص ١٢٦.

(٥) النشر، ٢٣/١، ومنجد المقرئين، ص ٤٠، ٤٦.

(٦) منجد المقرئين، ص ٤٦.

في كل حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن هؤلاء الأئمة السبعة وغيرهم، وقد كنت قبل أجنح إلى هذا القول ثم ظهر فساده."(١)

ولا يخفى ما في القولين الأولين من ضعف، وقد تعرضت كتب القراءات وعلوم القرآن لمناقشة هذه الأقوال جميعها مما لا يتسع البحث لذكرها.(٢)

ويبدو أن الرأي الذي اختاره المحقق ابن الجزري مؤخراً وهو: الاكتفاء بصحة السند حال توفُّر الشرطين الآخرين، والاكتفاء بالتواتر حال عدم توفُّرهما هو أصح الأقوال وأولاها بالقبول؛ للأدلة الآتية:

١. أن في اشتراط التواتر مع الشرطين الآخرين تضييق على الناس في تمييز القراءة المقبولة من المردودة؛ لأنه إذا اشترط التواتر فإنه يصعب ذلك التمييز؛ لأن الطالب يضطر في تحصيله إلى أن يصل إلى جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب في كل كلمة من كلمات القرآن، وفي كل طبقة من طبقات الرواية، وقد لا يتيسر له ذلك. وفي اشتراط الصحة فقط مع الشرطين الآخرين التيسير على الطالب في تمييز القراءات المقبولة، فإنه يسهل عليه بمجرد رعايته لهذا الضابط أن يميز القراءات المقبولة من غيرها.

٢. أن هذه الأركان الثلاثة تكاد تساوي التواتر في إفادة العلم القاطع بالقراءات المقبولة؛ لأن ما بين دفتي المصحف متواتر، ومجمع عليه من الأمة في عهد الصحابة ﷺ، فإذا صح سند القراءة، ووافقت قواعد اللغة، ثم جاءت موافقة لخط المصحف المتواتر كانت هذه الموافقة قرينة على إفادة هذه الرواية للعلم القاطع، فكأن التواتر كان يطلب تحصيله في الإسناد قبل أن يقوم المصحف وثيقة متواترة بالقرآن، أما بعد وجود هذا المصحف المجمع عليه فيكفي في الرواية صحتها وشهرتها مادامت موافقة لرسم المصحف المجمع عليه، وموافقة للغة العرب.(٣)

٣. أن التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنين الآخرين؛ لأن ما ثبت من القراءات متواتراً عن النبي ﷺ يجب قبوله والقطع بكونه قرآناً، سواء وافق الرسم أم خالفه.(٤)

---

(١) النشر، ٢٣/١.

(٢) راجع: البحر المحيط في أصول الفقه، ٣٨٠/١، والنشر، ٢٣/١–٢٤.

(٣) مناهل العرفان، ٢٩٥/١.

(٤) النشر، ٢٣/١، والإتقان، ٢٦٢/١، ومناهل العرفان، ٢٩٦/١. على أن بعض العلماء يرى أنه لا يوجد قراءة متواترة لا يتوفر فيها الشرطان الآخران؛ لأن الشرطين الآخرين ملازمان لتواتر القراءة، فالتواتر متى توفر فقد توفر الشرطان الآخران، بدليل أن بعض النحويين أنكر بعض القراءات المتواترة ومع ذلك لم يعتد بإنكارهم؛ لأن القرآن حاكم على اللغة وليس العكس، كما أنه لا يوجد قراءة لا توافق رسم المصحف؛ لأن القراءات إن لم توافق الرسم تحقيقاً وافقته تقديراً. شرح طيبة النشر، للنويري، ١١٣/١. وتابعه في هذا القول د.عبد الرحيم. انظر: لغة القرآن الكريم، د.عبد الجليل عبد الرحيم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن، =

٤. إن اشتراط التواتر يؤدي إلى ردّ كثير من القراءات المشهورة عن القُرَّاء العشرة مما لم يبلغ حدّ التواتر.(١)

فهذه الأدلة تؤيد أن كل قراءة توفر فيها شرط التواتر فهي مقبولة، وإن خالفت رسم المصحف، والمتعارف من قواعد اللغة؛ لأن تواتر السند وثيقة قوية تتفوق على وثيقة الرسم، وتحكم على قواعد اللغة، وتشهد لما قلَّ اشتهاره من الوجوه النحوية.

ثانياً: أنواع القراءات من حيث صحة أسانيدها.

قسَّم السيوطي القراءات من حيث توفر شروط القبول فيها إلى ستة أنواع، هي: المتواتر، والمشهور، والآحاد، والشاذ، والمدرَج، والموضوع.(٢) وفيما يأتي تعريف بهذه الأنواع وبيان أحكامها.

١- القراءات المتواترة: هي القراءات التي نقلها جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهى السند. وهي القراءات السبع باتفاق العلماء من أهل السنة،(٣) والثلاثة المتممة للعشر على رأي جمهورهم.(٤) وهذا النوع هو الغالب في القراءات.

وحكم هذا النوع من القراءات: وجوب اعتقادها وقبولها والصلاة بها، وصحة التعبد بتلاوتها، وعدم جواز ردِّها، أو إنكار شيء منها.(٥)

ط١٤٠١/١هـ-١٩٨١م، ص ١٣٠-١٣١.

(١) النشر، ٢٣/١، والإتقان، ٢٦٢/١.

(٢) الإتقان، ٢٠٧/١-٢٠٨.

(٣) النشر، ٦٠/١. ومنجد المقرئين، ص ١٠١-١٠٦. وانظر: المجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ط.، د.ت.، ٣٩٢/٣، ورفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، لأبي النصر تاج الدين عبد الوهاب ابن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٦٣هـ)، تح: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، عالم الكتب، بيروت، ط١٤١٩/١هـ-١٩٩٩م، ٩١/٢-٩٢، والبحر المحيط في أصول الفقه، ٣٧٦/١-٣٧٩، وحاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، للمحقق محمد أمين الشهير بابن عابدين (١٢٥٢هـ)، ويليه تكملة ابن عابدين لنجل المؤلف، تح: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، د.ط/١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ٥٢٣/١. وهو رأي مفتي البلاد الأندلسية (فرج بن لب). انظر: مناهل العرفان، ٣٠١/١. وذهب المعتزلة إلى أن القراءات السبع واردة بطريق الآحاد. انظر: البحر المحيط في أصول الفقه، ٣٧٦/١.

(٤) حاشية العطار على جمع الجوامع، حاشية الشيخ حسن بن محمد بن محمود العطار (١٢٥٠هـ) على شرح المحلي على جمع الجوامع للإمام ابن السبكي (٧٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.، د.ت.، ٢٩٩/١-٣٠٠. وانظر: حاشية رد المحتار، ٥٢٣/١، والإتحاف، ص ٩. وهو ما رجحه السيوطي. انظر: الإتقان، ٢٧٧/١.

(٥) مناهل العرفان، ٣٠١/١، وذهب جمهور الفقهاء إلى الحكم بجهل من جحدها دون تكفيره. انظر: النشر، ٢٤/١، ومنجد المقرئين، =

مثاله: اختلاف القُرَّاء في قراءة: (مَالِكِ، مَلِكِ) [سورة الفاتحة/٤][١] (وَمَا يُخَادِعُونَ، وَمَا يَخْدَعُونَ) [سورة البقرة/٩][٢] و(وَوَصَّى، وَأَوْصَى)[٣] [سورة البقرة/١٣٢].[٤]

٢- القراءات المشهورة: وهي كل قراءة صح سندها لكن لم تبلغ درجة المتواتر، ووافقت العربية ولو بوجه ووافقت الرسم العثماني ولو احتمالاً، واشتهرت عند القُرَّاء فلم يعدوها من الغلط، أو الشذوذ، وهي القراءات الثلاثة المتممة للعشر على رأي بعض العلماء.[٥] وحكم هذا النوع من القراءات: وجوب اعتقادها وقبولها، وجواز الصلاة بها، وصحة التعبد بتلاوتها، وعدم جواز إنكار شيء منها.[٦]

مثاله: ما اختلفت الطرق في نقله عن السبعة فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض وأمثلة ذلك كثيرة، منها:

قراءة ﴿انْطَلَقُوا﴾ بفتح اللام، على صيغة الفعل الماضي، التي قرأ بها رُوَيس عن يعقوب.[٧] وقراءة ﴿فَرُوْحٌ﴾ بضم الراء التي قرأ بها رويس أيضاً.[٨] وقراءة ﴿لَأُقْسِمُ﴾ الأول دون ألف[٩] التي قرأ بها قنبل[١٠] والبزي[١١] في إحدى روايتين له عن ابن كثير.

ص ١٠١-١٠٦، والمجموع، ٣/٣٩٢، وحاشية رد المحتار، ١/٥٢٣، ونقل الزرقاني عن مفتي البلاد الأندلسية (فرج بن لب) الحكم بتكفير من جحد تواتر القراءات السبع مطلقاً. انظر: مناهل العرفان، ١/٣٠١.

(١) قرأ الجمهور ﴿مَلِكِ﴾ بدون ألف بعد الميم، وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف ﴿مَالِكِ﴾ بالألف. انظر: النشر، ١/٣١٠.

(٢) قرأ الحرميان وأبو عمرو ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾، وقرأ الباقون ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾. انظر: النشر، ٢/٢٣٧.

(٣) قرأ المدنيَّان وابن عامر ﴿وَأَوْصَى﴾، وقرأ الباقون ﴿وَوَصَّى﴾. انظر: السبعة، ص ١٧١، والنشر، ٢/٢٥٣.

(٤) النشر، ١/٢٥.

(٥) حاشية العطار على جمع الجوامع، ١/٢٩٩ - ٣٠٠، وحاشية رد المحتار، ١/٥٢٣، والإتحاف، ص ٩.

(٦) النشر، ١/٢٥، والإتقان، ١/٢٠٧-٢٠٨، وحاشية رد المحتار، ١/٥٢٣.

(٧) من قوله تعالى: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۞ انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ [سورة المرسلات/٢٩-٣٠]. وقرأ الجمهور ﴿انْطَلِقُوا﴾ بكسر اللام، على صيغة فعل الأمر مثل ﴿انْطَلِقُوا﴾ الأول. انظر: النشر، ٢/٤٣٨، وتحبير التيسير، ص ٦٠١.

(٨) من قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۞ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [سورة الواقعة/٨٨-٨٩]. وقرأ الجمهور ﴿فَرَوْحٌ﴾ بفتح الراء. انظر: النشر، ٢/٤٢٣، وتحبير التيسير، ص ٥٧٤.

(٩) من قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة القيامة/١]، وقراءة الجمهور بالألف. انظر: السبعة، ص ٦٦١، وتحبير التيسير، ص ٥٩٨.

(١٠) هو أبو عمر محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد بن جرجة المخزومي مولاهم مكي، ولد سنة ١٩٥هـ، وجوَّد القراءة على أبي الحسن القواس، وأخذ القراءة عن البزي أيضاً، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالحجاز. قرأ عليه أبو بكر بن مجاهد، وأبو الحسن ابن شنبوذ، ومحمد بن عيسى الجصاص، وغيرهم. توفي سنة ٢٩١هـ رحمه الله تعالى. انظر: معرفة القُرَّاء الكبار، ١/ ٢٣٠.

(١١) هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة أبو الحسن البزي المكي المقرئ، قارىء مكة، ومولى بني مخزوم، ولد سنة ١٧٠هـ، وقرأ القرآن على عكرمة بن سليمان، وأبي الإخريط وهب بن واضح، وعبد الله بن زياد، وغيرهم. وقرأ عليه أبو ربيعة =

٣- القراءات الآحاد: وهي كل قراءة صح سندها، وخالفت الرسم، أو العربية، أو لم تشتهر الاشتهار المذكور. ويطلق عليها بعض العلماء اسم قراءة النبي ﷺ.(١) وهذه القراءة تسمى اليوم شاذة؛ لكونها شذت عن رسم المصحف المجمع عليه وإن كان إسنادها صحيحاً.(٢)

وحكم هذا النوع من القراءات: وجوب اعتقادها، وعدم صحة التعبد بتلاوتها، وعدم الحكم بكفر من جحدها، ولبئس ما صنع إذا جحدها؛ لأن هذا النوع من القراءات لم يثبت بالتواتر أو الشهرة، إنما ثبت بأخبار الآحاد، ولأنه مخالف لما قد أجمع عليه فلا يقطع بصحته، وما لم يقطع بصحته لا يقرأ به.(٣) ويجوز قراءته على سبيل التعلم والتعليم، بشرط بيان ذلك لئلا يلتبس الأمر على الطلبة والعوام، ويُظَن أنه من القراءات المتواترة.(٤)

وقد كان أصحاب النبي ﷺ يقرؤون بهذا النوع من القراءات في الصلاة،(٥) وهذا جائز في حق من سمع من النبي ﷺ، واختلف العلماء في حق غيرهم: فأجازها بعض الشافعية؛(٦) استدلالاً بعمل الصحابة والتابعين إن لم تغير القراءة المعنى أو تفسده. وهذا القول هو إحدى روايتين عن مالك(٧) وأحمد.(١)

محمد بن إسحاق الربعي، وإسحاق الخزاعي، وأحمد بن فرح، وموسى بن هارون، وغيرهم. أذَّن البزِّي في المسجد الحرام أربعين سنة، وتوفي عام ٢٥٠هـ رحمه الله تعالى. انظر: معرفة القُرَّاء الكبار، ١/١٧٣-١٧٨.

(١) قراءة النبي ﷺ: هي القراءات التي تروى عن النبي ﷺ بأسانيد صحيحة في كتب الصحيح، مثل: صحيحي البخاري ومسلم. وقد اصطلح المفسرون على تسميتها بقراءة النبي ﷺ ؛ لأنها غير منتسبة إلى أحد من أئمة الرواية في القراءات، لكن هذا لا يعني أنها وحدها المأثورة عنه ﷺ، ولا ترجيحها على القراءات المشهورة؛ لأن القراءات المشهورة قد رويت عن النبي ﷺ بأسانيد أقوى، وهي متواترة على الجملة. ويرى بعض العلماء أنه من الأفضل عدم إطلاق وصف قراءة النبي ﷺ عليها؛ لأنه يوهم من ليسوا من أهل الفهم الصحيح أن غيرها لم يقرأ به النبي ﷺ. انظر: التحرير والتنوير، ١/٥٣-٥٤.

(٢) مناهل العرفان، ١/٣٢٣.

(٣) النشر، ١/٢٤، وذهب النووي إلى وجوب الإنكار على من يقرأ بالقراءات الشاذة في الصلاة وتعريفه بشذوذها، وتعزيره تعزيراً بليغاً إن استمر مع علمه بشذوذها. انظر: المجموع، ٣/٣٩٢.

(٤) حواشي العلامتين الفهامتين الشيخ عبد الحميد الشرواني والعلَّامة الشيخ أحمد بن قاسم العبادي على تحفة المحتاج بشرح المنهاج، للإمام شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي الشافعي (٨٥٢هـ)، وبهامشه تحفة المحتاج بشرح المنهاج، د.ط.، د.ت.، ٢/ ٣٩.

(٥) المجموع، ٣/٣٩٢، ورفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، ٢/٩٧، والنشر، ١/ ٢٦.

(٦) فتح العزيز شرح الوجيز، لأبي القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي (٦٢٣هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ط.، د.ت.، ٣/١٧٧، والنشر، ١/٢٦.

(٧) هو الإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله: إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، وُلِد في المدينة سنة ٩٣هـ، طلب مالك العلم، وهو ابن بضع عشرة سنة، وتأهل للفتيا، وجلس للإفادة، وله إحدى وعشرون سنة، أخذ القراءة عن نافع بن أبي نعيم، وسمع الزهري، وأخذ العلم عن ربيعة الرأي. سأله المنصور أن يضع كتاباً للناس =

وذهب أكثرهم إلى حرمة الصلاة بالقراءة الشاذة ومنها القراءة الآحاد، وعدم صحة الصلاة بها، وترك الصلاة خلف من يقرأ بها؛ لأن هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبي ﷺ، وإن ثبتت بالنقل فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة أو بإجماع الصحابة على المصحف العثماني، ولأنها لم تنقل إلينا نقلاً يثبت بمثله القرآن.(٢)

والأرجح عدم جواز القراءة بالشاذ وخاصة في الصلاة؛ لأن القراءة الشاذة لا تسمى قرآناً، وإنما هي بمنزلة الخبر، ولا يجوز القراءة في الصلاة بما لم تثبت قرآنيته، ولا تصح الصلاة بتلك القراءة. أما فعل الصحابة فيحمل على أحد أمرين: أنهم كانوا يفعلون ذلك قبل العرضة الأخيرة، أو قبل إجماعهم على المصحف العثماني.(٣)

يحملهم على العمل به، فصنَّف الموطأ، قال أبو داود: أصح حديث رسول الله ﷺ مالك عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما، ثم مالك عن الزهري عن سالم عن أبيه. وعن ابن عيينة قال: مالك عالم أهل الحجاز، وهو حجة زمانه. وقال الشافعي: إذا ذكر العلماء فمالك النجم. وقال: مالك معلمي، وعنه أخذت العلم. توفي في المدينة سنة ١٧٩هـ ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى. انظر: سير أعلام النبلاء، ٤٨/٨-١٣٥، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي (٧٩٩هـ)، تح: د.محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث القاهرة، د.ط.، د.ت.، ٨٢/١-١٣٥. وانظر: التمهيد، لابن عبد البرّ، ٢٩٢/٨.

(١) هو الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المروزي الأصل. خرجت أمه من مرو وهي حامل به، فولدته في بغداد، سنة ١٦٤هـ، وقيل: إنه ولد بمرو وحمل إلى بغداد وهو رضيع. وان إمام المحدثين، صنف كتابه المسند، وجمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره، وكان من أصحاب الإمام الشافعي وخواصه، ولم يزل مصاحبه إلى أن ارتحل الشافعي إلى مصر، وقال في حقه: خرجت من بغداد وما خلفت بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل. ودعي إلى القول بخلق القرآن أيام المعتصم، فامتنع، فضُرب وأوذي في سبيل ذلك، وحُبس ٢٨ يوماً، أخذ عنه الحديث جماعة من كبار المحدِّثين، منهم: الإمام محمد بن اسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج النيسابوري، ولم يكن في آخر عصره مثله في العلم والورع. توفي في بغداد سنة ٢٤١هـ ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى. انظر: التعديل والتجريح لمن خرَّج له البخاري في الجامع الصحيح، للحافظ أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي المالكي (٤٧٤هـ)، تح: د.أبو لبابة حسين، دار اللواء، الرياض، ط١/١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ٣٢٠/١، ووفيات الأعيان، ٦٣/١-٦٤. وانظر: المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ)، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١/١٤٠٥هـ، ٥٦٨/١، ومجموع الفتاوى، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٧٢٨هـ)، تح: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، المنصورة، ط٣/١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ٣٩٤/١٣، وشرح الكوكب المنير، لأبي البقاء تقي الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار (٩٧٢هـ)، تح: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط٢/١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ١٣٦/٢-١٣٧.

(٢) المحلى، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (٤٥٦هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، دار الفكر، دمشق، د.ط.، د.ت.، ٢٥٥/٤، والتمهيد، ٢٩٢/٨-٢٩٣، وأصول السرخسي، للعلَّامة محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي أبي بكر (٤٨٣هـ)، د.ط.، د.ت.، ٢٧٩/١-٢٨٠، والمغني، لابن قدامة، ٥٦٨/١، والمجموع، للنووي، ٣٩٢/٣، ومجموع فتاوى ابن تيمية، ٣٩٤/١٣-٣٩٥، ورفع الحاجب، ٩٧/٢، والبحر المحيط في أصول الفقه، ٣٨٤/١، وحاشية الشرواني على تحفة المحتاج، ٣٨/٢-٣٩، وشرح الكوكب المنير، ١٣٦/٢-١٤٠، وحاشية رد المحتار، ٥٢٣/١.

(٣) القراءة الشاذة عند الأصوليين وأثرها في اختلاف الفقهاء، د.علي بن سعد الضويحي، مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن الرئاسة =

ومن **أمثلة** هذا النوع:[1] ما جاء في الصحيحين عن علقمة[2] ﷺ قال: "دخلت في نفر من أصحاب عبد الله – يعني ابنَ مسعود – الشام، فسمع بِنا أبو الدرداء فأتانا فقال: أيكم يقرأ على قراءة عبد الله؟ فقلت: أنا. قال: كيف سمعتَه يقرأ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [سورة الليل/١] ؟ قال: سمعته يقرأ: (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى، وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى). قال: أشهد أني سمعت النبي ﷺ يقرأ هكذا.»[3] فقراءة (وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى) تسمى قراءة النبي ﷺ؛ لأنه ثبت أنه قرأ بها، وإن كانت غير متواترة.[4]

ومن أمثلته أيضاً: ما أخرجه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما: يرفعه إلى النبي ﷺ "قرأ: (لقد جَاءكم رَسولٌ مِنْ أنفَسِكم) [سورة التوبة/١٢٨] [بفتح الفاء] يعني: من أعظمكم قدراً."[5]

وما أخرجه البخاري ومسلم عن سعيد بن جبير[6] قال: "كان ابن عباس ﷺ يقرأ: (وكان أَمَامَهم مَلِكٌ يأخذ كل سَفينةٍ صَالحةٍ غَصباً.)"[7] ونحوه مما ثبت برواية الثقات.

العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، العدد ٤٩، إصدار من رجب إلى شوال سنة ١٤١٧هـ، ص ٢٨٢.

(١) الإتقان، ٢٠٨/١.

(٢) هو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك، ولد في حياة رسول الله ﷺ، وسمع من عمر، وعثمان، وابن مسعود، وعلي، وأبي الدرداء ﷺ، وجوَّد القرآن على ابن مسعود ﷺ وتفقه به، وكان من أنبل أصحابه، وأشبههم به هدياً وسمتاً. قال ابن مسعود ﷺ: "ما أقرأ شيئاً وما أعلم شيئاً إلا وعلقمة يقرؤه ويعلمه." قرأ عليه يحي بن وثاب، وعبيد بن نضيلة، وأبو إسحاق، وغيرهم. روى عنه الشعبي والنخعي. توفي عام ٦٢هـ رحمه الله. انظر: تذكرة الحفاظ، ٣٩/١، ومعرفة القراء الكبار، ٥١/١، وتهذيب التهذيب، ٢٤٤/٧-٢٤٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب عمار وحذيفة ﷺ، رقم/٣٥٣٢، ١٣٦٨/٣، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما يتعلق بالقراءات، رقم/٨٢٤، ٥٦٥/١.

(٤) جزء فيه قراءات النبي ﷺ، للإمام حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان بن عدي بن صهبان أبي عمرو الدوري (٢٤٦هـ)، تح: د.حكمت بشير ياسين، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١/١٩٨٨م، ص ١٧٦.

(٥) المستدرك على الصحيحين، للإمام محمد بن عبد الله أبي عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١١هـ-١٩٩٠م، كتاب التفسير، باب قراءات النبي ﷺ مما لم يخرجاه، رقم/٢٩٤٥، ٢٦٢/٢.

(٦) هو التابعي الإمام سعيد بن جبير أبو عبد الله الأسدي الوالبي مولاهم الكوفي، قرأ على ابن عباس ﷺ، وقرأ عليه أبو عمرو بن العلاء، والمنهال بن عمرو. روى الحديث عن ابن عباس، وعدي بن حاتم، وابن عمر، وعبد الله بن مغفل، وأبي هريرة ﷺ، وروى عنه جعفر بن أبي المغيرة، ومحمد بن سوقة، وعطاء بن السائب، والأعمش، وغيرهم. قال ابن عباس رضي الله عنهما في علمه: "يا أهل الكوفة تسألوني وفيكم سعيد بن جبير." توفي شهيداً على يد الحجاج بواسط عام ٩٥هـ رحمه الله تعالى. انظر: معرفة القراء الكبار، ٦٨/١-٦٩، وتذكرة الحفاظ، ٦٠/١-٦١، وتقريب التهذيب، ص ٢٣٤.

(٧) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة الكهف، رقم/٤٤٤٨، ١٧٥٢/٤، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل الخضر عليه السلام، رقم/٢٣٨٠، ١٨٤٧/٤.

٤- القراءات الشاذة: وهي كل قراءة لم يصح سندها، وإن وافقت خط المصحف.(١)

وهذا النوع من القراءات لا يجوز القراءة به في الصلاة ولا غيرها، ولا يُصلَّى خلف مَن يقرأ بها، وكذلك لا يتعبد بتلاوتها.(٢) ويُعزَّر كل من أصرَّ على القراءة بها تعزيراً بليغاً،(٣) ويجوز قراءتها على سبيل التعلم والتعليم، بشرط بيان ذلك لئلا يلتبس الأمر على الطلبة والعوام، ويُظَن أنها من القراءات المتواترة.(٤) ويجوز تدوينها في الكتب، كما في (مختصر في شواذ القرآن) لا بن خالويه، وتوجيهها كما في (المحتسَب) لابن جني. ونقل ابن عبد البر إجماع المسلمين على أنه لا يجوز القراءة بالشواذ.(٥)

ومن **أمثلة** هذا النوع:(٦) قراءة (ملَكَ يومَ الدين)، بصيغة الماضي ونصب (يوم) [سورة الفاتحة/٤].(٧) وقراءة (فاليوم ننَّحيك ببدنك) بالحاء المهملة (لتكون لمن خَلَفك آية) بفتح لام (خَلَفك) [سورة يونس/٩٢].(٨)

٥- القراءات الموضوعة: وهي القراءات المختلقة المكذوبة التي لا أصل لها.

وهذا النوع من القراءات تحرم القراءة به مطلقاً، ولا يتعبد بتلاوته، ويعاقب من يقرأ به إلا إذا كان يذكره على سبيل التعلم والتعليم، بشرط بيان ذلك لئلا يلتبس الأمر على الطلبة والعوام.(٩)

---

(١) النشر، ٢٥/١

(٢) المحلى، لابن حزم، ٢٥٥/٤، والتمهيد، ٢٩٢/٨-٢٩٣، وأصول السرخسي، ٢٧٩/١-٢٨٠، والمغني، لابن قدامة، ٥٦٨/١، وفتح العزيز، للرافعي، ١٧٧/٣، والمجموع، ٣٩٢/٣، ومجموع فتاوى ابن تيمية، ٣٩٤/١٣، ورفع الحاجب، ٩٧/٢، والبحر المحيط في أصول الفقه، ٣٨٤/١، والنشر، ٢٥/١-٢٦، وحاشية الشرواني على تحفة المحتاج، ٣٨/٢-٣٩، وحاشية رد المحتار، ٥٢٣/١.

(٣) المجموع، ٣٩٢/٣.

(٤) حواشي الشرواني، ٣٩/٢.

(٥) التمهيد، ٢٩٣/٨.

(٦) النشر، ٢٧/١.

(٧) عزيت هذه القراءة إلى أبي حيوة، وجبير بن مُطعَم، وأبي عاصم، وعبيد بن عمير الليثي. انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٥٣٨هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط.، د.ت.، ٥٤/١، والبحر المحيط، ١٣٤/١.

(٨) نُسبت هذه القراءة إلى ابن السميفع، ويزيد البربري. انظر: المحتَسَب، ٣١٦/١، والكشاف، ٣٥٠/٢، والبحر المحيط، ١٨٩/٥.

(٩) النشر، ٢٨/١، والإتقان، ٢٦٣/١.

ومن **أمثلة** هذا النوع: قراءة (إنما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ) برفع الهاء ونصب الهمزة. [سورة فاطر/٢٨].(١) وقراءة (قال عذابي أُصيبُ به من أَسَاءَ) [سورة الأعراف/١٥٦] بالسين المهملة بدلاً من ﴿أَشاءُ﴾ بالشين المعجمة.(٢) وقراءة (إلا عن موعدة وعدها أَبَاهُ) [سورة التوبة/١١٤] بفتح الهمزة والباء الموحدة بدلاً من الهمزة الهمزة المكسورة والياء في ﴿إِيَّاهُ﴾.(٣) وقراءة (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يَعْنِيه) [سورة عبس/٣٧] بالياء المفتوحة والعين المهملة،(٤) بدلاً من ﴿يُغْنِيهِ﴾ بالياء المضمومة والغين المعجمة.(٥)

٦- القراءات المدرجة: وهي كل ما زيد في القراءات على وجه التفسير.

وهذا النوع من القراءات لا يجوز القراءة بها مطلقاً، ولا يتعبد بتلاوتها؛ لأنها ليست قرآناً، وإنما هي من إضافات الصحابة لأجل التفسير حال كونهم آمنين من التباس تفسيراتهم بالقرآن. ويجوز ذكرها على سبيل التعلم والتعليم، بشرط بيان ذلك لئلا يلتبس الأمر على الطلبة والعوام.(٦)

ومن **أمثلة** هذا النوع: قراءة ابن عباس ﷺ: " لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ في مواسم الحج [سورة البقرة/١٩٨]. "(٧) بزيادة: (في مواسم الحج) للتفسير. وقراءة سعد بن أبي وقاص ﷺ: " وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ من من أم." [سورة النساء/١٢]."(٨) بزيادة لفظ (من أم). وقراءة عبد الله بن الزبير ﷺ: " وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى

---

(١) هذه القراءة من القراءات التي جمعها أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي، ونسبها إلى الإمام أبي حنيفة، وهو بريء منها. انظر: البحر البحر المحيط، ٢٩٨/٧، والنشر، ٢٨/١، والإتقان، ٢٦٣/١.

(٢) هي قراءة زيد بن علي، والحسن، وطاووس، وعمرو بن فائد، وقد تعلّق المعتزلة بهذه القراءة من جهة إنفاذ الوعيد، ومن جهة خلق المرء أفعاله. انظر: الكشاف، ١٥٦/٢، والبحر المحيط، ٤٠٠/٤، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدايم السمين الحلبي (٧٥٦هـ)، تح: أحمد محمد الخرّاط، دار القلم، دمشق، د.ط.، د.ت، ٤٧٧/٥-٤٧٨، والإتحاف، ص ٤٠٩، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلاّمة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط.، د.ت.، ٧٦/٩.

(٣) عزيت هذه القراءة إلى الحسن، وحماد الراوية، وابن محيصن، وابن السميفع. انظر: المحتسب، ٣٥٣/٢، والكشاف، ٣٠١/٢، والبحر والبحر المحيط، ١٠٨/٥، وروح المعاني، ٣٤/١١، والقراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، للشيخ عبد الفتاح القاضي (١٤٠٣هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط./١٤٠١هـ-١٩٨١م، ص ٩٢.

(٤) عزيت هذه القراءة إلى ابن محيصن، وابن أبي عبلة، وابن السميفع. انظر: المحتَسَب، ٣٥٣/٢، والكشاف، ٧٠٦/٤، والبحر المحيط، ٤٢١/٨، والإتحاف، ص ٧٦٧.

(٥) البرهان، ٤٥٣/٣.

(٦) الإتقان، ٢٦٦/١، ومباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ١٧٩.

(٧) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة البقرة، رقم/٤٢٤٧، ١٦٤٢/٤.

(٨) سنن البيهقي الكبرى، كتاب الفرائض، باب فرض الإخوة والأخوات لأم، رقم/١٢١٠٢، ٢٣١/٦.

الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ويَستعينون بالله على ما أَصَابَهم. [سورة آل عمران/١٠٤]."[١] بزيادة لفظ (ويستعينون بالله على ما أصابهم).[٢]

هذه هي أنواع القراءات من حيث درجة صحة أسانيدها، ومسمياتها بحسب موقعها من أسانيدها. وفي المطلب الآتي بيانٌ بأنواع القراءات من حيث علاقتها بالتفسير، وحكم التفسير والاحتجاج بالقراءات المتفاوتة الصحة الآنفة الذكر.

(١) كتاب المصاحف، لأبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن أبي داود السجستاني (٣١٠هـ)، تح: محمد بن عبده، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، د.ط.، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص ٢٠٦.

(٢) الإتقان، ٢٦٥/١.

المطلب الثاني: أنواع القراءات من حيث تعلقها بالتفسير، وأحكامها.

جاء تنوع القراءات؛ ليخفف ويهوّن على الأمة الإسلامية – التي تعددت لغاتها ولهجاتها – نطق كتاب ربها، ودلَّ في الوقت عينه على أن القرآن الكريم في حفظ الله ﷻ من التبديل والتحريف رغم تعدد وجوه قراءته، كما دلَّ على إعجاز القرآن في إيجازه، حيث أدى تعدد بعض قراءاته إلى تعدد الأحكام الشرعية دون تكرار اللفظ، وقامت الآية الواحدة بقراءاتها المتنوعة مقام آيات متعددة في بعض الأحيان، فبينت ما أجمل من المعاني وفسرته، وأضافت إلى الآية معانيَ جديدة لا تفيدها القراءة الواحدة.(١)

وأشير هنا إلى أن القراءات على تنوعها وتعددها لا تفضي ضرورةً إلى تعدد الأحكام، ولا تقوم الآيات المتنوعة القراءات دائماً مقام آيات متعددة، بل قد يكون الغرض من التنوع هو مجرد التيسير على الأمة في نطق ألفاظ القرآن الكريم، دون أن يكون لهذا التنوع أي أثر في المعنى. وفيما يأتي بيان أقسام القراءات من حيث صلتها بالتفسير، وعلاقتها بتعدد المعاني.

أولاً: أنواع القراءات من حيث تعلقها بالتفسير، وصلتها بتعدد المعاني.

تنقسم القراءات من حيث صلتها بالمعاني إلى قسمين:

القسم الأول: القراءات التي لا تتعلق بالتفسير ولا ترتبط به،(٢) ويشمل هذا القسم اختلاف القُرَّاء في وجوه النطق بالحروف والحركات، كمقادير المد،(٣) والإمالات،(٤) والتسهيل وعدمه.(١) وهذا النوع من القراءات لا

---

(١) النشر، ٦٩/١، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن، للإمام أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ١٢٧/١، والإتقان، ٢٧٨/١-٢٨٠، ومباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ١٧٠-١٧١.

(٢) التحرير والتنوير، ٥٠/١.

(٣) المد: لغةً: الزيادة، اصطلاحاً: إطالة الصوت بحرف من حروف المد أو اللين الثلاثة، وهي الألف والواو والياء الساكن المتحرك ما قبله بحركة مجانسة له، إذا وجد سبب المد وهو السكون أو الهمز. انظر: أشهر المصطلحات في فن الأداء وعلم القراءات، ويليه متن الدرة المضية، أحمد محمود عبد السميع الحفيان، دار الكتب العلمية بيروت، ط١/١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ص ٢٣٧، ومختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات، إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري، دار الحضارة، الرياض، ط١/١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص ١٠٦.

(٤) الإمالة: إزالة الألف عن استقامتها وتحريف لها عن مخرجها إلى نحو مخرج الياء ولفظها، وقد أُخِذ هذا الاسم من أملت الرمح ونحوه، إذا عوجته عن استقامته، والإمالة ضد الفتح. وتقسم إلى قسمين: ١. إمالة كبرى: وهي أن تقرب الفتحة من الكسرة، والألف من الياء، من غير قلب خالص ولا إشباع مفرط، وتسمى الإمالة المحضة، وإذا أطلقت الإمالة انصرفت إليها، ٢. إمالة صغرى: وهي بين الفتح والإمالة الكبرى وتسمى التقليل. انظر: إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، للعلَّامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (٦٦٥هـ)، تح: إبراهيم عطوة عوض، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، د.ط.، د.ت.، ٢٠٥/١، وأشهر المصطلحات =

يضر المفسِّر جهله وعدم العلم به؛ لأن هذا النوع لا يؤثر في معاني الآيات، بل يبقى تفسيرها واحداً على جميع الوجوه المقروء بها متواترةً كانت أم شاذة.(٢)

القسم الثاني: القراءات التي يؤثِّر اختلافها في بيان معاني الآيات، ويسهم وجودها في تجلية مرادها، ويشمل هذا القسم اختلاف القُرَّاء في حروف الكلمات، واختلافهم في الحركات التي يختلف معنى الفعل باختلافها.(٣)

وهذا النوع من القراءات يجب على المفسِّر العلم به، ولا يعذر بجهله؛ لأنه يندرج تحت المصدر التفسيري الأول الذي يستعين به المفسِّر؛ إذ إنَّ تفسير الآية استعانةً بقراءاتها يُعدُّ تفسيراً للقرآن بالقرآن كما سيأتي. ويقوم تعدد القراءات في هذه الحالة مقام تعدد كلمات القرآن،(٤) لكن ليس بالضرورة أن يقوم تعدد الكلمات فيه مقام تعدد المعاني؛ لأن العلاقة بين تعدد الكلمات وتعدد المعاني علاقة عموم وخصوص؛ فقد تتعدد القراءات ويكون هذا التعدد مؤثِّراً في المعنى غير أنه لا يؤثر في تعدده؛ لأن القراءات إما أن تؤكِّد المعنى، أو تكمِّله، أو توسِّعه، أو تنتج المزيد من المعاني. وهذا النوع من القراءات فيه من توفير المعاني ما ليس في قراءات القسم الأول.(٥) وفيما يأتي بيان حكم التفسير بالقراءات المتنوعة والعمل بمضمونها.

في فن الأداء وعلم القراءات، ص ١٧٣، ومختصر العبارات، ص ٣١.

(١) التسهيل: صرف الهمزة عن حدها نطقاً، وهو ثلاثة أضرب، أولها: بين بين: وهو إيجاد حرف بين همزة وحرف مد، والثاني: الحذف، والثالث: البدل المحض: وهو إبدالها إن انضم ما قبلها واواً، وإن انكسر ياء، وإن انفتح ألفاً. انظر: القواعد والإشارات في أصول القراءات، لأبي العباس أحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضا الحموي (٧٩١هـ)، تح: د.عبد الكريم محمد الحسن بكار، دار القلم، دمشق، ط١/١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص ٤٦-٤٧، وأشهر المصطلحات في فن الأداء وعلم القراءات، ص ١٧٦، ومختصر العبارات، ص ٤٧.

(٢) التحرير والتنوير، ١/٥٠.

(٣) المرجع السابق، ١/٥٤.

(٤) المرجع السابق، ١/٥٥.

(٥) أشار المحقِّق ابن الجزري في كتابه النشر إلى العلاقة بين تعدد القراءات وتعدد المعاني، وقسَّم القراءات إلى ثلاثة أقسام: ١. قراءات لا يؤثِّر اختلافها في اختلاف معناها. ٢. قراءات تختلف معانيها باختلافها، ثم تجتمع في معنًى واحد جامع. ٣. قراءات تختلف معانيها باختلافها، ثم لا تجتمع في معنًى واحد جامع ولا تتناقض. انظر: النشر، ١/٦٦. والأحرف السبعة، لأبي عمرو الداني، ص ٤٧. وقد درست العلاقة بين تعدد القراءات وتعدد المعاني في بحثي في الماجستير، فتبيَّن لي أن العلاقة بين القراءات المتعلقة بالتفسير إما أن تكون التأكيد أو التلازم أو التكامل أو التباين، وقد أوضحت ذلك كله بالأمثلة. راجع: أثر القراءات في تعدد المعاني في تفسير التحرير والتنوير، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في جامعة دمشق، قسم علوم القرآن والحديث، إعداد الطالبة انشراح سويد، إشراف د.علي أسعد، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص ١٦٩-٣٠٤.

ثانياً: حكم الاحتجاج والتفسير بالقراءات المتنوعة.

تبيَّن من المباحث السابقة أن القراءات تنقسم من حيث صحة أسانيدها إلى: متواترة ومشهورة، وآحاد وشاذة، وموضوعة ومدرجة. كما تبيَّن أن القراءات المتواترة والمشهورة - حسبما ترجَّح — هي القرآن عينه. وبناء عليه نستنتج أن تفسير القرآن بالقراءات المتواترة والمشهورة هو من أهم المصادر التي يجب على المفسِّر الاستعانة بها في تفسير القرآن الكريم؛ لأن التفسير بالقراءات المتواترة والمشهورة هو من تفسير القرآن بالقرآن.(1)

مثاله: اختلف القُرَّاء في قراءة ﴿مُخْلَصًا﴾ من قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ [سورة مريم/51]. فقرأ الجمهور ﴿مُخْلِصًا﴾ بكسر اللام، من الإخلاص، وهو: الإتيان بالعمل غير مشوب بتقصير أو تفريط،(2) وقرأ الكوفيون ﴿مُخْلَصًا﴾ بفتح اللام،(3) من أخلصه: إذا اصطفاه واختاره.(4) وقراءة الجمهور تبيِّن أن الإخلاص في أمر الدعوة وتبليغ الرسالة وأداء أمانة الله ﷻ كانت صفة موسى ﵇. والقراءة الأخرى تبيِّن أن الله ﷻ اختار موسى ﵇ لنبوته، واصطفاه من بين العالمين بمزايا اختصه بها، كأن جعله كليم الله ﷻ، وخاطبه بدون واسطة قبل نزول الوحي إليه ﵇.(5) وكل قراءة من القراءتين تفسر الآية دون أن تؤدي إلى حصول تناقض في

---

(1) التحرير والتنوير، 1/55، والتفسير والمفسرون، د.محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7/1421هـ-2000م، 1/33-34.

(2) العين، 4/186، وتهذيب اللغة، 7/65، ولسان العرب، 7/26، وتاج العروس، 17/562.

(3) السبعة، ص 410، والتذكرة في القراءات الثمان، للإمام أبي الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون (399هـ)، رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، تح: د.أيمن رشدي سويد، بإشراف: د.محمود محمد الطناحي، أ.د.عبد الفتاح إسماعيل شلبي، عام 1410هـ-1990م، ص 425، والنشر، 2/332.

(4) العين، 4/186، وتهذيب اللغة، 7/65، ولسان العرب، 7/26، وتاج العروس، 17/562.

(5) جامع البيان في تأويل القرآن، للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبي جعفر الطبري (310 هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1/1420 هـ-2000م، 18/209، ومعالم التنزيل، لمحيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (516هـ)، تح: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط4/1416هـ. 1997م، 5/236، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للعلَّامة أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (542هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/1413هـ. 1993م، 4/20، وزاد المسير في علم التفسير، للإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (597هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3/1404هـ، 5/239، ومفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير، للإمام المفسر فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (606هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/1421هـ-2000م، 21/197، والجامع لأحكام القرآن، 11/114، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، للإمام ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي البيضاوي (685هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ط.، د.ت.، 4/20، والبحر المحيط، 6/187، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، للإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي (982هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط.، د.ت.، 5/269، وروح المعاني، 16/103، والتحرير والتنوير، 8/490. وقد وقع مثل هذا الاختلاف في =

معناها؛ بل الآية بقراءتيها توضِّح أن موسى عليه السلام حاز كلتا المزيتين.

أما القراءات الآحاد والشاذة والمدرجة(1) فاختلف العلماء في تفسير القرآن بها والعمل بمقتضاها على قولين:

الأول: عدم الاحتجاج بالقراءة الشاذة والعمل بمضمونها؛ لأنها لا تسمى قرآناً، ولا تسمى خبراً؛ لأن ناقلها لا ينقلها على أنها خبرٌ.(2) وهذا القول هو مذهب جمهور الشافعية وبعض المالكية.(3)

والثاني: الاحتجاج بالقراءات الشاذة والعمل بمضمونها في الأحكام والتفسير. وهذا القول هو مذهب الحنفية والحنابلة وجمهور المالكية وبعض الشافعية.(4) لأن القراءات الشاذة نقلها الصحابة رضي الله عنهم وهم جميعاً عدول

المعنى بسبب اختلاف القُرَّاء في قراءة: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [سورة الصافات/٤٠].

(١) يطلق الفقهاء على القراءات الآحاد والشاذة والمدرجة اسم القراءة الشاذة، وفي هذه الفقرة بيان حكم الاحتجاج بالقراءة الشاذة عندهم.

(٢) البرهان في أصول الفقه، للعلَّامة عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (٤٧٨هـ)، تح: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ٤١٢/١، والمنخول من تعليقات الأصول، للإمام أبي حامد الغزالي (٥٠٥هـ)، تح: محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ط٣/١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص ٣٧٦، والإحكام في أصول الأحكام، لأبي الحسن علي بن محمد الآمدي (٦٣١هـ)، تح: د.سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١/١٤٠٤هـ، ٢١٢/١-٢١٣، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢/١٣٩٢هـ، ١٣٠/٥-١٣١.

(٣) المحلى، لابن حزم، ٢٥٥/٤، والبرهان في أصول الفقه، ٤١٢/١، والمنخول، ص ٣٧٤، وأحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (٥٤٣هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣/١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ١١٣/١، والإحكام، للآمدي، ٢١٢/١-٢١٣، ورفع الحاجب، ٩٥/٢-٩٧.

(٤) المعتمد في أصول الفقه، لأبي الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري (٤٣٦هـ)، تح: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٠٣هـ، ١٠٤/٢، وأصول السرخسي، ٢٨١/١، وروضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ)، تح: د.عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، نشر جامعة الإمام محمد ابن سعود، الرياض، ط٢/١٣٩٩هـ، ص ٦٣، والمغني، لابن قدامة، ٢٧٤/١١، والقواعد والفوائد الأصولية ومايتبعها من الاحكام الفرعية، لابن اللحام علاء الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عباس البعلي الدمشقي الحنبلي (٨٠٣هـ)، تح: عبد الكريم الفضيلي، المكتبة العصرية، د.ط.، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص ٢١٤، والإتقان، ٢٨٠/١، وتيسير التحرير، للعلَّامة محمد أمين المعروف بأمير بادشاه (٩٧٢هـ)، دار الفكر، دمشق، د.ط.، د.ت.، ١١/٣. ونقل الزركشي عن الشيرازي والماوردي الشافعيين احتجاجهما بالقراءة الشاذة، وإلحاقها بخبر الواحد إذا قرأها قارئها على أنها قرآن، لا على أنها تفسير. انظر: البحر المحيط في أصول الفقه، ٣٨٦/١-٣٨٧، ويبدو أن هذا هو مذهب الإمام الشافعي أيضاً؛ لأنه فسَّر الأقراء بالأطهار؛ اعتماداً على القراءة الشاذة (إذا طلقتم النساء فطلقوهن لقبل عدتهن) [سورة الطلاق/١]، وهي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد احتج الإمام الشافعي بقراءة النبي صلى الله عليه وسلم الذي أخبر عن الله عز وجل أن العدة الطهر دون الحيض. انظر: الأم، للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤هـ) مع مختصر =

حريصون على حفظ الشريعة، بعيدون عن التقول فيها دون مستند شرعي، لذا فما نقلوه لنا من القراءات لا يخرج عن كونه قرآناً أو خبراً، ولا يلزم من عدم ثبوت قرآنية القراءات الشاذة عدم ثبوت كونها خبراً صحيحاً منقولاً تثبت به الأحكام الشرعية؛ لعدالة ناقلها. والصحابي إنما نقل لنا القراءة سماعاً من النبي ﷺ، وكونه يظن ذلك قرآناً لا يخرجه عن كونه خبراً في الاحتجاج به؛ لتحقق السماع من النبي ﷺ، فإذا لم تثبت قرآنيته ثبت كونه خبراً منقولاً من عدل عن النبي ﷺ، فيكون حجة في العمل.(١)

وهكذا يتبيَّن أن الجمهور يذهبون للاحتجاج بالقراءات الشاذة، غير أنهم يضعون شروطاً للعمل بها، فالأحناف يشترطون للعمل بالقراءة الشاذة أن تكون مشهورة،(٢) وجمهور المالكية وبعض الشافعية يشترطون للعمل بها أن يصرِّح الراوي بسماعها من رسول الله ﷺ،(٣) والحنابلة يشترطون للعمل بالقراءة الشاذة صحة إسنادها، سواء أصرَّح الراوي بكونها قرآناً أم لم يصرِّح.(٤)

المزني، دار الفكر، دمشق، ط٢/١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ١٩٣/٥. وقد بين الزركشي موقف الشافعي من القراءة الشاذة فقال: "لا يخلو إما أن تكون القراءة الشاذة وردت لبيان حكم أو لابتدائه، فإن وردت لبيان حكم فهي عنده حجة، كحديث عائشة في الرضاع، وقراءة ابن مسعود: (أيمانهما) وقوله ﷺ: "لقبل عدتهن". وإن وردت ابتداء حكم، كقراءة ابن مسعود ﷺ: (متتابعات) فليس بحجة . . .، أو يقال: القراءة الشاذة إما أن ترد تفسيراً أو حكماً، فإن وردت تفسيراً فهي حجة، كقراءة ابن مسعود ﷺ: (أيمانهما)، وقوله: (وله أخ أو أخت من أم) وقراءة عائشة: (والصلاة الوسطى صلاة العصر). وإن وردت حكماً فلا يخلو: إما أن يعارضها دليل آخر أم لا، فإن عارضها فالعمل للدليل، كقراءة ابن مسعود ﷺ في صيام المتمتع: (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات)، فقد صح أنه ﷺ قال: "إن شئت فتابع أو لا"، وإن لم يعارضها دليل آخر فللشافعي قولان كوجوب التتابع في صوم الكفارة." انظر: البحر المحيط في أصول الفقه، ٣٨٨/١.

(١) روضة الناظر، ص ٦٣، وشرح فتح القدير، للعلَّامة كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي (٦٨١هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٩١/٤، وشرح الزركشي على مختصر الخرقي، للعلَّامة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي (٧٧٢هـ)، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ٣٢٨/٣، وتيسير التحرير، ١١/٣، وشرح الزركشي على مختصر الخرقي، للعلَّامة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي (٧٧٢هـ)، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ٣٢٨/٣.

(٢) ولذلك لم يعملوا بقراءة أبي بن كعب ﷺ: "فعدة من أيام أخر متتابعات"؛ لأنها قراءة شاذة غير مشهورة، واحتجوا بقراءة عبد الله بن مسعود ﷺ: "فصيام ثلاثة أيام متتابعات"؛ لشهرتها. انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للعلَّامة علاء الدين الكاساني (٥٨٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، ١٩٨٢م، ١١١/٥، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، للعلَّامة زين الدين ابن نجيم الحنفي (٩٧٠هـ)، دار المعرفة، بيروت، د.ط.، د.ت.، ٣٠٧/٢،

(٣) الحاوي الكبير، للعلَّامة أبي الحسن الماوردي (٤٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ٣٦٣/١١، ٣٢٩/١٥، والجامع لأحكام القرآن، ٢٨٣/٦، والبحر المحيط في أصول الفقه، ٣٨٧/١.

(٤) المغني، لابن قدامة، ٢٦١/١٠، ٢٧٤/١١. وشرح الكوكب المنير، ١٨٣/٢.

أي: إنَّ صحة السند هو شرط الاعتداد بالقراءة الشاذة عند الجمهور،[1] أما القراءة التي لم يصح إسنادها فجميع الفقهاء يرفضون تفسير القرآن بها والعمل بمقتضاها؛ لأنها ليست قرآناً، ولا تنزل منزلة أخبار الآحاد؛ لعدم صحة إسنادها.[2]

وقد تجلت ثمرة هذا الخلاف بين الفقهاء في بعض الفروع الفقهية التي اختلف فيها الفقهاء إما لعملهم بالقراءة الشاذة أو لعدولهم عنها. **مثاله**: ذهب الأحناف والحنابلة وبعض الشافعية[3] إلى اشتراط التتابع في صيام كفارة اليمين؛ احتجاجاً بقراءة ابن مسعود ﷺ المدرجة: "فصيام ثلاثة أيام متتابعات"، وخالفه الشافعية في الأظهر من مذهبهم، والمالكية؛ لعدم قبولهم هذه القراءة.[4]

والأرجح أن القراءات الآحاد والمدرجة من مصادر المفسِّر أيضاً كالقراءات المتواترة والمشهورة؛ لأنها صحيحة الإسناد، فالرجوع إليها في التفسير والاحتجاج يكون من باب تفسير القرآن بالسنة النبوية إذا كانت مرفوعة إلى النبي ﷺ، أو من باب تفسير القرآن بقول الصحابي إذا كان موقوفة عليه. وأخذ المفسِّر بها أولى من أخذه عمَّن دون الصحابة؛ لأن تفسير الصحابة مُقدَّم على تفسير التابعين، وعلى اجتهاد المفسِّر برأيه.[5]

وإذا كان حكم القراءة الشاذة غير صحيحة الإسناد امتناع العمل بها، فحكم القراءة الموضوعة حرمة العمل بمضمونها، أو تفسير القرآن بمقتضاها.[6]

---

(١) وهذا الرأي هو الذي اختاره الأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، حيث اشترط للعمل بالقراءة الشاذة الصحة كما يشترط في أخبار الآحاد. انظر: من روائع القرآن، ص ١٢٧.

(٢) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للعلَّامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠هـ)، تح: الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، ط١/١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ١/٨٨.

(٣) المبسوط، لأبي عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني (١٨٩هـ)، تح: أبو الوفا الأفغاني، نشر إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي، د.ط.، د.ت.، ٢/٢١٨، والحاوي الكبير، للماوردي، ١٥/٣٢٩، وبدائع الصنائع، ٢/٧٦، والمغني، لابن قدامة، ١١/٢٧٤، والمجموع، ١٨/١٢٢، والقواعد والفوائد الأصولية، ص ١٥٥.

(٤) المنخول، ص ٣٧٤، وأحكام القرآن، لابن العربي، ٢/١٦٢، وبداية المجتهد ونهاية المقتصد، للإمام أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد ابن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي الشهير بابن رشد الحفيد (٥٩٥هـ)، تح: خالد العطار، دار الفكر، بيروت، د.ط.، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ١/٣٣٦، والإحكام، للآمدي، ١/٢١٣، والبرهان في أصول الفقه، ١/٤١٢.

(٥) مقدمة في أصول التفسير، للعلَّامة أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٧٢٨هـ)، تح: فوَّاز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، بيروت، ط١/١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ص ٨٧-٩٤.

(٦) النشر، ١/٢٧، والإتقان، ١/٢٦٣، والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، د.محمد بن محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، ط٤/١٤٠٨هـ، ص ٣٣٢.

مثاله: احتج المعتزلة لمذهبهم في مسألة إنفاذ الوعيد وخلق المرء أفعاله بقراءة (قال عذابي أصيب به من أساء) [سورة الأعراف/١٥٦] بالسين المهملة بدلاً من (أشاء) بالشين المعجمة.(١) وهو استدلال غير صحيح؛ لأن هذه القراءة موضوعة، ولا يجوز التفسير بها.(٢)

يتبين مما سبق أن التفسير بالقراءات يوظِّف جميع أنواع القراءات المقبولة والشاذة؛ لغاية الكشف عن وجوه المعاني، والاستعانة بالقراءات المتنوعة لخدمة التفسير؛ لأن القراءات المفسِّرة ليست هي القراءات الشاذة أو القراءات المدرجة لغرض التفسير فحسب، بل هي جميع أنواع القراءات الثابتة الصحيحة. أي: إنَّ القراءات لها منزلة مهمة في التفسير، ولا مناص للمفسر من الاعتماد عليها.

ثالثاً: حكم تعارض معاني القراءات.

تؤدي القراءات المتواترة في بعض الأحيان إلى توسيع المعاني أو تعددها غير أنها لا تؤدي إلى تناقض المعاني الناتجة عنها، لأنها جميعاً من لدن حكيم خبير. قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء/٨٢] فاختلاف المعاني الناتج عن تعدد القراءات المتواترة هو اختلاف تنوع وتكامل، وليس اختلاف تناقض وتنافر، والمعاني المتخالفة المتولدة عن القراءات المتعددة لا تؤدي إلى إحالة المعاني الأخرى أو فسادها.(٣)

يقول الشيخ الزرقاني (١٣٦٧هـ): "إن تنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات، وذلك ضرب من ضروب البلاغة يبتدئ من جمال هذا الإيجاز وينتهي إلى كمال الإعجاز، أضف إلى ذلك ما في تنوع القراءات من البراهين الساطعة والأدلة القاطعة على أن القرآن كلام الله ﷻ، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله ﷺ، فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقروء وتضاد، ولا إلى تهافت وتخاذل، بل القرآن كله على تنوع قراءاته يصدِّق بعضه بعضاً، ويبين بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد في علو الأسلوب والتعبير، وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم، وذلك من غير شك يفيد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط.، د.ت.، ٣٢/٣، والملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (٥٤٨هـ)، تح: أمير علي مهنا، علي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، ط٣/١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ٥٧/١-٥٨.

(٢) هي قراءة زيد بن علي، والحسن، وطاووس، وعمرو بن فائد. انظر: الكشاف، ١٥٦/٢، والبحر المحيط، ٤٠٠/٤، والدر المصون، ٤٧٧/٥-٤٧٨، والإتحاف، ص ٤٠٩، وروح المعاني، ٧٦/٩.

(٣) الأحرف السبعة، لأبي عمرو الداني، ص ٦٠.

والحروف."[1] ويدلُّ على أن القرآن الكريم كله "سلسلة واحدة متصلة الحلقات محكمة السور والآيات متآخذة المبادئ والغايات مهما تعدَّدت طرق قراءته، ومهما تنوَّعت فنون أدائه."[2]

فاختلاف المعاني المتولدة عن القراءات المتواترة المتنوعة لا يعني التعارض والتباين كما يفهم معنى الاختلاف عند علماء الفقه، وكذلك لا تؤدي إلى التضاد أو التناقض، كما يحصل ذلك في اختلاف الفقهاء. وقد فرَّق ابن الجزَري بين اختلاف القُرَّاء واختلاف الفقهاء، فقال: "وبهذا افترق اختلاف القُرَّاء من اختلاف الفقهاء، فإن اختلاف القُرَّاء كله حق وصواب نزل من عند الله ﷻ وهو كلامه لا شك فيه، واختلاف الفقهاء اختلاف اجتهاد، والحق في نفس الأمر واحد، فكل مذهب بالنسبة إلى الآخر صواب يحتمل الخطأ، وكل قراءة بالنسبة إلى الأخرى حق وصواب في نفس الأمر، نقطع بذلك ونؤمن به."[3]

وقد يبدو للمفسر أن بيّن القراءتين المتواترتين تعارضاً، غير أنه تعارض ظاهري لمن تأمل وتدبَّر، لذا يجب عليه محاولة التوفيق بينهما،[4] وعدم الترجيح بينها؛ لكون كل منها قرآناً مقطوعاً بقرآنيته، وإنكار إحدى القراءتين المتواترتين يعدُّ إنكاراً للقرآن أو توهيناً من قدره، وفى كلا الأمرين من الخطر ما لا يخفى.[5] لذا يجب على المفسر أن يجمع بين القراءتين المتعارضتين في الظاهر في معنى يؤلف بينهما؛ فإن لم يمكن ذلك التوفيق، فالقراءتان حينئذٍ بمنزلة آيتين، لكل واحدة منها معنى مستقل.

وقد نص المحقق ابن الجزري على أن اختلاف القراءات المتواترة لا يخلو من ثلاثة أحوال:[6]

الأول: اختلاف اللفظ لا المعنى، كالاختلاف في ﴿الصِّرَاطَ﴾ [سورة الفاتحة/٦]،[7] و﴿الْقُدُسِ﴾ [سورة البقرة/٨٧] ونحو ذلك مما يطلق عليه أنه لغات فقط.[8]

---

(١) مناهل العرفان، ١/١٠٥.

(٢) المرجع السابق، ١/١٣٠.

(٣) النشر ١/٦٩.

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن علي الحربي، دار القاسم، الرياض، ط١/١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ١/١٠١. وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، ١٣/٣٩١ .

(٥) البرهان، ١/٣٤٠، والإتقان، ١/٢٨١.

(٦) النشر، ١/٦٦.

(٧) قرأ قنبل ورويس بالسين حيث ورد في القرآن، وقرأ خلف عن حمزة بالصاد مشمة صوت الزاي حيث ورد، وقرأ خلاد مثل خلف في الموضع الأول من سورة الفاتحة، وقرأ الباقون بالصاد الخالصة في جميع القرآن. انظر: التيسير ص ١٥، وتحبير التيسير، ص ١٨٦.

(٨) قرأ ابن كثير ﴿الْقُدْسِ﴾ بسكون الدال حيث ورد في القرآن الكريم، وقرأ الباقون ﴿الْقُدُسِ﴾ بضمها. انظر: التيسير، ص ٦١، =

الثاني:اختلافهما جميعاً مع جواز اجتماعهما في شيء واحد، كاختلاف القُرَّاء في قراءة: (مَالِكِ، مَلِكِ) [سورة الفاتحة/٤] فالقراءتان تدلان على صفتين لله تعالى، فهو مالك يوم الدين ومَلِكُه، ومنه اختلاف القُرَّاء في قراءة (نُنْشِزُهَا، ونُنْشِرُهَا) [سورة البقرة/٢٥٩] لأن المراد فى القراءتين العظام، والله ﷻ ينشرها بمعنى يحييها، وينشزها بمعنى: يرفع بعضها إلى بعض حتى تلتئم.

الثالث: اختلافهما جميعاً مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد، لكن يتفقان من وجه آخر لا يقتضى التضاد. **مثاله**: اختلاف القُرَّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [سورة إبراهيم/٤٦]. حيث قرأ الجمهور ﴿لِتَزُولَ﴾ بكسر اللام وبنصب الفعل المضارع بعدها، فتكون (إنْ) على هذه القراءة نافية، واللام لام الجحود. ومعنى الآية على هذه القراءة: ما كان مكرهم زائلة منه الجبال، وهو استخفاف بهم وبمكرهم. وهذه القراءة تصف مكر المشركين بأنه مكر ضعيف، لا تزول منه الجبال. وقرأ الكسائي ﴿لَتَزُولُ﴾ بفتح اللام الأولى ورفع لام الفعل،(١) فتكون (إنْ) على هذه القراءة مخففة من الثقيلة، واللام للتأكيد. والمعنى: إنَّ مكرَهم لجدير بإزالة الجبال الراسيات. وهذه القراءة تصف مكر المشركين بأنه مكر عظيم جدير بإزالة الجبال لو كان لها أن تزول.

ويُوفَّق بين معنى القراءتين بأن يقال: إن الجبال على القراءة الأولى مستعملة مجازاً في دين الإسلام، وعزم النبي ﷺ والمؤمنين معه؛ وهو كالجبال الراسيات التي لا يزعزعها مكر ضعيف كمكر المشركين. أما على القراءة الثانية فالجبال مستعملة في معناها الحقيقي. فمكر المشركين بالإسلام مكرٌ عظيم يقتلع الجبال الرواسي، لكنه ضعيف لا يقدر على إزالة أمر النبي ﷺ ودعوته.(٢)

وقد تبيَّن سابقاً أن جمهور العلماء يذهبون إلى جواز تفسير القراءات المتواترة بالقراءات الشاذة، ولكن قد يختلف المفسرون أحيانًا في معنى آية من الآيات بناءً على اختلاف معنى قراءتين لها: إحداهما شاذة، والأخرى متواترة، فهنا يجب على المفسِّر أن يحاول التوفيق والجمع بينهما، إلا إذا كان بين المعنيين تعارضٌ حقيقي فيجب

والنشر، ٢/٢٤٦.

(١) السبعة، ص ٢٦٣، وتحبير التيسير، ص ٤٢٥.

(٢) جامع البيان، ١٧/٤٢، ومعالم التنزيل، ٤/٣٦٠، والكشاف، ٢/٥٣٠، والمحرر الوجيز، ٣/٣٤٦، ومفاتيح الغيب، ١٩/١١٤، والجامع لأحكام القرآن، ٩/٣٨٠، وأنوار التنزيل، ٣/٣٥٥-٣٥٦، والبحر المحيط، ٥/٤٢٦، وإرشاد العقل، ٥/٥٨، والتحرير والتنوير، ١٢/٢٧٠-٢٧١.

عليه أن يفسِّر الآية بالقراءة المتواترة دون الشاذة؛ لأن القراءة المتواترة ثابتة ومجمع عليها، وهي الأصل؛ لأنها قرآن مقطوع به، والثابت المجمع عليه لا يقوى الشاذ من القراءات على معارضته.(١)

مثاله: ذكر الإمام الطبري قولاً في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [سورة الرعد/٤٣] مبنياً على القراءة الشاذة (ومِنْ عِندِه عُلِم الكتاب)(٢) وبيَّن أن معنى الآية على القراءة المتواترة: إن العالمين بالكتب السماوية كالتوراة والإنجيل والقرآن، أمثال عبد الله بن سلام ﷺ يعلمون صحة رسالة النبي ﷺ. أما معنى القراءة الشاذة: إن الله ﷻ هو الذي يعلم صدق هذا الأمر؛ لأن لديه علم الكتب السماوية. يقول الإمام الطبري: "فإذْ كان ذلك كذلك وكانت قُرَّاء الأمصار من أهل الحجاز والشام والعراق على القراءة الأخرى، وهي: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، كان التأويل الذي على المعنى الذي عليه قَرَأَةُ الأمصار أولى بالصواب ممّا خالفه؛ إذ كانت القراءة بما هم عليه مجمعون أحقَّ بالصواب."(٣)

وكذلك ذهب جمهور المفسرين(٤) إلى أنه لو اختلف المفسرون في تفسير أو إعراب قراءة ما فإن الوجه التفسيري أو الإعرابي الموافق لرسم المصحف أولى من الوجه المخالف له.(٥) وخالفهم الزمخشري محتجاً بأن رسم "المصحف لم يراعِ في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط."(٦)

والأرجح مذهب الجمهور؛(٧) لأن متابعة الرسم في القراءة أمر لازم، ولأن موافقة الرسم شرط من شروط قبول القراءة، ولأن رسم المصحف لا تجوز مخالفته، فتلزم مراعاته في تفسير معاني القرآن.(٨)

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي (١٣٩٣هـ)، تح: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ط١/١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ٤/٤٢٩-٤٣٠، وقواعد الترجيح، ١/١٠٤.

(٢) عزيت هذه القراءة إلى ابن السميفع. انظر: المحتَسَب، ١/٣٥٨، والكشاف، ٢/٥٠٤، والبحر المحيط، ٥/٣٩١، وروح المعاني، ١٣/١٧٦.

(٣) جامع البيان، ١٦/٥٠٧.

(٤) جامع البيان، ١٩/٦٣٦، ٢٤/٢٧٨، وإعراب القرآن، للعلَّامة أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (٣٣٨هـ)، تح: د.زهير غازي زاهد، دار عالم الكتب، بيروت، ط٣/١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، ٥/١٧٤، ومفاتيح الغيب، ٣١/٨١، والجامع لأحكام القرآن، ٢٠/١٩، وأنوار التنزيل، ٥/٤٦٣-٤٦٤، والبحر المحيط، ٦/٢٣٨، ٨/٤٥٤، والإتقان، ٢/٣١٧، وروح المعاني، ٣٠/٦٩.

(٥) قواع الترجيح، ١/١١٠.

(٦) الكشاف، ٤/٧٢١.

(٧) قواعد الترجيح، ١/١١٠-١١٣.

(٨) المرشد الوجيز، ص ١٧٣، والإتقان، ٤/١٦٨، ومناهل العرفان، ١/٢٦٥، ومباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ١٤٩، والمدخل والمدخل لدراسة القرآن الكريم، أ.د. محمد محمد أبو شهبة، دار اللواء، الرياض، ط٣/١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ص ٣٥٢.

ولأن الإجماع على وجوب التزام الرسم العثماني ومنع مخالفته؛ لما فيه من الحِكَم التي تظهر لنا كدلالة على إعجاز القرآن الكريم.(١)

مثاله: اختلف المفسرون في إعراب (لا) من قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ [سورة الأعلى/٦] واختلفوا بناء على ذلك في معنى الآية. فذهب الأكثرون إلى أنها نافية، والمعنى أن الله ﷻ يخبر نبيه في هذه الآية بأنه قد تكفَّل له بحفظ القرآن، وأنه لا ينسى منه إلا ما شاء الله ﷻ أن ينساه.(٢) وذهب بعضهم إلى أنها ناهية، ومعنى الآية بناء عليه: إن الله ﷻ ينهى النبي ﷺ عن نسيان القرآن، ويأمره بتعهده بالتكرار والمثابرة على القراءة، لكي لا ينسى شيئاً منه إلا ما شاء الله أن ينساه لمصلحة.(٣) ورسم المصحف يؤيد أنها نافية؛ لأنها لو كانت ناهية جازمة لحذفت الألف للجزم. أما القول بأنها مزيدة للفاصلة، فدعوى بلا دليل؛ لمخالفة الأصل.(٤)

هذه هي القواعد التي يلزم مراعاتها عند تفسير آيات القرآن الكريم بالقراءات المتواترة أو الشاذة. وأشير هنا إلى أن هذا البحث سيتناول بالدراسة القراءات المتواترة غالباً، من حيث بلاغة تعددها وأثره في الدلالة على بلاغة نظم القرآن، وسيسلط الضوء على القراءات الشاذة في المواضع التي تقتضي ذلك، وخاصَّة تلك القراءات التي تتبيَّن بها بلاغة القراءة المتواترة عند المقارنة.

وفي الفصل الآتي دراسة موجزة وتعريف مختصر بنظم القرآن، وبلاغته، وخصائصه.

---

(١) البرهان، ٣٧٩/١، والإتقان، ١٦٨/٤.

(٢) مفاتيح الغيب، ١٢٨/٣١-١٢٩، والبحر المحيط، ٤٥٤/٨، والتحرير والتنوير، ٢٤٨/٣٠-٢٤٩، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ. د.وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١/١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ١٩٢/٣٠، وقواعد الترجيح، ١١٩/١.

(٣) الكشاف، ٧٤٠/٤، والمحرر الوجيز، ٤٦٩/٥، وإرشاد العقل، ١٤٤/٩.

(٤) مفاتيح الغيب، ١٢٨/٣١-١٢٩، والبحر المحيط، ٤٥٤/٨، والتحرير والتنوير، ٢٤٨/٣٠-٢٤٩، والتفسير المنير، ١٨٧/٣٠، وقواعد الترجيح، ١١٩/١.

الفصل الثاني: دراسة موجزة في البلاغة، ونظم القرآن.

المبحث الأول: تعريف البلاغة، وأقسامها، وأثرها في توجيه القراءات وترجيحها.

المبحث الثاني: دراسة موجزة في نظم القرآن، وخصائصه.

أنزل الله كتابه العزيز المعجز ليكون آية عظيمة دالة على عظيم ربوبيته، وعلى صدق نبوة رسوله محمد ﷺ، وضمّنه فنوناً وألواناً جليلة من وجوه الإعجاز، وجعل أجلَّ وجوه إعجاز القرآن ما فيه من الجمال البياني، والبلاغة الرائعة التي لم ولن ترقى إلى مثلها بلاغة البلغاء ولا فصاحة الفصحاء.

وقد هيَّأ الله ﷻ لكتابه العزيز ثلة من العلماء الذين تذوقوا ذلك الجمال، ودُهشِوا بسحر ذاك البيان، وأذعنوا لبلاغته وإعجازه، وحرصوا على إبراز بعض جوانب إعجازه البياني، فاجتهدوا في استخراج الدرر البيانية للقرآن الكريم، وتنافسوا في استكشاف عناصر جمالية لم يكتشفها السابقون من ذلك الكتاب المعجز الذي "لا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلا يَخْلَقُ مِنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ."(١) ووضعوا علوم البلاغة الثلاثة: (المعاني والبيان والبديع) خدمة للقرآن المجيد.(٢)

وهذا الفصل سيلقي الضوء على علم البلاغة من خلال دراسة تأصيلية موجزة في معناه، وأقسامه، وأثره في توجيه القراءات، وفي نظم القرآن.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب فضائل القرآن، باب في فضائل القرآن جملة، رقم/٢٠٤٠، ٧٤١/١. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٢) البلاغة العربية (أسسها وعلومها وفنونها)، للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط١٤١٦/١هـ-١٩٩٦م، ٥/١.

المبحث الأول: تعريف البلاغة، وأقسامها.

المطلب الأول: تعريف البلاغة، والألفاظ ذات الصلة.

المطلب الثاني: أقسام علم البلاغة.

المطلب الثالث: أثر علم البلاغة في توجيه القراءات، وترجيحها.

ينبثق عن اللغة العربية علوم كثيرة لكل علم منها شأنه، وأغراضه، ومكانته، والدور الذي يؤديه، والناحية الجمالية المستفادة منه. وهذه العلوم جميعها على الرغم من استقلالها إلا أنها يكمِّل بعضُها بعضاً، فهناك صلة وثيقة تشبه صلة أبناء الرحم الواحدة بين النحو، والصرف، واللغة، وفقهها، والبلاغة، وبيانها.

وعلم البلاغة له آثاره الجمالية الخاصة التي تنعكس على جميع العلوم المتفرعة عن اللغة العربية؛ لأن البلاغة هي التي تمكِّن المتكلم من أسر مخاطبيه بجميل البيان، وعذوبة الأسلوب الذي يأخذ بمجامع قلوبهم.(١)

وهذا المبحث سيعرف البلاغة، ويبيِّن أقسامها، وأثرها في توجيه القراءات وترجيحها.

المطلب الأول: تعريف البلاغة والألفاظ ذات الصلة.

يتألف الكلام من كلمات مفردة وجمل مركبة منها ما يقرع السمع برقة ولين فيستحليه، ومنها ما ينفر منه السمع، وتمجُّه النفس. والمتكلم الذي يختار من الكلمات أفصحها، وأحلاها في الأسماع، ومن الجمل أوفقها، وأكثرها ملاءمة للمعاني التي يراد تعريف المخاطبين بها هو المتكلِّم البليغ.(٢) وهذا المطلب سيعرف البلاغة والفصاحة، ويبيِّن العلاقة بينهما.

أولاً: تعريف البلاغة.

البلاغة لغة: المشارفة والوصول والانتهاء، يقال: بلغ الشيء: وصل وانتهى، وتبلغ بالشيء: وصل إلى مراده، وبلغ الغلام: أدرك وقت التكليف، وبلغت النخلة: حان إدراك ثمرها، ويمين بالغة، أي: مؤكَّدة منتهية إلى غايتها، ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة القلم/٣٩] وبلغتُ المكان: وصلت إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ [سورة الصافات/١٠٢]. والإبلاغ والتبليغ: الإيصال، يقال: أبلِغْه الخبرَ إبلاغاً، وبلِّغهُ إياه تبليغاً.

والبلوغ يطلق على المشارفة كما يطلق على الانتهاء. قال تعالى في شأن المعتدة من طلاق رجعي: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [سورة الطلاق/٢] أي: شارفن على انتهاء الأجل؛ لأنها إذا انتهت إلى أقصى الأجل لا يصح للزوج مراجعتها. وقال في شأن المتوفى عنها زوجها: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة البقرة/٢٣٤] أي: انتهت عدتهن.

والمبالغة: الاجتهاد في الأمر، يقال: بلغ الرجل، أي: جهد، وتبلَّغ فلان المنزل: إذا تكلَّف إليه البلوغ حتى

---

(١) البلاغة: فنونها وأفنانها (علم المعاني)، د.فضل حسن عباس، دار الفرقان، إربد/الأردن، ط٤/١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ص ١٣ بتصرُّف.

(٢) البلاغة العربية، ١/١٤-١٥ بتصرُّف.

بلغ، وتبلَّغت به العلة: اشتدت.

والبَلَاغ، كسحاب: الكفاية، وهو: ما يُتبلَّغ به، ويُتوصَّل إلى الشيء المطلوب، يقال: تبلَّغ بكذا: اكتفى به، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ [سورة الأنبياء/١٠٦] أي: كفاية.(١)

والبلاغة: إيصال كنه ما في القلب بعبارة اللسان، يقال: بلُغَ الرجل بلاغة فهو بليغ: إذا كان فصيحاً طلق اللسان، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [سورة النساء/٦٣].(٢)

أما البلاغة في **الاصطلاح**: فهي مطابقة الكلام لمقتضى حال المخاطَب(٣) مع فصاحته.(٤)

والبلاغة - حقيقةً - تأتي وصفاً للكلام، يقال: كلامٌ بليغٌ أي: فصيح مطابق لمقتضى حال متلقي الخطاب. ويطلق وصفاً للمتكلِّم على سبيل المجاز، فيقال: متكلمٌ بليغ، أي: كلامه بليغ، إلا أن كثرة إطلاق هذا الوصف على كل متكلم لديه ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ جعل وصف المتكلم بالبلاغة كالحقيقة.(٥)

أما الكلمة فلا توصف بالبلاغة؛ لأن الكلمة المفردة قاصرة عن الوصول بالمتكلِّم إلى غرضه، فهي لا تكوِّن

---

(١) كتاب العين، ٤٢١/٤، وتهذيب اللغة، ١٣٥/٨، وأساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري (٥٣٨هـ)، دار الفكر، دمشق، د.ط./١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ص ٤٩-٦٠، ولسان العرب، ٤١٩/٨، ومختار الصحاح، ص ٧٣، وتاج العروس، ٤٤٤/٢٢-٤٥٢.

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (٣٢٨هـ)، تح: د.حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٤١٢/١هـ-١٩٩٢م، ١٥٦/١، المحكم والمحيط الأعظم، ٥٣٦/٥.

(٣) مقتضى الحال: هو الكلام الكلي المكيَّف بكيفية مخصوصة. والحال: هو الأمر الداعي للمتكلم إلى إيراد الكلام على وجه مخصوص. ومقتضى الحال يختلف بحسب تفاوت مقامات الكلام؛ فمقام الشكر يباين مقام التوبيخ، ومقام الجد يباين مقام الهزل، وغير ذلك. وعلى هذه المقامات تتوزع الأساليب من تقديم وتأخير وتعريف وتنكير وإيجاز وإطناب... إلخ. فمثلاً: ذكاء المخاطب حال تقتضي إيجاز القول، وغباوته حال تقتضي الإطناب، وارتفاع شأن الكلام في القبول والحسن يكون بمطابقته للمقام المناسب، وانحطاطه بعدم مطابقته له. وقد تكفَّلت مباحث علم المعاني بإيضاح مقتضى الحال، لأن مقتضى الحال في علم المعاني هو الذي يتحكم في تقديم بعض معمولات الفعل على بعض، وهو الذي يحكم بتأخير المسند إليه، لاقتضاء المقام تقديم المسند. وهذا الذي ذكرته كله هو مقتضى الظاهر من الحال، وقد يخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر؛ لاقتضاء الحال هذا الخروج كما سيأتي في المطلب الآتي. انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، لجلال الدين أبي عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني (٧٣٩هـ)، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١٤١٨/٤هـ-١٩٩٨م، ص ١٣، ومختصر المعاني، للعلَّامة سعد الدين التفتازاني (٧٩٢هـ)، دار الفكر دمشق، ط١٤١١/١هـ-١٩٩١م، ص ٢٠-٢٢.

(٤) التلخيص في علوم البلاغة، لجلال الدين أبي عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني (٧٣٩هـ)، تح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١٩٣٢/٢م، ص ٣٣، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٣، والبلاغة العربية، ١٢٩/١.

(٥) كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط./١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص ٦-٧، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٥.

معنى كاملاً موصوفاً بمطابقته لمقتضى حال المخاطَب.(١)

ويلاحظ أن هناك علاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للبلاغة؛ لأن البلاغة تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه.(٢)

والمقام هنا يدعو لبيان معنى الفصاحة، وعلاقتها بالبلاغة؛ لأن فصاحة الكلمات والتراكيب –كما تبيَّن – تعدُّ شرطاً أساسياً في تأليف كلام بليغ.

ثانياً: تعريف الفصاحة.

الفصاحة لغة: البيان والظهور والوضوح، يقال: فَصُحَ اللبن: إذا أُخِذَتْ عنه الرَّغوةُ، وأَفْصَحَ الصبحُ: بدا ضوءُه واستبان، ويوم مُفْصِح لا غَيمَ فيه ولا برد، وأَفْصَحَ الصبيُّ في مَنْطِقِه: فُهِمَ ما يقول في أَوّل ما يتكلم، وفَصُحَ العجمي: تكلَّم بالعربية، وجادت لغته حتى لا يلحن، وأَفْصَح عن الشيء: بَيَّنه وكَشَفَه، ورجل فَصِيحٌ: منطلق اللسان يَعْرف جَيِّدَ الكلام من رديئه، ولفظ فصيح: واضح يدرك السمع حسنه، والعقل دقته، ولسان فصيح: طلق يعين صاحبه على إجادة التعبير.(٣)

والفصاحة في **اصطلاح** علماء البلاغة: تأتي وصفاً للكلمة، والكلام، والمتكلِّم، يقال: كلمةٌ فصيحة، وكلامٌ فصيحٌ، ومُتكلِّمٌ فصيح.

١: **فصاحة الكلمة:** هي خلوصها من تنافر الحروف، والغرابة، ومخالفة القياس.(٤)

وتنافر الحروف: صفة في الكلمة تجعلها ثقيلة على اللسان، يصعب النطق بها على كثير من الناطقين بالعربية.(٥) والحكم في ذلك للذوق السليم الناتج عن مزاولة أساليب البلغاء، وليس للنظر في تقارب مخارج حروف

---

(١) مختصر المعاني، ص ١٤، والبلاغة الاصطلاحية، د.عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣/١٤١٢هـ–١٩٩٢م، ص ٣٠.

(٢) كتاب الصناعتين، ص ٦.

(٣) كتاب العين، ١٢١/٣، وتهذيب اللغة، ١٤٨/٤، والصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، للعلَّامة إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢/١٣٩٩هـ–١٩٧٩م، ٣٩١/١، وأساس البلاغة، ص ٤٧٤، ولسان العرب، ٥٤٤/٢، ومختار الصحاح، ص ٥١٧، والقاموس المحيط، ص ٢٩٩، وتاج العروس، ١٨/٧–٢٠.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٧، والتلخيص في علوم البلاغة، ص ٢٤، والبلاغة العربية، ١١١/١.

(٥) مثل كلمة (مُسْتَشْزِرَات) بمعنى منفتلة ملتفة في قول امرئ القيس يصف شعر ابنة عمه: غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى الْعُلاَ. انظر: البلاغة العربية، ١١١/١. وانظر: الصحاح، للجوهري، ٦٩٦/٢، ولسان العرب، ٤٠٤/٤.

حروف الكلمة كما يرى بعض البلاغيين؛[(١)] لأن هناك الكثير من الكلمات الفصيحة متقاربة الحروف، فمثلاً: كلمة (جيش) كلمة فصيحة رغم أن حروفها الثلاثة شجرية تخرج من وسط اللسان، وكلمة (فم) كلمة مؤلفة من حرفين شفويين وهي كلمة فصيحة.[(٢)]

وغرابة الكلمة: كونها غير ظاهرة المعنى، ولا مألوفة الاستعمال عند فصحاء العرب وبلغائهم.[(٣)]

ومخالفة القياس اللغوي: الإتيان بالكلمة على خلاف القانون المستنبط من تتبع مفردات ألفاظ اللغة العربية وما هو في حكمها، كوجوب الإعلال في نحو قام، والإدغام في نحو مدَّ، وغير ذلك مما يشتمل عليه علم التصريف، فلو فك الإدغام – مثلاً – في مدَّ، فقال: مدد لم يكن فصيحاً.[(٤)]

واشترط بعض البلاغيين[(٥)] ألا تكون الكلمة مكروهة في الأسماع. ولا أرى ذلك شرطاً في الفصاحة؛ لأن غرابة الكلمة، وتنافر حروفها هو الذي يجعل الكلمة ممجوجة في الأسماع. ولعل هذا السبب هو الذي جعل القزويني[(٦)]

---

(١) كابن سنان الخفاجي، والأستاذ الدكتور فضل حسن عباس. انظر رأي الخفاجي في كتابه: سر الفصاحة، للأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ص ٦٤، وانظر رأي الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس في كتابه: البلاغة، فنونها وأفنانها، ص ٢٤.

(٢) انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، للعلّامة أحمد بن علي القلقشندي (٨٢١هـ)، تح: د.يوسف علي طويل دار الفكر، دمشق، ط١/١٩٨٧م، ٢/٢٧٦.

(٣) مثل: كلمة (تكأكأ، وانفرقع) في قول عيسى بن عمر النحوي وقد سقط عن حماره فاجتمع عليه الناس: مالَكُم تَكَأْكَأْتُمْ عَليّ تَكَأْكُؤُكُمْ عَلَى ذِي جِنَّةٍ، افْرَنْقِعُوا عني. أي: مالكم اجتمعتم عليَّ، تنحوا عني. انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٨، والبلاغة العربية، ١/١١٢، وانظر: الصحاح، للجوهري، ١/٦٦، ولسان العرب، ١/١٣٦، والقاموس المحيط، ص ٩٦٥.

(٤) مثاله: فك إدغام (الأَجَلّ) في قول فضل بن قُدامة: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الأَجْلَلِ. انظر: صبح الأعشى، ٢/٢٧٨.

(٥) كابن سنان الخفاجي وابن الأثير والشيخ جبنكة الميداني. ومثلوا لذلك بكلمة (الجِرِشَّى) بمعنى النَفْس في قول أبي الطيب المتنبي مادحاً سيف الدولة: مُبَارَكُ الاسْمِ أَغَرُّ اللَّقَبْ كَرِيمُ الجِرِشَّى شَرِيفُ النَّسَبْ. انظر: سر الفصاحة، ص ٦٤-٦٦، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لأبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي (٦٣٧هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط./١٩٩٥م، ١/٨١-٨٢، والبلاغة العربية، ١/١١٤-١١٥.

(٦) جلال الدين القزويني: هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد بن عبد الكريم، قاضي القضاة جلال الدين القزويني ثم الدمشقي، ولد بالموصل عام ٦٦٦هـ، حدَّث وأفتى ودرَّس بمصر والشام، وناب في القضاء عن أخيه، ثم ولي الخطابة بدمشق، ثم القضاء بها، ثم انتقل إلى قضاء الديار المصرية، فأقام بها نحو إحدى عشرة سنة، ثم نقل إلى قضاء الشام. ألَّف تلخيص المفتاح في المعاني والبيان، وشرحه بشرح سماه الإيضاح. توفي بدمشق في جمادى الأولى سنة ٧٣٩هـ رحمه الله تعالى. انظر: طبقات الشافعية الكبرى، للإمام تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٦٣هـ)، تح: د.محمود محمد الطناحي، ود.عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، ط٢/١٤١٣هـ، ٩/١٥٨-١٦٠، وطبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة، ٢/٢٨٦-٢٨٨.

يرفض هذا الشرط.(١)

كما اشترط بعضهم شرطاً آخر لفصاحة الكلمة، وهو ألا تكون الكلمة مبتذلة، أي: مما شاع استعمالها لدى عوام الناس.(٢) ولا أرى ذلك شرطاً في فصاحة الكلمة؛ لأن هذا الأمر لا يخلو منه كلام بليغ أو فصيح قلة أو كثرة، ولأن أمر العامة أهون من أن يُحدِث مثل هذا الأثر في اللغة، ولأن المقام كثيراً ما يدعو لاستخدام كلمات شاعت لدى العوام. ولعل هذه الأسباب هي التي جعلت القزويني ومن تابعه من البلاغيين يعرِض عن اشتراط عدم ابتذال الكلمة لفصاحتها.(٣)

٢ً: **فصاحة الكلام**: هو اتسامه بفصاحة المفردات، وخلوه من ضعف التأليف والتعقيد وتنافر الكلمات.(٤)

الكلمات.(٤)

وقد سبق بيان معنى فصاحة المفردات.

أما **ضعف التأليف**: فهو أن يكون تأليف الكلمات في الجمل أو إجراؤها الإعرابي على خلاف المشهور المتَّبع من قواعد النحو، كعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة، واستعمال الضمير المنفصل مع إمكان استعمال المتصل، واستعمال الضمير المتصل في حال وجوب استعمال المنفصل، ونصب الفعل المضارع أو جزمه بدون ناصب أو جازم، وتقديم المعمول على عامله مع عدم جواز ذلك، أو عدم وجود مقتضٍ له بلاغياً.(٥) وأرى أن اشتراط هذا الشرط فيه تشديد يهدف إلى حمل الناس على عدم اتباع الأضعف من الكلام العربي مع وجود الأقوى والأشهر، بل أرى أن تأليف الكلمات في الجمل أو إجراءها على خلاف المشهور المتبع من قواعد النحو لا يخل بالفصاحة؛ لأن الكثير من القراءات القرآنية يجري إعرابها على خلاف المشهور من النحو، وقد نازع بعض العلماء في قبولها، وردَّها بعضهم لهذا السبب رغم تواترها،(٦) ومن المعروف أن القرآن الكريم بقراءاته ينبغي أن

---

(١) انظر: التلخيص في علوم البلاغة، ص ٢٥–٢٦، والبلاغة فنونها وأفنانها، ص ٢٦، والبلاغة العالية، أ. عبد المتعال الصعيدي، تح: د.عبد القادر حسين، مطبعة الآداب والمطبعة النموذجية، القاهرة، ط٢/١٤١١هـ–١٩٩١م، ص ٢٠.

(٢) كابن سنان الخفاجي، وابن الأثير، والقلقشندي. راجع: سر الفصاحة، ص ٧٣–٧٦، والمثل السائر، ١٨٣/١، وصبح الأعشى، ٢٦٧/٢.

(٣) انظر: البلاغة العالية، ص ١٩.

(٤) التلخيص في علوم البلاغة، ص ٢٦، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٩، والبلاغة العربية، ١١٦/١–١١٧.

(٥) مثاله: قول زياد بن حمل التميمي: وَمَا أُصَاحِبُ مِنْ قَوْمٍ فَأَذْكُرَهُمْ إِلاَّ يَزِيدُهُمُو حُبَّاً إِلَيَّ هُمُ. أي: وما أصاحب من قوم بعد قومي فأذكر لهم قومي، إلا بالغوا في الثناء عليهم حتى يزيدوهم حباً إلي. فلم يأت بالضمير المتصل (واو الجماعة) في (يزيدونهم) بل فصله، وجاء به ضميراً منفصلاً وهو لفظ (هم) في آخر البيت؛ لضرورة الشعر. انظر: البلاغة العربية، ١٢٠/١–١٢١.

(٦) كقراءة حمزة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ﴾ [سورة النساء/١] بجر ﴿وَالْأَرْحَامِ﴾. انظر: التيسير، ص ٧١، والنشر، ٢٨٢/٢.
=

يكون حاكماً على قواعد البلاغة، وليس محتكماً إليها، ولذلك أرى أن الذي يخل بالفصاحة ليس ضعف التأليف مطلقاً، بل الضعف الناتج عن اتباع ما لا يجيزه النحو أصلاً، كحذف الإعراب، وتحريك ياء المنقوص المجرور.(١)

والتعقيد: هو أن يكون الكلام غير ظاهر الدلالة على المعنى المراد به؛ لخلل في الترتيب الذي يقتضيه نظام الكلام وتأليفه في اللسان العربي، كتقديم الصفة على الموصوف، والصلة على الموصول،(٢) أو لخلل في دلالته، ككون انتقال الذهن من المعنى إلى لازمه غير ظاهر؛ بسبب استخدام لوازم فكرية بعيدة، أو خفية العلاقة، أو استخدام كنايات من العسير إدراك المراد منها، لعدم اقترانها بما يشير إلى دلالاتها المرادة.(٣)

وقد أنكرها بعض المفسرين بحجة أنه لا يجوز العطف بالظاهر على المضمر المخفوض إلا بإعادة الخافض. انظر: جامع البيان، ٥١٩/٧، والكشاف، ٤٩٢/١. وقراءة ابن عامر ﴿زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ [سورة الأنعام/١٣٧]، ببناء ﴿زُيِّنَ﴾ للمفعول، ورفع ﴿قَتْلُ﴾ على أنه نائب فاعل، ونصب ﴿أَوْلَادَهُمْ﴾ على أنَّه مفعول ﴿قَتْلُ﴾ وجَرّ ﴿شُرَكَائِهِمْ﴾ على إضافة ﴿قَتْلُ﴾ إليه من إضافة المصدر إلى فاعله. انظر: السبعة، ص ٢٧٠، والنشر، ٢٩٧/٢. وقد أنكرها بعض المفسرين بحجة أنه لا يجوز الفصل بين المضاف ﴿قَتْلُ﴾ والمضاف إليه ﴿شُرَكَائِهِمْ﴾ بالمفعول به ﴿أَوْلَادَهُمْ﴾ إلا في ضرورة الشعر. انظر: جامع البيان، ١٣٧/١٢، والكشّاف، ٦٦/٢. وقد ردَّ ابن المنيِّر حجة الزمخشري، وأنكر عليه موقفه من القراءات المتواترة عموماً، ومنها هاتان القراءتان. راجع: الانتصاف من الكشاف، للعلّامة أحمد بن محمد، المعروف بابن المنير السكندري (٦٨٣هـ)، حاشية على الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلّامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١/١٤٠٧هـ، ٤٦٢/١، ٦٩/٢.

(١) مثال حذف الإعراب: قول امرئ القيس: فاليومَ أَشْرَبْ غير مستحقبٍ . . إثماً من الله ، ولا واغل. ومثال تحريك ياء المنقوص المجرور: قول الشاعر: ما إنْ رَأَيتُ ولا أرى في مدَّتِي .. كَجَوَارِيٍ يلْعَبْنَ في الصحراءِ. انظر: سر الفصاحة، ص ٧٧ – ٨٤، والبلاغة العالية، ص ٢١.

(٢) هذا النوع من التعقيد يعرف باسم التعقيد اللفظي، وهو أشد العيوب نكارة وبعداً بالكلام عن الفصاحة؛ لأنه يؤدي إلى الغموض أو التشويش أو الدلالة على معان غير مرادة. مثاله: قول الفرزدق يمدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك: وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلاَّ مُمَلَّكاً أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ. أي: وما مثل إبراهيم الممدوح في الناس حي يقاربه أحد يشبهه في الفضائل إلا مملكاً وهو هشام، أبو أمه أي: أبو أم هشام أبوه، أي: أبو الممدوح. فالضمير في أمه للملك، وفي أبوه للممدوح، ففصل بين (أبو أمه) وهو مبتدأ وبين (أبوه) وهو خبره بـ(حي) وهو أجنبي، وفصل بين (حي) وبين (يقاربه) وهو نعت (حي) بـ (أبوه) وهو أجنبي، وقدم المستثنى على المستثنى منه فجاء الكلام في غاية التعقيد. انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٩–١٠، والبلاغة العربية، ١٢٣/١–١٢٤، والبلاغة: فنونها وأفنانها، ص ٢٨.

(٣) هذا النوع من التعقيد يعرف بالتعقيد المعنوي، مثاله: قول العباس بن الأحنف: سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدا. أي: سأطلب البعد عنكم؛ لما فيه من الألم، فربما تدفعني مرارة البعد إلى القرب منكم عندما لا أستطيع تحمل آلام الصبر. وقد كنى بسكب الدموع عما يوجبه الفراق من الحزن فأصاب؛ لأن من شأن البكاء أن يكون كناية عن الحزن، ثم أراد أن يكني عما يوجبه دوام التلاقي من السرور بجمود العين؛ فأخطأ في ذلك وجانب الفصاحة؛ لأن جمود العين ليس عدم البكاء عند لقاء الحبيب، بل هو خلو العين من الدموع حال شدة الحاجة إلى البكاء. وقد كنى بالجمود عن المسرة مع أن الأصل أن تكون كناية عن البخل، كقولنا: سنة جماد: لا مطر فيها، وناقة جماد: لا لبن لها، على معنى أن السنة بخيلة بالقطر والناقة لا تسخو بالدر. انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٠–١١، والبلاغة: فنونها وأفنانها، ص ٢٨–٢٩، والبلاغة العربية، ١٢٥/١–١٢٦.

وتنافر الكلمات: وصف يعرض للكلام بسبب اجتماع كلمات فيه تجعل النطق بها ثقيلاً، مع كون كل كلمة من الكلمات المجتمعة لينة سهلة النطق حال انفرادها.(١)

٣: **فصاحة المتكلم**: هي ملكة يقتدر بها على التعبير عن مقصوده بكلام فصيح.(٢)

ويلاحظ أن هناك علاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للفصاحة؛ لأن الكلام الفصيح هو الكلام الواضح البَيِّن الذي لا يحتاج إلى تفسير أو كثير تأمل لفهم المراد به.

ثالثاً: العلاقة بين البلاغة والفصاحة، والفرق بينهما.

تبين مما سبق أن الفصاحة تأتي وصفاً للألفاظ المفردة خلافاً للبلاغة التي لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعاني، فلا يقال في كلمة واحدة بليغة، وإن قيل فيها إنها فصيحة. ولذلك فإن العلاقة بين البلاغة والفصاحة هي علاقة عموم وخصوص، فالبلاغة أعم من الفصاحة؛ لأن الفصاحة شطر البلاغة، وأحد أجزائها، فكل كلام بليغٍ فصيحٌ، وليس كل كلام فصيحٍ بليغاً.(٣)

وقد ذهب العلّامة عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)(٤) إلى أن البلاغة والفصاحة لفظان مترادفان؛(٥) لأنهما ترجعان إلى معنى واحد وهو إبانة المعنى وإظهاره. إلا أن أكثر العلماء الذين جاؤوا بعد الجرجاني ذهبوا إلى التفرقة

(١) مثاله: ما أورده الجاحظ في وصف قبر حرب بن أمية بن عبد شمس: وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرُ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ. وكل كلمة من الكلمات الآتية: (قبر، قرب، قفر، حرب) لينة سهلة فصيحة حال انفرادها، لكن حصل التنافر بسبب تكرار وتتابع الراء والباء الناتج عن اجتماع هذه الكلمات في البيت. انظر: البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)، تح: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط١/١٩٦٨م، ص ٤٩، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٩، والبلاغة العربية، ١/١١٧، والبلاغة: فنونها وأفنانها، ص ٢٧.

(٢) التلخيص في علوم البلاغة، ص ٣٢. ويشترط في المتكلم الفصيح: أن يكون ملمّاً باللغة العربية، عالماً بقواعد نحوها وصرفها، واسع الاطلاع على مفرداتها ومعانيها الدقيقة، كثير النظر في كتب الأدب، مطلعاً على أقوال كبار الفصحاء، ذا دراية بأساليب العرب في شعرهم ونثرهم وأمثالهم وكناياتهم ومجازاتهم، حافظاً لطائفة من عيون كلام فصائحهم وبلغائهم، مع ضرورة ممارسة موهبته بالتطبيقات العملية، حتى يكتسب مهارة التعبير عن مقاصده بكلام فصيح. انظر: البلاغة العربية، ١/١٢٧.

(٣) سر الفصاحة، ص ٥٩، والمثل السائر، ١/٨٤، والتلخيص في علوم البلاغة، ص ٣٦، والبلاغة العالية، ص ١٠.

(٤) هو الإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي الشافعي الأشعري، كنيته أبو بكر، أخذ النحو عن أبي الحسين محمد بن الحسن الفارسي ابن أخت الشيخ أبي علي الفارسي. من مصنفاته: كتاب المغني في شرح الإيضاح، والمقتصد في شرح الإيضاح، وإعجاز القرآن الكبير، وإعجاز القرآن الصغير، والعوامل المائة، ومن أجلّ مصنفاته: دلائل الإعجاز في علم المعاني، وأسرار البلاغة في علم البيان. توفي سنة ٤٧١ أو ٤٧٤هـ رحمه الله تعالى. انظر: طبقات الشافعية الكبرى، ٥/١٤٩–١٥٠، وطبقات المفسرين، للأدنه وي، ص ١٣٣.

(٥) دلائل الإعجاز، للإمام عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، تح: د.محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١/١٤١٥هـ–١٩٩٥م، ص ٢٠١.

بينهما، وهذا الأمر يكاد يكون مجمعاً عليه بين العلماء المتأخرين.(١)

وعند الرجوع إلى كتاب الله للوقوف على المعنى الدقيق، والمدلول الواضح لكلتا الكلمتين نجد أن مادة الفصاحة وردت في القرآن الكريم في قول الله ﷻ في قصة موسى عليه السلام: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً﴾ [سورة القصص/٣٤]، أما مادة البلاغة فوردت في القرآن الكريم في اثنين وخمسين موضعاً كلها تدل على معنى الوصول والانتهاء، وتعدُّ آية سورة النساء من أكثر الآيات التصاقاً بالمعنى الاصطلاحي للبلاغة، وهي: ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [سورة النساء/٦٣]. ومن خلال النظر في استعمال القرآن الكريم لمادتي الفصاحة والبلاغة يلاحظ أن الله ﷻ وصف اللسان أي: اللفظ الصادر عنه بالفصاحة، ووصف القول الذي يراد منه أن يكون مؤثِّراً في النفوس بالبلاغة، أي: إنَّ القرآن الكريم يقضي بالتفرقة بينهما.(٢)

وقد ذكر جمهور البلاغيين جملة من الفروق بين المادتين أهمها:

١. الفصاحة صفة للكلمة المفردة والكلام والمتكلم، والبلاغة صفة للكلام والمتكلم فقط. يقال: كلمة فصيحة، ولايقال: كلمة بليغة. (٣)

٢. الفصاحة هي تمام آلة البيان، فالألثغ لا يسمى فصيحاً؛ لنقصان آلته عن إقامة الحروف. والله ﷻ لا يسمّى فصيحاً؛ لأن الفصاحة تتضمّن معنى الآلة، ولا يجوز عليه ﷻ الوصف بالآلة، ويوصف كلامه بالفصاحة لتضمُّنه تمام البيان. (٤)

٣. الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ، والبلاغة تأتي وصفاً للألفاظ مع المعاني.(٥) قال تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً﴾ [سورة القصص/٣٤] فنسب الفصاحة إلى اللسان؛ لأنها تفصح عما لفظ به. وقال أيضاً: ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [سورة النساء/٦٣]. أي: قولاً تكون غايته إيصال معنى مؤثِّرٍ في النفس، لا مجرد النطق.

ومما يدل على اختصاص الفصاحة باللفظ ما تقدَّم من أن الفصاحة هي تمام آلة البيان، والآلة تتعلق باللفظ

---

(١) البلاغة فنونها وأفنانها، ص ١٨.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨–٢٠.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٧.

(٤) كتاب الصناعتين، ص ٧–٨.

(٥) الصناعتين، ص ٨، وسر الفصاحة، ص ٥٩، والمثل السائر، ١/٨٤، وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، تح: د.يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١/١٩٩٩م، ص ١٦.

دون المعنى. ويدل على ذلك أيضاً أن الببغاء يسمى فصيحاً؛ لإقامته الحروف، ولا يسمى بليغاً؛ لأنه لا قصد له إلى المعنى الذي يؤديه.[١]

وقد أجاد أبو البقاء الكفوي[٢] في إيضاح العلاقة بين الفصاحة والبلاغة، وبيان الفرق بينهما بقوله: "وفصاحة المفرد كحسن كل عضو من أعضاء الإنسان، وفصاحة الكلام كحسن تركيب أعضاء الإنسان، وبلاغة الكلام كالروح الذي لأجله يرغب في البدن."[٣]

رابعاً: تفاوت آيات القرآن الكريم في مراتب البلاغة والفصاحة.

الكلام ليس على درجة واحدة من البلاغة، بل كلما كان الكلام الفصيح في مفرداته وجمله أكثر مراعاة لحال المخاطب وتأثيراً في نفسه ازداد حسناً، وكلما كان أوفى بالخصوصيات والاعتبارات المعتدّ بها عند علماء البيان كان أكثر ارتقاء في منازل البلاغة، وكلما بعُد الكلام عن مطابقة مقتضى حال المخاطب، وضَعُفَ تأثيره في نفسه، وقلّ وفاؤه بتلك الخصوصيات والاعتبارات كان أقل مرتبة في البلاغة، ولا يزال ينزل حتى يصل إلى المرتبة السفلى، فيلتحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات.

أ – مراتب البلاغة: الكلام البليغ له طرفان: طرف أعلى رفيع، يمتنع أن يوجد ما هو أشد منه تناسباً مع حال المخاطب، وتأثيراً في نفسه، وهو حد الإعجاز. وطرف أسفل منحط إذا نزل عنه درجة واحدة خرج عن كونه مفيداً للمعنى، والتحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات، وإن كان صحيح الإعراب.[٤]

وبين هذين الطرفين مراتب كثيرة متفاوتة بحسب تفاوت المقامات ورعاية الاعتبارات، والبعد من أسباب الإخلال بالفصاحة، فأعلاها في الرتبة كلام الرسول محمد ﷺ، الذي أوتي جوامع الكلم، ودونها مراتب كثيرة لا

---

(١) الصناعتين، ص ٨، وجواهر البلاغة، ص ١٦.

(٢) هو أيوب بن موسى الحسيني، الكوفي، الحنفي (أبو البقاء) ولد في كفا بالقرم، وتوفي وهو قاض بالقدس. من مصنفاته: معجم الكليات. توفي سنة ١٠٩٤هـ رحمه الله تعالى. انظر: معجم المؤلفين، ٣١/٣، والأعلام، ٣٨/٢.

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (١٠٩٤هـ)، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط./١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص ٦٩١.

(٤) يرى الإمام الفخر الرازي أن هذه المرتبة ليست من البلاغة، بل تلحق بأصوات الحيوانات أيضاً. انظر: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (٦٠٦هـ)، تح: د.نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر، بيروت، ط١/١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، ص ٣٤. والحق أنه منها؛ لأنه لا بد من اشتماله على خصوصية ما، فيدخل في تعريف البلاغة. انظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، أ. عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ط/١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ٢٣/١.

تزال تنزل حتى تقارب الطرف الأسفل من مراتب البلاغة.[1]

وكلام الله أبلغ من كلام المخلوقين مطلقاً، فجميع آيات القرآن الكريم تتبوأ أعلى مراتب البلاغة،[2] لكن هل تتفاضل آيات القرآن في البلاغة؟ وهل يوجد في القرآن آيات أبلغ من غيرها؟

ذهب الخطابي (٣٨٨هـ)[3] إلى المفاضلة بين الآيات، فقال: "إن وجه الإعجاز فيه [في القرآن] من جهة البلاغة، ... والتحقيق أن أجناس الكلام مختلفة ومراتبها في درجة البيان متفاوتة، ودرجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية، فمنها البليغ الرصين الجزل، ومنها الفصيح القريب السهل، ومنها الجائز الطلق الرسل، وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود دون النوع الهجين المذموم الذي لا يوجد فى القرآن شئ منه ألبتة. فالقسم الأول أعلاه، والثاني أوسطه، والثالث أدناه وأقربه، فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة، وأخذت من كل نوع شعبة، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة."[4]

وذهب الزركشي إلى عدم المفاضلة، فقال: "من حيث إنه كلام الله لا مزية لشيء منه على شيء."[5]

ونقل الزركشي أقوالاً عن ثلة من العلماء تؤيِّد ما ذهب إليه،[6] وخلاصتها أنَّ ما يرد عن بعض العلماء من

---

(١) النكت في إعجاز القرآن، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (٣٨٦هـ)، ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني (٣٨٦هـ)، والخطابي (٣٨٨هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، تح: محمد خلف الله، د.محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط٣/١٩٧٦م، ص ٧٥–٧٦، ومفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (٦٢٦هـ)، تح: أكرم عثمان يوسف، دار الرسالة، بغداد، ط١/١٤٠٢هـ–١٩٨٢م، ص ٦٥٢، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٥، ومختصر المعاني، ص ٢٣، وبغية الإيضاح، ٢٣/١، والبلاغة العالية، ص ٢٩.

(٢) البرهان، ٤٤٠/١، والإتقان، ١٣٧/٤، والتحرير والتنوير، ١٠٤/١، ومناهل العرفان، ٢٢١/٢.

(٣) هو الحافظ اللغوي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، ولد سنة ٣١٩هـ، سمع من: أبي سعيد بن الأعرابي بمكة، ومن إسماعيل بن محمد الصفار ببغداد، ومن أبي بكر بن داسة وغيره بالبصرة، ومن أبي العباس الأصم بنيسابور. أخذ الفقه على مذهب الشافعي عن أبي بكر القفال الشاشي. حدث عنه: أبو عبد الله الحاكم وأبو حامد الإسفراييني، والعلَّامة أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي، وغيرهم. من تصانيفه: معالم السنن وهو شرح سنن أبي داود، بيان إعجاز القرآن، غريب الحديث، شرح الأسماء الحسنى، كتاب العزلة، إصلاح غلط المحدثين، كتاب الغنية عن الكلام وأهله، توفي في بست سنة ٣٨٨هـ رحمه الله تعالى. انظر: وفيات الأعيان، ٢١٤/٢، وسير أعلام النبلاء، ٢٣/١٧–٢٤، وطبقات الشافعية الكبرى، ٢٨٢/٢–٢٨٣.

(٤) بيان إعجاز القرآن، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (٣٨٨هـ)، ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني (٣٨٦هـ)، والخطابي (٣٨٨هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، تح: محمد خلف الله، د.محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط٣/١٩٧٦م، ص ٢٦.

(٥) البرهان، ٤٤٠/١.

(٦) منهم: الشيخ عز الدين بن عبد السلام، والخويي، والحليمي. انظر: البرهان، ٤٤٠/١، والإتقان، ١٣٧/١–١٣٩.

المفاضلة بين بعض الآيات سببه قصور النظر عن إدراك مقامات الآيات، ولذلك يحمل قول القائل: "هذا الكلام أبلغ من هذا الكلام" على أن هذا فى موضعه له حسن ولطف، وذاك فى موضعه له حسن ولطف، وهذا الحسن فى موضعه أكمل من ذاك فى موضعه.

فمن قال: إنَّ قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص/١] أبلغ من قوله: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [سورة المسد/١] فقد جعل المقابلة بين ذكر الله ﷻ، وذكر أبي لهب، وبين التوحيد والدعاء على الكافرين، وذلك غير صحيح، بل ينبغى أن يقال: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ دعاء بالخسران، ولا توجد عبارة للدعاء بالخسران أحسن من هذه الآية، وكذلك لا توجد عبارة تدل على الوحدانية أبلغ من: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ولذلك لا ينبغي للعالم إذا نظر إلى الآيتين أن يقول إحداهما أبلغ من الأخرى.

أما ما ثبت في القرآن والسنة من المفاضلة بين الآيات والسور، كقوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [سورة البقرة/١٠٦]، وقوله ﷺ: "سيدة آي القرآن آية الكرسي."[١] وقوله ﷺ: "لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ ... الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ."[٢] فيرجع إلى أمور:

أحدها: أن تكون الآيتان ثابتتين فى التلاوة، إلا أن إحداهما منسوخة والأخرى ناسخة، فنقول: إن الناسخ خير، أي: إنَّ العمل بها أولى بالناس.

الثاني: ما ثبت من خيرية الآيات التى تشتمل على تعديد أسماء الله تعالى وبيان صفاته والدلالة على عظمته وقدسيته، معناه: أن هذه الآيات مخبراتها أسنى، وأجل قدراً.

الثالث: ما ثبت من خيرية بعض السور والآيات، معناه أن الفضل فيها راجع إلى عظم الأجر، ومضاعفة الثواب بحسب انفعالات النفس، وخشيتها، وتدبرها، وتفكرها عند ورود أوصاف الله، أو لأن القارىء يتعجل بقراءتها فائدة سوى الثواب الآجل، ويتأدى منه بتلاوتها عبادة، كقراءة آية الكرسي، وسورة الإخلاص، والمعوذتين، فإن قارئها يتعجل بقراءتها الاحتراز مما يخشى، والاعتصام بالله ﷻ، ويتأدى بتلاوتها عبادة؛ لما فيها من ذكر اسم الله تعالى، وسكون النفس إلى فضل الذكر وبركته.

فالمفاضلة بين الآيات والسور على هذا الوجه المذكور كالمفاضلة بين القرآن والتوراة والإنجيل والزبور، فالقرآن خير من التوراة والإنجيل والزبور، بمعنى أن التعبد بالتلاوة والعمل واقع به دونها، والثواب يحسب بقراءته لا

---

(١) المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، باب من سورة البقرة، رقم/٣٠٣٠، ٢٨٦/٢. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة فاتحة الكتاب، رقم/٤٢٠٤، ١٦٢٣/٤.

بقراءتها، أو أنه من حيث الإعجاز حجة النبي ﷺ، وتلك الكتب لم تكن معجزة.(١)

والحاصل أن الزركشي وجمهور العلماء يذهبون إلى عدم جواز المفاضلة بين آيات القرآن من حيث البلاغة، ولذلك لا ينبغي أن يقال إن بعض الآيات أبلغ من بعض؛ لأن جميع آيات القرآن في قمة البلاغة وذروتها، وإلى هذا الرأي ذهب أيضاً السيوطي، ونقل إجماع العلماء على ذلك، فقال: "اختُلِف في تفاوت القرآن في مراتب الفصاحة بعد اتفاقهم على أنه في أعلى مراتب البلاغة، بحيث لا يوجد في التراكيب ما هو أشد تناسباً ولا اعتدالاً في إفادة ذلك المعنى منه."(٢)

وبناء على ما تقدَّم يمكن الردُّ على ما ذهب إليه الخطابي، بأنَّ جَمْعَ القرآن بين البليغ الرصين الجزل، والفصيح القريب السهل، والجائز الطلق الرسل لا يعني أنَّ بعض آياته أرقى في البلاغة من بعض؛ لأن مقام الآية قد يدعو إلى استخدام الجزالة والفخامة في الموقع الذي لا تُؤديه العذوبة ما تُؤديه السلاسة من التأثير في نفس السامع. فالبلاغة تعني مطابقة الكلام لمقتضى الحال الذي قد يدعو لإيثار الفخامة في بعض المواضع دون بعضها الآخر، وقد يقضي بأن السلاسة والعذوبة في بعض المواضع أبلغ من الجزالة؛ فكل مرتبة من المراتب التي ذكرها الخطابي لها مقام يقتضيها، بحيث يمتنع أن تجد ما هو أشد تناسباً، ولا اعتدالاً في إفادة ذلك المعنى منها.

وبناء عليه أرى بأنَّ ما ذهب إليه بعض المفسرين من الترجيح بين القراءات المتواترة؛ احتجاجاً بأن بعضها أبلغ من بعض سببه قصور النظر عن إدراك مقامات الآيات؛ لأن جميع القراءات هي كلام الله ﷻ الذي قضى بتعدد القراءات؛ لحِكَمٍ أرادها، والقراءات المتعددة تقوم مقام آيات متعددة، وواجب المفسِّر تجاهها هو البحث عن طرق التوفيق بينها، والتماس وجوه البلاغة لجميعها، دون الترجيح بينها؛ لأن تعدد القراءات يمكن أن يُحمل على تعدد الأحوال والمقامات، وهذا البحث سيحاول الاستدراك على مسلك الترجيح بين القراءات الذي سلكه بعض المفسرين تجاه القراءات المتواترة المتعددة، وسيبحث عن طرق التوفيق بينها.

ب – تفاوت ألفاظ القرآن الكريم في الفصاحة: اختلف العلماء في تفاوت ألفاظ القرآن الكريم في الفصاحة، رغم اتفاقهم على أن القرآن الكريم في أعلى مراتب البلاغة:

فذهب بعضهم إلى عدم تفاوت ألفاظ القرآن الكريم في الفصاحة، فكل كلمة فيه هي بالذروة العليا منها، وإن كان بعض الناس أحسن إحساساً له من بعض، كما أن بعضهم يفطن للموزون بخلاف بعض.(٣)

---

(١) البرهان، ١/٤٤١-٤٤٢.

(٢) الإتقان، ٣/٢١.

(٣) وهذا المذهب هو رأي الإمام الباقلاني. انظر: كتابه إعجاز القرآن، للإمام أبي بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم =

وذهب آخرون إلى تفاوت فصاحة ألفاظ القرآن الكريم، ففيه الفصيح والأفصح، ولا تتبوأ جميع ألفاظه أرفع درجات الفصاحة.(١) واستدلوا بأنَّ القرآن لو جاء بأفصح الألفاظ لكان على غير النمط المعتاد في كلام العرب من الجمع بين الأفصح والفصيح، فلا تتم الحجة في الإعجاز، فجاء على نمط كلامهم المعتاد؛ ليتم ظهور العجز عن معارضته.(٢)

وأرى أن هذين الرأيين غير متناقضين، ويمكن التوفيق بينهما؛ فالفريق الأول نظر إلى الكلمة بحسب موقعها، فلم ير في كلام العرب ما هو أفصح منها، ولذلك قال المفسّر ابن عطية(٣): " كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد."(٤)

والفريق الثاني نظر إلى كلمات القرآن بمعزل عن سياقها، فوجد فيها الفصيح والأفصح، وبذلك يكون كلا المذهبين صواباً بالنظر إلى حيثياته.

الباقلاني (٤٠٣هـ)، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط٥/١٩٩٧م، ص ٣١، ٢٦٩–٢٧٠.

(١) وهو رأي العلَّامة أبي نصر القشيري، والعز بن عبد السلام، والقاضي صدر الدين موهوب الجزري، وكتبهم مفقودة. انظر آراءهم في: البرهان، ١٢١/٢–١٢٢، والإتقان، ٢١/٤، وهو أيضاً رأي الشيخ الطاهر بن عاشور، حيث يقول: "حد الإعجاز مطابقة الكلام لجميع مقتضى الحال، وهو لا يقبل التفاوت، ويجوز مع ذلك أن يكون بعض الكلام المعجز مشتملاً على لطائف وخصوصيات تتعلق بوجوه الحسن، كالجناس والمبالغة، أو تتعلق بزيادة الفصاحة." انظر: التحرير والتنوير، ٦١/١.

(٢) الإتقان، ٢١/٤.

(٣) هو أبو محمد، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي، المفسّر، الفقيه، الأندلسي، ولد سنة ٤٨١هـ، أحد القضاة بالبلاد الأندلسية، كان عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير، أديباً بارعاً، وشاعراً لغوياً ضابطاً، من أهم مؤلفاته: تفسير (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز). توفي سنة ٥٤٢هـ رحمه الله تعالى. انظر: تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، لأبي الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي (بعد سنة ٧٩٣هـ)، تح: د.مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٥هـ–١٩٩٥م، ص ١٤١–١٤٢، وطبقات المفسرين، للسيوطي، ص ٥٠.

(٤) المحرر الوجيز، ٥٢/١.

المطلب الثاني: أقسام علم البلاغة.

قسم البلاغيُّون علم البلاغة إلى ثلاثة أقسام، فأطلقوا اسم علم المعاني على المسائل التي تعنى بموقع الكلمة المفردة، والصياغة وأحوال التراكيب. وعلم البيان على المسائل التي تعنى بدراسة التصوير البياني الذي يستعين به البليغ على البوح بما في نفسه وإبرازه بدلالة واضحة، وعلم البديع على المسائل التي تعنى بألوان التزيين والتحسين التي تضاف إلى الكلام، فتكسبه جمالاً زائداً.(١) وهذا المطلب سيدرس بإيجاز كل واحدٍ من هذه العلوم، وسيسلط الضوء على أبرز أبوابها ومباحثها.(٢)

أولاً: علم المعاني: هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال.(٣)

أي: إنَّ علم المعاني يبحث في الأحوال التي تعرض للألفاظ بقصد جعلها منسجمة مع حال السامع الداعية لإيراد الكلام على وجه مخصوص.(٤) وهذه الأحوال التي يبحثها علم المعاني هي أحوال خصوصية يستفاد بها معان زائدة على أصل المعنى. كقوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ [سورة يس/١٤] فقول الله ﷻ: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ يشتمل على حالة خصوصية وهي توكيد الخبر؛ لأجل إبطال تردد المخاطبين فيه، وذلك أمر زائد على أصل المعنى وهو الإعلام.(٥)

ومن هنا نلحظ التناسب بين اسم هذا العلم وبين المباحث التي يدرسها؛ فعلم المعاني سمي بهذا الاسم؛ لأن مسائله تعلمنا كيف نفيد معاني كثيرة في ألفاظ قليلة: إما بزيادة لفظ يدل على معنى حقّه أن يُؤدَّى بجمل كثيرة، مثل: (إنما) في الحصر، و(إن) في التأكيد ورد الإنكار. وإما بأن لا يزيد شيئاً، ولكنه يرتب الكلام على كيفية تؤدي معنى زائداً، مثل: تقديم المفعول لإفادة الحصر في نحو قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [سورة الفاتحة/٥].(٦)

---

(١) موجز البلاغة، للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، (١٣٩٣هـ)، المطبعة التونسية، تونس، ط١/د.ت. ص ٥، وخصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١٤٢١/٧هـ-٢٠٠٠م، ص ٣٣.

(٢) سأدرس بإيجاز أبواب علمي البيان والبديع؛ أما علم المعاني فسأتناول أبوابه ومباحثه بقليل من التفصيل؛ لاتصال فصول هذه الأطروحة ومباحثها بمباحث علم المعاني، دون مباحث علمي البيان والبديع.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٦، ومختصر المعاني، ص ٢٧، وخصائص التراكيب، ص ٣٤.

(٤) مختصر المعاني، ص ٢٧، وبغية الإيضاح، ٢٧/١ بتصرُّف.

(٥) موجز البلاغة، ص ٩.

(٦) المرجع السابق، ص ٥.

وقد حصر البلاغيون أبواب علم المعاني في ثمانية،[١] هي: [٢]

١. أحوال الإسناد[٣] الخبري: وفيه يُدرَس أغراض الخبر[٤] الأصلية والمستفادة من القرائن،[٥] وطرق تأدية تأدية الخبر بحسب اختلاف حال المخاطب ودرجة إنكاره.[٦]

---

(١) وجه الحصر أن الكلام إما خبر أو إنشاء، ثم الخبر لا بد له من إسناد ومسند إليه ومسند، وأحوال هذه الثلاثة هي الأبواب الثلاثة الأولى. ثم المسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلًا، وهذا هو الباب الرابع. ثم الإسناد والتعلق كل واحد منهما يكون إما بقصر أو بغير قصر، وهذا هو الباب الخامس. والإنشاء هو الباب السادس. ثم الجملة إذا قرنت بأخرى فتكون الثانية إما معطوفة على الأولى أو غير معطوفة، وهذا هو الباب السابع. ولفظ الكلام البليغ إما زائد على أصل المراد لفائدة أو غير زائد عليه، وهذا هو الباب الثامن. انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٧.

(٢) سأتحدث عن مباحث علم المعاني ومسائله بإيجاز شديد، فهناك الكثير من المؤلَّفات البلاغية المعنية بدراسة هذه المسائل التي لا يتسع هذا البحث لذكرها. انظر – مثلاً –: دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، ومفتاح العلوم لأبي يعقوب يوسف السكاكي، والإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، والبلاغة العالية كلاهما لعبد المتعال الصعيدي، والبلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها للشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني، والبلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) لفضيلة الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس، والبلاغة الواضحة لعلي الجارم ومصطفى أمين.

(٣) الإسناد: الإسناد ضم كلمة أو ما يجرى مجراها –كالضمير – إلى أخرى ضماً يفيد ثبوت مفهوم إحداهما لمفهوم الأخرى، أو انتفاءه عنه. فالكلمة الدالة على المحكوم عليه تسمى مسنداً إليه، والكلمة الدالة على المحكوم به تسمى مسنداً، والحكم الحاصل من ذلك يسمى الإسناد. انظر: مختصر المعاني، ص ٣٣، وموجز البلاغة، ص ١٠.

(٤) الخبر: كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته، نحو: العلم نافع، والمراد: بصدق الخبر مطابقته للواقع ونفس الأمر، والمراد بكذبه عدم مطابقته مطابقته له. انظر: دلائل الإعجاز، ص ٣٨٥، ومفتاح العلوم، ص ٣٤٧، والبلاغة العربية، ١/١٦٧.

(٥) الأصل في الخبر أن يلقَى لأحد غرضين: إمَّا إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنتْه الجملة، إذا كان جاهلاً له، ويسمَّى هذا النوع «فائدة الخبر» نحو قولنا: " زيد قائم" لمن لا يعلم أنه قائم. وإمَّا إفادة المخاطب أنَّ المتكلم عالمٌ أيضاً بأنه يعلم الخبر، كقولك لمن حفظ القرآن: "لقد حفظت القرآن الكريم" ويسمَّى هذا النوع « لازم الفائدة». انظر: مفتاح العلوم، ص ٣٤٧، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٢٢، ومختصر المعاني، ص ٣٣. وقد يخرج الخبر عن الغرضين السابقين إلى أغراض أخرى تستفاد بالقرائن، ومن سياق الكلام. كالاسترحام والاستعطاف، والتوبيخ، والفخر، والمدح، وغيرها، والمرجع في معرفة ذلك إلى الذوق الأدبي، والعقل السليم. انظر: البلاغة العربية، ١/١٧٣–١٧٥، وبغية الإيضاح، ١/٣٣.

(٦) للخبر ثلاثة أضرب تختلف تبعاً لاختلاف أحوال المخاطب: فإذا كان المخاطب خاليَ الذهن من الخبر، غيرَ مترددٍ فيه، فلا يؤكد له الكلام، ويسمَّى هذا الضربُ من الخبرِ (ابتدائياً). وإذا كان المخاطبُ متردداً في الخبرِ، طالباً الوصولَ لمعرفتِهِ، فيستحسنُ تأكيدُ الكلامِ؛ ليتمكَّنَ من نفسهِ، ويسمَّى هذا الضربُ من الخبرِ (طلبياً). أما إذا كان المخاطَب منكراً للخبر، معتقداً خلافَهُ، فيجبُ تأكيدُ الكلام له بمؤكدٍ أو أكثرَ، على حسبِ حالهِ من الإنكارِ، ويسمَّى هذا الضرب من الخبر (إنكارياً). انظر: مفتاح العلوم، ص ٣٥٣–٣٥٤، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٢٤، ومختصر المعاني، ص ٣٥.

كما يدرس هذا الباب أيضاً: صور خروج الخبر عن مقتضى الظاهر،[١] والجملتان الخبريتان الاسمية والفعلية والمعاني المستفادة من كل منهما.[٢]

٢. أحوال المسند إليه: وهذا الباب يدرس: حذف المسند إليه،[٣] وتقديمه أو تأخيره،[٤] وتعريفه،[٥] أو تنكيره،[٦] والدواعي والأغراض البلاغية لكل واحد منها، كما يدرس ظاهرةَ الخروج عن مقتضى الظاهر في الكلام البليغ، وصورها.[٧]

---

(١) قد تقتضي الأحوال العدول عن مقتضى الظاهر إلى خلافه لاعتبارات يلحظها المتكلم. وأهم صور خروج الخبر عن مقتضى الظاهر: تنزيل خالي الذهن منزلة السائل المتردد، إذا تقدم في الكلام ما يشير إلى حكم الخبر، تنزيل غير المنكر منزلة المنكر إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار، تنزيل المنكر منزلة الخالي، إذا كان لديه دلائل وشواهد لو تأمَّلها لارتدع وزال إنكاره، تنزيل المتردد منزلة الخالي، وتنزيل المتردد منزلة المنكر. انظر: مفتاح العلوم، ص ٣٥٦–٣٥٨، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٢٤، والبلاغة العربية، ١/١٨٢–١٨٥.

(٢) الجملة الفعلية: هي ما تركبت من فعل وفاعل، أو ما يقوم مقامه، وهي موضوعة لإفادة التجدد والحدوث في زمن معين. والجملة الاسمية: هي ما تركبت من مبتدأ وخبر، وهي تفيد بأصل وضعها الثبوت والاستمرار. ويمكن التمثيل لهما بقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ [سورة الأعراف/١٩٣] حيث جاءت الجملة الأولى فعلية؛ لتفيد التجدد والحدوث، وجاءت الجملة الثانية اسمية؛ لتفيد الدوام والاستمرار. انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٩٩، وخصائص التراكيب، ص ٢٦٥.

(٣) حذف المسند إليه خلاف الأصل، لكن إذا كانت هناك قرينة ترجح حذفه؛ لغرض بلاغي، فالحذف أولى، وأهم الأغراض: الاختصار، وظهوره بدلالة القرائن عليه، وإخفاء الأمر عن غير المخاطب، وتيسر الإنكار إن مست إليه الحاجة، واختبار تنبه السامع له عند القرينة، والمحافظة على السجع أو على القافية أو الوزن في الشعر، وتربية الفائدة بتكثير المعاني، أو لاعتبار آخر مناسب يهدي إليه العقل السليم. راجع: مفتاح العلوم، ص ٣٦١–٣٦٤، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٣٧–٣٨، والبلاغة العربية، ١/٣١٥–٣١٨.

(٤) مرتبة المسند إليه التقديم؛ لأن مدلوله هو الذي يخطر أولاً في الذهن، لأنه المحكوم عليه، والمحكوم عليه سابق للحكم فاستحق التقديم وضعاً، ولتقديمه دواع شتى منها : تعجيل المسرة، أو تعجيل المساءة، والتشويق إلى المتأخر إذا كان المتقدم مشعراً بغرابة، والتلذذ بالمسند إليه، والتبرك بالتقديم. ويؤخر المسند إليه إن اقتضى المقام تقديم المسند. راجع: مفتاح العلوم، ص ٣٨٨–٣٩١، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٥٦، ومختصر المعاني، ص ٦٣–٦٤، والبلاغة العربية، ١/٣٦٤–٣٦٦.

(٥) حق المسند إليه أن يكون معرفة؛ لأنه المحكوم عليه الذي ينبغي أن يكون معلوماً، ليكون الحكم مفيداً. وتعريفه إما: بالإضمار، أو بالعلمية، أو بالإشارة، أو بالموصولية، أو بأل، أو بالإضافة، أو بالنداء. وللتعريف بكل أداة من أدوات التعريف أغراض بلاغية. راجع: مفتاح العلوم، ص ٣٦٥–٣٧٨، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٣٩–٤٨، ومختصر المعاني، ص ٤٨–٥٧.

(٦) ينبغي أن يكون المسند إليه معرفة، ولكن قد يؤتى به نكرة لأغراض، منها: إذا لم يعلم المتكلم بجهة من جهات التعريف حقيقةً أو ادعاءً، أو لإخفاء الأمر، أو لقصد الإفراد أو النوعية، أو للتعظيم، أو للتحقير، أو لإرادة التكثير أو التقليل. راجع: مفتاح العلوم، ص ٣٨٥–٣٨٨، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٤٨–٥١، ومختصر المعاني، ص ٤٨–٥٨.

(٧) ظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر هي مبحث من مباحث أحوال المسند إليه، وهي غير صور خروج الخبر عن مقتضى الظاهر الآنفة الذكر. وقد استخرج البلاغيون أنواعاً لخروج الكلام عن مقتضى الظاهر، أهمها: ١: الالتفات، ٢: التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي للدلالة على تحقق الوقوع، ٣: الإضمار في مقام الإظهار، والإظهار في مقام الإضمار، لوجود دواعٍ بلاغية تدعو إلى الإظهار أو الإضمار، =

٣. أحوال المسند: وهذا الباب يدرس: حذف المسند،(١) أو ذكره،(٢) وإفراده،(٣) وكونه فعلاً أو اسماً،(٤) وتعريفه(٥) أو تنكيره،(٦) والدواعي البلاغية لكل منها.

٤: وضع الخبر موضع الإنشاء ووضع الإنشاء موضع الخبر؛ لأغراض بلاغية داعية لذلك، ٥: الانتقال من الماضي إلى المضارع وبالعكس. وسيأتي الحديث عن هذه الصور في الفصل الأخير من فصول هذه الدراسة. ٦: أسلوبُ الحكيم: وهو صرف كلام المتكلم أو سؤال السائل عن المراد منه، وحمله على ما هو الأولى بالقصد، أو إجابته على ما هو الأولى بالقصد، كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة/٢١٥] حيث سألوا عن الشيء الذي ينفقونه، فأجابهم عن الذين ينبغي أن توجه لهم النفقة، إشارة إلى أنه الأمر الأهم الذي كان ينبغي أن يسأل عنه. ٧: التغليب: وهو إعطاء أحد المتصاحبين في اللفظ، أو المتشابهين في بعض الصفات، أو المتجاورين حكم الآخر. ومنه: تغليب الكثير على القليل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة/٣٤] ذكر الملائكة، ولم يذكر من كان معهم من الجن، تغليباً للكثير على القليل، مع أن الجن كانوا مأمورين بالسجود بدليل الاستثناء. ٨: القلب: وهو إجراء التبادل بين جزئين يمكن إجراء التبادل بينهما من أجزاء الجملة لغرضٍ بلاغيّ. كقوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة البقرة/٧١] فالأصل أن يقول: "كادوا ما يفعلون". للتوسع، راجع: مفتاح العلوم، ص ٣٩٢—٤٠٣، الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٧٠—٨٠، وخصائص التراكيب، ص ٢٠٧—٢٣٦، ومختصر المعاني، ص ٧٤—٨٢، والبلاغة العربية، ٤٧٨/١—٥٢٠.

(١) أهم الأغراض البلاغية لحذف المسند: اختبار تنبه السامع أو مقدار تنبهه، والاختصار، وضيق المقام عن الإطالة، والحذف لا بد له من قرينة تدل على المحذوف. ومن أمثلة حذف المسند: قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [سورة لقمان/٢٥] والقرينة هي: وقوع الكلام جواباً عن سؤال محقق. للتوسع، راجع: مفتاح العلوم، ص ٤٠٤—٤٠٥، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٨١—٨٦، ومختصر المعاني، ص ٨٣—٨٥، و خصائص التراكيب، ص ٢٣٧—٢٥٣.

(٢) يذكر المسند في الكلام ؛ لأن ذكره هو الأصل، وليس في الكلام ما يقتضي العدول عنه، أو للاحتياط لضعف التعويل على القرينة، كقولك لمن يسأل: من أكرم العرب وأشجعهم في الجاهلية؟ فتقول في جوابه: عنترة أشجع العرب وحاتم أجودهم، فتذكر المسنَد خشية أن يلتبس على السامع إذا قلت: عنترة وحاتم من غير أن تعين صفة كل واحد منهما، وأهم الأغراض البلاغية لذكر المسنَد: زيادة تقرير الكلام، وتثبيت معناه وتوضيحه. راجع: مفتاح العلوم، ص ٤٠٥—٤٠٦، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٨٦، ومختصر المعاني، ص ٨٥، وخصائص التراكيب، ص ٢٥٤—٢٦١.

(٣) قد يأتي المسند فعلاً مفرداً؛ لبيان كونه سبباً، نحو: ينطلق زيد، أو جملة؛ ليفيد تقوي الحكم، نحو: زيد ينطلق. انظر: مفتاح العلوم، ص ٤٠٧—٤٠٨، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٨٧، ٩٩، ومختصر المعاني، ص ٨٥—٨٧، وخصائص التراكيب، ص ٢٦٤—٢٦٦.

(٤) المسنَد إما أن يكون اسماً، ليفيد الثبوت، أو فعلاً ليفيد التجدد، والتقييد بأحد الأزمنة الثلاثة. ويمكن التمثيل بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ [سورة الملك/١٩] جاء المسند (وَيَقْبِضْنَ) فعلاً ولم يأت اسماً (قابضات)؛ لأن الأصل في الطيران هو صف الأجنحة؛ أما القبض فطارئ على البسط. انظر: مفتاح العلوم، ص ٤٠٧—٤٠٨، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٨٦، ومختصر المعاني، ص ٨٥، وخصائص التراكيب، ص ٢٦٢—٢٦٦.

(٥) أهم الأغراض البلاغية لتعريف المسنَد: إفادة السامع حكماً معلوماً على أمرٍ معلوم، وقصر المسنَد على المسنَد إليه حقيقةً أو ادعاءً. انظر: الإيضاح في علوم البلاغة،ص ٩٧—٩٩، وخصائص التراكيب، ص ٢٦٨—٢٧٥.

(٦) الأصل في المسند أن يكون نكرة، لإفادة العلم بشيء مجهول، لكن قد يرجح التنكير أمور، أهمها: إرادة عدم العهد والحصر، أو إرادة =

٤. أحوال متعلقات الفعل:(١) وهذا الباب يدرس الأغراض البلاغية لتقييد الفعل،(٢) وحذف المفعول،(٣) والتقديم في المتعلقات.(٤)

٥. القصر: وفي هذا الباب تُدرَس طرق القصر وأقسامه وأغراضه البلاغية.(٥)

التفخيم، أو التحقير. انظر: مفتاح العلوم، ص ٤٠٩–٤١٢، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٩٧، ومختصر المعاني، ص ٩٧.

(١) متعلقات الفعل: المفاعيل، والظروف، والمجرورات، والحال، والتمييز. أو هي أحوال متعلقات المسند إذا كان فعلاً، وهي في الواقع فرع من فروع أحوال المسند، إلا أن البلاغيين جعلوها باباً مستقلاً؛ لكثرة مباحثها. انظر: البلاغة العربية، ١/٣٨١، وخصائص التراكيب، ص ٢٨٢.

(٢) الغرض من تقييد الفعل بمفعول، ونحوه من المتعلقات: تربية الفائدة، وتقرير المعنى وتأكيده، كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ [سورة الأحزاب/٤] ذكر بأفواهكم قيداً للفعل، ولو حذف لفهم معناه؛ لأن القول لا يكون إلا بالفم، ولكن لما كان هذا القول فيه افتراء على الله تعالى شدد على قائله؛ لتقرير الوعيد في النفس. انظر: مفتاح العلوم، ص ٤٤٧–٤٥٥، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٨٨، ومختصر المعاني، ص ٨٧–٨٨، والبلاغة العربية، ١/٤٥٣.

(٣) لحذف المفعول أسرار ولطائف بلاغية جليلة، فإذا أريد الإخبار عن مجرد وقوع الحدث وحصوله، فلا داعي لذكر الفاعل والمفعول، بل نأتي بمصدر الفعل فاعلاً لكون عام، كأن تقول: وقع ضرب، أو غيرها من العبارات التي تفيد وقوع الحدث من غير إفادة تعلقه بفاعل ولا مفعول. وإذا أريد إفادة وقوع الفعل من فاعل، فيذكَر الفعل والفاعل فقط، ويقال: ضَرَب محمد، ولا يُذكَر المفعول، ولا يسمى محذوفاً؛ لأن الغرض بيان وقوع الضرب من محمد، فإذا ذُكِر المفعول في هذا المقام، أوهم إرادة الإخبار بوقوع الفعل على المفعول. وإيراد الفعل المتعدي من غير مفعول يقع في الكلام لأغراض، منها: إثبات المعنى في نفسه للفاعل من غير نظر إلى شيء وراء ذلك. أو لقصد التعميم، أو لمجرد الاختصار عندما تدل القرائن على المحذوف، أو لرعاية الفاصلة، راجع: دلائل الإعجاز، ص ١٢٧–١٢٨، ومفتاح العلوم، ص ٤٣٤–٤٣٦، والتلخيص في علوم البلاغة، ص ١٢٦–١٣٢، ومختصر المعاني ص ١١٠، وخصائص التراكيب، ص ٣٠٦–٣٠٨.

(٤) لتقديم ما هو من متعلقات الفعل عن مرتبته عدد من الدواعي البلاغية، أهمها: إرادة التخصيص، والاهتمام بشأن المقدّم، والمبادرة إلى التبرك بذكر اسم الله في الدعاء، ومراعاة قوافي الشعر وسجع النثر، وفواصل رؤوس الآيات في القرآن. وهناك أغراض بلاغية تدعو لتقديم بعض معمولات الفعل على بعض في الجملة ولو تكافأت مراتبها، وأهمها: أن يكون ذكر المقدّم أهم في نظر منشئ الكلام، وإرادة الترقي من الأدنى إلى الأعلى، ومراعاة الترتيب الطبيعي، وغيرها. راجع: مفتاح العلوم، ص ٤٣٧–٤٤٦، ومختصر المعاني، ص ١١١–١١٤، وبغية الإيضاح، ١/١٧٦–١٨٤، والتلخيص في علوم البلاغة، ص ١٣٢–١٣٦، وخصائص التراكيب، ص ٣٢٩–٣٣٧.

(٥) القصر: هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص. ويكون بالطرق الآتية: النفي والاستثناء، وإنما، والعطف ب(لا، وبل، ولكن)، وتقديم ما حقه التأخير. والقصر يقسم باعتبار الحقيقة والواقع إلى قسمين: قصر حقيقي: هو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع، بألا يتعداه إلى غيره أصلاً، نحو: لا إله إلا الله. وقصر إضافي: هو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر معين، لا لجميع ما عداه، نحو: ما خليل إلا مسافر، فالمقصود قصر السفر عليه بالنسبة لشخص غيره، – كمحمود مثلاً – وليس القصد أنه لا يوجد مسافر سواه، إذ الواقع يشهد ببطلانه. ويقسم القصر باعتبار طرفيه إلى: قصر صفة على موصوف: هو أن تحبس الصفة على موصوفها وتختص به، فلا يتصف بها غيره، وقد يتصف هذا الموصوف بغيرها من الصفات، مثاله: لا رازق إلا الله. وقصر موصوف على صفة: هو أن يحبس الموصوف على الصفة ويختص بها، دون غيرها، وقد يشاركه غيره فيها، مثاله: قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [سورة آل عمران/١٤٤]. والمراد بالصفة هنا الصفة المعنوية، التي تدل على معنى قائم بشيء، وليس المراد بها الصفة =

٦. الإنشاء:[١] وفيه يدرس الإنشاء الطلبي وغير الطلبي، وأقسام كل منهما، والمعاني الأصلية الدالة عليها، والمعاني التي تخرج إليها بالقرائن.[٢]

٧. الفصل والوصل: وهذا الباب يدرس الحالات التي يجب فيها الوصل أو الفصل ودواعيه.[٣]

٨. الإيجاز والإطناب والمساواة:[٤] وهذا الباب يدرس الأغراض البلاغية للإيجاز أو الإطناب أو المساواة،

النحوية، المسماة بالنعت. وللقصر قيمة بلاغية كبيرة، فهو يحدد المعاني تحديداً كاملاً، وهو من ضروب الإيجاز؛ لأن جملة القصر تقوم مقام جملتين: إحداهما مثبتة والأخرى منفية. راجع: مفتاح العلوم، ص ٥٠٧–٥٢١، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ١١٨–١٢٩، ومختصر المعاني، ص ١١٥–١٢٨، والبلاغة العربية، ٥٢٣/١–٥٤٥.

(١) الإنشاء: ما لا يحتمل صدقاً ولا كذباً، فلو قلت: (اللهم ارحمني) لم يصح أن يقال لك: صادق أو كاذب. والإنشاء لا يحصل مضمونه إلا إذا تلفظت به، فطلب الفعل في افعل، وطلب الكف في لا تفعل، وطلب المحبوب في التمني، وطلب الفهم في الاستفهام، وطلب الإقبال في النداء، كل ذلك لا يحصل إلا بنفس الصيغ المتلفظ بها. انظر: مختصر المعاني، ص ١٢٩، والبلاغة العربية، ١٦٨/١.

(٢) يقسم الإنشاء إلى (إنشاء طلبي) و(إنشاء غير طلبي)، فالإنشاء غير الطلبي: هو الذي لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، وهو على أقسام: المدح والذم، وألفاظ العقود، والقسم، والتعجب، والرجاء. أما الإنشاء الطلبي: فهو الذي يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب –حسب اعتقاد المتكلم – وهو النوع من الإنشاء الذي يعنى علم المعاني بدراسته؛ لما فيه من اللطائف البلاغية. وأنواعه خمسة: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء. ولكل نوع من هذه الأنواع أغراضه البلاغية. فالأمر: هو طلب حصول الفعل من المخاطب على سبيل الاستعلاء، والنهي: هو طلب الكف عن الفعل، على سبيل الاستعلاء. والاستفهام: طلب الفهم، فيما يكون المستفهم عنه مجهولاً لدى المتكلم، والنداء: طلب توجه المخاطب إلى المتكلم بحرف يفيد معنى (أنادي). ولكل نوع من هذه الأنواع أدوات وألفاظ، تستعمل في معناها الأصلي المذكور آنفاً أو تخرج عن معناها الأصلي إلى معان أخرى، تفهم من السياق والقرائن. راجع: مفتاح العلوم، ص ٥٢٣–٥٥٤، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٣٠–١٤٤، ومختصر المعاني، ص ١٣٠–١٤٤، والبلاغة العربية، ٢٢١/١–٣٠٢.

(٣) الوصل: عطف بعض الجمل على بعض، لصلة بينها في الصورة والمعنى، أو لدفع اللبس. وقد خصَّ بعض البلاغيين بلاغة الوصل في العطف بالواو، دون بقيةِ حروف العطفِ؛ لأنَّ الواوَ هي الأداةُ الّتي تخفَى الحاجةُ إليها، ويحتاجُ العطف بها إلى دقةٍ في الإدراكِ؛ لأنها لا تفيدُ إلا مجرَّدَ الربطِ، وتشريكِ ما بعدها لِمَا قبلها في الحكمِ، بخلافِ العطفِ بغير الواو، فيُفيدُ معَ التشريكِ معانيَ أخرى، كالترتيبِ مع التعقيبِ في الفاءِ، وكالترتيب مع التراخي في ثُمَّ. انظر: بغية الإيضاح، ١٢٠/١. والصحيح أن البلاغة تتحقق بجميع حروف العطف، وأنّ الْمَعْنَى إذا كان يقتضي العطف بغير الواو، فالأصل العطف بالحرف الذي يقتضيه المعنى من هذه الحروف، ولا يُتْرَكُ هذا الأصل إلاَّ لغرضٍ بلاغي مقصود. انظر: البلاغة العربية، ٥٧٧/١-٥٧٨. وشرط العطف بالواو أن يكون بين الجملتين جامع حقيقي بين طرفي الإسناد، أو جامع ذهني، فالجامع الحقيقي كالموافقة في نحو: يقرأ ويكتب، والجامع الذهني كالمضادة في نحو: يضحك ويبكي. والجامع يجب أن يكون باعتبار المسند إليه والمسند جميعاً، فلا يقال: سعيد عالم، وخليل قصير، لعدم الجامع بين المسندين. أما الفصل: فهو ترك العطف بين الجملتين، إما لأنهما متحدتان صورة ومعنى، أو بمنزلة المتحدتين، وإما لأنه لا صلة بينهما في الصورة أو في المعنى. انظر: دلائل الإعجاز، ص ١٧٤–١٧٥، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٤٥–١٤٧، ١٥٨–١٥٩، ومختصر المعاني، ص ١٤٥، ١٥٥، وبغية الإيضاح، ٥٥/٢-٥٦. وهذه الأطروحة ستدرس الفصل والوصل من خلال القراءات المتبادلة بين الحالتين، وستعرض لدواعي الفصل والوصل.

(٤) التعبير عن كل ما يجول في الصدر من المعاني لا يعدو طريقاً من طرق ثلاث هي: الإيجاز، أو الإطناب أو المساواة. أما الإيجاز: فهو وضع
=

وأنواع كل من الإيجاز والإطناب،[1] والدواعي البلاغية لاستعمال كل طريقة في تأدية الكلام.

وينبغي الإشارة هنا إلى أن الكثير من المسائل البلاغية هي موضع خلاف بين البلاغيين،[2] والمذكور في هذا المطلب هو المذهب الأرجح لدى جمهورهم.

وأخيراً هذه هي أبواب علم المعاني، وأبرز المباحث التي يدرسها، وهي تمثِّل معظم علم البلاغة. ومباحث هذا العلم ستحظى بقدر كبير من الدراسة في هذه الأطروحة؛ لأن تنوع القراءات يتشعب في مباحث علم المعاني أكثر من تشعبه في مباحث علمي البيان والبديع اللذين سأتناولهما بإيجاز شديد فيما يأتي.

ثانياً: علم البيان: هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه.[3]

المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل منها، وافية بالغرض المقصود، مع الإبانة والإفصاح. وأما الإطناب، فهو: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [سورة مريم/٤]، أي: كبرتُ، أما الزيادة من غير فائدة، فهي معيبة في البيان. وأما المساواة: فهي تأدية المعنى المراد بعبارة مساوية له، بأن تكون الألفاظ على قدر المعاني، لا يزيد بعضها على بعض. كقوله تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [سورة الطور/٢١] ففي هذا المثال لا يستغني الكلامُ عن لفظٍ منه، ولو حُذفَ منه شيءٌ لأخلَّ بمعناه. راجع: الإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٧٠–١٧٤، ومختصر المعاني، ص ١٧٠–١٧٢، وبغية الإيضاح، ٢/٩٦–٩٨، والبلاغة العربية، ٢/٧–١٢.

(١) ينقسم الإيجاز إلى قسمين: إيجاز قصر وإيجاز حذف: فإيجاز القصر: يكون بتضمين المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف، كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة البقرة/١٧٩]. وإيجاز الحذف: يكون بحذف شيء من العبارة لا يخل بالفهم، عند وجود ما يدل على المحذوف، من قرينة لفظية أو معنوية، كقوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ [سورة الأعراف/١٤٢] أي: بعشر ليالٍ. وأنواع الإطناب كثيرة، منها: ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضل الخاص، كقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [سورة البقرة/٢٣٨]، وذكر العام بعد الخاص ،لإفادة العموم مع العناية بشأن الخاص، كقوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [سورة نوح/٢٨]. والاعتراض: وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين في المعنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لأغراض يرمي إليها البليغ غير دفع الإيهام، كالتّنزيه في قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سورة النحل/٥٧]، وغير ذلك. راجع: مختصر المعاني، ص ١٧٢-١٨١، وبغية الإيضاح، ٢/١٠٤–١٣٣، والبلاغة العربية، ٢/٢٩ – ٤٦، ٢/٦٥–٩٠.

(٢) على سبيل المثال: اختلف البلاغيون في إفادة تقديم متعلقات الفعل القصر وعدمه، واختلفوا في كون المجاز العقلي من مسائل علم المعاني أو البيان، وفي تعريف الالتفات وحدوده. وهذا المطلب لم يتوسع في ذكر الخلاف، ويمكن الرجوع إلى مواضعه في كتب البلاغة.

(٣) مفتاح العلوم، ص ٥٥٥، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٢٠١، ومختصر المعاني، ص ١٨٣، وبغية الإيضاح، ٣/٣، وجواهر البلاغة، ص ٢١٦.

وهو يختص بالبحث في: التشبيه،[1] والمجاز،[2] والاستعارة،[3] والكناية.[4]

وهذه الطرق الأربع التي يتناولها علم البيان بالدراسة تبرز مهارات المتكلمين في الإبانة عما يريدون التعبير عنه، بصور جمالية رائعة لها تأثير في النفوس، وإمتاع للأذهان، ورياضة بديعة للأفكار.[5]

---

(١) التشبيه: هو الدلالة على مشاركة شيء لشيء في معنى من المعاني أو أكثر على سبيل التطابق أو التقارب لغرض ما. وأركانه أربعة، هي: المشبه: وهو الأمر الذي يراد إلحاقه بغيره، المشبه به: وهو الأمر الذي يلحق به المشبه، وهذان الركنان هما طرفي التشبيه. وجه الشبه: وهو الوصف المشترك بين الطرفين، ويكون في المشبه به أقوى منه في المشبه، وقد يذكر في الكلام، أو يحذف. أداة التشبيه: وهي اللفظ الذي يدل على التشبيه، ويربط المشبه بالمشبه به. وقد تذكر في التشبيه، وقد تحذف. راجع: أسرار البلاغة، للإمام عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط١/١٩٩١م، ص ٥٦—١٨٦، و مفتاح العلوم، ص ٥٥٨—٥٨٥، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٢٠٣—٢٤٩، ومختصر المعاني، ص ١٨٨-٢١٤، وبغية الإيضاح، ٣/٧-٧٠، والبلاغة العربية، ٢/١٦٢—٢٠٩.

(٢) المجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي. والعلاقة: هي المناسبة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، وقد تكون (المشابهة) بين المعنيين، وقد تكون غيرها، فإذا كانت العلاقة (المشابهة) فالمجاز (استعارة)، وإلا فهو (مجاز مرسل). والقرينة: هي المانعة من إرادة المعنى الحقيقي، وقد تكون لفظية، وقد تكون حالية. ثم إن المجاز على قسمين: ١- مجاز لغوي: وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي لقرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، وكلما أطلق المجاز، انصرف إلى هذا النوع. نحو قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [سورة البقرة/١٩] أي: أناملهم، والقرينة (حالية) وهي استحالة إدخال الأصبع كله في الأذن. ٢- مجاز عقلي: وهو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير من هو له، لعلاقة، مع قرينة مانعة من جريان الإسناد إلى ما هو له. نحو: سالَ الوادي، أسند السيلان إلى الوادي، مع أنّ الذي سال هو الماء فيه، والعلاقة المجاورة. راجع: أسرار البلاغة، ص ٣٠٢—٣٦٢، ومفتاح العلوم، ص ٥٨٦—٥٩٨، ٦٢٧—٦٣٦، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٢٥٠—٢٩٩، ومختصر المعاني، ص ٢١٥—٢٢٥، وبغية الإيضاح، ٣/٧٤-٨٨، وجواهر البلاغة، ص ٢٤٩-٢٥٦.

(٣) الاستعارة: هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة (المشابهة) بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي، والاستعارة ليست إلا تشبيهاً مختصراً، لكنها أبلغ منه. وأركان الاستعارة ثلاثة: مستعار منه: وهو المشبه به. ومستعار له: وهو المشبه. ومستعار: وهو اللفظ المنقول. ولابد فيها من عدم ذكر وجه الشبه، ولا أداة التشبيه. راجع: أسرار البلاغة، ص ٣٢—٦٢، ٢٠٧—٢٧٧، ومفتاح العلوم، ص ٥٩٩—٦٢٣، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٢٦٤—٢٩٠، ومختصر المعاني، ص ٢٢٥—٢٥٥، وبغية الإيضاح، ٣/٩٠-١٤٢، والبلاغة العربية، ٢/٢٢٩—٢٦٥.

(٤) الكناية: لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له، مع جواز إرادة المعنى الأصلي، لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته، نحو: (فلان طويل النجاد) تريد بهذا التركيب أنه شجاع عظيم، فعدلت عن التصريح بهذه الصفة، إلى الإشارة إليها بشيء تترتب عليه وتلزمه، لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول صاحبه، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادة، فإذًا: المراد طول قامته، وإن لم يكن له نجاد، ومع ذلك يصح أن يراد المعنى الحقيقي. والفرق بين الكناية والمجاز هو: صحة إرادة المعنى الأصلي في الكناية، دون المجاز. راجع: مفتاح العلوم، ص ٦٣٧—٦٥٠، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٣٠١—٣١٠، ومختصر المعاني، ص ٢٥٧—٢٦٥، وبغية الإيضاح، ٣/١٥٠-١٦٧، والبلاغة العربية، ٢/١٣٥—١٤٥، وجواهر البلاغة، ص ٢٨٦—٢٩٣.

(٥) البلاغة العربية، ٢/١٢٥.

ثالثاً: علم البديع: وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد مطابقته لمقتضى الحال ووضوح دلالته على المعنى المراد.[1]

وهذا العلم يعنى بدراسة: وجوه التحسين التي ترجع إلى المعنى، والتي تسمى: المحسنات المعنوية.[2] ووجوه التحسين التي ترجع إلى الألفاظ، والتي تسمى: المحسنات اللفظية.[3]

وبعد: فهذه هي العلوم الثلاثة التي تؤلِّف علم البلاغة، وتلك هي أبرز أبوابها ومباحثها التي تتعاون في صياغة الكلام البليغ على هيئة عقد فريد، وفي المبحث الآتي تعريف موجز بنشأة هذه العلوم وتطورها.

---

(١) هذا تعريف المتقدمين من علماء البلاغة. انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٣١٧، ومختصر المعاني، ص ٢٦٥، وجواهر البلاغة، ص ٢٩٨، وقد لاحظ الأستاذ الصعيدي الاستطراد في هذا التعريف؛ لاشتماله على شرط الاحتراز عن الإخلال بما في علمي المعاني والبيان، ولذلك رأى اختصار التعريف كالآتي: هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام من جهة لفظه ومعناه. انظر: بغية الإيضاح، ٣/٤.

(٢) المحسنات المعنوية: هي ما يشتمل عليه الكلام من زينات جمالية معنوية قد يكون بها أحياناً تحسينٌ وتزيين في اللفظ أيضاً، ولكن تبعاً لا أصالة. وأشهر المحسنات المعنوية التي درسها البلاغيون: الطباق، والمقابلة، والتورية، وحسن التعليل، وأسلوب الحكيم، والاستطراد، والافتنان، ومراعاة النظير، والإرصاد، والإدماج، والتجريد، والمشاكلة، وغيرها. راجع: مفتاح العلوم، ص ٦٦٠–٦٦٨، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٣٢١–٣٥٤، والتلخيص في علوم البلاغة، ص ٣٤٨–٣٨٧، ومختصر المعاني، ص ٢٦٥–٢٨٧، والبلاغة العربية، ٣٧٣/٢–٤٨٢، وجواهر البلاغة، ص ٣٠٠–٣٢٢.

(٣) المحسنات اللفظية: هي ما يشتمل عليه الكلام من زينات جماليّة لفظيّة، قد يكون بها تحسين وتزيين في المعنى أيضاً، ولكن تبعاً لا أصالة. وأشهر المحسنات اللفظية التي درسها البلاغيون: الجناس، والتصحيف، والسجع، والموازنة، والترصيع، ورد العجز على الصدر، والمواربة، والتطريز، وغيرها. راجع: مفتاح العلوم، ص ٦٦٨–٦٧٣، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٣٥٤–٣٦٧، ومختصر المعاني، ص ٢٨٨–٣٠٠، والبلاغة العربية، ٤٨٣/٢–٥٣٦، وجواهر البلاغة، ص ٣٢٥–٣٣٥.

المطلب الثالث: أثر علم البلاغة في توجيه القراءات وترجيحها.

يعدُّ علم البلاغة من العلوم الرئيسة التي تساعد في الكشف عن المعنى الدقيق للكلام الذي يكون غالباً هو مراد المتكلم من كلامه، وهو من المصادر الرئيسة التي يستعين بها المفسِّر في الكشف عن مراد الله ﷻ من كلامه، ولذلك تكاد لا تجد مفسراً أغفله، أو تفسيراً خلا من الاستعانة بقواعده.

وقد حظي علم توجيه القراءات باهتمام الكثير من المفسِّرين الذين طبقوا قواعد البلاغة في أثناء توجيههم للقراءات المتعددة، بل استند بعضهم إلى المعطيات البلاغية لترجيح بعض القراءات على بعض. وهذا المطلب سيتناول هذا الأمر بالدراسة.

أولاً: أثر علم البلاغة في توجيه القراءات.

يعدُّ علم البلاغة من أهم العلوم التي يعتمد عليها المفسِّرون والموجهون في تعليل القراءات المتنوعة، وبيان وجوهها المختلفة؛ لأن قواعد هذا العلم تنطبق على القراءات التي يكون تنوعها غير خارج عن دائرة القواعد البلاغية؛ فالكثير من القراءات تدور وجوه اختلافها بين التعريف والتنكير، أو التقديم والتأخير، أو الحذف والذكر، أو الخبر والإنشاء، أو اختلاف الصيغ الصرفية التي تدل على معانٍ بلاغية، أو اختلاف الإسناد الذي يندرج في باب الخروج عن مقتضى الظاهر في الإسناد، وهذه كلها تشكِّل أهم المباحث البلاغية التي تؤلِّف علم المعاني.

والقواعد البلاغية تسهم من خلال التطبيق في تعليل القراءات المتنوعة، والكشف عن وجوهها المتعددة، فإذا لاحظ المفسِّر أن الاختلاف بين القراءات يدور بين التعريف والتنكير، أو بين التقديم والتأخير، أو بين الخبر والإنشاء فإنه يستحضر الأغراض البلاغية التي يدل عليها كل من التعريف أو التنكير، والتقديم أو التأخير، وغيرها، ويستنتج اعتماداً عليها المعاني التي تدل عليها القراءات المتنوعة.

فعلى سبيل المثال اختلف القراء في قراءة (حَيَاةٍ) في قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ [سورة البقرة/٩٦] فقرأ القراء في المتواتر بالتنكير ﴿حَيَاةٍ﴾.[١] والتنكير هنا لبيان النوعية مع الإبهام والتحقير،[٢] ولذلك وجِّهت قراءة التنكير بأن المراد بها الدلالة على نوع من الحياة مخصوص، وهو الحياة الزائدة، وهذا يبيِّن

---

(١) وقرأ أُبَيّ رضي الله عنه (على الحياة) بالتعريف. انظر: البحر المحيط، ١/٤٨١.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٤٩، ومختصر المعاني، ص ٥٧، والبلاغة العربية، ١/٤٠٥–٤٠٦.

مدى حرصهم على أن يزدادوا إلى حياتهم في الماضي والحاضر حياة مبهمة غير معلومة المقدار في المستقبل، ومنه يعلم حرصهم على الحياة المتطاولة، كما يدل التنكير أيضاً على انحطاط شأن هذه الحياة وتحقيرها.(١)

وكذلك اختلف القراء في قراءة (الرُّسُلُ) من قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [سورة آل عمران/١٤٤] فقرأ القراء في المتواتر بالتعريف ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾(٢) ووجه التعريف: الدلالة على تفخيم الرسل وتعظيمهم،(٣) وإرادة التعميم، وهذا يتناسب مع سياق الآية التي تسوي بين النبي ﷺ وبين من قبله من الرسل في حكم الموت، وتبين أن سنة الله سبحانه وتعالى في رسله مطردة.(٤)

وبالطريقة نفسها التي فسّرت بها القراءات المتعلقة بالتعريف والتنكير تفسّر القراءات الدائرة بين التقديم والتأخير، فمثلاً: اختلف القراء في المتواتر في قراءة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ [سورة التوبة/١١١]. فقرأ بعضهم: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ بصيغة المبني للفاعل، ثم بصيغة المبني للمفعول، وقرأ آخرون ﴿فَيُقْتَلُونَ وَيَقْتُلُونَ﴾ بعكس القراءة الأولى.(٥) ووجه القراءة الأولى: الاهتمام بقتل العدو؛ لتقدُّم قراءة البناء للفاعل، ووجه القراءة الأخرى: الاهتمام بالشهادة التي تؤهل صاحبها لاستحقاق الجنة؛(٦) لتقدُّم قراءة المبني للمفعول.(٧)

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٤٩. وانظر: الكشاف، ١٩٣/١، والبحر المحيط، ٤٨١/١، والدر المصون، ١١/٢، واللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي (٨٨٠هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤١٩/١هـ-١٩٩٨م، ٣٠١/٢، وإرشاد العقل، ١٣٢/١، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ط.، د.ت.، ١١٥/١، وروح المعاني، ٣٢٩/١.

(٢) والقراءة الشاذة في مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (رسلٌ) بالتنكير، وبها قرأ: ابن عباس وقحطان بن عبد الله رضي الله عنه. انظر: المحتسب، ١٦٨/١-١٦٩، والمحرر الوجيز، ٥١٦/١، والبحر المحيط، ٧٤/٣، والدر المصون، ٤١٥/٣، واللباب، ٥٧٠/٥.

(٣) مختصر المعاني، ص ٥٠، والبلاغة العربية، ٤٤٤/١. وانظر: المحرر الوجيز، ٥١٦/١، والدر المصون، ٤١٥/٣، واللباب، ٥٧٠/٥.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٤٨، ومختصر المعاني، ص ٥٦، والبحر المحيط، ٧٤/٣، والدر المصون، ٤١٥/٣.

(٥) قرأ الأخوان وخلف بتقديم الفعل المبني للمجهول، وقرأ الباقون بتقديم الفعل المبني للفاعل. انظر: السبعة، ص ٣١٩، وتذكرة ابن غلبون، ص ٣٦١، وحجة أبي زرعة، ص ٣٢٥، والنشر، ٢٨١/٢.

(٦) الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٥٦، ومختصر المعاني، ص ٥٦، والبلاغة العربية، ٣٩١/١.

(٧) إرشاد العقل، ١٠٥/٤، والتحرير والتنوير، ٢١٠/١٠. وما ذهب إليه أبو السعود وابن عاشور مخالف لما ذهب إليه جمهور المفسرين من اتحاد معنى القراءتين؛ لأن العطف بالواو لا يقتضي الترتيب، أو أن التقديم والتأخير في الآية على التوزيع، فمنهم من يَقْتُل، ومنهم من يُقتَل. انظر: تفسير الآية في جامع البيان، والبحر المحيط، والدر المصون، واللباب، والمحرر الوجيز، والجامع لأحكام القرآن ...إلخ. وأرى أن
=

ومما يتعلق بهذا الباب – باب التقديم والتأخير- النظر في الأغراض البلاغية لتقديم متعلقات الفعل، وتفسير القراءات استعانة بتلك الأغراض، ومن هذا القبيل استخراج الغرض البلاغي لتقديم المفعول في قراءة الجمهور ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ [سورة الأنعام/١٣٧] خلافاً لقراءة ابن عامر ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادَهِمْ شُرَكَائِهِمْ﴾،(١) ففي قراءة الجمهور قُدِّم المفعول على الفاعل؛ لأن المفعول هنا هو موضع الاهتمام والتعجب والاستنكار، فقُدِّم لاستعظام فعلهم، والتنبيه على غرابة إقدامهم على قتل أولادهم، الذين هم فلذات أكبادهم.(٢)

والأغراض البلاغية لكل من الحذف والذكر هي التي تعين المفسِّر على توجيه القراءات التي تدور بينهما، ومنها يستخرج الوجوه البلاغية لحذف الفاعل في جملة المبني للمجهول، وإضماره في جملة المبني للمعلوم، وبالاستناد لتلك الأغراض يقول إن المقصود من إضمار الفاعل وبناء الفعل للمعلوم في القراءة المتواترة: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [سورة البقرة/٣١] هو إظهار العناية بالفاعل، وبيان منة الله ﷻ على آدم بأن علَّمه الأسماء. وذلك خلافاً للقراءة الشاذة (وعُلِّمَ) بالبناء للمفعول، التي حذف فاعلها للعلم به، ولإظهار العناية بالمفعول، وهو علم آدم بالأسماء ومعرفته لها.(٣)

وعندما تدور القراءات المتنوعة بين الخبر والإنشاء يستند المفسِّر إلى الأغراض البلاغية لكل من الخبر والإنشاء في توجيه القراءات، وبناء على ذلك يقول: إن قراءة ابن كثير (أأن يؤتى) بالاستفهام،(٤) في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَمَا أُوتِيتُمْ﴾ [سورة آل عمران/٧٣] تفيد الإنكار والتوبيخ،(٥) كما يدل عليه السياق، خلافاً لقراءة الجمهور بالإخبار.(٦)

ما ذكره أبو السعود وابن عاشور كلام وجيه ومقبول؛ لأن لتقديم الفعل في الذكر أغراضاً بلاغية لا تتوقف على كون الربط بين المقدَّم والمؤخَّر بالواو أو غيرها. ولا يردُّ توجيههما عدم ذكر المفسرين الآخرين له، فكثير من الوجوه البلاغية يتنبه لها بعض المفسرين، ولا يتنبَّه لها آخرون.

(١) السبعة، ص ٢٧٠، وحجة أبي زرعة، ص ٢٧٣، والنشر، ٢٩٧/٢.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، ص ١١٧، ومفاتيح الغيب، ١٦٩/١٣.

(٣) المحتسب، ٦٤/١-٦٦، والكشاف، ١٥٥/١، والبحر المحيط، ٢٩٤/١، والدر المصون، ٢٦٢/١، واللباب، ٥١٣/١.

(٤) السبعة، ص ٢٠٧، والحجة في القراءات السبع، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (٣٧٠هـ)، تح: د.عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط٤/١٤٠١هـ، ص ١١٠، والتيسير، ص ٦٩، وتحبير التيسير، ص ٣٢٤، والنشر، ٤١٣/١.

(٥) مختصر المعاني، ص ١٤٢، وبغية الإيضاح، ص ١٠٣-١٠٤.

(٦) الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد، للإمام أبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (٣٧٧هـ)، تح: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط١/١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ٥٦/٣. وانظر: الكشاف، ٤٠١/١، والمحرر الوجيز، ٤٥٥/١، ومفاتيح الغيب، ٨٥/٨، والبحر المحيط، ٥١٨/٢.

والأغراض البلاغية للأمر والإخبار بصيغة الفعل الماضي هي المستند الذي يستعين به المفسِّر في توجيه قراءات قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ [سورة يس/٦٦] فالقراءة المتواترة ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ بصيغة الفعل الماضي على سبيل الإخبار تدل على ثبوت الفعل؛ لأن التعبير عن المستقبل بصيغة الفعل الماضي تدل على تحقق الوقوع،(١) وهذا خلافاً للقراءة الشاذة (فَاسْتَبِقُوا) بالأمر بتقدير قول، أي: يقال لهم: استبِقوا.(٢)

والأغراض البلاغية للالتفات(٣) هي المستند للمفسِّر في بيان معاني القراءات التي تدور في فلك الالتفات بلاغياً،(٤) ومن خلالها يمكن توجيه الالتفات إلى الخطاب في القراءة المتواترة (تعبدون)(٥) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [سورة البقرة/٨٣] إنما هو لتشريفهم بالإقبال عليهم بالخطاب، ليكون أدعى للقبول، وأقرب للامتثال.(٦)

أما الالتفات إلى الخطاب في قراءة (تعلمون) بالتاء(٧) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة البقرة/١٤٤] فيفيد التهديد والوعيد، ويحرِّك المخاطبين للعمل بما

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٧٧، ومختصر المعاني، ص ٩٥، والبلاغة العربية، ١/٥٠٩.

(٢) نُسِبت هذه القراءة إلى عيسى بن عمر. انظر: البحر المحيط، ٧/٣٢٨–٣٢٩، والدر المصون، ٩/٢٨٣، وروح المعاني، ٢٣/٤٤–٤٥.

(٣) **الالتفات** عند جمهور البلاغيين هو: التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة –التكلّم والخطاب والغيبة – بعد التعبير عنه بطريق آخر منها. انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٧٢، وذهب السكاكي إلى ما ذهب إليه الجمهور وأضاف إليه: التعبيرَ ابتداءً بواحدة من هذه الطُّرقِ إذا كان على خلاف مقتضى الظاهر، كأنْ يتحدّث المتكلِّم عن نفسه بأسلوب الخطاب الذي يخاطب به غيره، أو يتحدَّث مع من يخاطبه بأسلوب التكلّم عن الغائب، أو يتحدّث عن نفسه بأسلوب الحديث عن الغائب، أو يتحدّث عن الغائب بأسلوب الخطاب، وهكذا. انظر: مفتاح العلوم، ص ٣٩٥–٤٠٣، وخصائص التراكيب، ص ٢١٦–٢١٧.

(٤) للالتفات أغراض وفوائد بلاغية خاصة وعامة، والمستند في معرفة الأغراض البلاغية الخاصة للالتفات هو الذوق الأدبي السليم، وما يهدي إليه سياق الكلام وقرائن الحال، وقد ذكر البلاغيون بعض الأغراض العامة للالتفات. وأهمها: التنويع، وتنشيط السامع، والإعراض عن توجيه الخطاب، والإقبال على المخاطبين، وتشريفهم والاهتمام بهم. انظر: البلاغة العربية، ١/٤٨٢–٤٨٣، وخصائص التراكيب، ص ٢١٧–٢٢٦.

(٥) قرأ ابن كثير والأخوان بياء الغيب، والباقون بتاء الخطاب. انظر: السبعة، ص ١٦٣، وحجة ابن خالويه، ص ٨٣، وحجة أبي زرعة، ص ١٠٢.

(٦) البحر المحيط، ١/٤٥١، والدر المصون، ١/٢٧٥.

(٧) قرأ ابن عامر والأخوان وأبو جعفر وروح عن يعقوب بتاء الخطاب، والباقون بياء الغيبة. انظر: السبعة، ص ١٦١، والتيسير، ص ٦٢، والنشر، ٢/٢٥٤.

علموا من الحق؛ لأن المواجهة بالشيء تقتضي شدة الإنكار وعظم الشيء المنكَر.(١) وهذه المعاني البلاغية المشار إليها في هذه الآية والآيات الآنفة الذكر دلّ عليها السياق وقرائن الحال.

ومن خلال القواعد البلاغية الباحثة في معاني الصيغ الصرفية يستطيع المفسِّر أن يؤكِّد أن القراءة المتواترة (يُذَبِّحُونَ) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ [سورة البقرة/٤٩] بتشديد (يُذَبِّحُونَ)، تفيد المبالغة؛ لأن صيغة (فعَّل) بالتشديد تفيد التكثير والتكرير،(٢) وهي أبلغ من القراءة الشاذة (يَذْبَحُون) بالتخفيف؛(٣) لأن التخفيف يصلح للدلالة على القليل والكثير.(٤)

وكذلك القراءة المتواترة (عقَّدْتم) بالتشديد(٥) في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ [سورة المائدة/٨٩]، تفيد المبالغة، فتدل على كثرة الأيمان، أو كثرة الحالفين.(٦)

---

(١) البحر المحيط، ٤٣٠/١، واللباب، ٤/٣.

(٢) سر الفصاحة، ص ٣٥، والفلك الدائر على المثل السائر، للعلَّامة عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد ابن أبي الحديد (٦٥٦هـ)، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ط.، د.ت.، ص ٢٧٠، وحاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، للعلَّامة محمد بن علي الصبان الشافعي (١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١٤١٧/١ هـ-١٩٩٧م، ٣٤٢/٤. وانظر: الدر المصون، ٣٤٦/١.

(٣) قرأ ابن محيصن (يَذْبَحُون) بالتخفيف. انظر: المحتسب، ٨١/١، والكشاف، ١٦٦/١، والمبهج في القراءات الثمان وقراءة الأعمش وابن محيصن واختيار خلف واليزيدي، للإمام أبي محمد عبد الله بن علي بن أحمد المعروف بسبط الخياط البغدادي (٥٤١هـ)، بحث مقدَّم لنيل درجة الدكتوراه في اللغة، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، إعداد الطالبة: وفاء عبد الله قزمار، إشراف: د.عبد الفتاح إسماعيل شلبي، عام ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص ٣٣٤، والمحرر الوجيز، ١٤٠/١، والجامع لأحكام القرآن، ٣٨٦/١، والدر المصون، ٣٤٦/١، واللباب، ٥٨/٢، والإتحاف، ص ٢٥٣.

(٤) معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (٣١١هـ)، تح: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١٤٠٨/١هـ-١٩٨٨م، ١٣٠/١، والمحرر الوجيز، ١٤٠/١، والتبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (٦١٦هـ)، تح: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، د.ط.، د.ت.، ٦١/١، والجامع لأحكام القرآن، ٣٨٦/١، والدر المصون، ٣٤٦/١، واللباب، ٥٨/٢.

(٥) قرأ الأخوان وخلف وشعبة عن عاصم (عَقَدْتُم) بالقصر والتخفيف، وقرأ ابن ذكوان عن هشام (عَاقَدْتُم) بالألف، وقرأ الباقون (عقَّدْتم) بالتشديد من غير ألف. انظر: السبعة، ص ٢٤٧، والعنوان في القراءات السبع، لأبي طاهر إسماعيل بن خلف المقرئ الأنصاري الأندلسي (٤٥٥هـ)، تح: د.زهير زاهد، د.خليل العطية، دار عالم الكتب، بيروت، ط١٤٠٥/١هـ-١٩٨٥م، ص ٨٨، وحجة أبي زرعة، ص ٢٣٤، والنشر، ٢٨٨/٢.

(٦) حجة الفارسي، ٢٥١/٣-٢٥٢، ومفاتيح الغيب، ٦٢/١٢، والبحر المحيط، ١١/٤، والدر المصون، ٤٠٣/٤، واللباب، ٤٩٣/٧، والتحرير والتنوير، ١٩٣/٥.

وعندما يلاحظ المفسِّر دوران معاني بعض القراءات بين الحقيقة والمجاز[١] يبيِّن معنى الآية بالنظر لقراءاتها المتنوعة، ويحاول التوفيق بين المعنى الحقيقي والمجازي، وهنا يعرض له عدد من الأمثلة، منها: اختلاف القراء في المتواتر في قراءة قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ [سورة البقرة/١٩١] على وجهين: الأول: (وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ) (يُقَاتِلُوكُمْ) (قَاتَلُوكُمْ)، والثاني: (ولا تَقْتُلوهُم، يَقْتُلُوكُم، قَتَلُوكُم)[٢] ومعنى القراءة الأولى حقيقي، أما الثانية فمعناها مجازي، وهو من المجاز المرسل المفرد؛[٣] لأن المقصود إن قتلوا بعضاً منكم، وإلا كيف سيَقتل المقتول؟ والمعنى: ولا تقتلوا أحداً منهم حتى يقتلوا بعضكم، فاقتلوا من تقدرون عليه منهم، فالكلام على حذف المضاف إلى المفعول، وهو لفظ بعض، وأما إسناد الفعل إلى الضمير – هنا – فهو من التجوز في الإسناد، حيث أسند الفعل الواقع من البعض برضا البعض الآخر إلى الكل.[٤] وهذا من استعمالات العرب، حيث يسندون فعل بعض القبيلة أو الملة أو الفرقة لما يدل على جميعها من ضمير – كما هنا – أو اسم ظاهر، نحو قتلتنا بنو أسد.[٥]

ومنه اختلاف قراء المتواتر في قراءة قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [سورة الصافات/١٢] حيث قرأ بعضهم ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ بفتح التاء، للخطاب. والخطاب للنبي ﷺ والآية على هذه القراءة تسند العجب إلى النبي ﷺ بمعناه الحقيقي. وقرأ آخرون ﴿بَلْ عَجِبْتُ﴾ بضم التاء، للمتكلم.[٦] أي: إنَّ الله ﷻ قد أسند العجب إلى نفسه في هذه القراءة، لكن حقيقة العجب – والتي هي حالةٌ تعرض للقلب، تستلزم الروعة والمفاجأة بأمر غير

---

(١) **الحقيقة**: هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاحٍ به التخاطب، **والمجاز**: ما استعمل فيما لم يكن موضوعا له في اصطلاحٍ به التخاطب، كلفظة الأسد في الرجل الشجاع. انظر: أسرار البلاغة، ص ٣٥٠، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٢٥٠.

(٢) قرأ الأخوان وخلف (ولا تَقْتُلُوهُم، يَقْتُلُوكُم، قَتَلُوكُم) بحذف الألف فيهن، وقرأ الباقون بإثباتها. انظر: السبعة، ص ١٧٩–١٨٠، والنشر، ٢٥٨/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٠٢.

(٣) **المجاز المفرد المرسل**: هو الكلمة المستعملة في غير معناها الأصليِّ لعلاقة وملابسة بين المعنى الأصلي والمعنى التي استعملت فيه غير التشبيه، مع قرينة دالّة على عدم إرادة المعنى الوضعيِّ. وعلاقته هنا الكلية، وهي: كونُ الشيءِ متضمناً للمقصود ولغيره، وذلك فيما إذا ذكرَ لفظُ الكلِّ، وأريدَ منه الجزء. انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٢٥٤، ومختصر المعاني، ص ٢١٩، وبغية الإيضاح، ص ٢٩٤–٢٩٨.

(٤) مختصر المعاني، ص ٦٠.

(٥) جامع البيان، ٥٦٨/٣، وأنوار التنزيل، ٤٧٧/١، والبحر المحيط، ٧٤/٢، وإرشاد العقل، ٢٠٤/١، وروح المعاني، ٧٦/٢، والتحرير والتنوير، ٢٠١/٢.

(٦) قرأ الأخوان وخلف (بَلْ عَجِبْتُ) بضم التاء، وقرأ الباقون بفتحها. انظر: السبعة، ص ٥٤٧، والتيسير، ص ١٢١، والنشر، ٣٩٦/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٢٨، والمُيسَّر في القراءات الأربع عشرة، للشيخ محمد فهد خاروف، تح: الشيخ محمد كريّم راجح، دار الكلم الطيب، دمشق-بيروت، ط١/١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ص ٤٤٦.

مترقب – غير مرادة هنا، بل المراد الكناية عن لازمه،[1] وهو استعظام الأمر المتعجب منه، وإنما عدل عن الصريح وهو الاستعظام إلى لازمه وهو العجب؛ لأن الكناية أبلغ من التصريح،[2] والصارف عن المعنى الصريح للفظ: ما هو معلوم من مخالفته ﷻ للحوادث.[3]

وهكذا فإن القواعد البلاغية هي التي تهدي المفسر إلى الطريق الصحيح والمعنى الدقيق للقراءات المتعددة، وهي التي تيسِّر له اكتشاف فنون وفاء الكلمة المختلف في قراءتها بالمعنى، وكل ما تقدَّم إنما هو استعراض سريع لأثر القواعد البلاغية في توجيه القراءات، والبابان الآتيان سيتناولان دراسة هذا الأثر بالتفصيل.

ثانياً: أثر علم البلاغة في ترجيح بعض القراءات.

اعتاد بعض المفسرين[4] ترجيح بعض القراءات على بعض؛ استناداً لأسباب سوغت لهم هذا الترجيح، أهمها: كون القراءة الراجحة أكثر موافقة لخط المصحف من غيرها، أو كونها قراءة الجماعة أو العامَّة، أو كونها أكثر توافقاً مع الأقيس والأشهر في العربية، أو أكثر دلالة على المعنى من غيرها، أو أوضح من غيرها في الدلالة على الفرق بين المعاني، وغير ذلك.[5]

---

(١) تدل الكناية على معنى لازم للمعنى الموضوع له اللفظ في اصطلاح التخاطب، أو مصاحبٍ له؛ لما بينهما من الملابسة بوجه من الوجوه. انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٣٠١، والبلاغة العربية، ١٣٥/٢.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٣١٠.

(٣) جامع البيان، ٢٢/٢١-٢٣، ومعالم التنزيل، ٣٦/٧، والكشاف، ٤٠/٤-٤١، ومفاتيح الغيب، ١١١/٢٦، وأنوار التنزيل، ٧/٥، والبحر المحيط، ٣٤٠/٧، واللباب، ٢٨٥/١٦، وإرشاد العقل، ١٨٦/٧، والتحرير والتنوير، ١٧/٢٣-١٨.

(٤) أشهر المفسرين والنحاة وموجهي القراءات الذين ذهبوا إلى الترجيح بين القراءات المتواترة: يحيى بن زياد الفراء (٢٠٧هـ)، وأبو الحسن سعيد ابن مسعدة الأخفش الأوسط (٢١٥هـ)، وأبو عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ)، وأبو حاتم السجستاني (٢٥٥هـ)، والمبرد محمد بن يزيد ابن عبد الأكبر (٢٨٦هـ)، والإمام محمد بن جرير بن يزيد الطبري (٣١٠هـ)، وإبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (٣١١هـ)، وأبو بكر ابن مجاهد (٣٢٤هـ)، ومكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ)، وأبو جعفر النحاس (٣٣٨هـ)، وابن خالويه (٣٧٠هـ)، وأبو علي الفارسي (٣٧٧هـ)، والعلَّامة المهدوي (٤٤٠هـ)، والإمام الزمخشري (٥٣٨هـ)، وأبو البقاء العكبري (٦١٦هـ). والنظر في الكتب التي تناول من خلاها هؤلاء العلماء توجيه القراءات ودراستها يبيِّن ذلك، والمقام هنا لا يتسع لسرد أمثلة لترجيحات كل واحد من العلماء المذكورين. راجع بعضاً منها في: الاختيار عند القراء: مفهومه، مراحله، وأثره في القراءات، بحث مقدَّم لنيل درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية، إعداد: أمين بن إدريس بن عبد الرحمن فلاته، إشراف: محمد ولد سيدي ولد حبيب، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، ١٤٢١هـ، ص ٥٥٢-٥٦٥.

(٥) راجع: الاختيار عند القراء، ص ٢٥٦-٢٨٤.

وتُعدُّ القواعد والمسائل البلاغية من بين أهم الأسباب التي يستند إليها المفسر لترجيح بعض القراءات التي يراها أبلغ من غيرها، وأكثر دلالة على المعنى، وتناسباً مع السياق. وفيما يأتي دراسة موجزة لحكم الترجيح بين القراءات، وعلاقته بعلوم البلاغة.

حكم الترجيح بين القراءات: من المسلَّم به أن القراءات ليست على درجة واحدة من الثبوت، فبعض القراءات مقبولة وصلت إلينا بأسانيد متواترة، أو صحيحة، وبعضها شاذة أو منقولة بأسانيد الآحاد.

والحديث عن حكم الترجيح بين القراءات يرتبط بهذا الأمر؛ لأن تفاوت القراءات في الثبوت يقتضي رجحان القراءة الأثبت على غيرها.

وبناء عليه فإن الترجيح بين القراءات يتناول الحالات الآتية:

إذا كانت المفاضلة بين قراءة متواترة وأخرى آحاد أو شاذة فالقراءة المتواترة ترجح على الشاذة، وتُقدَّم عليها؛ لتفاوت القراءتين في القطع والثبوت. ولا حرج على المفسر في اختيار المعنى الذي تدل عليه القراءة المتواترة، دون الآخر الذي تدل عليه القراءة الشاذة، وإن كان التوفيق بينهما أولى؛ لأنه يثري المعاني التي تدل عليها الآيات القرآنية بقراءاتها المتنوعة.[1]

أما إذا كانت المفاضلة بين القراءات المقبولة فلا يجوز ترجيح بعضها على بعض إلى درجة تضعيف وتوهين القراءات المرجوحة، أو إنكارها والطعن فيها؛ لأن هذه القراءات جميعاً تعدُّ قرآناً منزَلاً من لدن حكيم خبير. وواجب المفسِّر تجاهها: قبولها، ومحاولة التوفيق بينها؛[2] وعدم الترجيح بينها؛ لكون كل منها قرآناً مقطوعاً بقرآنيته، ولأن إنكار إحدى القراءات المتواترة يعدُّ إنكاراً للقرآن أو توهيناً من قدره، وفي كلا الأمرين من الإثم والخطر ما لا يخفى.[3]

أما إذا كانت المفاضلة بين القراءات المتواترة لا تفضي إلى إنكار القراءة المرجوحة، ولا يقدح في كون الكل منزَلاً من عند الله ﷻ فلا بأس به،[4] بشرط بيان سبب الترجيح، أو بيان رجحان القراءة من جهة معينة، كجهة

---

(١) أضواء البيان، ٤/٤٢٩–٤٣٠، وقواعد الترجيح، ١/١٠٤، والاختيار عند القراء، ص ٥٧٩.

(٢) قواعد الترجيح، ١/١٠١. وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، ١٣/٣٩١.

(٣) البرهان، ١/٣٤٠، والإتقان، ١/٢٨١.

(٤) البرهان، ١/٣٣٩.

البلاغة أو التوافق مع معنى الآية وسياقها، وهذا النوع من الترجيح جائز بالشروط المذكورة، وقد كثر نقله عن كثير المفسرين،[1] لكنَّه مخالف للأَولَى، وهو التوفيق بين جميع القراءات المتواترة دون ترجيح.

أما ما نُقِل عن بعض المفسرين من تضعيف بعض القراءات والطعن فيها فقد يكون بسبب عدم ثبوتها لديهم، فهم مجتهدون في تصحيح القراءات أو تضعيفها، فمن أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد، وهؤلاء لا يُحكَم بكفرهم؛ لعدم ثبوت القراءة المردودة لديهم؛ لأنهم لو علموا بثبوتها ما أنكروها.

وقد يكون بسبب مخالفتها لما هو معلوم عندهم من قواعد اللغة، والقياس، والإعراب. وتضعيف القراءات أو الطعن فيها استناداً إلى هذا السبب غير جائز؛ لأن القراءات المتواترة هي الأصل الذي تصحح به القواعد النحوية والأقيسة اللغوية، وليس العكس.[2] "فإن علماء النحو إنما استمدوا قواعده من كتاب الله تعالى، وكلام رسوله، وكلام العرب، فإذا ثبت قرآنية القرآن بالرواية المقبولة كان القرآن هو الحكم على علماء النحو وما قعدوا من قواعد، ووجب أن يرجعوا هم بقواعدهم إليه، لا أن نرجع نحن بالقرآن إلى قواعدهم المخالفة نحكِّمها فيه، وإلا كان ذلك عكساً للآية، وإهمالاً للأصل في وجوب الرعاية."[3]

وقد ورد عن كبار العلماء العديد من النصوص التي تنهى عن تضعيف القراءات المتواترة أو إنكارها، منها قول العلَّامة أبي جعفر النحاس[4]: "والديانة تحظر الطعن على القراءة التي قرأ بها الجماعة، ولا يجوز أن تكون مأخوذة إلا عن النبي ﷺ، وقد قال ﷺ: «أُنزِل القرآن على سبعة أحرف.»[5] فهما قراءتان حسنتان لا يجوز أن تقدم إحداهما على الأخرى."[6]

---

(١) الاختيار عند القراء، ص ٥٨٠. وهذا ما تبيَّن لي عند دراسة ترجيحات الشيخ ابن عاشور للقراءات في أثناء دراستي لمنهجه في الترجيح. راجع: أثر القراءات في تعدد المعاني في تفسير التحرير والتنوير، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في جامعة دمشق، قسم علوم القرآن والحديث، إعداد الطالبة: انشراح سويد، إشراف: أ.د. علي أسعد، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص ٩٧-١٠٤.

(٢) راجع: الاختيار عند القراء، ص ٥٦٨-٥٧٥.

(٣) مناهل العرفان، ٢٩١/١-٢٩٢.

(٤) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس المرادي المصري، المفسِّر، الأديب. أخذ عن الأخفش الأصغر، والمبرِّد، والزجاج. من مؤلفاته: تفسير القرآن، وإعراب القرآن، والكافي في العربية، والمقنع في اختلاف البصريين والكوفيين، وناسخ القرآن ومنسوخه، ومعاني القرآن. توفي بمصر سنة ٣٣٨هـ رحمه الله تعالى. انظر: وفيات الأعيان، ٩٩/١-١٠٠، وبغية الوعاة، ٣٦٢/١.

(٥) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (٣٥٤هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢/١٤١٤هـ-١٩٩٣م، كتاب العلم، باب الزجر عن كتابة المرء السنن؛ مخافة أن يتَّكل عليها دون الحفظ، رقم/٧٤، ٢٧٥، وسنن النسائي الكبرى، كتاب فضائل القرآن، باب المِرَاء في القرآن، رقم/٨٠٩٣، ٣٣/٥.

(٦) إعراب النحَّاس، ٢٣١/٥.

وقول أبي عمرو الداني في كتابه جامع البيان: "وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل. والرواية إذا ثبتت عنهم لم يردها قياسُ عربيةٍ، ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها."(١)

وقول الإمام الزركشي: "ينبغي التنبيه على شيء، وهو أنه قد ترجح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يسقط القراءة الأخرى وهذا غير مَرضيّ؛ لأن كلتيهما متواترة."(٢)

ترجيح بعض القراءات على بعض استناداً لعلوم البلاغة وسياق الآيات: أسهمت القواعد البلاغية في توجيه القراءات، والكشف عن جمالها البياني، ولم يقتصر أثرها على ذلك، بل تعداه إلى ترجيح بعض القراءات المتواترة بما أظهرته هذه القواعد من كون القراءات الراجحة – من وجهة نظر المرجّحين – أنسب للسياق، وأوفق لمعاني الآيات، وأبلغ في التعبير عن مقاصدها. وقد اخترت من تفسير جامع البيان للطبري نماذج من الترجيحات التي استند فيها المفسّر إلى القواعد والأغراض البلاغية،(٣) وأهم الأمثلة التي ظهرت لي ما يأتي:

رجح الإمام الطبري قراءة ﴿لَهُدِّمَتْ﴾ بالتشديد من قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [سورة الحج/٤٠] على قراءة ﴿لَهُدِمَتْ﴾ بالتخفيف؛(٤) لأن قراءة التشديد أبلغ وأكثر دلالة على المعنى من قراءة التخفيف؛ لأن التشديد يدل على المبالغة، فيدل على تكرير الهدم فيها مرّة بعد مرّة،(٥) وهذا يتناسب مع أفعال أهل الكفر.(٦)

---

(١) جامع البيان في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني (من أول فرش الحروف إلى نهاية سورة الأنعام)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، دراسة وتحقيق: طلحة بن محمد توفيق بن ملا حسن، إشراف: أ.د. محمد بن سيدي بن حبيب الشنقيطي، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، العام الدراسي: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ص ٨٢، ونقله كذلك الإمامان ابن الجزري والسيوطي عن الإمام أبي عمر الداني. انظر: النشر، ١/٢٠، والإتقان، ١/٢٥٩.

(٢) البرهان، ١/٣٣٩.

(٣) سبب اختياري للنماذج من هذا التفسير تحديداً هو أن الإمام الطبري هو أكثر المفسرين سلوكاً لمسلك الترجيح بين القراءات، ولأن دراسة القراءات الراجحة والمرجوحة لدى جميع المفسرين أمر يضيق عنه المقام.

(٤) قرأ الحرميان وأبو جعفر ﴿لَهُدِمَتْ﴾ بالتخفيف، وقرأ الباقون ﴿لَهُدِّمَتْ﴾ بالتشديد. انظر: السبعة، ص ٤٣٨، والمبهج، ص ٦٥٧، والنشر، ٢/٣٦٦، وتحبير التيسير، ص ٤٧١.

(٥) سر الفصاحة، ص ٣٥، وحاشية الصبان، ٤/٣٤٢.

(٦) جامع البيان، ١٨/٦٤٨.

ورجَّح الإمام قراءة ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَّةً﴾ على وزن فعيلة من قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [سورة المائدة/١٣] على القراءة ﴿قَاسِيَةً﴾ على وزن فاعلة،[١] من قسوة القلب، ومعنى هذه القراءة: جعلنا قلوبهم قاسية غليظة يابسةً عن الإيمان بي، نُزعت منها الرأفةُ والرحمة. والقراءة الأخرى بهذا المعنى أيضاً، لكنها أبلغ في ذم القوم من ﴿قَاسِيَةً﴾؛[٢] لأن صيغة فعيلة أبلغ من فاعلة،[٣] ولذلك رجَّحها الطبري.

ورجَّح قراءة ﴿نَاخِرَةً﴾ من قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۞ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ۞ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [سورة النازعات/١٠-١٢] على قراءة ﴿نَخِرَةً﴾ بحذف الألف؛[٤] لموافقتها لرؤوس الآيات، أي: إنَّه رجَّح القراءة بالفاصلة[٥] المناسبة للفواصل السابقة واللاحقة في الحرف والوزن؛ لأن توافق الفواصل في الوزن والحرف الأخير يكسب الكلام جمالاً ورونقاً جذَّاباً.[٦] وبذلك يكون الإمام الطبري قد استند في ترجيحه إلى واحد من المحسنات اللفظية المشهورة في علم البديع، والتي أطلق عليها البلاغيون اسم توافق فواصل الآيات في القرآن.[٧] ولولا مراعاته لهذا الفن لرجَّح القراءة الأخرى كما صرَّح بذلك عندما قال: " وأفصح اللغتين عندنا وأشهرهما عندنا ﴿نَخِرَةً﴾ بغير ألف، بمعنى: بالية، غير أن رؤوس الآي قبلها وبعدها جاءت بالألف، فأعجب إليّ

---

(١) قرأ الأخوان ﴿قَسِيَّةً﴾ بحذف الألف وتشديد الياء، وقرأ الباقون ﴿قَاسِيَةً﴾ بإثبات الألف وتخفيف الياء. انظر: التيسير، ص ٧٤، والعنوان، ص ٨٧، والنشر، ٢٨٧/٢.

(٢) جامع البيان، ١٢٧/١٠-١٢٨.

(٣) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري (٧٦١ هـ)، دار الجيل، بيروت، ط٥/١٩٧٩م، ٢١٩/٣، وشرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، للعلّامة عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف ابن أحمد بن عبد الله بن هشام (٧٦١هـ)، تح: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ط١/١٩٨٤م، ص ٥٠٣.

(٤) قرأ أبو بكر والأخوان وخلف ورويس ﴿نَاخِرَةً﴾ بالألف، وقرأ الباقون ﴿نَخِرَةً﴾ بغير ألف. انظر: السبعة، ص ٦٧٠، والتيسير، ص ١٣٨، وحجة أبي زرعة، ص ٧٤٨، وتحبير التيسير، ص ٦٠٤.

(٥) عرف المتقدمون الفاصلة القرآنية بأنها: "حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني." انظر: إعجاز القرآن، للباقلاني، ص ٢٧٠، وقريب من هذا التعريف تعريف الرماني، انظر: النكت في إعجاز القرآن، ص ٨٩. أما الزركشي - وتابعه السيوطي - فقد عرف الفاصلة بقوله: "كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع." انظر: البرهان، ٥٣/١، والإتقان، ٣٣٢/٣. وأختار تعريف د.حسن ضياء الدين عتر الذي عرَّف الفاصلة بقوله: "كلمة تختم بها الآية فتتم معناها، وتتجاوب مع وقعها الصوتي في الأذن." انظر: المعجزة الخالدة، د.حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣/١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ص ٢١٤. وإنما اخترت هذا التعريف؛ لوضوحه ومراعاته لمزايا الفواصل الصوتية والمعنوية.

(٦) سر الفصاحة، ١٧٢-١٧٥، ومختصر المعاني، ٢٩٤-٢٩٦.

(٧) الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٣٦٢-٣٦٤، ومختصر المعاني، ص ٢٩٤-٢٩٥، والبلاغة العربية، ٥٠٣/٢-٥٠٧.

لذلك أن تُلْحق ﴿نَاخِرَةً﴾ بها؛ ليتفق هو وسائر رؤوس الآيات، لولا ذلك كان أعجب القراءتين إليّ حذف الألف منها."[1]

ورجَّح قراءة ﴿فَلَا رَفَثٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالَ﴾ من قوله تعالى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [سورة البقرة/١٩٧] على قراءة ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾؛[2] لأن المخالفة بين الإعراب أوضح وأبلغ في الدلالة على اختلاف المعاني،[3] فكانت قراءة المخالفة لديه أرجح؛ ليعلم السامع أن الذي من أجله خولف بين إعرابيهما إنما هو اختلاف معنييهما.[4]

ورجَّح الإمام الطبري قراءة ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ﴾ بفتح همزة (أن) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۞ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ [سورة طه/١١٨-١١٩] على قراءة ﴿وَإِنَّكَ لَا تَظْمَأُ﴾ بكسر همزة (إن)؛[5] لأن العطف على الأقرب أبلغ من العطف على الأبعد؛ لتعلق مضمون ومعنى الجملة المعطوفة بمعنى الجملة السابقة لها، وقراءة الفتح تعطف جملة ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا﴾ على جملة ﴿أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾ ، أما قراءة الكسر فتعطفها على جملة ﴿إِنَّ لَكَ﴾، والمعنى على قراءة الفتح: إن لك يا آدم في الجنة ألا تجوع وألا تظمأ، وهذا المعنى أولى؛ لأن الله ﷻ وعد ذلك آدم حين أسكنه الجنة، "فكون ذلك بأن يكون عطفاً على ﴿أَلَّا تَجُوعَ﴾ أولى من أن يكون خبر مبتدأ، وإن كان الآخر غير بعيد من الصواب."[6]

يلاحظ مما سبق ذكره من الأمثلة أن الإمام الطبري عندما رجح القراءات الآنفة الذكر استناداً للأغراض البلاغية والتناسب مع السياق لم يسقط القراءات الأخرى أو ينكرها، وهذا الترجيح لا بأس به؛ لكونه لا ينكر القراءات المرجوحة أو يسقطها، لكنّه مخالف للأَولى وهو البحث عن طرق التوفيق بين جميع القراءات المتواترة التي هي جميعاً كلام الله ﷻ.

---

(١) جامع البيان، ١٩٥/٢٤.

(٢) قرأ ابن كثير والبصريان وأبو جعفر ﴿فَلَا رَفَثٌ وَلَا فُسُوقٌ﴾ بالرفع والتنوين، وقرأ الباقون بالنصب من غير تنوين، وقرأ أبو جعفر ﴿وَلَا جِدَالٌ﴾ كذلك بالرفع والتنوين، وقرأ الباقون ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ بالفتح من غير التنوين. انظر: التيسير، ص ٦٤، والنشر، ٢٤١/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٠٣.

(٣) اللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (٦١٦هـ)، تح: غازي مختار طليمات، دار الفكر، دمشق، ط١/١٩٩٥م، ٥٦/١–٥٧، والإتقان، ٢٣٦/٣.

(٤) جامع البيان، ١٥٤/٤.

(٥) قرأ نافع وشعبة عن عاصم ﴿وَإِنَّكَ لَا تَظْمَأُ﴾ بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها. انظر: السبعة، ص ٤٢٤، والتيسير، ص ١٠٤، وتحبير التيسير، ص ٤٦٣.

(٦) جامع البيان، ٣٨٦/١٨.

إنكار بعض القراءات لضعف وجوهها البلاغية، وعدم تناسبها مع سياق الآيات: إنَّ الاستناد إلى قواعد البلاغة وعلومها في ترجيح بعض القراءات المتواترة دون إسقاط القراءات الأخرى يعني إظهار قوة الجانب البلاغي، ومناسبة السياق في بعض القراءات، دون إغفال بلاغة القراءات الأخرى، ومناسبتها من وجوه أخرى، وهو أمر جائز. أما الترجيح الذي يفضي إلى إسقاط القراءات المتواترة فغير جائز، إلا أنه — للأسف – وقع كثيراً في بعض التفاسير، ومنها تفسير الطبري، غير أن الاستقراء أظهر أنَّ ما وقع من بعض العلماء والمفسرين من إنكار قراءة متواترة كان — غالباً – بسبب اعتقادهم شذوذها، أو ضعف وجهها النحوي، أو مخالفة الأشهر من الوجوه النحوية، أو لعدم تناسب معناها مع معنى الآية، كما أظهر الاستقراء أن الإمام الطبري عندما ردَّ بعض القراءات المقبولة كان يرى— غالباً – أن القراءات المردودة هي قراءات ضعيفة أو شاذة؛ لمخالفتها القراءة المجمع عليها، أو التي عليها أكثر قرَّاء الأمصار،[1] ونادراً ما يرد القراءات؛ لعدم تناسب معناها مع سياق الآيات، ومما وقفت عليه في تفسير الطبري ما يأتي من الأمثلة:

نسب الطبري الصحة إلى قراءة ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ من قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة البقرة/٩] دون القراءة الأخرى ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾؛[2] لأن قراءة ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ أكثر توافقاً مع معنى الآية.[3]

يقول الطبري: "وإذ كان الأمر على ما وصفنا من خِدَاع المنافق ربَّه وأهلَ الإيمان به، وأنه غير صائر بخداعه ذلك إلى خديعةٍ صحيحة إلا لنفسه دون غيرها، لما يُوَرِّطها بفعله من الهلاك والعطب، فالواجب إذًا أن يكون الصحيح من القراءة: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إلا أَنْفُسَهُمْ﴾ دون ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾؛ لأن لفظ (المخادع) غير مُوجب تثبيتَ خديعةٍ على صحَّة، ولفظ (خادع) موجب تثبيت خديعة على صحة. ولا شك أن المنافق قد أوْجبَ خديعة الله عز وجل لِنَفْسه بما رَكِبَ من خداعه ربَّه ورسولَه والمؤمنين بنفاقه، فلذلك وجبَت الصِّحةُ لقراءة من قرأ: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إلا أَنْفُسَهُمْ﴾. ومن الدلالة أيضًا على أن قراءة من قرأ: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ أولى بالصحة من قراءة من قرأ:

---

(١) راجع: جامع البيان، ٤٦٩/٢، ٨٠/٦، ٤٩٢/٧، ١٨٨/٨، ٥٧٧/١١، ١٣٨/١٢، ١٤٢/١٢، ٣٤٩/١٢، ١٣٢/١٣، ١٥٧/١٤، ٣٣١/١٤، ٤١٦/١٥، ٨٤/١٦، ٨٨/١٦، ٣١٠/١٦، ٧٦/١٧، ٥٦٨/١٧، ٢٨٧/١٨، ٣٠٤/١٨، ٥٢٠/١٨، ١٣٢/١٩، ٢٢٤/٢٠، ٣٨٧/٢١، ٩٢/٢٢، ١٦٧/٢٢، ٢٧٧/٢٢، ٢٨٠/٢٣، ٤٧/٢٤، ٥٨/٢٤، ١٤١/٢٤.

(٢) قرأ الحرميان وأبو عمرو ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾ بالألف مع ضم الياء وفتح الخاء وكسر الدال، وقرأ الباقون ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ بغير ألف مع فتح الياء والدال. انظر: السبعة، ص ١٤١، والتيسير، ص ٥٩، وتحبير التيسير، ص ٢٨٢.

(٣) جامع البيان، ٢٧٥/١—٢٧٧.

﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾؛ أن الله جل ثناؤه قد أخبر عنهم أنهم يُخادعون الله والمؤمنين في أول الآية، فمحال أن يَنفي عنهم ما قد أثبت أنهم قد فعلوه، لأن ذلك تضادٌّ في المعنى، وذلك غير جائزٍ من الله جلّ وعزّ."(١)

ونسب الطبري الصحة إلى قراءة ﴿لا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ بفتح الهمزة، جمع اليمين، بمعنى العهد دون القراءة الأخرى ﴿لا إِيمَانَ لَهُمْ﴾ بكسر الهمزة، بمعنى الإسلام(٢) من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [سورة التوبة/١٢]؛ لأن معناها بالنظر لسياق الآية أَولى في نظره من القراءة الأخرى.

يقول الطبري: "والصواب من القراءة في ذلك، الذي لا أستجيز القراءة بغيره، قراءة من قرأ بفتح الألف، دون كسرها؛ لإجماع الحجة من القرأة على القراءة به، ورفض خلافه، ولإجماع أهل التأويل على ... أن تأويله: لا عهد لهم، و(الأيمان) التي هي بمعنى العهد، لا تكون إلا بفتح الألف؛ لأنها جمع (يمين)."(٣)

ويرى الإمام الطبري أن قراءة ﴿وَرَبَتْ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [سورة الحج/٥] هي الصحيحة دون قراءة أبي جعفر ﴿وَرَبَأَتْ﴾؛(٤) لأن قراءة الجمهور من الربو، الذي هو النماء والزيادة، وهي تناسب معنى وسياق الآية دون قراءة أبي جعفر المشتقة — في رأيه - من ربأ بالهمز بمعنى حرس،(٥) وليس للحراسة مناسبة في هذا الموضع.

---

(١) جامع البيان، ٢٧٧/١.

(٢) قد يعذر الطبري لرده هذه القراءة المتواترة؛ لظنه أنها قراءة شاذة، حيث نسبها للحسن البصري، ونسب القراءة الأخرى للجماعة. انظر: جامع البيان، ١٥٧/١٤. والصحيح أن ابن عامر قرأ ﴿لا إِيمَانَ لَهُمْ﴾ بكسر الهمزة وبعدها ياء ساكنة مدية، والباقون قرؤوا ﴿لا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ بفتح الهمزة وبعدها ياء ساكنة غير مدية. انظر: المبسوط في القراءات العشر، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني (٣٨١هـ)، تح: سبيع حمزة حاكمي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د.ط./١٤٠١هـ-١٩٨١م، ص ٢٢٥، والتيسير، ص ٨٤، والنشر، ٣١٢/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٨٨.

(٣) جامع البيان، ١٥٧/١٤-١٥٨.

(٤) المبسوط، ص ٣٠٥، والنشر، ٣٦٥/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٦٩، والإتحاف، ص ٥٥٩.

(٥) المختار أن ربأت بمعنى ارتفعت وأشرفت، يقال: فلان يربأ بنفسه عن كذا، أي: يرتفع. انظر: الإتحاف، ص ٥٥٩، وهذا المعنى ذهب إليه أكثر اللغويين، أما الحراسة فهي من رابأ بمعنى حارس وراقب، انظر: لسان العرب، ٨٢/١، والقاموس المحيط، ص ٥١، وتاج العروس، ٢٣٧/١، والمعجم الوسيط، ص ٣٢٠-٣٢١.

يقول الطبري: "وقرأت قراء الأمصار (وَرَبَتْ) بمعنى: الربو، الذي هو النماء والزيادة. وكان أبو جعفر القارئ يقرأ ذلك (وَرَبَأَتْ) بالهمز. ... وإنما يقال: ربأ بالهمز بمعنى حرس من الربيئة، ولا معنى للحراسة في هذا الموضع، والصحيح من القراءة ما عليه قراء الأمصار."(١)

ونسب الطبري الصحة والصواب إلى قراءة ﴿قَالَ اعْلَمْ﴾ بهمزة الوصل على الأمر من قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة/٢٥٩] دون قراءة ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ بهمزة القطع على الإخبار.(٢) ومعنى الآية على قراءة الأمر: فلما تبيَّن من أمر الله وقدرته، قال الله للمتبيِّن: اعلم الآن أن الله على كل شيء قدير، ومعناها على قراءة الإخبار: فلما تبين له من قدرة الله، وعظيم سلطانه بالمعاينة والدليل، قال المتبيِّن: أنا أعلم الآن أنّ الله على كل شيء قدير.

وقد نسب الطبري الصواب إلى قراءة الوصل على وجه الأمر دون قراءة القطع على الإخبار؛ لمناسبة الأمر لما قبله من الكلام الذي جاء أيضاً على طريقة الأمر من الله ﷻ، وإن كانت القراءة الأخرى عنده هي قراءة "عامة قرأة أهل المدينة، وبعض قرأة أهل العراق"(٣) يقول الطبري: " وإنما اخترنا قراءة ذلك كذلك، وحكمنا له بالصواب دون غيره؛ لأن ما قبله من الكلام أمرٌ من الله تعالى ذكره: قولاً للذي أحياه الله بعد مماته، وخطابًا له به."(٤)

وأخيراً: نسب الطبري الصحة والصواب إلى قراءة الجمهور ﴿لِتَزُولَ﴾ بكسر اللام الأولى وفتح الثانية من قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [سورة إبراهيم/٤٦] ونسب الفساد إلى قراءة الكسائي ﴿لَتَزُولُ﴾ بفتح اللام الأولى ورفع الثانية.(٥)

ومعنى الآية على قراءة الجمهور: وما كان مكرهم لتزول منه الجبال، وعلى قراءة الكسائي: اشتدّ مكرهم حتى زالت أو كادت الجبال تزول منه. وسبب تصويب الطبري لهذه القراءة دون غيرها هو إجماع الحجة من القرّاء

(١) جامع البيان، ٥٧١/١٨.

(٢) قرأ الأخوان ﴿قَالَ اعْلَمْ﴾ بالوصل وإسكان الميم على الأمر وإذا ابتدأ كسرا همزة الوصل، وقرأ الباقون ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ بقطع الهمزة والرفع على الخبر . انظر: السبعة، ص ١٨٩، والتيسير، ص ٦٥، والنشر، ٢٦٤/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٠٩.

(٣) جامع البيان، ٤٨٢/٥.

(٤) المرجع السابق، ٤٨٤/٥.

(٥) قرأ الكسائي وحده ﴿لَتَزُولُ﴾ بفتح اللام الأولى وضم الثانية، وقرأ الباقون ﴿لِتَزُولَ﴾ بكسر اللام الأولى وفتح الثانية. انظر: السبعة، ص ٣٦٣، والتيسير، ص ٩٥، وتحبير التيسير، ص ٤٢٥.

على ذلك، وأن الجبال ثابتة في أماكنها، وفي ثبوتها على حالتها ما يبين أنها لم تزُل، لذلك كانت قراءة الكسائي غير صحيحة المعنى عنده ومستحقة للحكم عليها بالفساد.

يقول الطبري: " والصواب من القراءة عندنا قراءة من قرأه: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ بكسر اللام الأولى وفتح الثانية، بمعنى: وما كان مكرهم لتزول منه الجبال. وإنما قلنا: ذلك هو الصواب؛ لأن اللام الأولى إذا فُتحت، فمعنى الكلام: وقد كان مكرهم تزول منه الجبال، ولو كانت زالت لم تكن ثابتة، وفي ثبوتها على حالتها ما يبين عن أنها لم تزُل، وأخرى إجماع الحجة من القرّاء على ذلك، وفي ذلك كفاية عن الاستشهاد على صحتها وفساد غيرها بغيره."(١)

وهكذا يتبيّن أن بعض المفسرين – كالإمام الطبري – كان يستند إلى سياق الآيات، ومعناها، ومعطيات علم البلاغة في ترجيح بعض القراءات، أو ردِّها أحياناً. ومسلكه في الترجيح مخالف للأَولى في كل موضع لا يفضي إلى إسقاط القراءة الأخرى، أما مسلكه في الإنكار فمرفوض تماماً، وخاصَّة عندما يكون على دراية بعدم شذوذ القراءة المردودة لديه؛ لأن كلام الله ﷻ بقراءاته جميعاً هو الحَكَم على قواعد البلاغة، وسياق الآيات، وواجب المفسِّر هو محاولة التوفيق بين معاني القراءات المقبولة، أو عدُّ القراءات المتعددة بمنزلة آيات متعددة في حالِ تعذُّر التوفيق بينها.(٢) وهذه الدراسة ستتناول هذا الموضوع بمزيد من الدراسة في كل موضع يسلك فيه المفسرون مسلك الترجيح أو الإنكار، وتعرِّف بالأسباب في كل موضع، وتناقش حجج المرجِّحين أو المنكِرين.

---

(١) جامع البيان، ٤٢/١٧.

(٢) إن إنكار القراءات المتواترة بنفي صفة الصواب وخلع ثوب القرآنية عنها يعدُّ طعناً في القراءات العشر التي مدارها التوقيف والنقل المحض، وكلُّ من فعل ذلك متعمداً؛ بقصد الإساءة إلى القراءات المتواترة والتشكيك في قرآنيتها فهو كافر، أما من فعل ذلك على سبيل السهو والغفلة فعسى الله أن يتجاوز عنه، وأعتقد أن الإمام الطبري من هذا الفريق الأخير؛ فقد كان – رحمه الله – سنيَّ العقيدة، يحارب الفرق الضالَّة، ويدافع عن أهل السنة والجماعة، ويوقِّر القرآن وأهله؛ غير أنه أخطأ عندما أخضع – عن حسن نيَّة – القراءات المتواترة للمقاييس اللغوية والنحوية والصرفية. انظر: القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره والردُّ عليه، تأليف محمد عارف عثمان موسى الهرري، ط١/١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص ١٦، ٤٧٠-٤٧٢.

المبحث الثاني: دراسة موجزة لنظم القرآن، ووجوه إعجازه.

المطلب الأول: تعريف إعجاز القرآن، وبيان وجوهه.

المطلب الثاني: تعريف نظم القرآن.

المطلب الثالث: بلاغة نظم القرآن، وإعجازه في دراسات السابقين.

القرآن الكريم هو معجزة الله الخالدة، أيَّد بها خاتم أنبيائه ورسله محمد ﷺ، ودعا أهل زمانه ومن بعدهم إلى معارضته وتحداهم أن يأتوا بمثله، ثم بعشر سور من مثله، ثم بسورة من مثله، فعجزوا، رغم توفر الدواعي، ورغبتهم في المعارضة؛ فضلاً عما تمتعوا به من ملكة لغوية عالية، وقدرة على اختيار الألفاظ الفصيحة، وإنشاء العبارات البليغة. قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [سورة الإسراء/٨٨]، وقال أيضاً: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة هود/١٣]، وقال أيضاً: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة يونس/٣٨]، وقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البقرة/٢٣].

فقد دعا الله الكفار إلى معارضة القرآن الكريم في أكثر من موضع من كتابه، وأثبت عجزهم في كل مرة دعاهم فيها إلى المعارضة، وتحداهم بها؛ لأن الله ﷻ يعلم أن هذا الكتاب الرباني قد نزل بطريقة يعجز أبلغ البلغاء عن التأليف بمثلها، فها هم العرب - وهم زعماء البلاغة ورؤساء الفصاحة - يتعجبون من روعة البيان، وفصاحة لفظ القرآن، وطريقة التأليف العجيبة التي لا تشبه النثر أو الشعر أو أي كلام بليغ آخر. وهذا النظم وتلك الطريقة في التأليف كانت من أبرز وجوه إعجاز القرآن.

وهذا المبحث سيتناول بالدراسة الموجزة إعجاز القرآن ووجوهه، ونظم القرآن وخصائصه، وأبرز الدراسات المتخصصة في بيان إعجاز نظم القرآن.

المطلب الأول: تعريف إعجاز القرآن وبيان وجوهه.

أنزل الله ﷻ القرآن الكريم؛ ليقوم آية شاهدة لنبوة سيدنا محمد ﷺ ورسالته، وليبقى معجزة خالدة تنطق بالهدى، وتدل على جلال وعظمة خالق الكون ومبدعه، وتؤكِّد صدق رسالاته، واستحقاقه التفرد بالربوبية.

والقرآن الكريم يذخر بالدلائل التي تدل على إعجازه، إلا أن بلاغته العليا، وجمال سبكه، وروعة تأليفه أدلُّ الشواهد على سماوية هذا الكتاب. وفي هذا المطلب تعريف سريع بمعنى إعجاز القرآن ووجوهه.

أولاً: تعريف الإعجاز.

الإعجاز لغة: إثبات العجز، والعجز: الضعف، وعدم القدرة على فعل الشيء، والقصور عنه أو التأخر. قال تعالى على لسان القاتل من ابني آدم: ﴿يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [سورة المائدة/٣١] ومنه سميت الشيخة عجوزاً، لضعفها عن القيام بكثير من الأمور، ومنه أيضاً سمي الدليل الخارق للعادة الذي يشهد لنبوة النبي ورسالة الرسول: معجزة.(١)

والمعجزة: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة،(٢) يخلقه الله تعالى على يد مُدَّعي النبوة عند ادِّعائه إياها، شاهداً على صدقه.(٣)

أما **إعجاز القرآن** بالمعنى الاصطلاحي فقد تعددت عبارات العلماء في بيانه، ومما وقفت عليه ما يأتي:

١ . "ارتقاؤه في البلاغة إلى أن يخرج عن طوق البشر، ويُعجِزهم عن معارضته."(٤)

٢ . "إعجاز القرآن خَلقَ الله عن الإتيان بما تحداهم به."(٥)

٣ . "ضعف المخلوقات عن أن يأتوا بمثله."(٦)

---

(١) العين، ٢١٥/١، ولسان العرب، ٣٦٩/٥، والقاموس المحيط، ص ٦٦٣، وتاج العروس، ٢٠٠/١٥.

(٢) الإتقان، ٣/٤، ومباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٢٦٥.

(٣) مناهل العرفان، ٥٣/٣.

(٤) كليات الكفوي، ص ١٤٩.

(٥) مناهل العرفان، ٢٣٨/٣.

(٦) معجم لغة الفقهاء، د.محمد رواس قلعة جي، د.حامد صادق قنيبي، دار النفائس، بيروت، ط١٤٠٨/٢هـ-١٩٨٨م، ص ٧٦.

٤. " الإعجاز شيئان: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه، فكأنَّ العالم كله في العجز إنسان واحد، ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت"(١)

وهذه التعريفات تمتاز بالتكرار وعدم الوضوح، فالأول والثاني يكرران مادة (عجز) ضمن التعريف، وهذا الأمر لا يصح؛ لأن تكرار لفظ المعرَّف ضمن التعريف يؤدي إلى الدور. والثالث يعرِّف العجز دون الإعجاز، ولا يبيِّن الجهة التي بها يقع الإعجاز. أما الأخير فيمتاز بالتكرار والإطالة، ويوهم أن سبب العجز هو صرف الله البشر عن معارضة القرآن؛ لذا أختار تعريفاً يجمع بين العبارات الآنفة الذكر، ويسلم من مطاعنها، فأقول:

"إعجاز القرآن: هو ارتقاء نظم القرآن في البلاغة حداً يفوق قدرة البشر جميعاً، بحيث يضعفهم عن معارضته رغم توفُّر الدواعي."

فهذا التعريف يسلم من الدور، ويبيِّن أن نظم القرآن هو وجه إعجازه، وأن العجز ثابت لجميع البشر على مرِّ العصور، وسببه أمر يرجع إلى ذات النظم،(٢) وليس الصرفة كما يرى بعض العلماء.(٣)

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ١٣٩.

(٢) هذه العبارة قريبة من عبارة الكفوي مع مزيد من الإيضاح. وقد بيَّن الكفوي بعد شرحه لتعريفه أن هذه العبارة مبيِّنة لجهة الإعجاز، وسببه. انظر: كليات الكفوي، ص ١٤٩.

(٣) ذهب إبراهيم بن سيار النظام من المعتزلة، وأبو إسحاق الإسفيراني من أهل السنة، والمرتضى من الشيعة إلى أن إعجاز القرآن سببه صرف الله العرب عن معارضته، مع قدرتهم عليها، أو أن عارضاً مفاجئاً عطَّل مواهبهم البيانية، وعاق قدرتهم البلاغية، وسلبهم أسبابهم العادية إلى المعارضة رغم تعلق إرادتهم بها، وتوجه همتهم إليها، أو بسبب أن الله سلب العرب العلوم التي يُحتاج إليها في المعارضة، ليجيئوا بمثل القرآن. وهذا القول فاسد بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [سورة الإسراء/٨٨] فالآية تدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا القدرة لم يبق لاجتماعهم فائدة، لكونه كاجتماع الموتى، وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره، ثم لا يقال لمن سُلِب القدرة على شيء أن الشيء أعجزه ما دام في مقدوره أن يأتي به في وقت ما، وقد أثبت التاريخ أن دواعي المعارضة ودوافعها كانت قائمة موفورة، وأنهم حاولوا معارضة القرآن، والقضاء على دعوته فلم يستطيعوا. كما أثبت التاريخ أن العرب حين خوطبوا بالقرآن قعدوا عن معارضته اقتناعاً بإعجازه، وعجزهم الفطري عن المعارضة، ولو أن عجزهم هذا كان لطارئ مباغت عطَّل قواهم البيانية، لأُثِر عنهم أنهم حاولوا المعارضة ثم فوجئوا بما ليس في حسبانهم، ولكان ذلك مثار عجب لهم، ولأعلنوا ذلك في الناس؛ ليلتمسوا العذر لأنفسهم، ويقللوا من شأن القرآن، ولعمدوا إلى كلامهم القديم فعقدوا مقارنة بينه وبين القرآن يغضون بها من =

ثانياً: وجوه إعجاز القرآن الكريم.(١)

اجتهد الكثير من العلماء في استخراج وجوه إعجاز القرآن الكريم، وتسابقوا في بيانها، وذكر بعضهم وجوهاً يندرج بعضها تحت بعض، وأبرز وجوه الإعجاز التي ذكرها العلماء ما يأتي:(٢)

١ً. نظم القرآن الكريم، وأسلوبه، وطريقة تأليفه التي اشتملت على خصائص بلاغية عليا لم توجد في أي كلام بليغ على نحو ما وجدت في القرآن، وهذا الوجه هو أبرز وجوه الإعجاز التي ميزت القرآن الكريم عن غيره من الكلام، وسأفرده بالحديث في المطلب الآتي.

٢ً. ما اشتمل عليه القرآن الكريم من علوم ومعارف مثبتة بالأدلة والحجج والبراهين، التي يستحيل أن يكون النبي محمد ﷺ قد جاء بها من تلقاء نفسه وهو رجل أمي، كما يستحيل أن يكون قد تلقاها من غيره؛ لأنه نشأ بين الأميين، والقرآن هو الذي صحَّح معارفهم، وانتشلهم من جهلهم، كما صحح أغلاط أهل الكتاب من يهود ونصارى، وعلمهم ما جهلوا من حقائق دينهم.

٣ً. تشريع القرآن الكريم ووفاؤه بحاجات البشر، فقد جاء القرآن الكريم بهدايات تامة تفي بحاجات البشر في كل عصر ومصر وفاء لا نجده في أي تشريع آخر، حيث دعا القرآن الكريم إلى المقاصد النبيلة في جوانب الحياة كلها، فأصلح العقائد عن طريق إرشاد الخلق إلى حقائق المبدأ والمعاد، وأصلح العبادات عن طريق إرشاد

مقام القرآن وإعجازه، ولكانوا بعد نزول القرآن أقل فصاحة وبلاغة منهم قبل نزوله. وكل هذه اللوازم باطلة، فبطل ما استلزمها وهو القول بالصرفة. وقد انعقد الإجماع على إضافة الإعجاز إلى القرآن، ولو كان إعجاز القرآن بالصرفة لم يكن القرآن كلاماً معجزاً، بل كان المعجز هو المنع، ولم يكن للقرآن فضيلة على غيره في نفسه، كما أن القول بالصرفة يستلزم زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي، وخلو القرآن من الإعجاز، وفي ذلك خرق لإجماع الأمة أن معجزة الرسول العظمى باقية، ولا معجزة له باقية سوى القرآن. انظر: البرهان، ٩٤/٢، والإتقان، ٧/٤–٨، ومناهل العرفان، ٣٠١/٢–٣٠٤، وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ١٤٤–١٤٦.

(١) يقصد بالوجه المعجز في القرآن: "كل مزية في نظم القرآن أو معانيه خارجة عن طاقة المخلوق". انظر: المعجزة الخالدة، ص ١٩٢.

(٢) للتوسع فيها، راجع: بيان إعجاز القرآن، ص ٢١–٧١، وإعجاز القرآن، ص ٣٣–٤٧، والإتقان، ٧/٤–٢٠، ومناهل العرفان، ٢٤٧/٢–٢٩٧، ومباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٢٧٢–٢٨٩، والمعجزة الخالدة، ص ١٩٩–٣٤٤، وروائع البيان في إعجاز القرآن، أ.د. محمد سالم محيسن، دار محيسن، القاهرة، ط١/١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م، ص ٢٤–٥٠.

الخلق إلى ما يزكّي النفوس، ويغذّي الأرواح، ويقوّم الإرادة، ويفيد الفرد والجماعة، وأصلح الأخلاق عن طريق إرشاد الخلق إلى فضائلها، وتنفيرهم من رذائلها في قصد واعتدال، وأصلح الجماعة عن طريق إرشاد الخلق إلى توحيد الصفوف، ومحو العصبيات التي تباعد بينهم، وأصلح السياسة والحكم الدولي عن طريق تقرير العدل والمساواة بين الناس، ومراعاة الفضائل في الأحكام والتعامل، فأمر بالوفاء بالعهود، ونهى عن الظلم والغدر ونقض العهود والكذب والخيانة والغش وأكل أموال الناس بالباطل، كالرشوة والربا، وبالطريقة ذاتها أصلح الأمور المالية والاقتصادية، ورفع من مكانة المرأة، وهذب الأمور الحربية، وآثر السلم على الحرب، ووضع للحرب قواعد تضمن خير الإنسان حين الاضطرار إليها، وحارب الرق وجعل تحريرهم وسيلة للتكفير عن بعض الذنوب كالقتل والظهار وإفساد الصيام عمداً، وحرَّر العقول، ومنع الإكراه والاضطهاد.

٤ً . سياسة القرآن الكريم بالإصلاح، وتأثيره في نفوس معارضيه وجاحديه وأتباعه؛ فقد نزل القرآن الكريم منجَّماً خلافاً لسائر الكتب السماوية، وابتدأ بإصلاح الاعتقاد قبل المطالبة بالتكاليف الشرعية والعبادات، وراعى مطالب الروح والجسد جميعاً، وخاطب العقول والأفكار، ودعا البشر إلى إعمال النظر، ووبّخ من أهملوا العقل واستحسنوا التقليد الأعمى وركنوا إلى الجمود، ودعا إلى التيسير ورفع الحرج والمشقة عن الناس، كما كان نمط القرآن وأسلوبه الشائق الذي لا يشبه شيئاً من المعهود من تآليف العلوم والآداب دافعاً للناس للإقبال عليه، والانجذاب إليه، والاستئناس بما جاء من تعاليمه، والإصغاء إليه بهيبة، وخشوع، وسكينة.

٥ً . ما اشتمل عليه القرآن الكريم من أنباء الغيب الماضية، والحاضرة، والمستقبلة التي لا سبيل للنبي محمد ﷺ ولا لغيره أن يعلمها من تلقاء نفسه، وسر الإعجاز في ذلك كله أنه وقع كما حدث، وجاء على النحو الذي أخبر به، وقد شهد التاريخ لما جاء في القرآن الكريم من غيب الماضي، وقصص الأنبياء السابقين، وأخبار القرون والأمم الغابرة، وتبيَّن صدق ما جاء به من أخبار الحاضر، فانكشف نفاق من استخفوا خلف ستار الإسلام، وصدَّقت الأيام ما أخبر به من غيب المستقبل، فانتصر الروم في بضع سنين كما أخبر، وتحقق للنبي ﷺ فتح مكة بعد أن أُخرِجَ منها، وشاع أمر الإسلام، وبسط المسلمون نفوذهم بعد أن كانوا قلةً مستضعفين، وسَلِم النبي ﷺ من القتل رغم خلوه من الحراسة، ورغبة الأعداء باغتياله؛ لنقض ما أثبته القرآن من حفظ الله سبحانه وتعالى له، بل وحدث كل ما أخبر به القرآن الكريم من غيب المستقبل ولم تتخلف نبوءة واحدة قط، بل وقعت

كما أنبأ، وعلى الحال الذي أنبأ عنه رغم أن الظروف في ذلك الوقت كانت تنبئ بعكس ما أخبر به.(١)

وأرى – متابعةً في ذلك بعض العلماء(٢) – أن جميع الوجوه المذكورة عدا الوجه الأول هي دلائل مصدر القرآن الرباني، وليست وجوه إعجازه، وأنَّ الوجه الحقيقي الذي كان موضوع التحدي هو نظم القرآن، وليس شيئاً آخر، ويدل على ذلك أن الله ﷻ عندما تحدى الكفَّار لم يطالبهم بأن يأتوا بعلم كالعلم الذي في القرآن، ولا بغيب أو تشريع كالذي في القرآن، وإنما طالبهم بكلام يكون بيانه كالبيان الذي في القرآن، وإن كان مضمونه مكذوباً مفترى، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ [سورة هود/١٣] فقد طالب الله المنكرين بأن يأتوا بعشر سور مفتريات في المعنى والمضمون، لكنها مثل نظم القرآن في البلاغة وقوة البيان، ولو كان الصدق التاريخي في الأخبار، والصدق العلمي والتشريعي هما مناط التحدي لما قال ﷻ: "مُفْتَرَيَاتٍ"(٣)

---

(١) هذه أبرز وجوه الإعجاز التي ذكرها العلماء، وقد ذكرتها بإيجاز شديد؛ لأنها ليست موضع البحث؛ فقد تخصصت الكثير من المؤلفات والدراسات ببيانها، ومن أبرز المؤلفات التي تخصصت بالحديث عن إعجاز القرآن الكريم: بيان إعجاز القرآن، للخطابي (٣٨٨هـ)، إعجاز القرآن، للباقلاني (٤٠٣هـ)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، أ. د.مصطفى صادق الرافعي، والنبأ العظيم، د.عبد الله دراز، والمعجزة الخالدة، د.حسن ضياء الدين عتر، ومباحث في إعجاز القرآن، د.مصطفى مسلم.

(٢) أوافق في رأيي هذا الإمام الخطابي، والعلاَّمة الجرجاني، وأ.د. سيد قطب، ومحمود شاكر، ودكتور عدنان زرزور، ودكتور عبد الفتاح لاشين، والدكتور صلاح الخالدي. انظر: بيان إعجاز القرآن، لأبي سليمان الخطابي، ص ٢٣–٢٨، والرسالة الشافية، للإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (٤٧١هـ)، ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني (٣٨٦هـ)، والخطابي (٣٨٨هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، تح: محمد خلف الله، د.محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط٣/١٩٧٦م، ص ١٤١، ١٥٠–١٥٢، والتصوير الفني في القرآن، سيد قطب (١٩٦٦م)، دار الشروق، القاهرة، ط١٦/١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص ١٧–٢٤، والظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، تقديم محمود شاكر، ط١/١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، مقدمة الكتاب ص ٢٨، ومدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، د.عدنان زرزور، دار القلم، دمشق، ط١/١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ص ١٥٣، وصفاء الكلمة في التعبير القرآني، د.عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض، ط١/١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص ٨١–٨٢، وإعجاز القرآن البياني، ص ١١٠–١١٢.

(٣) الرسالة الشافية، ص ١٤١، وإعجاز القرآن البياني، ص١١٠-١١٢.

ثالثاً: القدر المعجز من القرآن.

تحدى الله ﷻ العرب الذين أنكروا ربانية القرآن أن يعارضوه، ويأتوا بمثل القرآن الذي أنكروه، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [سورة الطور/٣٣-٣٤]، لكنهم عجزوا عن معارضته، فتحداهم أن يأتوا بعشر سوَرٍ من مثله، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة هود/١٣] لكنهم رغم التحدي عجزوا، فطالبهم بسورة واحدة من مثله، فقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة/٢٣، ٢٤] فسطَّر الله بذلك عجزهم الأبدي، وفشلهم المتكرِّر، رغم طول المدَّة وتوفر دواعي التحدي.

وقد اختلف العلماء في تحديد القدر المعجز من القرآن:

فذهب الإمام أبو الحسن الأشعري(١) والقاضي الباقلاني(٢) إلى أن الإعجاز يتحقق بسورة من القرآن

---

(١) هو علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن الأشعري، ينتسب إلى الصحابي أبي موسى الأشعري، وهو مؤسس مذهب الأشاعرة. ولد في البصرة سنة ٢٦٠هـ، وأخذ علم الكلام عن أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة، ثم رجع عن الاعتزال بعد رؤية النبي ﷺ في المنام، حيث أمره بلزوم الحق والالتزام بالسنة، وعندها خالف المعتزلة، وصنَّف في الرد على الملاحدة وأهل البدع من المعتزلة، والرافضة، والجهمية، والخوارج. ومن أبرز مصنَّفاته: الرد على المجسمة، ومقالات الإسلاميين، والإبانة عن أصول الديانة، والشرح والتفصيل في الرد على أهل الإفك والتضليل، وغيرها. توفي في بغداد سنة ٣٢٤هـ رحمه الله تعالى. انظر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، للحافظ المؤرِّخ علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي (٥٧١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣/١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ص ٣٤-٤٣، ووفيات الأعيان، ٣/٢٨٤-٢٨٥.

(٢) هو الإمام محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، القاضي أبو بكر الباقلاني البصري، ولد في البصرة سنة ٣٣٨هـ، وسكن بغداد، كان الباقلاني من كبار علماء الكلام، وانتهت إليه الرئاسة في مذهب الأشاعرة والمالكية، وصنف في الرد على الرافضة، والمعتزلة، والخوارج، والجهمية. ومن أبرز مؤلَّفاته: إعجاز القرآن، ودقائق الحقائق، وشرح الإبانة، وكشف الأسرار وهتك الأستار في الرد على الباطنية، وغيرها. توفي في بغداد سنة ٤٠٣هـ رحمه الله تعالى. انظر: وفيات الأعيان، ٤/٢٦٩، والبداية والنهاية، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (٧٧٤هـ)، تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١/١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ١١/٤٠٢-٤٠٣، وتاريخ قضاة الأندلس، ص ٥٦-٦٠.

طويلة كانت أو قصيرة، أو ما كان بقدر سورة، كسورة الكوثر.[1] واستدلوا بقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾.

وذهب بعض المعتزلة إلى أن الإعجاز يتعلق بجميع القرآن لا ببعضه، وذهب بعضهم إلى أن كل سورة برأسها معجزة، واستدلوا بظاهر قوله: (بِسُورَةٍ).

وحكي عن بعضهم نحو قول القاضي أبي بكر، إلا أن منهم من لم يشترط كون الآية بقدر السورة، بل شرط الآيات الكثيرة.

وذهب آخرون إلى أن الإعجاز يتعلق بقليل القرآن وكثيره، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [سورة الطور/٣٤].[2]

وأرجح ما ذهب إليه القاضي أبو بكر الباقلاني، وأبو الحسن الأشعري؛ لسلامته من المطاعن؛ لأن ما ذهب إليه بعض المعتزلة من تعلُّق الإعجاز بجميع القرآن مردود بالآيات الناسخة التي تنازلت في التحدي إلى عشر سورٍ ثم إلى سورة واحدة.

وما ذهب إليه بعضهم من تعلُّق الإعجاز بسورة برأسها مردود بما يقرُّه العقل السليم من ظهور العجز عن معارضة مجموعة من الآيات تقوم في مقدارها مقام سورة قصيرة، ولو سلَّمنا لظاهر قوله تعالى: (بِسُورَةٍ) لأدى ذلك إلى أن عشر الآيات بل مائة الآية من سورة البقرة، وغيرها من السور الطوال ليست بمعجزة، وهذا باطل.

أما ما ذهب إليه بعضهم من اشتراط الآيات الكثيرة فمردود بدلالة قوله تعالى: (بِسُورَةٍ)، فإن عموم هذه الكلمة يتحقق في الآيات الكثيرة، والآيات القليلة التي تُقدَّر بقدر أقصر سورة في القرآن كسورة الكوثر؛ لأن اشتراط الآيات الكثيرة يعني ضمناً أن السور القصيرة ليست معجزة، وهذا باطل؛ لأن الله تحداهم بقوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ على الإطلاق، فثبت أن السور القصيرة معجزة أيضاً.

وأما ما ذهب إليه بعضهم من قيام الإعجاز في قليل القرآن وكثيره استدلالاً بظاهر قوله تعالى: (بِحَدِيثٍ)،

---

(١) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص ٢٥٤.

(٢) نقلاً عن: إعجاز القرآن، للباقلاني، ص ٢٥٤، والبرهان، ١٠٨/٢، والإتقان، ٢٠/٤-٢١، ونقل د. محيسن عن المعتزلة مثل ذلك. انظر: روائع البيان في إعجاز القرآن، ص ١٦-١٧. وقد بحثت في كتب المعتزلة وغيرها عن هذه الأقوال ولم أجدها.

فلا يسلم لهم؛ لأن الحديث التام لا تتحصل حكايته في أقل من كلمات سورة قصيرة.[١]

وبذلك يتبيَّن رجحان مذهب الأشاعرة وهو تحقق الإعجاز بأقصر سورة من القرآن، وما يقدَّر بقدرها من آيات السور الأخرى،[٢] وبناء على ذلك لا يُنسب الإعجاز إلى الكلمة والحرف الواحد من القرآن؛ لأن الله ﷻ لم يقل: (فأتوا بكلمة)، وبالتالي لا يمكن نسبة الإعجاز إلى الكلمات المختلف في قراءتها بمعزل عن سياقها، بل ينسَب إلى الآيات التي اشتملت على القراءات المتعددة.

وقد توقَّف بعض العلماء المعاصرين عن الحكم في هذ المسألة، فقال: "ونحن لا نرى الإعجاز في قدر معين؛ لأننا نجده في أصوات حروفه ووقع كلماته، كما نجده في الآية والسورة، فالقرآن كلام الله وكفى. وأيًّا كان وجه الإعجاز، أو القدر المعجز. فإن الباحث المنصف الذي يطلب الحق إذا نظر في القرآن من أي النواحي أحب: من ناحية أسلوبه، أو من ناحية علومه، أو من ناحية الأثر الذي أحدثه في العالم وغير به وجه التاريخ، أو من تلك النواحي مجتمعة، وجد الإعجاز واضحًا جليًّا."[٣]

وهذا الرأي منه مبني على رأيه في جهة الإعجاز، والوجوه التي وقع بها التحدِّي التي تَقدَّم دراستها آنفاً، ولا شك أن هذا الرأي تردُّه الأدلة النقلية والعقلية: فأما الأدلة النقلية فهي الآيات التي تحدَّت البشر بسورة من القرآن، وليس بالكلمة، وأصوات الحروف، ووقع الكلمات. وأما الأدلة العقلية فمبنية على العلاقة بين الفصاحة والبلاغة، حيث أجمع علماء اللغة والبلاغة على أن الكلمات توصف بالفصاحة، لكن لا توصف بالبلاغة؛ لأن البلاغة صفة التراكيب دون المفردات، وإذا امتنع وصف الكلمات، وأصوات الحروف بالبلاغة فقد امتنع وصفها بالإعجاز من باب الأَولى.

والحاصل: أجمع العلماء على أن الإعجاز يتحقق في بلاغة نظم القرآن، ثم اختلفوا: فمنهم من عدَّ البلاغة وجه الإعجاز الوحيد، ومنهم من أضاف إليها وجوهاً أخرى، فنسب الإعجاز إلى أخبار القرآن، وتشريعاته، وغير ذلك. وقد بيَّن البحث رجحان مذهب من يرى أنَّ نظم القرآن وما اشتمل عليه من مزايا بيانية هو وجه الإعجاز الوحيد الذي وقع به التحدي، والوجوه الأخرى هي دلائل ربانية القرآن، وليست وجوه

---

(١) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص ٢٥٤.

(٢) مناهل العرفان، ٢/٢٤٠-٢٤١.

(٣) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٢٧٢.

إعجازه المُتحدَّى بها.

وكذلك بيَّن هذا المبحث أقوال العلماء في بيان القدر المعجز من القرآن، ثمَّ رجَّح مذهب الأشاعرة وهو تحقق الإعجاز بأقصر سورة من القرآن، وما يقدَّر بقدرها من آيات السور الأخرى، وبناء عليه: رفضت الباحثة نسبة الإعجاز إلى القراءات بمعزل عن آياتها.

وبالنظر إلى هذه النتائج المتقدمة يتبيَّن أن العلاقة بين البلاغة والإعجاز علاقة عموم وخصوص، فالكلمات بمفردها لا توصف بالبلاغة ولا الإعجاز، وإن جاز وصفها بالفصاحة؛ لأن البلاغة صفة التراكيب والجمل دون الكلمات، وكذلك لا توصف الجمل القرآنية مطلقاً بالإعجاز، بل توصف بالبلاغة فقط؛ لأن الإعجاز لا يتحقق بأقل من سورة أو ما يقوم مقامها من الآيات.

أي: إنَّ العلاقة بين بلاغة نظم القرآن وإعجازه علاقة العموم والخصوص، فكل نظم قرآني معجزٍ بليغٌ، وليس كل نظم بليغٍ معجزاً. والمطلب الآتي سيتناول نظم القرآن بالتعريف.

المطلب الثاني: تعريف نظم القرآن.

كل من يقرأ نصوص القرآن يشعر أن في عبارات هذا الكتاب سلطاناً عجيباً، وأن عنصراً ما ينسكب في الحس بمجرد الإصغاء إليه. هذه الأشياء يدركها جميع الناس على تفاوت بينهم في الإدراك والتفاعل مع هذا الكتاب. فما هو مصدر هذا السحر الآخذ بمجامع قلوب البشر؟ هل هو العبارة ذاتها؟ أم المعنى الكامن فيها؟ أم إيقاع القرآن الخاص؟ أم هذه العناصر كلها مجتمعة؟ أم إنها هي وشيء آخر وراءها؟! ذلك سر مودع في نظم القرآن، يشعر به كل من يواجه نصوص القرآن.(١) وفي هذا المطلب تعريف موجز بنظم القرآن.

والنظم لغة: التأليفُ وضمُّ شيء إلى شيءٍ آخر، والانتظام: الاتساق. يقال: نظمت اللؤلؤ: جمعته في السلك، وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته. ويقال: نظَّم أمره: أقامه ورتبه، وتناظمت الصخور: تلاصقت، ونظَّم الأشياء: جمعها وضم بعضها إلى بعض. ومنه: نظم الشاعر الشعر، أي: ألَّف كلاماً موزوناً مقفى، ونظم القرآن: لفظه، وهي العبارة التي تشتمل عليها المصاحف صيغة ولغة.(٢)

والنظم عند الأدباء يطلق على الشعر: الكلام الموزون المقفى، ويقابل النثر،(٣) وهذا المعنى غير مقصود هنا، ولن يتعرض البحث لبيانه.

ويعد الجرجاني أول من عرَّف النظم، حيث قال في دلائل الإعجاز: "ليس النظم إلا أن تضعَ كلامَكَ الوضعَ الذي يَقتضيهِ علمُ النحو، وتعملَ على قوانينهِ وأُصولِه، وتعرفَ مناهجَهُ التي نُهِجَتْ فلا تزيغَ عنها، وتحفَظَ الرُّسومَ التي رُسِمتْ لك فلا تُخلَّ بشيءٍ منها."(٤)

وقال أيضاً: "النظم هو توخِّي معاني النحو في معاني الكلم."(٥)

وظاهر كلام الجرجاني يوحي بأنه يرفع من قيمة التأليف النحوي على حساب دقة اختيار الألفاظ

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (١٣٨٥هـ)، دار الشروق، القاهرة، ط١٤١٢/١٧هـ، ٣٣٩٩/٦. بتصرف.

(٢) كتاب العين، ١٦٥/٨–١٦٦، والصحاح للجوهري، ٣١٩/٦، ولسان العرب، ٥٧٨/١٢، ومختار الصحاح، ص ٦٨٨، والقاموس المحيط، ١٥٠٠/١، وتاج العروس، ٤٩٩/٣٣، والمعجم الوسيط، ٩٣٣/٢.

(٣) المعجم الوسيط، ٩٣٣/٢، ومعجم لغة الفقهاء، ٤٨٣/١.

(٤) دلائل الإعجاز، ص ٧٧.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٧٣.

والمعاني، وأنَّ النظم هو مراعاة أحوال التأليف، وتوخي معاني النحو فيما بين الكلمات، وليس شيئاً آخر.

وقد وقع بعض الباحثين في شباك هذا الظاهر فذهب إلى أن الجرجاني في انتصاره للنظم على حساب اللفظ والمعنى يجانب الصواب؛ لأن البلاغة لا تستقيم وتؤتي ثمارها إلا بمراعاة عناصرها الثلاثة: اللفظ والمعنى والتأليف، ولكل منها دوره الذي لا يجوز إغفاله، أو ترجيح غيره عليه.(١)

وقد استشهد لذلك بقول الخطابي: "وإنما يقوم الكلام بهذه الثلاثة: لفظٌ حامل، ومعنى به قائم، ورباط له ناظم."(٢) فجمال اللفظ وبلاغته بحمله للمعنى، وليس لكونه مجرد حروف جميلة تجتمع لتؤلِّف كلمة، وبلاغة المعنى في قيامه باللفظ وعدم انفكاكه عنه، وبلاغة النظم في ربطه لكل من اللفظ والمعنى، والتأليف بينهما في نسق رائع قائم على توخي معاني النحو، وأساليب البلاغة والبيان.(٣)

والحقيقة أن الإمام الجرجاني لا يقصد بمعاني النحو تلك العلاقات النحوية التي تصحُّ بها الجملة، ويستقيم بها الإعراب فحسب، بل هو الاختيار الدقيق للمفردات وعلاقاتها النحوية.

أي: إنَّ مرجع بلاغة النظم عنده إلى الربط بين العلاقات النحوية، والمفردات اللغوية الذي يصيب فيه المتكلِّم توفيقاً مع الغرض الذي لأجله سيق الكلام، فليست المزية إلى معاني الألفاظ وحدها، ولا إلى العلاقات النحوية التي تؤلِّف بين الألفاظ وتربط بعضها ببعض، بل إلى حسن اختيار الألفاظ، ثم إلى حسن ضم بعضها إلى بعض وفق أصول النحو، ثم الوصول من خلال هذين الأمرين إلى غرض المتكلِّم.(٤)

يقول الجرجاني: "وإذ قد عرفتَ أن مَدارَ أمرِ النّظم على مَعاني النّحو، وعلى الوجُوهِ والفُروق التي من شأنها أن تكونَ فيه فاعلمْ ... أنْ ليستِ المزيّةُ بواجبةٍ لها في أنْفُسِها ومن حيثُ هي على الإطلاق، ولكن تَعرضُ بسببِ المعاني والأغراض التي يُوضَعُ لها الكلام، ثم بحسبِ موقعِ بعضِها من بعضٍ، واستعمالِ بعضِها معَ

(١) إعجاز القرآن البياني، ص ١٢٤–١٢٥.

(٢) بيان إعجاز القرآن، ص ٢٧.

(٣) إعجاز القرآن البياني، ص ١٢٦.

(٤) النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي)، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة، ط١/١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، ص ١٠٤–١٠٥.

بعض."[1]

وقد عرَّف دكتور مصطفى مسلم نظم القرآن بقوله: "طريقة تأليف حروفه، وكلماته، وجمله، وسبكها مع أخواتها في قالب محكم، ثم طريقة استعمال هذه التراكيب في الأغراض مع أخواتها في قالب محكم، ثم طريقة استعمال هذه التراكيب في الأغراض التي يتكلم عنها، للدلالة على المعاني بأوضح عبارة في أعذب سياق، وأجمل نظم."[2]

وأرى أن عبارات الجرجاني ود.مسلم لا تصلح تعريفاً لنظم القرآن؛ لأن قول الجرجاني: "النظم هو توخِّي معاني النحو في معاني الكلم."[3] لا يتبيَّن المراد بها إلا بعد قراءةٍ واعيةٍ لما ورد من نصوص تفسيرية لها في كتاب دلائل الإعجاز.

وعبارة د.مسلم تمتاز بالإطالة، وتكرر لفظ (نظم) ضمن التعريف، والأصح ألا يعاد لفظ المعرَّف ضمن التعريف؛ لأنه يؤدي إلى الدور.

لذا أختار تعريفاً لنظم القرآن يسلم من مطاعن التعريفات السابقة فأقول:

"نظم القرآن: هو التأليفُ بين حروف القرآن، وكلماته، وجمله، ودلالاتها المعنوية، وصياغتُها بطريقة فريدة تدل على المعاني المرادة دلالة واضحة."

وهناك علاقة وثيقة بين النظم والأسلوب؛ فالأسلوب هو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني؛ قصد الإيضاح والتأثير.

وأسلوب القرآن: الطريقة التي انفرد بها القرآن في تأليف كلامه، واختيار ألفاظه.[4]

ودائرة الأسلوب أوسع وأشمل من دائرة النظم؛ لأن الأسلوب لا يدرك بالجملة الواحدة، أما النظم فيمكن

---

(١) دلائل الإعجاز، ص ٨٢.

(٢) مباحث في إعجاز القرآن، د.مصطفى مسلم، دار المسلم، الرياض، ط١٤١٦/٢هـ-١٩٩٦م، ص ١٤١.

(٣) دلائل الإعجاز، ص ٢٧٣.

(٤) مناهل العرفان، ٢١٨/٢، ومباحث في إعجاز القرآن، ص ١٥١.

إدراكه في الجملة الواحدة.[1]

ويلاحظ أن هناك ارتباطاً بين معنى النظم لغة واصطلاحاً؛ لأن النظم هو جمع الحروف والكلمات والجمل، وضم بعضها إلى بعض، وترتيبها وتنسيقها وفق القواعد اللغوية، والنحوية، والبلاغية المعروفة.[2]

ونظم القرآن يتبوأ المرتبة العليا من البلاغة، والفصاحة، وجمال السبك اللغوي والنحوي، وهذه المرتبة لم ترقَ، ولن ترقى إليها بلاغة البلغاء، ويطلق عليها اسم (الإعجاز).

ومن المعلوم أن الله ﷻ أنزل القرآن الكريم باللغة العربية، وجعل تأليف حروفه وكلماته على مناهج العرب في التأليف، فالحروف التي شكَّلت كلمات القرآن الكريم هي حروفهم، والكلمات التي كوَّنت جمله وآياته هي ذات الكلمات التي عهدوها، وتلفَّظوا بها قبل نزوله، ومع ذلك جاء في أسلوبه وطريقة تأليفه فوق طاقتهم اللغوية، وعَجِزَ العرب عن معارضته رغم توفر الدواعي. وسبب ذلك يرجع إلى المزايا والخصائص التي ميَّزت نظم القرآن العظيم.

وقد اهتمت كتب إعجاز القرآن وعلومه ببسط المزايا التي تميَّز بها نظم القرآن عن سائر الكلام، والمقام يضيق عن بسطها، فقد اعتنت كثير من الدراسات والمؤلفات ببيانها،[3] واهتم بعض الباحثين المعاصرين بإيضاح هذه المزايا في مؤلفات خاصة موقوفة على هذا الغرض، كما فعل د. محمد عبد الله دراز (١٩٥٨م)[4] في كتابه

---

(١) مباحث في إعجاز القرآن، ص ١٤١.

(٢) النظم القرآني هو وحي من الله ﷻ، والله ﷻ لم يجعل نظم كتابه المعجز خاضعاً لسلطان ما يُعرف ويشتَهرُ من معايير وقواعد بلاغة كلام البشر؛ لأنَّ ما كان من الله ﷻ لا يخضع لما كان من الإنسان، على الرغم من أنه اتخذ لغة الإنسان مظهراً للقرآن الكريم، ونحن البشر حين ننظر في توافق البيان القرآني مع أعلى معايير اللغة، والنحو، والبلاغة فإننا لا نعدو الاستشهاد بها على بلاغة هذا الكتاب المعجز. والقرآن يصوغ عباراته في نظم عالي البلاغة، ولا يرد عليه أي اعتراض من جهة مخالفة القواعد النحوية أو البلاغية.

(٣) راجع: البرهان، ٩٢/٢-١٠٧، والإتقان، ٩/٤-٢٠، والتحرير والتنوير، ١٠٧/١-١٢٨، ومباحث في علوم القرآن، للشيخ مناع القطان، ص ٢٧٢-٢٧٦، وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ٢٠٩-٢٥٥.

(٤) هو العالم الأديب محمد بن عبد الله دراز، ولد في قرية محلة دياي بمصر، وانتسب إلى معهد الإسكندرية الديني، وحصل على الشهادة الثانوية الأزهرية، ثم تعلم اللغة الفرنسية، واختير للتدريس بالقسم العالي بالأزهر. حصل على شهادة الدكتوراه من السوربون، ودرَّس في جامعة القاهرة، وفي دار العلوم وفي كلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية، ونال عضوية جماعة كبار العلماء، وكان عضواً في اللجنة العليا لسياسة التعليم، وفي اللجنة الاستشارية الثقافية في الأزهر، واشترك في المؤتمر العلمي الإسلامي بمدينة

=

(النبأ العظيم)، والدكتور حسن ضياء الدين عتر في كتابه (المعجزة الخالدة).[1]

لاهور بالباكستان، وتوفي بها سنة ١٩٥٨م رحمه الله تعالى. من مؤلفاته: تاريخ آداب اللغة العربية، ومبادئ علم الأخلاق، والدين، ودراسة تمهيدية لتاريخ الإسلام، والنبأ العظيم. انظر: الأعلام، ٦/٢٤٦، ومعجم المؤلفين، ١٠/٢١٢–٢١٣.

(١) راجع: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، د.محمد عبد الله دراز، تح: عبد الحميد الدخاخني، دار طيبة، الرياض، ط١/١٤١٧هـ–١٩٩٧م، ص ١٢٧–١٩٩، والمعجزة الخالدة، ص ١٩٩–٣٤٥.

المطلب الثالث: بلاغة نظم القرآن وإعجازه في دراسات السابقين.

حظي علم البلاغة بالاهتمام البالغ من قبل الأدباء، والشعراء، واللغويين، والمفسرين، والبلاغيين، حيث تبوأت البلاغة المرتبة العليا عند عرب ما قبل الإسلام، ثم ازدهرت بعد نزول القرآن الكريم؛ لشدة اتصالها بإعجازه وسمو نظمه، وبلغت أوج ازدهارها في العصور الذهبية للحضارة الإسلامية؛ بسبب اهتمام العلماء المسلمين في دراستها كوجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، وكدليل على سماوية هذا القرآن المعجز، فأصبحت علماً مستقلاً ذا أبواب وفنون.

وفي هذا المطلب دراسة موجزة لمراحل تطور دراسات إعجاز نظم القرآن، وتطور الدراسات البلاغية التي أُلِّفت بهدف الكشف عن جمال النظم الربَّاني.

أولاً: نشأة البلاغة العربية عموماً، وبلاغة نظم القرآن خصوصاً:

نشأت البلاغة مع نشأة اللغة العربية، وتجلّى جمالها منذ العصر الجاهلي[١] - بشكل خاص - في محافل الشعر والخطابة،[٢] وقد تبوأ العرب قبل البعثة مرتبة عالية في البلاغة، والقوة في الحجاج والجدال، قال تعالى مبيِّناً قوّتهم في الحديث، وحذقهم في اللغة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [سورة البقرة/٢٠٤] وقال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [سورة المنافقون/٤].

أما بلاغة النظم فقد نشأت مع نزول أول آية من آيات القرآن الكريم، وبدأت قضية الإعجاز البياني تفرض وجودها على العرب منذ أن تلا النبي ﷺ في قومه ما تلقَّى من كلمات ربه، وعندها أدركت قريش أنَّ ما في هذا القرآن من إعجاز يجعل كلَّ عربيٍ يعتقد بأن القرآن ليس من قول البشر.

---

(١) للتوسع في تاريخ البلاغة في مرحلة العصر الجاهلي راجع: البلاغة: تطور وتاريخ، د.شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٩/١٩٩٥م، ص ٩-١٠.

(٢) كان سوق عكاظ من أبرز تلك المحافل الأدبية، حيث كان يتنافس فيه الكثير من فطاحل الشعراء والبلغاء، ويعرضون نفائس أشعارهم وخطبهم؛ ليحتكموا إلى كبار بلغائهم من قريش وغيرهم؛ لبيان ما يرد عليها من ملاحظات بيانية، وإبراز ما فيها من محسنات بديعية؛ بغية تحسين عروضهم البلاغية. انظر: الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، تح: علي مهنا، وسمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط٢/د.ت.، ٩/٣٨٣-٣٨٤.

وقد شهد أعداء الإسلام بذلك فضلاً عن أنصاره، فها هو الوليد بن المغيرة[1] وبعد أن سمع بعض الآيات من القرآن الكريم يقول كلمته الشهيرة: "والله ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز، ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا. والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مُغدِقٌ أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ماتحته."[2]

ثانياً: التأصيل والتأليف في علوم البلاغة، وإعجاز نظم القرآن:[3]

ظهرت أصول القواعد البلاغية أولاً على شكل معلومات متناثرة في بطون كتب العلماء، فمن يطالع كتب المتقدمين في العصر العباسي يجد إشارات مبثوثة هنا وهناك عن ألوان وأنواع من فنون البلاغة.[4]

ومن أقدم الكتب التي اهتمت بإيضاح النواحي البلاغية في القرآن الكريم، واحتضنت تلك الإشارات البلاغية المتناثرة: معاني القرآن،[5] للفرَّاء (٢٠٧هـ).[6]

---

(١) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، يكنى أبا عبد شمس، وهو والد سيف الله خالد بن الوليد، وأحد زعماء قريش، أدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته. مات بعد الهجرة بثلاثة أشهر، وعمره ٩٥ سنة، ودفن بالحجون. انظر: الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (٦٣٠هـ)، تح: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢/١٤١٥هـ، ١/٥٩٢–٥٩٣، والأعلام، ٨/١٢٢.

(٢) المستدرك، كتاب التفسير، باب تفسير سورة المدثِّر، رقم/٣٨٧٢، ٢/٥٥٠، وقال فيه الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه، وقال فيه الذهبي: على شرط البخاري.

(٣) لن أذكر من مؤلَّفات علم البلاغة، إلا الكتب التي كان تأليفها بغرض الكشف عن بلاغة القرآن الكريم، وجمال نظمه.

(٤) البلاغة تطوُّر وتاريخ، ص ٢٨.

(٥) نثر الفراء في تفسيره شرحاً تطبيقياً لبعض المباحث البلاغية كالتقديم والتأخير، والإيجاز والإطناب، كما أشار إلى بعض الصور البيانية كالتشبيه والكناية. انظر: البلاغة تطوُّر وتاريخ، ص ٢٩.

(٦) هو يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي، المعروف بالفرَّاء، إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو بعد الكسائي. ولد بالكوفة سنة ١٤٤هـ، وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابنيه، فكان أكثر مقامه بها. روى عن قيس بن الربيع، ومندل بن علي، والكسائي، وروى عنه سلمة بن عاصم، ومحمد بن الجهم السمري. من مؤلفاته: المقصور والممدود، ومعاني القرآن، والمذكر والمؤنث، واللغات، واختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف، والجمع والتثنية في القرآن، ومشكل اللغة. توفي في طريق مكة سنة ٢٠٧هـ رحمه الله تعالى. انظر: سير أعلام النبلاء، ١٠/١١٨-١٢١، وبغية الوعاة، ٢/٣٣٣.

ومجاز القرآن[1] لأبي عبيدة معمر بن المثنى (٢٠٩هـ).[2]

وكتاب البديع[3] لابن المعتز (٢٩٦هـ).[1]

---

(١) لم يكن أبو عبيدة يقصد بالمجاز المعنى البلاغي المقابل للحقيقة، وإنما عنى الدلالة الدقيقة للصيغ والتعابير القرآنية، وقد نبَّه ابن تيمية على هذا الأمر بقوله: "وأول من عُرِف أنه تكلم بلفظ المجاز أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه. ولكن لم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة، وإنما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية." انظر: الإيمان، للعلَّامة أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٧٢٨هـ)، تح: محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي، عمان/الأردن، ط٥/١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص ٧٤. ويعد أبو عبيدة أول من نبَّه على أسلوب الالتفات في كتابه مجاز القرآن دون أن يسميه بمعناه الاصطلاحي. جاء في مجاز القرآن: "ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد، ثم تُركت وحُوّلت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب، قال الله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ [سورة يونس/٢٢] أي: بكم. ومن مجاز ما جاء خبره عن غائب ثم خوطب الشاهد، قال: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ۞ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ [سورة القيامة/٣٣-٣٤]." انظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (٢٠٩هـ)، تح: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، د.ت.، ١/١١.

(٢) هو معمر بن المثنى أبو عبيدة التيمي البصري النحوي اللغوي، مولى بني عبيد الله بن معمر التيمي تيم بن مرة بن كعب، حدَّث عن هشام بن عروة، ورؤبة بن العجاج، وأبي عمرو بن العلاء. وحدَّث عنه: علي بن المديني، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو عثمان المازني، وعمر بن شبة، وهو أول من صنف في غريب الحديث. قدم بغداد أيام الرشيد، وقرأ عليه بها بعض كتبه. أبرز مؤلَّفاته: المجاز في غريب القرآن، والأمثال في غريب الحديث، ومعاني القرآن، ونقائض جرير والفرزدق، وخلق الإنسان، وما تلحن فيه العامة. توفي سنة ٢٠٩هـ، وقيل ٢٠٨، وقيل: ٢١٠هـ رحمه الله تعالى. انظر: سير أعلام النبلاء، ٤٤٥/٩-٤٤٧، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ص ٧٦، وبغية الوعاة، ٢٩٤/٢-٢٩٦.

(٣) أشار ابن المعتز إلى أن الخليل بن أحمد قد نبَّه على ألوان من المحسنات البديعية، كالتجنيس والمطابقة. فقال في البديع: "وقال الخليل: الجنسُ لكل ضرب من الناس والطير والعروض والنحو، فمنه ما تكون الكلمة تُجانس أخرى في تأليف حروفها ومعناها، ... أو يكون تُجانِسها في تأليف الحروف دون المعنى." انظر: البديع، عبد الله بن محمد المعتز العباسي (٢٩٦هـ)، تح: إغناطيوس كراتشقوفسكي، دار المسيرة، بيروت، ط٣/١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ص ٢٥، وقال أيضاً: "قال الخليل رحمه الله: يقال: طابقت بين الشيئين: إذا جمعتهما على حذو واحد." انظر: البديع، ص ٣٦. وقد ألَّف ابن المعتز (البديع)؛ لبيان سبق المتقدمين إلى أبواب البديع، وإثبات تواجد فنونه في "القرآن واللغة وأحاديث رسول الله ﷺ وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين." انظر: البديع، ص ١-٢. ومصطلح البديع عند ابن المعتز مصطلح واسع يشتمل على بعض المصطلحات البلاغية والمحسنات البديعية، حيث تحدّث عن الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة، ورد العجز على الصدر، والمذهب الكلامي، والالتفات، والاعتراض، والرجوع، وحسن الخروج، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وتجاهل العارف، وحسن التضمين، والتعريض، والكناية، والإفراط في

=

ويعد الجاحظ (٢٥٥هـ)[٢] من أوائل المصنفين في إعجاز نظم القرآن، حيث ألَّف كتاب (نظم القرآن)؛ لبيان إعجاز نظم القرآن، وبيان أن سبب انصراف العرب عن معارضته كان بسبب طريقة نظم القرآن وأسلوبه،[٣] ويعدُّ هذا الكتاب المفقود حالياً أول كتاب في إعجاز القرآن.[٤]

الصفة، وحسن التشبيه، ولزوم ما لا يلزم، وحسن الابتداء. راجع: البديع، ص ٢٥—٧٥، وانظر: البلاغة تطور وتاريخ من ص ٧٠—٧٥. غير أن هذا الاتساع في المصطلح لا ينقص من قدر الكتاب ولا من قدر المؤلِّف الذي يعدُّ "أول من صنَّف في البديع، ورسم فنونه، وكشَف عن أجناسها وحدودها بالدلالات البينة والشواهد الناطقة، بحيث أصبح إماماً لكل من صنَّف في البديع بعده، ونبراساً يهديهم الطريق." انظر: البلاغة تطور وتاريخ، ص ٧٥.

(١) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، أخذ الأدب عن أبي العباس المبرد، وأبي العباس ثعلب، وعن مؤدبه أحمد بن سعيد الدمشقي، ولد في شعبان سنة ٢٤٩هـ، كان أديباً بليغاً، وشاعراً جيد القريحة حسن الإبداع للمعاني. من مؤلفاته: الزهر والرياض، والبديع، ومكاتبات الإخوان بالشعر، وأشعار الملوك، وطبقات الشعراء، والجامع في الغناء، وأرجوزة في ذم الصبوح. اتفق معه جماعة من رؤساء الأجناد الذين تبرموا من خلافة المقتدر، فهاجوا عليه وخلعوه، وقتلوا وزيره، ونصبوا ابن المعتز في الخلافة، فأقام يوماً وليلة، ثم إن أصحاب المقتدر حاربوا أعوان ابن المعتز وشتتوهم، وأعادوا المقتدر إلى الخلافة، فاستخفى ابن المعتز في دار ابن الجصاص التاجر الجوهري، فأخذه المقتدر فقتله يوم الخميس ثاني شهر ربيع الآخر سنة ٢٩٦هـ. انظر: وفيات الأعيان، ٣/٧٦—٧٧، وسير أعلام النبلاء، ١٤/٤٢—٤٣، وفوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي (٧٦٤هـ)، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١/١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، ٢/٢٣٩—٢٤٠.

(٢) هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ، من أهل البصرة، أحد شيوخ المعتزلة. وكان تلميذ أبي إسحاق النظام. من أبرز مؤلفاته: البيان والتبيين، وكتاب الحيوان، والبخلاء، وسحر البيان. توفي في المحرم سنة ٢٥٥هـ، وقد جاوز التسعين رحمه الله تعالى. انظر: وفيات الأعيان، ٣/٤٧٠، وبغية الوعاة، ٢/٢٢٨.

(٣) الإعجاز في دراسات السابقين، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، ط١/١٩٧٤م، ص ١٦٤—١٦٦، ١٧٦، وقد أشار الجاحظ إلى هذا الكتاب، وأورد بعض الفقرات منه في كتابه الحيوان، حيث قال: " كتابي في الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديعِ تركيبه". انظر: الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١/١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ١/٩. وقال أيضاً: "ولي كتابٌ جَمَعْتُ فيه آياً من القرآن؛ لتَعرِفَ بها فصل ما بينَ الإيجاز والحَذْف وبين الزّوائد والفُضول والاستعارات، فإذا قرأْتَها رأيت فضلها في الإيجاز والجَمْعِ للمعاني الكثيرةِ بالألفاظ القليلة على الَّذي كتبتُهُ لك في بابِ الإيجازِ وترك الفضول، فمنها قوله حينَ وصفَ خمرَ أهلِ الجنّة: ﴿لاَ يُصَدَّعُون عَنْها وَلاَ يُنْزِفون﴾ [سورة الواقعة/١٩]. وهاتان الكلمتان قد جَمَعتا جميعَ عُيوبِ خمرِ أهلِ الدُّنيا." انظر: الحيوان، ٣/٨٦.

(٤) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ١٥١، والإعجاز في دراسات السابقين، ص ١٥٣، ومدخل إعجاز القرآن، محمود محمد =

كما يعدُّ الجاحظ هو المؤسس الأول لعلم البلاغة العربية، فهو أول من أفرد لها كتاباً - وهو البيان والتبيين - وأول من جمع الملحوظات البلاغية لسابقيه ومعاصريه من عرب وأجانب، وأكثر من الحديث عن الصور البيانية وألوان من الفنون البديعية، وهو وإن لم يضع لها المسميات والتعريفات الدقيقة،(١) ولم يصغها في شكل قوانين واضحة إلا أنه صوَّرها في أمثلة متعددة تمثِّلها من خلفه تمثُّلاً واضحاً.(٢)

وعلى هذا المنوال سار ابن قتيبة (٢٧٦هـ)(٣) في كتابه (تأويل مشكل القرآن) فنثر الملاحظات البلاغية هنا وهناك في ثنايا تأويلاته، وعقد أبواباً للحديث عن بعض الصور البيانية والمحسنات البديعية.(٤)

غير أن أول كتاب وُضِع في شرح الإعجاز وبسط القول فيه على نحو مستقل: كتاب (إعجاز القرآن البياني)(٥) لأبي عبد الله الواسطي (٣٠٧هـ).(٦) ويعد هذا الكتاب - المفقود حالياً - أول كتاب يحمل اسم

شاكر، دار المدني، جدة، ط١/١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص ٧١-٧٢.

(١) توسع الجاحظ في كتابه البيان والتبيين في الحديث عن الإيجاز والإطناب والمساواة، والتكرار في قصص القرآن،كما تحدَّث عن جزالة الألفاظ وعذوبتها ورقتها وسلاستها، ونبَّه على دقة اختيار ألفاظ القرآن الكريم، وعدم إمكانية قيام لفظة مقام أخرى، وتحدَّث عن الكناية، وتنبّه لإصابة المقدار في الكلام الذي اصطلح البلاغيون بعده على تسميته بالاحتراس. وقد أشار إلى التشبيه بمعناه الاصطلاحي، وعقد عدة فصول للحديث عنه والتمثيل له في كتابه الحيوان،كما أكثر من ذكر المجاز والتمثيل له. ويعدُّ الجاحظ من أوائل من استعملوا المجاز بمعناه الاصطلاحي، وأول من أشار إلى السرقات الشعرية في كتاباته. راجع: البلاغة تطور وتاريخ، ص ٥٥-٥٨.

(٢) البلاغة تطور وتاريخ، ص ٥٨.

(٣) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. إمام في العربية، واللغة، والأخبار، وأيام الناس. ولد سنة ٢١٣هـ، وولي قضاء الدينور. من مؤلّفاته: إعراب القرآن، ومعاني القرآن، وغريب القرآن، وجامع النحو، ومشكل القرآن، وغريب الحديث، وطبقات الشعراء. توفي سنة ٢٧٦هـ رحمه الله. انظر: سير أعلام النبلاء، ١٣/٢٩٧، وبغية الوعاة، ٢/٦٣-٦٤، وطبقات المفسرين، للأدنة وي، ص ٤٤.

(٤) البلاغة تطور وتاريخ، ص ٥٩-٦٠. وأبرز الصور والمحسنات التي تحدَّث عنها: المجاز، راجع: تأويل مشكل القرآن، ص ٧٦-١٠١. والاستعارة، راجع: ص ١٠٢-١٤١. والحذف، راجع: ص ١٠٢-١٤١. والتكرار، راجع: ص ١٦٢-١٧٩. والمقلوب، راجع: ص ١٨٠-١٩٨. ومخالفة ظاهر اللفظ معناه، الذي اصطلح البلاغيون فيما بعد على تسميته بالمشاكلة، راجع: ص ١٤٢-١٦١. والتعريض، راجع: ص ٢١٣-٢٢٩. والكناية وأقسامها. راجع: ص ١٩٩-٢٠٤.

(٥) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ١٥٢، ومباحث في إعجاز القرآن، ص ٤٨.

(٦) هو محمد بن زيد الواسطي المعتزلي، أصله من واسط، سكن بغداد، وتوفي بها سنة ٣٠٧هـ رحمه الله تعالى. أخذ عن أبي علي

=

(إعجاز القرآن).[١]

ثم وضع الرماني (٣٨٦هـ)[٢] رسالة في الإعجاز سماها: (النكت في إعجاز القرآن)، وهي من أهم الدراسات التي خلَّفها المتكلمون في مجال إعجاز القرآن وبلاغته، وقد بيّن فيها أن "وجوه إعجاز القرآن تظهر من سبع جهات: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والإخبار عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة."[٣]

وخصَّ الرماني البلاغة من بين جميع الوجوه المذكورة بحديث مطَّول استأثر بمعظم رسالته،[٤] مما جعل (النكت في إعجاز القرآن) رسالة مهمة لها أكبر الأثر في تاريخ البحوث البلاغية.[٥] وذكر مراتب البلاغة، وبيَّن أن بلاغة القرآن هي أعلى المراتب وتسمى: الإعجاز.[٦] وحصر البلاغة في عشرة أقسام، وبيَّنها، وضرب لها الأمثلة من القرآن الكريم.[٧]

ثم ألَّف الخطابي (٣٨٨هـ) رسالته (بيان إعجاز القرآن) التي عُدَّت أول رسالة تبحث في إعجاز نظم

الجبائي. من كتبه: إعجاز القرآن، والإمامة، والزمام في علوم القرآن. انظر: لسان الميزان، للعلَّامة أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي (٨٥٢هـ)، تح: دائرة المعارف النظامية في الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٣/١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ١٧٢/٥، والأعلام، ١٣٢/٦.

(١) مدخل إعجاز القرآن، محمود شاكر، ص ٧٧.

(٢) هو علي بن عيسى بن علي بن عبد الله النحوي أبو الحسن الرماني المعتزلي، الإمام في العربية، العلَّامة في الأدب. ولد سنة ٢٧٦هـ. أخذ عن الزجاج وابن السراج وابن دريد. وكان يمزج النحو بالمنطق. من مؤلّفاته: التفسير، وشرح أصول ابن السراج، وشرح سيبويه، وشرح الألف واللام للمازني، وشرح المقتضب، وشرح الصفات، ومعاني الحروف، والنكت في إعجاز القرآن. مات في الحادي عشر من جمادى الأولى سنة ٣٨٦هـ. انظر: بغية الوعاة، ١٨٠/٢-١٨١، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ص ٤٤-٤٥.

(٣) النكت في إعجاز القرآن، ص ٧٥.

(٤) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص ١٦، ٧٥-١٠٩.

(٥) الوجوه البلاغية، ص ١٢٧-١٢٨.

(٦) النكت في إعجاز القرآن، ص ٧٥-٧٦.

(٧) أقسام البلاغة التي ذكرها هي: الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان. راجع: النكت في إعجاز القرآن، ص ٧٦-١٠٩.

القرآن ووجوهه بحثاً علمياً منظماً.[1]

وتلاه الباقلاني (٤٠٣) فوضع كتاب (إعجاز القرآن) الذي يعد من أشمل المؤلَّفات المصنفة في إعجاز نظم القرآن وبلاغته على نحو مستقل حتى مطلع القرن الخامس.[2]

ثالثاً: نضج الدراسات المتخصِّصة في الإعجاز البلاغي للقرآن:

أهلّ القرن الخامس الذي تمخض عن عالمين كبيرين كان لهما الأثر الكبير في إيضاح الجانب البلاغي في نظم القرآن الكريم وهما: الإمام عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، الذي كان له سبق التأصيل للأبواب والمباحث البلاغية، والإمام الزمخشري (٥٣٨هـ)[3] الذي أفاد مما أصَّل له الجرجاني، ووضعه موضع التطبيق.

فقد استقرَّت على يدي العلَّامة الكبير عبد القاهر الجرجاني أسس نظرية نظم القرآن، ووجوه إعجازه، كما رسخت أركان البلاغة العربية، وبلغت أوج ازدهارها ونضجها بفضل مؤلفاته: (دلائل الإعجاز)، و(الرسالة الشافية) و(أسرار البلاغة)[4] التي تشكل بمجموعها نظرية النظم، ووجه إعجاز القرآن عند العلَّامة الجرجاني.[5]

وقد كان فضل الجرجاني على علم البيان كبيراً؛ لأنه عمل على تبويبه، ولم شتات ما تبعثر من مباحثه، واستكمل ما فات سابقيه بمنهج علمي دقيق تمخض عن تبلور نظرية البيان المتكاملة.[6] إلا أن فضله في علم المعاني كان أكبر؛ لأن معظم مباحث علم المعاني كانت مجهولة قبل العلَّامة عبد القاهر الجرجاني، وهو الذي قام

---

(١) الإعجاز في دراسات السابقين، ص ١٧٩.

(٢) إعجاز القرآن البياني، ص ١٠٧–١٠٨، والإعجاز في دراسات السابقين، ص ١٩٤، ومباحث في إعجاز القرآن، ص ٧٧.

(٣) هو أبو القاسم جار الله، محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري، مفسِّر، نحوي، لغوي، أديب، معتزلي المذهب، ولد بزمخشر –من قرى خوارزم– في رجب سنة ٤٦٧هـ، وقدم بغداد، وسمع الحديث وتفقه، ورحل إلى مكة، فجاور بها، وسمي: جار الله. من مؤلفاته: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، والفائق في غريب الحديث، والمفصل في صنعة الإعراب، والكشاف عن حقائق التنزيل. توفي سنة ٥٣٨هـ رحمه الله تعالى. انظر: طبقات المفسرين، للسيوطي، ص ١٠٤، و طبقات المفسرين، للأدنة وي، ص ١٧٢.

(٤) الكثير من المباحث البلاغية كانت معروفة قبل الجرجاني إلا أنه هو الذي صاغها ضمن نظرية بلاغية متكاملة، ودرسها بعمق وإحاطة لم تحظَ بهما من قبل. انظر: الوجوه البلاغية، ص ١٣٩.

(٥) مباحث في إعجاز القرآن، ص ٩٦.

(٦) الوجوه البلاغية ، ص ١٣٩.

بإنشائها. وما عُرِف منها كان مبعثراً في بطون الكتب[١] وهو الذي جمعها وتناولها تناولاً جديداً[٢] يقارب إبداعها وإنشاءها،[٣] ولذلك استحق الجرجاني أن ينسب علم المعاني إليه دون غيره.[٤]

وقد تناول الجرجاني دراسة علم البيان في كتابه أسرار البلاغة، فدرس الوجوه البلاغية التي تشتمل عليها الصور البيانية من استعارة،[٥] وتمثيل،[٦] وتشبيه،[٧] وحقيقة ومجاز،[٨] وحدد أقسامها، وأفاض في ذكر أمثلتها وحلَّلها، وأبان سر الجمال فيها على نحو بديعٍ، وبمنهج فريد لم يسبَق إليه.[٩]

أما علم المعاني فقد تناول دراسته باسم (النظم) في كتابه دلائل الإعجاز،[١٠] فالنظم عنده ليس شيئاً إلا " أن تضع كلامك الوضع الذي يَقتضيه علم النحو ... وذلك أنَّا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، ... وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى، فيضع كلاً من ذلك في خاص معناه... وينظر في الجمل التي تُسرَد، فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء وموضع الفاء من موضع ثم، ... ويتصرف في التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار، والإضمار والإظهار، فيضع كلاً من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له."[١١] وهذه المباحث التي ذكرها في أثناء

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ، ص ١٦١.

(٢) مفهوم الجرجاني للإعجاز القرآني، د.أحمد جمال العمري، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ع٣٧، سنة ١٣٩٧هـ، ص ١٥٠.

(٣) الوجوه البلاغية، ص ١٣٩.

(٤) مفهوم الجرجاني للإعجاز القرآني، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص ١٥١.

(٥) راجع: أسرار البلاغة، ص ٣٠–٨٩، ٣٢٢–٣٥٠.

(٦) راجع: المرجع السابق، ص ١٠٨–١٥٥، ١٥٧–٣٢٢.

(٧) راجع: المرجع السابق، ص ٩٠–١٠٧، ١٥٧–٣٢٢.

(٨) راجع: المرجع السابق، ص ٣٥٠–٤١٦.

(٩) راجع: البلاغة تطور وتاريخ، ص ١٩١–٢١٨، وانظر: الوجوه البلاغية، ص ١٤١–١٤٢.

(١٠) راجع: البلاغة تطور وتاريخ، ١٦٠–١٨٩.

(١١) دلائل الإعجاز، ص ٧٧.

صياغته لنظرية النظم[1] هي التي أطلق عليها العلماء فيما بعد اسم علم المعاني.[2]

وقد كان غرض الجرجاني في مؤلفاته هذه: إثبات إعجاز القرآن وبيان وجوهه، وبيان أن إعجاز القرآن يتجلى في نظمه، وإقامة الأدلة القاطعة على ذلك،[3] وقد وفّى هذا المقام حقه عندما وضع نظريته التي توضِّح هذه البلاغة وذاك الإعجاز.[4]

ثم جاء الزمخشري الذي تأمل كثيراً في التأليف البلاغي السابق له، وأعجب بنظرية النظم التي وضعها الجرجاني، لكنه لحظ أن الجرجاني ومن سَبَقَه قد قصَّروا في الجانب التطبيقي، لذلك رأى ضرورة القيام بوضع مؤلَّفٍ يعنى بتطبيق نظرية النظم التي وضعها الجرجاني على جميع آيات القرآن وسوره، فألَّف تفسيره: (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)[5]

وقد أصاب فيما فعل؛ لأن التطبيق يعطي النظرية التقعيدية والتأصيلية أهميتها وأصالتها، ويبرز ما فيها من النكت البلاغية، ويعين الأفهام على استيعابها وتمثُّلها، ويتيح لها قوة ومكانة ثابتة في مضمارها العلمي، ويؤكِّد قدرتها على إيضاح الأسرار، والمزايا البلاغية لأسلوب القرآن بصورة دقيقة وشاملة.[6]

وعمل الزمخشري في الكشاف يتمثَّل في بيان معاني ودلالات الألفاظ والتراكيب، والكشف عن أسرار إعجاز القرآن، ولطائفه الدقيقة من خلال تطبيق قواعد علمَي المعاني والبيان، وإيضاح القواعد والأصول التي وضعها الجرجاني في أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، والتطبيق الدقيق على آيات القرآن الكريم، وإكمال هذه

---

(١) للتوسع في المباحث المذكورة، راجع: دلائل الإعجاز، التعريف والتنكير: ص ٢٢٢–٢٢٥، التقديم والتأخير: ص ٩٦–١١٨، الحذف والتكرار: ص ١٢١–١٣٨، الفصل والوصل: ص ١٧٤–١٩١، الكناية والتعريض: ص ٢٣٥–٢٤٢.

(٢) البلاغة تطور وتاريخ، ص ١٦٩–١٧٠، والوجوه البلاغية، ص ١٤٠.

(٣) الرسالة الشافية، ص ١١٧–١٢٥.

(٤) الإعجاز في دراسات السابقين، ص ٢٤٢–٢٤٣.

(٥) الاتجاه اللغوي في تفسير القرآن، د.سامي عبد الله الكناني، بحث في مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع٦، سنة ١٩٩٩م، ص ٥٢، والوجوه البلاغية، ص ١٤٧.

(٦) الوجوه البلاغية، ص ١٤٧–١٤٨.

القواعد والأصول ببيان شعبها، ودقائقها باستقصاءٍ بديعٍ.(١)

ولم يكتف الزمخشري بذلك بل أضاف أصولاً بلاغية، وملحوظات مهمة لم يتعرض لها الجرجاني، وحررَّ الكثير من المسائل البلاغية.(٢)

رابعاً: تقنين علوم البلاغة: أخذ علماء البلاغة بعد الجرجاني والزمخشري ينحون منحى آخر في التأليف، فمالوا إلى تقنين القواعد البلاغية، وصبِّها في قوالب جافة. وقد كان لعملهم هذا حسنات جديرة بالذكر بإزاء السلبيات التي تجلَّت في سلب الذوق الأدبي والفني عن علم البلاغة؛ بسبب اتباع الطريقة المنطقية في دراسة البلاغة، وتبويب وتنظيم مباحثها ومسائلها. ومن أهم ميزات هذه المرحلة: تلبية الحاجة الماسة لتحديد المصطلحات البلاغية تحديداً تاماً، وفصل مسائل علم البلاغة بعضها عن بعض، وتفصيلها.(٣)

وتجدر الإشارة إلى أن تفوق النظرية التي وضعها الجرجاني وطبقها الزمخشري قد فتن البلاغيين فتنة شديدة، فجعلهم يقفون متأملين مذعنين لجلالة عملهما، مكتفين بدراسة ما توصَّلا إليه، وتلخيصه، وتحويله إلى قواعد جامدة مفرغة في قوالب منطقية، كما هو حال القواعد النحوية.(٤)

وقد كان من أوائل من عمد إلى تراث الجرجاني والزمخشري، فلخَّصه وحجَّره: الإمام الفخر الرازي (٦٠٦هـ)(٥) في كتابه (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز)، الذي عكف على التهذيب والاختصار والتبويب والترتيب، وحصر الأبواب التي ذكرها الجرجاني في كتابيه دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة حصراً دقيقاً.(٦)

---

(١) الإعجاز في دراسات السابقين، ص ٢٩٨–٣٠١، وراجع: البلاغة تطور وتاريخ، ص ٢٢٢–٢٤٣.

(٢) راجع: البلاغة تطور وتاريخ، ص ٢٤٣–٢٦٥، وانظر: الوجوه البلاغية، ص ١٤٧.

(٣) البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية، أ.د.فضل حسن عباس، دار النور، بيروت، ط١/١٤١٠هـ-١٩٨٩م، ص ١٤٥–١٤٦.

(٤) البلاغة تطور وتاريخ، ص ٢٧١–٢٧٢.

(٥) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي، أصله من طبرستان، ومولده في الري، وإليها نسبته؛ حيث يلقب بابن خطيب الري. من مؤلفاته: مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير أو تفسير الرازي، وأساس التقديس، والمطالب العالية، والمحصول في علم الأصول، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، والأربعون في أصول الدين، توفي سنة ٦٠٦هـ رحمه الله تعالى. انظر: وفيات الأعيان، ٤/٢٤٨-٢٥٢، وطبقات المفسرين، للسيوطي، ص ١١٥.

(٦) راجع: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص ٢٤ – ٢٥، والبلاغة تطور وتاريخ، ص ٢٧٤–٢٨٦.

ثم تبعه السكاكي (٦٢٦هـ)[1] فألف كتابه (مفتاح العلوم) وجعله على أربعة أقسام، وخصص القسم الثالث منه للحديث عن البلاغة.[2] وقد أوفى السكاكي في (المفتاح) الغاية في الإجمال مع الدقة في بيان الحدود، والتعريفات، والتقسيمات، كل ذلك بصيغة مضبوطة محكمة، وإحاطة كاملة بجميع الفروع والأقسام، ودقة بالغة في التنظيم والترتيب والبرهنة، مما جعل البلاغة في (المفتاح) مجرد قواعد وقوانين مفرَّغة في قوالب جافة أشد الجفاف، مصطبغة بأصول المنطق ومناهجه الصارمة.[3]

كل هذا المزايا التي تمتع بها (مفتاح العلوم) أكسبته شهرة عظيمة جعلت الكثير من العلماء يخصصون سنوات من أعمارهم لشرحه،[4] وجعلت علماء آخرين يعكفون على تلخيصه[5] ونظمه.[1]

---

(١) هو أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي، سراج الدين، كان علّامة بارعاً في فنون شتى خصوصاً المعاني والبيان، وكان إماماً في علم النحو، ملمًّا في علوم التصريف والمعاني والبيان والاستدلال والشعر. ولد بخوارزم سنة ٥٥٥هـ، وتوفي فيها سنة ٦٢٦هـ رحمه الله تعالى. من كتبه: مفتاح العلوم، ورسالة في علم المناظرة. انظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لأبي محمد عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي (٧٧٥هـ)، نشر مير محمد كتب خانه، كراتشي، د.ط.، د.ت.، ٢/٢٢٥–٢٢٦، وبغية الوعاة، ٢/٣٦٤.

(٢) الحق أن السكاكي قد تمكَّن في مفتاحه من تحديد المصطلحات، وفصل المسائل بعضها عن بعض، وتَنَبَّه لانفصال علمي المعاني والبيان، وبيَّن حدَّ كل منهما، وإن لم يلحظ استقلال علم البديع عنهما، حيث جعل فنون البديع جزءاً من علم البيان، لكن جمعها تحت اسم: وجوه مخصوصة يقصد بها تحسين الكلام، ولم يسمها باسم فنون البديع. راجع: مفتاح العلوم، ص ٦٦٠، وانظر: البلاغة تطور وتاريخ، ص ٢٨٨–٢٨٩، والبلاغة فنونها وأفنانها، ص ٧٤.

(٣) البلاغة تطور وتاريخ، ص ٢٨٧–٢٨٨.

(٤) من أبرز الشروح لكتاب المفتاح: (مفتاح المفتاح) لقطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي (٧١٠هـ)، و(شرح المفتاح) لشمس الدين محمد بن المظفَّر الخلخالي (٧٤٥هـ)، و(شرح القسم الثالث من المفتاح) للشريف الجرجاني (٨١٦هـ)، و(شرح المفتاح) لابن كمال باشا (٩٤٠هـ). انظر: البلاغة تطور وتاريخ، ص ٢٨٩، والوجوه البلاغية، ص ١٥٢.

(٥) من أبرز الملخَّصات على المفتاح: (المصباح في اختصار المفتاح) لبدر الدين محمد بن جمال الدين بن مالك الطائي (٦٨٦هـ) الذي كان أول من فَصَل علم البديع عن علمي المعاني والبيان، وجعله قسيماً لهما، و(تلخيص المفتاح) لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني (٧٣٩هـ). وقد أصبح تلخيصه المحور الذي تدور حوله كتابات البلاغيين شرحاً وتلخيصاً. ومن أبرز الشروح التي وضعت على تلخيص المفتاح: (إيضاح التلخيص) للمؤلِّف القزويني نفسه، و(مفتاح تلخيص المفتاح) لمحمد بن مظفر الخلخالي (٧٤٥هـ)، و(عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح) لبهاء الدين السبكي (٧٧٣هـ)، و(شرح تلخيص القزويني) لمحمد

=

ثم توالت المؤلفات المعنية بتسخير قواعد علم البلاغة للكشف عن إعجاز نظم القرآن، ومن أهمها: (الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز) ليحيى بن حمزة بن العلوي اليمني[٢] (٧٤٥هـ).[٣]

ولا تزال المؤلفات التي تعنى بالكشف عن بلاغة نظم القرآن وإعجازه تتابع حتى عصرنا الحاضر، ومن أهم المؤلَّفات التي أسهمت في بث روح الحياة في المباحث البلاغية ذات الصلة بالقرآن الكريم في العصر الحديث:

تفسير (التحرير والتنوير) للشيخ الطاهر ابن عاشور (١٣٩٣هـ).[٤]

بن يوسف ناظر الجيش (٧٧٨هـ)، و(شرح تلخيص المفتاح للقزويني) لمحمد البابرتي (٧٨٦هـ)، وشمس الدين القونوي (٧٨٨هـ)، و(المختصر)، و(المطوَّل) لسعد الدين التفتازاني (٧٩٢هـ)، و(مواهب الفتَّاح في شرح تلخيص المفتاح) لابن يعقوب المغربي (١١١٠هـ). انظر: الوجوه البلاغية، ص ١٥٣. وراجع: البلاغة تطور وتاريخ، ص ٣٣٥–٣٥٧، والبلاغة فنونها وأفنانها، ص ٧٤–٧٥.

(١) أبرز المنظومات التي أنشئت لحفظ المفتاح: (عقود الجمان) للإمام السيوطي (٩١١هـ)، و(الجوهر المكنون في الثلاثة فنون) لعبد الرحمن الأخضري (٩٨٣هـ) و(أنبوب البلاغة) لخضر بن محمد الآماسي (١١٠٠هـ). انظر: الوجوه البلاغية، ص ١٥٣.

(٢) هو يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم بن محمد بن إدريس بن علي بن جعفر الحسيني العلوي الطالبي. من أئمة الزيدية وعلمائهم. ولد بمدينة صنعاء، ولقِّب بالمؤيد بالله. من مؤلفاته: الطراز في علوم حقائق الإعجاز، وطوق الحمامة في مباحث الإمامة، والديباج المضي في شرح نهج البلاغة للرضي، والعمدة في فقه الزيدية، ومشكاة الأنوار في الرد على الباطنية الأشرار، ونهاية الوصول إلى علم الأصول. انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للعلَّامة محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ)، دار المعرفة، بيروت، د.ط.، د.ت.، ٣٣١/٢، ومعجم المؤلفين، ١٩٥/١٣.

(٣) الوجوه البلاغية، ص ١٥٤–١٥٥. وراجع: البلاغة تطور وتاريخ، ص ٣١٤–٣٣٥.

(٤) هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور، ولد في ضاحية المرسى التونسية عام ١٨٧٩م، انتسب إلى جامع الزيتونة وتخرج منه عام ١٨٩٦م، ثم شرع بالتدريس فيه، وهناك ألقى عدداً من الدروس في علوم مختلفة، أهمها: البلاغة والتفسير والحديث، ألف حوالي أربعين مؤلفاً، أهمها تفسير التحرير والتنوير، نال وسام الاستحقاق الثقافي، وجائزة رئيس الجمهورية في الإسلاميات. توفي سنة عام ١٩٧٣م رحمه الله تعالى. انظر: تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١/١٩٨٢م، ٣٠٤/٣–٣٠٩، وتونس وجامع الزيتونة، محمد الخضر حسين، تح: علي الرضا الحسيني، ط/١٣٩١هـ–١٩٧١م، ص ١٠٨–١١١، وأعلام تونسيون، الصادق الزمرلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١/١٩٨٦م، ص ٣٦١–٣٦٧.

وتفسير (في ظلال القرآن)، وكتاب (التصوير الفني في القرآن) لسيد قطب (١٩٦٦م).(١)

و(إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) للرافعي (١٩٣٧م).(٢)

و(النبأ العظيم) للدكتور محمد عبد الله دراز (١٩٥٨م)، وغيرها كثير.(٣)

وأخيراً وبعد التعريف بمصطلحات البحث، ومزايا النظم، وتطوُّر دراساته يجدر بي التعريف بعنوان هذه الأطروحة بشكل متكامل، فأقول: إن المقصود بـ(**بلاغة النظم القرآني**) هو: قدرة النص القرآني بألفاظه، وتراكيبه، وطريقة تأليفه على توصيل المعنى الدقيق للسامع بما يتطابق مع مقتضى حاله.

ومعنى: **أثر تعدد القراءات في بلاغة النظم القرآني** هو دراسة السمو البلاغي المتحصل في نظم القرآن من: تنوع دلالات القراءات المتعددة، وتعدد التوجيهات البلاغية المتشعبة في مباحث مختلفة من أبواب علم البلاغة، ككون تنوع القراءات يجري بين التعريف والتنكير، أو الخبر والإنشاء، أو الحذف والذكر، أو الالتفات وغيره من مباحث علم المعاني. أي: إنَّ هذه الأطروحة ستعنى ببيان المعنى الواسع لبلاغة النظم، ولن تقتصر على تطبيق القواعد البلاغية المجمدة بقوالب مستحدثة مؤخراً على أيدي العلماء وبطريقتهم المنطقية فحسب.

---

(١) هو الأديب المفكر الإسلامي سيد بن إبراهيم قطب، ولد في أسيوط بمصر سنة ١٩٠٦م، تخرج في كلية دار العلوم بالقاهرة سنة ١٩٣٤م، وعمل في جريدة الأهرام. أوفد في بعثة لدراسة برامج التعليم في أميركا عام ١٩٤٨م، ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الإنجليز، وطالب ببرامج تتماشى والفكر الإسلامي. من أبرز مؤلفاته: في ظلال القرآن، والمستقبل لهذا الدين، ومعالم في الطريق، والتصوير الفني في القرآن، ومشاهد القيامة في القرآن. ويعد قطب أول من تناول دراسة التصوير الفني في القرآن، حتى ارتبط اسمه باسم التصوير. توفي سنة ١٩٦٧م رحمه الله تعالى. انظر: الأعلام، ٣/١٤٧-١٤٨.

(٢) هو الأديب البليغ مصطفى صادق بن عبد الرزاق الرافعي، عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكتاب. أصله من طرابلس الشام، ومولده في بهتيم سنة ١٢٩٧هـ-١٨٨٠م، عاش في مدينة طنطا بمصر. من أبرز مؤلفاته: تاريخ أدب العرب، وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية، وتحت راية القرآن، ووحي القلم، ورسائل الأحزان. توفي بطنطا سنة ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م رحمه الله تعالى. انظر: الأعلام، ٧/٢٣٥، ومعجم المؤلفين، ١٢/٢٥٦.

(٣) مباحث في إعجاز القرآن، ص ١٠٥-١١٢.

هذا أبرز ما طرحه البحث من مسائل في مجال البلاغة، وأقسامها، وأثرها في توجيه القراءات وترجيحها، والإعجاز والنظم، وتطور التأليف فيهما. وفي الباب الآتي دراسة مفصَّلة لأثر دلالات القراءات المتعددة في بلاغة النظم.

الباب الأول: تعدد دلالات كلمات القراءات، وأثره في بلاغة النظم.

الفصل الأول: تعدد دلالات الصيغ الصرفية، وأثره في بلاغة النظم.

الفصل الثاني: التعدد الدلالي الناتج عن تغاير إعراب القراءات، وأثره في بلاغة النظم.

وردت مادة (دلّ) بصيغ مختلفة في القرآن الكريم،(١) تدور جميعها حول معنى الإرشاد والهداية والتبيين،(٢) وهذا المعنى اللغوي المعجمي للدلالة لا يختلف عن المعنى الاصطلاحي الذي يستوحي معناه من تلك الصورة المعجمية ويشير إلى العلم الذي يعنى بدراسة المعنى.(٣)

وتسهم عدة عوامل في تعدد دلالات المادة المعجمية الواحدة، ومن أهم هذه العوامل: تنوع الصيغ الصرفية، وتعدد الوظيفة النحوية، واختلاف السياق الذي وردت به المادة المعجمية نفسها، وما يطرأ على دلالة الكلمة الواحدة من تخصيص وتعميم، وغير ذلك.(٤)

ويعد التغاير التصريفي والإعرابي الناتج عن تعدد القراءات من أبرز العوامل المؤثرة في تنوع دلالات الكلمة الواحدة. وهذا الباب سيخصص الفصل الأول منه لدراسة الدلالات المتعددة الناتجة عن تبادل القراءات بين الصيغ الصرفية المتعددة، والفصل الثاني لدراسة الدلالات الناتجة عن تغاير الوظيفة النحوية التي تؤديها الكلمة المختلَف في قراءتها، وسيبيِّن في الفصلين أثر التعدد الدلالي للقراءات المتنوعة في بلاغة نظم القرآن.

---

(١) وردت مادة دلَّ بصيغها المختلفة في القرآن الكريم في المواضع الآتية: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [سورة الأعراف/٢٢]، ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾ [سورة طه/٤٠]، ﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ [سورة طه/١٢٠]، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [سورة الفرقان/٤٥]، ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ﴾ [سورة القصص/١٢]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سورة سبأ/٧]، ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ [سورة سبأ/١٤]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة الصف/١٠].

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، ٣٤٩/١. وانظر: تهذيب اللغة، ٤٨/١٤، ولسان العرب، ٢٤٧/١١، وتاج العروس، ٤٩٧/٢٨–٥٠١.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، ٣٤٩/١، وعلم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٥/١٩٩٨م، ص ١١.

(٤) دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٧/١٩٩٢م، ص ١٥٢–١٦٧، وعلم الدلالة، ص ١٣.

الفصل الأول: تعدد دلالات الصيغ الصرفية للقراءات المتواترة، وأثره في بلاغة النظم.

المبحث الأول: التنوع التصريفي في أبنية الأفعال، وأثره في بلاغة النظم.

المبحث الثاني: التنوع التصريفي في أبنية الأسماء، وأثره في بلاغة النظم.

المبحث الثالث: تبادل القراءات بين الاسمية والفعلية، وأثره في بلاغة النظم.

تدور المعاني اللغوية لمادة صرف حول معاني التقليب والتحويل، والتبديل والتغيير، وردِّ الشيء من حالة إلى غيرها،(١) وقد استعمل القرآن الكريم مادة (صرف) لهذه المعاني في عدة آيات، منها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ [سورة آل عمران/١٥٢]، ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [سورة التوبة/١٢٧].(٢)

ولا يبعد (التصريف) في **الاصطلاح** عن المعنى اللغوي، وإن اختلفت عبارات العلماء فيه؛(٣) لأن التصريف في الاصطلاح هو: تحويل الأصل الواحد إلى أبنيةٍ وصيغٍ مختلفة، لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها.(٤)

وعلم التصريف يتناول بالدراسة الأفعال المتصرِّفة، والأسماء المعربة فقط؛ لأن الحروف، والأفعال الجامدة، والأسماء المبنية نحو: (مَنْ، وما) لا تقبل التصريف والتغيير.(٥) وهو يدرس الكلمة حال إفرادها دون النظر إلى تركيبها وموقعها من الجملة، ولذلك كان مجال علم الدلالة التصريفي هو دراسة الأثر المعنوي المستفاد من الدلالة المعجمية مع دلالة البنية الصرفية، وتحوُّلِها إلى أبنية مختلفة قبل دخولها في السياق؛ لأن السياق يؤثر في الدلالات التصريفية حسب معطياته -كما سيتبيِّن من الأمثلة في هذا الفصل - ولذلك لا يمكن تفسير القراءات ودراستها بمعزل عن سياقها؛ لأن تفسير القراءات استناداً إلى الدلالات الناتجة عن تغاير الأبنية التصريفية قد يؤدي إلى الخطأ في فهمها وتفسيرها؛ لأن معطيات السياق، وقرائن الأحوال تؤثِّران على الدلالات التصريفية.(٦)

وعلم التصريف من أجلِّ علوم العربية خطراً وأعظمها نفعاً؛ لأن العلم به يعصم من الخطأ في الكلمات، ويقي من اللحن في ضبطها، ويساعد في معرفة الأصلي والزائد من حروف الكلمة، وما ينتج عن الزيادة من اختلاف المعاني، والعلم بهذه الأمور يُجنِّب المتكلم الوقوعَ في أخطاء مخالفة القياس التي تصرف عن الفصاحة وتخل

---

(١) كتاب العين، ١٠٩/٧، وتهذيب اللغة، ١١٤/١٢، ولسان العرب، ١٨٩/٩.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، ٥٧٨/١.

(٣) راجع: الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن الكريم، فريد بن عبد العزيز الزامل السُلَيم، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١٤٢٧/١هـ، ص ٢٠-٢٥.

(٤) شرح مختصر التصريف العِزِّي في فن الصرف لمسعود بن عمر سعد الدين التفتازاني، تح: د. عبد العال سالم مُكرَم، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط١٤١٧/٨هـ-١٩٩٧م، ص ٢٥، والخلاف التصريفي وأثره الدلالي، ص ٢٢، ٢٤.

(٥) شرح شافية ابن الحاجب، لرضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي (٦٨٦هـ)، تح: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد يحيى عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، ٨/١، ودروس التصريف، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١٤١٦/١هـ-١٩٩٥م، ص ٥-٦، والخلاف التصريفي وأثره الدلالي، ص ٢٥-٢٨.

(٦) دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، ص ٤٧، والخلاف التصريفي وأثره الدلالي، ص ٦١-٦٢.

بالبلاغة.[١] ولهذا جعل الزركشي علم الصرف من أهم العلوم التي تعين في معرفة اللغة، وجعل العلم بقواعده مقدَّماً على العلم بالنحو وقواعده. جاء في البرهان: "وفائدة التصريف حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد، فالعلم به أهم من معرفة النحو في تعرف اللغة؛ لأن التصريف نظر في ذات الكلمة، والنحو نظر في عوارضها، وهو من العلوم التي يحتاج إليها المفسر."[٢]

وقد حظيت البنى الصرفية باهتمام اللغويين والصرفيين، وكان أولاها بالاهتمام الاختلاف التصريفي، وأثره الدلالي، غير أن دراسة المفسرين لما جاء في القرآن الكريم من تنوع تصريفي كانت أشمل مما جاء في دراسات اللغويين؛ لأن دراسة اللغويين للبنى الصرفية كانت مقتضبة وسريعة، في حين تناول المفسرون هذا الاختلاف بمزيد من الاهتمام؛ لما له من أثر في دلالة الكلمات والجمل القرآنية.[٣]

وأولى وجوه الاختلاف التصريفي بالدراسة ذلك الاختلاف الناتج عن تعدد القراءات؛ لأنه درس ينبع من صميم كلمات القرآن، ويبيِّن أثره الدلالي فيه، ويتردد بين علوم مختلفة، كـ (اللغة، والقراءات، والتفسير)، ويُبرِز أثر هذا الاختلاف في جوانب العلوم الأخرى إذا نتج عن التنوع التصريفي آثارٌ دلالية فقهية أو عقدية.

وقد تبيَّن في المدخل التمهيدي لهذا الباب أن الكلمات المفردة ومعانيها - وإن كانت لا تنفرد بالإعجاز وحدها – فإنها تشكِّل أحد العناصر التي تؤكِّد إعجاز نظم القرآن وبلاغته، وأشير هنا إلى أن وجه البلاغة في تعدد دلالات القراءات يرجع إلى الإيجاز، حيث يعبر نظم القرآن من خلال القراءات المتنوعة باللفظ القليل عن المعنى الكثير. والإيجاز واحد من "الأقطابُ التي تَدورُ البلاغةُ عليها، والأَعضادُ التي تستند الفصاحةُ إليها، ... وهي التي نَوّه بذكرها البُلغاءُ، ورفعَ من أقدارها العُلماءُ، وصنَّفوا فيها الكتب، ووكَّلوا بها الهِمَم، وصرَفوا إليها الخَواطرَ حتّى صارَ الكلامُ فيها نوعاً من العلم مُفرداً وصناعةً على حِدَة. ولم يتعاطَ أحدٌ من الناس القولَ في الإِعجاز إلاّ ذكرَها وجعلَها العُمُدَ والأركانَ فيما يوجب الفضلَ والمزية، وخصوصاً الاستعارة والإيجاز."[٤]

وهذا الفصل يتناول أمثلة من التغاير التصريفي للكلمات المختَلَف في قراءتها بين القرَّاء العشرة، ويخص بالدراسة ما له أثر دلالي من التغيرات الصرفية؛ ليبيِّن الآثار البلاغية الناتجة عن تعدد الدلالات في نظم القرآن.

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٩٩٨م، ١/ ٢٦٠، ودروس التصريف، ص ٦–٧.

(٢) البرهان، ١/ ٢٩٧.

(٣) الخلاف التصريفي وأثره الدلالي، ص ٥–٦.

(٤) دلائل الإعجاز، ص ٣٧٨.

المبحث الأول: التنوع التصريفي في أبنية الأفعال، وأثره في بلاغة النظم.

المطلب الأول: التنوع التصريفي للقراءات بين صيغ الثلاثي ومزيدها.

المطلب الثاني: التنوع التصريفي للقراءات بين صيغ مزيد الثلاثي.

الفعل: لفظٌ يدل على حدثٍ مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة (الماضي، والحاضر، والمستقبل).(١) فإن كان الزمن الذي دلَّ عليه الفعل صالحاً للحال والاستقبال، ولم ينقضِ قبل النطق كان الفعل مضارِعاً، وإن دلَّ الفعل على زمنٍ انقضى قبل النطق كان ماضياً، إما إن دلَّ على حدَثٍ يُطلَب تحققه في المستقبَل كان الفعلُ فعلَ أمرٍ.(٢)

وينقسم الفعل إلى ثلاثي ورباعي، وكل منهما ينقسم إلى مجرد ومزيد.

فأما الفعل الثلاثي المجرد فله ثلاثة أبنية في الماضي: فَعَلَ كـ(ضَرَبَ)، وفَعِلَ كـ(عَلِمَ)، وفَعُلَ كـ(كَرُمَ).

ولمزيد الثلاثي بحرف واحد ثلاثة أبنية: أَفْعَلَ كـ(أَخْرَجَ)، فَعَّلَ كـ(قَطَّعَ)، فَاعَلَ كـ(قَاتَلَ).

ولمزيده بحرفين خمسة أبنية: انْفَعَلَ كـ(انْصَرَفَ)، وافْتَعَلَ كـ(اجْتَمَعَ)، وتَفَعَّلَ كـ(تَفَضَّلَ)، وتَفَاعَلَ كـ(تَضَارَبَ)، وافْعَلَّ كـ(احْمَرَّ).

ولمزيده بثلاثة أحرف أربعة أبنية: افْعَوْعَلَ كـ(اعْشَوْشَبَ)، اسْتَفْعَلَ كـ(اسْتخْرَجَ)، افْعَوَّلَ كـ(اجْلَوَّذَ)، وافْعَالَّ كـ(احْمَارَّ).(٣)

وأما الرباعي المجرد فله بناء واحد هو (فَعْلَلَ) كـ(دَحْرَجَ).

ولمزيده ثلاثة أبنية، هي: تَفَعْلَلَ كـ(تَدَحْرَجَ)، وافْعَنْلَلَ كـ(احْرَنْجَمَ)، وافْعَلَلَّ كـ(اقْشَعَرَّ).(٤)

ولأبنية الأفعال المزيدة معانٍ تصاحبها غالباً، فبناء (أَفْعَلَ) للتعدية، نحو: أَجْلَسَ، و(فَعَّلَ) للتكثيرِ، نحو: غَلَّقَ وقَطَّعَ، و(فَاعَلَ) للدلالة على المفاعلة، نحو: جاذبت علياً ثوبه، و(تَفَاعَلَ) للدلالة على المشاركة، نحو: تَخَاصَمَ،

---

(١) المفتاح في الصرف، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الجرجاني (٤٧١هـ)، تح: د. علي توفيق الحَمَد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١/١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ص ٥٣، وشرح الرضي على كافية ابن الحاجب (٦٤٦هـ)، لرضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي (٦٨٦هـ)، تح: يوسف حسن عمر، نشر جامعة قاريونس، د.ط./١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، ١/ ٣٠.

(٢) شرح قطر الندى وبل الصدى، لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، (٧٦١هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط١١/١٣٨٣هـ-١٩٦٣م، ص ٢٦-٣٦.

(٣) المذكور هو أشهر أبنية الفعل الثلاثي المجرد، ويلحق بالرباعي المجرد (وهو بناء دحرج) ثمانية أبنية أصلها من الثلاثي فزيد فيه حرف لغرض الإلحاق، والإلحاق: أن تزيد على أصول الكلمة حرفاً، لا لغرض معنوي، بل لتوازن بها كلمة أخرى كي تجري الكلمة الملحقة في تصريفها على ما تجري عليه الكلمة الملحق بها، وضابط الإلحاق في الأفعال اتحاد المصادر. راجع: المفتاح في الصرف، ص ٤٦، وشرح القصيدة الكافية في التصريف، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، تح: د. ناصر حسين علي، المطبعة التعاونية، دمشق، د.ط.، د.ت.، ص ٢٩، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لابن عقيل عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (٧٦٩هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط٢٠/١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ٤/ ٢٦٠-٢٦١.

(٤) المفتاح في الصرف، ص ٤٤-٤٦، وشرح القصيدة الكافية في التصريف، ص ٢٦-٢٧.

ويدل بناء (تَفَعَّلَ) على المطاوعة (قبول أثر الفعل) غالباً، نحو: كَسَّرْتُهُ فَتَكَسَّرَ، ومثله (انفَعَلَ) و(افْتَعَلَ)، نحو كَسَرْتُهُ فَانكَسَرَ، وجَمَعْتُهُ فَاجْتَمَعَ. ويأتي بناء (افْعَلَّ) من الأفعال الدالة على لون أو عيب؛ لقصد الدلالة على المبالغة فيها وإظهار قوتها، نحو ابْيَضَّ، واعْوَرَّ، وبناء (استفعل) للدلالة على الطلب، نحو استغفر الله، وجميع هذه الصيغ تأتي لمعان أخرى غير المذكورة.[1] وسيأتي بيان معاني هذه الصيغ وغيرها في أثناء دراستها في مطالب هذا المبحث الذي يدرس أبنية الأفعال في القراءات، وترددها بين مختلف الصيغ الصرفية، وأثر هذا التبادل في بلاغة النظم.

(١) راجع: المفتاح في الصرف، ص ٤٨–٥١، وشرح ابن عقيل، ٤/٢٦١–٢٦٥، وشرح القصيدة الكافية في التصريف، ص ٢٨، وأبنية الأفعال: دراسة لغوية قرآنية، د. نجاة عبد العظيم الكوفي، دار الثقافة، القاهرة، د.ط./١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ص ٣١–٦٣.

المطلب الأول: التنوع التصريفي للقراءات بين صيغ الثلاثي ومزيدها.

وقع التنوع التصريفي بين صيغ الثلاثي في القراءات المتواترة في مواضع قليلة، منها ما لم يكن له أي أثر دلالي،(١) ومنها ما كان له أثر، كاختلاف القراء في ﴿بَرِقَ﴾(٢) من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ [سورة القيامة/٧]. حيث ذهب جمهور المفسرين إلى أن (بَرَقَ) على وزن (فَعَلَ) بفتح عين الفعل من البريق وهو اللمعان،(٣) ومعنى الآية عليه: شخص البصر وارتفع ولمع من شدة شخوصه، أما (بَرِقَ) على وزن (فَعِلَ) بكسر عين الفعل فهي من الفزع،(٤) ومعنى الآية على هذه القراءة: دهش الإنسان وفزع، وأصله من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره.(٥)

وقد أدى اختلاف عين الفعل في هذه الكلمة بين الكسر والفتح إلى تعدد دلالات الآية، فنتج عن لفظ واحد متنوع التصريف اختلافُ المعنى دون تناقضه، وهذا من بلاغة تعدد دلالات القراءات، ويتجلى أثره في نظم القرآن في تكثير المعاني، دون زيادة الألفاظ.

ويقع التغاير التصريفي للقراءات أكثر ما يقع بين صيغ الثلاثي ومزيدها، أو بين صيغ مزيد الثلاثي، وسأتناول في هذا المطلب صور التغاير التصريفي بين صيغ الثلاثي ومزيدها.

أولاً: التنوع التصريفي للقراءات بين صيغ الثلاثي ومزيدها بحرف:

وقع التبادل التصريفي للقراءات بين صيغ الثلاثي ومزيدها بحرف في مواضع كثيرة، وجرى بين الثلاثي وصيغ المزيد الآتية: (أَفْعَلَ، فَعَّلَ، فَاعَلَ)، وفيما يأتي دراسة للآثار الدلالية والبلاغية الناتجة عن هذا التردد بين صيغة

---

(١) كاختلاف القراء في (عسيتم) و(يحسب) حيث وقع في القرآن الكريم. راجع: اختلاف البنية الصرفية في القراءات السبع، ص ١١٣–١١٤، ١١٦–١١٧.

(٢) قرأ المدنيَّان (فَإِذَا بَرَقَ) بفتح الراء، وقرأ الباقون (فَإِذَا بَرِقَ) بكسرها. انظر: السبعة، ص ٦٦١، والمبسوط، ص ٤٥٣، والتيسير، ص ١٣٧، والنشر، ٤٣٣/٢، وتحبير التيسر، ص ٥٩٨.

(٣) الصحاح للجوهري، ص ١٤٤٩–١٤٥٠، ولسان العرب، ١٤/١٠، والقاموس المحيط، ص ١١١٨.

(٤) لسان العرب، ١٤/١٠، والقاموس المحيط، ص ١١١٨–١١١٩.

(٥) الكشاف، ٦٦١/٤، والتسهيل لعلوم التنزيل، للإمام أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزيّ الكلبي (٧٤١هـ)، تح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ٥١٣/٢، والبحر المحيط، ٣٧٣/٨، والدر المصون، ٥٦٧/١٠، واللباب، ٥٥٠/١٩، وإرشاد العقل، ٦٥/٩. وذهب بعض المفسرين إلى أن القراءتين لغتان بمعنى واحد وهو الفزع. انظر: تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ)، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الرياض، ط٢/١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ٢٧٧/٨، والتحرير والتنوير، ٣١٩/٢٩، وأضواء البيان، ٣٧٢/٨.

الفعل المجرد وإحدى صيغ الزيادة.

١ – التبادل بين صيغ الثلاثي و(أفْعَلَ):

تأتي صيغة (أفْعَلَ) للدلالة على التعدية غالباً، وتفيد معانيَ أخرى غير التعدية، منها: الدلالة على المصادفة نحو: أعظم، أو السلب، نحو: أشكيته وأقذيته، أي: أزلت شكواه وقذى عينه، أو الدخول في زمان أو مكان، نحو: أصحر وأنجد وأصبح وأمسى وأضحى، أو للدلالة على قرب الفاعل من الدخول في أصل الفعل، نحو: أحصد الزرع وأصرم النخل: قرب حصاده وصرامه، أو لغير ذلك من المعاني.(١)

وقد وقع تبادل القراءات بين صيغتي (فَعَلَ) و(أفْعَلَ) في مواضع كثيرة في القرآن الكريم: منها ما اتحد معناه،(٢) ومنها ما أفاد غير معنى التعدية،(٣) وبيَّنت الدراسة أن أكثر القراءات المنتقلة من صيغ الثلاثي إلى (أفْعَلَ) تفيد معنى التعدية، وهو المعنى الغالب لصيغة (أفْعَلَ). وعلى هذا فأغلب القراءات المتبادلة بين صيغ الثلاثي و(أفْعَلَ) تتردد بين التعدية وعدمه، وتحول القراءة من اللزوم في (فَعَلَ) أو (فَعِلَ) إلى التعدية في (أفْعَلَ)، ومن ثَمَّ تجعل فاعل قراءة (فَعَلَ) و(فَعِلَ) مفعولاً لقراءة (أفْعَلَ)، وهو ما يتضح من الأمثلة الآتية:

اختلف القراء في قراءة كلمة (يضل) بين صيغتي (فَعَلَ) و(أفْعَلَ) في الآيات الست الآتية: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [سورة الأنعام/١١٩]، ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ [سورة يونس/٨٨]،(٤) ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [سورة إبراهيم/٣٠]، ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة الحج/٩]، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [سورة لقمان/٦]، ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[سورة الزمر/٨].(٥)

وقد أفادت قراءات صيغة (فَعَلَ) في هذه الآيات معنى اللزوم ونسبت الضلال إلى أنفسهم، أما القراءات التي

(١) شرح شافية ابن الحاجب، ١/٨٧–٩٢، وشرح ابن عقيل، ٤/٢٦٣.

(٢) راجع: اختلاف البنية الصرفية في القراءات السبع، ص ١١٨–١٢١.

(٣) راجع: اختلاف البنية الصرفية في القراءات السبع، ص ١٢٤–١٢٩.

(٤) قرأ الكوفيون (لَيُضِلُّونَ) في الأنعام، و(لِيُضِلُّوا) في يونس بضم الياء، وقرأ الباقون بفتحها. انظر: التيسير، ص ٧٨، والنشر، ٢/٢٧٦، وتحبير التيسير، ص ٣٦٣.

(٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو (لِيَضِلُّوا) في إبراهيم و(لِيَضِلَّ) في الحج ولقمان والزمر بفتح الياء في الأربعة، ووافقهما رويس في سورة إبراهيم والحج والزمر، وقرأ الباقون (لِيُضِلُّوا) و(لِيُضِلَّ) بضم الياء في المواضع الأربعة. انظر: السبعة، ص ٢٦٧، والتيسير، ص ٩٥، والنشر، ٢/٣٣٦، وتحبير التيسير، ص ٤٢٥.

جاءت على وزن (أَفْعَلَ) فأفادت تعدي الفعل، ونسبت إليهم التسبب بإضلال الآخرين عن سبيل الله.(1)

وقد وردت مادة (ضلَّ) في القرآن الكريم في تسعةٍ وأربعين موضعاً، غير أن التنوع التصريفي للقراءات بين صيغتي (ضلَّ) و(أضَلَّ) وقع في هذه الآيات الست فقط دون غيرها، لأن نظم هذه الآيات يقبل معنى لزوم الفعل ومعنى تعديته، خلافاً للآيات الأخرى التي لا يقبل نظمها معنى التعدي، كقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [سورة يونس/108]، أو التي كان فيها معنى اللزوم أنسب لنظم الآية من معنى التعدي، كقوله تعالى: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [سورة ص/26]، أو التي وردت فيها مادة أضل نسبة لله تعالى فلا تقبل اللزوم؛ لتنزه الباري ﷻ عن نسبة الضلال إلى ذاته، ومنها قوله تعالى: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة إبراهيم/4] وقوله: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة إبراهيم/27].

وكذلك وقع التغاير التصريفي للقراءات بين صيغة (فَعِلَ) من صيغ الثلاثي وصيغة (أَفْعَلَ) وكان منها: اختلاف القراء في قراءة (يَفْقَهُونَ) من قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [سورة الكهف/93] حيث تبادلت هذه الكلمة بقراءتيها بين صيغتي (فَعِلَ) و(أَفْعَلَ)(2) فأفادت تعدي الفعل إلى مفعول واحد على القراءة (يَفْقَهُونَ) بصيغة (فَعِلَ) من (فَقِهَ)، وأفادت تعديه إلى مفعولين على القراءة (يُفْقِهُونَ) بصيغة (أَفْعَلَ) من (أَفْقَهَ)،(3) ونتج عن هذا التعددِ في القراءات والصيغ الصرفية التعدُّدُ في معنى الآية، ثم اتساع دلالتها؛ لأن معنى الآية على قراءة (يَفْقَهُونَ): لا يَفهَمون كلام غيرهم، ومعناها على قراءة (يُفْقِهُونَ): لا يُفهِمون غيرهم كلامَهم.(4) والمعنيان لا يتلازمان؛ "إذ قد يفقه الإنسان كلام غيره، ولا يفقه غيرُه قولَه، وبالعكس."(5)

---

(1) حجة ابن خالويه، ص 148، وحجة أبي زرعة، ص 269–270، 335، 378–379. وانظر: جامع البيان، 71/12، والمحرر الوجيز، 339/2، والبحر المحيط، 414/5، 329/6، والتحرير والتنوير، 165/11، 254/12، 91/21، 33/24.

(2) قرأ الأخوان وخلف (يُفْقِهُونَ) بضم الياء وكسر القاف، وقرأ الباقون (يَفْقَهُونَ) بفتحهما. انظر: السبعة، ص 399، والتيسير، ص 100، والمبهج، ص 616، والنشر، 354/2، وتحبير التيسير، ص 448–449.

(3) حجة ابن خالويه، ص 231، وحجة أبي زرعة، ص 432.

(4) جامع البيان، 103/18، والنكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (450هـ)، تح: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.، د.ت.، 341/3، والمحرر الوجيز، 541/3–542، والدر المصون، 545/7، واللباب، 562/12.

(5) الدر المصون، 545/7، واللباب، 562/12.

وقد وردت كلمة (يَفْقَهُونَ) في القرآن الكريم في ثلاثة عشر موضعاً، قرأها القراء جميعها بصيغة (فَعِلَ) إلا في سورة الكهف، فترددت القراءات بين صيغتي (فَعِلَ) و(أفْعَلَ)؛ لأن نظم الآية في سورة الكهف يحتمل معنى تعدية الفعل (يفقه) إلى مفعول آخر ويتناسب معه، خلافاً لنظم الآيات الأخرى الذي يتعدى فيها الفعل إلى مفعول واحد، وتخلُّ التعدية إلى مفعول ثانٍ بمعنى الآية، كقوله تعالى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [سورة الأنعام/٦٥]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [سورة الأعراف/١٧٩].

وقد دلَّ الاستقراء على أن التبادل التصريفي بين صيغتي (فَعَلَ، فَعِلَ) و(أفْعَلَ) قد وقع في القراءات المتواترة في مواضع كثيرة، وانحصر أثره الدلالي في جعل فاعل صيغة الفعل الثلاثي مفعولاً أولاً أو ثانياً لصيغة (أَفْعَلَ).

٢ – التبادل بين صيغ الثلاثي و(فَعَّلَ):

تأتي صيغة (فَعَّلَ) للدلالة على التكثير غالباً، وتفيد معاني أخرى غير معنى التكثير، منها: التعدية، نحو: خَرَّجته، أو الدلالة على نسبة المفعول إلى أصل الفعل، نحو: كَذَّبته وفَسَّقته، أو الدلالة على السلب، نحو: قَشَّرت الفاكهة: أزلت قشرها، أو اختصار حكاية المركَّب، نحو: كبَّر، وهلَّل، وسبَّح، أو غير ذلك من المعاني.[١]

وقد جرى تبادل القراءات بين صيغ الثلاثي و(فَعَّلَ) في مواضع كثيرة في القرآن الكريم: منها ما اتحد معناه،[٢] ومنها ما أفاد معنى التكثير، أو معنى التعدية، ومنها ما أفاد معنى آخر غير هذين المعنيين.[٣]

وتبيِّن الدراسة أن أكثر القراءات الجارية على صيغة (فَعَّلَ) تفيد معنى التكثير، وهو المعنى الغالب لصيغة (فَعَّلَ)، أو التعدية وهو من المعاني التي يكثر استعمالها لهذه الصيغة، وبذلك تتردد أكثر القراءات المتبادلة بين صيغ الثلاثي و(فَعَّلَ) بين التكثير وعدمه، ومن ثَمَّ تؤكِّد قراءة (فَعَّلَ) مضمون القراءة الأخرى التي وردت بصيغة الثلاثي المجرَّد، وتفيد معاني أخرى تتوافق ومعنى التكثير والمبالغة، أو تتردد بين التعدية وعدمها.

فعلى سبيل المثال: اختلف القراء في قراءة الفعل (قتل) بين صيغتي (فَعَلَ) و(فَعَّلَ)[٤] في هاتين الآيتين: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ **سَنُقَتِّلُ** أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي

---

(١) المفتاح في الصرف، ص ٤٩، وشرح شافية ابن الحاجب، ٩٢/١، وشرح ابن عقيل، ٢٦٣/٤، وحاشية الصبان، ٣٤٢/٤.

(٢) راجع: اختلاف البنية الصرفية، ص ١٣٠–١٣٢.

(٣) راجع: المرجع السابق، ص ١٣٦–١٣٧.

(٤) قرأ الحرميان وأبو جعفر (سَنَقْتُلُ) بفتح النون وضم التاء مخففاً، وقرأ الباقون (سَنُقَتِّلُ) بضم النون وكسر التاء مشدَّدة. وقرأ نافع (يَقْتُلُوْنَ أَبْنَاءَكُمْ) بفتح الياء وإسكان القاف وضم التاء مخففاً، وقرأ الباقون (يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ) بضم الياء وفتح القاف وكسر التاء مشدَّدةً. انظر: السبعة، ص ٢٩١–٢٩٢، والتيسير، ص ٨٢، والعنوان، ص ٩٧، والنشر، ٣٠٦/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٧٧.

نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [سورة الأعراف/١٢٧]، ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ **يُقَتِّلُونَ** أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ [سورة الأعراف/١٤١].

وصيغة (فَعَلَ) في هاتين الآيتين تفيد معنى الفعل مجرداً من أي مبالغة، وهي تصلح للدلالة على القليل والكثير، أما القراءة الأخرى المتوافقة وصيغة (فَعَّلَ) فتفيد المبالغة في هذا الفعل والإكثار منه؛ لأنها تختص بالتكثير،(١) وتدل على تكرير القتل مرة بعد مرة والاستمرار فيه.(٢)

ومن هذا القبيل اختلاف قراء المتواتر في قراءة الفعل (قُتِلَتْ)(٣) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنْبٍ **قُتِلَتْ**﴾ [سورة التكوير/٨-٩] بين التفعيل وعدمه، حيث أفادت القراءة بالتخفيف والمتوافقة مع صيغة (فَعَلَ) معنى الفعل (قتل) مجرداً من أي زيادة معنوية، وأفادت القراءة بالتشديد والمتوافقة مع صيغة (فَعَّلَ) كثرة التقتيل، وكثرة من وقع عليهم القتل، وهو ما يفهم من التشديد المفيد لمعنى الكثرة والمبالغة.(٤) ويتولد عن معنى المبالغة هذا الدلالةُ على تشنيع هذا القتل وبشاعته؛ لما في وأد البنات من الاعتراض على قضاء الله ﷻ، والدلالة على قسوة قلب الوالد القاتل، الذي يُقدِم على هذا القتل الشديد الفظيع.(٥)

والحديث عن قراءة (قُتِّلَتْ) بالتشديد يدعونا للحديث عن الفعلين (نُشِرَتْ) و(سُعِّرَتْ) المجاورين لهذا الفعل في سورة التكوير ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ **نُشِرَتْ** ۞ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۞ وَإِذَا الْجَحِيمُ **سُعِّرَتْ**﴾ [سورة التكوير/١٠-١٢] والتي اختلف قراء المتواتر في قراءتها بين التخفيف المتوافق وصيغة الثلاثي المجرَّد والتشديد المتوافق وصيغة (فَعَّلَ).(٦)

وقد أفادت قراءات التخفيف معنى الفعل مجرداً من أي زيادة، وأفادت قراءات التشديد كثرة الصحف المنشورة،

---

(١) الموضِّح في وجوه القراءات وعللها، للإمام أبي عبد الله نصر بن علي بن محمد الشيرازي الفارسي الفسوي المعروف بابن أبي مريم (٥٦٥هـ)، تح: د.عمر حمدان الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن، جدَّة، ط١٤١٤/١هـ-١٩٩٣م، ٥٥١/٢. وانظر: المحرر الوجيز، ٤٤١/٢، ومفاتيح الغيب، ١٧٢/١٤، والجامع لأحكام القرآن، ٢٦٢/٧، والدر المصون، ٤٢٤/٥.

(٢) حجة ابن خالويه، ص ١٦٢، وحجة أبي زرعة، ص ٢٩٤.

(٣) قرأ الجمهور ﴿قُتِلَتْ﴾ بتخفيف التاء الأولى، وأبو جعفر ﴿قُتِّلَتْ﴾ بتشديدها. انظر: النشر، ٤٣٩/٢، وتحبير التيسير، ص ٦٠٦.

(٤) البحر المحيط، ٤٢٥/٨، والدر المصون، ٧٠٤/١٠، واللباب، ١٨٢/٢٠، وروح المعاني، ٥٢/٣٠.

(٥) أثر القراءات في تعدد المعاني، ص ١٨٠.

(٦) قرأ المدنيَّان وعاصم وابن عامر ويعقوب ﴿نُشِرَتْ﴾ بتخفيف الشين، وقرأه الجمهور بتشديد الشين. وقرأ نافع وابن ذكوان وحفص وأبو جعفر ورويس ﴿سُعِّرَتْ﴾ بتشديد العين، وقرأه الباقون بالتخفيف. انظر: السبعة، ص ٦٧٣، والنشر، ٤٣٩/٢، وتحبير التيسير، ص ٦٠٦.

وتكرار نشرها مرة بعد مرة، وشدة حرارة الجحيم المستعرة؛ بسبب إيقادها مرة بعد مرة.(١) أي: إنَّ صيغة (فَعَّلَ) في القراءات المذكورة تفيد المبالغة في الفعل، وتنبّه الأذهان على المعاني الجديدة المستفادة من معنى المبالغة.

وأذكر مثالاً لتبادل القراءات بين صيغتي (فَعَلَ) و(فَعَّلَ) يفيد معنى التعدية على القراءة بصيغة (فَعَّلَ)، وهي قراءة (يُكَذِّبُونَ) من قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [سورة البقرة/١٠] حيث وردت قراءة هذه الكلمة بوجهين: (يَكْذِبُونَ) من (كَذَبَ) على وزن (فَعَلَ)، و(يُكَذِّبُونَ) من (كَذَّبَ) على وزن (فَعَّلَ)،(٢) فأفادت القراءة الثانية تعدي الفعل، وافتقاره إلى مفعول يفسره، ونتج عن ذلك تعدد دلالات الآية ومعانيها؛ لأن معنى الآية على القراءة (يَكْذِبُونَ): أن الله أعدَّ لهم يوم القيامة عذاباً أليماً سببه كذبهم في إظهار الإيمان، ومعنى الآية على القراءة الأخرى (يُكَذِّبُونَ): أعدَّ الله ﷻ لهم يوم القيامة عذاباً أليماً سببه تكذيبهم النبي ﷺ وما جاء به من الرسالة والوحي، رغم معرفتهم بصدقه. والمفعول على قراءة التفعيل محذوف يفهم من السياق.(٣)

ولا يمنع حمل صيغة (فَعَّلَ) على التعدية في قراءة (يُكَذِّبُونَ) من حملها على المبالغة والتكثير، وبالتالي يجتمع معنى التكثير مع معنى التعدية: ويكون معنى الآية: تكرار تكذيبهم النبي ﷺ مرة بعد أخرى.(٤)

والأمثلة الآنفة الذكر وغيرها تؤكِّد أن التبادل التصريفي بين صيغ الثلاثي المجرّد وصيغة (فَعَّلَ) يدل على بلاغة نظم القرآن الذي أجرى التعدد في القراءات القرآنية فأفاد بكلمة واحدة مختلفة التصريف معاني الأفعال مجردة من أي زيادة معنوية، كما أفاد معاني أخرى متولدة من معنى التكثير وما ينتج عنه من مبالغة وتكرير، أو من معنى التعدية وما ينتج عنه من معانٍ أخرى، ونتج عن تنوع القراءات تعدد دلالات الآيات، واتساع معانيها.

٣ – التبادل بين (فَعَلَ) و(فَاعَلَ):

يدل بناء (فَاعَلَ) على المفاعلة والمشاركة بين اثنين غالباً، نحو: جاذبت علياً ثوبه، وقاتل عمرو خالداً، ويأتي بناء (فَاعَلَ) لمعانٍ أخرى، منها: التكثير، نحو: ضاعفت أجر المجتهد، وكاثرت إحساني عليه، والتعدية، نحو: عافاك

---

(١) حجة ابن خالويه، ص ٣٦٤، وحجة أبي زرعة، ص ٧٥١.

(٢) قرأ الكوفيون (يَكْذِبُونَ) بفتح الياء مخففاً، وقرأ الباقون (يُكَذِّبُونَ) بضمها مشدداً. انظر: السبعة، ص ١٤٣، والتيسير، ص ٦٠، والنشر، ٢/٢٣٧، وتحبير التيسير، ص ٢٨٢.

(٣) جامع البيان، ١/٢٨٤، وحجة أبي زرعة، ص ٨٧–٨٩، والتحرير والتنوير، ١/٢٧٩.

(٤) حجة ابن خالويه، ص ٦٨.

الله، أو بمعنى (فَعَلَ)، نحو: سافر، أو الدلالة على الموالاة، نحو: تابعت القراءة، وواليت الصوم.(١)

وقد وقع تبادل القراءات بين صيغة (فَعَلَ) و(فَاعَلَ) في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، وأفاد جميعها التبادل بين معنى الفعل ومعنى المفاعلة على خلاف بين المفسرين، وموجهي القراءات في بعض المواضع، منها على سبيل المثال: اختلاف القراء في قراءة الفعل (قتل) بين صيغتي (فَعَلَ) و(فَاعَلَ) في الآيات الآتية:

١ - ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة/١٩١] في المواضع الثلاثة الأولى من هذه الآية.(٢)

٢ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة آل عمران/٢١] في الموضع الثاني من الآية.(٣)

٣ - ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران/١٤٦].(٤)

٣ - ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [سورة محمد/٤].(٥)

وقد ترتَّب على اختلاف القراء في الصيغ الصرفية التي قرئت بها الكلمات تعدد معاني الآيات المذكورة ودلالاتها، حيث أفادت قراءة الفعل (قتل) بصيغة المفاعلة في سورة البقرة النهي عن قتال الكفار في المسجد الحرام ومقدمات القتل، ودلت القراءة الأخرى على النهي عن القتل.(٦)

---

(١) المفتاح في الصرف، ص ٤٩، والمفصل في صنعة الإعراب، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)، تح: د. علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١/١٩٩٣م، ص ٣٧٣، وشرح ابن عقيل، ٢٦٣/٤، وحاشية الصبان، ٣٤٢/٤.

(٢) قرأ الأخوان وخلف (ولا تَقْتُلُوهُم، حتى يَقْتُلُوكُم، فإن قَتَلُوكُم) بحذف الألف فيهن، وقرأ الباقون (وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ، يُقَاتِلُوكُمْ، فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ) بإثبات الألف. انظر: السبعة، ص ١٧٩–١٨٠، والتيسير، ص ٦٤، والنشر، ٢٥٨/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٠٢.

(٣) قرأ حمزة (وَيُقَاتِلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ) بالألف مع ضم الياء وكسر التاء، من القتال، وقرأ الباقون (وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ) بغير ألف مع فتح الياء وضم التاء من القتل. انظر: السبعة، ص ٢٠٣، والنشر، ٢٧٢/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٢٠.

(٤) قرأ الكوفيون وابن عامر وأبو جعفر ﴿قَاتَلَ مَعَهُ﴾ بالألف وفتح القاف والتاء، وقرأ الباقون ﴿قُتِلَ مَعَهُ﴾ بضم القاف وكسر التاء من غير ألف. انظر: السبعة، ص ٢١٧، والغاية في القراءات العشر، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني (٣٨١هـ)، تح: محمد غياث الجنباز، دار الشوَّاف، الرياض، ط١٤١١/٢هـ-١٩٩٠م، ص ٢١٨، والتيسير، ص ٧٠، والنشر، ٢٧٦/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٢٧.

(٥) قرأ حفص والبصريان (وَالَّذِينَ قُتِلُوا) بضم القاف وكسر التاء من غير ألف، وقرأ الباقون (وَالَّذِينَ قَاتَلُوا) بفتحهما وألف بينهما. انظر: السبعة، ص ٦٠٠، والغاية، ص ٣٩٤، والتيسير، ص ١٢٩، والنشر، ٤١٣/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٥٨.

(٦) حجة أبي زرعة، ص ١٢٧–١٢٨، والبحر المحيط، ٧٤/٢، والدر المصون، ٣٠٧/٢، واللباب، ٣٤٤/٣.

وأفادت صيغة (فعَلَ) في آية آل عمران في الموضع الأول استحقاق الكفار العذاب الأليم على قتل الأنبياء وقتل الذين يأمرون بالقسط، وأفادت القراءة المتوافقة مع صيغة (فَاعَلَ) استحقاقهم العذاب الأليم بسبب قتلهم الأنبياء وقتالهم الذين يأمرون بالقسط.(١)

أما قراءتا الموضع الثاني من آل عمران فاختلف المفسرون وموجهو القراءات في أيهما أبلغ، فذهب أبو زرعة(٢) إلى أن قراءة ﴿قَاتَلَ مَعَهُ﴾: "أبلغ في مدح الجميع من معنى ﴿قُتِلَ﴾؛ لأن الله إذا مدح من قُتِل خاصة دون من قاتل لم يدخل في المديح غيرهم، فمدح من قاتل أعم للجميع من مدح من قتل دون من قاتل؛ لأن الجميع داخلون في الفضل وإن كانوا متفاضلين."(٣)

وذهب أبو حيان إلى أن القراءة: "﴿قُتِلَ﴾ يظهر أنها مدح، وهي أبلغ في مقصود الخطاب؛ لأنها نص في وقوع القتل، ويستلزم المقاتلة. و﴿قَاتَلَ﴾ لا تدل على القتل؛ إذ لا يلزم من المقاتلة وجود القتل، فقد تكون مقاتلة ولا يقع قتل."(٤)

وذهب الإمام الطبري إلى ترجيح هذه القراءة محتجاً بمناسبتها لسياق الآيات السابقة، فقال: "وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب، قراءة من قرأ بضم القاف ﴿قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾؛ لأن الله عز وجل إنما عاتب بهذه الآية والآيات التي قبلها من قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ [سورة آل عمران/ ١٤٢]، الذين انهزموا يوم أُحُد، وتركوا القتال، أو سمعوا الصائح يصيح: "إن محمدًا قد قتل". فعذلهم الله عز وجل على فرارهم وتركهم القتال، فقال: أفئن مات محمد أو قتل، أيها المؤمنون، ارتددتم عن دينكم وانقلبتم على أعقابكم؟ ثم أخبرهم عما كان من فعل كثير من أتباع الأنبياء قبلهم، وقال لهم: هلا فعلتم كما كان أهل الفضل والعلم من أتباع الأنبياء قبلكم يفعلونه إذا قُتل نبيهم من المضي على منهاج نبيهم، والقتال على دينه أعداءَ دين الله، على نحو ما كانوا يقاتلون مع نبيهم، ولم تهنوا ولم تضعفوا، كما لم يضعف الذين كانوا قبلكم من أهل العلم والبصائر من أتباع الأنبياء إذا قُتل نبيهم، ولكنهم صَبروا لأعدائهم حتى حكم الله بينهم وبينهم؟"(٥)

---

(١) جامع البيان، ٢٨٤/٦، والبحر المحيط، ٤٣٠/٢، وروح المعاني، ١٠٩/٣.

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، عالم بالقراءات كان قاضياً مالكياً. قرأ على أحمد بن فارس كتابه (الصاحبي) سنة ٣٨٢هـ، وصنف: حجة أبي زرعة، وشرف القراء في الوقف والابتداء. توفي حوالي سنة ٤٠٣هـ رحمه الله. انظر: الأعلام، ٣٢٥/٣.

(٣) حجة أبي زرعة، ص ١٧٦، والمحرر الوجيز، ٥٢٠/١.

(٤) البحر المحيط، ٧٩/٣.

(٥) جامع البيان، ٢٦٤/٧–٢٦٥.

وأرى أن ترجيح إحدى القراءتين لمعناها ومناسبة السياق، ووصف إحدى القراءتين بكونها أبلغ أو أمدح ابتعاد بهما عن المقصود؛ لأن لكل قراءة غاية هي غير غاية القراءة الأخرى، وأتابع في ذلك الإمام الرازي الذي ذهب إلى أن المعنى على القراءة ﴿قُتِلَ﴾: أن كثيراً من الأنبياء قُتِلوا والذين بقوا بعدهم ما وهنوا في دينهم بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم، فكان ينبغي أن يكون حالكم يا أمة محمد هكذا، أي: إنَّ المقصود من هذه القراءة حكاية ما جرى لسائر الأنبياء لتقتدي هذه الأمة بهم، ويجب أن يكون المذكور قتل سائر الأنبياء لا قتالهم. ومعنى القراءة ﴿قَاتَلَ مَعَهُ﴾: وكم من نبي قاتل معه العدد الكثير من أصحابه، فأصابهم من عدوهم قرح، فما وهنوا؛ لأن الذي أصابهم إنما هو في سبيل الله، وإقامة دينه، ونصرة رسوله، فكذلك ينبغي أن تفعلوا مثل ذلك يا أمة محمد، والمراد من هذه الآية: ترغيب الذين كانوا مع النبي ﷺ في القتال، فوجب أن يكون المذكور هو القتال.(١)

أما القراءة (قُتِلُوا) في سورة محمد فخصَّت الشهداء في سبيل الله بحسن الجزاء وإصلاح شأنهم في الآخرة ودخول الجنة، وأفادت القراءة (قَاتَلُوا) استحقاق المؤمنين حسن الجزاء؛ بسبب جهادهم في سبيل الله واشتراكهم في قتال الكفار.

وكذلك اختلف المفسرون في أيهما أمدح، فذهب بعضهم إلى أن القراءة (قُتِلُوا) نزلت فيمن قُتل يوم أحد من المؤمنين، ولذلك كانت "أقوى في المعنى وأعم في الفضل، وأمدح للمخبَر عنه."(٢)

وذهب جمهور المفسرين وموجهي القراءات إلى أن الآية على قراءة (قَاتَلُوا) أعم ثواباً وأبلغ للممدوح بالجهاد في سبيل الله؛ لأنه رتَّب بها الوعد للمقاتل في سبيله وإن لم يَقْتُل ولم يُقْتَل، وجعلت القراءة (قُتِلُوا) الوعد لمن قُتِل دون من قاتل.(٣) وهي أليق وأنسب لنظم الآية؛ لأن الآيات بعدها ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [سورة محمد/٥-٦] حيث أخبر الله ﷻ أنه يهديهم ويصلح بالهم بعدما أخبر عنهم بالقتال في سبيله، فلو كان المراد من الكلام القتل لم يكن في ظاهر قوله: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ كبير معنى؛ لأنهم قُتِلوا، بل يدل النظم والسياق على أنه وَعَدَهم الهداية وإصلاح البال جزاء لهم في الدنيا على قتالهم أعداءهم، وأن يدخلهم الجنة في

---

(١) حجة الفارسي، ٣/٨٣-٨٤، ومفاتيح الغيب، ٩/٢٢.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، للإمام مكي بن أبي طالب بن مختار القيسي (٤٣٧هـ)، تح: د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥/ ١٤١٨هـ ١٩٩٧م، ٢/٢٧٦، والمحرر الوجيز، ٥/١١١.

(٣) حجة الفارسي، ٦/١٩٠، ومعالم التنزيل، ٧/٢٨٠، والمحرر الوجيز، ٥/١١١، ومفاتيح الغيب، ٢٨/٤١-٤٢، وفتح القدير، ٥/٤٣، والتحرير والتنوير، ٢٦/٧١.

الآخرة.[1]

ويمكن التوفيق بين جميع الآراء دون اللجوء إلى منهج الترجيح، بأن يقال: إنَّ كل قراءة من القراءات المذكورة في الآيات الآنفة فيها ملحظ بلاغي غير ملحظ القراءة الأخرى، والقراءات بمجموعها تحقق مبدأ الإيجاز الذي هو العلة الكبرى لتغاير دلالات بعض القراءات.

وأشير هنا إلى أنه لا بأس فيما ذهب إليه بعض المفسرين من الحكم على بعض القراءات بأنها أبلغ، إذا لم يؤد هذا الحكم إلى إلغاء أو إسقاط القراءات الأخرى؛ لأنه حكمٌ مبني على النظر في نظم القرآن الذي يقضي بتقارب معاني بعض القراءات من المعنى الكلي الذي يدل عليه سياق الآيات. وإن كان الأجدر بهم ألا يسلكوا مسلك الترجيح في مثل هذه الحالة؛ لأن جميع القراءات هي كلام الله ﷻ، ولكل وجه من الوجوه المتنوعة ملحظ بلاغي ومعنوي يقوي صلته بنظم القرآن، ولو أنهم حاولوا التماس الحجج لكل قراءة من القراءات المتنوعة لن يعدموا الدليل والبرهان والحجة اللغوية الظاهرة. وأرى أنه لا يوجد قراءة أبلغ من غيرها، بل الأبلغ من الجميع هو تعدد القراءات التي تؤلف باجتماعها نظرية دلالية متكاملة.

ومن الأمثلة التي وقع فيها التبادل بين صيغتي (فَعَلَ) و(فَاعَلَ): اختلاف القراء في قراءة الفعل ﴿دَرَسْتَ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام/١٠٥]. حيث قرأ الجمهور ﴿دَرَسْتَ﴾ بدون ألف وبفتح التّاء، على وزن (فَعَلْتَ)، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿دَارَسْتَ﴾ بالألف، على صيغة المفاعلة وبفتح التّاء،[2] ومعنى قراءة الجمهور: درسْتَ وتلقَّيتَ هذه الآيات من الكُتُب، ومما سمعته من أهل الكتاب حتى حصل لك العلم بها. ومعنى القراءة الأخرى: دارسْتَ أهل الكتاب ودارسوك، وذاكرتهم في علمهم وذاكروك، وقرأت عليهم وقرؤوا عليك، حتى حصل لك هذا العلم. والمفاعلة في هذه القراءة على بابها، وتدل على اشتراك الفاعل والمفعول في معنى الفعل.[3]

والفرق بين القراءتين يتجلى في لزوم المشاركة، فقراءة الجمهور لا تشترط المشاركة، وقراءة ابن كثير تشترط المشاركة؛ لأنها تستلزم المفاعلة بين طرفين: العالم والمتعلِّم، فالنبي ﷺ في قراءة ابن كثير يتلقى عن أهل الكتاب

---

(١) حجة أبي زرعة، ص ٦٦٦–٦٦٧.

(٢) السبعة، ص ٢٦٤، والمبسوط، ص ٢٠٠، والنشر، ٢/٢٩٤، وتحبير التيسير، ص ٣٦١.

(٣) النكت والعيون، ٢/١٥٤، والموضِّح، ١/٤٩١، والجامع لأحكام القرآن، ٧/٥٨، والبحر المحيط، ٤/٢٠٠، والتحرير والتنوير، ٦/٢٥٨، وأضواء البيان، ١/٤٩٠.

ويتلقّون عنه، وهو في قراءة الجمهور عاكف على قراءة أخبار السالفين وكتبهم.[1]

والأمثلة الآنفة الذكر تؤكّد أن التبادل التصريفي بين صيغ الثلاثي المجرّد وصيغة (فَاعَلَ) يدل على بلاغة نظم القرآن الذي أجرى التعدد في القراءات القرآنية، فأفاد بكلمة واحدة مختلفة التصريف معاني الأفعال مجردة من أي زيادة معنوية، كما أفاد معنى وقوع المشاركة والمفاعلة بين اثنين، وبالتالي أدى تنوع القراءات في جميع الآيات المذكورة إلى تعدد دلالات الآيات واتساع معانيها.

وتجدر الإشارة إلى أن المفسرين يفسّرون قراءات صيغة (فاعَل) بالمفاعلة في كل موضع لا يحيل نظم الآيات ودلالاتها هذا التفسير، أما المواضع التي يكون فيها الله ﷻ أحد طرفي المفاعلة،[2] فيحاول بعض المفسرين التماس وجوه تفسيرية يمكن تخريج القراءة بها على معنى يتوافق ومعنى المفاعلة، ويتوقف آخرون فيحملون القراءات على غير معنى المفاعلة، كالتأكيد، والمبالغة، وغير ذلك.

فعلى سبيل المثال: حاول بعض المفسرين ردَّ الإشكال الذي في صيغة المفاعلة على القراءة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [سورة الحج/٣٨]،[3] فذكروا أن المدافعة مفاعلة، وهي عبارة عن كون كل واحد من المدافعين دافعاً لصاحبه ومانعاً له من فعله، ولما تعذر وجود المدافعة من العبد في حق الله ﷻ؛ لأن هذا الأمر محال؛ لاستحالة وجود شريك لله ﷻ في القوة والقدرة كان لا بد من صرف صيغة المفاعلة عن بابها.

وقد اجتهد المفسرون في بيان وجه المفاعلة في هذه القراءة، فذهب ابن عطية إلى حمل قراءة (يُدَافِعُ) على معنى المفاعلة مجازاً؛ محتجّاً بأنَّه "قد عَنَّ للمؤمنين من يدفعهم ويؤذيهم، فتجيء معارضته ودفعه مدافعة عنهم."[4] أي: إنَّ وجه المفاعلة هو: أن الكفار يستعملون كل ما في إمكانهم للإضرار بالمؤمنين وإيذائهم، والله ﷻ يدفع كيدهم عن المؤمنين، وبهذا الاعتبار كان التعبير بالمفاعلة في القراءة: (يُدَافِعُ).[5]

---

(١) الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة، د.أحمد بن محمد الخراط، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ط./١٤٢٦هـ، ص ١٢٣.

(٢) منها اختلاف القراء في قراءة (واعدنا) في الآيات الآتية: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [سورة البقرة/٥١]، ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ [سورة الأعراف/١٤٢]، ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ﴾ [سورة طه/٨٠]، واختلافهم في قراءة الفعل (يدفع) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [سورة الحج/٣٨].

(٣) قرأ ابن كثير والبصريان (يدفع) بفتح الياء والفاء وإسكانها الدال من غير ألف، وقرأ الباقون (يُدَافِعُ) بضم الياء وفتح الدال وألف بعدها مع كسر الفاء. انظر: السبعة، ص ٤٣٧، والتيسير، ص ١٠٦، والمبهج، ص ٦٥٦، والنشر، ٣٦٦/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٧١.

(٤) المحرر الوجيز، ١٢٤/٤. وقد استحسنه بعض المفسرين. انظر: البحر المحيط، ٣٤٦/٦، والدر المصون، ٢٨١/٨، واللباب، ٩٩/١٤.

(٥) أضواء البيان، ٢٦٢/٥.

وذهب جمهور المفسرين إلى صرف المفاعلة عن بابها، ثم اختلفوا: فذهب بعض المفسرين إلى أنَّ الفعل المزيد هنا بمعنى المجرَّد؛ نحو: جاوزت المكان، وعاقبت اللص، وسافرت، ونحو ذلك، فإن (فَاعَل) في جميع ذلك بمعنى المجرَّد، وعليه فإن قراءة (يدافع) بمعنى: (يدفع)، أي: إن الله يدفع غائلة المشركين عن الذين آمنوا، فلا يقدرون أن يعوقوهم عن شيء من عبادة الله، بل ينصرهم ويؤيدهم.(١)

وذهب آخرون إلى أن صيغة المفاعلة في الفعل المزيد تفيد المبالغة والقوة في الدفع، أي: إنَّ الله يبالغ في الدفع عن المؤمنين، كما يبالغ مَن يغالَبُ فيه.(٢)

ورأى بعض المفسرين أن صيغة المفاعلة تدل على تكرير الدفع؛ حيث تُجُرَّد الصيغة عن معنى وقوع الفعل المتكرر من الجانبين، ويبقى معنى تكرره من جانب واحد، كما في الممارسة، أي: يبالغ الله في دفع أضرار المشركين، ومن جملتها صدهم عن سبيل الله، ويدفعها عنهم مرة بعد أخرى، بحسب تجدد قصد الإضرار بالمسلمين.(٣)

يتبين مما سبق من الأمثلة أن التبادل بين صيغة الفعل المجرد وأحد صيغ الزيادة أدى إلى تعدد معنى الفعل وتردده بين معناه الأصلي والمعنى الذي أفادته صيغة الزيادة، وهذا من بلاغة الإيجاز، وهو الأثر الذي يلقيه تنوع الصيغ الصرفية للقراءات على نظم القرآن.

ثانياً: التنوع التصريفي للقراءات بين صيغ الثلاثي ومزيدها بحرفين.

وقع التبادل التصريفي للقراءات بين صيغ الثلاثي ومزيدها بحرفين في بعض المواضع، وجرى بين صيغ الثلاثي وصيغ مزيده الآتية: (افْتَعَلَ، تَفَاعَلَ، تَفَعَّلَ)، غير أنه لم يؤدِ إلى تعدد معنى الفعل وتردده بين معناه الأصلي والمعنى الذي أفادته صيغة الزيادة إلا في بعض المواطن، منها: التبادل التصريفي في قراءة الفعل (حضَّ) بين صيغتي (فَعَلَ) و(تَفَاعَلَ) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [سورة الفجر/١٨].

---

(١) معالم التنزيل، ٥/٣٨٨، والمحرر الوجيز، ٤/١٢٤، والموضِّح، ٢/٨٨١، وزاد المسير، ٥/٤٣٥، والجامع لأحكام القرآن، ١٢/٦٧، والبحر المحيط، ٦/٣٤٦، والدر المصون، ٨/٢٨١، واللباب، ١٤/٩٨، والبحر المديد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي (١٢٢٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢/١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ٤/٤١٦، وأضواء البيان، ٥/٢٦١.

(٢) الكشاف، ٣/١٦١، ومفاتيح الغيب، ٢٣/٣٤، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (٧١٠هـ)، تح: مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت، د.ط./٢٠٠٥م، ٣/١٠٥، والدر المصون، ٨/٢٨١، واللباب، ١٤/٩٩، وإرشاد العقل، ٦/١٠٨، والبحر المديد، ٤/٤١٦، وروح المعاني، ١٧/١٦١، والتحرير والتنوير، ١٧/١٩٦، والتفسير المنير، ١٧/٢٢٤.

(٣) حجة أبي زرعة، ص ٤٧٨، وإرشاد العقل، ٦/١٠٨، والبحر المديد، ٤/٤١٦، وروح المعاني، ١٧/١٦١.

وذكر بعض موجهي القراءات أن الاختلاف في القراءة بين (تَحُضُّونَ) و(يَحُضُّونَ) من (حضَّ) على وزن (فَعَلَ) و(تَحَاضُّونَ)[1] من (تحاضَّ) على وزن (تَفَاعَلَ) له أثر دلالي في الآية؛ لأن معنى الآية على قراءتي (تَحُضُّونَ) و(يَحُضُّونَ): ذم الناس الذين لا يأمرون بإطعام المساكين، ولا يحضُّون أو يبعثون الآخرين عليه، ومعنى الآية على قراءة (تَحَاضُّونَ): ذم الناس الذين لا يتحاضون فيما بينهم على إطعام المسكين، أي: لا يحض بعضهم بعضاً على هذا الفعل، فالفرق بين معاني القراءات هنا هو فقط فيما تمليه صيغة (يَتَفَاعَل) من معنى المشاركة والمفاعلة.[2]

وتجدر الإشارة إلى أن عدم تعدد معنى القراءات التي ترددت بين صيغ الثلاثي ومزيدها بحرفين في بعض المواضع أمر يرجع إلى نظم القرآن وسياقه الذي لا يحتمل تعدد معاني الأفعال المذكورة إلا بتكلُّف لا يتناسب وبلاغة النظم؛ لما في حمل القراءات المتوافقة مع صيغ (افْتَعَلَ، تَفَاعَلَ، تَفَعَّلَ) على معاني هذه الصيغ من تكلُّفٍ وليٍّ لأعناق الآيات.[3]

---

(١) قرأ البصريان (يَحُضُّونَ) بالياء من غير ألف، وقرأ الحرميان وابن عامر (تَحُضُّونَ) بالتاء من غير ألف، وقرأ الكوفيون وأبو جعفر (تَحَاضُّونَ) بالتاء والألف، وأصلها تتحاضون، حُذِفَت التاء الثانية تخفيفاً. انظر: السبعة، ص ٦٨٥، والنشر، ٤٤١/٢، وتحبير التيسير، ص ٦١٢.

(٢) حجة ابن خالويه، ص ٣٧١، وحجة أبي زرعة، ص ٧٦٢، والكشف عن وجوه القراءات، ٣٧٢/٢–٣٧٣، وإبراز المعاني، ٧٢٣/٢.

(٣) من أمثلة التبادل بين صيغ الثلاثي و(افْتَعَلَ) الاختلاف في الفعل (تَبِعَ) في الآيات الآتية: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ [سورة الأعراف/١٩٣]، ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [سورة الشعراء/٢٢٤]. ومن أمثلة التبادل بين صيغ الثلاثي و(تَفَاعَلَ) قراءات (يَصَّعَّدُ) في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [سورة الأنعام/١٢٥]. ومن أمثلة التبادل بين صيغ الثلاثي و(تَفَعَّلَ) قراءات (تَلْقَفُ) في الآية: ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [سورة الأعراف/١١٧، الشعراء/٤٥]. وجمهور المفسرين على أن القراءات في هذه الآيات بمعنى واحد، وإن وجِد فرق بين القراءتين فهو في معنى المبالغة فقط؛ لأن السياق والنظم يدل على اتحاد معنى القراءتين. راجع: اختلاف البنية الصرفية، ص ١٤٤–١٥٢. وقد أفادت القراءات المتوافقة مع صيغتي (افْتَعَلَ، تَفَعَّلَ) في هذه الآيات معنى المبالغة فقط، دون ما يلزم عن هذه الصيغ من معانٍ أخرى، كالتعدية أو المطاوعة، وحمل القراءات المتوافقة مع صيغتي (افْتَعَلَ، تَفَعَّلَ) على غير معنى المبالغة فيه تكلُّف في التفسير، وليٌّ لأعناق الآيات.

المطلب الثاني: التنوع التصريفي للقراءات بين صيغ مزيد الثلاثي.

وقع التنوع التصريفي بين صيغ مزيد الثلاثي في القراءات المتواترة في بعض آيات القرآن الكريم، فأغنى هذا التنوع نظم القرآن بالمعاني التي تستفاد من معنى الفعل المجرَّد، ومن معاني الزيادة التي تستفاد من القراءات الجارية على أكثر من صيغة من صيغ مزيد الثلاثي.

وقد سبق في المطلب الأول دراسة التغاير التصريفي للقراءات بين صيغ الثلاثي ومزيدها، وسأتناول بالدراسة في هذا المطلب صور التبادل التصريفي للقراءات بين صيغ مزيد الثلاثي.

أولاً: التنوع التصريفي للقراءات بين صيغ مزيد الثلاثي بحرف ومزيده بحرف أو حرفين:

وقع التبادل التصريفي للقراءات بين صيغ مزيد الثلاثي بحرف ومزيده بحرف أو حرفين في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، وجاء على خمسة صور هي: (التبادل بين فَعَّلَ وأَفْعَلَ، بين فَعَّلَ وفَاعَلَ، بين أَفْعَلَ وتَفَاعَلَ، بين أَفْعَلَ وافْتَعَلَ، بين فاعَلَ وتَفاعَلَ[1]) وأدى هذا التغاير والتبادل التصريفي إلى تعدد معنى الفعل وتردده بين معناه الأصلي والمعنى الذي أفادته صيغ الزيادة في المواضع التي احتمل فيها نظم الآيات وسياقها تعدد المعاني.

١ – التبادل بين (فَعَّلَ) و(أَفْعَلَ):

لكلٍ من صيغتي (فَعَّلَ) و(أَفْعَلَ) معانٍ تدلُّ عليها غالباً أو تحمل عليها في كثير من الأحيان، وقد أشرت إليها في المطلب السابق، وأشير هنا إلى أن هاتين الصيغتين تشتركان في كثير من المعاني، كالتعدية والسلب وغيرهما، مما يؤدي إلى اتحاد معاني القراءات المتبادلة بين هاتين الصيغتين إلا في المواضع التي يدل فيها النظم والسياق على حمل كل صيغة من الصيغ على معنى غير معنى الصيغة الأخرى.

فعلى سبيل المثال اختلف القراء في قراءة الفعل (وَصَّى) في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة/١٣٢] على وجهين: (وَصَّى) على وزن (فَعَّلَ)، و(أَوْصَى) على وزن (أَفْعَلَ).[2]

---

(١) وقع التبادل التصريفي بين صيغ مزيد الثلاثي بحرف ومزيده بحرفين في قراءة الفعل (تُسَاقِطْ) من قوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [سورة مريم/٢٥]، والذي تردد بين صيغتي: (فاعَلَ) و(تَفاعَلَ)، ولم يكن لهذا الاختلاف أثر دلالي في الآية لذلك طويت ذكره. راجع: اختلاف البنية الصرفية، ص ١٦٦–١٦٧.

(٢) قرأ المدنيَّان وابن عامر (وأَوْصَى) بالألف مخففاً، وقرأ الباقون (ووَصَّى) بغير ألف مشدداً. انظر: السبعة، ص ١٧١، والمبسوط، ص ١٣٧، والتيسير، ص ٦٢، والنشر، ٢/٢٥٣، وتحبير التيسير، ص ٢٩٥.

والقراءتان بمعنى واحد عند بعض المفسرين وهو التوصية،[1] وذهب جمهور المفسرين وموجهي القراءات إلى أن القراءتين على الصيغتين تفيدان معنى التعدية، وصيغة فَعَّلَ تفيد معنى التكرير والتكثير بالإضافة إلى معنى التعدية؛[2] لأن أوصى يكون للقليل والكثير، ووصَّى لا يكون إلا للكثير، ولذلك دلَّت القراءة بصيغة (فَعَّلَ) على اهتمام يعقوب عليه السلام بحض أبنائه على التمسُّك بدين الإسلام؛ لأن أوصى جائز أن يكون مرة، ووصَّى لا يكون إلا مرات كثيرة، مما يدل على توصيته إياهم بذلك مراراً، وبذلك تكون القراءة بصيغة فَعَّلَ أوسع دلالة من القراءة بصيغة أَفْعَلَ؛[3] لأنها تضيف إلى الآية معنى جديداً، هو الدلالة على تكرار الوصية.

وتنوُّع القراءات هنا يدل على اتصاف النظم بمزية الإيجاز؛ لأنه يدلُّ بكلمة واحدة على اهتمام يعقوب عليه السلام بأصل الوصية، ويدل على حرصه عليه السلام على تنفيذها من خلال كثرة التوصية، وتكرار الوصية.

وكذلك اختلف القراء في قراءة الفعل (أمسك) من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [سورة الأعراف/١٧٠]، وقوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ [سورة الممتحنة/١٠] على وجهين: (يُمَسِّكُونَ)، (وَلَا تُمَسِّكُوا) من (مَسَّكَ) على وزن (فَعَّلَ)، و(يُمْسِكُونَ)،[4] (وَلَا تُمْسِكُوا) من (أَمْسَكَ) على وزن (أَفْعَلَ).[5]

وجمهور المفسرين على أن القراءتين بمعنى واحد، وكلَّها تدل على التعلُّق والاعتصام بكتاب الله سبحانه وتعالى،[6]

---

(١) حجة الفارسي، ٢/٢٢٧–٢٢٨، ومعالم التنزيل، ١/١٥٣، والموضِّح، ١/٣٠٢، وإبراز المعاني، ١/٣٤٦.

(٢) جامع البيان، ٣/٩٦، والكشف، ١/٢٦٥، والمحرر الوجيز، ١/٢١٣، ، وزاد المسير، ١/١٤٩، ومفاتيح الغيب، ٤/٦٦، والجامع لأحكام القرآن، ٢/١٣٥، والبحر المحيط، ١/٥٦٨، والدر المصون، ٢/١٢٤، واللباب، ٢/٥٠١، والبحر المديد، ١/١٤٢، وروح المعاني، ١/٣٨٩.

(٣) حجة أبي زرعة، ص ١١٥، والنكت والعيون، ١/١٩٣، وأنوار التنزيل، ١/٤٠٤، وإرشاد العقل، ١/١٦٣، وحاشية القونوي عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي (١١٩٥هـ) على تفسير الإمام البيضاوي (٦٨٥هـ)، ومعه حاشية ابن التمجيد مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي (٨٨٠هـ)، تح: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٢٢هـ–٢٠٠١م، ٤/٢٥٣.

(٤) قرأ شعبة (يُمْسِكُونَ) بسكون الميم وتخفيف السين، وقرأ الباقون (يُمَسِّكُونَ) بفتح الميم وتشديد السين. انظر: السبعة، ص ٢٩٧، والتيسير، ص ٨٣، والعنوان، ص ٩٨، وتحبير التيسير، ص ٣٨٠. وسها ابن الجزري فنسب قراءة (يُمْسِكُونَ) إلى أبي جعفر وإنما هي لأبي بكر عن عاصم. انظر: النشر، ٢/٣٠٨.

(٥) قرأ البصريان (وَلَا تُمَسِّكُوا) مشدداً، والباقون (وَلَا تُمْسِكُوا) مخففاً. انظر: السبعة، ص ٦٣٤، والتيسير، ص ١٣٤، والكفاية الكبرى في القراءات العشر، لأبي العز محمد بن الحسين بن بندار القلانسي (٥٢١هـ)، تح: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة، طنطا، ط١/١٤٢٣هـ–٢٠٠٣م، ص ٣٠٠، والنشر، ٢/٤٢٧، وتحبير التيسير، ص ٥٨٠.

(٦) معالم التنزيل، ٣/٢٩٧، والمحرر الوجيز، ٢/٤٧٣، والموضِّح، ٢/٥٦٣، وزاد المسير، ٣/٢٨٢، والبحر المحيط، ٤/٤١٦، والدر =

وذهب بعضهم إلى أن القراءة بصيغة فَعَّلَ تفيد التكرير والتكثير، وهي أوقع في المعنى من قراءة التخفيف؛ لأن فيها معنى تكرير التمسُّك بكتاب الله تعالى ودينه، وهي أليق بالسياق ونسق الآية؛ لأنها في مقام المدح، ولأن التمسك بكتاب الله ودينه يحتاج إلى الملازمة والتكرير.(١) كما أنَّ التكثير يدلُّ على أنَّ المتمسِّكين بكتاب الله ﷻ يؤمنون به كله، أي: لا يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعضه.(٢)

وقد ورد الفعل (أمسك) على وزن (أفعل) في القرآن الكريم بصيغه المختلفة في عشرة مواضع(٣) لم يختلف القراء في قراءتها على صيغة (أفعل) إلا في هذين الموضعين. وأرى أن ذلك أمر يرجع إلى نظم وسياق الآيات التي ورد فيها هذا الفعل؛ لأن معظم الآيات ورد فيها الفعل أمسك في سياق إمساك الله ﷻ للسماء أن تقع على الأرض، أو للنفس التي كُتِبَ عليها الموت ألا تموت، أو للطير باسطات أجنحتها في جو السماء أن تقع، أو للرحمة أن تُحبَس عن العباد، وهذه السياقات جميعها لا تحتاج إلى معنى التأكيد والتكرير الذي تفيده صيغة (فَعَّلَ)؛ لأن معنى التقوية والتأكيد ينبع من مضمون الآيات وصميمها؛ لأن فاعل الإمساك في جميعها هو الله ﷻ القادر على كل أمر عظيم.

وقد دلَّ الاستقراء على أن تبادل القراءات بين صيغتي فعَّلَ وأَفْعَلَ أكثر ما يكون بمعنى واحد،(٤) وإن وجِد فرق بين القراءتين فهو في معنى التكرير والتكثير الذي تدل عليه صيغة (فَعَّلَ).(٥)

٢ – التبادل بين (فَعَّلَ) و(فَاعَلَ):

تدل صيغتي (فَعَّلَ) و(فَاعَلَ) على معانٍ تأتي لها غالباً – سبق بيانها في المطلب السابق – وتشترك الصيغتان في بعض المعاني أهمها التكثير الذي تدل عليه صيغة (فَعَّلَ) غالباً، وتدل عليه صيغة (فَاعَلَ) أحياناً، نحو: ضاعف أجر المجتهد، وكاثر إحسانه عليه، وأشير هنا إلى أن تبادل القراءات بين صيغتي (فَعَّلَ) و(فَاعَلَ) وقع في القرآن الكريم في عدة مواضع، فأفاد اتحاد الصيغتين في معنى التكثير في بعضها نحو: اختلاف القراء في قراءة الفعل (ضَاعَفَ)(٦) في أربع آيات في القرآن الكريم هي: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا

المصون، ٥٠٨/٥، واللباب، ٣٧٤/٩، وروح المعاني، ٩٨/٩.

(١) حجة ابن خالويه، ص ١٦٦، ومفاتيح الغيب، ٣٧/١٥، والجامع لأحكام القرآن، ٣١٣/٧.

(٢) الموضِّح، ٥٦٣/٢.

(٣) هي سورة: البقرة/٢٣١، الأعراف/١٧٠، النحل/٥٩، ٧٩، الحج/٦٥، فاطر/٢، ٤١، الزمر/٤٢، الممتحنة/١٠، والملك/١٩.

(٤) راجع: اختلاف البنية الصرفية، ص ١٥٢–١٦٢.

(٥) المرجع السابق، ص ١٦٢.

(٦) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب (فَيُضَعِّفَهُ، يُضَعِّفْهَا، يُضَعَّفْ) بتشديد العين من غير ألف حيث وقع في القرآن الكريم، =

كَثِيرَةً﴾ [سورة البقرة/٢٤٥]، ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [سورة النساء/٤٠]، ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة الفرقان/٦٩]، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ [سورة الحديد/١١]. حيث ذهب جمهور المفسرين وموجهي القراءات إلى أن القراءتين في هذه الآيات بمعنى واحد، وتشتركان في الدلالة على التكثير والتكرير، سواء أكان التكثير على ضعفين أو على أكثر من ضعف.(١)

وكذلك وردت كلمة (يضاعف) في القرآن في مواضع أخرى(٢) اتفق القراء على قراءتها بصيغة المفاعلة، واتفاق القراء على قراءة الكلمة في بعض المواطن واختلافهم في مواطن أخرى يدل على بلاغة كلمات القرآن وجمالها في نظمها؛ لأن نظم القرآن يجري المعنى الواحد بألفاظ مختلفة القراءة في بعض المواضع، ويفيد بها المعنى ذاته الذي يدل عليه اللفظ دون اختلاف في قراءته في مواضع أخرى، وهذا ومن وجوه التفنن في إيراد اللفظ.

وكذلك وقع التبادل التصريفي بين صيغتي (فَعَّلَ) و(فَاعَلَ) في قراءة الفعل (فَرَّقُوا) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ [سورة الأنعام/١٥٩، وسورة الروم/٣٢] على وجهين: (فَرَّقُوا) من فَرَّقَ على وزن (فَعَّلَ)، و(فَارَقُوا) من فارقَ على وزن (فَاعَلَ).(٣) والقراءة (فَرَّقُوا) من التفريق وهو التقسيم، أي: بدَّدوا دينهم وجزَّؤوه، فآمنوا ببعضه، وأنكروا بعضه، والقراءة (فَارَقُوا) من المفارقة وهي الترك والخروج عن المِلَّة،(٤) والمعنيان متلازمان؛ لأن من فرَّق دينه فآمن ببعض وكفر ببعض، فقد فارق الدين المأمور به.(٥) ومعنى القراءتين متفق مع النظم والسياق اللذين لا يحيلان أياً منهما.

٣ – التبادل بين (أَفْعَلَ) و(تَفَاعَلَ):

يأتي بناء (تَفَاعَلَ) للدلالة على المشاركة – غالباً – بين اثنين، كتسابق الرجلان، أو أكثر، كتصالح القوم.

وقرأ الباقون (فَيُضَاعِفَهُ، يُضَاعِفْهَا، يُضَاعَفْ) بالألف مع التخفيف. انظر: السبعة، ص ٢٣٣، والتيسير، ص ٦٥، والنشر، ٢٦٠/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٠٧.

(١) جامع البيان، ٣٦٦/٨، وحجة ابن خالويه، ص ٩٨، وحجة أبي زرعة، ص ١٣٩، والمحرر الوجيز، ٣٨٢/٤، ومفاتيح الغيب، ١٤٣/٦، والجامع لأحكام القرآن، ٢٤٢/٣، والبحر المحيط، ٢٦٢/٣، والتحرير والتنوير، ٤٦٠/٢.

(٢) انظر الآيات في سورة البقرة/٢٦١، هود/٢٠، الأحزاب/٣٠، الحديد/١٨، والتغابن/١٧.

(٣) قرأ الأخوان (فَارَقُوا) بالألف مع تخفيف الراء، وقرأ الباقون (فَرَّقُوا) بغير ألف مع التشديد في الآيتين. انظر: السبعة، ص ٢٧٤، والتيسير، ص ٧٩، والنشر، ٣٠١/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٦٧.

(٤) إعراب القراءات السبع وعللها، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (٣٧٠هـ)، تح: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١/ ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، ١٧٣/١، وحجة الفارسي، ٤٣٨/٣، وحجة أبي زرعة، ص ٢٧٨، والنكت والعيون، ٣١٣/٤، ومعالم التنزيل، ٢٠٨/٣، والمحرر الوجيز، ٣٦٧/٢، وإبراز المعاني، ٤٦٩/٢، والجامع لأحكام القرآن، ١٤٩/٧، وأنوار التنزيل، ٤٧٠/٢، والبحر المحيط، ٢٦٠/٤، وتفسير القرآن العظيم، ٣١٦/٦.

(٥) جامع البيان، ٢٦٨/١٢–٢٦٩، والموضِّح، ٥١٥/١، ومفاتيح الغيب، ٧/١٤، والتحرير والتنوير، ١٤٤/٧.

ويدل بناء (تَفَاعَلَ) على معان أخرى غير معنى المشاركة، منها: المطاوعة، نحو: باعدته فتباعد، أو إظهار ما ليس واقعاً، نحو: تجاهل، تغافل، وتحالم أي: أظهر الجهل والغفلة والحلم من نفسه، وهي منتفية لديه، أو الدلالة على وقوع الحدث تدريجاً، نحو: تفاقم الأمر، وتواردت الإبل، وتلاحق الثمر، وتنامى، وتكاثر.(١)

وقد وقع التبادل التصريفي بين هاتين الصيغتين في القراءات المتواترة في بعض المواضع، فأدى إلى اتساع الدلالات، وتعدد معنى الآيات التي اشتملت عليه، بسبب تردد معنى الكلمة المختلف في قراءتها بين معنى فعلها المجرد والمعاني التي أفادتها صيغ الزيادة.

فعلى سبيل المثال: اختلف القراء في قراءة الفعل (يُصْلِحَا) في قوله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا﴾ [سورة النساء/١٢٨] على وجهين: (يُصْلِحَا) من أصلح على وزن (أَفْعَلَ)، و(يَصَّالَحَا) من تصالح على وزن (تَفَاعَلَ).(٢)

وقد ترتَّب على هذا الاختلاف في القراءة الاختلافُ في معنى الآية، فقراءة (يُصْلِحَا) جاءت على بناء (أَفْعَلَ) الذي يفيد التعدية ومعنى الآية بناء عليها: لا جناح عليهما في تعيين حكم يوقع بينهما أمراً يرضيان به فتدوم بينهما الصحبة،(٣) أو حث كل واحد من الزوجين على أن يصلح شأنه بما يبدو من وجوه المصالحة،(٤) والقراءة الأخرى (يَصَّالَحَا) من تصالح على وزن (تَفَاعَلَ) تفيد معنى المفاعلة، والمشاركة بين اثنين، وبذلك يكون معنى هذه القراءة: إرشاد كلا الزوجين إلى التصالح، وطي الخلاف الواقع بينهما.(٥)

وذهب بعض المفسرين وموجهي القراءات إلى أن القراءتين بمعنى واحد.(٦)

وأرى أن الرأي الأول أرجح؛ لأن النظم والسياق لا يحيلان حمل كل قراءة على المعنى الذي تدل عليه صيغتها، ولا يوجد مانع شرعي أو لغوي من ذلك، لذا كان إعمال اللفظين أولى من إهمال أحدهما.(٧)

---

(١) المفتاح في الصرف، ص ٥٠، وشرح شافية ابن الحاجب، ١/١٠٠، وشرح ابن عقيل، ٤/٢٦٤.

(٢) قرأ الكوفيون (يُصْلِحَا) بضم الياء وإسكان الصاد وكسر اللام، وقرأ الباقون (يَصَّالَحَا) بفتح الياء والصاد واللام مع تشديد الصاد وإثبات ألف بعدها. انظر: السبعة، ص ٢٣٨، والتيسير، ص ٧٤، والنشر، ٢/٢٨٥، وتحبير التيسير، ص ٣٤٣.

(٣) زاد المسير، ٢/٢١٨.

(٤) التحرير والتنوير، ٤/٢٦٧.

(٥) الكشف عن وجوه القراءات، ١/٣٩٨–٣٩٩، ومعالم التنزيل، ٢/٢٩٤، والمحرر الوجيز، ٢/١١٩–١٢٠، وزاد المسير، ٢/٢١٨، ومفاتيح الغيب، ١١/٥٢–٥٣، والدر المصون، ٤/١٠٨، واللباب، ٧/٥١، والتحرير والتنوير، ٤/٢٦٧.

(٦) جامع البيان، ٩/٢٧٨ – ٢٧٩، والموضِّح، ١/٤٢٨، والجامع لأحكام القرآن، ٥/٤٠٣–٤٠٤.

(٧) الأشباه والنظائر، للإمام تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١١هـ–١٩٩١م، ١/١٧١، والمنثور في القواعد، للإمام أبي عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ)، تح:
=

ومن أمثلة التبادل بين صيغتي (أَفْعَلَ) و(تَفَاعَلَ): الاختلاف في قراءة (ادَّارَكَ) من قوله تعالى: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ [سورة النمل/٦٦] على وجهين: (أَدْرَكَ) على وزن (أَفْعَلَ)، و(ادَّارَكَ) أصلها تدارك، على وزن (تَفَاعَلَ) أدغمت التاء في الدال لتقارب مخرجيهما، فلما سكنت التاء بالإدغام احتيج إلى همزة الوصل، لتعذر البدء بالساكن.(١)

وقد نتج عن تعدد القراءات تنوع وتعدد دلالات الكلمة المختلف فيها، فمعنى القراءة (أَدْرَكَ) بلغ وانتهى، وهي هنا بمعنى الجحد،(٢) كقولك: هذا ما أدركه علمي، أي: بلغه وانتهى إليه، ومعنى هذه القراءة: لم يدرك علمهم الآخرة، أي: لم يعلموا في الدنيا حدوثها.(٣)

ومعنى القراءة (ادَّارَكَ) تلاحق على وزن تفاعل الذي يدل على التدرُّج في الفعل، أي: تلاحق في الآخرة علمهم بأنهم مبعوثون، فما جهلوه في الدنيا أدركوه في الآخرة،(٤) حين لم ينفعهم العلم؛ لأن الناس جميعاً في الآخرة مؤمنون بالبعث، لكن لا ينفع الإيمان يومئذٍ من لم يكن مؤمناً في الدنيا، ولفظ الماضي؛ للدلالة على تحقق الحدوث، وكأنَّ البعث والقيامة قد كان ووقع.(٥)

والقراءتان متقاربتان في المعنى، وفي قراءة (ادَّارَكَ) زيادة دلالية تمليها صيغة (تَفَاعَلَ)، وهذه الزيادة توسِّع معنى الآية، وتدلُ على إيجاز نظم القرآن الذي يعبر من خلال قراءاته عن كثير من المعاني بقليل من الألفاظ.

٤ – التبادل بين (أَفْعَلَ) و(افْتَعَلَ):

يدل بناء (افْتَعَلَ) على المطاوعة غالباً، نحو جمعت القوم فاجتمعوا، وأوقدت النار فاتقدت، ويأتي لمعانٍ أخرى غير المطاوعة، منها: التسبب في الشيء باجتهاد ومبالغة، نحو: اكتسب المال: إذا حصله بسعي وقصد،

د.تيسير فائق أحمد محمود، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط٢/١٤٠٥هـ، ١٨٣/١.

(١) قرأ ابن كثير والبصريان وأبو جعفر (أَدْرَكَ) بقطع الهمزة مفتوحة وإسكان الدال من غير ألف بعدها، وقرأ الباقون (ادَّارَكَ) بوصل الهمزة وتشديد الدال مفتوحة وألف بعدها. انظر: السبعة، ص ٤٨٥، والتيسير، ص ١١٢، والنشر، ٣٧٩/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٩٤.

(٢) معاني الفَرَّاء، ٢٩٩/٢، وحجة أبي زرعة، ص ٥٣٥، ومعالم التنزيل، ١٧٤/٦، والمحرر الوجيز، ٢٦٨/٤، ومفاتيح الغيب، ١٨٨/٢٤، وإبراز المعاني، ٦٣١/٢، وأنوار التنزيل، ٢٧٥/٤، والبحر المحيط، ٨٧/٧–٨٨، والدر المصون، ٦٣٧/٨، وتفسير القرآن العظيم، ٢٠٨/٦، وإرشاد العقل، ٢٩٧/٦.

(٣) الموضِّح، ٩٦٩/٢.

(٤) الكشاف، ٣٨٣/٣–٣٨٤، والمحرر الوجيز، ٢٦٨/٤، وإبراز المعاني، ٦٣١/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٢٢٦/١٣–٢٢٧، والبحر المحيط، ٨٧/٧–٨٨، والدر المصون، ٦٣٧/٨، والبحر المديد، ٢٣٠/٥–٢٣١، وأضواء البيان، ١٢٣/٦.

(٥) الموضِّح، ٩٦٩/٢.

وإن حصل عليه بدون سعي وقصد كالمال الموروث تقول: كسبه، أو بمعنى تفاعل، نحو: اقتتلوا واختصموا.(١)

ومما جاء على صيغتي (أَفْعَلَ) و(افْتَعَلَ) من القراءات: التبادل في قراءة (اتَّبَعَتْهُمْ) من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [سورة الطور/٢١] بين وجهين: (أَتْبَعْنَاهُمْ) من أتبع على وزن (أَفْعَلَ)، و(اتَّبَعَتْهُمْ) من اتَّبع على وزن (افْتَعَلَ).(٢)

وليس لهذا الاختلاف التصريفي كبير أثر في دلالة الآية، فالقراءتان بمعنى واحد؛ لأن بناء (افْتَعَلَ) مطاوعٌ لبناء (أَفْعَلَ)، تقول: أتبعته فاتَّبع، إلا أن هناك فرقاً بين القراءتين وإن اتحدتا في المعنى، وهو أن بناء (افْتَعَلَ) يتعدى إلى مفعول واحد، وبناء (أَفْعَلَ) متعدٍ إلى مفعولين، فلا بد له من مفعول أول يتسبب في حصول المفعول الثاني، وهو هنا (نا) الدالة على لفظ الجلالة على وجه التعظيم، أما المفعول الثاني فهو (ذُرِّيَّتَهُمْ).(٣)

ثانياً: التنوع التصريفي للقراءات بين صيغ مزيد الثلاثي بحرفين.

وقع التبادل التصريفي للقراءات بين صيغ مزيد الثلاثي بحرفين في القرآن على ثلاث صور هي (التبادل بين افعلَّ وتَفَاعَلَ، بين انفعل وتَفَعَّلَ، بين تَفَاعَلَ وافْتَعَلَ(٤)) وأدى هذا التغاير إلى تعدد معنى الفعل وتردده بين معناه الأصلي والمعنى الذي أفادته صيغ الزيادة في المواضع التي احتمل فيها نظم الآيات وسياقها تعدد المعاني.

١ – التبادل بين (افْعَلَّ) و(تَفَاعَلَ):

يأتي بناء (افْعَلَّ) من الأفعال الدالة على لون أو عيب؛ لقصد الدلالة على المبالغة فيها وإظهار قوتها، نحو ابْيَضَّ، واحْمَرَّ، واحْولَّ، واعْوَرَّ،(٥) وقد سبق بيان معاني صيغة (تَفَاعَلَ). وهاتان الصيغتان لا تشتركان في بعض المعاني، لذا ينتج عن تبادل القراءات بينهما تعدد دلالات الكلمات المختلف في قراءتها.

---

(١) المفتاح في الصرف، ص ٥١، وشرح شافية ابن الحاجب، ١٠٨/١، وشرح ابن عقيل، ٢٦٤/٤.

(٢) قرأ أبو عمرو (وأَتْبَعْنَاهُمْ) بقطع الهمزة وفتحها وإسكان التاء والعين ونون وألف بعدها، وقرأ الباقون (واتَّبَعَتْهُمْ) بوصل الهمزة وتشديد التاء وفتح العين وتاء ساكنة بعدها. انظر: السبعة، ص ٦١٢، والغاية، ص ٣٩٩، والتيسير، ص ١٣٠، والنشر، ٤١٧/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٦٥.

(٣) حجة ابن خالويه، ص ٣٣٣، وحجة أبي زرعة، ص ٦٨٢، والدر المصون، ٧٢/١٠، وفتح القدير، ١٣٨/٥. وانظر: اختلاف البنية الصرفية في القراءات السبع، ص ١٦٥–١٦٦.

(٤) تشترك صيغتي (تفاعل) و(افتعل) في معنى المفاعلة، نحو: تخاصم القوم واختصموا، وتقاتل الرجلان واقتتلا. وقد وقع التبادل بين (تفاعل) و(افتعل) في قراءة الفعل (يَتَنَاجَوْنَ) من قوله تعالى: ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [سورة المجادلة/٨] فلم يترتب عليه أي أثر في الدلالة؛ لاشتراك القراءتين في معنى المفاعلة. راجع: اختلاف البنية الصرفية، ص ١٦٩.

(٥) شرح شافية ابن الحاجب، ١١٢/١، وحاشية الصبان، ٣٤٢/٤، وشرح ابن عقيل، ٢٦٤/٤، والمفتاح في الصرف، ص ٥٠.

ومما جاء على التبادل بين هاتين الصيغتين من القراءات المتواترة: اختلاف القراء في قراءة الفعل (تَزَاوَرُ) من قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ [سورة الكهف/١٧] على ثلاثة أوجه: (تَزْوَرُّ) مضارع الفعل ازْوَرَّ على وزن (افْعَلَّ)، (تَزَاوَرُ) مضارع الفعل تَزَاوَرَ، (تَزَّاوَرُ) من الفعل المضارع تتزاور وماضيه تَزَاوَرَ على وزن (تَفَاعَلَ).(١)

والازورار في اللغة العدول والانحراف،(٢) وبهذا المعنى فسر جمهور المفسرين والموجهين القراءات الثلاث،(٣) وذهب بعض المفسرين إلى أن معنى القراءة (تَزَاوَرُ)، (تَزَّاوَرُ): تميل، ومعنى القراءة (تَزْوَرُّ): تنقبض.(٤)

وأرى أن القراءتين بمعنى واحد وهو الميل، وأن الفرق بينهما هو فيما تمليه صيغة كل منهما من معانٍ، فالقراءة (تَزْوَرُّ) تدل على قوة الميل والانحراف؛ لأن بناء (افْعَلَّ) يدل على القوة في اللون أو العيب، والقراءتان (تَزَاوَرُ)، (تَزَّاوَرُ) تدلان على التدرُّج في ميل الشمس، وهذا يناسب حالها، والتدرُّج في فعل الشيء من المعاني التي تدل عليها صيغة (تَفَاعَلَ)، وبذلك ينتج عن التبادل التصريفي للقراءات تنوع وتعدد دلالات الكلمة المختلف فيها، ومن ثَمَّ شمول الآية التي اشتملت على هذا التنوع لمعنيي القوة والتدرُّج في الميل.(٥)

٢ – التبادل بين (انْفَعَلَ) و(تَفَعَّلَ):

يأتي بناء (انْفَعَلَ) للدلالة على مطاوعة (فَعَلَ)، نحو: فَصَلْتُهُ فانْفَصَلَ، وَكَسَرْتُهُ فانْكَسَرَ وهذه الصيغة تدل على لزوم الفعل، وعدم تعديه وتطاوع (أَفْعَلَ) أحياناً، نحو: أَغْلَقْتُه فانْغَلَقَ، وأَزعَجْتُهُ فانزَعَجَ. ويختص بالعلاج والتأثير في الأفعال الظاهرة للعيون، كالكسر والقطع والجذب، فلا يقال: علِمتُه فانعلم، ولا فهمته فانفهم.

---

(١) قرأ ابن عامر ويعقوب (تَزْوَرُّ) بإسكان الزاي وتشديد الراء من غير ألف، وقرأ الكوفيون (تَزَاوَرُ) بفتح الزاي وتخفيفها وألف بعدها وتخفيف الراء، وقرأ الباقون (تَزَّاوَرُ) بتشديد الزاي. انظر: السبعة، ص ٣٨٨، والتيسير، ص ٩٨، والمبهج، ص ٦٠٢، والنشر، ٣٤٨/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٤٣.

(٢) تهذيب اللغة، ١٦٦/١٣، ولسان العرب، ٣٣٣/٤، وتاج العروس، ٤٧٠/١١.

(٣) جامع البيان، ٦١٩/١٧، وحجة أبي زرعة، ٤١٣، والمحرر الوجيز، ٥٠٢/٣، ومعالم التنزيل، ١٥٧/٥، والكشاف، ٦٦١/٢، والموضِّح، ٢/ ٧٧٥–٧٧٦، ومفاتيح الغيب، ٨٤/٢١، وإبراز المعاني، ٥٦٧/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٣٦٨/١٠–٣٦٩، وأنوار التنزيل، ٤٨٣/٣، والبحر المحيط، ١٠٤/٦، والدر المصون، ٤٥٧/٧، واللباب، ٤٤٠/١٢، وإرشاد العقل، ٢١١/٥، والتحرير والتنوير، ٣٤/١٥، وأضواء البيان، ٢٢١/٣.

(٤) غريب القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ)، تح: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط./١٣٩٨هـ–١٩٧٨م، ص ٢٦٤، وحجة ابن خالويه، ص ١٩٧، والكشف، ٥٧/٢، ومفردات ألفاظ القرآن، ٤٤٥/١، والمحرر الوجيز، ٥٠٢/٣، والدر المصون، ٤٥/٧، واللباب، ٤٤١/١٢.

(٥) اختلاف البنية الصرفية، ص ١٦٨.

أما صيغة (تَفَعَّلَ) فتدل على مطاوعة (فَعّلَ) غالباً، نحو: كَسَّرْتُهُ فَتَكَسَّرَ. وتأتي لمعانٍ أخرى، منها: التَكَلُّفِ، نحو: تَشَجَعَ وتَحَلَّمَ، أو الاتِّخاذِ، نحو: تَوَسَّدَ، أو للدلالة على الطلب، نحو تيقَّنَ، أي: طلب أن يكون ذا يقين.(١)

ويلاحظ أن كلتا الصيغتين تشتركان في معنى المطاوعة، وتدل (تَفَعَّلَ) على معانٍ أخرى يجمعها معنى التكلف والمبالغة في فعل الشيء.

ومما جاء على التبادل بين هاتين الصيغتين من القراءات: قراءة الفعل (يَتَفَطَّرْنَ) من قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ﴾ [سورة مريم/٩٠] على وجهين (يَتَفَطَّرْنَ) من تَفَطَّرَ على وزن (تَفَعَّلَ)، و(يَنفَطِرْنَ) من انفطر على وزن (انْفَعَلَ)(٢)

والقراءتان بمعنى واحد عند بعض المفسرين وموجهي القراءات،(٣) وذهب جمهورهم إلى أن القراءة بصيغة (تَفَعَّلَ) تدل على المبالغة والتكرير والتشديد، وتعني: السموات يتشققن مرة بعد أخرى لعظم ذلك الأمر، وصيغة التشديد أنسب لنظم الآية وسياقها؛ لأنها أشد مبالغة في تصوير تغيظ السموات على ناسبي الولد إلى الله ﷻ.(٤)

وأرى من خلال النظر في الأمثلة المذكورة في هذا المطلب وسابقه أن سياق الآية هو وحده الحَكَمُ على مدلولات الكلمات التي يتغاير مبناها، فالكلمة بمفردها، وبمعزل عن سياقها، لا توحي بأي معنى جديد إلا بعد النظر في سياق الآيات الذي يهدي إلى القول بتغاير معنى القراءات المتنوعة أو عدم تغايره، كما يحكم بقبول المعاني المتباينة، أو عدم قبولها.

وقبل أن أختم هذا المبحث لا بد من الإشارة إلى أن دراسة التبادل بين الصيغ الزمنية للأفعال المختلف في قراءتها هو فرعٌ عن دراسة التنوع التصريفي للأفعال المختلف في قراءتها، وقد تبيّن لي من خلال الدراسة أن أثر التنوع في الصيغ الزمنية للأفعال ينحصر في اختلاف تعيين الزمن فقط، وفي تعدد المعاني الناتج عن الاختلاف في تعيين فاعل القراءات المتغايرة، وسأذكر فيما يأتي نماذج للأفعال المتبادلة قراءتها بين المضارع والماضي، أما القراءات المتبادلة بين المضارع والأمر فأذكر لها مثالاً واحداً، وأرجئ الحديث عنها تفصيلاً إلى الفصل المتعلق بتبادل

---

(١) المفتاح في الصرف، ص ٥٠.وشرح شافية ابن الحاجب، ١٠٨/١، وشرح ابن عقيل، ٢٦٤/٤، وحاشية الصبان، ٣٤٢/٤.

(٢) قرأ الحرميان وأبو جعفر وحفص والكسائي (يَتَفَطَّرْنَ) بالتاء وفتح الطاء مشددة، وقرأ الباقون (يَنفَطِرْنَ) بالنون وكسر الطاء مخففة. انظر: السبعة، ص ٤١٢-٤١٣، وتذكرة ابن غلبون، ص ٤٢٧، والتيسير، ص ١٠٢، والنشر، ٣٥٨/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٥٦.

(٣) حجة ابن خالويه، ص ٢٣٩، وزاد المسير، ٢٦٥/٥، والبحر المحيط، ٢٠٥/٦، والتحرير والتنوير، ٨٥/١٦.

(٤) حجة أبي زرعة، ص ٤٤٨-٤٤٩، والكشاف، ٣٦/٣، والموضح، ٨٢٦/٢، وإملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (٦١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٣٩٩/١هـ-١٩٧٩م، ١١٨/٢، وأنوار التنزيل، ٣٥/٤، والدر المصون، ٦٤٧/٧، وإرشاد العقل، ٢٨٢/٥، وروح المعاني، ١٣٩/١٦.

القراءات بين الخبرية والإنشاء.

وقد وقع التبادل في القراءات بين الفعلين المضارع والماضي في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، وأدى هذا التبادل إلى تعدد الدلالات البلاغية للآيات التي يدل اختلاف القراءات فيها على مجرَّد اختلاف الزمن، أو إلى تعدد الدلالات المعنوية عندما يدل هذا التبادل على اختلاف تعيين فاعل كل قراءة من القراءات المتنوعة.

فعلى سبيل المثال اختلف القراء في قراءة الفعل (أُخْفِيَ) من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة السجدة/١٧] بين صيغة الماضي المبني للمجهول (أُخْفِيَ)، وصيغة المضارع المسند إلى المتكلم (أُخْفِيْ).[(١)]

والقراءتان بمعنى واحد، وهو الدلالة على ما أعده الله للمؤمنين من النعيم يوم القيامة، وسياق الآيات هنا يحكم بتساويهما في الدلالة على المستقبل وهو يوم القيامة.

وقد حاول بعض موجهي القراءات توفيق كل قراءة مع سياق الآيات، فذهب إلى أن القراءة بالماضي تتناسب مع السياق ونظم الآيات بعده؛ لأن الأفعال بعده جاءت بالمضي والبناء للمجهول: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ﴾ [سورة السجدة/٢٠]. والقراءة بالمضارع والبناء للمعلوم تتوافق مع سياق الآيات قبله التي بنت الأفعال للمعلوم: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ﴾ [سورة السجدة/١٣] ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [سورة السجدة/١٦]،[(٢)] فكل قراءة لها وجه بلاغي يتناسب معها.

وأرى أن هذا التنويع في القراءة من باب التفنن في التعبير عن الكلام بأساليب مختلفة، والمغايرة بينها بطريقة بديعة لا تخل بالبلاغة، بل تنبّه الأذهان على مضمون الكلام بحصول المغايرة.

وقد يؤدي تغاير الصيغة الزمنية للقراءات المتنوعة إلى الاختلاف في تعيين فاعل القراءات المتغايرة، فعلى سبيل المثال: اختلف القراء في قراءة الفعل (أَمْلَى) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ [سورة محمد/ ٢٥] على ثلاثة أوجه: ﴿أَمْلَى﴾ بفتح الهمزة على صيغة الفعل الماضي المبني للفاعل، ﴿أُمْلِيْ﴾ بضم الهمزة وكسر اللام وسكون الياء، بصيغة المضارع المسند إلى المتكلم،

---

(١) قرأ حمزة ويعقوب (مَا أُخْفِيْ) بإسكان الياء، والباقون بفتحها. انظر: السبعة، ص ٥١٦، والتيسير، ص ١١٦، والتلخيص في القراءات الثمان، للإمام أبي معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري (٤٧٨هـ)، رسالة مقدَّمة إلى قسم الكتاب والسنة لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، إعداد الطالب: محمد حسن عقيل موسى، بإشراف: د. محمد ولد سيدي ولد الحبيب، عام ١٤١٢هـ، ص ٣٦٩، والنشر، ٣٨٧/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٠٩.

(٢) حجة الفارسي، ٤٦٣/٥، وحجة أبي زرعة، ص ٥٦٩.

﴿أُمْلِيَ﴾ بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء على صيغة الماضي المبني للمجهول.(١)

وقد ترتب على اختلاف القراء في قراءة الفعل ﴿أَمْلَى﴾ الاختلاف بين المفسرين في تعيين فاعل كل قراءة، فذهب بعض المفسرين إلى أن الفاعل على قراءة الجمهور ﴿أَمْلَى﴾ هو الشيطان؛ لأن هذا الفعل معطوف لفظاً ومعنى على الفعل ﴿سَوَّلَ﴾ الذي دلَّ النص على تعيين فاعله. ومعنى الآية على هذه القراءة: إن المنافقين الذين رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر بعدما تبين لهم صدق دعوة النبي ﷺ، وتركوا القتال معه ﷺ بعدما تبين لهم أن القتال حق إنما فعلوا ذلك بدعوة من الشيطان الذي زين لهم هذا الفعل، وأراهم أن الارتداد خيرٌ لهم في جميع الأحوال.(٢) وذهب آخرون إلى أن الفاعل على هذه القراءة هو الله ﷻ، والفعل لم يُسَمَّ فاعله، والتقدير: الشيطان سوَّل لهم، والله ﷻ أملى لهم؛ لأن حقيقة الإملاء إنما هو من الله ﷻ.(٣)

واتفق المفسرون والموجهون على أن الفاعل على القراءة ﴿أُمْلِيْ﴾ بصيغة المضارع المسند إلى المتكلم هو الله ﷻ. ومعنى الآية على هذه القراءة: الشيطان سَوّل للمنافقين الارتداد، والله ﷻ أملى لهم وأمدهم في طغيانهم. فالكلام على هذه القراءة وعيد للمنافقين، وبيان بأن الله ﷻ يمهل المنافقين ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.(٤)

والقراءة ﴿أُمْلِيَ﴾ بصيغة الماضي المبني للمجهول محتملة للمعنيين السابقين، وللخلاف في تعيين فاعلها.(٥) وجميع الأقوال المذكورة في بيان معاني القراءات مقبولة، ولا يوجد مانع شرعي أو لغوي يمنع من الأخذ بها، وقبولها جميعاً يعني الاعتقاد بأنَّ للقراءات المتعددة أثراً يتجلى في توضيح بلاغة الإيجاز في نظم القرآن.

---

(١) قرأ الجمهور الفعل ﴿أَمْلَى﴾ بصيغة الفعل الماضي المبني للفاعل، وقرأ يعقوب ﴿أُمْلِيْ﴾ بصيغة المضارع المسند إلى المتكلم، وقرأ أبو عمرو ﴿أُمْلِيَ﴾ بصيغة الماضي المبني للمجهول. انظر: السبعة، ص ٦٠٠-٦٠١، والغاية، ص ٣٩٥، والتيسير، ص ١٢٩، والنشر، ٤١٤/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٥٩.

(٢) حجة ابن خالويه، ص ٣٢٨-٣٢٩، وحجة أبي زرعة، ص ٦٦٧-٦٦٩، ومعالم التنزيل، ٢٨٨/٧، ومفاتيح الغيب، ٥٨/٢٨، وأنوار التنزيل، ١٩٥/٥، والدر المصون، ٧٠٣/٩، واللباب، ٤٦٠/١٧، وروح المعاني، ٧٥/٢٦، والتحرير والتنوير، ٩٧/٢٦-٩٨، وأضواء البيان، ٣٨٠/٧-٣٨١.

(٣) جامع البيان، ١٨١/٢٢، ومعاني القرآن الكريم، للعلَّامة أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (٣٣٨هـ)، تح: محمد علي الصابوني نشر جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١/ ١٤٠٩هـ، ٤٨٣/٦، والكشاف، ٣٢٩/٤، والمحرر الوجيز، ١١٩/٥، والجامع لأحكام القرآن، ٢٤٩/١٦-٢٥٠، وأنوار التنزيل، ١٩٥/٥، والبحر المحيط، ٨٣/٨.

(٤) حجة ابن خالويه، ص ٣٢٨-٣٢٩، وحجة أبي زرعة، ص ٦٦٧-٦٦٩، ومعالم التنزيل، ٢٨٨/٧، ومفاتيح الغيب، ٥٨/٢٨، وأنوار التنزيل، ١٩٥/٥، والدر المصون، ٧٠٣/٩، واللباب، ٤٦٠/١٧، وروح المعاني، ٧٥/٢٦، والتحرير والتنوير، ٩٧/٢٦-٩٨، وأضواء البيان، ٣٨٠/٧-٣٨١.

(٥) الدر المصون، ٧٠٣/٩، وأضواء البيان، ٣٨١/٧.

وكذلك جرى تبادل القراءات بين الفعلين المضارع والأمر في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، وأدى هذا التبادل إلى تعدد الدلالات البلاغية والمعنوية للقراءات المتنوعة، فعلى سبيل المثال اختلف القراء في قراءة الفعل ﴿أَعْلَمُ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة/ ٢٥٩] على وجهين: ﴿أَعْلَمُ﴾ بصيغة المضارع الدال على الحال، و﴿اعْلَمْ﴾ بصيغة الأمر الدال على طلب الفعل بالمستقبل.(١)

والقراءة بصيغة المضارع أسندت الكلام إلى المتكلم وهو هنا الرجل الذي مرَّ على القرية والذي أخبر الله عنه بقوله: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. [سورة البقرة/ ٢٥٩]. أي: إنَّ الفعل على هذه القراءة هو جواب الرجل عن قول الله ﷻ له: ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ [سورة البقرة/ ٢٥٩].

وذهب جمهور المفسرين إلى أن جملة ﴿قَالَ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة/ ٢٥٩] على القراءة ﴿اعْلَمْ﴾ بهمزة الوصل من كلام الله ﷻ أمراً للرجل بالاعتقاد الحق الذي يجب أن يقوده إليه العقل السليم بعد قيام الأدلة على عظيم قدرة الله ﷻ الذي أحيا العظام بعد موتها.(٢) وذهب آخرون إلى أن الفاعل على هذه القراءة هو الرجل المارُّ نفسه، نزَّل نفسه منزلة الأجنبي، وأقبل عليها مخاطباً إياها على سبيل التجريد مبكِّتاً لها، وموبخاً على ما اعتراها من ذلك الاستبعاد: اعلم أيها الإنسان أن الله على كل شيء قدير.(٣)

ومذهب جمهور المفسرين أرجح؛ لأن دلالة الأمر على وجود مخاطَب يوجه إليه الأمر أظهر، ولأن هذا الوجه

---

(١) قرأ الأخوان (قَالَ اعْلَمْ) بوصل الألف وجزم الميم على الأمر، وقرأ الباقون (قَالَ أَعْلَمُ) بقطع الألف ورفع الميم على الإخبار. انظر: السبعة، ص ١٨٩، والمبسوط، ص ١٥١، والتيسير، ص ٦٥، والنشر، ٢٦٤/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٠٩.

(٢) حجة ابن خالويه، ص ١٠٠، وحجة أبي زرعة، ص ١٤٤–١٤٥، ومعالم التنزيل، ٣٢٢/٣، والمحرر الوجيز، ٣٥١/١، والجامع لأحكام القرآن، ٢٩٦/٣–٢٩٧، والدر المصون، ٥٧١/٢، وتفسير القرآن العظيم، ٦٨٨/١، واللباب، ٣٦٣/٤، وروح المعاني، ٢٤/٣، والتحرير والتنوير، ٥١٠/٢–٥١١.

(٣) جامع البيان، ٤٨٢/٥، وحجة أبي زرعة، ص ١٤٥، والموضِّح، ٣٤٣/١، والجامع لأحكام القرآن، ٢٩٦/٣–٢٩٧، والدر المصون، ٥٧١/٢، واللباب، ٣٦٣/٤، وروح المعاني، ٢٤/٣.

يناسب الأوامر السابقة: (فَانْظُرْ، وَانْظُرْ)، ويؤيده قراءة الأعمش (قيل اعلم) بالبناء للمفعول.[1] فالعلم بقدرة الله ﷻ على كل شيء هو جواب الذي مرَّ على القرية على قراءة الجمهور، ومن كلام الله ﷻ، ومما أُمِرَ الرجل باعتقاده بعد قيام الأدلة على القراءة الأخرى.

إنَّ هذه الأمثلة توضِّح أنَّ التنويع بين الصيغ الزمنية للأفعال المختلف في قراءتها يؤثِّر في تعيين الفاعل، وفي المعنى الناتج عن اختلاف زمن الفعل وفاعله، ويؤدي إلى تعدد الدلالات نتيجة تعدد الصيغ الزمنية للفعل المختلَف في قراءته، وهذا يزيد من بلاغة نظم القرآن الذي يدل بكلمة واحدة على معانٍ متعددة، ودلالات بلاغية مختلفة.

ومما يتصل بالتغاير التصريفي للأفعال المختلف في قراءتها التبادل في القراءة بين البناء للفاعل أو للمفعول، حيث يظهر أثر هذا التبادل في إعادة ترتيب الجملة، وفي تعيين الفاعل، أو إظهار الاهتمام به أو بالمفعول، وسأرجئ بحث هذا التغاير إلى الباب الثاني الذي يتناول أثر الحذف والذكر في بلاغة ترابط الجمل القرآنية.

والمبحث الآتي سيتناول بالدراسة التبادل التصريفي في الأسماء المختلف في قراءتها، والمعاني التي تدل عليها كل صيغة من الصيغ الصرفية المقروء بها، وأثر هذا التغاير في بلاغة نظم القرآن.

---

(١) المبهج، ص ٣٨٣، والبحر المحيط، ٣٠٨/٢، والدر المصون، ٥٧١/٢.

المبحث الثاني: التنوع التصريفي في أبنية الأسماء، وأثره في بلاغة النظم.

المطلب الأول: التبادل بين المصادر، وأبنية المشتقات.

المطلب الثاني: التبادل بين أبنية المشتقات.

الاسم: كلمة تدل على معنى في نفسها، ولا تقترن بزمن. نحو: إنسان، شجرة، حضارة.(١) ويُعرَف بقبول الجر والتنوين والتعريف.(٢) ويقسم الاسم تقسيمات مختلفة لاعتبارات متعددة، ومن أقسامه: المصادر، والمشتقات.

فالمصدر: اسم ما سوى الزمان من مدلولي الفعل؛ فالفعل يدل على زمان وحدث، أما المصدر فيدل على الحدث مجرَّداً من الزمن. نحو: كتابة، رجوع، جحود، شكر.(٣)

والمصدر هو أصل الأفعال والمشتقات كما يرى البصريون، خلافاً للكوفيين الذين يرون أن الفعل أصل لهما. والصحيح مذهب البصريين؛ لأن الفرع يكون فيه ما في الأصل وزيادة، والأفعال والأسماء المشتقة مع المصدر بهذه المنزلة؛ إذ المصدر يدل على مجرد الحدث، أما الأفعال والمشتقات فيدلَّان على الحدث وزيادة.(٤)

والاسم المشتق: هو ما أُخذ من المصدر للدلالة على معنىً زائد على المعنى الأصلي.(٥)

أي: إنَّ الاسم المشتق يقارب أصله في المعنى، ويدل - مع المعنى الأصلي - على معنى آخر يتصل به بوجه من الوجوه، كدلالة اسم الفاعل على من قام بالفعل، ودلالة اسم المفعول على من وقع عليه الفعل.(٦)

والأسماء المشتقة الأصلية هي: اسم الفاعل، وصيغ مبالغته، اسم المفعول، الصفة المشبهة باسم الفاعل، اسم التفضيل، اسم الزمان، اسم المكان، اسم الآلة.(٧) وهذا المبحث سيتناول بالدراسة دلالات التبادل في القراءات بين المصدر وأبنية المشتقات، أو بين المشتقات فيما بينها، وأثر هذا التبادل في بلاغة نظم القرآن.

---

(١) شرح ابن عقيل، ١/١٥.

(٢) أسرار العربية، لأبي البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد الأنباري (٥٧٦هـ)، تح: د. فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، ط١/١٩٩٥م، ص ٣٤، والنحو الوافي، عباس حسن (١٣٩٨هـ)، دار المعارف، ط١٥/د.ت.، ١/٢٦.

(٣) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (٧٤٩هـ)، تح: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط١/١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م، ٢/٦٤٤، وشرح ابن عقيل، ٢/١٦٩، وحاشية الصبان، ١/١٥٦.

(٤) أسرار العربية، ص ١٦١، واللباب في علل البناء والإعراب، ١/٢٦٠، وشرح الرضي على الكافية، ١/٣١٠، وتوضيح المقاصد، ٢/٦٤٥، وحاشية الصبان، ١/١٦١.

(٥) شرح ابن عقيل، ٣/١٩٥، وحاشية الصبان، ١/٢٨٨. بتصرُّف.

(٦) النحو الوافي، ١/٤٤٢، ٣/١٨٢.

(٧) حاشية الصبان، ١/٢٩٠، والنحو الوافي، ٣/١٨٢. والنحويون يخرجون اسمي الزمان والمكان واسم الآلة من المشتقات؛ لأن الاسم المشتق عندهم ما دل على حدث وذات، وعَمِلَ عَمَلَ فِعْلِه، وهذه الثلاثة لا تعمل عمل فعلها. ويرى علماء الصرف أنها من المشتقات؛ لأن الاسم المشتق هو ما دل على حدث وذات، دون التقييد بالعمل. انظر: الخلاف التصريفي وأثره الدلالي، ص ٣٢١.

المطلب الأول: التبادل بين المصادر، وأبنية المشتقات.

يدل المصدر على الحدث مجرَّداً من الزمن، ومن أي دلالة معنوية أخرى، ويفارق بذلك الفعل الذي يدل على الزمن بالإضافة إلى الحدث، والأسماء المشتقة التي تدل على معانٍ أخرى ترتبط بالمعنى الأصلي بوجه من الوجوه. ويسمى المصدر بهذا الاسم؛ لأن فعله والمشتقات كلها تصدر عنه على الصحيح.(١)

وفي القراءات المتواترة ما يسعِف بأمثلة للتبادل بين المصدر وصيغه المختلفة، أو التبادل بين المصدر والأسماء المشتقة، وهذا المطلب سيتناول بالدراسة والتمثيل بعض القراءات المتواترة التي جرى فيها التبادل بين المصادر فيما بينها، وبين المصادر وأحد الأسماء المشتقة، ويبيِّن المعاني التي دلَّت عليها الصيغ المتعددة للقراءات المتنوعة.

أولاً: التبادل بين المصادر.

وقع التبادل في القراءات بين صيغ المصدر في مواقع كثيرة في القرآن الكريم منها: ما كان فيه الاختلاف بين صيغتين كل منهما مصدرٌ للفعل ذاته، ومنها: ما كان كل وجه من وجوه القراءات مصدراً لفعلٍ هو غير فعل المصدر الآخر.

فعلى سبيل المثال: اختلف القراء في قراءة ﴿السَّلَامَ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [سورة النساء/٩٤] على وجهين: ﴿السَّلَمَ﴾، و﴿السَّلَامَ﴾.(٢)

وقد جاءت القراءتان بصيغة المصدر، فالقراءة الأولى ﴿السَّلَمَ﴾ مصدر الفعل سالَمَ سِلْمَاً وسَلاماً، بمعنى الاستسلام وهو الانقياد، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ [سورة النحل/٢٨]، وقوله: ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ [سورة النحل/٨٧].

أما القراءة الأخرى ﴿السَّلَامَ﴾ فالظاهر أنها بمعنى التسليم مصدر الفعل سلَّم،(٣) ويجوز أن تكون بمعنى المسالمة والاستسلام كقراءة ﴿السَّلَمَ﴾.(٤)

ويترتب على الاختلاف في قراءة هذه الكلمة الاختلاف في معنى الآية، فالآية على قراءة ﴿السَّلَمَ﴾ تنهى

---

(١) شرح الرضي على الكافية، ٣١٠/١، وشرح شذور الذهب، ص ٤٩١.

(٢) قرأ المدنيَّان وابن عامر وحمزة وخلف ﴿السَّلَمَ﴾ بدون ألف، وقرأ الباقون ﴿السَّلَامَ﴾ بالألف. انظر: السبعة، ص ٢٣٦، والتيسير، ص ٧٣، والنشر، ٢٨٤/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٤١–٣٤٢.

(٣) الموضِّح، ٤٢٥/١، وحجة أبي زرعة، ص ٢٠٩.

(٤) معاني النحَّاس، ١٦٧/٢، والكشف عن وجوه القراءات، ٣٩٥/١، وحجة الفارسي، ١٧٦/٣–١٧٧.

المسلمين عن قتل الكافر إذا استسلم، فاعتزل القتال، أو أعلن إسلامه أو نطق بالشهادتين ولو تخوُّفاً.(١)

ومعنى هذه القراءة يتناسب مع بعض الروايات الواردة في سبب نزول هذه الآية، فقد أخرج البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- قال: "بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم فلما غشيناه، قال: لا إله إلا الله، فكفَّ الأنصاري عنه، فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال: (يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله). قلت: كان متعوذاً، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم."(٢) وزاد الواحدي(٣) على هذه الرواية قوله: "فنزلت: ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [سورة النساء/٩٤] الآية.(٤)

أما معنى الآية على القراءة الأخرى ﴿السَّلَامَ﴾ فهو نهي المؤمنين عن قتل الكفار إذا ألقوا إليهم تحية الإسلام؛ لأن التسليم (قول: السلام عليكم) يضعف حجة المسلمين بقتل الكفار احتجاجاً بكفرهم.

ومعنى هذه القراءة يتناسب والرواية الأخرى الواردة في سبب نزول الآية، فقد أخرج البخاري عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾. قال: قال ابن عباس: "كان رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون، فقال: السلام عليكم، فقتلوه، وأخذوا غنيمته، فأنزل الله في ذلك إلى قوله: ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [سورة النساء/٩٤] تلك الغنيمة.(٥)

وقد رجح الطبري القراءة ﴿لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾، بمعنى: من استسلم لكم، مذعنًا لله بالتوحيد، مقرًّا لكم بملَّتكم. ووصفها بالصواب. واحتج لما ذهب إليه بأن القراءة ﴿السَّلَمَ﴾ تجمع جميع المعاني التي رُويت في أمر المقتول الذي نزلت في شأنه هذه الآية، خلافاً لقراءة ﴿السَّلَامَ﴾؛ لأن السلام لا وجه له في هذا الموضع – كما

---

(١) معاني الفرَّاء، ٢٨٣/١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات، رقم/٤٠٢١، ١٥٥٥/٤، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، رقم/٩٦، ٩٦/١.

(٣) هو علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن الواحدي النيسابوري، لازم أبا إسحاق الثعلبي، وأخذ العربية عن أبي الحسن القهندزي، وأخذ اللغة عن أبي الفضل أحمد بن محمد بن يوسف العروضي. صنف التفاسير الثلاثة (البسيط والوسيط والوجيز)، وأسباب النزول، والمغازي، والإعراب عن الإعراب، وشرح الأسماء الحسنى، وشرح ديوان المتنبي، ونفي التحريف عن القرآن الشريف . توفي سنة ٤٦٨هـ رحمه الله تعالى. انظر: طبقات المفسرين، للسيوطي، ص ٦٦، وطبقات المفسرين، للأدنه وي، ص ١٢٧—١٢٨.

(٤) أسباب النزول، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (٤٦٨هـ)، دار الاتحاد العربي ومؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، د.ط./١٣٨٨هـ-١٩٦٨م، ص ١١٧.

(٥) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة النساء، رقم/٤٣١٥، ١٦٧٧/٤.

يرى - إلا التحية.[1]

ولا أوافق الطبري فيما ذهب إليه من ترجيح القراءة استناداً إلى المعنى، فإن بعض المفسرين كأبي السعود[2] العمادي يرى أن القراءة ﴿السَّلَامَ﴾ أبلغ في النهي والزجر عن قتل صاحبها، فيقول: "والاقتصار على ذكر تحية الإسلام في القراءة الأولى مع كونها مقرونة بكلمتي الشهادة - كما سيأتي في سبب النزول - للمبالغة في النهي والزجر، والتنبيه على كمال ظهور خطئهم؛ ببيان أن تحية الإسلام كانت كافية في المكافَّة والانزجار عن التعرض لصاحبها، فكيف وهي مقرونة بهما." [3]

وأرى أن القراءتين في المعنى، ومناسبة السياق، وأسباب النزول سواء؛ لأن القراءة ﴿السَّلَمَ﴾ تعني الاستسلام، وتشمل من استسلم بإلقاء التحية. والقراءة ﴿السَّلَامَ﴾ تعني إلقاء تحية الإسلام، وتحتمل معنى المسالمة والاستسلام كالقراءة الأخرى، وإلى هذا يذهب جمهور المفسرين.[4]

وقريب من تنوع القراءات المذكور آنفاً الاختلاف في قراءة الآية: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ [سورة هود/٦٩]، حيث قرأ الجمهور ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾، وقرأ الأخوان ﴿قَالَ سِلْمٌ﴾.[5]

وذهب بعض المفسرين إلى أن القراءتين في المعنى سواء،[6] وفرق آخرون بينهما فذهبوا إلى أن قول إبراهيم عليه السلام على قراءة الجمهور يكون من باب رد التحية والسلام، أي قال: وعليكم السلام، أما على القراءة الأخرى

---

(١) جامع البيان، ٨٢/٩.

(٢) هو أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، ولد سنة ٨٩٨هـ بقرية قريبة من قسطنطينية، وقرأ على والده كتباً، منها: حاشية التجريد للشريف الجرجاني بتمامها، وشرح المفتاح، وشرح المواقف للشريف أيضاً، قُلِّد قضاء برسه، ثم قضاء قسطنطينية، ثم قضاء العسكر في ولاية روم إيلي، ودام عليه مدة ثماني سنين. ثم تولى أمور الفتيا سنة ٩٥٢هـ، واستمر على ذلك إلى أن مات سنة ٩٨٢هـ. من مؤلفاته: تفسير القرآن المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، وحاشية على العناية من أول كتاب البيع، وحواش على بعض الكشاف. انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد شهاب الدين عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي (١٠٨٩هـ)، تح: عبد القادر ومحمود أرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١/١٤١٣هـ-١٩٩٢م، ٥٨٤/١٠-٥٨٦، والأعلام، ٥٩/٧.

(٣) إرشاد العقل، ٢١٨/٢.

(٤) انظر: الكشاف، ٥٨٤/١، والمحرر الوجيز، ٩٦/٢، ومفاتيح الغيب، ٣/١١، والجامع لأحكام القرآن، ٣٣٨/٥، وأنوار التنزيل، ٢٣٧/٢، والدر المصون، ٧٤/٤، واللباب، ٥٧٧/٦، وروح المعاني، ١١٨/٥، والتحرير والتنوير، ٢٢٦/٤.

(٥) السبعة، ص ٣٣٧، وتذكرة ابن غلبون، ص ٣٧٣، والتيسير، ص ٨٩، والنشر، ٣٢٧/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٠٧.

(٦) مفاتيح الغيب، ٢٠/١٨، وأنوار التنزيل، ٢٤٤/٣، والبحر المحيط، ٢٤٢/٥، والدر المصون، ٣٥٢/٦، واللباب، ٥٢٠/١٠، والتحرير والتنوير، ٢٩٤/١١.

فمعنى قول إبراهيم الطَّيْلاً: أنا مسالم لكم، غير محارب إياكم.(١)

هذه الآراء هي مجمل اختيارات المفسرين في توجيه هذه القراءات، فمن ذهب إلى اتحادهما اعتمد على المعنى التصريفي البحت، ومن ذهب إلى التفريق بينهما اعتمد نسق الآيات الذي يحدد معنى القراءة ومفهومها اعتماداً على نظمه وملابساته، فآية النساء تحتمل المعاني المذكورة جميعها التي تؤيِّدها الروايات المختلفة في سبب النزول، وآية هود تعتمد مبدأ استقلال كل قراءة بمعنى من المعاني؛ تحقيقاً لمبدأ الإيجاز الذي هو أبرز أثر لتغاير القراءات.(٢)

ومن أمثلة التبادل في القراءات بين المصادر اختلاف القراء في قراءة ﴿دَفْعُ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [سورة البقرة/٢٥١] على وجهين: ﴿دَفْعُ﴾ على وزن (فَعْل) مصدر الفعل (دفَعَ) على وزن (فَعَلَ)، و﴿دِفَاعُ﴾(٣) على وزن (فِعَال) مصدر الفعل (دافَعَ) على وزن (فَاعَلَ).(٤)

وقد ترتب على الاختلاف في قراءة هذه الكلمة الاختلاف بين المفسرين وموجهي القراءات في توجيهها وتوجيه معنى الآية، ومنشأ هذا الخلاف صيغة المفاعلة على القراءة الثانية ﴿دِفَاعُ﴾؛ فمعنى الآية على قراءة ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ﴾ ظاهر؛ لأنَّ أصل معنى الدفع تنحية الشيء وإزالته بقوة لإقصائه عن المرام، والذبِّ عن مصلحة الدافع، والدافع حقيقةً في هذه الآيات هو الله ﷻ، فصيغة المصدر التي أُخِذ منها الفعل المجرَّد في هذه القراءة مستعملة في حقيقتها.

لكن يقع الإشكال في معنى الآية على قراءة من قرأ: ﴿وَلَوْلاَ دِفَاعُ اللهِ﴾. ووجه الإشكال فيه: أن المدافعة مفاعلة، وهي عبارة عن كون كل واحد من المدافعين دافعاً لصاحبه، ومانعاً له من فعله.

وقد حاول بعض المفسرين رد الإشكال الذي في صيغة المفاعلة على القراءة ﴿وَلَوْلاَ دِفَاعُ اللهِ﴾، فذكروا أنه لما تعذر وجود المدافعة من العبد في حق الله ﷻ؛ لأن هذا الأمر محال؛ لاستحالة وجود شريك لله ﷻ في القوة والقدرة كان لا بد من صرف صيغة المفاعلة عن بابها بوجهين:

أحدهما: أنَّ (دفاع) مصدر للفعل دفع، تقول: (دفع دَفْعَاً ودِفَاعَاً)، كما تقول: (كَتَبَ كَتْبَاً وكِتَابَاً)؛ لأن

---

(١) جامع البيان، ٣٨٣/١٥، وحجة ابن خالويه، ص ١٨٩، وحجة أبي زرعة، ص ٣٤٦، والمحرر الوجيز، ١٨٧/٣، ومفاتيح الغيب، ٢٠/١٨، وأنوار التنزيل، ٢٤٤/٣، والدر المصون، ٣٥٢/٦، واللباب، ٥٢٠/١٠–٥٢١، وإرشاد العقل، ٢٢٤/٤.

(٢) وبذلك أخالف ما ذهب إليه د.أحمد سعد محمد في كون التفريق بين المعاني راجعاً إلى اختيار المفسرين ومذاهبهم، والاتحاد بينهما راجعاً إلى السياق القرآني. انظر: التوجيه البلاغي للقراءات، ص ٦٢–٦٣.

(٣) قرأ المدنيَّان ويعقوب ﴿دِفَاعُ﴾ بكسر الدال وألف بعد الفاء، وقرأ الباقون ﴿دَفْعُ﴾ بفتح الدال وإسكان الفاء من غير ألف. انظر: السبعة، ص ١٨٧، والتيسير، ص ٦٥، والنشر، ٢٦٣/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٠٨.

(٤) حجة ابن خالويه، ص ٩٩، وحجة أبي زرعة، ص ١٤٠–١٤١.

فعال كثيراً ما يأتي مصدراً للثلاثي، كـ (لقيته لِقَاءً)، و(قمت قِيَامَاً)،[1] وعلى هذا التأويل كان قوله: ﴿وَلَوْلاَ دِفَاعُ اللهِ﴾ معناه: ولولا دفع الله.[2]

والوجه الثاني: لو قلنا: إنَّ (دفاع) مصدر من الفعل دافع، يكون المعنى: أنه ﷻ إنما يكف الظلمة والعصاة عن ظلم المؤمنين على أيدي أنبيائه، ورسله، وأئمة دينه، وأنه يقع في أثناء ذلك بين هؤلاء المُحقِّين، وأولئك المبطِلين مدافعات ومكافحات، فحسن الإخبار عنه بلفظ المدافعة.[3]

ومن المفسرين من ذهب إلى أن صيغة المفاعلة مستعملة هنا للدلالة على تكرر وقوع الدفع؛ لأنه لمَّا تجرَّد الفعل عن معنى المشاركة في وقوع الفعل المتكرر من الجانبين، بقي معنى تكرره، وعليه يكون المعنى: إن الله ﷻ يبالغ في دفع غائلة المشركين وضربهم مرة بعد أخرى، كلما تجدد منهم القصد إلى الإضرار بالمسلمين.[4]

ومنهم من جعل صيغة المفاعلة هنا: للتعبير عن المبالغة في الدفع، لا للمشاركة، وعدَّ إضافة الدفع إلى الله ﷻ على هذه الصيغة مجازاً عقلياً؛ لأن الذي يدفع حقيقةً هو الذي يباشر الدفع عُرفاً، وإنما أُسنِد إلى الله ﷻ؛ لأنه الذي قدَّره وقدَّر أسبابه، ولذلك قال: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [سورة البقرة/٢٥١]، فجعل (بعضهم) سبب الدفاع، فهو كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [سورة الأنفال/١٧]. فيكون معنى الآية: أنه لولا وقوع دفع بعض الناس لبعض بتكوين الله ﷻ، وإيداعه قوة الدفع وبواعثه في الدافع لفسدت الأرض، ومصالح من على الأرض، واختل نظام ما عليها.[5]

والحاصل أن بعض المفسرين حاول تأويل معنى المفاعلة في قراءة ﴿وَلَوْلاَ دِفَاعُ اللهِ﴾، وذهب جمهور المفسرين إلى أن القراءتين بمعنى واحد، وأن معنى المفاعلة في قراءة ﴿دِفَاعُ﴾ غير مراد؛ لأن السياق يحكم باتحاد القراءتين في المعنى؛ لأن الله ﷻ لا مدافع له من خلقه، وهو المنفرد بالدفع.[6]

ومن أمثلة التبادل في القراءات بين المصادر الاختلاف في قراءة ﴿شِقْوَتُنَا﴾ من قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا

---

(١) المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ)، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، دار عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت، ١٢٦/٢.

(٢) كتاب سيبويه، لأبي البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (١٨٠هـ)، تح: د. عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د.ط.، د.ت.، ١٥٣/١-١٥٤، وإعراب النحَّاس، ٣٢٨/١، والموضِّح، ٣٣٦/١، والجامع لأحكام القرآن، ٢٥٩/٣.

(٣) حجة الفارسي، ٣٥٢/٢-٣٥٤، والمحرر الوجيز، ١٢٤/٤، ومفاتيح الغيب، ١٦١/٦.

(٤) إرشاد العقل، ١٠٨/٦، وفتح القدير، ٤٥٦/٣، وروح المعاني، ١٦١/١٧.

(٥) التحرير والتنوير، ٤٧٨/٢، ١٩٦/١٧. وأضواء البيان، ٢٦٢/٥.

(٦) حجة أبي زرعة، ص ١٤٠. وانظر: أثر القراءات في تعدد المعاني، ص ١٧٢-١٧٣.

غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [سورة المؤمنون/١٠٦]، حيث قرأ الجمهور ﴿شِقْوَتُنَا﴾ بكسر الشين من غير ألف، وقرأ الأخوان وخلف ﴿شَقَاوَتُنَا﴾ بفتح الشين وإثبات الألف.(١) والقراءتان مصدران للفعل (شقي) بمعنى الشقاء والشقاوة، وهما بمعنى واحد ولا يترتب على الاختلاف في قراءتهما أي اختلاف في معنى الآية.(٢)

ومثله اختلاف القراء في قراءة ﴿النَّشْأَةَ﴾ من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ [سورة العنكبوت/٢٠] على وجهين: ﴿النَّشْأَةَ﴾ بالقصر، و﴿النَّشَاءَةَ﴾ بالمد.(٣) والقراءتان مصدران للفعل (أنشأ، يُنشِئ)، وهما بمعنى واحد ولا يترتب على الاختلاف في قراءتهما أي اختلاف في معنى الآية.(٤)

ومن الكلمات التي اختلف القراء في قراءتها على وجهين، كل منهما مصدر: كلمة ﴿تَفَاوُتٍ﴾ من قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ [سورة الملك/٣].

حيث قرأ جمهور القراء ﴿تَفَاوُتٍ﴾ على وزن تفاعُل مصدر الفعل تفاعَل، وقرأ الأخوان ﴿تَفَوُّتٍ﴾ على وزن تفعُّل(٥) مصدر الفعل تفعَّل، ولم يترتب على هذا الاختلاف أي أثر معنوي، بل قال بعض الموجهين: إن القراءتين لغتان بمعنى واحد، هو الاختلاف والاضطراب.(٦)

يتبيَّن مما سبق ذكره من أمثلة أن القراءات التي جاءت على التبادل بين صيغ المصادر غالباً ما تكون بمعنى واحد إلا إذا كانت كل قراءة آتية على صيغة مصدر يشتق منها فعل هو غير الفعل المشتق من صيغة المصدر التي أتت به القراءة الأخرى. ومثل هذا التنوع في القراءات يغني النص القرآني بمزيد من الدلالات المعنوية والبلاغية، ويوسع مدلول الآية، مما يثري نظم القرآن بالمعاني الكثيرة المتولدة من الألفاظ القليلة.

---

(١) السبعة، ص ٤٤٨، والتيسير، ص ١٠٧، والإقناع في القراءات السبع، للإمام أبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري ابن الباذش (٥٤٠هـ)، تح: الشيخ أحمد فريد المزيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ص ٤٣٣، والنشر، ٣٦٩/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٧٧.

(٢) حجة ابن خالويه، ص ٢٥٨، وحجة الفارسي، ٣٠٢/٥، وحجة أبي زرعة، ص ٤٩١، والكشف عن وجوه القراءات، ١٣١/٢.

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿النَّشَاءَةَ﴾ بألف بعد الشين، وقرأ الباقون ﴿النَّشْأَةَ﴾ بإسكان الشين من غير ألف. انظر: السبعة، ص ٤٩٨، والتيسير، ص ١١٤، والتلخيص في القراءات، ص ٣٦٢، والنشر، ٣٨٣/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٠١.

(٤) حجة ابن خالويه، ص ٢٧٩، وحجة الفارسي، ٤٢٧/٥، وحجة أبي زرعة، ص ٥٤٩-٥٥٠، والكشف عن وجوه القراءات، ١٧٨/٢.

(٥) السبعة، ص ٦٤٤، والتيسير، ص ١٣٥، والكفاية، ص ٣٠٤، والنشر، ٤٢٩/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٨٦.

(٦) إعراب النحاس، ٤٦٨/٤، وحجة ابن خالويه، ص ٣٤٩، وحجة أبي زرعة، ص ٧١٥، والتبيان في إعراب القرآن، ١٢٣٢/٢، وإبراز المعاني، ٧٠٣/٢.

ثانياً: التبادل بين المصدر واسم الفاعل، أو صيغ مبالغته.

اسم الفاعل: اسم مشتق، يدل على أمرين هما: معنى مجرد حادث، وفاعله، مثل (زاهد، عادل)، ويصاغ من الفعل الثلاثي المتصرف على وزن (فاعل)، ومن غير الثلاثي على وزن مضارعه بعد إبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل الآخر، نحو: مُكْرِم.(١)

ويلحق باسم الفاعل صِيَغ المبالغة لكونها بمعناه مع تأكيد المعنى. ولها خمسة أوزان مشهورة هي: (فَعَّال: تَوَّاب، مِفْعَال: مِقْدَام، فَعُول: صَبُور، فَعِيل: قَدِير، وفَعِل: حَذِر وفَطِن.)(٢)

فاسم الفاعل يشارك المصدر في الدلالة على الحدث، ويفارقه في كونه دالّاً على الفاعل (من قام بالفعل) إضافة إلى دلالته على مجرَّد الحدث، أي: إنَّ دلالة اسم الفاعل على الحدث وملابساته أوسع من دلالة المصدر، وقد وقع التبادل بين المصدر واسم الفاعل في بعض القراءات المتواترة، منها:

اختلاف القراء في قراءة كلمة ﴿لَسَاحِرٌ﴾ من قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ [سورة يونس/٢] على وجهين: ﴿لَسِحْرٌ﴾ مصدر الفعل سحَرَ، ﴿لَسَاحِرٌ﴾ على صيغة اسم الفاعل.(٣)

وقد ترتب على هذا التنوع في القراءات الاختلاف في مدلول الآية ومعناها: فالقراءة ﴿لَسَاحِرٌ﴾ على صيغة اسم الفاعل تصف النبي ﷺ بالسحر، وبذلك يكون مرجع اسم الإشارة إليه ﷺ. وهذا يتناسب مع أول الآية وهو قوله: ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾.

أما القراءة ﴿لَسِحْرٌ﴾ بصيغة المصدر فتصف القرآن بهذا الوصف، ومرجع اسم الإشارة إلى الموحى به، أي: إنَّ هذا الكلام كلام السحرِ، أي: كلام يُسحَر به، فالإشارة إلى الوحي والقرآن.(٤) ومعنى هذه القراءة يتناسب مع قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، أي: إنَّ هذه القراءة تبيِّن أن الكفار استغربوا

---

(١) شرح الرضي على الكافية، ٤١٣/٣، والنحو الوافي، ٢٣٨/٣–٢٤٥.

(٢) توضيح المقاصد، ٨٥٣/٢، والنحو الوافي، ٢٥٨/٣–٢٥٩.

(٣) قرأ الكوفيون وابن كثير ﴿لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ بالألف، وقرأ الباقون ﴿لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ بغير ألف. انظر: السبعة، ص ٣٢٢، وتذكرة ابن غلبون، ص ٣٦٢، والتيسير، ص ٨٦، وتحبير التيسير، ص ٣٩٦.

(٤) حجة ابن خالويه، ص ١٧٩، وحجة الفارسي، ٢٥٢/٤، وحجة أبي زرعة، ص ٣٢٧، والموضِّح، ٦١٤/٢. وانظر: جامع البيان، ١٧/١٥، ومعالم التنزيل، ١٢٠/٤، والجامع لأحكام القرآن، ٣٠٧/٨، وأنوار التنزيل، ١٨٤/٣، والبحر المحيط، ١٢٧/٥، والدر المصون، ١٤٧/٦، واللباب، ٢٥٧/١٠، وإرشاد العقل، ١١٧/٤، وروح المعاني، ٦٣/١١، والتحرير والتنوير، ١٣/١١.

وأنكروا مضمون الموحى به، فوصفوه بالسحر. ويمكن حمل اسم الإشارة مع قراءة المصدر على الإشارة للنبي ﷺ، على تقدير مضاف محذوف، أي: ذو سحر، أو على الوصف بالمصدر، أي: قال الكافرون إن محمداً سحرٌ، والوصف بالمصدر؛ للمبالغة.(1) والأول أظهر ولا يحتاج إلى تقدير، وعليه جمهور المفسرين.

أي: إنَّ كل قراءة تدلُّ على معنى ومدلولٍ يغاير معنى القراءة الأخرى، وبذلك تغني القراءات المتنوعة نظم القرآن، وتثري معانيه، وتكشف عن إيجازه.

ومن القراءات التي قرئت على وجهين: أحدهما مصدر، والآخر اسم فاعل كلمة ﴿حَافِظًا﴾ من قوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [سورة يوسف/٦٤]. حيث قرأ القراء هذه الكلمة على وجهين: ﴿حَافِظًا﴾ على وزن اسم الفاعل، و﴿حِفْظًا﴾ على صيغة المصدر.(2)

وكل واحدة من هاتين القراءتين يتناسب وسياق الآية، فالقراءة ﴿حَافِظًا﴾ باسم الفاعل على المبالغة، وفيها التعبير بالواحد عن الجمع، والمعنى: فالله خير الحافظين، ويؤيدها قراءة ابن مسعود: (خيرُ الحافظين).

وهذه القراءة تتناسب مع الآية السابقة ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة يوسف/٦٣]، أي: إنَّ يعقوب عليه السلام ردَّ عليهم بأن حافظ الله سبحانه وتعالى – ما يخلقه من حفظة تحفظ الإنسان – خير من حافظكم، فإنهم لما ادَّعوا أنهم حفظة لأخيهم، فقالوا: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ردَّ عليهم يعقوب بأن حفظة الله خيرٌ منكم.(3)

وهي تتناسب أيضاً مع آخر الآية ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، حيث إنَّ القراءة بصيغة اسم الفاعل أكثر مطابقة لقوله: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ من القراءة بالمصدر؛ لأن الله هو الحافظ، والحفظ فعل من أفعاله، وهو الراحم، والرحمة صفة من صفاته. وبذلك يكون معنى الآية: فالله خير حافظاً، وهو أرحم راحمٍ.(4)

والقراءة ﴿حِفْظًا﴾ تناسب سياق الآية التالية: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ [سورة يوسف/٦٥]. ومعنى الآية عليها: لما نسبوا الحفظ إلى أنفسهم ردَّ عليهم يعقوب عليه السلام بقوله: فالله خير منكم حفظاً، وحفظ الله سبحانه وتعالى لأخيكم خير من حفظكم الذي نسبتموه إلى أنفسكم.(5)

---

(1) الدر المصون، ١٤٧/٦.

(2) قرأ حفص والأخوان وخلف ﴿حَافِظًا﴾ بفتح الحاء وألف بعدها وكسر الفاء، وقرأ الباقون ﴿حِفْظًا﴾ بكسر الحاء وإسكان الفاء من غير ألف. انظر: السبعة، ص ٣٥٠، والتيسير، ص ٩١، والنشر، ٣٣٣/٢، وتحبير التيسير، ص ٤١٥.

(3) حجة الفارسي، ٤٤٠/٤، والموضّح، ٢/ ٦٨٤.

(4) الكشف عن وجوه القراءات، ١٣/٢.

(5) حجة الفارسي، ٤٣٩/٤، وحجة أبي زرعة، ص ٣٦٢، والكشف عن وجوه القراءات، ١٣/٢، والمحرر الوجيز، ٢٦٠/٣، والموضّح، ٢/ ٦٨٤.

وتناسب القراءتين مع السياق السابق واللاحق يدل على سمو نظم القرآن، وإعجازه، وارتقائه إلى أعلى مراتب البلاغة التي تضعف جميع المخلوقات عن إدراكها.

وكذلك ورد التبادل بين صيغة المصدر، وصيغ مبالغة اسم الفاعل في بعض القراءات، فأفاد معاني جديدة أسهمت في اتساع دلالات الآيات المختلف في قراءتها، ودل على معانٍ بلاغية مستفادة من تعدد الصيغ.

فعلى سبيل المثال: اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿نَصُوحًا﴾ من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [سورة التحريم/٨] فقرأ الجمهور ﴿نَصُوحًا﴾ بفتح النون، وقرأ شعبة ﴿نُصُوحًا﴾ بضمها.[١]

فأما القراءة ﴿نُصُوحًا﴾ بضم النون فهي مصدر نصح ينصح نُصحاً ونُصوحاً، مثل شكر شُكوراً، وجلس جُلوساً، والنصح: الإخلاص في العمل والقول. وأما القراءة ﴿نَصُوحًا﴾ بفتح النون فهي صفة للتوبة، أي: توبة خالصة. جاءت على صيغة (فَعول) من صيغ مبالغة اسم الفاعل.[٢]

والقراءتان بمعنى واحد، إلا أن القراءة ﴿نَصُوحًا﴾ تفيد المبالغة، وتحضُّ التائبين على عدم العودة إلى الذنب أبداً؛ لأن فعولاً لا يستعمل إلا للمبالغة في الوصف فهي مثل: صبور وشكور، ومعنى الآية على هذه القراءة: توبوا إلى الله توبة بالغة في النصح. ووصف التوبة بالنصح مجاز؛ لأن النصح صفة التائب، وليس صفة التوبة.[٣]

والقراءة الأخرى تفيد هذا المعنى؛ لأنها جاءت بصيغة المصدر الذي هو بمعنى المفعول له، أي: توبوا لأجل النصح الحاصل لأنفسكم، أو من باب الوصف بالمصدر الذي يدل إما: على المبالغة في الوصف، حيث جعلت التوبة هي النصح ذاته، أو على حذف المضاف، أي: توبة بصفة نَصوح.[٤]

هذه الأمثلة تبيِّن أن القراءات المتعددة تثري نظم القرآن بدلالات ومعانٍ جديدة، أو مؤكِّدَة للمعاني التي يدلُّ عليها السياق. ويتجلى حسن تنوع القراءات في بعض المواضع بمشابهة جميع القراءات للسياق السابق واللاحق إما شكلاً أو مضموناً، وهذه المزايا التي تتصف بها القراءات المتنوعة ضمن سياقها تبرز أثر تعدد القراءات في بلاغة نظم القرآن، والدلالة على إعجازه.

---

(١) السبعة، ص ٦٤١، والتيسير، ص ١٣٥، والكفاية، ص ٣٠٣، والنشر، ٤٢٨/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٨٥.

(٢) جامع البيان، ٤٩٥/٢٣، وحجة الفارسي، ٣٠٣/٦–٣٠٤، والكشف عن وجوه القراءات، ٣٢٦/٢، والبحر المحيط، ٢٨٨/٨، واللباب، ٢٠٩/١٩.

(٣) حجة ابن خالويه، ص ٣٤٩، وحجة أبي زرعة، ص ٧١٤، وأنوار التنزيل، ٣٥٧/٥، والبحر المديد، ١٢٥/٨، وفتح القدير، ٣٥٥/٥.

(٤) الدر المصون، ٣٧١/١٠–٣٧٢.

ثالثاً: التبادل بين المصدر والصفة المشبهة باسم الفاعل.

الصفة المشبهة باسم الفاعل: اسم مشتق يصاغ من الفعل اللازم، للدلالة على معنى قائم بالموصوف على وجه الثبوت لا الحدوث.(1) وتصاغ فقط من الفعل اللازم، خلافاً لاسم الفاعل الذي يصاغ من الفعل اللازم والمتعدي. وأغلب صيغ الصفة المشبهة سماعية خلافاً لاسم الفاعل الذي يصاغ من الثلاثي على وزن فاعل ومن غير الثلاثي على وزن مضارعه بعد قلب حرف المضارعة ميماً مضمومة، ومن صيغها: (فَعِلَ: حذِر، فَعْلان: عطشان، أفعل: أحمر، ومؤنثه فعلاء: حمراء). وأهم ما يميز الصفة المشبهة: دلالتها على ثبوت الوصف، خلافاً لاسم الفاعل الذي يدل على حدوث الوصف.(2)

وقد ورد التبادل بين صيغة المصدر وصيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في بعض القراءات، فأفاد معاني جديدة ونواحي بلاغية أسهمت في اتساع دلالات الآيات المختلف في قراءتها.

فعلى سبيل المثال: اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿دَكًّا﴾ من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [سورة الأعراف/١٤٣] على وجهين: ﴿دَكًّا﴾ مصدر على وزن (فَعْلاً)، و﴿دَكَّاء﴾(3) صفة مشبهة باسم الفاعل على وزن (فَعْلاء).(4)

ومعنى الآية على القراءة ﴿دَكًّا﴾ بصيغة المصدر: لما تجلى الله ﷻ للجبل دكّه دكّاً، أي: جعله مدكوكاً، مفتتاً كالتراب. فالمصدر هنا أقيم مقام اسم المفعول، أو هو على حذف مضاف، أي: جعله ذا دكٍ.(5) والآية على هذه القراءة كقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [سورة الفجر/٢١].(6)

ومعنى الآية على القراءة ﴿دَكَّاء﴾ بصيغة الصفة المشبهة: لما تجلى الله ﷻ للجبل جعله أرضاً ملساء، فالكلمة على هذه القراءة صفة قامت مقام الموصوف، وأصله: أرضاً ملساء، وهو على سبيل التشبيه بالناقة، ومنه

---

(١) شرح الرضي على الكافية، ٤٣١/٣، والنحو الوافي، ٢٨٤/٣.

(٢) توضيح المقاصد، ٨٧٥/٢–٨٧٧، والنحو الوافي، ٣٠٦/٣–٣٠٧.

(٣) قرأ الأخوان وخلف ﴿دَكَّاء﴾ بالمد والهمز من غير تنوين، وقرأ الباقون ﴿دَكًّا﴾ بالتنوين من غير همز. انظر: السبعة، ص ٢٩٣، والتيسير، ص ٨٢، والعنوان، ص ٩٧، والنشر، ٣٠٦/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٧٨.

(٤) النحو الوافي، ٢٨٧/٣.

(٥) الموضِّح، ٥٥٣/٢.

(٦) جامع البيان، ١٠٠/١٣، والكشاف، ١٤٦/٢، ومعالم التنزيل، ٢٨٧/٣، وأنوار التنزيل، ٥٨/٣، والتسهيل لعلوم التنزيل، ٣١٦/١، والبحر المحيط، ٣٨٣/٤، والدر المصون، ٤٥٠/٥، واللباب، ٣٠٢/٩، والبحر المديد، ٥٣٩/٢.

قول العرب: ناقة دكاء أي: لا سنام لها، لكن حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه.(١)

ويجوز أن تكون القراءة ﴿دَكَّاء﴾ بمعنى الأرض الرابية الناشزة، يقال لها: دكاء.(٢) ولا يخفى الأثر الدلالي الناتج عن تنوع قراءات هذه الآية.

ومما جاء على التبادل بين صيغة المصدر وصيغة الصفة المشبهة باسم الفاعل كلمة ﴿حَرَجًا﴾ من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [سورة الأنعام/١٢٥] حيث قرأ القراء كلمة ﴿حَرَجاً﴾ بوجهين: ﴿حَرِجاً﴾ بكسر الراء، و﴿حَرَجاً﴾ بفتحها.(٣)

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن القراءتين بمعنى واحد،(٤) وفرّق جمهور المفسرين بينهما، فذهبوا إلى أن القراءة ﴿حَرِجاً﴾بكسر الراء: صفة مشبّهة من قولهم: حَرِج الشّيء حرَجاً، من باب فرح، بمعنى ضاق ضيقاً شديداً، أما القراءة ﴿حَرَجاً﴾ فهي على صيغة المصدر على وزن (فَعَل)(٥)

والتعبير بصيغة الصفة المشبهة يدل على اللزوم، ويبيِّن أن هذه الصفة صفة راسخة في النفس، أما الوصف بالمصدر على القراءة ﴿حَرَجاً﴾ فيفيد المبالغة في التعبير عن حالة الحرَج والضيق؛ لأنه يجعل الصَدْرَ الحَرِج هو الحَرَجُ ذاته، مجازاً؛ للمبالغة.(٦)

وتبادل القراءات هنا بين صيغتي المصدر الدال على المبالغة، والصفة المشبهة الدالة على الدوام والثبوت يفيد المبالغة، مما يدخل في قلوب المعرضين عن قبول دعوة الإسلام الرعبَ والفزع، ويصور حالتهم في البعدِ عن أسباب

---

(١) حجة ابن خالويه، ص ١٦٣، وحجة أبي زرعة، ص ٢٩٥، والموضِّح، ٥٥٣/٢. وانظر: جامع البيان، ١٠١/١٣–١٠٢، والنكت والعيون، ٢٥٨/٢، والمحرر الوجيز، ٤٥١/٢، وزاد المسير، ٢٥٧/٣، ومفاتيح الغيب، ١٩١/١٤، والجامع لأحكام القرآن، ٢٧٨/٧–٢٧٩، وأنوار التنزيل، ٥٨/٣، والبحر المحيط، ٣٨٣/٤، والدر المصون، ٤٥٠/٥، وإرشاد العقل، ٢٧٠/٣، والتحرير والتنوير، ٢٧٧/٨.

(٢) الكشاف، ١٤٧/٢، والدر المصون، ٤٥٠/٥.

(٣) قرأ المدنيَّان وأبو بكر عن عاصم ﴿حَرِجاً﴾ بكسر الراء، وقرأ الباقون ﴿حَرَجاً﴾ بفتحها. انظر: السبعة، ص ٢٦٨، والتيسير، ص ٧٨، والنشر، ٢٩٦/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٦٣.

(٤) معاني الفرَّاء، ٣٥٣/١–٣٥٤، والدر المصون، ٥/ ١٤٢، واللباب، ٤١٨/٨.

(٥) معاني الزجَّاج، ٢٩٠/٢، وحجة الفارسي، ٤٠١/٣، والكشاف، ٦٠/٢، والمحرر الوجيز، ٣٤٣/٢، والموضِّح، ٥٠٢/١، وإبراز المعاني، ٤٥٩/٢، وأنوار التنزيل، ٤٥١/٢، والبحر المحيط، ٢٢٠/٤، والإتحاف، ص ٣٨٤، والبحر المديد، ٣٠٦/٢، وروح المعاني، ٢٢/٨، والتحرير والتنوير، ٤٥/٧.

(٦) البحر المديد، ٣٠٦/٢، وروح المعاني، ٢٢/٨، والتحرير والتنوير، ٤٥/٧.

الراحة وسكون النفس بأحسن تصوير ممكن.(١) والتعبير عن المعنى بطريقين من طرق الكلام يدل على بلاغة القرآن الذي يتفنن في صياغة عباراته، ويتصرَّف في أساليب نظمه.

رابعاً: التبادل بين المصدر واسم المكان أو الزمان.

اسما الزمان والمكان: اسمان مشتقان من المصدر الأصلي للفعل؛ للدلالة على زمان وقوع الفعل أو مكانه، إضافةً إلى المعنى المجرد الذي يدل عليه ذلك المصدر.(٢)

ويصاغ هذان الاسمان من الفعل الثلاثيِّ المجرَّد على وزن (مَفعَل) بفتح العين، و(مَفْعِل) بكسرها.

فصياغتهما على وزن (مَفْعَل) إذا كان الفعل: معتل الآخر، نحو: (ثوى، مثوى)، أو مضموم العين في المضارع، نحو: (كتب، يكتُب، مَكْتَب)، أو مفتوح العين في المضارع، نحو: (لعب، يلعَب، مَلعَب).

وصياغتهما على وزن (مَفْعِل) إذا كان الفعل: معتل الأول، نحو: (وعد، موعِد)، أو مكسور العين في المضارع، نحو: (نزل، ينزِل، مَنزِل).

ويصاغ هذان الاسمان من الفعل فوق الثلاثي على وزن اسم المفعول، نحو: (انحدر، مُنحَدَر). وهناك أسماء زمان ومكان سمعت عن العرب على غير القياس، منها: (المسجِد، المشرِق، والمغرِب).(٣)

وتكمن القيمة البلاغية لاسمي الزمان والمكان في الإيجاز؛ حيث إنهما يعبران بكلمة واحدة على المعنى المجرد وزمان أو مكان وقوعه. والوصول إلى هذه الدلالة بتعبيرات أخرى خالية من اسمي الزمان أو المكان ممكن، ولكنها تعبيرات لن تبلغ في الإيجاز مبلغهما، فمزية كل منهما تظهر في كونه يؤدي بكلمة واحدة ما لا يؤديه غيره إلا بكلمات متعددة.(٤)

وقد ورد التبادل بين صيغتي المصدر واسم الزمان أو المكان في القراءات المتواترة في مواضع متعددة، منها:

اختلاف القراء في قراءة كلمة ﴿لِمَهْلِكِهِمْ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ [سورة الكهف/٥٩]، على ثلاثة وجوه: ﴿لِمُهْلَكِهِمْ﴾ بضم الميم وفتح اللام، وهي قراءة الجمهور،

---

(١) أثر القراءات في تعدد المعاني، ص ١٧٦.

(٢) النحو الوافي، ٣١٨/٣.

(٣) المفصل في صنعة الإعراب، ص ٣٠٣، وشرح شافية ابن الحاجب، ١٨١/١، والنحو الوافي، ٣١٨/٣–٣٢١.

(٤) النحو الوافي، ٣١٨/٣.

﴿لِمَهْلَكِهِمْ﴾ بفتح الميم واللام، وهي رواية أبي بكر،[1] ﴿لِمَهْلِكِهِمْ﴾ بفتح الميم وكسر اللام، وهي رواية حفص.[2]

فأما القراءتان: ﴿لِمُهْلَكِهِمْ﴾ ﴿لِمَهْلَكِهِمْ﴾ فهما مصدر (هلك، يهلَك أو يهلِك، هلاكاً، ومَهلِكاً أو مَهْلَكاً)؛ لأن كل ما كان على (فَعَلَ، يَفْعِلُ) فاسم المكان والزمان منه على (مَفْعِل) والمصدر الميمي منه على (مَفْعِل) أو (مَفْعَل). ومعنى الآية على هذه القراءة: جعلنا لإهلاكنا إياهم موعِداً.[3]

وأما القراءة الثانية ﴿لِمَهْلِكِهِمْ﴾ فهي اسم زمان على وزن (مَفْعِل)، والسياق، وكلمة ﴿مَوْعِدًا﴾ هما اللذي دلّا على أن هذه الكلمة اسم زمان وليست اسم مكان. ومعنى هذه القراءة: جعلنا لوقت هلاكهم موعداً.[4]

ويجوز أن تكون القراءة ﴿لِمُهْلَكِهِمْ﴾ اسم زمان على وزن اسم المفعول من الفعل فوق الثلاثي (أهلك)، ومعنى الآية عليها كمعنى القراءة برواية حفص عن عاصم، أي: جعلنا لوقت هلاكهم موعداً.[5]

وذهب بعض المفسرين وموجهي القراءات إلى أن كل قراءة من القراءات تحتمل أن تكون مصدراً أو اسم زمان على القياس على القراءتين ﴿لِمُهْلَكِهِمْ﴾ و﴿لِمَهْلِكِهِمْ﴾، واسم زمان على غير القياس على القراءة ﴿لِمَهْلَكِهِمْ﴾.[6] وما ذكره جمهور المفسرين أولى؛ لأن الفعل متى كُسِرَت عينُ مضارعِهِ فُتِحَتْ على (مَفْعَل) مراداً به المصدر، وكسِرَتْ على (مَفْعِل) مراداً به الزمان والمكانُ.[7]

ومن هذا القبيل اختلاف القراء في قراءة ﴿مَهْلِكَ﴾ من قوله تعالى: ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ [سورة النمل/٤٩]. حيث قرأ أبو بكر عن عاصم ﴿مَهْلَكَ﴾ بفتح الميم واللام، وقرأ حفص عن عاصم ﴿مَهْلِكَ﴾ بفتح

---

(١) هو أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي، اختلف في اسمه على أقوال كثيرة، أصحها: شعبة. ولد سنة ٩٥هـ، وعرض القرآن على عاصم ثلاث مرات، وعلى عطاء بن السائب. قرأ عليه أبو الحسن الكسائي، ويحي العليمي، وأبو يوسف يعقوب الأعشى، وعبد الحميد بن صالح البرجمي، وغيرهم. توفي في جمادى الأولى سنة ١٩٣هـ رحمه الله تعالى. انظر: معرفة القراء الكبار، ١/ ١٣٤-١٣٨.

(٢) السبعة، ص ٣٩٣، والتيسير، ص ٩٩، والمبهج، ص ٦٠٩، والنشر، ٣٥٠/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٤٦.

(٣) حجة ابن خالويه، ص ٢٢٧، وحجة أبي زرعة، ص ٤٢١. وانظر: جامع البيان، ٥٤/١٨، ومعالم التنزيل، ١٨٣/٥، وزاد المسير، ١٦١/٥، وأنوار التنزيل، ٥٠٧/٥، وإرشاد العقل، ٢٣١/٥، والتحرير والتنوير، ٩٧/١٥.

(٤) معالم التنزيل، ١٨٣/٥، وزاد المسير، ١٦١/٥، والدر المصون، ٥١٥/٧-٥١٧، واللباب، ٥١٨/١٢، والتحرير والتنوير، ٩٧/١٥، وأضواء البيان، ٣١٨/٣-٣١٩.

(٥) المحرر الوجيز، ٥٢٦/٥، وزاد المسير، ١٦١/٥، والبحر المحيط، ١٣٣/٦، وأضواء البيان، ٣١٨/٣-٣١٩.

(٦) معاني النحّاس، ٢٦٢/٤-٢٦٣، والكشاف، ٦٨٢/٢، والتبيان في إعراب القرآن، ٨٥٣/٢، والإتحاف، ص ٥١٨، وروح المعاني، ٣٠٦/١٥.

(٧) الدر المصون، ٥١٦/٧.

الميم وكسر اللام، وقرأ الباقون ﴿مُهْلَكَ﴾ بضم الميم وفتح اللام.(1)

ويجري على هذه القراءات من التفسير والتوجيه ما يجري على القراءات المذكورة في المثال الآنف الذكر، فتحمل القراءة ﴿مَهْلَكَ﴾ بفتح الميم واللام على المصدر ومعنى الآية عليها: ما شهدنا هلاك أهله.

والقراءة ﴿مَهْلِكَ﴾ اسم مكان أو زمان، ومعنى الآية عليها: ما شهدنا مكان وزمان هلاكهم، ويجوز حملها على المصدر.

وتحتمل القراءة ﴿مُهْلَكَ﴾ بضم الميم وفتح اللام الأمرين، فيجوز أن تكون مصدراً، أو اسماً للزمان أو المكان من الفعل فوق الثلاثي (أهلك).(2)

ومن أمثلة التبادل بين صيغتي المصدر واسم المكان في القراءات المتواترة: ما ورد من اختلاف القراء في قراءة ﴿مُنْزَلًا﴾ من قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [سورة المؤمنون/29]. حيث قرأ أبو بكر عن عاصم ﴿أَنْزِلْنِي مَنْزِلًا﴾ بفتح الميم وكسر الزاي، على أن ﴿مَنْزِلًا﴾ اسم مكان، والمعنى: أنزلني داراً مباركة. وقرأ الباقون ﴿مُنْزَلًا﴾ بضم الميم وفتح الزاي،(3) على أنه مصدر بمعنى الإنزال، أي: أنزلني إنزالاً مباركاً.(4)

ويحتمل أن تكون القراءة ﴿مُنْزَلًا﴾ بضم الميم وفتح الزاي، اسم مكان من الفعل (أنزل).(5)

وذهب بعض المفسرين إلى أن كلتا القراءتين تحتمل أن تكون مصدراً واسم مكان. فالقراءة ﴿مُنْزَلًا﴾ مصدر ميمي، واسم مكان من الفعل (أنزل)، والقراءة ﴿مَنْزِلًا﴾ اسم مكان من الفعل (نزل) أو مصدر الثلاثي ناب مناب مصدر الرباعي، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [سورة نوح/17]، أي: إنباتاً.(6)

ومن هذا القبيل الاختلاف في قراءة ﴿مُدْخَلًا﴾ في الآيتين الآتيتين: ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [سورة النساء/31]، ﴿ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾ [سورة الحج/59].(7)

---

(1) السبعة، ص 393، والتيسير، ص 99، والنشر، 2/350، وتحبير التيسير، ص 446.

(2) حجة أبي زرعة، ص 531، والإتحاف، ص 601.

(3) السبعة، ص 445، والتيسير، ص 107، والإقناع، ص 432، والنشر، 2/368، وتحبير التيسير، ص 475.

(4) جامع البيان، 19/28، وحجة أبي زرعة، ص 486، والنكت والعيون، 4/53، ومعالم التنزيل، 5/416، والجامع لأحكام القرآن، 12/119—120، وفتح القدير، 3/691، والتحرير والتنوير، 18/39—40.

(5) مفاتيح الغيب، 23/84، والبحر المحيط، 6/372، وإرشاد العقل، 6/132.

(6) الدر المصون، 8/330، واللباب، 14/200—201.

(7) راجع: حجة ابن خالويه، ص 122—123، وحجة أبي زرعة، ص 199، 481، والمبهج، ص 657.

وتعدد القراءات في هذه الأمثلة ينبِّه الأذهان على تعدد المعاني، ويعدُّ التعبير عن المعاني المختلفة بالقراءات المتنوعة أحد وسائل التفنن في أداء المعاني، وهذه المزايا هي بعض الآثار التي يلقيها تنوع القراءات على نظم القرآن، فيدل على إعجازه وإيجازه.

نلاحظ من الأمثلة السابقة أن التنوع في القراءات بين المصدر وبعض المشتقات أسفر عن تعدد الدلالات المعنوية والبلاغية للكلمات المختلف في قراءتها، ومرجع ذلك إلى كون المشتقات تفيد معاني زائدة على المعنى المجرَّد الذي يدل عليه المصدر. ولا يمكن إغفال القيمة البلاغية للوصف بالمصدر الذي يدل على المبالغة حين يجعل الموصوف هو الحدث ذاته، كما لا يمكن إغفال قيمة المعنى الذي تدل عليه المشتقات؛ فهاتان القيمتان البلاغيتان تُسهمان في إثراء نظم القرآن الذي يتسم بالإيجاز، ويعبر بكلمة واحدة عن مدلولات كثيرة.

المطلب الثاني: التبادل بين أبنية المشتقات.

تبين في المطلب السابق أن المشتقات كلها تصدر عن المصدر على الصحيح من المذهب، وتشاركه في المعنى الأصلي المجرد، وتفارقه في الدلالة على معانٍ إضافية ترتبط به بوجه من الوجوه، وقد بيَّن المطلب السابق أن تعدد الدلالات البلاغية والمعنوية، وإثراء نظم القرآن بالمعاني الكثيرة المتولدة من الألفاظ القليلة كان ثمرة تبادل القراءات بين أبنية المصادر والمشتقات. وهذا المطلب سيتناول بالدراسة صور التبادل في القراءات بين أبنية المشتقات؛ لبيان الآثار البلاغية الناتجة عن هذا التبادل في المعنى، ونظم القرآن عموماً.

أولاً: التبادل بين اسم الفاعل ومثيله.

يجري التبادل في القراءات بين أبنية المشتقات أكثر ما يجري بين اسم الفاعل ونظيره، أو بين اسم الفاعل وغيره من المشتقات، كاسم المفعول أو الصفة المشبهة باسم الفاعل، وصيغ مبالغته.

ومما ورد على التبادل بين اسم الفاعل ونظيره من القراءات المتواترة، الاختلاف في قراءة كلمة ﴿مُوهِنُ﴾ من قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة الأنفال/١٨]، حيث قرأ القراء هذه الكلمة بوجهين: ﴿مُوهِنُ﴾ اسم فاعل من الفعل (أوهن)، و﴿مُوَهِّنٌ﴾ اسم فاعل من (وهَّن).[(١)]

ومعنى القراءتين واحد،[(٢)] إلا أن القراءة ﴿مُوَهِّنُ﴾ بالتشديد تدل على تكرار الإضعاف والتوهين للكافرين، وهي أبلغ وأنكى للكافرين من القراءة الأخرى.[(٣)]

والقراءة ﴿مُوَهِّنُ﴾ بالتشديد أنسب لسياق الآيات وموضوعات السورة؛ لأن التشديد إنما وقع لتكرر الفعل، وذلك ما ذكره الله في هذه السورة من تثبيت أقدام المؤمنين بالغيث، وربطه على قلوبهم، وتقليل عدد الكفار في أعينهم عند القتال، وقد وقع منه ذلك شيئاً بعد شيء، وحالاً بعد حال في وقت بعد وقت، فكان الأولى بالفعل أن يشدد لتردد هذه الأفعال، وكونها موقعة للوهن بكيد الكافرين مرة بعد مرة، ولهذا كانت قراءة

---

(١) قرأ الحرميان وأبو جعفر وأبو عمرو ﴿مُوَهِّنٌ﴾ بفتح الواو وتشديد الهاء، وقرأ الباقون ﴿مُوهِنُ﴾ بإسكان الواو وتخفيف الهاء. انظر: السبعة، ص ٣٠٤–٣٠٥، وتذكرة ابن غلبون، ص ٣٥٢، والتيسير، ص ٨٤، والنشر، ٣١١/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٨٤.

(٢) لعل هذا رأي أكثر المفسرين، ولذلك نرى أن أكثرهم ذكر القراءات في هذه الآية، دون التفريق بينهما في المعنى، كأبي حيان الأندلسي، والفراء، وابن عادل، والزمخشري، وأبي البقاء العكبري، وابن الجوزي، وأبي السعود، والنسفي، والآلوسي، والشوكاني، والسمين الحلبي، وغيرهم، وأرى أن مرجع ذلك إلى اعتقادهم باتحاد معنييهما، وقد أشار بعض المفسرين إلى أن القراءتين في المعنى سواء، ومنهم ابن أبي مريم. انظر: الموضِّح، ٥٧٦/٢–٥٧٧، والشيخ ابن عاشور. انظر: التحرير والتنوير، ٥٤/٩.

(٣) حجة ابن خالويه، ص ١٧٠، وحجة أبي زرعة، ص ٣٠٩، والجامع لأحكام القرآن، ٣٨٦/٧.

التشديد أنسب لسياق الآيات لما ذُكِرَ من العلة.[1] كما أن قراءة التشديد أليق بواقع الأمر؛ لأن الله ﷻ كان ينقض ما يبرمه المشركون لرسول الله ﷺ وأصحابه، عقدًا بعد عَقْدٍ، وشيئًا بعد شيء، وفي هذا توهين للكافرين مرة بعد أخرى، ولهذا السبب استحسن الطبري هذه القراءة، ورجحها.[2]

وأرى أن القراءة الأخرى أليق بمقامٍ آخر غير المقام الذي ذكره الطبري ومن تابعه؛ لأن صيغة التخفيف في القراءة ﴿مُوهِنُ﴾ تتناسب مع عظيم قدرة الله ﷻ، فالله قادر على توهين كيد الكافرين ومَحقِه بالمرة الواحدة، دون الحاجة إلى تكرير الفعل، والطبري عندما لاحظ البلاغة في قراءة التشديد استند إلى قوانين اللغة، ونظر إلى عظيم الكيد الذي يظهره الكافرون، وهذا في مقياس البشر، أما الحقيقة بالنسبة إلى الله ﷻ فغير ذلك؛ لأن العظيم عند البشر حقير عند الله ﷻ، والواقع الذي يعرفه البشر لا تعجز قدرة الله ﷻ عن دفعه بكلمة (كُنْ)، التي تكون الأمور بعدها على وفق مراد الله، وهذا مباين لقوانين البشر الذين يستحسنون مقابلة الكيد العظيم بالدفع العظيم.

والاستناد إلى قوانين اللغة في التفسير أمر لا يمكن إنكاره، لكن أرى أن سياق القرآن يحكم على قوانين اللغة، ويرجِّح مسلك التوفيق بين جميع القراءات؛ لأنها جميعاً كلام الله ﷻ، ولا بد أن يكون لكل منها مقام يناسبه، وحال هي أليق به، وخاصة عندما تكون القراءتان وصفاً لذات الله ﷻ، كما هو الحال في هذه الآية. والتوفيق بين القراءات هنا هو الأوفق لنظم القرآن فيما أعتقد.

وكذلك اختلف القراء في قراءة ﴿مُوصٍ﴾ من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [سورة البقرة/١٨٢] على وجهين: ﴿مُوصٍ﴾ اسم فاعل من (أوصى)، و﴿مُوَّصٍ﴾[3] اسم فاعل من (وصَّى).[4]

والقراءتان لغتان بمعنى واحد عند أكثر المفسرين،[5] وذهب آخرون إلى القراءة بالتشديد تدل على التكثير

---

(١) حجة أبي زرعة، ص ٣٠٩.

(٢) جامع البيان، ١٣/٤٥٠.

(٣) قرأ أبو بكر عن عاصم، والأخوان وخلف ويعقوب ﴿مُوَّصٍ﴾ بفتح الواو وتشديد الصاد، وقرأ الباقون ﴿مُوصٍ﴾ بإسكان الواو مخففاً. انظر: السبعة، ص ١٧٦، والتيسير، ص ٦٣، والنشر، ٢/٢٥٨، وتحبير التيسير، ص ٣٠١.

(٤) حجة ابن خالويه، ص ٩٣، والكشف عن وجوه القراءات، ١/٢٨٢.

(٥) جامع البيان، ٣/٤٠٥، وعلل القراءات، لأبي منصور الأزهري (٣٧٠هـ)، تح: نوال إبراهيم الحلوة، ط١/١٤١٢هـ، ١/٧٢، وحجة الفارسي، ٢/٢٧١–٢٧٢، ومفاتيح الغيب، ٥/٥٦، والتبيان في إعراب القرآن، ١/١٤٨، والبحر المحيط، ٢/٢٨، والدر المصون، ٢/٢٦٤، واللباب، ٣/٢٤٥، والإتحاف، ص ٢٨١، والتحرير والتنوير، ٢/١٥٢.

والتكرير، خلافاً للقراءة الأخرى.(١)

ومن التبادل في القراءات بين اسم الفاعل ونظيره: الاختلاف في قراءة ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ في الآيات الآتية: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾ [سورة الحج/٥١، وسورة سبأ/٥]، ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾ [سورة سبأ/٣٨]. حيث قرأ القراء: ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ اسم فاعل من (عاجز)، و﴿مُعَجِّزِينَ﴾ اسم فاعل من (عجَّز).(٢)

وقد ترتَّب على هذا التنوع الاختلاف بين المفسرين في بيان معنى الآيات:

فذهب عبد الله بن الزبير ومجاهد إلى أن القراءة ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ بمعنى مثبطين الناس عن متابعة النَّبي ﷺ. وقال ابن عباس: معاجزين: مغالبين ومشاقين، وروي عن الفراء والأخفش: معاجزين: معاندين مسابقين، وعن قتادة:(٣) معاجزين: ظانين أنهم يعجزون ربهم، وأن الله لا يقدر على بعثهم وعقابهم. وأما القراءة ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ فهي بمعنى مثبطين الناس عن اتباع النبي ﷺ، وقيل: مكذِّبين، وقيل: ناسبين إلى المؤمنين العجز عن الانتصار لدينهم إما بضعف الحجة وإما بقلة القوة.(٤)

وذهب أكثر المفسرين إلى أن القراءة ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ بصيغة المفاعلة تصور ظنهم النجاة والانفلات من تعذيب الله ﷻ إياهم بإنكارهم البعث والرسالة بحال من يسابق غيره ويعاجزه، أي: يحاول تعجيزه عن لحاقه.

جاء في الكشاف: عاجزه: سابقه؛ لأنّ كل واحد منهما في طلب إعجاز الآخر عن اللحاق به، فإذا سبقه قيل: أعجزه وعاجزه. والمعنى: سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها، حيث سموها: سحراً وشعراً وأساطير، ومن تثبيط الناس عنها سابقين أو مسابقين في زعمهم وتقديرهم، طامعين أن كيدهم للإسلام يتمّ لهم.(٥)

والقراءة ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ تحتمل معنيين:

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات، ٢٨٢/١، والجامع لأحكام القرآن، ٢٦٩/٣.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ بتشديد الجيم من غير ألف في المواضع الثلاثة، وقرأ الباقون ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ بالتخفيف والألف فيهن .انظر: السبعة، ص ٤٣٩، والتيسير، ص ١٠٦، والنشر، ٣٨٧/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٧٢.

(٣) هو قتادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري الضرير الحافظ الثقة، من أعلم أهل زمانه بالتفسير والحديث والفقه. روى عن أنس بن مالك ﷺ، وسعيد بن المسيب، وأبي الشعثاء جابر بن زيد، وحميد بن عبد الرحمن بن عوف، والحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وأخذ القراءة عن الحسن البصري، وابن سيرين. روى عنه أبو عوانة، وأبان بن يزيد، وحماد بن سلمة، وغيرهم. توفي في البصرة عام ١١٧هـ رحمه الله تعالى. انظر: الجرح والتعديل، ١٣٣/٧، وتذكرة الحفاظ، ٩٢/١-٩٣.

(٤) حجة أبي زرعة، ص ٤٨٠-٤٨١، والنكت والعيون، ٣٣/٤-٣٤، ومعالم التنزيل، ٣٩٢/٥، وإبراز المعاني، ٦٠٦/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٧٨/١٢-٧٩، وأضواء البيان، ٢٨٢/٥.

(٥) الكشاف، ١٦٥/٣.

١. التثبيط: أي مثبطين الناس عن اتباع آيات الله، أو معجزين من آمن بآيات الله بالطعن والجدال.(١)

٢. نسبة أصحاب النبي ﷺ إلى العجز، نحو: فسَّقْتُ فلاناً، أي: نسبته إلى الفسق.(٢)

وجميع المعاني المذكورة في تفسير القراءتين تصوِّر الرغبة الشديدة لأعداء الله في حشد الإمكانات التي يطلبون من خلالها تعجيز قائد الدعوة ورجالها، وفي ذلك كله تصوير حيٌّ لما كان يُبذَل في سبيل حرب الدعوة، وتعبير عن الوسائل التي تمَّ بها ممارسة الحرب النفسية من قبل أعداء الله على أصحاب النبي ﷺ، ودعوة الحق التي اتبعوها.(٣)

وجميع الأقوال المذكورة في تفسير القراءتين محتملة، ولا يوجد مانع شرعي أو لغوي يمنع الأخذ بها، وتعدد معاني القراءات يدلُّ على حرص القرآن على تنويع طرق الأداء، والتفنن في أساليب التعبير.

ثانياً: التبادل بين اسمي الفاعل والمفعول.

يجرى التبادل بين صيغتي اسم الفاعل واسم المفعول في كثير من القراءات المتواترة، مما يؤدي إلى تردد معنى الكلمة المختلَف في قراءتها بين دلالتي اسم الفاعل والمفعول، ويُنتِج آثاراً في معنى الآية ونظمها، وهذه الآثار يمكن بيانها من الأمثلة الآتية:

اختلف القراء في قراءة كلمة (مُحْصَنَاتُ) على وجهين: فقرأ جمهور القراء (مُحْصَنَاتُ) بصيغة اسم المفعول، وقرأ الكسائي وحده (مُحْصِنَاتُ) بصيغة اسم الفاعل،(٤) في الآيات الآتية:

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [سورة النساء/٢٥].

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [سورة المائدة/٥].

---

(١) جامع البيان، ٦٦١/١٨–٦٦٢، ومعاني النحّاس، ٣٩٣/٥، وحجة ابن خالويه، ص ٢٥٤، والمحرر الوجيز، ١٢٨/٤، وأنوار التنزيل، ١٣٢/٤، ٣٩١، وإرشاد العقل، ١٢٢/٧، والبحر المديد، ٤٢٣/٤، وفتح القدير، ٤٤٤/٤، وروح المعاني، ١٧٢/١٧، والتحرير والتنوير، ١٥/٢٢، وأضواء البيان، ٢٨٢/٥–٢٨٣، ٢٦٤/٦.

(٢) حجة الفارسي، ٢٨٤/٥، وحجة أبي زرعة، ص ٤٨٠، والبحر المحيط، ٣٥١/٦، واللباب، ١١٥/١٤.

(٣) الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية، ص ١٧٠–١٧١.

(٤) السبعة، ص ٢٣٠، والتيسير، ص ٧٢، وتحبير التيسير، ص ٣٣٧.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [سورة النور/٤].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [سورة النور/٢٣].

ومعنى هذه الكلمة على القراءة ﴿مُحْصَنَاتٌ﴾ بصيغة اسم المفعول: اللواتي أحصنهن أزواجهن بالزواج، وهذا المعنى ناتج عن دلالة اسم المفعول على من وقع عليه الفعل.

أما معنى القراءة ﴿مُحْصِنَاتٌ﴾ بصيغة اسم الفاعل: العفيفات اللواتي أحصنَّ أنفسهن من الفجور بدخولهن في الإسلام، وهذا المعنى ناتج عن دلالة اسم الفاعل على من قام بالفعل.(١)

والآيات على القراءتين تبيِّن أصناف النساء، فبعضهن أحصنهن أزواجُهن، وبعضهن أحصنَّ أنفسهن بالحرية أو الإسلام.(٢)

وأشير هنا إلى أن قراء المتواتر اختلفوا في قراءة هذه الكلمة في الآيات المذكورة فقط، واتفقوا على قراءتها بالفتح بصيغة اسم المفعول في قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة النساء/٢٤]. ومرجع ذلك إلى نظم الآيات وسياقها؛ فسياق الآيات المختلف في قراءتها يحتمل معنى الإحصان بالزواج، أي: أحصنهنَّ أزواجهن، ويحتمل معنى الإحصان بالعفة، أي: أحصنَّ أنفسهن بالإسلام.

أما آية ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ فلا تحتمل إلا معنى واحداً، وهو الإحصان بالزواج؛ لأنها في سياق ذكر المحرمات من النساء. ولو قرِئ بالكسر على صيغة اسم الفاعل لكان معنى الآية: والعفائف من النساء حرامٌ عليكم، إلا ما ملكت أيمانكم.(٣) وهذا المعنى غير مراد، بل لا يتفق مع المقاصد الشرعية التي تحث الرجل على الزواج بالعفائف، وترك نكاح الزانية، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [سورة البقرة/٢٢١]، وقال أيضاً: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النور/٣].

والاتفاق على قراءة الكلمة في هذا الموضع والاختلاف في غيره يدل على الانسجام التام بين القراءة وسياق الآيات التي وردت فيها الكلمة القرآنية.

---

(١) حجة ابن خالويه، ص ١٢٢، وحجة أبي زرعة، ص ١٩٦–١٩٧، ومفاتيح الغيب، ٤٦/١٠، والإتحاف، ص ٣٣٨، والتحرير والتنوير، ٩٠/٤.

(٢) جامع البيان، ١٨٧/٨.

(٣) المرجع السابق، ١٨٨/٨.

ومما جاء على التبادل بين صيغتي اسم الفاعل والمفعول: الاختلاف في قراءة كلمة ﴿مُبَيِّنَاتٍ﴾ على وجهين: ﴿مُبَيِّنَاتٍ﴾ بكسر الياء على صيغة اسم الفاعل، و﴿مُبَيَّنَاتٍ﴾ بفتح الياء على صيغة اسم المفعول[1] في الآيات الآتية: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ [سورة النور/٣٤]، ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة النور/٤٦]، ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ [سورة الطلاق/١١].

ومعنى هذه الكلمة على القراءة ﴿مُبَيِّنَاتٍ﴾ بكسر الياء على صيغة اسم الفاعل: مفصِّلات الحلال من الحرام، وأن الآيات هي التي أبانت المقاصد التي أنزلت لأجلها. وهذا المعنى ناتج عن دلالة اسم الفاعل على من قام بالفعل، حيث أسند التبيين إلى الآيات.

ومعنى الكلمة على القراءة ﴿مُبَيَّنَاتٍ﴾ بفتح الياء على صيغة اسم المفعول: مفسَّرات لا لبس فيهن وفي دلالتهن. والمعنى: أن الله بينها ووضحها، وأبان فيها الأحكام والحدود. وهذا المعنى ناتج عن دلالة اسم المفعول على من وقع عليه الفعل، حيث أسند البيان إلى الله ﷻ.[2]

والآيات على القراءة ﴿مُبَيِّنَاتٍ﴾ بصيغة اسم الفاعل كقوله تعالى: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [سورة التوبة/٦٤]. أسند التبيين إلى السورة.

ومعنى الآيات على القراءة ﴿مُبَيَّنَاتٍ﴾ بصيغة اسم المفعول كقوله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ [سورة آل عمران/١١٨، الحديد/ ١٧].[3]

ومعنى الآيات على القراءتين متقاربٌ؛ لأن القراءتين متلازمتان في المعنى، وهما بمعنى قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [سورة النور/١]. فالبينات هي الواضحة، أي: واضحة الدلالة والإفادة، بنفسها أو بتبيين الله ﷻ لها.[4]

وتنويع القراءات هنا هو من قبيل التفنن في التعبير والتصرُّف في الأساليب الذي ينبِّه الأذهان على مضمون الكلام المُلقَى إلى السامع.

---

(١) قرأ ابن عامر وحفص والأخوان وخلف ﴿مُبَيِّنَاتٍ﴾ بكسر الياء في المواضع الثلاثة، وقرأ الباقون بفتحها. انظر: التيسير، ص ١٠٨، وتحبير التيسير، ص ٤٨١.

(٢) الكشاف، ٢٤٥/٣، والمحرر الوجيز، ١٨٢/٤، ومفاتيح الغيب، ١٩٣/٢٣، والجامع لأحكام القرآن، ١٧٤/١٨، والبحر المحيط، ٤١٧/٦، وإرشاد العقل، ١٧٤/٦، والبحر المديد، ٧١/٥، والتحرير والتنوير، ١٨٣/١٨، وأضواء البيان، ٥٣٦/٥.

(٣) حجة أبي زرعة، ص ٤٩٨.

(٤) التحرير والتنوير، ١٨٣/١٨.

ومما جاء على التبادل بين صيغتي اسم الفاعل والمفعول: اختلاف القراء في قراءة كلمة (مُخْلَص) على وجهين: على صيغة اسم الفاعل، وعلى صيغة اسم المفعول[1] في الآيات الآتية: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [سورة يوسف/٢٤]، ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [سورة الحجر/٤٠]، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [سورة مريم/٥١]، ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [سورة الصافات/٤٠، ٧٤، ١٢٨، ١٦٠]، ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [سورة الصافات/١٦٩]، ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [سورة ص/٨٣].

والقراءة بصيغة اسم الفاعل تنسب الإخلاص إلى العباد، ومعناها: الذين أخلصوا لله عبادتهم ودينهم. وهذا المعنى ناتج عن دلالة اسم الفاعل على من قام بالفعل، حيث أسند الإخلاص إلى العباد.

والقراءة بصيغة اسم المفعول تنسب الإخلاص إلى الله، ومعناها الذين اختارهم الله واصطفاهم. وهذا المعنى ناتج عن دلالة اسم المفعول على من وقع عليه الفعل، حيث أسند الاصطفاء والإخلاص إلى الله ﷻ.[2]

والآيات على القراءة بصيغة اسم الفاعل تنسب الإخلاص إلى العباد، وهي كقوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [سورة غافر/١٤]، وقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [سورة البينة/٥]، وعلى القراءة بصيغة اسم المفعول تنسب الإخلاص إلى الله، وهي كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [سورة ص/٤٦]، وقوله: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [سورة الأعراف/١٤٤].[3]

والقراءتان متقاربتان ومتلازمتان في المعنى؛ لأن "من أخلصه الله لنفسه فاختاره، فهو مُخْلِصٌ لله التوحيدَ والعبادة، ومن أخلص توحيدَ الله وعبادته فلم يشرك بالله شيئًا، فهو ممن أخلصه الله."[4] ويوسف وموسى عليهما السلام جمعا هاتين الصفتين، فكانا مخلِصين في طاعة الله تعالى، ومستخلَصين لرسالة الله تعالى.[5]

---

(١) قرأ الكوفيون والمدنيّان (الْمُخْلَصِينَ) بفتح اللام على صيغة اسم المفعول حيث وقع، وقرأ الباقون (الْمُخْلِصِينَ) بكسر اللام. وقرأ الكوفيون فقط (إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا) بصيغة اسم المفعول، وقرأ الباقون ومعهم المدنيّان (إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا) بصيغة اسم الفاعل. انظر: السبعة، ص ٣٤٨، والتيسير، ص ٩٠، والنشر، ٣٣٢/٢، وتحبير التيسير، ص ٤١٣.

(٢) جامع البيان، ٤٩/١٦–٥٠، وحجة ابن خالويه، ص ١٩٤، وحجة أبي زرعة، ص ٣٥٨–٣٥٩، والنكت والعيون، ٢٦/٣، ومعالم التنزيل، ٢٣٤/٤، والمحرر الوجيز، ٣٦٢/٣، ومفاتيح الغيب، ٩٤/١٨، والجامع لأحكام القرآن، ١٧٠/٩، وأنوار التنزيل، ٢٨٢/٣، والبحر المحيط، ٤٤١/٥، والبحر المديد، ٢٦٩/٣، والتحرير والتنوير، ٤٩/١٢، وأضواء البيان، ٢٠٦/٢.

(٣) حجة أبي زرعة، ص ٣٥٨–٣٥٩.

(٤) جامع البيان، ٥٠/١٦.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، ١٧٠/٩.

وهذه المعاني وإن كانت متلازمة عرفاً، إلا أن تنويع القراءات هو الذي أشار إليها وأظهرها لمن خفيت عليه، فمزية القراءات المتنوعة هنا هو الكشف عن المعاني المتلازمة وإظهارها.

ثالثاً: التبادل بين اسم الفاعل وصيغ المبالغة.

ورد التبادل بين صيغة اسم الفاعل وصيغ مبالغته في بعض القراءات المتواترة، مما أسفر عن تأكيد المعنى والمبالغة في تصويره على قراءة من قرأ بصيغ مبالغة اسم الفاعل. وأكثر صيَغ المبالغة وروداً في القرآن الكريم عموماً، والقراءات المتواترة خصوصاً صيغة (فعَّال).(١) وفيما يأتي بعض الأمثلة من القراءات المتبادلة بين هذه الصيغة وصيغة اسم الفاعل:

اختلف القراء في قراءة كلمة ﴿سَاحِرٍ﴾ من قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [سورة الأعراف/١١٢]، وقوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [سورة يونس/٧٩]. حيث قرأ القراء هذه الكلمة في الآيتين على وجهين: ﴿سَاحِرٍ﴾ على وزن (فاعل)، و﴿سَحَّارٍ﴾ على وزن (فَعَّال).(٢)

والقراءتان بمعنى واحد، إلا أن القراءة ﴿سَحَّارٍ﴾ على وزن (فَعَّال) من صيغ مبالغة اسم الفاعل أبلغ في الوصف؛ لأن هذا الوزن يدل على ما يدل عليه اسم الفاعل من معنى، مع تأكيد المعنى والمبالغة في تصويره.(٣)

والقراءة باسم الفاعل تدل على القليل والكثير، لأن المراد بها هنا جنس الساحر،(٤) وهي تتناسب مع سياق الآيات التالية لهذه الآية: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ [سورة الأعراف/١١٣]، ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ [سورة الأعراف/١٢٠]، فإن كلمة ﴿السَّحَرَةُ﴾ في هاتين الآيتين جمع (ساحر) وليس (سَحَّار)، وكذلك (ساحر) اسم الفاعل من الفعل ﴿سَحَرُوا﴾ في الآية: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ [سورة الأعراف/١١٦].(٥)

وأما القراءة ﴿سَحَّارٍ﴾ بصيغة مبالغة اسم الفاعل فتفيد المبالغة بوصف الساحر بالسحر، أي: كل ساحر يداوم على عمل السحر ويتصف بالقوة فيه والإتقان له، والتناهي في معرفته حتى إنه يعلِّمه غيره، خلافاً لـ(ساحر)

(١) دراسات لأسلوب القرآن، أ.عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة، د.ط.، د.ت.، القسم الثاني، ٣/٤، ١٩.

(٢) قرأ الأخوان وخلف ﴿سَحَّارٍ﴾ على وزن (فَعَّال) بتشديد الحاء وألف بعدها في الموضعين، وقرأ الباقون في السورتين ﴿سَاحِرٍ﴾ على وزن (فاعل)، والألف قبل الحاء .انظر: المبسوط، ص ٢١٢، والعنوان، ص ٩٦، والنشر، ٣٠٥/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٧٥.

(٣) حجة أبي زرعة، ص ٢٩١، والكشف، ٤٧١/١، والموضح، ٥٤٦/٢، وإبراز المعاني، ٤٨٠/٢، والبحر المحيط، ٣٦٠/٤، واللباب، ٢٥٦/٩، والإتحاف، ص ٤٠٣، والتحرير والتنوير، ٢٣١/٨.

(٤) حجة ابن خالويه، ص ٨٧، والموضح، ٥٤٦/٢.

(٥) حجة الفارسي، ٦٤/٤، ومفاتيح الغيب، ١٦٣/١٤.

وهو المبتدئ في السحر الذي لا يعلِّم غيره، ولا يداوم عليه، بل يمارسه في وقت دون آخر.(١)

وهذه القراءة تتناسب وسياق الآية التي وصفت الساحر بالعليم، و﴿عَلِيمٍ﴾ صيغة مبالغة على وزن (فَعيل) من (عَلِمَ)، أي: إنَّ كلاً من صيغتي ﴿سَحَّارٍ﴾ و﴿عَلِيمٍ﴾ للمبالغة، فالآية تصف الساحر بالتناهي والقوة في العلم، ويناسبها قراءة ﴿سَحَّارٍ﴾ التي تصف الساحر بالمبالغة والقوة في السحر.(٢)

كما أن هذه القراءة تتناسب مع السياق اللاحق لهذه الآية: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الأعراف/١١٦]. فإن وصف السحر بالعظمة في هذه الآية يتناسب والقراءة بصيغة (فَعَّال) التي تفيد المبالغة وتقوية المعنى.(٣)

وتنويع القراءات هنا يدلُّ على بلاغة نظم القرآن الذي يسعى إلى تحقيق الموافقة بين السياق السابق واللاحق في بعض المواطن من خلال تعدد القراءات.

وأشير هنا إلى أن كلمة ساحر تُقرأ على صيغتي اسم الفاعل ومبالغته في هذين الموضعين فقط، وهناك مواضع أخرى في القرآن الكريم اتفق فيها القراء على قراءة هذه الكلمة بصيغة اسم الفاعل، ومنها قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأعراف/١٠٩]، وقوله: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [سورة طه/٦٩]، وقوله: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الشعراء/٣٤]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [سورة ص/٤].

كما اتفق القراء على القراءة ﴿سَحَّارٍ﴾ بصيغة مبالغة اسم الفاعل في سورة الشعراء في الآية ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ [سورة الشعراء/٣٧]. فما هو الغرض الدلالي والبلاغي من الاتفاق على القراءة بصيغة المبالغة في سورة الشعراء، والاختلاف في هذين الموضعين؟

يرى بعض الباحثين — وأتابعهم في ذلك - أن مردَّ ذلك إلى السياق، ففي سورة الشعراء كانت هذه الكلمة جواب قوم فرعون لسيدهم الذي استشارهم في أمر موسى عليه السلام، وهو ما بيَّنه قوله تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۞ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [سورة الشعراء/٣٤-٣٥]، فأجابوه بقولهم:

---

(١) حجة ابن خالويه، ص ١٦٠، ومعالم التنزيل، ٢٦٤/٣، وروح المعاني، ٢٣/٩.

(٢) حجة الفارسي، ٦٤/٤، والكشف عن وجوه القراءات، ٤٧١/١-٤٧٢، ومفاتيح الغيب، ١٦٣/١٤، والبحر المحيط، ٣٦٠/٤، والتحرير والتنوير، ٢٣١/٨.

(٣) الموضِّح، ٥٤٦/٢.

﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۞ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ [سورة الشعراء/٣٦-٣٧] أي: إنَّ قوم فرعون أرادوا أن يجيبوا فرعون بما هو أبلغ من قوله؛ رعاية لمراده، فقالوا: ﴿سَحَّارٍ﴾.

أما سياق الآيات في سورتي الأعراف ويونس فيدل على أن الكلام كان ابتداءً من فرعون في سورة يونس، ومحادثة فيما بين قوم فرعون في آية الأعراف: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۞ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۞ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۞ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [سورة الأعراف/١٠٩-١١٢]. والكلام على السياقين لا يتطلب الإتيان بصيغة المبالغة لتأكيد كلامهم.(١)

أي: إنَّ الغرض البلاغي من اختلاف القراءات في هاتين الآيتين هو التنويع والتفنن في إلقاء الكلام؛ حيث تتفق القراءة ﴿سَاحِرٍ﴾ بصيغة اسم الفاعل مع الآيات المتفق على قراءتها بهذه الصيغة، وتتفق القراءة ﴿سَحَّارٍ﴾ بصيغة المبالغة مع آية سورة الشعراء المتفق على قراءتها بهذه الصيغة، وهذا من وجوه البلاغة في نظم القرآن.

وبذلك يتبيَّن أن القراءات المتنوعة في آيتي الأعراف ويونس تتوافق مع السياق السابق واللاحق من جهة، ومع نصوص القرآن عموماً من جهة أخرى، وهذه الموافقة للسياق، والملاءمة مع نصوص القرآن تدل على إعجاز القرآن الذي لا يضطرب نظمه، ولا تختلُّ معانيه رغم التباعد والتطاول في زمن نزوله.

ومما ورد على التبادل بين اسم الفاعل وصيغة (فَعَّال) من صيغ مبالغة اسم الفاعل: الاختلاف في قراءة ﴿عَالِمِ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة سبأ/٣]. حيث قرأ القراء: ﴿عَالِمِ﴾ على وزن فاعل، و﴿عَلَّامِ﴾ على وزن (فَعَّال).(٢)

والقراءتان في المعنى سواء. وقد استحسن الطبري وغيره القراءة بصيغة المبالغة؛ لقوة معناها لغةً، فهي عنده أبلغ في المدح من القراءة بصيغة اسم الفاعل.(٣)

وهذا المسلك (الترجيح بين القراءات المتواترة) مسلك غير صحيح؛ لأن القراءتين كلام الله ﷻ، وقد وصف الله ﷻ بهما ذاته، والقراءة بصيغة اسم الفاعل لا تدل على عدم شمول علم الله ﷻ، بل هي كالقراءة الأخرى في الدلالة على شمول العلم وإحاطته؛ لأن الموصوف بهما هو الله ﷻ، ومعنى القراءتين في حقه سواء، والتنويع في

---

(١) النشر، ٣٠٥/٢، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم، القسم الثاني، ١٩/٤، واختلاف البنية الصرفية، ص ٤٨.

(٢) قرأ الأخوان ﴿عَلَّامِ﴾ على وزن (فَعَّال)، وقرأ الباقون ﴿عَالِمِ﴾ على وزن فاعل، فابن عامر ونافع ورويس يقرؤون بالرفع، والباقون بالجر. انظر: التيسير، ص ١١٨، والتلخيص في القراءات، ص ٣٧٣، والنشر، ٣٨٩/٢، وتحبير التيسير، ص ٥١٤.

(٣) جامع البيان، ٣٤٩/٢٠، وحجة ابن خالويه، ص ٢٩١–٢٩٢، وحجة أبي زرعة، ص ٥٨١، وأنوار التنزيل، ٣٩١/٤.

القراءة ليس إلا ضرباً من ضروب التفنن في أداء الكلام.[1]

رابعاً: التبادل بين صيغتي اسم الفاعل والصفة المشبهة به.

تبيَّن في المطلب السابق أن صيغة اسم الفاعل تدل على الصفة الحادثة غير الملازمة لصاحبها، وأن صيغة الصفة المشبهة تدل على الصفة الملازمة التي لا تنفك عن صاحبها. وقد ورد التبادل بين هاتين الصيغتين في كثير من القراءات المتواترة، ومنها:

اختلاف القراء في قراءة ﴿مَالِكِ﴾ من قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [سورة الفاتحة/٤]. حيث قرأ بعض القراء ﴿مَالِكِ﴾ بالألف بصيغة اسم الفاعل، وقرأ آخرون ﴿مَلِكِ﴾ بدون ألف بعد الميم،[2] على وزن (فَعِل) من أوزان الصفة المشبهة باسم الفاعل.

وقد ترتَّب على هذا الاختلاف في القراءة الاختلاف في معنى الكلمة، فالكلمة على القراءة ﴿مَالِكِ﴾ بصيغة اسم الفاعل تصف الله ﷻ بالمِلك - بكسر الميم - وهو الاختصاص بالأشياء ومنافعها دون غيره؛ لأن المالك هو الذي يعود إليه ملك الأشياء، وله الحق في التصرف في أعيانها. أما القراءة ﴿مَلِكِ﴾ فتدل على تمثيل الهيئة في نفوس السامعين؛ لأن المَلِك هو ذو المُلك - بضم الميم — والمُلك أخص من المِلك؛ إذ المُلك هو التصرف في الموجودات، ويختص بتدبير أمور العقلاء وسياسة جمهورهم وأفرادهم وموَاطنهم؛ فلذلك يقال: (مَلِك الناس)، ولا يقال: (مَلِك الدواب والبهائم والدنانير).[3] وإذا كان المالك هو الذي يعود إليه ملك الأشياء، وله الحق في التصرف في أعيانها، فالمَلِك هو الذي تنفذ إرادته وحكمه في ملكه.[4]

واختلف المفسرون أي القراءتين أبلغ في المدح: فذهب بعضهم إلى أن القراءة ﴿مَالِكِ﴾ أعم وأمدح من القراءة ﴿مَلِكِ﴾، لأمور منها: ١ - المالك أبلغ تصرفاً وأعظم؛ لأن إجراء القوانين والشرع في مملكة ما هو من حق مالكها، ٢ - شأن المُلك أن يكون في يد المالك، الذي يملك حق اختيار المَلِك أو عزله، ٣ - يبقى المُلك

---

(١) وقد ذكر د. الخرّاط أنَّ قطع الإعراب في قراءة نافع وابن عامر يقوي قراءة اسم الفاعل بلاغياً؛ لأنَّ قطع النعت؛ لإبراز الصفة في معرض المدح والتعظيم، وبذلك تكون الآية مفيدة للمبالغة بطريقتين: صيغة المبالغة، وقطع الإعراب ثم الاستئناف. انظر: الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية، ص ٢١٣.

(٢) قرأ الجمهور ﴿مَلِكِ﴾ بدون ألف بعد الميم، وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف ﴿مَالِكِ﴾ بالألف. انظر: السبعة، ص ١٠٤، والتيسير، ص ١٥، والنشر، ٣١٠/١، وتحبير التيسير، ص ١٨٦.

(٣) حجة أبي زرعة، ص ٧٩، والمحرر الوجيز، ٦٩/١، والبحر المحيط، ١٣٦/١، واللباب، ١٨٥/١، والتحرير والتنوير، ١٧٢/١.

(٤) النكت والعيون، ٥٦/١، والتحرير والتوير، ١٧٢/١—١٧٣.

في يد المالك إذا تصرف بجور أو اعتداء أو سرف، ٤ - عدم قدرة المملوك على انتزاع المُلك من المالك، ٥ - المالك يُطمَع فيه، والمَلِك يطمع فيك، ٦ - المالك له رأفة ورحمة، والمَلِك له هيبة وسياسة، واحتياجنا إلى الرأفة والرحمة أشد من احتياجنا إلى الهيبة والسياسة، ٧ — المَلِك إذا عرض عليه العسكر لم يقبل إلا من كان قوي البدن صحيح المزاج، أما من كان مريضاً فإنه يرده ولا يعطيه شيئاً من الواجب، أما المالك إذا كان له عبد فإن مرض عالجه وإن ضعف أعانه وإن وقع في بلاء خلصه، فالقراءة بلفظ المالك أوفق للمذنبين والمساكين.(١) ٨ — المَلِك مَلِك للرعية، والمالك مالك للعبيد، والعبد أدون حالاً من الرعية فوجب أن يكون القهر في المالكية أكثر منه في الملكية، ووجب أن يكون المالك أعلى حالاً من المَلِك، كما أن الرعية يمكنهم إخراج أنفسهم عن كونهم رعية لذلك المَلك باختيار أنفسهم، أما المملوك فلا يمكنه إخراج نفسه عن كونه مملوكاً لذلك المالك باختيار نفسه، فثبت أن القهر في المالكية أكمل منه في المُلكية، ٩ - لا يجب على الرعية خدمة المَلك، أما المملوك فإنه يجب عليه خدمة المالك، ١٠ - المملوك لا يستقل بأمر إلا بإذن مولاه، مما يدل على كون الانقياد والخضوع في المملوكية أتم منه في الرعية.(٢)

وقال آخرون: القراءة ﴿مَلِكِ﴾ أخص من القراءة ﴿مَالِكِ﴾ وأمدح؛ لأمور، منها: ١ - المالك قد يكون غير ملِك، ولا يكون المَلِك إلا مالكاً،(٣) ٢ - ﴿مَلِكِ﴾ تكون مع العقلاء من الناس، و﴿مَالِكِ﴾ تكون مع العقلاء من الناس، وغيرهم.(٤) ٣ - كل واحد من أهل البلد يكون مالكاً، أما الملك فلا يكون إلا أعظم الناس وأعلاهم شأناً، فكان المَلِك أشرف من المالك،(٥) ٤ - ﴿مَلِكِ﴾ أوفق لسائر القرآن مثل قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [طه/١١٤، والمؤمنون/ ١١٦]، وقوله: ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾ [سورة الحشر/٢٣، والجمعة/١].(٦)

وفرق أبو حاتم بينهما، فقال: مَالِك أبلغ في مدح الخالق من مَلِك، ومَلِك أبلغ من مدح المخلوق من

---

(١) معالم التنزيل، ٥٣/١، والمحرر الوجيز، ٦٩/١، ومفاتيح الغيب، ١٩٥/١، والجامع لأحكام القرآن، ١٤٠/١، والبحر المحيط، ١٣٨/١.

(٢) مفاتيح الغيب، ١٩٢/١—١٩٣.

(٣) جامع البيان، ١٥٠/١، وحجة ابن خالويه، ص ٦٢، وحجة أبي زرعة، ص ٧٨، ومعالم التنزيل، ٥٣/١، والمحرر الوجيز، ٦٩/١، والجامع لأحكام القرآن، ١٤٠/١، والبحر المحيط، ١٣٨/١. وذكر ابن عطية أن بعض موجهي القراءات يختار كون القراءة (مالك) أعم من (مَلِك)، وضعَّف هذا القول، ورجَّح أن العكس هو الصحيح. انظر: المحرر الوجيز، ٦٩/١.

(٤) حجة ابن خالويه، ص ٢٠، والكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٥٣٨هـ)، تح: محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣/١٤٢٤هـ، ٢١/١.

(٥) مفاتيح الغيب، ١٩٣/١.

(٦) حجة أبي زرعة، ص ٧٨، ومعالم التنزيل، ٥٣/١.

مالك؛ لأن المالك من المخلوقين قد يكون غير ملك. وإن كان الله تعالى مالكاً كان ملكاً، ووُصف الله تعالى بأنه ملك من صفات ذاته، ووصفه بأنه مالك، من صفات أفعاله.(١)

فالقراءة ﴿مَلِكِ﴾ تفارق القراءة ﴿مَالِكِ﴾ في المعنى بحسب قصر النظر على مفهوم كلمة (مَلِك)، ومفهوم كلمة (مالِك) بغض النظر عن سياقها، أما والكلمة مضافة إلى يوم الدين فقد استوتا في إفادة أنه مالك ذلك اليوم ومَلِكه، وأنه وحده المتصرف في شؤون ذلك اليوم دون شبهة مشارك.(٢)

فكل قراءة من القراءتين خُصَّت بيوم القيامة، فأشارت بوضوح إلى أن ملكية هذا اليوم ترجع إلى الله ﷻ وحده، وأن الحكم الأوحد في ذلك اليوم هو لله ﷻ وحده دون سواه، فنحن قد ننسب ملكية بعض الأشياء للناس في الدنيا، لكن هذه الملكية ملكية مجازية؛ لأن المُلك حقيقةً لله ﷻ وحده في الدنيا والآخرة، وكذلك الله ﷻ هو المَلِك الحاكم في هذه الدنيا حقيقةً، وليس حكم بعض الناس إلا من قبيل الحكم المجازي ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران/٢٦]، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [سورة الأنعام/ ٥٧، وسورة يوسف/ ٤٠ ، ٦٧].

فإضافة ﴿مَلِكِ﴾ و﴿مَالِكِ﴾ إلى يوم الدين يشير إلى أنه لا يوجد في يوم القيامة متملك أو حاكم لا من قبيل الحقيقة ولا المجاز إلا الله ﷻ وحده.(٣) وإضافة الكلمة إلى يوم الدين يزيل الفروق المعنوية بينهما، فكل من القراءتين كلام الله ﷻ، والله ﷻ يتصف بالملك والمالكية، وليست صفة أقوى من صفة في حقه ﷻ.

ومعنى قراءة ﴿مَالِكِ﴾ تستلزم معنى القراءة الأخرى؛ لأن من ملك شؤون يوم الدين وجميع الموجودات ملك التصرف فيها. وسياق ملكية يوم القيامة وشؤونه استلزم أن يكون المالِك مَلِكاً. وإضافة القراءة ﴿مَالِكِ﴾ إلى يوم الدين يستلزم معنى القراءة ﴿مَلِكِ﴾، ويبيِّن أن سياق الآية ومعناها لن يستقيم دون القول بإدخال معنى القراءة ﴿مَلِكِ﴾ في القراءة ﴿مَالِكِ﴾؛ لأن معنى القراءة الأولى هو من لوازم الثانية بدلالة السياق؛ لأن من يملك التصرف بشؤون الدين لا يكون إلا ملِكاً.(٤)

والملازمة التي بين معنى القراءتين ملازمة غير ذهنية مستفادة من سياق الآية؛ لأن تصور ملكية يوم الدين وتصور القدرة على التصرف بشؤون ذلك اليوم يستلزمان الجزم بلزوم حكم ذلك اليوم لمالكه، وهذا ما يسمى

(١) النكت والعيون، ٥٦/١، والجامع لأحكام القرآن، ١٤٠/١.

(٢) حجة الفارسي، ١٥/١–٢٠، والمحرر الوجيز، ٦٩/١، والتحرير والتنوير، ١٧٣/١.

(٣) التحرير والتنوير، ١٧٢/١–١٧٣.

(٤) اللباب، ١٨٨/١.

باللازم البين بالمعنى الأعم؛ لأن تصور اللازم والملزوم وتصور النسبة بينهما يستوجب الحكم بالملازمة.(١)

والتوفيق بين القراءتين – بالنظر إلى سياقهما – أولى من المفاضلة بينهما؛ لأن المفاضلة مبنية على النظر إلى حال الدنيا، والحقيقة بالنسبة إلى الله ﷻ فوق ذلك.

ومما ورد على التبادل بين صيغتي اسم الفاعل والصفة المشبهة في القراءات: الاختلاف في قراءة ﴿حَاذِرُونَ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ [سورة الشعراء/٥٦]، حيث قرأ بعض القراء ﴿حَاذِرُونَ﴾ على وزن اسم الفاعل جمع (حاذِر)، وقرأ آخرون ﴿حَذِرُونَ﴾ جمع (حذِر) صفة مشبهة على وزن (فَعِل).(٢)

وقد ترتَّب على هذا الاختلاف في القراءة الاختلاف في توجيه وبيان معنى الكلمة على القراءتين: فذهب أبو عبيدة إلى أن القراءتين بمعنى واحد.(٣)

وذهب جمهور المفسرين إلى افتراقهما، ثم اختلفوا في بيان الفرق بين معنى القراءتين، فقال بعضهم: الحاذر هو الخائف مما يَرى، والحذِر: المتيقظ الذي لا يُرى إلا خائفاً، وقيل: الحَذِر: المخلوق مجبولاً على الحذر، والحَاذِر: من عرض له ذلك،(٤) وقيل: الحاذر: الخائف مما سيجري في المآل، والحذر: المتيقِّظ في الحال. وقيل: حاذرون: مُؤْدُون ومقوون، أي: ذوو أداة وقوة وسلاح، وحذرون: خائفون شرهم.(٥) وقال الزجاج:(٦) الحاذر: المستعد، والحَذِر: المتيقظ.(٧) وقال الفراء: الحاذر: الذي يحذرك الآن، والحذر: المخوف، وذلك لا تلقاه إلا حذراً.(٨)

---

(١) أثر القراءات في تعدد المعاني، ص ٢٠٠–٢٠١، وانظر: اختلاف البنية الصرفية، ص ١٨–٢٤.

(٢) قرأ الكوفيون وابن ذكوان ﴿حَاذِرُونَ﴾ بالألف، وقرأ الباقون ﴿حَذِرُونَ﴾ بغير ألف. انظر: السبعة، ص ٤٧١، والتيسير، ص ١١٠، والإقناع، ص ٤٣٦، والنشر، ٣٧٥/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٨٧.

(٣) معالم التنزيل، ١١٤/٦، والدر المصون، ٥٢٢/٨، واللباب، ٣٠/١٥.

(٤) الدر المصون، ٥٢٢/٨، واللباب، ٣٠/١٥، والإتحاف، ص ٥٨٩.

(٥) إعراب النحّاس، ١٨١/٣، وعلل القراءات، ٤٧٣/٢.

(٦) هو إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، عالم بالنحو واللغة، ولد سنة ٢٤١هـ، تعلم العربية على المبرّد، وتتلمذ عليه أبو أبو علي الفارسي النحوي. من كتبه: معاني القرآن، والاشتقاق، وخلق الإنسان، و(الأمالي) في الأدب واللغة، و(فعلت وأفعلت) في تصريف الألفاظ، وإعراب القرآن، والعروض، ومختصر النحو. توفي في بغداد عام ٣١١هـ رحمه الله تعالى. انظر: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء، لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، (٦٢٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤١١/١هـ–١٩٩١م، ٨٢/١–٩٥، وبغية الوعاة، ٤١١/١–٤١٣، ومعجم المؤلفين، ٣٣/١.

(٧) معاني الزجّاج، ٩٢/٤.

(٨) معاني الفرّاء، ٢٨٠/٢، وجامع البيان، ٣٥٣/١٩، وحجة ابن خالويه، ص ٢٦٧، وحجة أبي زرعة، ص ٥١٧، ومعالم التنزيل، =

وأرى أن جميع المعاني المذكورة لقراءة ﴿حَذِرُونَ﴾ ترجع إلى معنى المبالغة في أخذ الحيطة والحذر؛ لأن المتسلح يتسلح مخافة القتل، وهذا من باب الحذر، والعرب تقول: فلانٌ حاذِرٌ وحذِرٌ: إذا أخذ حذره.(١)

وقول الجمهور أقوى؛ لدلالة المعاني الصرفية على الافتراق في المعنى، وكون المبالغة في صيغة الصفة المشبهة أول تلك الفروق. جاء في تفسير مفاتيح الغيب: "اعلم أن الصفة إذا كانت جارية على الفعل وهو اسم الفاعل واسم المفعول كالضارب والمضروب أفادت الحدوث. وإذا لم تكن كذلك وهي المشبهة أفادت الثبوت. فمن قرأ (حَذِرُونَ) ذهب إلى معنى: إنَّا قوم من عادتنا الحذر واستعمال الحزم، ومن قرأ (حَاذِرُون) ذهب إلى معنى: إنَّا قوم ما عهدنا أن نحذر إلا عصرنا هذا."(٢)

والقراءة ﴿حَذِرُونَ﴾ تدل على المبالغة،(٣) وتناسب سياق الآيات المجاورة لهذه الآية؛ لأن سياق الآيات في مقام استعراض فرعون لقوة جنوده أمام قومه، لدفعهم إلى ملاحقة المؤمنين برسالة موسى ، وهذا يناسبه المبالغة التي في القراءة ﴿حَذِرُونَ﴾.(٤)

وأخيراً أذكر من الأمثلة: الاختلاف في قراءة ﴿نَخِرَةً﴾ من قوله تعالى: ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾ [سورة النازعات/١١]. حيث اختلف القراء في قراءة هذه الكلمة، فقرأ بعضهم ﴿نَخِرَةً﴾، وقرأ آخرون ﴿نَاخِرَةً﴾.(٥)

وقد اختلف المفسرون في توجيه هاتين القراءتين، فذهب بعض المفسرين إلى أن القراءتين بمعنى واحد، ومعنى الآية عليهما: أنبعث بعد أن نكون عظاماً بالية؟(٦)

وذهب أكثر المفسرين إلى التفريق بينهما في المعنى، فقالوا: ﴿نَخِرَةً﴾ بمعنى بالية متعفنة قد صارت رميماً، و﴿نَاخِرَةً﴾ فارغة مجوفة تمر فيها الريح فتصدر صوتاً كالصفير. وقال أبو عمرو بن العلاء: ﴿نَخِرَةً﴾ كعظم نَخِرٍ: أي

١١٤/٦، وزاد المسير، ١٢٥/٦.

(١) حجة أبي زرعة، ص ٥١٧–٥١٨.

(٢) مفاتيح الغيب، ١١٩/٢٤، واللباب، ٣٢/١٥.

(٣) كتاب سيبويه، ١١٣/١.

(٤) انظر: اختلاف البنية الصرفية، ص ٢٤-٢٦.

(٥) قرأ أبو بكر والأخوان وخلف ورويس ﴿نَاخِرَةً﴾ بالألف، وقرأ الباقون ﴿نَخِرَةً﴾ بغير ألف.انظر: السبعة، ص ٦٧٠، والتيسير، ص ١٣٨، والنشر، ٤٣٨/٢، وتحبير التيسير، ص ٦٠٤.

(٦) منهم أبو عبيدة، وأبو علي الفارسي، وأبو حاتم، والفراء. انظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، ٢٨٤/٢، ومعاني الفراء، ٢٣١/٣، وحجة أبي زرعة، ص ٧٤٨، ومعالم التنزيل، ٣٢٧/٨، والمحرر الوجيز، ٤٣٢/٥، ومفاتيح الغيب، ٣٤/٣١، والبحر المحيط، ٤١٠/٨، وروح المعاني، ٢٤/٣٠.

وقع منها البلاء، و﴿نَاخِرَةً﴾ غداً، لما يُنتَظَر، ولـمَّا يقع بعد. وقيل: ناخرة: بالية، ونخرة: متآكلة.(١)

والقراءة ﴿نَخِرَةً﴾ أبلغ في المعنى والتعبير عن البِلى والتعفن من ﴿نَاخِرَةً﴾؛(٢) لأن صيغة الصفة المشبهة تدل على ثبوت الوصف للموصوف، لكن القراءة ﴿نَاخِرَةً﴾ أنسب لفواصل الآيات السابقة واللاحقة، ولذلك رجَّحها الطبري على القراءة ﴿نَخِرَةً﴾، رغم قوَّة معناها.(٣)

والأولى أن يلتمس وجوه الحُسن في القراءتين، دون ترجيح، فيقول: ﴿نَخِرَةً﴾ أبلغ من جهة معناها، و﴿نَاخِرَةً﴾ أبلغ من جهة موافقتها لإيقاع السورة، والبلاغة التامَّة لنظم القرآن تتحقق باجتماع القراءتين معاً.

يتبيَّن مما سبق من الأمثلة أن صيغة (فَعِل) تفيد المبالغة غالباً، وهي أبلغ في الوصف من القراءة بصيغة اسم الفاعل؛ لأنها تفيد ثبوت الوصف لصاحبها ثبوتاً عاماً وفي جميع الأوقات. وهذا بالنظر إلى الكلمة بمفردها وبمعزل عن سياقها، وعندما يُنظَر إلى جميع القراءات ضمن سياقها لا يخفى الوجه الذي يقوّي جميع القراءات، ويشهد لبلاغتها، وقوة ارتباطها بنظم القرآن.

خامساً: التبادل بين صيغ مبالغة اسم الفاعل والصفة المشبهة.

وقع التبادل بين صيغتي الصفة المشبهة وصيغ مبالغة اسم الفاعل في بعض القراءات، ومنها كلمة ﴿لَرَءُوفٌ﴾ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة البقرة/١٤٣]، التي قرئت بوجهين: ﴿لَرَءُوفٌ﴾ على وزن (فَعول) من صيغ مبالغة اسم الفاعل، و﴿لَرَؤُفٌ﴾ على وزن (فَعُل) من صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل.(٤)

وقد ذهب بعض موجهي القراءات إلى أن القراءة بالصفة المشبهة أبلغ في المدح من القراءة الأخرى، وإن كانت الأخرى جاءت على وزن (فَعول) الذي جاءت به أكثر أسماء الله الحسنى، نحو: (غفور وشكور).(٥)

وأرى أن القراءتين في المعنى سواء، وكلاهما تفيد المبالغة في تصوير المعنى، وأتابع في ذلك جمهور المفسرين.(٦)

---

(١) جامع البيان، ١٩٥/٢٤، وحجة أبي زرعة، ص ٧٤٨، والنكت والعيون، ١٩٥/٦–١٩٦، والمحرر الوجيز، ٤٣٢/٥، والتسهيل لعلوم التنزيل، ٥٣٢/٢، والدر المصون، ٦٧٢/١٠، واللباب، ١٣٢/٢٠، وروح المعاني، ٢٤/٣٠.

(٢) جامع البيان، ١٩٥/٢٤، والتسهيل لعلوم التنزيل، ٥٣٢/٢، والدر المصون، ٦٧٢/١٠، واللباب، ١٣٢/٢٠، وروح المعاني، ٢٤/٣٠.

(٣) جامع البيان، ١٩٥/٢٤. وانظر: اختلاف البنية الصرفية، ص ٣١–٣٣.

(٤) قرأ الحرميان وابن عامر وحفص وأبو جعفر ﴿لَرَءُوفٌ﴾ بالمد، وقرأ الباقون ﴿لَرَؤُفٌ﴾ بالقصر. انظر: السبعة، ص ١٧١، والتيسير، ص ٦٢، وتحبير التيسير، ص ٢٩٦.

(٥) حجة أبي زرعة، ص ١١٦.

المفسرين.[1]

وأخيراً يجدر بهذا المبحث أن يخلص إلى نتيجة حتمية دلَّت عليها الأمثلة الآنفة الذكر، وهي: أن التبادل بين صيغتي المصدر وأبنية المشتقات، يؤدي إلى توسيع معنى الآية على القراءة بأحد المشتقات، ومرجع ذلك إلى كون أبنية المشتقات تشارك المصدر في المعنى الأصلي وتضيف إليه معاني جديدة. ولا يخفى أن الوصف بالمصدر يفيد المبالغة في بعض الأحيان؛ لأنه يجعل الموصوف هو المصدر ذاته.

أما التبادل بين أبنية المشتقات فيؤدي إلى تعدد الدلالات البلاغية والمعنوية للآية المختلف في قراءتها، لأن القراءتين تفيدان معاني جديدة تضاف إلى المعنى الأصلي للمصدر. وهذا يسهم في إثراء نظم القرآن، والدلالة على إيجازه، حيث يعبر هذا النظم بالألفاظ القليلة عن المعاني الكثيرة.

(١) إعراب النحّاس، ٢٦٩/١، ومفاتيح الغيب، ٩٩/٤، والدر المصون، ١٥٩/٢، واللباب، ٢٨/٣، والجامع لأحكام القرآن، ١٥٨/٢.

المبحث الثالث: تبادل القراءات بين الاسمية والفعلية، وأثره في بلاغة النظم.

المطلب الأول: التبادل بين الاسمية والفعلية، وأثره في بلاغة النظم.

المطلب الثاني: التبادل بين الجذور اللغوية المتغايرة، وأثره في بلاغة النظم.

الاسم هو كل لفظٍ دلَّ على معنى في نفسه دون أن يقترن بزمن، وهو بذلك يخالف الفعل الذي يدل على حدثٍ مقترن بزمن. وهذا الفارق بين الاسم والفعل يؤدي إلى اختلاف وتغاير دلالة كل منهما معنوياً وبلاغياً؛ فالاسم يفيد بأصل الوضع الدلالة على ثبوت شيءٍ لشيءٍ دون نظرٍ إلى تجدّدٍ أو استمرار، أما الفعل فيفيد تجدد وحدوث المعنى شيئًا بعد شيء على وجه الاستمرار؛ لأن الفعل موضوع أصلاً للدلالة على الزمن.(١)

ويتضح الفرق بين دلالتي الاسم والفعل في قولك: عمرو طويل، والصبي يطول، فقولك: طويل: يفيد أن صفة الطول ثابتة لا تحدث فيه ولا تتجدد، أما قولك: يطول، فإنه يفيد أن الصبي يطول شيئاً فشيئاً، وأن الطول يحدث ويتجدد فيه. وهذا الفرق بين دلالتي الاسم والفعل يجعل من غير الصحيح وضع أحدهما موضع الآخر، فالاسم يقعُ حيث لا يصلُح الفعلُ مكانَه، والفعلُ يقعُ حيث لا يصلح الاسم مكانَه ولا يؤدِّي ما كانَ يؤدّيه، فلكل منهما سياق يقتضيه، وصورة من المعنى لا يدل عليها غيره.(٢)

تأمل مثلاً الأمثلة القرآنية الآتية، ولا حظ الفرق بين دلالتي الاسم والفعل: يقول الله تعالى في وصف كلب أصحاب الكهف: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [سورة الكهف/١٨]. عبّر الله ﷻ عن هيئة الكلب باسم الفاعل﴿بَاسِطٌ﴾، وهنا لا يصلح أن يوضع الفعل في هذه الآية موضع اسم الفاعل؛ لأن قولنا: كَلبُهم يبسُطُ ذراعَيه لا يؤدِّي الغرضَ المطلوب، وهو الدلالة على هيئة الكلب؛ لأنَّ الفعل يقتضي مُزاولةً وتجدُّدَ الصِّفة في الوقت، أما الاسُم فيفيد ثبوتَ الصِّفة وحصولها من غير أن يكونَ هناك مُزاولةٌ وحدوث معنى شيئاً فشيئاً.(٣)

وتأمل أيضاً قوله تعالى في وصف بقرة بني إسرائيل: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ [سورة البقرة/٦٩]، وصف البقرة بوصفين: صفرة اللون، وإدخال السرور على الناظرين، ولما كان اللون من الأوصاف الثابتة عبَّر عنه بالاسم فقال: ﴿صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾، أما إدخال السرور فإنه مما يتجدد ويحدث ويتقلب وهذا يناسبه التعبير بالفعل، ولذلك قال: ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾.(٤)

فإذا ظهر هذا الفرق بين دلالتي الاسم والفعل، وجب البحث عن الدلالات البلاغية التي يقتضيها تبادل القراءات بين الاسمية والفعلية في بعض الآيات القرآنية، وهو ما سيتناول هذا المبحث دراسته.

---

(١) دلائل الإعجاز، ص ١٤١، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٩٩، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، ص ٤٦.

(٢) دلائل الإعجاز، ص ١٤٢، وخصائص التراكيب، ص ٢٦٢.

(٣) دلائل الإعجاز، ص ١٤١. وانظر: خواطر حول القرآن الكريم المعروف بتفسير الشعراوي، للشيخ محمد متولي الشعراوي، تح: د.أحمد عمر هاشم، مطابع أخبار اليوم الثقافية، د.ط./١٩٩١م، ٣٨١١/٦.

(٤) البحر المحيط، ٤١٨/١. وانظر: تنوع خطاب القرآن الكريم في العهد المدني (دراسة لغوية)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها إلى قسم اللغة العربية بكلية التربية، بعدن، إعداد الطالب: صالح عبد الله منصور مسود العولقي، إشراف: د.عبدالله صالح عمر بابعير، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص ٤٢.

المطلب الأول: التبادل بين الاسمية والفعلية، وأثره في بلاغة النظم.

ورد تبادل القراءات بين الاسم والفعل في مواضع متعددة في القرآن الكريم، فهل أدى ذلك إلى التبادل بين مدلول الاسم من حيث هو لفظ دال على مجرَّد الحدث دون أن يقترن بزمن، وبين مدلول الفعل من حيث هو لفظ دال على حدَث مقترن بزمن؟ وما الوجوه البلاغية التي يمكن استخلاصها من تبادل القراءات بين الاسمية والفعلية؟ إنَّ الأمثلة الآتية تبيِّن أثر تبادل القراءات بين الاسمية والفعلية، وتجيب عن التساؤلات الآنفة الذكر.

اختلف القراء في قراءة ﴿عَمَلٌ﴾ من قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [سورة هود/٤٦]، حيث قرأ بعض القراء ﴿عَمَلٌ﴾ بصيغة المصدر، وقرأ آخرون ﴿عَمِلَ﴾ بصيغة الفعل الماضي.[(١)]

وقد ترتب على هذا التبادل بين الاسمية والفعلية اختلاف معنى الآية إضافة إلى بعض الدلالات البلاغية.

فذهب المفسرون إلى أن معنى الآية على قراءة من قرأ ﴿عَمِلَ﴾ بصيغة الفعل الماضي: إن ابنك يا نوح لا يستحق الركوب مع المؤمنين والنجاة معهم؛ لأنه عَمِلَ أعمالاً غير صالحة، فكذَّبك وأنكر رسالتك. وبذلك يتعيَّن عودة الضمير إلى ابنِ نوحٍ عليه السلام.[(٢)]

أما معنى الآية على القراءة ﴿عَمَلٌ﴾ بالاسمية ففيه وجوه وأقوال:

الأول: أن الضمير عائد على ابن نوح عليه السلام، والمعنى أن ابنك عملٌ غير صالح، لابتعاده عن الرشد. وفي التعبير عن فساده وعدم استحقاقه النجاة بالاسمية والوصف بالمصدر ما يفيد المبالغة في التعبير عن كثرة المبادرة إلى أعمال السوء، حيث جعل ابن نوح هو العمل ذاته.[(٣)] وقد أُثِرَ عن العرب وصف الإكثار من العمل بالمصدر،

---

(١) قرأ الكسائي ويعقوب ﴿إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ﴾ بكسر الميم وفتح اللام ونصب الراء، وقرأ الباقون ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ﴾ بفتح الميم ورفع اللام مع التنوين ورفع الراء. انظر: السبعة، ص ٣٣٤، وتذكرة ابن غلبون، ص ٣٧١-٣٧٢، والتيسير، ص ٨٨، والنشر، ٣٢٦/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٠٦.

(٢) جامع البيان، ٣٤٦/١٥، والنكت والعيون، ٤٧٦/٢، والكشاف، ٣٧٨/٢، والمحرر الوجيز، ١٧٧/٣، والموضّح، ٦٤٨/٢، ومفاتيح الغيب، ٣/١٨، وأنوار التنزيل، ٢٣٧/٣، والبحر المحيط، ٢٢٩/٥، والدر المصون، ٣٣٦/٦، واللباب، ٥٠١/١٠، وإرشاد العقل، ٢١٢/٤، والبحر المديد، ٢١٨/٣، وفتح القدير، ٧٢٦/٢، والتحرير والتنوير، ٢٧١/١١.

(٣) النكت والعيون، ٤٧٦/٢، والكشاف، ٣٧٨/٢، والمحرر الوجيز، ١٧٧/٣، والموضّح، ٦٤٨/٢، وأنوار التنزيل، ٢٣٧/٣، والبحر المحيط، ٢٢٩/٥، والدر المصون، ٣٣٦/٦، واللباب، ٥٠١/١٠، وإرشاد العقل، ٢١٢/٤، والبحر المديد، ٢١٨/٣، وفتح القدير، ٧٢٦/٢، والتحرير والتنوير، ٢٧١/١١.

فقالوا في وصف الرجل إذا كثر علمه وإحسانه: إنه علم وكرم وجود.(١)

ويجوز أن يكون الضمير عائداً على ابن نوح، ولكن ليس من باب الوصف بالمصدر، بل من باب حذف المضاف، والمعنى: إن ابنك ذو عَملٍ غير صالح، وحُذِف المضاف؛ لدلالة الكلام عليه.(٢)

الثاني: الضمير في الآية يعود على السؤال الذي يتضمنه الكلام، ويفسره قوله تعالى آخر الآية: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة هود/٤٦]، ويقوي هذا التأويل ما جاء في مصحف ابن مسعود: (إنه عَمَلٌ غيرُ صَالحٍ أن تسألني ما ليس لك به علم). (٣) ومعنى الآية على هذا التأويل: إن سؤالك إياي تنجية ابنك من الهلاك مع كونه مخالفاً دينَك، وموالياً أهل الشرك عملٌ غير صالح، لأنَّه مسألة منك إليّ ألّا أفعل ما قد تقدّم مني القول بأني أفعله. وهذا القول اختيار الطبري، وهو أحسن الأقوال لدى أبي جعفر النحاس.(٤)

الثالث: الضمير عائد على ركوب ولد نوح معهم الذي يتضمنه سؤال نوح عليه السلام، والمعنى: إن ركوب الكافر مع المؤمنين عَمَلٌ غير صالح.(٥)

الرابع: إن الضمير يعود على ترك الركوب – كما يرى مكي – ويكون الكلام على هذا التأويل من كلام نوح عليه السلام، بخلاف ما تقدَّم فإنَّه من قول الله تعالى فقط، أي: إنَّ نوحاً قال: إنَّ كونك مع الكافرين، وتركك الركوبَ معنا عمل غيرُ صالح. وهذا القول الأخير ضعيف، وأنكره أكثر المفسرين، لأن ظاهر الآية وسياقها يبيِّن أن الكلام جميعه هو من كلام الله تعالى مخاطباً به نوحاً عليه السلام.(٦)

وأقوى الأقوال وأولاها بالقبول الأول، وهو أن الضمير يعود إلى ابن نوح، وأن الوصف بالمصدر مبالغة؛ لأن هذا المعنى هو الذي يدل عليه ظاهر النص، وهو الذي عليه جمهور المفسرين. والقول الثاني مقبول أيضاً، وتؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه، وباقي الأقوال فيها تكلُّف في التأويل،(٧) وأمَّا ما ذكره بعض المفسرين في تفسير الآية من نسبة الفاحشة إلى زوجه، وأنه ليس ابنه من صلبه، فتأويل مردود، ولا يوجد دليل لغوي وشرعي يؤيده، وهذا

---

(١) مفاتيح الغيب، ٣/١٨.

(٢) مفاتيح الغيب، ٤/١٨، والتسهيل لعلوم التنزيل، ٣٩٨/١.

(٣) النكت والعيون، ٤٧٦/٢، ومعالم التنزيل، ١٨٠/٤، والموضِّح، ٦٤٨/٢، ومفاتيح الغيب، ٣/١٨، والبحر المحيط، ٢٢٩/٥، والبحر المديد، ٢١٨/٣.

(٤) جامع البيان، ٣٤٦/١٥، ٣٥٠، ومعاني النحَّاس، ٣٥٥/٣.

(٥) المحرر الوجيز، ١٧٧/٣.

(٦) المحرر الوجيز، ١٧٧/٣، والدر المصون، ٣٣٧/٦، واللباب، ٥٠١/١٠.

(٧) البحر المحيط، ٢٢٩/٥.

التأويل لا يليق بعصمة الأنبياء.(١)

وقد أضاف هذا التبادل بين المصدر والفعل دلالات بلاغية إلى الآية فضلاً عن الدلالات المعنوية؛ حيث أفاد التعليل بالفعلية الحدوث، وهو وجه بليغ؛ لأنه يدلُّ على حدوث أعمال السوء وتجددها منه شيئاً بعد شيء، مما يدعو إلى ضرورة عزله وإبعاده عن النجاة مع المؤمنين. وقراءة الاسمية تفيد ثبوت الوصف للموصوف، والتعبير بالمصدر يفيد المبالغة؛ لأنه يجعل الموصوف هو الوصف ذاته؛ لشدة ملازمته له.

وتنوع القراءات هنا يغني مدلولات الآية، ويبيِّن العلل التي لأجلها أُمِر نوح عليه السلام بتنحية ابنه، وإبعاده عن سفينة النجاة؛ لأن تعدد العلل يقوّي العزيمة إلى الامتثال، ويسلي نوحاً عليه السلام عن هلاك ابنه؛ فهو من السوء بمكانٍ استحق لأجله أن يُوصَف بالمصدر، وأعمال السوء تتجدد منه على نحوٍ يدعو إلى اليأس من صلاحه.

ومما ورد على التبادل بين المصدر والفعل من القراءات المتواترة الاختلاف في قراءة ﴿فَكُّ﴾، و﴿إِطْعَامٌ﴾ من قوله تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ [سورة البلد/١٣-١٤]، فقرأ بعض القراء ﴿فَكَّ﴾، و﴿أَطْعَمَ﴾ بصيغة الفعل الماضي، وقرأ آخرون ﴿فَكُّ﴾، و﴿إِطْعَامٌ﴾ بصيغة المصدر.(٢)

ومعنى الآية على القراءات جميعها واحد؛ لأن القراءات جميعها على البيان لمعنى اقتحام العقبة المذكور في الآيات السابقة: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ [سورة البلد/١١-١٢]، لكن عبّر القرآن من خلال نظمه عن هذا الاقتحام بطريقتين:

بالجملة الفعلية على قراءة ﴿فَكَّ رَقَبَةً ۝ أَوْ أَطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ والمعنى: من أعرض عن فعل الخيرات والإنفاق في سبيل الله ما تجاوز عقبة جهنم، فلا فَكَّ رقبةً، ولا أطعم يتيماً أو مسكيناً في يوم مجاعة.

وعبَّر بالجملة الاسمية على قراءة ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾. ومعنى الآيات على هذه القراءة: من أعرض عن فعل الخيرات والإنفاق في سبيل الله ما تجاوز عقبة جهنم، وما أدراك ما اقتحام العقبة، اقتحام العقبة: إعتاق رقبة، أو إطعامُ مسكينٍ في يوم مجاعة، أي: إنَّ الكلام على حذف مضاف تقديره: (اقتحام العقبة: فك رقبة).(٣)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٤٦/٩، وروح المعاني، ٦٩/١٢.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ﴿فَكَّ﴾ بفتح الكاف، ﴿رَقَبَةً﴾ بالنصب، ﴿أَطْعَمَ﴾ بفتح الهمزة والميم من غير تنوين ولا ألف قبلها، وقرأ الباقون برفع ﴿فَكُّ﴾، وخفض ﴿رَقَبَةٍ﴾، ﴿إِطْعَامٌ﴾ بكسر الهمزة ورفع الميم مع التنوين وألف قبلها. انظر: السبعة، ص ٦٨٦، والتيسير، ص ١٤٠، والنشر، ٤٤١/٢، وتحبير التيسير، ص ٦١٣.

(٣) جامع البيان، ٤٤١/٢٤-٤٤٢، وحجة ابن خالويه، ص ٣٧١، وحجة أبي زرعة، ص ٧٦٤-٧٦٥، والمحرر الوجيز، ٤٨٥/٥، =

فمعنى الآيات على القراءتين واحد، لكن يترتب على تبادل القراءات بين الاسمية والفعلية بعض الدلالات البلاغية؛ لأن التعبير بالفعل ينفي حدوث عمل الخير من المذكور ولو مرة واحدة، أما التعبير بالاسمية فيفيد ثبوت الوصف للموصوف، أي: ثبوت أن اقتحام العقبة يكون بأفعال الخير التي لم يزاولها أو يجربها المذكور.

ومن أمثلة تبادل القراءات بين الاسم والفعل الاختلاف في قراءة ﴿جَعَلَ﴾ من قوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ [سورة الأنعام/٩٦]، حيث قرأ الكوفيون ﴿جَعَلَ اللَّيْلَ﴾ بصيغة الفعل الماضي، وقرأ الباقون ﴿جَاعِلُ اللَّيْلِ﴾ بصيغة اسم الفاعل.(١)

والمعنى على القراءتين واحد، لكن يمكن استنباط الدلالات البلاغية في تغايرهما. وقد ذهب جمهور المفسرين وموجهي القراءات إلى أن القراءة ﴿وَجَاعِلُ اللَّيْلَ﴾ بصيغة اسم الفاعل جاءت لتتناسب مع صيغة اسم الفاعل قبله، وهو قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ﴾ [سورة الأنعام/٩٥]، وقوله: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾، فلما كان المذكور قبله بصيغة اسم الفاعل حسن أن يكون ﴿وَجَاعِلُ اللَّيْلَ﴾ أيضاً اسم فاعل، وبهذه القراءة يكون المعطوف مشاركاً للمعطوف عليه، ومشابهاً له في الاسمية.(٢)

أما القراءة ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ فإنها تتناسب ومعنى ﴿فَالِقُ﴾ في الموضعين؛ لأن فالق بمعنى الماضي أي: فلق الحبَّ، وفلق الإصباح، لأن الفلق أمر قد كان، ولذلك حسن العطف عليه بلفظ الماضي.(٣)

واحتج أيضاً من قرأ بصيغة الفعل أن كلمتي ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ بعده منصوبتان، ولا بد لهذا النصب من عامل، وما ذاك إلا أن يقدر قوله: (وَجَعَلَ) بمعنى: وجعل الشمس والقمر حسباناً، وذلك يفيد المطلوب،(٤)

والموضِّح، ٣/١٣٧٢-١٣٧٣، والجامع لأحكام القرآن، ٢٠/٧٠، والبحر المحيط، ٨/٤٧١، والدر المصون، ١١/٩، واللباب، ٢٠/٣٤٨، والإتحاف، ص ٧٧٦، والتحرير والتنوير، ٣٠/٣١٦.

(١) السبعة، ص ٢٦٣، والتيسير، ص ٧٨، والنشر، ٢/٢٩٤، وتحبير التيسير، ص ٣٦٠.

(٢) حجة الفارسي، ٣/٣٦١-٣٦٢، وحجة أبي زرعة، ص ٢٦٢، والكشف عن وجوه القراءات، ١/٤٤، والموضِّح، ١/ ٤٨٨، ومفاتيح الغيب، ١٣/٨١، وفتح القدير، ٢/٢٠٧، والتحرير والتنوير، ٦/٢٣٣.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات، ١/٤٤، والمحرر الوجيز، ٢/٣٢٥-٣٢٦، والموضِّح، ١/ ٤٨٨، وزاد المسير، ٣/٩١، وإبراز المعاني، ٢/٤٥٣، والجامع لأحكام القرآن، ٧/٤٥ والبحر المحيط، ٤/١٩٠، وفتح القدير، ٢/٢٠٧.

(٤) يذهب بعض موجهي القراءات إلى أن القراءة باسم الفاعل على تقدير فعل محذوف، أي: يجعله سكناً؛ لانتصاب المفعول بعده، واسم الفاعل لا ينصب مفعولاً ثانياً في مذهب البصريين إلا إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال، وهو هنا بمعنى الماضي ولذلك احتاج إلى تقدير، وهذا مذهب أبي علي فيما انتصب مفعولاً ثانياً بعد اسم فاعل ماض، وذهب السيرافي إلى أنه ينتصب باسم الفاعل وإن كان ماضياً؛ لأنه لما وجبت إضافته إلى الأول لم يمكن أن يضاف إلى الثاني، فعمل فيه النصب وإن كان ماضياً. انظر: البحر المحيط، ٤/١٩٠، والتبيان في إعراب القرآن، ١/٥٢٣، وروح المعاني، ٧/٢٣٣. وانظر: المفصل في صنعة الإعراب، ص ٢٨٩،

=

ويكون المعنى: جعلَ الليل سكناً، وجعلَ الشمس والقمر حسباناً، ولذلك حسنت القراءة بالفعلية.(1)

كما أن القراءة بالفعلية تتناسب مع ما جاء من أفعال ماضية بعد هذه الآية: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾ [سورة الأنعام/٩٧]، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [سورة الأنعام/٩٨]، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ [سورة الأنعام/٩٩].(2)

أي: إنَّ القراءتين تتناسبان وسياق الآيات السابق واللاحق، فالقراءة بالاسمية تشابه الاسمية في الآيات السابقة، والقراءة بالفعلية تتناسب والأفعال الماضية في الآيات اللاحقة. وتحقيق المشاكلة على القراءتين يرفع من قدر هذا النظم، الذي يراعي بمختلف قراءاته تحقيق أعلى مراتب البلاغة، وهذا يدل على سمو نظم القرآن.

والقراءة بالاسمية تدل على ثبوت الوصف للموصوف، والقراءة بالفعلية تفيد صفة الحدوث، وكلا الأمرين متحقق ومعنى القراءتين مراد، فالله هو جاعل الليل سكناً، وهو الذي يحدث لليل هذا الوصف يومياً. والتعبير بالقراءتين يفيد مدح الخالق، والدلالة على نعمة متجددة من نعمه.(3)

وكذلك اختلف القراء في قراءة ﴿خَلَقَ﴾ من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [سورة إبراهيم/١٩]، وقوله: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ [سورة النور/٤٥]، فقرأ بعض القراء ﴿خَلَقَ﴾ بصيغة الفعل الماضي، وقرأ آخرون ﴿خَالِقُ﴾ بصيغة اسم الفاعل.(4)

ومعنى القراءتين واحد،(5) لكن تختلف الدلالات البلاغية لقراءتي الاسمية والفعلية، فالفعل يفيد التعبير عن فعل مضى وانقضى، والاسمية تفيد ثبوت الوصف (الخلق) للموصوف، فالله هو خالق السموات وخالق المخلوقات من ماء، وهذا الوصف ثابت لا يتغير، والاسمية تفيد هذا المعنى؛ لأنها تدلُّ على ثبوت الوصف للموصوف.(6)

واللباب في علل البناء والإعراب، ١/٤٣٧–٤٣٨، وحاشية الصبان، ١/٤٤٠.

(١) مفاتيح الغيب، ١٣/٨١، والجامع لأحكام القرآن، ٧/٤٥، والدر المصون، ٥/٦١، واللباب، ٨/٣٠٩–٣١٠.

(٢) حجة أبي زرعة، ص ٢٦٢، والجامع لأحكام القرآن، ٧/٤٥، والدر المصون، ٥/٦٠-٦١، واللباب، ٨/٣٠٩.

(٣) تفسير الشعراوي، ٦/٣٨١١.

(٤) قرأ الأخوان وخلف ﴿ خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وفي النور ﴿خَالِقُ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ بالألف ورفع القاف على وزن فاعل وخفض ما بعد ذلك، وقرأ الباقون ﴿خَلَقَ﴾ على وزن (فَعَلَ) ونصب ما بعده إلا أن التاء من السموات تكسر لأنها تاء جمع المؤنث. انظر: السبعة، ص ٣٦٢، والتيسير، ص ٩٤، والنشر، ٢/٣٣٥، وتحبير التيسير، ص ٤٢٤.

(٥) جامع البيان، ١٩/٢٠٣، ومعالم التنزيل، ٤/٣٤٣، ٦/٥٥، والمحرر الوجيز، ٣/٣٣٢، ومفاتيح الغيب، ١٩/٨٤، والبحر المحيط، ٥/٤٠٦، ٦/٤٢٧، والدر المصون، ٧/٨٥، واللباب، ١١/٣٦٥.

(٦) المحرر الوجيز، ٣/٣٣٢.

ولذلك قيل: إن (خَلَقَ) لشيءٍ مخصوص، فهي كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [سورة الأنعام/١]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [سورة الأعراف/١٨٩]، و(خالق) على العموم، وهي كقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ﴾ [سورة الحشر/٢٤]. والقراءات المتنوعة تفيد الخصوص، ومضيَّ الخلق على القراءة بالفعلية، والعموم والثبوت على القراءة بالاسمية، كما يدخل معنى الماضي ومعنى المدح في معنى القراءة بالاسمية على وزن (فاعل).[١]

ومما ورد أيضاً على التبادل بين الاسم والفعل من القراءات المتواترة الاختلاف في قراءة ﴿بِهَادِي﴾ من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ [سورة النمل/٨١]، حيث قرأ حمزة وحده ﴿تَهْدِي﴾ بصيغة الفعل المضارع، وقرأ الباقون ﴿بِهَادِي﴾ بصيغة اسم الفاعل.[٢]

ومعنى الآية على القراءتين واحد،[٣] لكن لكلٍ منهما خصوصية بلاغية، فإيراد الجملة بصيغة الاسمية على قراءة الجمهور يفيد المبالغة في نفي الهداية؛[٤] لأن الاسم يفيد الثبوت، والفعل يفيد الحدوث.

وإيراد الجملة بصيغة الفعلية على قراءة حمزة على سبيل المشابهة والمناسبة للآية السابقة: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ [سورة النمل/٨٠]، حيث عبّر في هذه الآية بفعلين مستقبلين، ثم عبَّر في الآية التالية بفعل مستقبل، فناسب بذلك ما قبله، أي: إنك لا تسمع الصمَّ ولا تهدي العُمي، أي: لا تقدر على هدايتهم؛ لأنهم لفرط عنادهم لا يبصرون الحق فهم كمن فقد بصره.[٥]

وسياق الآية يجذب إليه ما في القراءتين من خصوصيات بلاغية يغني بها المعنى العام وطرائق التعبير، ولذلك يعدُّ تنويع القراءات في هذه الآية وأمثالها أسلوباً من أساليب التفنن في التعبير الذي يتسم به نظم القرآن.

والمذكور في هذا المطلب والمباحث الآنفة في هذا الفصل هو أوجه التغاير التصريفي بين القراءات المتواترة، وهناك صورٌ أخرى للتغاير بين القراءات المتواترة وهي قريبة الصلة بالتغاير التصريفي، وليست منها؛ لأنها من قبيل التبادل بين الجذور اللغوية والمعجمية المتخالفة، وسأذكر لها بعض الأمثلة في المطلب الآتي؛ لصلتها بالتعدد الدلالي الذي تبيَّن أثره في نظم القرآن.

---

(١) إعراب النحّاس، ١٤٣/٣، وحجة ابن خالويه، ص ٢٠٣، وحجة أبي زرعة، ص ٣٧٦–٣٧٧، والجامع لأحكام القرآن، ٢٩١/١٢.

(٢) السبعة، ص ٤٨٦، والتيسير، ص ١١٢، والإقناع، ص ٤٣٨، والنشر، ٣٧٩/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٩٤.

(٣) جامع البيان، ٤٩٥/١٩، والموضّح، ٩٧١/٢.

(٤) البحر المديد، ٢٣٤/٥–٢٣٥.

(٥) الموضِّح، ٩٧١/٢.

المطلب الثاني: التبادل بين الجذور اللغوية المتغايرة، وأثره في بلاغة النظم.

كتب الصحابة الأجلاء ﭫ المصاحف العثمانية بما يتناسب مع القراءات المتنوعة التي نزل بها جبريل ﭴ، وقرأ بها النبي ﷺ، وقد كان عملهم هذا بتوجيه من الصحابي الجليل عثمان ﭬ. وقد ساعدت كتابة المصاحف بهذه الطريقة من خلو الكلمات من النقط والشكل على تحمّل وجوه التبادل في القراءات بين الجذور اللغوية المتغايرة.[(١)] حيث ورد في بعض القراءات المتواترة التبادل بين جذرين لغويين، مما أدى إلى الاختلاف في معنى الكلمات أو القراءات المتنوعة، والاتساع في مدلول الآيات التي اشتملت على تنوع القراءات دون أن يؤدي ذلك إلى الاضطراب أو التناقض، وقد ورد هذا التغاير بين فعلين أو اسمين من جذرين متخالفين، وهذا المطلب سيتناول بإيجاز واختصار هذه المسألة بالدراسة؛ لصلتها بالتنوع الدلالي، ولأثرها البلاغي في نظم القرآن.

أولاً: التبادل بين الجذور اللغوية المتغايرة للأفعال المختلَف في قراءتها.

ورد تبادل القراءات بين فعلين من جذرين لغويين، ومادتين معجميتين مختلفتين في مواضع متعددة في القرآن الكريم، فهل أدى ذلك إلى تعدد معنى ودلالة الكلمة المختلف في قراءتها؟ وما الوجوه البلاغية التي يمكن استخلاصها من هذا التبادل؟ يمكن الإجابة على ذلك من خلال الأمثلة الآتية:

اختلف القراء في قراءة ﴿نُنْشِزُهَا﴾ من قوله تعالى: ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ [سورة البقرة/٢٥٩]، فقرأ بعض القراء ﴿نُنْشِزُهَا﴾ من (نشز)، وقرأ آخرون ﴿نُنْشِرُهَا﴾ من (نشر).[(٢)]

وقد ترتب على هذا التبادل الاختلاف في معنى الآية؛ لأن معنى القراءة ﴿نُنْشِرُهَا﴾ نحييها بعد موتها، والإحياء واحد من معاني النشر.[(٣)]

أما معنى القراءة ﴿نُنْشِزُهَا﴾: نرفعُها من أماكنها من الأرض فنردُّها إلى أماكنها من الجسد، ونركب بعضها فوق بعض، ونحيطها بالأعصاب واللحم، فنعيدها كما كانت في الحياة الأولى،[(٤)] من (النشز والنشوز) وهو

---

(١) الإتقان، ١/٢٦٠، ومناهل العرفان، ١/١٨٠.

(٢) قرأ الكوفيون وابن عامر ﴿نُنْشِزُهَا﴾ بالزاي والباقون بالراء. انظر: السبعة، ص ١٨٩، والمبسوط، ص ١٥١، والتيسير، ص ٦٥، وتحبير التيسير، ص ٣٠٩.

(٣) تهذيب اللغة، ١١/٢٣٠، ولسان العرب، ٥/٢٠٦، وتاج العروس، ١٤/٢١٥.

(٤) جامع البيان، ٥/٤٧٦، والنكت والعيون، ١/٣٣٢–٣٣٣، ومعالم التنزيل، ١/٣٢٠، والمحرر الوجيز، ١/٣٥٠–٣٥١، وزاد المسير، ١/٣١٢، والجامع لأحكام القرآن، ٣/٢٩٥، والبحر المحيط، ٢/٣٠٥، وإرشاد العقل، ١/٢٥٤، والبحر المديد، ١/٢٥٨، والتحرير والتنوير، ٢/٥١٠، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، =

الارتفاع.[1] وهو ارتفاع تدريجي يكون على هيئة مخصوصة كما يرى المفسّر ابن عطية الذي يقول: "ويَقْلَقُ عندي أن يكون معنى النشوز رفع العظام بعضها إلى بعض، وإنما النشوز الارتفاع قليلاً قليلاً، فكأنه وقف على نبات العظام الرفات، وخروج ما يوجد منها عند الاختراع. ... وانظر استعمال العرب تجده على ما ذكرت، من ذلك: نشز ناب البعير."[2]

ففي هذه القراءة تصوير حسي لعملية إحياء العظام؛ لأنها تبيِّن طريقة الإحياء ومراحله التي تتلخص باجتماع العظام أولاً، ثم تركيب بعضها فوق بعض، ثم ارتفاعها قليلاً قليلاً على هيئة مخصوصة. وأخيراً تأتي القراءة الأخرى ﴿نُنْشِرُهَا﴾ لتبيِّنَ النتيجة والمآل الذي آلت إليه مراحل الإحياء التي بيَّنتها قراءة ﴿نُنْشِزُهَا﴾ بالزاي.[3]

وكل قراءة من القراءتين تتناسب مع المعنى الكلي والسياق العام للآيات؛ فالقراءة ﴿نُنْشِرُهَا﴾ بمعنى نحييها تتناسب مع قوله قبلها: ﴿قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [سورة البقرة/٢٥٩]. والقائل لم يكن في شك في رفع العظام، إنما شكه في إحياء الموتى، ولذلك قيل له: (انظر كيف ننشر العظام، أي: نحييها.)

أما القراءة ﴿نُنْشِزُهَا﴾ بالزاي، فهي بمعنى الرفع، وهي تتناسب مع ذكر العظام؛ لأن العظام إنما توصف بتأليفها وجمع بعضها إلى بعض، ولا توصف بالحياة إلا على سبيل المجاز، وإنما يوصف بالإحياء حقيقةً صاحبها، ويدل على ذلك قوله: ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾، فالعظام قبل أن يكسوها باللحم غير حيَّة، لأن العظم لا يكون حياً وليس عليه لحم، فلما قال: ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ علم بذلك أنه لم يحييها قبل أن يكسوها اللحم.[4]

يُلحَظ في هذه الآية أنَّ لفظة واحدة صوَّرت المراحل المتتالية، ووصفت عملية الإحياء التي تمت بقدرة الله ﷻ، فقراءة الراء أجملت، وقراءة الزاي فصَّلت،[5] وتمَّ بيان ذلك كله في آية واحدة من خلال تعدد قراءات كلمة واحدة فيها؛ فتنوع القراءات هو الذي أدى إلى اختلاف معنى الآية وتعدد مدلولاتها، ومرجع هذا إلى اختلاف الجذر اللغوي لكل قراءة.

والتعدد الدلالي في معنى الآية هو أحد الآثار الناتجة عن تعدد القراءات، وأما الأثر البلاغي فيتجلى في

المدينة المنورة، ط٥/١٤٢٤هـ-٢٠٠٠م، ١/٢٥٠.

(١) الصحاح للجوهري، ٤/٣٧، ولسان العرب، ٥/٤١٧، وتاج العروس، ١٥/٣٥٤.

(٢) المحرر الوجيز، ١/٣٥٠.

(٣) الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية، ص ٥٠-٥١.

(٤) حجة أبي زرعة، ص ١٤٤.

(٥) الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية، ص ٥٢-٥٣.

الإيجاز: وهو التعبير باللفظ القليل عن المعنى الكثير.(١)

وكذلك اختلف القراء في قراءة ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾ من قوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [سورة الأنعام/٥٧]، فقرأ بعض القراء ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾، وقرأ آخرون ﴿يَقْضِ﴾.(٢)

وقد ترتب على هذا التبادل في القراءات بين جذرين متغايرين اختلافُ معنى الآية، فالآية على قراءة من قرأ ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾ تحتمل وجهين:

الأول: أن يكون (يقصُّ) من القصص، وهو من القول والحكاية أي: يقول الحق، أي: كل ما أنبأ الله به أو أمر به هو من أقاصيص الحق، فهو لا يخبر إلا بالحق.(٣)

الثاني: أن يكون (يقصُّ) من الاقتصاص، وهو اتباع الأثر، أي: يجري قدره على أثر الحق، أي: وَفْقِه.(٤)

وفي معنى الآية على القراءة الأخرى ﴿يَقْضِ الْحَقَّ﴾ وجوه:

الأول: أن الجملة على حذف موصوف، والتقدير: يقضي القضاء الحقّ.(٥)

الثاني: أن (قضى) بمعنى (صَنَع)، والتقدير: يصنع الحق ويدبره.(٦)

الثالث: (يَقْضِ) بمعنى يُنْفِذ، ولذلك تعدى الفعل إلى المفعول.(٧)

---

(١) التحرير والتنوير، ١/٥٤.

(٢) قرأ المدنيان وابن كثير وعاصم ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾ بالصاد مهملة مشددة من القصص، وقرأ الباقون ﴿يَقْضِ﴾ بإسكان القاف وكسر الضاد معجمة من القضاء. انظر: السبعة، ص ٢٥٩، والمبسوط، ص ١٩٥، والتيسير، ص ٧٦، والنشر، ٢/٢٩٢، وتحبير التيسير، ص ٣٥٦.

(٣) جامع البيان، ١١/٣٩٩، والنكت والعيون، ٢/١٢١، ومعالم التنزيل، ٣/١٤٩، والمحرر الوجيز، ٢/٢٩٩، والموضِّح، ١/٤٧٢، وزاد المسير، ٣/٥٢، ومفاتيح الغيب، ١٣/٧، والجامع لأحكام القرآن، ٦/٤٣٩، وأنوار التنزيل، ٢/٤١٥، والبحر المحيط، ٤/١٤٦، والتحرير والتنوير، ٦/١٣٣—١٣٤. وهؤلاء المفسرون فسروا القراءة بالوجه المذكور فقط.

(٤) الدر المصون، ٤/٦٥٨، واللباب، ٨/١٨٣، وفتح القدير، ٢/١٧٧، والتحرير والتنوير، ٦/١٣٣. وهؤلاء اختاروا هذا الوجه وما سبقه.

(٥) معالم التنزيل، ٣/١٤٩، والموضِّح، ١/٤٧٢، وزاد المسير، ٣/٥٢، وفتح القدير، ٢/١٧٧، وهؤلاء المفسرون فسروا القراءة بالوجه المذكور.

(٦) مفاتيح الغيب، ١٣/٧، وأنوار التنزيل، ٢/٤١٥، وإرشاد العقل، ٣/١٤٢، والتحرير والتنوير، ٦/١٣٤. وهؤلاء المفسرون اختاروا هذا هذا الوجه وما سبقه.

(٧) المحرر الوجيز، ٢/٢٩٩، وروح المعاني، ٧/١٦٩. وهؤلاء المفسرون اختاروا هذا الوجه وما سبقه من وجوه.

الرابع: الكلام على إسْقَاطِ حَرْفِ الجرِّ، أي: يقضي بالحق، ولما حذف انْتَصَبَ مَجْرُورُهُ.(١)

وقد رجَّح بعض المفسرين — ومنهم الطبري – قراءة ﴿ يَقْضِ الْحَقَّ﴾؛ لمناسبتها لختام الآية. سئل أبو عمرو ابن العلاء: أي القراءتين تختار؟ فقال: لو كان يقص لقال: (وهو خير القاصين)، وحيث قال: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾، فإنما يكون الفصل في القضاء لا في القصص.(٢) ومما يحسِّن هذه القراءة: قوله قبله: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ الذي يقوي قراءة (يَقْضِ)، ومما يقويها أيضاً قراءة ابن مسعود: (إن الحكم إلا لله يقضي بالحق)، فدخول الباء يؤكد معنى القضاء.(٣)

وردَّ أبو علي الفارسي قول أبي عمرو، محتجاً بأن الفصل يطلق على القصص والقول أيضاً، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ [سورة الطارق/١٣]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة يوسف/١١١]، وقوله: ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف/٣٢]،(٤) ويؤيِّد القراءة ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾ القراءة الشاذة: (وهو خير القاصين)، ولعل هذه القراءة لم تبلغ الإمام أبا عمرو.(٥)

ويمكن التوفيق بين أقوال المفسرين دون ترجيح بعض القراءات بأن يقال: إنَّ كل قراءة لها وجه من اللغة ومستنَد من القرآن يقويها، وتعدد القراءات هنا يدل على إعجاز القرآن الذي يعبِّر بقراءاته عن المعاني المتباينة باللفظ الواحد الذي تشهد آيات قرآنية أخرى لجميع وجوهه.

فتنوع القراءات في هذه الآية أدى إلى اختلاف معنى الآية وتعدد مدلولاتها، ومرجع هذا إلى اختلاف الجذر اللغوي لكل قراءة. والتعدد الدلالي في معنى الآية هو أحد الآثار الناتجة عن تعدد القراءات، وأما الأثر البلاغي فيتجلى في الإيجاز: وهو التعبير باللفظ القليل عن المعنى الكثير.

وكذلك اختلف القراء في قراءة ﴿تَبْلُو﴾ من قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾ [سورة

---

(١) البحر المحيط، ١٤٦/٤، والدر المصون، ٦٥٨/٤، واللباب، ١٨٣/٨، والتحرير والتنوير، ١٣٤/٦. وهؤلاء المفسرون فسروا القراءة بالوجوه الأربعة المذكورة.

(٢) جامع البيان، ٣٩٩/١١، وحجة ابن خالويه، ص ١٤٠—١٤١، وحجة الفارسي، ٣١٨/٣، وحجة أبي زرعة، ص ٢٥٤، والبحر المحيط، ١٤٦/٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٤٣٩/٦.

(٤) حجة الفارسي، ٣١٨/٣—٣١٩، ومفاتيح الغيب، ٧/١٣—٨.

(٥) البحر المحيط، ١٤٦/٤، والدر المصون، ٦٥٨/٤، واللباب، ١٨٤/٨.

يونس/٣٠]، فقرأ بعض القراء ﴿تَبْلُو﴾ من (البلوى)، وقرأ آخرون ﴿تَتْلُو﴾ من (تلا).[١]

واتفق المفسرون على أن القراءة ﴿تَبْلُو﴾ بمعنى تختبر، ومعنى الآية على القراءة: في ذلك المقام تختبر كل نفس مؤمنة كانت أو كافرة ما أسلفت من العمل سواء أكان خيراً أم شراً، فتعاين نفعه وضرره.

وأما القراءة الأخرى ﴿تَتْلُو﴾ فتحتمل وجهين: الأول: أن يكون ﴿تَتْلُو﴾: من التلاوة، أي: كلُّ نفس تقرأ ما قدمت من الأعمال في صحائف أعمالها، الثاني: أن يكون من التلوِ وهو الاتّباع، أي: تتبع عملها الذي سيقودها إما إلى الجنة أو النار.[٢]

وقد أدى تنوع القراءات في هذه الآية أيضاً إلى تعدد مدلولات الآية، وتجلى الأثر البلاغي لهذا التعدد في الإيجاز: وهو التعبير باللفظ القليل عن المعنى الكثير.

ثانياً: التبادل بين الجذور اللغوية المتغايرة للأسماء المختلف في قراءتها.

ورد تبادل القراءات بين اسمين أو أكثر من جذرين لغويين مختلفين في مواضع متعددة في القرآن الكريم، فهل أدى ذلك إلى تعدد معنى ودلالة الكلمة المختلف في قراءتها؟ وما الوجوه البلاغية التي يمكن استخلاصها؟ يمكن الإجابة على ذلك من خلال الأمثلة الآتية:

اختلف القراء في قراءة ﴿كَبِيرٌ﴾ من قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [سورة البقرة/٢١٩]، فقرأ جمهور القراء ﴿كَبِيرٌ﴾ بالباء، وقرأ الأخوان ﴿كَثِيرٌ﴾ بالثاء.[٣]

ومعنى الآية على القراءتين واحد، لكنَّ كل قراءة لها دلالات بلاغية مختلفة عن دلالات القراءة الأخرى، وإن كانت القراءتان مجازاً في التعبير عن عظم الإثم في الخمر والميسر؛ لأن كبيراً مما يوصف به الأجسام، والإثم ليس جسماً، لذا كان وصف الإثم بالكبير مجازاً في التعبير عن عِظَمه، والمعنى: إثم شديد في نوعه. والقراءة ﴿كَثِيرٌ﴾ من

---

(١) قرأ الأخوان وخلف ﴿تَتْلُو﴾ بالتاء، وقرأ الباقون ﴿تَبْلُو﴾ بالباء. انظر: السبعة، ص ٣٢٥، وتذكرة ابن غلبون، ص ٣٦٤، والنشر، ٣١٨/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٩٨.

(٢) جامع البيان، ١٥/٨٠–٨٢، وحجة ابن خالويه، ص ١٨١، وحجة أبي زرعة، ص ٣٣١، والموضِّح، ٦٢٢/٢–٦٢٣، ومعالم التنزيل، ١٣١/٤، والكشاف، ٣٢٨/٢، وزاد المسير، ٢٨/٤، ومفاتيح الغيب، ٦٩/١٧، وأنوار التنزيل، ١٩٥/٣، والتسهيل لعلوم التنزيل، ٣٨٠/١، والبحر المحيط، ١٥٥/٥، وتفسير القرآن العظيم، ٢٦٥/٤، وإرشاد العقل، ١٤٠/٤–١٤١، والبحر المديد، ١٥٦/٣، وروح المعاني، ١٠٩/١١.

(٣) السبعة، ص ١٨٢، والتيسير، ص ٦٤، والنشر، ٢٥٩/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٠٤.

باب المجاز أيضاً؛ حيث استعير وصف الكثير للشديد؛ تشبيهاً لقوة الكيفية بوفرة العدد.[1]

وقد ذكر المفسرون وموجهو القراءات وجوهاً مختلفة وعللاً متباينة في توجيه كل قراءة من القراءات:

ومما ورد في توجيه قراءة ﴿كَبِيرٌ﴾:

أولاً: أن المبالغة في تعظيم الذنب إنما تكون بالكبر لا بكونه كثيراً، ولذلك سميت الآثام العظيمة: كبيرة وكبائر، ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ [سورة النجم/٣٢]، وقوله: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [سورة النساء/٣١]. والذنب في تعاطي القمار والخمر من الكبائر فوصفه بالكبير أليق.[2]

ثانياً: اتفقت القراءات المتواترة على أن قوله: ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ يُقرَأ بالباء، والقراءة ﴿كَبِيرٌ﴾ توافقها لفظاً. وفي مصحف ابن مسعود: (قل فيهما إثم كثير وإثمهما أكثر) بالثاء في الموضعين،[3] وهذه القراءة شاذة، لا تقوى على معارضة المتواترة.[4]

ومما ورد في توجيه قراءة ﴿كَثِيرٌ﴾:

أولاً: أن الله وصف أنواعاً كثيرة من الإثم في الخمر والميسر، فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ [سورة المائدة/٩١]. فذكر أعداداً من الذنوب فيهما، وهذه الأعداد يناسبها التعبير بالكثرة.[5]

ثانياً: أن النبي ﷺ لعن الخمر ولعن معها عشرة: بائعها ومبتاعها، والمشتراة له، وعاصرها، والمعصورة له وساقيها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكل ثمنها.[6] فهذه آثام كثيرة، كثير عدد مزاوليها من لدن كانت إلى

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٢٦/٢.

(٢) حجة أبي زرعة، ص ١٣٣، والمحرر الوجيز، ٢٩٤/١، ومفاتيح الغيب، ٤١/٦، والبحر المحيط، ١٦٧/٢، والدر المصون، ٤٠٧/٢، واللباب، ٣٦/٤.

(٣) البحر المحيط، ١٦٧/٢، والدر المصون، ٤٠٨/٢.

(٤) جامع البيان، ٣٢٩/٤، وحجة ابن خالويه، ص ٩٦، وحجة أبي زرعة، ص ١٣٢، والمحرر الوجيز، ٢٩٤/١، ومفاتيح الغيب، ٤١/٦، واللباب، ٣٦/٤.

(٥) مفاتيح الغيب، ٤١/٦، والدر المصون، ٤٠٨/٢.

(٦) سنن الترمذي، كتاب البيوع، باب النهي أن يُتخَذ الخمر خلاً، رقم/١٢٩٥، ٥٨٩/٣، وسنن البيهقي الكبرى، كتاب البيوع، باب تحريم التجارة في الخمر، رقم/١٠٨٢٨، ١٢/٦.

أن بيعت وشربت، وهذا الاعتبار يناسبه وصف الإثم بالكثرة.(١)

ثالثاً: الإثم في الآية مقابلٌ لـ (مَنَافِع)، و(منافع) جمعٌ، فناسب أن يوصف مقابلها بمعنى الجمع، وهو الكثرة، ولما قال: ﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ﴾ ذكر أن المنافع أعداد كثيرة، فناسبه أن يكون الإثم مثله؛ لأن جمع المنافع يحسن معه جمع الآثام، وبذلك يكون معنى الآية: فيهما مضار كثيرة ومنافع كثيرة.(٢)

رابعاً: وصف الإثم بالكثرة إما باعتبار الآثمين، فكأنه قال: فيه للناس آثام، أي لكل واحد من متعاطيها إثم، أو باعتبار ما يترتب على شربها من توالي العقاب وتضعيفه، فناسبه أن ينعت بالكثرة، أو باعتبار ما يترتب على شربها من صدور الكثير من الأفعال والأقوال المحرمة من شاربها.(٣)

والقراءتان في المعنى سواء، ولكل منهما وجه بلاغيٌ يناسبها، ودليلٌ يؤيدها، ولا ينبغي ترجيح إحداهما على الأخرى؛ لأن الكل كلامُ رب العالمين.

وكذلك اختلف القراء في قراءة ﴿بِضَنِينٍ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [سورة التكوير/٢٤]، فقرأ بعض القراء ﴿بِضَنِينٍ﴾، وقرأ آخرون ﴿بِظَنِينٍ﴾.(٤)

والقراءة ﴿بِضَنِينٍ﴾ بمعنى: بخيل، ومعنى الآية عليها: ليس محمد ﷺ نبياً بخيلاً، يشحُّ بما جاءه من الوحي وما أنزل عليه من القرآن، ولا يبلغ ما قيل له كما يفعل الكهان، بل يبذل العلم وتعاليم الدين لكل أحد.(٥)

وأما معنى (ظنين): متهم، ونفي التهمة عنه في هذه القراءة نظير وصفهم إياه بالأمين.(٦)

وقيل: بل ما هو بضعيف القوة عن التبليغ، من قولهم: بئر ظنون، إذا كانت قليلة الماء.(٧)

---

(١) المحرر الوجيز، ٢٩٤/١، ومفاتيح الغيب، ٤١/٦، والبحر المحيط، ١٦٧/٢، والدر المصون، ٤٠٨/٢-٤٠٨، واللباب، ٣٧/٤.

(٢) المحرر الوجيز، ٢٩٤/١، والموضِّح، ٣٢٥/١، ومفاتيح الغيب، ٤١/٦، والدر المصون، ٤٠٨/٢-٤٠٨، واللباب، ٣٧/٤.

(٣) البحر المحيط، ١٦٧/٢، والدر المصون، ٤٠٧/٢، واللباب، ٣٧/٤.

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس ﴿بِظَنِينٍ﴾ بالظاء، وانفرد ابن مهران بذلك عن روح أيضاً، وقرأ الباقون ﴿بِضَنِينٍ﴾ بالضاد. انظر: انظر: السبعة، ص ٦٧٣، والمبسوط، ص ٤٦٤، والغاية، ص ٤٣٢، والتيسير، ص ١٣٩، والنشر، ٤٣٩/٢، وتحبير التيسير، ص ٦٠٦.

(٥) جامع البيان، ٢٦٠/٢٤، وإعراب النحّاس، ١٦٣/٥، وحجة ابن خالويه، ص ٣٦٤، والمحرر الوجيز، ٤٤٤/٥، والموضِّح، ١٣٤٤/٣-١٣٤٤/٣-١٣٤٥، وزاد المسير، ٤٤/٩، ومفاتيح الغيب، ٦٨/٣١، وإبراز المعاني، ٧٢٠/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٢٤٢/١٩، وتفسير القرآن العظيم، ٣٣٩/٨، وإرشاد العقل، ١١٩/٩، والإتحاف، ص ٧٦٨، وروح المعاني، ٦١/٣٠.

(٦) المراجع السابقة.

(٧) جامع البيان، ٢٦٢/٢٤، والمحرر الوجيز، ٤٤٤/٥، وروح المعاني، ٦١/٣٠.

وهكذا تتعاضد القراءتان في وصف النبي ﷺ، فهو لم يخل بأداء ما تتطلبه الرسالة، وليس ضعيف القوة عن التبليغ، وهو غير متهم بأن يأتي بشيء من عند نفسه. وقد صحب هذا النفي تأكيد له بالباء الزائدة في خبر (ما)؛ لتقوى دلالة النفي على التعبير عن المقصود.(١) وتنوع القراءات في هذه الآية هو الذي أدى إلى تعدد مدلولاتها، وتجلى الأثر البلاغي لهذا التعدد والتنوع في الإيجاز: وهو التعبير باللفظ القليل عن المعنى الكثير.

جاء في تفسير التحرير والتنوير: "اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن يكثِّر المعاني في الآية الواحدة ... والظن أن الوحي نزل بالوجهين وأكثر؛ تكثيراً للمعاني، ... فيكون وجود الوجهين فأكثر في مختلف القراءات مجزئاً عن آيتين فأكثر، وهذا نظير التضمين في استعمال العرب، ونظير التورية والتوجيه في البديع، ونظير مستتبعات التراكيب في علم المعاني، وهو من زيادة ملاءمة بلاغة القرآن."(٢)

فالقراءات المتنوعة تؤدي إلى استيفاء المعاني التي تحتملها الآيات، اعتماداً على ملابساتها الحالية المتمثلة بأسباب النزول وغيرها، وملابساتها المقالية المتمثلة بسياق الآيات في السورة نفسها، ثم القرآن الكريم كله.

وأشير هنا إلى أن النص القرآني قد تفرَّد دون غيره من النصوص بهذه الإمكانات التي يضفيها تنوع قراءاته وتغايرها على المعنى الدلالي، وهذا الجانب من القراءات ذو صلة وثيقة بعلمي الدلالة والتفسير، كما له صلة بالبلاغة بمفهومها الشامل وعلاقة لا تُنكَرُ؛ لأن هذا النوع من تغاير القراءات يبحث في العلاقة بين تغاير الصيغ الصرفية والمعنى والتأويل، ويربط ذلك بسياقات النص القرآني وملابساته، وهذا ما يعرف في علم البلاغة بتناسب المقال مع المقام، وهو جوهر البلاغة وأساسها.

وهذا الجانب من القراءات المتنوعة لم يعره البحث البلاغي الخالص كبير اهتمام عند بحثه في بلاغة المفرَد، كما لم يهتم بالفنون البلاغية المترتبة على تغاير القراءات إلا إشارات سريعة ضمنها بعض البلاغيين ثنايا سطورهم. أما اللغويون والمفسرون وموجهو القراءات فقد كانت عنايتهم بهذا الجانب أكبر من عناية البلاغيين، ولذلك أضفت دراساتهم البلاغية لهذا النوع من القراءات نوعاً من الجدَّة والابتكار على البلاغة التقليدية والبحث البلاغي برمَّته.(٣)

والبحث البلاغي في التغاير التصريفي للقراءات يحتم عليَّ دراسة الجانب البلاغي في التغاير الإعرابي الناتج عن تنوع القراءات، وهذا الجانب من التنوع والتعدد الدلالي البلاغي سيتناوله الفصل الآتي بالدراسة.

---

(١) الإعجاز البياني في ضوء القراءات، ص ٩٦.

(٢) التحرير والتنوير، ١/٥٤.

(٣) التوجيه البلاغي، ص ٩١.

الفصل الثاني: تغاير إعراب القراءات، وأثره في بلاغة نظم القرآن.

المبحث الأول: تنوع إعراب الأسماء المختلف في قراءتها، وأثره في بلاغة النظم.

المبحث الثاني: تنوع إعراب الأفعال المختلف في قراءتها، وأثره في بلاغة النظم.

النحو عند المتقدمين من علماء اللغة هو علم العربية، ويشمل علم الإعراب وعلم الصرف وغيرهما، لكن هذا الاصطلاح لم يكتب له الثبات، حيث تم تخصيص علم النحو بفن الإعراب والبناء على أيدي المتأخرين الذين جعلوه علماً مستقلاً من علوم العربية، وقسيماً لعلم الصرف، ثمَّ عرَّفوه بأنه: "علمٌ يُبحَث فيه عن أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناءً."[(1)] وهذا الاصطلاح الذي استقر عليه المتأخرون هو المقصود في هذا الفصل.

وتدور المعاني اللغوية لكلمة (الإعراب) حول الإبانة والإفصاح والإيضاح.[(2)] ولا يبعد المعنى الاصطلاحي للإعراب عن المعنى اللغوي، حيث تلتقي عبارات النحويين المتقدمين على معنى الإبانة والإظهار.

جاء في كتاب الخصائص لابن جني: "الإعراب: هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت: أكرم سعيدٌ أباه، وشكر سعيداً أبوه علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام سِرْجاً واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه."[(3)]

وجاء في كافية ابن الحاجب: "الإعراب ما اختلف آخره به، ليدل على المعاني المعتورة عليه."[(4)]

وجاء في شرح المفصل: "الإعراب: الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلمة؛ لتعاقب العوامل في أولها."[(5)]

وعرَّفه بعض النحويين بأنه: "اختلاف أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظاً أو تقديراً."[(6)]

ويقابل الإعراب البناء: وهو في الاصطلاح: لزوم آخر الكلمة حالاً واحداً لفظاً أو تقديراً.[(7)]

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب، ١/٦–٧، وحاشية الصبان، ١/٢٣. وانظر: النحو والدلالة، ص ٢٥.

(٢) تهذيب اللغة، ٢/٢١٩، ولسان العرب، ١/٥٨٧، وتاج العروس، ٣/٣٣٥.

(٣) الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، تح: محمد علي النجار، دار عالم الكتب، بيروت، د.ط.، د.ت.، ١/ ٣٥.

(٤) شرح الرضي على الكافية، ١/٥٦–٥٧.

(٥) شرح المفصل، لموفق الدين ابن يعيش النحوي (٦٤٣هـ)، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المتنبي القاهرة، د.ط.، د.ت.، ١/ ٧٢.

(٦) أسرار العربية، ص ٤١، واللباب في علل البناء والإعراب، ١/ ٥٢، وحاشية الآجرومية، للعلَّامة عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي (١٣٩٢هـ)، د. ط.، د.ت.، ص ٢٢، ومفاتيح العربية على متن الآجرومية، لفيصل بن عبد العزيز آل مبارك، تح: عبد العزيز بن سعد الدغيثر، دار الصميعي، ط١/١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م، ص ٦. وجاء في توضيح المقاصد: "وأما في الاصطلاح ففيه مذهبان: أحدهما أنه لفظي واختاره الناظم ونسبه إلى المحققين، وعرفه في التسهيل بقوله: ما جيء به لبيان مقتضى العامل من حركة أو حرف أو سكون أو حذف. والثاني أنه معنوي والحركات دلائل عليه، واختاره الأعلم وكثيرون؛ وهو ظاهر سيبويه؛ وعرفوه بأنه تغيير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظًا أو تقديرًا. والمذهب الأول أقرب إلى الصواب." انظر: توضيح المقاصد، ١/ ٢٩٦، وحاشية الصبان، ١/ ٧١.

(٧) أسرار العربية، ص ٤١، وشرح شذور الذهب، ١/ ٢٢٦–٢٢٧.

والأصل في الأفعال البناء، والأصل في الأسماء الإعراب، وأمَّا الحروف فمبنيةٌ كلها. ولا يُعرب من الأفعال سوى المضارع إذا لم تلحق آخره نون التوكيد أو نون النسوة،[١] ولا يُبنى من الأسماء سوى ما أشبه الحرف نحو: (كم) الاستفهامية، فهي من أسماء الاستفهام، لكنها مبنيةٌ اتفاقاً؛ لشبهها بحرف لم، وهل ونحوهما؛ إذ الجميع مكونٌ من حرفين. وأما الحروف فجميعها مبنية اتفاقاً كحروف الجر والجزم وغيرهما.[٢]

وللإعراب أربعة أنواعٍ هي: الرفع والنصب والجر والجزم، وللأسماء منها: الرفع والنصب والجرُّ، ولا جزم فيها، وللأفعال منها: الرفع والنصب والجزم، ولا جرَّ فيها. وكل نوع من هذه الأنواع له علامات يُعرَف بها.

وأنواع البناء أربعة، هي: الفتح، والكسر، والضم والسكون. وهي علامات البناء الأصلية، ويمكن أن تنوب عنها علامات فرعية، كحذف حرف العلة في آخر فعل الأمر المعتل.[٣] والحديث عن علامات الإعراب والبناء وأنواعه يطول، والمقام لا يتسع لذلك، ويمكن التوسع فيها بالرجوع إلى كتب النحو.[٤]

والإعراب أو البناء ليسا إلا أثراً من آثار الربط النحوي بين الكلمات، نتيجة عمل بعضها في بعض، وتأثير بعضها في الآخر، ولذلك عرّف بعضهم الإعراب بأنه: "أَثَرٌ ظاهر أو مُقَدَّر يجلبه العاملُ في آخر الكلمة."[٥]

وقد اهتم العلماء بظاهرة الإعراب؛ لأهميتها في صون اللسان العربي عن اللحن، وقيمتها في إبراز المعاني والإبانة عن الوظيفة التي تؤديها الكلمة داخل سياقها، وأثر ذلك في تنوع الدلالة؛ فبالإعراب والعلاقات النحوية بين الألفاظ تتكشف معاني الكلمات ويتضح المراد منها.[٦]

---

(١) خصصت المبحث الأول لدراسة تنوع الإعراب في الأسماء المختلف في قراءتها وأثره في بلاغة النظم، والمبحث الثاني لدراسة تنوع الإعراب في الأفعال المختلف في قراءتها وأثره في بلاغة النظم، أما التبادل بين علامات البناء فيجري أكثر ما يجري بين الفعل الماضي والأمر، وهذا الأمر لا ترجع قيمته البلاغية إلى تنوع علامات البناء، بل إلى كون الفعل الماضي يجعل الجملة خبرية، وكون فعل الأمر يجعل الجملة إنشائية طلبية، لذا سأرجئ دراسة هذا النوع من القراءات إلى الباب الثاني.

(٢) الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن سهل السراج النحوي البغدادي (٣١٦هـ)، تح: د.عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط.، د.ت.، ١/٥٠، واللباب في علل البناء والإعراب، ٢/٧٤، وشرح الرضي على الكافية، ١/٦٥، وشرح ابن عقيل، ١/٣٧.

(٣) أسرار العربية ص ٤٢، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ١/٣٨.

(٤) راجع: الأصول في النحو، ١/٤٥–٥١، واللمع في العربية، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي (٣٩٢هـ)، تح: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، د.ط./١٩٧٢م، ص ١٠–١١، وأسرار العربية، ص ٤٢–٤٣، واللباب في علل البناء والإعراب، ١/٦٠–٧٠، والنحو الوافي، ١/١٠٠– ١٠٧.

(٥) أوضح المسالك، ١/٣٩.

(٦) راجع: النحو والدلالة، ص ٢٥–٣٥.

يقول الجرجاني: "ومما ينبغي أن يعلمَه الإنسانُ ويجعلَه على ذُكْرٍ أنه لا يتصوَّر أن يتعلَّق الفكرُ بمعاني الكلم أفراداً ومجرَّدة من معاني النحو، فلا يقوم في وهمٍ، ولا يصحُّ في عَقْل أن يتفكرَ متفكِّر في معنى فعلٍ من غيرِ أن يريدَ إعمالَه في اسمٍ، ولا أن يتفكَّر في معنى اسم من غير أن يريدَ إعمالَ فعلٍ فيه، وجعله فاعلاً له أو مفعولاً، أو يريدَ منه حُكماً سوى ذلك من الأحكام، مثل أن يريدَ جعلَه مبتدأ أو خبراً أو صفة أو حالاً أو ما شابه ذلك. وإن أردتَ أن ترى ذلك عِياناً فاعمِد إلى أيِّ كلام شئتَ وأزِلْ أجزاءه عن مواضعها وضَعْها وضعاً يمتنعُ معه دخولُ شيءٍ من معاني النحو فيها فقل في (قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ): من نبك قفا حبيب ذكرى منزل، ثم انظرْ هل يتعلَّق منك فكرٌ بمعنى كلمة منها."(١)

ويقول أيضاً: "وجملةُ الأمر أنَّ النظمَ إنما هو أنَّ (الحمدَ) من قولِه تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [سورة الفاتحة/٢، ٣] مبتدأُ، و(لله) خبر، و(ربِّ) صفةٌ لاسم الله تعالى ومضافٌ إلى العالمين، و(العالمين) مضافٌ إليه، و(الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) صفتان كالربِّ، ... فانظرِ الآنَ: هل يتصوَّر في شيءٍ من هذه المعاني أن يكونَ معنى اللفظ، وهل يكونُ كونُ الحمدِ مبتدأ معنى لفظ الحمد، أم يكون كونُ ربِّ صفة، وكونه مضافاً إلى العالمين معنى لفظ الرب. فإنْ قيلَ: إنه إنْ لم تكن هذه المعاني أَنفُسَ الألفاظِ فإنها تُعْلَمُ على كلِّ حال من ترتيبِ الألفاظِ، ومن **الإعرابِ**، فبالرفع في الدال من (الحمد) يُعْلَم أنه مبتدأ، وبالجرِّ في الباء من (ربِّ) يعلم أنه صفة وبالياء في (العالمينَ) يُعْلَم أنه مُضَافٌ إليه. وعلى هذا قياسُ الكُلّ."(٢)

ويجدر عدم المغالاة في الربط بين حركات الإعراب والمعاني والدلالات البلاغية؛ لأن الكثير من حركات الإعراب ليس لها كبير تعلُّقٍ بالناحية البلاغية، وإن كان دورُها في الدلالة على المعنى الوظيفي للكلمة من فاعلية ومفعولية وغير ذلك لا يُنكَرُ؛ لأن حركات الإعراب وضِعت أصلاً للوفاء بهذه المهمة.(٣)

والدلالة الناتجة عن التغاير التصريفي يمكن استخلاصها من النظر إلى الكلمة بمعزل عن سياقها، أما الدلالة الناتجة عن تغاير الإعراب فلا يمكن استخلاصها بعزل الكلمة عن سياقها، لأن الإعراب هو أثر عمل العوامل والألفاظ المتجاورة بعضها في بعض. وهذا الفصل سيهتم بدراسة الأغراض البلاغية الناتجة عن الأوجه النحوية المتنوعة للقراءات العشر على سبيل التمثيل لا الحصر، وسيخص بالدراسة ما كان له أثر دلالي من التغيرات الإعرابية دون غيرها؛ ليبيِّن الآثار البلاغية الناتجة عن تعدد الدلالات المعنوية في نظم القرآن وتراكيبه.

---

(١) دلائل الإعجاز، ص ٣٠٣.

(٢) دلائل الإعجاز، ص ٣٢٨–٣٢٩.

(٣) التوجيه البلاغي، ص ٩٣.

المبحث الأول: تنوع إعراب الأسماء المختلف في قراءتها، وأثره في بلاغة النظم.

المطلب الأول: تبادل القراءات بين الرفع والنصب، وأثره في بلاغة النظم.

المطلب الثاني: تبادل القراءات بين الرفع والجرِّ، وأثره في بلاغة النظم.

المطلب الثالث: تبادل القراءات بين الجرِّ والنصب، وأثره في بلاغة النظم.

تعد العلاقة بين علمي النحو والقراءات من أمتن العلاقات بين العلوم؛ ذلك أن علم النحو إنما نشأ في أحضان القرآن الكريم، ووضع لخدمته، ومما يؤكِّد هذه العلاقة: أن موافقة اللغة العربية ولو بوجه من الوجوه هو أحد شروط قبول القراءة، والحكم عليها بالصحة.

وقد تسابق النحويون إلى خدمة القراءات القرآنية والبحث فيها وتوجيهها، وحاول بعضهم تخريجها على المشهور من قواعدهم النحوية، فوقع في مغبة الترجيح دون مرجِّح سوى مخالفة الأقيس من اللغة والأشهر من الأوجه النحوية، كما وقع في خطأ رد بعض القراءات الصحيحة، وقد اشتهر بذلك الإمام الطبري، والفراء، والنحاس، والزجاج، ومكي بن أبي طالب، والزمخشري، وغيرهم.[١]

ومما يؤكِّد هذه العلاقة المتينة أيضاً أن الكثير من النحويين أمثال سيبويه،[٢] والأنباري،[٣] وابن مالك،[٤]

---

(١) انظر: الاختيار عند القراء، مفهومه، مراحله، وأثره في القراءات، بحث مقدَّم لنيل درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية، إعداد الطالب: أنيس بن إدريس بن عبد الرحمن فلاته، إشراف: د. محمد ولد سيدي ولد حبيب، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، ١٤٢١هـ، ص ٥٦٥. وراجع بعض النصوص المنقولة عنهم في هذا المرجع، ص ٥٥١–٥٦٥.

(٢) راجع: كتاب سيبويه، ١/٥٠، ٨٢، ٢/٧٠، ١٤٧، ٣/٢٥، ٥١٩.

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد كمال الدين أبو البركات الأنباري، قدم بغداد في صباه، وقرأ الفقه بالمدرسة النظامية على أبي منصور سعيد بن الرزاز، وحصل طرفاً صالحاً من الخلاف، ثم قرأ الأدب على أبي منصور بن الجواليقي، ولازم الشريف أبا السعادات ابن الشجري حتى برع وصار من المشار إليهم في النحو، وتخرج به جماعة. ألَّف الكثير من المصنفات، منها: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، وأسرار العربية، وعقود الإعراب، وحواشي الإيضاح، والإغراب في جدل الإعراب، وشفاء السائل إلى بيان رتبة الفاعل، والمعتبر في الفرق بين الوصف والخبر. توفي سنة ٥٧٦هـ، أو ٥٧٧هـ، ودفن بباب أبرز بتربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى. انظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ص ٣٣–٣٤، وبغية الوعاة، ٢/١٨–١٩. وراجع: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (٥٧٦هـ)، دار الفكر، دمشق ، د.ط.، د.ت.، ١/٣٦، ١٦٣، ٢٥٣، ٢٦٦، ٢/٤٣١، ٤٨٨، ٦٥١، وأسرار العربية، ص ١٣٢، ١٥٠، ١٩٢، ٢٠٦.

(٤) هو جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أحد الأئمة في علوم العربية. ولد في جيان (بالأندلس) سنة ٦٠٠هـ. كان إماماً في القراءات وعللها، صنف فيه قصيدة دالية مرموزة في قدر الشاطبية، وأما اللغة فكان إليه المنتهى فيها. أشهر مؤلفاته: (الألفية) و(لامية الأفعال) في النحو، و(تسهيل الفوائد) و(الكافية الشافية) أرجوزة في نحو ثلاثة آلاف بيت، و(سبك المنظوم وفك المختوم). أقام بحلب مدة، ثم انتقل إلى دمشق فتوفي فيها عام ٦٧٢هـ رحمه الله. انظر: فوات الوفيات، للكتبي، ٣/٤٠٧-٤٠٨، وبغية الوعاة، ١/١٣٠–١٣١. وراجع: شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، لأبي عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي (٦٧٢هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.، د.ت.، ص ٤٢، ٦٥، ٩٧.

وابن هشام الأنصاري[1] ــ قد عرضوا لبعض القراءات القرآنية، واستشهدوا بها لقواعدهم في كتبهم التي تعد من أمهات الكتب النحوية.[2]

ولأجل هذه العلاقة المتينة بين النحو والإعراب من جهة، وتنوع القراءات من جهة أخرى خصصت هذا الفصل لدراسة تغاير الإعراب في القراءات، وبيان الأثر الدلالي الذي ينتجه هذا التغاير في البلاغة عموماً وفي بلاغة نظم القرآن خصوصاً.

(١) هو عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام، أبو محمد، جمال الدين، المعروف بابن هشام، من أئمة العربية، ولد عام ٧٠٨هـ. من مؤلفاته: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، وشذور الذهب، والإعراب عن قواعد الإعراب، وقطر الندى، والتذكرة، والتحصيل والتفصيل لكتاب التذييل، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. كان كثير المخالفة لأبي حيان، توفي سنة ٧٦١هـ رحمه الله تعالى. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٩٣/٣-٩٥، وبغية الوعاة، ٦٨/٢. وراجع: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ٣٤٠/١، ٣٤٣، ٢١٣/٤، ٣٨٤، ومغني اللبيب، ص ٢٣، ٣٧، ٥٧، ٦٠، ٢٩٥.

(٢) انظر: القراءات العشر المختلفة في العلامة الإعرابية وأثر ذلك في المعنى، ص ١٦-١٨.

المطلب الأول: تبادل القراءات بين الرفع والنصب، وأثره في بلاغة النظم.

الرفع والنصب نوعان من أنواع الإعراب المشتركة بين الأسماء والفعل المضارع، ولهما علامات يعرفان بها، فعلامة الرفع الأصلية هي الضمة، ويلحق بهذه العلامة علامات أخرى فرعية هي: الواو التي هي علامة رفع الأسماء الستة[(١)] وجمع المذكر السالم، والألف التي ترفع الاسم المثنى، والنون التي ترفع الفعل المضارع المتصل بضمير التثنية، أو ضمير الجمع، أو الياء المؤنثة المخاطبة.

وعلامة النصب الأصلية الفتحة، ويلحق بها علامات فرعية: هي الألف التي تنصب الأسماء الخمسة، والكسرة علامة النّصب في جمعِ المؤنّث السالم، والياء علامة النّصب في المثنى وجمع المذكر السالم، وحذفُ النونِ علامة النّصب والجزم في الأفعالِ الخمسة التي تُرفَعُ بثبوتِ النون.[(٢)]

وقد جرى التبادل بين الرفع والنصب في كثير من الأسماء المتعددة القراءات، ومنها:

ما ورد من التبادل بين الرفع والنصب في كلمتي (آدَمُ، كَلِمَاتٍ) من قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة/٣٧]، حيث قرأ ابن كثير ﴿فَتَلَقَّى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٌ﴾، بنصب (آدَمَ) ورفع (كَلِمَاتٌ)، وقرأ الباقون ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ برفع (آدَمُ)، ونصب (كَلِمَاتٍ)،[(٣)] ولا يخفى أن علامة النصب هنا الكسرة؛ لأنه جمع مؤنث سالم.

وقد ترتب على هذا الاختلاف الإعرابي اختلاف الدور الوظيفي لكلمتي (آدَمُ، كَلِمَاتٍ)، فـ(آدَمُ) في قراءة الجمهور فاعل للفعل (تلقى)، و(كَلِمَاتٍ) مفعوله، ومعنى الآية على هذه القراءة: تلقى آدم عليه السلام من الله سبحانه وتعالى الكلمات، فأقبل عليها وقبلها وفهمها ووعاها، وعمل بها حين علمها وحفظها.

---

(١) يسميها بعض النحاة: الأسماء الستة المعتلة الآخر؛ لأن آخرها واو محذوفة تخفيفًا فيما عدا (ذو)، وهذه الأسماء ترفع بالواو، وتنصب بالألف، وتخفض بالياء، وهي: ذو، فو، أب، أخ، حم، هن، ويشترط في غير (ذو) أن تكون مضافة لا مفردة، فإن أُفرِدتْ أُعرِبتْ. والفصيح في (هن) أن يعرب بالحركات الظاهرة على النون ولا يكون في آخره حرف علة، نحو: هذا هنُ زيد، ورأيت هنَ زيد، ومررت بهنِ زيد. فالنقص في هذا الأخير أحسن من الإتمام، والإتمام جائز، لكنه قليل جداً، نحو: هذا هنوه، ورأيت هناه، ونظرت إلى هنيه. انظر: أوضح المسالك، ٣٩/١، وشرح ابن عقيل، ٤٤/١–٤٩.

(٢) أوضح المسالك، ٣٩/١–٧٥، وشرح قطر الندى، ص ٤٥–٨٤، والنحو الوافي، ١٠٣/١– ١٠٧.

(٣) التيسير، ص ٦٠، والنشر، ٢٤١/٢، وتحبير التيسير، ص ٢٨٥.

و(كَلِمَاتٌ) في قراءة ابن كثير فاعل مؤخَّر، و(آدَمَ) مفعول به مقدَّم. ومعنى الآية على هذه القراءة: جاءت الكلمات آدم عليه السلام فكانت سبب توبته، أي: وصلت إليه وتلقَّته هي.[1] وهذا من باب المشاركة في الفعل؛ لأن ما تلقاك فقد تلقيته، وما نالك فقد نلته.[2]

ويجوز أن يكون التلقي في هذه القراءة مجازاً عن البلوغ والعلاقة بينهما السببية؛[3] لأنه لما كانت الكلمات هي المنقذة لآدم بتوفيق الله سبحانه وتعالى له لقبولها ودعائه بها، كانت الكلمات فاعلة، وكأن الأصل على هذه القراءة: فتلقت آدم من ربه كلمات.[4]

وقد استحسن الإمام الطبري قراءة الجمهور؛ لأنها أصح معنى في العربية، ولم يجز قراءة ابن كثير رغم صحة معناها، لأن معنى التلقي في قراءة الجمهور أصح منه في قراءة ابن كثير.[5]

يقول الطبري: "وقد قرأ بعضهم: (فتلقى آدمَ من ربه كلماتٌ)، فجعل الكلمات هي المتلقية آدم. وذلك، وإن كان من وجهة العربية جائزًا – إذْ كان كل ما تلقاه الرجل فهو له مُتلقّ، وما لقيه فقد لَقيه، فصار للمتكلم أن يُوجه الفعل إلى أيهما شاء، ويخرج من الفعل أيهما أحب – فغير جائز عندي في القراءة إلا رفع (آدم) على أنه المتلقي الكلمات؛ لإجماع الحجة من القَرَأة وأهل التأويل من علماء السلف والخلف على توجيه التلقي إلى آدم دون الكلمات. وغيرُ جائز الاعتراض عليها فيما كانت عليه مجمعة، بقول من يجوز عليه السهو والخطأ."[6]

وهذه الحجة التي احتج بها لرد القراءة المتواترة حجة ضعيفة لا تقوى على رد قراءة ثابتة صحيحة، وكان الأولى والأجدر بالإمام الطبري أن يقبل القراءتين؛ لصحة معنى قراءة ابن كثير عنده، وجوازها في العربية؛ لأن ما تلقاك فقد تلقيته.

وفي قراءة ابن كثير تُلحَظ بلاغة التعبير بالمجاز، حيث اشتملت على معنى مسارعة الكلمات إلى آدم عليه السلام لاستقباله وتلقيه، وهذا ما لا نلحظه في القراءة الأخرى. والقراءتان تتعاضدان في الكشف عن المعنى وإبرازه بأجمل

---

(١) جامع البيان، ١/٥٤١–٥٤٢، ومعالم التنزيل، ١/٨٥، والكشاف، ١/١٥٧، والمحرر الوجيز، ١/١٣٠، ومفاتيح الغيب، ٣/١٩، وأنوار التنزيل، ١/٢٩٩، والبحر المحيط، ١/٣١٧–٣١٨، وإرشاد العقل، ١/٩٢.

(٢) حجة ابن خالويه، ص ٧٥، وحجة أبي زرعة، ص ٩٤، والموضِّح، ١/٢٦٩.

(٣) التحرير والتنوير، ١/٤٢٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ١/٣٢٦.

(٥) وقد تابعه ابن أبي مريم في ذلك، لكنه لم يرد قراءة ابن كثير، بل استحسن قراءة الجمهور؛ لأنها أقوى وأحسن في العربية؛ لأنَّ التلقي في الآية بمعنى التلقُّن والقبول، أي: قبل آدم وتلقَّن، فهو متلقِّن، والكلمات مقبولة متلقَّنة. انظر: الموضِّح، ١/٢٦٩.

(٦) جامع البيان، ١/٥٤٢.

حلة وثوب، ليصل إلى السامع فيأسِر قلبه ولبَّه ببلاغة هذا النظم الذي يورد المعنى بأساليب وطرق نحوية متعددة قد يكون بعضها أرغب إلى السامع من بعض.

ومما ورد على التبادل بين الرفع والنصب من الأسماء اختلاف القراء في قراءة ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ من قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [سورة الأعراف/٢٦]. حيث قرأ بعض القراء ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ بالرفع، وقرأ آخرون ﴿وَلِبَاسَ التَّقْوَى﴾ بالنصب.(١)

ووجه قراءة النصب أن (لِبَاسُ التَّقْوَى) معطوف نسقاً على (لِبَاسًا)، منصوب مثله بالفعل (أَنْزَلْنَا).

وفي قراءة الرفع خمسة وجوه إعرابية:

أحدها: أن (لِبَاسُ) مبتدأ وخبره جملة (ذَلِكَ خَيْرٌ). وهو اختيار الإمام أبي حيان الأندلسي.

الثاني: (لِبَاسُ) خبر مبتدأ محذوف تقدير (هو)، والمعنى: (وهو لباس التقوى)، وكأنَّ المعنى بهذه الجملة التَّفسيرُ لِلبَاس المتُقدم، وعلى هذا يكونُ قوله (ذَلِكَ خَيْرٌ) جملة أخرى من مبتدأ وخبر، وهذا اختيار الزجاج،(٢) وقدَّره مكي تقديراً آخر، وهو: وسَتْر العورة لباس التَّقْوَى.

الثالث: (لِبَاسُ) مبتدأ خبره محذوف، أي: ولباسُ التَّقْوى ساتر عوراتكم.(٣) وهو اختيار أبي البقاء.(٤)

الرابع: (لِبَاس) مبتدأ و(ذلك) بَدَلٌ منه أو عطف بيان له أو نعت، و(خيرٌ) خبره. وهو اختيار أبي جعفر النحاس، وأبي علي الفارسي.(٥)

---

(١) قرأ المدنيَّان وابن عامر والكسائي ﴿وَلِبَاسَ التَّقْوَى﴾ بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع. انظر: السبعة، ص ٢٨٠، والتيسير، ص ٨٠، والعنوان، ص ٩٥، والنشر، ٣٠٣/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٧٠.

(٢) معاني الزجَّاج، ٣٢٨/٢.

(٣) حجة ابن خالويه، ص ١٥٤، وحجة أبي زرعة، ص ٢٨٠–٢٨١، والمحرر الوجيز، ٣٨٩/٢، والتبيان في إعراب القرآن، ٥٦٢/١، والدر المصون، ٢٨٨/٥، واللباب، ٦٩/٩–٧٠.

(٤) هو عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين العكبري أبو البقاء النحوي الضرير، أديب ذو معرفة بعلوم القرآن والجبر والمقابلة وغوامض العربية. ولد سنة ٥٣٨هـ، وقرأ النحو واللغة والأصول والحساب والخلاف والفرائض، وله مصنفات منها: إعراب القرآن، وتفسير القرآن الكريم، وإعراب الشواذ من القرآن، والمنهج في شرح اللمع، وشرح الحماسة، وشرح المقامات، والإفصاح عن معاني أبيات الإيضاح، والمحصل في إيضاح المفصل، واللباب في علل البناء والإعراب. توفي سنة ٦١٦هـ رحمه الله تعالى. انظر: سير أعلام النبلاء، ٩١/٢٢–٩٣، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ص ٢٩.

(٥) إعراب النحَّاس، ١٢٠/٢–١٢١، وحجة الفارسي، ١٢/٤-١٣.

وقد استحسن الإمام القرطبي[1] هذا الوجه. وفسَّر الآية بالآتي: ولباس التقوى المشار إليه الذي علمتموه، خير لكم من لباس الثياب التي تواري سوءاتكم، ومن الرياش الذي أنزلنا إليكم، فالبسوه.[2]

الخامس: أن يكون (ذلك) فَصْلاً بين المبتدأ (لِبَاسُ) وخبره (خَيْرٌ)، وهو اختيار الحوفي.[3] وهذا الوجه هو أضعف الوجوه ولذلك قال بعض المفسرين: "ولا نعلم أنَّ أحداً من النُّحَاةِ أجَازَ ذلك"[4]

وأولى الوجوه جميعها الأول، لعدم حاجته إلى التقدير وكثرة أمثاله في اللغة العربية.

وقوله: (لِبَاسُ التَّقْوَى) يحتمل معنيين:

الأول: أن يكون لباس التقوى من جملة اللباس الذي أنزله الله ﷻ، وهو من اللباس المنزل أي: الملهم، فيتعين أنه لباس حقيقي أي: شيء يلبس، والتقوى على هذه القراءة، مصدر بمعنى الوقاية، والمراد: لباس الحرب، من الدروع والجواشن والمغافر.[5] وقد حصر ابن عاشور معنى (لِبَاسُ التَّقْوَى) على قراءة النصب بهذا المعنى. وبذلك يكون معنى اللباس في الآية على قراءة النصب عنده كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾ [سورة النحل/٨١].[6]

الثاني: أن يكون المراد بلباس التقوى: تقوى الله وخشيته، فهو استعارة مكنية أو تخييلية، أطلق على التقوى اسم اللباس إما بتخييل التقوى بلباس يلبس، أو بتشبيه ملازمة تقوى الله ﷻ بملازمة اللابس لباسه، كقوله تعالى:

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري، الخزرجي، الأندلسي، القرطبي، المالكي، الفقيه المفسر. من تصانيفه: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، وقمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكف والشفاعة، والتذكرة بأحوال الموتى والآخرة. توفي سنة ٦٧١هـ رحمه الله تعالى. انظر: طبقات المفسرين، للسيوطي، ص ٧٩، وطبقات المفسرين، للأدنة وي، ص ٢٤٦، ومعجم المؤلفين، ٨/٢٣٩-٢٤٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ٧/١٨٥.

(٣) هو علي بن إبراهيم بن سعيد أبو الحسن الحُوفي النحوي، كان نحوياً قارئاً، عالماً في النحو والتفسير والعربية، أخذ عن أبي بكر الأدفوي، وعن جماعة من علماء المغرب قدموا مصر. من مؤلَّفاته: إعراب القرآن العظيم، والبرهان في تفسير القرآن، والموضح في النحو، ومختصر كتاب العين، ومصنفات أخرى. توفي سنة ٤٣٠هـ رحمه الله تعالى. وهو من حُوف مصر، لا من حوف عمان كما ظنه جماعة. انظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ص ٣٩، وبغية الوعاة، ٢/٦١.

(٤) البحر المحيط، ٤/٢٨٣، والدر المصون، ٥/٢٨٨، واللباب، ٩/٦٩-٧٠.

(٥) التحرير والتنوير، ٨/٥٩.

(٦) المرجع السابق، ٨/٥٨.

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [سورة البقرة/ ١٨٧]. ويُحَسِّن إطلاق الإنزال على التقوى: المشاكلة مع ما قبلها من اللباس المنزل الساتر للعورات.(١)

وقد رجّح الإمام الطبري قراءة النصب؛ "لصحة معناه في التأويل ...، وأن الله إنما ابتدأ الخبر عن إنزاله اللباس الذي يواري سوءاتنا والرياش؛ توبيخًا للمشركين الذين كانوا يتجرّدون في حال طوافهم بالبيت، ويأمرهم بأخذ ثيابهم والاستتار بها في كل حال، مع الإيمان به واتباع طاعته، ويعلمهم أن كلّ ذلك خير من كلّ ما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله، وتعرّيهم، لا أنه أعلمهم أن بعض ما أنزل إليهم خيرٌ من بعض."(٢)

وأرى أن في قراءة الرفع وجهاً بلاغياً سوى ما ذُكِر، وهو أن الرفع على الابتداء يفيد أن الجملة (وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ) جملة اسمية، خلافاً لقراءة النصب التي تعطف لباس على ما قبله وتنصبه بالفعل (أَنْزَلْنَا). والجملة الاسمية تفيد الثبوت،(٣) وبذلك تكون الجملة على هذه القراءة من باب المدح للباس التقوى والإخبار ابتداء عن خيرية لباس التقوى، والمعنى: لباس التقوى خير لك يا ابن آدم من الألبسة الحسية التي هديناك إليها.

أما قراءة النصب فهي على الإخبار فقط؛ لأن الجملة الفعلية تفيد الحدوث والتجدد لا الثبوت. والمعنى: لقد أنزلنا إليكم لباساً يستر عوراتكم، وأنزلنا لباس التقوى، وهذه الألبسة جميعها – الحسية والمعنوية – خير لكم؛ لأن قراءة النصب تجعل لباس التقوى من جملة اللباس المنزل.(٤)

وبذلك تتكامل القراءتان في بيان خيرية لباس التقوى: فقراءة النصب تفيد تجدد الإنزال شيئاً بعد شيء، وقراءة الرفع على المدح للباس التقوى، من حيث ثبوت الوصف فيه.

والقاعدة التي تحكم أمثال هذه الجمل القرآنية المترددة بين الاسمية والفعلية هي أن هناك فرقاً في المعنى والفكرة الواحدة إذا عبِّر عنها مرة بالاسمية ومرة بالفعلية. "وهو فرقٌ لطيفٌ تَمَسُّ الحاجةُ في علمِ البلاغة إليه، وبيانُه: أنَّ موضوعَ الاسم على أن يُثْبَتَ به المعنى للشيءِ من غيرِ أن يَقتَضي تجدُّده شيئاً بعدَ شيء. وأما الفعلُ فموضوعُه على أنه يقتضي تجدُّدَ المعنى المثبتِ به شيئاً بعدَ شيء."(٥)

---

(١) الكشاف، ٩٣/٢، وروح المعاني، ١٠٤/٨، والتحرير والتنوير، ٥٩/٨.

(٢) جامع البيان، ٣٧٠/١٢.

(٣) دلائل الإعجاز، ص ١٤١، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٩٩، ومختصر المعاني، ص ١٠٢.

(٤) القراءات العشر المختلفة في العلامة الإعرابية، ص ٧٢.

(٥) دلائل الإعجاز، ص ١٤٠–١٤١.

ومما ورد على التبادل بين الرفع والنصب من الأسماء اختلاف القراء في قراءة ﴿مَعْذِرَةً﴾ من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾ [سورة الأعراف/١٦٤]. حيث قرأ حفص عن عاصم ﴿مَعْذِرَةً﴾ بالنصب، وقرأ الباقون ﴿مَعْذِرَةٌ﴾ بالرفع.(١)

و﴿مَعْذِرَةٌ﴾ على القراءة بالرفع خبر لمبتدأ محذوف دل عليه قول السائلين: (لِمَ تَعِظُونَ)، والتقدير: موعظتُنا معذرةٌ منا إلى الله ﷻ.

وانتصب ﴿مَعْذِرَةً﴾ في قراءة الجمهور على المفعول لأجله، أي: وعظناهم لأجل المعذرة.(٢) ويجوز أن يكون منصوباً على المصدر بفعل مقدر من لفظها، تقديره: نَعْتَذِرُ مَعْذرةً، ويجوز أن ينصب انتصابَ المفعول به؛ لأن المعذرةَ تتضمَّنُ كلاماً، والمفردُ المتضمِّنُ لكلام إذا وقع بعد القول نُصِبَ نصب المفعول به. والتقدير فعلنا ذلك معذرة. والوجه الأول هو أظهر هذه الوجوه.(٣)

ومعنى الآية على القراءة بالرفع: موعظتنا إقامة عذر إلى الله ﷻ؛ لئلا ننسب إلى التقصير في النهي عن المنكر، الذي أوجبه الله علينا، ولرجاء أن يتعظوا فيتقوا ويقلعوا عما هم فيه من المعاصي.(٤)

ومعناها على قراءة النصب: الأمر بالمعروف واجب علينا، وعلينا موعظة هؤلاء عذراً إلى الله ﷻ.(٥)

وقد اختار سيبويه وتابعه النحاس والفارسي والقرطبي قراءة الرفع؛ لكونها الأنسب لسياق الآية؛ لأنهم "لم يريدُوا أن يَعتذروا اعتذاراً مستأنَفاً من أمرٍ لِيمُوا عليه، ولكنَّهم قيل لهم: لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً؟ قالوا: موعظتنا معذرةٌ إِلَى رَبِّكُم، ولو قال رجلٌ لرجلٍ: معذرةً إلى الله وإليك من كذا وكذا، يريد اعتذاراً، لَنَصَبَ."(٦)

وأرى أن قراءة النصب كقراءة الرفع في مناسبتها السياق، وخاصة إذا قيل بأن النصب على المفعول لأجله، والأولى أن يقال: إن القراءتين في البلاغة سواء، ووجه البلاغة في قراءة الرفع هو أن الرفع يجعل الجملة اسمية، فيدل

---

(١) السبعة، ص ٢٩٦، والتيسير، ص ٨٣، والعنوان، ص ٩٨، والنشر، ٣٠٧/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٨٠.

(٢) حجة ابن خالويه، ص ١٦٦، وحجة أبي زرعة، ص ٣٠٠، والمحرر الوجيز، ٤٦٩/٢، ومفاتيح الغيب، ٣٢/١٥، والتحرير والتنوير، ٣٣٢/٨.

(٣) التبيان في إعراب القرآن، ٦٠٠/١، والجامع لأحكام القرآن، ٣٠٧/٧، والبحر المحيط، ٤٠٩/٤–٤١٠، والدر المصون، ٤٩٥/٥، واللباب، ٣٦٠/٩–٣٦١، وروح المعاني، ٩١/٩.

(٤) الكشاف، ١٦١/٢، وحجة أبي زرعة، ص ٣٠٠، وأنوار التنزيل، ٦٨/٣، والبحر المحيط، ٤٠٩/٤، وفتح القدير، ٣٧٤/٢، وروح المعاني، ٩٢/٩.

(٥) معالم التنزيل، ٢٩٤/٣، وزاد المسير، ٢٧٧/٣.

(٦) كتاب سيبويه، ٣٢٠/١، وانظر: إعراب النحّاس، ١٥٨/٢، وحجة الفارسي، ٩٧/٤–٩٨، والجامع لأحكام القرآن، ٣٠٧/٧.

على الثبات، وأن الوعظ والمعذرة تقع منهم على الدوام، فهذا حالهم وديدنهم، أما النصب فيدل على الحدوث، أي: إنَّ الوعظ لأجل المعذرة وقع منهم في بعض الأحوال، وليس على الدوام. ولعل هذا ما قصده سيبويه عندما قال: "لم يريدُوا أن يَعتذروا اعتذاراً مستأنَفاً من أمرٍ لِيمُوا عليه."(١)

ومما ورد على التبادل بين الرفع والنصب من الأسماء المختلف في قراءتها اختلاف ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [سورة التوبة/٤٠]. حيث قرأ يعقوب ﴿وَكَلِمَةَ اللَّهِ﴾ بنصب (كَلِمَةَ)، وقرأ الباقون ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ﴾ بالرفع.(٢)

و﴿كَلِمَةُ اللَّهِ﴾ في قراءة الجمهور مبتدأ مرفوع، و(هي): إما مبتدأ ثانٍ، و(العُليا) خبرها، وجملة (هِيَ الْعُلْيَا) خبر المبتدأ الأول (كَلِمَةُ اللَّهِ). أو (هي) ضمير فصلٍ، و(العُليا) خبر المبتدأ (كَلِمَةُ اللَّهِ).

ووجه النصب في قراءة يعقوب هو أن (كَلِمَةَ اللَّهِ) معطوفة على (كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا)،(٣) فهي من ضمن الجملة الفعلية، وتدل على حدوث المعنى، والمعنى: جعل الله كلمة الذين كفروا السفلى، وجعل كلمته هي العليا، أي: إنَّ كلمة الله ﷻ صارت عليا بجعل الله ﷻ وتقديره.(٤)

وقد ضعَّف أبو البقاء العكبري قراءة النصب؛ لثلاثة أمور:

أحدها: وضعُ الظَّاهر موضع المضمر، إذ الوجه أن يقول: وكلمته.

الثاني : أنَّ فيه دلالةً أنَّ كلمة الله كانت سُفْلَى، فصارت عليا؛ لأن النصب جعلها جملة فعلية ونصبها بالفعل (جَعَلَ)، والجملة الفعلية تدل على حدوث أمر لم يكن، والواقع ليس كذلك .

الثالث: جعل ضمير الرفع (هي) لتوكيد (كَلِمَةَ اللَّهِ) المنصوبة بعيد؛ لأن القياسَ أن يكون توكيد المنصوب بضمير النصب (إياها).(٥)

وقد ردَّ عليه المفسرون بأن حججه ضعيفة لا تقوى على إضعاف قراءة النصب؛ ووجه الضعف في حجته الأولى أن القرآن ملآن بوضعِ الظَّاهر موضع المضمر، بل من أحسن ما يكون؛ لأنَّ فيه تعظيماً وتفخيماً.

---

(١) التوجيه البلاغي، ص ٩٧.

(٢) تذكرة ابن غلبون، ص ٣٥٨، والنشر، ٣١٤/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٩١.

(٣) إعراب النحَّاس، ٢١٦/٢، وتذكرة ابن غلبون، ص ٣٥٨، والبحر المحيط، ٤٦/٥، والدر المصون، ٥٢/٦، واللباب، ٩٧/١٠.

(٤) التحرير والتنوير، ١٠٣/١٠.

(٥) التبيان في إعراب القرآن، ٦٤٥/٣.

ولا يلزم من حجته الثانية ما ذكره وهو أن يكون الشَّيء المصيَّر على الضد الخاص، بل يدلُّ التَّصيير على انتقال ذلك الشيء المُصَيَّر عن صفةٍ ما إلى هذه الصفة.

وردُّوا على حجته الثالثة بأن (هي) ليست تأكيداً ألبتة، إنما هي ضمير فصل، ولا يجوز أن يكونَ ثمَّةَ تأكيدٌ؛ لأن النحويين نصَّوا على أنَّ المضمر لا يؤكد المظهر.[١]

ولعل معنى الجعل والحدوث هو الذي جعل المهتمين بإعراب القرآن – كأبي البقاء العكبري ومكي بن أبي طالب – يتجهون إلى تضعيف قراءة النصب؛ ويلتمسون الحجج النحوية لردها.

يقول مكي في كتابه مشكل إعراب القرآن: " وقرأ الحسن[٢] ويعقوب الحضرمي بالنصب بجعل، وفيه بعد من المعنى ومن الإعراب، أما المعنى: فأن كلمة الله لم تزل عالية، فيبعد نصبها بجعل لما في هذا من إيهام أنها صارت عليه، وحدث ذلك فيها... وأما امتناعه من الإعراب، فإنه يلزم ألا يظهر الاسم، وأن يقال: وكلمته هي العليا، وإنما جاز إظهار الاسم في مثل هذا في الشعر."[٣]

فإذا جاز في الشعر فلم لا يجوز في القرآن وقراءاته مع كونها حجة على النحو العربي؟

أرى أن التماس وجوه الضعف لقراءة النصب يعني الإقرار بأن قراءة الرفع أبلغ من قراءة النصب؛ لأنها أثبت في الإخبار من قراءة النصب؛[٤] لأن جملة (وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا) في قراءة الرفع على الإخبار الابتدائي عن كون كلمة الله هي العليا على وجه الثبوت والدوام.[٥]

---

(١) الدر المصون، ٦/٥٣، واللباب، ١٠/٩٧.

(٢) هو أبو سعيد الحسن بن يسار البصري، تابعي ثقة حجة، ولد في المدينة عام ٢١هـ في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ. قرأ القرآن على حطان الرقاشي عن أبي موسى، وروى القراءة عنه يونس بن عبيد، وأبو عمرو بن العلاء، وغيرهم. روى عن عمران بن حصين، والمغيرة ابن شعبة، وعبد الرحمن بن سمرة، وأبي بكرة، والنعمان بن بشير، وجندب بن عبد الله، وسمرة بن جندب، وابن عباس، وابن عمر، وعمرو بن ثعلب، وعبد الله بن عمرو ﷺ. روى عنه قتادة، وابن عون، وخالد الحذاء، ومبارك بن فضالة، وأبان بن يزيد العطار، وغيرهم. توفي في البصرة عام ١١٠هـ رحمه الله تعالى. انظر: الجرح والتعديل، ٣/ ٤٠-٤١، ومعرفة القراء الكبار، ١/ ٦٥، والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الذهبي الدمشقي (٧٤٨هـ)، تح: محمد عوامة وأحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ومؤسسة علوم القرآن، ط١/١٤١٣هـ-١٩٩٢م، ١/ ٣٢٢-٣٢٤.

(٣) مشكل إعراب القرآن، للإمام مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ)، تح: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢/١٤٠٥هـ، ١/٣٢٩.

(٤) البحر المحيط، ٥/٤٦.

(٥) نقل الرازي في مفاتيح الغيب، ١٦/٥٦ عن الواحدي أنه يرجّح قراءة الرفع ويختارها دون قراءة النصب، وقد بحثت في تفاسير الواحدي ولم أجده. انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (٤٦٨هـ)، تح: الشيخ =

يقول البيضاوي[1]: "والرفع أبلغ؛ لما فيه من الإشعار بأن كلمة الله عالية في نفسها، وإن فاق غيرها، فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار، ولذلك وسط الفصل."[2]

أي: إنَّ وجه البلاغة في قراءة الرفع ما فيها من الإشعار بأن كلمة الله عالية في نفسها، وليس بجعل جاعلٍ؛ لأن الجملة الاسمية تدل على الثبوت والدوام، أي: إنَّ الجعل لم يتطرق لها، فهي عالية في نفسها، بخلاف كلمة الكافرين فهي سافلة في نفسها، وإن تفوقت أحياناً فتفوقها غير ذاتي، بل بجعل جاعلٍ وبتكلّفٍ، وهذا التفوق عرضٌ زائلٌ لا ثبات له، وإن تراءى للعقول القاصرة خلافه.[3]

وقد رجَّح البيضاوي قراءة الرفع؛ لما في قراءة النصب من إيهام التقييد بالظروف السالفة، مما يوهم أن كلمة الله داخلة في حيِّز الجعل والتصيير، وهذا غير مناسب؛ لأن علو كلمة الله دائم ثابت، بخلاف كلمة الكافرين التي جعلها الله مقهورة منكوسة بين الناس.[4]

وجاء مثل ذلك في روح المعاني: "ولا يخفى ما في تغيير الأسلوب من المبالغة؛ لأن الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبوت، مع الإيذان بأن الجعل لم يتطرق لتلك الكلمة وأنها في نفسها عالية، بخلاف علو غيرها، فإنه غير ذاتي بل بجعل وتكلف، فهو عرض زائل، وأمر غير قار، ولذلك وسط ضمير الفصل. وقرأ يعقوب (كَلِمَةَ اللَّهِ) بالنصب عطفاً على (كلمة الذين)، وهو دون الرفع في البلاغة."[5]

وما فعله بعض المفسرين من ترجيح قراءة الرفع، وتضعيف قراءة النصب أمر مجانب للصواب، ولو حاولوا التماس وجوه الحُسن في قراءة النصب لما عدموا الحجة. ويمكن أن يكون الجعل في قراءة النصب بمعنى الخلق على

عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي أحمد معوض، ود.أحمد محمد صيرة، ود. أحمد عبد الغني الجمل، ود. عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ٤٩٩/٢، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (٤٦٨هـ)، د.ط.، د.ت.، ص ٤٦٤.

(١) هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، ناصر الدين البيضاوي: قاض ومفسر، ولد في المدينة البيضاء بفارس، من مؤلفاته: أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، وطوالع الأنوار، ومنهاج الوصول إلى علم الأصول، ولب اللباب في علم الإعراب، والغاية القصوى في دراية الفتوى في فقه الشافعية، توفي سنة ٦٨٥هـ رحمه الله تعالى. انظر: بغية الوعاة، ٥٠/٢، وطبقات المفسرين، للأدنة وي، ص ٢٥٤-٢٥٥، ومعجم المؤلفين، ٩٨/٦.

(٢) أنوار التنزيل، ١٤٦/٣.

(٣) حاشية الشهاب الخفاجي (١٠٦٩هـ) المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي (٦٨٥هـ)، دار صادر، بيروت، د.ط.، د.ت.، ٣٢٩/٤، وحاشية القونوي، ٢٣٢/٩.

(٤) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، ٣٢٩/٤.

(٥) روح المعاني، ٩٩/١٠.

نحو قولنا: "سبحان من كبَّر الفيل وصغَّر البعوض" بمعنى سبحان من خلق الفيل كبيراً، وخلق البعوض صغيراً، لا أن الفيل كان صغيراً فكبَّره، والبعوض كان كبيراً فصغَّره، وكذلك الجعل في الآية، بمعنى صيَّرها من أول الأمر كذلك، ومثل هذا كثير في كلام العرب.(١)

ويحتمل أن يكون الجعل بمعنى تجديد الإعلاء لكلمة الله في كل موطن يريد فيه الكافرون الكيد للإسلام، وإطفاء نور الحق وكلمة الله. وهذان المعنيان لا يوجد مانع لغوي يمنع الأخذ بهما، وسياق الآية يشهد لهما.

ومما ورد على التبادل بين الرفع والنصب من الأسماء المختلَف في قراءتها: كلمة ﴿الرِّيحَ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سورة سبأ/١٢]. حيث قرأ أبو بكر عن عاصم ﴿الرِّيحُ﴾ بالرفع، وقرأ الباقون ﴿الرِّيحَ﴾ بالنصب.(٢)

و﴿الرِّيحَ﴾ على قراءة النصب مفعول به لفعل محذوف، وتقديره: ولسليمان سخَّرنا الريحَ. وأجاز بعضهم أن يكون ﴿الرِّيحَ﴾ معطوف على (الْحَدِيدَ) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سورة سبأ/١٠]. وتقدير المعنى: ألنا الحديد لداود، وسخرنا الريح لسليمان، نحو: (متقلداً سيفاً ورمحاً) أي: متقلداً سيفاً وحاملاً رمحاً.(٣) والأول أظهر، وعليه أكثر المفسرين.

أما ﴿الرِّيحُ﴾ على قراءة الرفع فهي مبتدأ خبره محذوف، وتقديره: ولسليمان الريح مسخرة، أو خبره الجار والمجرور قبله، ومعنى الريح على حذف مضاف، أي: ولسليمان تسخيرُ الريح.(٤) وأجاز أبو البقاء وابن عطية أن يكون الرفع على الفاعل، والتقدير: ولسليمان تسخرت الريح.(٥) والأول أظهر، وعليه أكثر المفسرين.

والجملة على قراءة الرفع اسمية تدل على الثبوت والاستقرار، أي: ولسليمان الريح ثابتة مستقرة.(٦)

ومعنى الثبوت في الجملة الاسمية يدل على أن الريح كانت لسليمان عليه السلام كالمملوك المختص به، يأمرها بما

---

(١) حاشية ابن التمجيد مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي (٨٨٠هـ)، تح: عبد الله محمود محمد عمر، مطبوعة على ذيل حاشية القونوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ٩/٢٣٢.

(٢) السبعة، ص ٥٢٧، والتيسير، ص ١١٨، والتلخيص في القراءات، ص ٣٧٣، وتحبير التيسير، ص ٥١٥.

(٣) التحرير والتنوير، ٢٢/٢٧.

(٤) معالم التنزيل، ٦/٣٨٩، والكشاف، ٣/٥٨١، ومدارك التنزيل، ٣/٤٦٥، والبحر المحيط، ٧/٢٥٣، والدر المصون، ٩/١٦٠، واللباب، ١٦/٢٤، وإرشاد العقل، ٧/١٢٥، وروح المعاني، ٢٢/١١٦.

(٥) المحرر الوجيز، ٤/٤٠٨، والتبيان في إعراب القرآن، ٢/١٠٦٤.

(٦) حجة أبي زرعة، ص ٥٨٤، والجامع لأحكام القرآن، ١٤/٢٦٨-٢٦٩.

يريد وحيث يريد، وفي أي وقت يريد، وبذلك يكون مضمون الملكية والاختصاص كمضمون قولنا: الدار لزيد.(١)

أما قراءة النصب فتجعل الجملة فعلية تفيد الحدوث والتجدد، ومعنى الحدوث في الجملة الفعلية يضيف إلى الآية معنى جديداً، ويدل على أن الريح لم تكن في ملك سليمان ﷺ، وإنما يجعلها الله ﷻ له ويسخرها له في بعض الأحوال، وهو لا يستطيع التصرف فيها إلا في حال عصوفها، ويدل على ذلك إجماع القراء على النصب في قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ [سورة الأنبياء/٨١]، أي: حال عصوفها.(٢)

والمعنى في القراءتين متقارب إلا أن في الرفع دلالة على الاستقرار والثبوت، وفي النصب الدلالة على التجدد والحدوث. يقول أبو جعفر النحاس: "وقرأ عاصم ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ﴾ بالرفع بالابتداء، أو بالاستقرار، أي: لسليمان الريح ثابتة، وفيه ذلك المعنى. فإن قال قائل: إذا قلت أعطيت زيداً ديناراً، ولعمرو درهم، فرفعت لم يكن فيه كمعنى الأول، وجاز أن يكون لم تعطه الدرهم، قيل: الأمر كذا، لكن الآية على خلاف هذا من جهة المعنى؛ لأنه قد علم أنه لم يسخرها أحد غير الله جل وعز."(٣)

والحاصل أن القراءتين تتكاملان في بيان معنى الآية؛ فقراءة الرفع تفيد الثبوت والدوام، وقراءة النصب تفيد التجدُّد والحدوث، وتبيِّن أن الله ﷻ كان يجدد النعم الحاصلة لسليمان ﷺ ويحدثها له شيئاً بعد شيء، ولولا هذا التجديد لما دامت له ﷺ؛ لأن الأمر كله بيد الله ﷻ، وهذا ينبِّه الأذهان على مداومة الارتباط بالله ﷻ، والتوكّل عليه في جميع الأحوال، وترك الثقة المطلقة بما في يد البشر من النعم التي يظنها ثابتة على الدوام.

ومما ورد على التبادل بين الرفع والنصب من الأسماء اختلاف القراء في قراءة ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً﴾ من قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۞ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة لقمان/٢-٣]. حيث قرأ حمزة ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ بالرفع، وقرأ الباقون ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ بالنصب.(٤)

ووجه الرفع في قراءة حمزة أن (هُدىً) خبر مبتدأ مضمر، تقديره: هو هدى ورحمة،(٥) أو خبرٌ ثانٍ عن اسم

---

(١) مفاتيح الغيب، ٢١٣/٢٥.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات، ٢٠٢/٢-٢٠٣. وانظر: التوجيه البلاغي، ص ١٠٥.

(٣) إعراب النحَّاس، ٣٣٥/٣، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، ٢٦٩/١٤.

(٤) السبعة، ص ٥١٢، والمبسوط، ص ٣٥١، والتيسير، ص ١١٦، والتلخيص في القراءات، ص ٣٦٨، والنشر، ٣٨٧/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٠٧.

(٥) حجة الفارسي، ٤٥٢/٥، ومعالم التنزيل، ٢٨٠/٦، والمحرر الوجيز، ٣٤٥/٤، وإبراز المعاني، ٦٤١/٢، والدر المصون، ٥٩/٩، واللباب، ٤٣٦/١٥.

الإشارة (تِلْكَ)، و(رَحْمَةٌ) معطوف على (هُدىً) مرفوع مثله.(١) أو على البدل من (آيَاتُ الْكِتَابِ).(٢)

ووجه النصب في قراءة الجمهور أن (هُدىً) حال من (آيَاتُ) والعامل في الحال ما في تلك من معنى الإشارة.(٣) أي: ما في اسمِ الإشارةِ من معنى الفعل (أشير)، أو من معنى المدح.(٤) ولا يجوز أن يكون منصوباً على الحال من (الْكِتَابِ) عند أكثر المفسرين؛ لأنه مضاف إليه،(٥) وذهب بعض المفسرين إلى جوازه محتجين بأن مسوغ مجيء الحال من المضاف إليه أن (الْكِتَاب) أضيف إليه ما هو اسم جزئه.(٦)

ومعنى الآية على قراءة الرفع: تلك هي آيات الكتاب، وهي هدى ورحمة للمحسنين. وفي الابتداء على قراءة الرفع معنى المدح؛ لأنه تعبير عن كونها هدى ورحمة بالجملة الاسمية، ولا يخفى ما في الجملة الاسمية من معنى ثبوت الوصف للموصوف.(٧)

ومعناها على قراءة النصب: تلك آيات الكتاب في حال الهداية والرحمة.(٨)

ومما ورد على التبادل بين الرفع والنصب من الأسماء كلمة ﴿نَزَّاعَةً﴾ من قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَى ۞ نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾ [سورة المعارج/١٥-١٦]، حيث قرأ حفص ﴿نَزَّاعَةً﴾ بالنصب، وقرأ الباقون ﴿نَزَّاعَةٌ﴾ بالرفع.(٩)

وفي إعراب ﴿نَزَّاعَةً﴾ على قراءة النصب وجوه:

الأول: النصب على الاختصاص، والتقدير: أعنيها وأخصها نزاعةً.

---

(١) إعراب النحّاس، ٢٨١/٣. وانظر: الكشاف، ٤٩٦/٣، والجامع لأحكام القرآن، ٥٠/١٤، ومدارك التنزيل، ٤٠٣/٣، والبحر المحيط، ١٧٩/٧، وروح المعاني، ٦٦/٢١، والتحرير والتنوير، ٨٩/٢١.

(٢) حجة ابن خالويه، ص ٢٨٤.

(٣) التبيان في إعراب القرآن، ١٠٤٣/٢، وانظر: الكشاف، ٤٩٦/٣، ومدارك التنزيل، ٤٠٣/٣، والبحر المحيط، ١٧٩/٧، وروح المعاني، ٦٦/٢١.

(٤) اللباب، ٤٣٦/١٥.

(٥) المحرر الوجيز، ٣٤٥/٤.

(٦) مشكل إعراب القرآن، ٤١١/١، والتحرير والتنوير، ٨٩/٢١.

(٧) جامع البيان، ١٢٤/٢٠، وحجة ابن خالويه، ص ٢٨٤، وإبراز المعاني، ٦٤١/٢.

(٨) حجة أبي زرعة، ص ٥٦٣.

(٩) السبعة، ص ٦٥٠-٦٥١، والمبسوط، ص ٤٤٦، والتيسير، ص ١٣٦، والكفاية، ص ٣٠٧، والنشر، ٤٣٠/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٩٢.

الثاني: النصب على الحال من (لَظَى). والمعنى: إنها لظى حال كونها تنزع الشوى (جلد الإنسان، أو جلدة الرأس).(1)

واختلف في صاحب الحال، فقيل: إنه الضمير المستكنُّ في (لَظَى)؛ لأنها وإن كانت علماً إلا أنها جاريةٌ مجرى المشتقات كـ(الحارث والعباس)، وذلك لأنها بمعنى التلظِّي. وإذا عمل العلم الصريح والكنية في الظرف، فلأن يعمل العلم الجاري مجرى المشتقات في الأحوال أولى. وقيل: هو فاعل (تَدعُو) من قوله: ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ [سورة المعارج/١٧]. وقدمت حاله عليه، أي: تدعو حال كونها نزَّاعةً. وقيل: إنه محذوف هو والعامل، وتقديره: تتلظَّى نزاعة، ودل عليه (لَظَى).(2)

وقد اعترض أبو علي الفارسي على هذا، وقال حمله على الحال بعيد؛ لأنه ليس في الكلام ما يعمل في الحال؛ لأنك لو قلت: في (لَظَى) معنى التلظي والتلهب، فهذا لا يستقيم؛ لأن لظى اسم علم لماهية مخصوصة، والماهية لا يمكن تقييدها بالأحوال، إنما الذي يمكن تقييده بالأحوال هو الأفعال، فلا يمكن أن يقال: رجلاً حال كونه عالماً، ويمكن أن يقال: رأيت رجلاً حال كونه عالماً.(3)

وفي إعراب ﴿نَزَّاعَةٌ﴾ على قراءة الرفع وجوه:

الأول: أن تكون (لَظَى) خبر (إن) أي: إن النار لظى، و(نزاعةٌ) خبر ثانٍ.

الثاني: أن تكون ﴿نَزَّاعَةٌ﴾ خبرَ مبتدأ مضمر، أي: هي نزاعةٌ، وقد ارتفع على هذا الوجه للتهويل.(4)

الثالث: أن تكون (لَظَى) بدلاً من الضمير المنصوب (ها) المتصل بـ(إن)، و(نزَّاعةٌ) خبر (إنَّ).

الرابع: أن تكون (لظى) خبراً، و(نزاعةٌ) بدل من (لظى).

الخامس: أن (ها) في (إنها) ضمير القصة، وتكون (لَظَى نزَّاعةٌ) جملة من مبتدأ وخبر في محل رفع خبر لـ(إنَّ)، والمعنى: إن القصة هي أن لظى نزاعة للشوى.(5)

---

(١) الكشاف، ٦١٣/٤، والمحرر الوجيز، ٣٦٧/٥، وأنوار التنزيل، ٣٨٩/٥، والبحر المحيط، ٣٢٨/٨–٣٢٩، والدر المصون، ٤٥٧/١٠، واللباب، ٣٦٣/١٩–٣٦٤، وفتح القدير، ٤٠٦/٥.

(٢) اللباب، ٣٦٣/١٩–٣٦٤.

(٣) حجة الفارسي، ٣١٩/٦، ومفاتيح الغيب، ١١٣/٣٠.

(٤) الكشاف، ٦١٣/٤.

(٥) إعراب النحّاس، ٣٠/٥، والمحرر الوجيز، ٣٦٧/٥، ومفاتيح الغيب، ١١٢/٣٠، والجامع لأحكام القرآن، ٢٨٧/١٨، والدر المصون، ٤٥٦/١٠، واللباب، ٣٦٣/١٩، وفتح القدير، ٤٠٦/٥.

السادس: أن تكون ﴿نَزَّاعَةٌ﴾ صفة لـ(لَظَى) إذا لم نجعلها علماً، بل بمعنى اللهبِ، وإنما أُنِّثَ النعتُ، فقيل: ﴿نَزَّاعَةٌ﴾؛ لأن اللهب بمعنى النارِ، قاله الزمخشريُّ. وفيه نظرٌ؛ لأن (لَظَى) ممنوعةٌ من الصرف اتفاقاً.(١)

وأولى الوجوه جميعها الأول والثاني، أما باقي الوجوه ففيها تكلُّف في التأويل وتعسُّف في تفسير المعنى، وما لا يحتاج إلى تقدير وتأويل أولى مما يحتاج إليهما.(٢)

وقراءة الرفع تفيد التهويل وخاصة على قول من قال: إن ﴿نَزَّاعَةٌ﴾ خبر مبتدأ مضمر، أي: هي نزاعةٌ. وقراءة النصب تفيد هذا المعنى على تأويل كونها منصوبة بفعل مضمر، تقديره: أخص وأعني.(٣) والقراءتان معاً تدخلان على النفس الهيبة والرهبة من هذه النار التي أعدها الله ﷻ للمجرمين والمكذِّبين برسالة النبي ﷺ.

والقاعدة التي تحكم أمثال هذا التغاير في القراءات هي أن الاسم إذا خولف إعرابه، كانت المخالفة فيه بقصد المدح أو الذم. وهذا يُذكرنا **بقاعدة** ذكرها الإمام السيوطي في الإتقان بقوله: "قطع النعوت في مقام المدح والذم أبلغ من إجرائها."(٤)

وقد ذكر هذه القاعدة أيضاً الرازي وأبو حيان في تفسيرهما نقلاً عن أبي علي الفارسي، وهي: "إذا ذكرت الصفات الكثيرة في معرض المدح والذم، فالأحسن أن تخالف بإعرابها، ولا تجعل كلها جارية على موصوفها، لأن هذا الموضع من مواضع الإطناب في الوصف، الإبلاغ في القول، فإذا خولف بإعراب الأوصاف كان المقصود أكمل؛ لأن الكلام عند الاختلاف يصير كأنه أنواع من الكلام، وضروب من البيان، وعند الاتحاد في الإعراب يكون وجهاً واحداً وجملة واحدة."(٥)

جاء في خصائص ابن جني: " ويجوز (الرحمنَ الرحيمُ) بنصب الأوّل ورفع الثاني، كلّ ذلك على وجه المدح وما أحسنه ههنا؛ وذلك أن الله تعالى إذا وُصِف فليس الغرض في ذلك تعريفه بما يتبعه من صفته؛ لأن هذا الاسم لا يعترِض شكٌّ فيِه فيحتاجَ إلى وصفه لتخليصه؛ لأنه الاسم الذي لا يشارَك فيه على وجه، وبقيَّة أسمائه –عزّ وعلا– كالأوصاف التابعة لهذا الاسم، وإذا لم يَعترض شكٌّ فيه لم تجئ صفته لتخليصه، بل للثناء على الله تعالى، وإذا كان ثناء فالعدول عن إعراب الأوّل أولى به؛ وذلك أن إتباعه إعرابه جارٍ في اللفظ مَجرى ما يتبع للتخليص

(١) الدر المصون، ١٠/ ٤٥٨، واللباب، ٣٦٣/١٩.

(٢) الدر المصون، ٤٥٦/١٠، واللباب، ٣٦٣/١٩.

(٣) جامع البيان، ٦٠٧/٢٣، والمحرر الوجيز، ٣٦٧/٥، والبحر المحيط، ٣٢٩/٨، وروح المعاني، ٦٠/٢٩–٦١.

(٤) الإتقان، ٢٣٦/٣.

(٥) مفاتيح الغيب، ٣٩/٥، والبحر المحيط، ١٠/٢، والإتقان، ٢٣٦/٣. ولم أجده في حجة الفارسي.

والتخصيص، فإذا هو عُدِل به عن إعرابه علِم أنه للمدح أو الذمّ في غير هذا عزّ الله وتعالى، فلم يبق فيه هنا إلا المدح." (١)

من خلال النظر في هذه الأمثلة يتبيَّن أن تغاير الإعراب في القراءات المتنوعة يكثِّر أحياناً المعاني في الآية الواحدة، كما أن تعدد الوجوه الإعرابية التي يمكن بها تأويل القراءة الواحدة من القراءات المتعددة يؤدي إلى اتساع المعاني، مما يُسهم في إثراء النص القرآني، ولا يخفى ما في ذلك من الإيجاز والدلالة على إعجاز القرآن الكريم بنظمه السامي الذي لا يدانيه أي نظم آخر مهما كان بليغاً.

(١) الخصائص، لابن جني، ١/٣٩٨-٣٩٩.

المطلب الثاني: تبادل القراءات بين الرفع والجرّ، وأثره في بلاغة النظم.

الجرُّ نوع من أنواع الإعراب يختص بالأسماء، ولا يدخل الأفعال البتة، ويعبّر عنه بعض النحويين بالخفض. وعلامته الأصلية الكسرة، وتلحق بها علامات أخرى فرعية، هي: الياء: علامة الجر في الأسماء الستة، والمثنى وجمع المذكَّر السالم، والفتحة التي تنوب عن الكسرة في الأسماء التي لا تنصرف.(١)

وهذا المطلب سيختص بدراسة القراءات المتغايرة إعرابياً التي وقع فيها التبادل بين الرفع والجر، حيث جاء مثل هذا في القراءات العشر في مواضع كثيرة، منها:

اختلاف القراء في قراءة ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ من قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [سورة البقرة/٢١٠]. حيث قرأ أبو جعفر ﴿وَالْمَلَائِكَةِ﴾ بالجر، وقرأ الباقون ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ بالرفع.(٢)

ووجه الرفع العطف على لفظ الجلالة، والمعنى: هل ينتظرون إلا أن يأتيهم اللهُ والملائكةُ في ظلل من الغمام. ويؤيد هذه القراءةَ قراءةُ عبد الله بن مسعود ﷺ: (إلاَّ أن يأتيهم اللهُ والملائكةُ في ظللٍ).(٣)

وإسناد الإتيان إلى الله ﷻ إسناد مجازي، والمعنى: هل ينتظرون إلا أن يأتيهم حكم الله وأمره ونهيه وعقابه، فهو إتيان يتناسب معه ﷻ.(٤) وإسناد الإتيان إلى الملائكة حقيقي؛ لأنهم هم الذين يأتون بأمر الله ﷻ أو عذابه، وهم الموكَّل إليهم تنفيذ قضائه. أي: إنَّ لفظ الإتيان في هذه الآية مستعمل في حقيقته ومجازه في آن واحد؛ لأن الإتيان المسند إلى الله ﷻ مستعملٌ في معناه المجازي، ومستعمل بالنسبة للملائكة في معناه الحقيقي، وإن كان إسناد الإتيان إلى الله ﷻ مجازاً في الإسناد، فإسناده إلى الملائكة بطريق العطف حقيقةٌ في الإسناد، ولا مانع من ذلك؛ لأن المجاز الإسنادي عبارة عن قصد المتكلم مع القرينة.(٥)

والمعنى: هل ينظرون إلا أن يأتي أمر الله وآياته، وإلا أن تأتي الملائكة ليقوموا بما أُمروا به من إهانة أو تعذيب أو غيرهما من أحكام يوم القيامة.(٦)

---

(١) شرح الرضي على الكافية، ٧٤/١، وأوضح المسالك، ٣٩/١، والنحو الوافي، ١٠٣/١–١٠٤.

(٢) النشر، ٢٥٩/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٠٣.

(٣) جامع البيان، ٢٦١/٤، ومعالم التنزيل، ٢٤١/١، والبحر المحيط، ١٣٤/٢، والدر المصون، ٣٦٤/٢، واللباب، ٤٨٢/٣.

(٤) المحرر الوجيز، ٢٨٣/١.

(٥) الدر المصون، ٣٦٣/٢، واللباب، ٤٨١/٣–٤٨٢، والتحرير والتنوير، ٢٧٠/٢.

(٦) مفاتيح الغيب، ١٨٥/٥.

ووجه الجر العطف على (ظُلِلٍ)، أي: إلاَّ أن يأتيهم اللهُ ﷻ بما وعد في ظللٍ من الغمام، وفي الملائكة.(١)

أو العطف على (الغمام)، أي: هل ينتظرون إلا أن يأتيهم الله ﷻ بما وعدهم من الحساب والعذاب في ظلل من الغمام، وفي ظلل من الملائكة.(٢) ووصف الملائكة بالظلل على التشبيه.(٣)

وعلى هذه القراءة يحتمل أن يكون المعنى: هل ينظرون إلا إتيان الله ﷻ مع الملائكة، وذلك نحو قول العرب: أقبل الأمير في العسكر، أي: مع العسكر.(٤)

وقد استحسن بعض المفسرين قراءة الرفع؛ لعدم حاجتها إلى التقدير والتأويل؛ لأن إسناد الإتيان فيها إلى الملائكة على حقيقته، والعديد من الآيات تؤيدها وتؤيد معناها، ومنها قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾ [سورة الفجر/٢٢]، وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [سورة الأنعام/ ١٥٨]، ولأن قراءة عبد الله ابن مسعود تؤيدها. أما قراءة الجر فتحتاج إلى تأويل معنى إتيان الله ﷻ في ظلل من الملائكة.(٥)

وأرى أن قراءة الجر تدخل الفزع في قلوب المعرضين من هول موقف إتيان الله ﷻ مع الملائكة أو في ظلل من الملائكة، وإن كانت قراءة الرفع مستحسنة لدى بعض المفسرين، ولها وجوه وأدلة تعضدها.

وكل هذه المعاني التي اشتملت عليها القراءات المتنوعة تبرز القيمة البلاغية لنظم القرآن، من خلال هذا التبادل بين الرفع والجر وما أفادته كل قراءة من القراءتين من تقوية معنى الآية، وتقوية معنى القراءة الأخرى.

ومما ورد على التبادل بين الرفع والجر من الأسماء المختلف في قراءتها كلمة ﴿الأَنْصَارِ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سورة التوبة/١٠٠]. حيث قرأ يعقوب ﴿الأَنْصَارُ﴾ بالرفع، وقرأ الباقون ﴿الأَنْصَارِ﴾ بالجر.(٦)

---

(١) جامع البيان، ٢٦١/٤. انفرد الطبري بهذا الوجه، ولم يذكر الوجه الآخر.

(٢) التبيان في إعراب القرآن، ١٦٩/١. وانظر: الكشاف، ٢٨١/١، وأنوار التنزيل، ٤٩٤/١، والبحر المحيط، ١٣٤/٢، والدر المصون، ٣٦٤/٢، واللباب، ٤٨٢/٣–٤٨٣، وإرشاد العقل، ٢١٣/١، وفتح القدير، ٣٢٢/١. وهؤلاء المفسرون اختاروا الوجهين.

(٣) الدر المصون، ٣٦٤/٢، واللباب، ٤٨٢/٣–٤٨٣.

(٤) معالم التنزيل، ٢٤١/١، والجامع لأحكام القرآن، ٢٥/٣، وروح المعاني، ٩٨/٢.

(٥) معاني الفراء، ١٢٤/١، ومعاني القرآن، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (٢١٥هـ)، تح: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١٤١١/١هـ-١٩٩٠م، ١٨٣/١، وإعراب النحَّاس، ٣٠١/١–٣٠٢، وفتح القدير، ٣٢٢/١.

(٦) المبسوط، ص ٢٢٨، وتذكرة ابن غلبون، ص ٣٥٩، والنشر، ٣١٥/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٩٣.

ووجه الخفض العطف على (الْمُهَاجِرِينَ)، وبذلك يكون وصف السابقين صفة للمهاجرين والأنصار. أي: إنَّ المهاجرين والأنصار على هذه القراءة قسمان: سابق أول، وغير أول، والمخبَر عنهم بالرضا سابقوهم.(١) أي: إنَّ الآية على هذه القراءة تفضِّل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.(٢)

وقراءة الرفع تحتمل الوجهين الآتيين:

. العطف على (السَّابِقُونَ)، وعلى هذه القراءة يكون المقسَّم إلى سابقين وغيرهم خصوص المهاجرين، ويكون الأنصار جميعهم مندرجين في وصف الرضا.(٣)

. الْأَنْصَارُ مبتدأ، وخبره جملة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ).(٤)

وقد أنكر الإمام الطبري قراءة الرفع، فقال: "والقراءة التي لا أستجيز غيرها، الخفضُ في (الْأَنْصَارِ)؛ لإجماع الحجة من القرأة عليه، وأن السابق كان من الفريقين جميعاً، من المهاجرين والأنصار، وإنما قصد الخبر عن السابق من الفريقين، دون الخبر عن الجميع، وإلحاق (الواو) في (الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ)؛ لأن ذلك كذلك في مصاحف المسلمين جميعاً، على أن (التابعين بإحسان)، غير (المهاجرين والأنصار)، وأما (السابقون)، فإنهم مرفوعون بالعائد من ذكرهم في قوله: (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)."(٥)

ورجح الأخفش(٦) قراءة الجر للسبب ذاته الذي جعل الطبري ينكر قراءة الرفع، فقال: "والوجه هو الجر؛ لأن السابقين الأولين كانوا من الفريقين جميعاً."(٧)

وأرى أن هذه الحجة لا تضعف قراءة الرفع؛ لأن معنى شمول الأنصار جميعهم بالرضا لا يعني عدم شمول جميع المهاجرين؛ لأن الآية عقَّبت بـ(وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ)، فشملت بذلك جميع المهاجرين والأنصار، السابقين منهم ومن اتبعهم بإحسان.

---

(١) معاني النحَّاس، ٢٤٧/٣، والبحر المحيط، ٩٦/٥، والدر المصون، ١١٠/٦.

(٢) فتح القدير، ٥٧٧/٢.

(٣) معاني النحَّاس، ٢٤٧/٣، ومعالم التنزيل، ٨٧/٤، والبحر المحيط، ٩٦/٥. والتحرير والتنوير، ١٩٢/١٠.

(٤) التبيان في إعراب القرآن، ٦٥٧/٢، والبحر المحيط، ٩٦/٥، والدر المصون، ١٠٩/٦، واللباب، ١٨٥/١٠.

(٥) جامع البيان، ٤٣٩/١٤.

(٦) هو سعيد بن مسعدة المجاشعي الأخفش، مولى بني مجاشع بن دارم من أهل بلخ، سَكَنَ البصرة. قرأ النحو على سيبويه وكان أسن منه، وكان الأخفش ابرع أصحاب سيبويه، من تصانيفه: كتاب الأوسط، ومعاني القرآن، والمقاييس في النحو، والاشتقاق، والعروض، والقوافي، وغير ذلك. توفي سنة ٢١٥هـ رحمه الله. انظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ص ٢٤، وبغية الوعاة، ٤٤٣/١—٤٤٤.

(٧) معاني الأخفش، ٣٦٤/١.

وقراءة الرفع فيها مزيد فضل وخصوصية للأنصار جميعاً؛ جبراً لخواطرهم، وثناء على حسن ضيافتهم واستقبالهم إخوانهم المهاجرين. وقد أثنى الله على الفريقين جميعاً في قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر/٨-٩]. وقد ابتدأ الله ﷻ بذكر المهاجرين في الموضعين، وفي هذا إشادة بفضلهم وشرفهم؛ لتقديمهم في الذكر.

ومما ورد على التبادل بين الرفع والجر من الأسماء المختلف في قراءتها: قراءة ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾ [سورة الرعد/٤]. حيث قرأ البصريان وابن كثير وحفص ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ برفع الأسماء الأربعة، وقرأ الباقون ﴿وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ صِنْوَانٍ وَغَيْرِ صِنْوَانٍ﴾ بجرها.(١)

ووجه قراءة الجر عطف الزرع والنخيل على الأعناب، و(صِنْوَانٍ) صفة فهو تابع لـ (نَخِيلٍ) مجرور مثله، و(غَيْرِ) مجرور أيضاً لعطفه عليه. والمعنى على هذه القراءة: وفي الأرض قطعٌ متجاوراتٌ، وجناتٌ من أعناب ومن زرع ونخيل. أي: إنَّ هذه القراءة على التفصيل لما في الجنات من أنواع وأصناف.

ووجه قراءة الرفع عطف الزرع والنخيل على الجنات.(٢) و(صِنْوَانٌ) صفة فهو تابع لـ (نَخِيلٌ) مرفوع مثله، و(غَيْرُ) مرفوع أيضاً لعطفه عليه. والمعنى: وفي الأرض قطعٌ متجاوراتٌ وجناتٌ من أعناب، وفيها أيضًا زرعٌ ونخيلٌ.(٣) وقيل وجه وجه الرفع العطف على (قِطَعٌ)،(٤) وهو صحيح أيضاً؛ لكون (جَنَّاتٌ) معطوف على (قِطَعٌ).

وقد ذهب أبو علي الفارسي إلى أن الجنة حقيقة في الأرض التي فيها الأعناب، وفي الأرض التي فيها النخيل،(٥) وذهب المفسّران ابن عطية وأبو حيان الأندلسي إلى أنها حقيقة في الأرض التي فيها الأعناب، ومجاز في في الأرض التي فيها نخيل وزرع، وبذلك يكون عطف الزرع والنخيل على الأعناب في قراءة الجر من باب المجاز؛

---

(١) السبعة، ص ٣٥٦، والمبسوط، ص ٢٥١، والتيسير، ص ٩٣، والنشر، ٣٣٤/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٢٠.

(٢) حجة ابن خالويه، ص ٢٠٠، ومعالم التنزيل، ٢٩٤/٤، ومفاتيح الغيب، ٧/١٩، وأنوار التنزيل، ٣١٧/٣، وفتح القدير، ٩٢/٣، والتحرير والتنوير، ١٤٢/١٢.

(٣) جامع البيان، ٣٣٤/١٦، وزاد المسير، ٣٠٣/٤.

(٤) حجة الفارسي، ٦/٥-٩، والكشف عن وجوه القراءات، ١٩/٢، والمحرر الوجيز، ٢٩٣/٣-٢٩٤، والتبيان في إعراب القرآن، ٧٥٠/٢، ومدارك التنزيل، ٣٤٨/٢، والدر المصون، ١٣/٧، واللباب، ٢٤٥/١١.

(٥) حجة الفارسي، ٦/٥-٩.

لأنه لا يقال: جنات من زرع، بل يقال جنات من مجموع ذلك، لا من الزرع وحده؛ لأن المزرعة لا يقال لها جنة إلا إذا خالطتها شجرات.(١)

وذكر بعض المفسرين أنَّ أبا عمرو طعن في قراءة الجر من جهة معناها؛ لأن الزرع ليس من الجنَّات.(٢)

وردَّ أبو البقاء على ذلك بأن العطف هنا من باب العطف على المعنى، والتقدير: ونبات زرع.(٣)

إلا أن السمين(٤) رفض هذا التأويل؛ لعدم الفرق بين العطف على اللفظ أو المعنى؛ لأن من يمنع أن تكون الجنة من الزرع، يمنع أن تكون من نبات الزرع؛ لعدم الفرق بينهما.(٥) وأجاب بأنَّ الجنَّة تحتوي على النَّخيل والزرع، والأعناب، لقوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً﴾ [سورة الكهف/٣٢]، والمراد: في الجنات فُرَجٌ مزروعة بين الأشجار، لأنه لا يقال للمزرعة وحدها جنة، بل إن النخيل والزرع إذا اجتمعا مع الأعناب قيل لهما جنة، وإلى ذلك ذهب جمهور المفسرين.(٦)

وأرى أن هذه الحجة التي ذكرها جمهور المفسرين حجة حسنة، ولا داعي لتضعيف قراءة لكونها من باب المجاز؛ لأن الكثير من القراءات - بل الكثير من كلام العرب - يمكن تخريجه على المعنى المجازي، ولا يوجد مانع لغوي أو بلاغي يمنع ذلك، بل ربما يكون استعمال المجاز والحمل عليه أبلغ؛ قضاءً لحق الإيجاز.(٧)

---

(١) المحرر الوجيز، ٢٩٤/٣، والبحر المحيط، ٣٥٦/٥ – ٣٥٧.

(٢) التبيان في إعراب القرآن، ٧٥٠/٢–٧٥١، والبحر المحيط، ٣٥٦/٥، والدر المصون، ١٣/٧، واللباب، ٢٤٥/١١. ولم أجد ذلك لأبي عمرو في كتبه.

(٣) التبيان في إعراب القرآن، ٧٥١/٢.

(٤) هو أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي المصري الشافعي، أبو العباس، شهاب الدين المعروف بالسمين: مفسر، عالم بالعربية والقراءات. ولد في حلب، ونشأ في القاهرة، لازم أبا حيان إلى أن فاق أقرانه، وأخذ القراءات عن التقي الصائغ، ومهر فيها، وولى تدريس القراءات بجامع ابن طولون، وناب في الحكم بالقاهرة، وولي نظر الأوقاف بها. من مؤلفاته: تفسير القرآن الكريم، وإعرابه المعروف بالدر المصون، وشرح التسهيل، وشرح الشاطبية. توفي سنة ٧٥٦هـ رحمه الله تعالى. انظر: طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة، ١٨/٣-١٩، وطبقات المفسرين، للأدنه وي، ص ٢٨٧.

(٥) الدر المصون، ١٤/٧.

(٦) إعراب النحَّاس، ٣٥٠/٢، وحجة الفارسي، ٦/٥–٩، وحجة أبي زرعة، ص ٣٦٩، والتبيان في إعراب القرآن، ٧٥٠/٢–٧٥١، والدر المصون، ١٣/٧، واللباب، ٢٤٥/١١، وروح المعاني، ١٠٢/١٣.

(٧) التحرير والتنوير، ١٤٢/١٢.

ولذلك ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى القراءتين متقارب أو واحد؛ "لأن (الزرع والنخيل) إذا كانا في البساتين فهما في الأرض، وإذا كانا في الأرض فالأرض التي هما فيها جنة، فسواءٌ وُصِفَا بأنهما في بستانٍ أو في أرضٍ."[1] ولأن "الزرع الذي في الجنات مساوٍ للذي في غيرها، فاكتُفيَ به؛ قضاء لحق الإيجاز."[2]

ومما ورد على التبادل بين الرفع والجر من الأسماء المختلف في قراءتها كلمة ﴿الْحَقِّ﴾ من قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [سورة الكهف/٤٤]. حيث قرأ أبو عمرو والكسائي ﴿الْحَقُّ﴾ بالرفع، وقرأ الباقون ﴿الْحَقِّ﴾ بالجر.[3]

ووجه قراءة الجر أن ﴿الْحَقِّ﴾ صفة لله تعالى، والمعنى: هنالك الولاية لله الذي ألوهيته ألوهية حقيقية، لا باطلة كالألوهية التي يدعيها المشركون لأصنامهم،[4] أي: إنَّ معنى الآية على هذه القراءة كمعنى قوله تعالى: ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ [سورة يونس/٣٠]، وقوله: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [سورة النور/٢٥].[5]

وفي إعراب ﴿الْحَقُّ﴾ على قراءة الرفع ثلاثة وجوه:

الأول: أن ﴿الْحَقُّ﴾ صفة لـ(الْوَلَايَةُ)،[6] ويؤيد هذا الوجه قراءة أبيٍّ: (هُنالك الوَلايةُ الحقُّ للهِ).[7] ومعنى الآية على هذه القراءة: في يوم القيامة تكون الولاية الحق والصدق، لا الباطلة لله تعالى؛ لأن ولاية غيره كذب وباطل.[8] وله الولاية الحق، التي لا يشوبها باطل، ولا يُخاف فيها ما يخاف في سائر الولايات من غير الحق.[9]

الثاني: ﴿الْحَقُّ﴾ خبر مبتدأ مضمر، والتقدير: ما أوحيناه إليك هو الحق.

---

(١) جامع البيان، ٣٣٥/١٦.

(٢) التحرير والتنوير، ١٤٢/١٢.

(٣) السبعة، ص ٣٩٢، والتيسير، ص ٩٩، والمبهج، ص ٦٠٨، والنشر، ٣٤٩/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٤٥.

(٤) جامع البيان، ٢٩/١٨.

(٥) حجة ابن خالويه، ص ٣٢٤–٣٢٥، وحجة الفارسي، ١٥٠/٥، وحجة أبي زرعة، ص ٤١٩، والكشف عن وجوه القراءات، ٦٣/٢، والكشاف، ٦٧٧/٢، ومعالم التنزيل، ١٧٣/٥، والمحرر الوجيز، ٥١٩/٣، ومفاتيح الغيب، ١١٠/٢١، والجامع لأحكام القرآن، ٤١١/١٠، والبحر المحيط، ١٢٤/٦، وفتح القدير، ٤١٢/٣، وروح المعاني، ١٨٥/١٥، والتحرير والتنوير، ٧٤/١٥.

(٦) حجة ابن خالويه، ص ٣٢٤–٣٢٥، وحجة أبي زرعة، ص ٤١٩، والكشاف، ٦٧٧/٢، ومعالم التنزيل، ١٧٣/٥، والمحرر الوجيز، ٥١٩/٣، ومفاتيح الغيب، ١١٠/٢١، والجامع لأحكام القرآن، ٤١١/١٠، وأنوار التنزيل، ٥٠٠/٣، والبحر المحيط، ١٢٤/٦، واللباب، ٤٩٧/١٢، وإرشاد العقل، ٢٢٤/٥، وفتح القدير، ٤١٢/٣، وروح المعاني، ١٨٥/١٥.

(٧) معالم التنزيل، ١٧٣/٥، والبحر المحيط، ١٢٤/٦، واللباب، ٤٩٧/١٢، وروح المعاني، ١٨٥/١٥.

(٨) جامع البيان، ٢٩/١٨، والتحرير والتنوير، ٧٤/١٥.

(٩) حجة الفارسي، ١٥٠/٥، والكشف عن وجوه القراءات، ٦٣/٢.

الثالث : أنه مبتدأ، وخبره مضمر، والتقدير: الحق ذلك، أو ما قلناه.[١] وارتفاع الحق على هذين الوجهين الأخيرين على المدح للولاية أو على المدح لله تعالى بإضمار هو.[٢]

وأولى هذه الوجوه وأظهرها الوجه الأول، وهو الذي عليه جمهور المفسرين؛ لعدم حاجته إلى التقدير، وما لا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج إليه.

وقد رجَّح الإمام الطبري قراءة الجر فقال: "وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب قراءة من قرأه خفضاً على أنه من نعت الله، وأن معناه ما وصفت على قراءة من قرأه كذلك."[٣]

وأرى أن الترجيح بهذه الحجة ضعيف؛ لأن معنى قراءة الرفع مقبول وجيد، وقد ذكره الطبري كما تبيَّن.

بل أرى أن معنى ونظم الآية لا يبلغ هذا المبلغ من البلاغة إلا إذا قلنا بجودة واستحسان معنى القراءتين؛ لأن كل قراءة تضيف إلى الآية معنى جديداً، يكمل معنى الأخرى ولا يناقضه.

ومن أمثلة التبادل بين الرفع والجر في الأسماء الاختلاف في قراءة ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ﴾ من قوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [سورة الدخان/٦-٧]. حيث قرأ الكوفيون ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ﴾ بالجر، وقرأ الباقون ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ﴾ بالرفع.[٤]

ووجه قراءة الجر أن ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ﴾ على البدل أو البيان من (رَبِّكَ)، أو النعت له. والمعنى: رحمة من ربِّك ربِّ السموات والأرض.

ووجه قراءة الرفع أن ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ﴾ خبر لمبتدأ مضمر تقديره: هو، أو خبر آخر لـ (إنه)، أو بدل من (السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)، أو نعت له مرفوع مثله، أو أنه مبتدأ خبره ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة الدخان/٨].[٥]

---

(١) التبيان في إعراب القرآن، ٨٤٩/٢، والدر المصون، ٥٠٠/٧، واللباب، ٤٩٧/١٢، وروح المعاني، ١٨٥/١٥.

(٢) زاد المسير، ١٤٨/٥.

(٣) جامع البيان، ٢٩/١٨.

(٤) السبعة، ص ٥٩٢، والتيسير، ص ١٢٧، والنشر، ٤١١/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٥٢، والمستنير في تخريج القراءات المتواترة من حيث اللغة والإعراب والتفسير، د. محمد سالم محيسن، دار محيسن للطباعة والنشر، القاهرة، ط١٣٢٤/٥هـ-٢٠٠٣م، ٦٦/٣.

(٥) إعراب النحَّاس، ١٢٦/٤، وحجة ابن خالويه، ص ٣٢٤، وحجة أبي زرعة، ص ٦٥٦. وانظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٢٩/١٦، ١٢٩/١٦، وأنوار التنزيل، ١٠٨/٥، والدر المصون، ٦١٨/٩، واللباب، ٣١٣/١٧، وإرشاد العقل، ٥٩/٨، وفتح القدير، ٨١١/٤، وروح المعاني، ١١٦/٢٥.

ووجها الخبرية والابتداء يجعلان الكلام على الاستئناف، ويدلان على انفصال الكلام عما قبله؛ لأن ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ﴾ ابتداء آية.[1] والآية على قراءة الرفع للمدح، وتأكيد وإثبات معنى ما قبله، ولهذه الأسباب اختار مكي وأبو علي الفارسي هذه القراءة.[2]

ويحسِّنُ قراءةَ الجر إتباعُ الكلام بما قبله، حيث وصف (رَبِّكَ) بأنه (رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)، وفي هذا تفخيم لشأن القرآن المنزَّل المشار إليه في قوله قبله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ [سورة الدخان/٣]؛ لأنه لمّا كان الله المُنزِّل موصوفاً بأوصاف الجلالة والكبرياء، كان المُنزَّل الذي هو القرآن في غاية الشرف والرفعة.[3]

ويتحقق الحُسنُ التام للآية بالجمع بين قراءتيها دون ترجيح؛ لأن القراءات المتعددة تمدح باللفظ الواحد القرآن المُنزَّل، والربَّ المُنزِّل.

و**القاعدة** التي تحكم هذا المثال وغيره مما يجرى على الرفع على سبيل القطع والاستئناف، وما يجرى على النصب والجر على سبيل تبعية الكلام لما قبله هي: أن الرفع وقطع الكلام عما قبله يفيد المدح، ويحرك الأذهان إلى الإصغاء، والنصب أو الجر أو تبعية الكلام لما قبله يفيد زيادة التأكيد على ما ذكر من الكلام، وينبه على شدة الاتصال بينهما.

جاء في إرشاد العقل السليم وفي روح المعاني: "وأما على تقدير النصب أو الرفع على المدح؛ فلِما تقرّر من أن المنصوب والمرفوع مدحٌ، وإن خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة - حيث لم يتبعاه في الإعراب، وبذلك سميا قطعاً - لكنهما تابعان له حقيقة، ألا يرى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدأ في النصب والرفع؛ روماً لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله، وتنبيهاً على شدة الاتصال بينهما. قال أبو علي: إذا ذكرت صفات للمدح وخولف في بعضها الإعراب فقد خولف للافتنان، أي: للتفنن الموجب لإيقاظ السامع، وتحريكه إلى الجد

---

(١) وقريب مما ذكر اختلاف القراء في قراءة (رَبُّ) من قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۞ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [سورة المزمل/٨-٩]. حيث قرأها بعض القراء ﴿رَبُّ﴾ بالرفع، وقرأ آخرون بالجر. ومثله تنوع قراءات ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ من قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة المؤمنون/٩١-٩٢]. وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة سبأ/٣]. حيث قرأ بعض القراء ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ بالجر، وقرأ آخرون ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ بالرفع.

(٢) حجة الفارسي، ١٦٥/٦، والكشف عن وجوه القراءات، ٢٦٤/٢، وروح المعاني، ١١٦/٢٥.

(٣) مفاتيح الغيب، ٢٠٦/٢٧، واللباب، ٣١٣/١٧.

في الإصغاء؛ فإن تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم، ويستجلب مزيد رغبة فيه من المخاطب."[1]

ومما ورد على التبادل بين الرفع والجر من الأسماء المختلف في قراءتها: كلمة ﴿نُحَاسٌ﴾ من قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ [سورة الرحمن/٣٥]. حيث قرأ ابن كثير وأبو عمرو وروح ﴿وَنُحَاسٍ﴾ بالجر، وقرأه الباقون ﴿وَنُحَاسٌ﴾ بالرفع.[2]

ووجه قراء الرفع عطف (نُحَاسٌ) على (شُوَاظٌ)، والمعنى: يُرسَل عليكما أيها الجن والإنس لهب من النار ويُرسَل عليكما أيضاً نحاسٌ مذاب.

ووجه قراءة الجر عطف (نُحَاسٍ) على (نَارٍ)، والمعنى: يُرسَل عليكما لهب من النار والنحاس المذاب.[3]

ومن رأى أن الشواظ يختص بالنار قدَّر كلمة (وشيء من) والمعنى: ويرسل الله عليكم شيئاً من النحاس، وبذلك تكون كلمة (شيء) المقدّرة معطوفة على شواظ، وتكون كلمة (نُحَاسٍ) مجرورةً بـ(من) المحذوفة.[4]

والأظهر أن يقال: إن "الشواظ لم يكن إلا عندما يكون في النار أجزاء هوائية وأرضية وهو الدخان، فالشواظ مركب من نار ومن نحاس وهو الدخان، وعلى هذا فالمرسل شيء واحد لا شيئان غير أنه مركب."[5]

وقد رجح بعض المفسرين ومعربي القرآن — ومنهم مكي وأبو علي الفارسي – قراءة الرفع؛ لقوة معناها؛ لأن العطف يقتضي التغاير بين الشواظ والنحاس، وهذا يتناسب مع كون الشواظ هو اللهب الذي لا دخان فيه، والنحاس الدخان، وكلاهما يتكون من النار، أما من قرأ ﴿وَنُحَاسٍ﴾ بالخفض فإنه عطفه على النار، وفيه بعد؛ لأنه يصير المعنى أن اللهب يتكون من الدخان، وليس كذلك، إنما يتكون من النار.[6]

---

(١) انظر: إرشاد العقل، ٣٠/١، وروح المعاني، ٣٨/١٩. واللفظ لأبي السعود.

(٢) السبعة، ص ٦٢١، والتيسير، ص ١٣٢، والنشر، ٤٢١/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٧٢. وذكر ابن مهران الأصبهاني أن روح يقرأ بالرفع كالجمهور، وقد انفرد ابن مهران بهذه الرواية عنه. انظر: المبسوط، ص ٤٢٤، والغاية، ص ٤٠٥.

(٣) حجة ابن خالويه، ص ٣٣٩–٣٤٠، والكشاف، ٤٤٨/٤، والتبيان في إعراب القرآن، ١٢٠٠/٢، والجامع لأحكام القرآن، ١٧١/١٧، وأنوار التنزيل، ٢٧٨/٥، والدر المصون، ١٧٢/١٠، واللباب، ٣٣٢/١٨، وروح المعاني، ١١٣/٢٧، وفتح القدير، ١٩٥/٥.

(٤) المحرر الوجيز، ٢٣١/٥، والجامع لأحكام القرآن، ١٧١/١٧، واللباب، ٣٣٣/١٨.

(٥) مفاتيح الغيب، ١٠١/٢٩.

(٦) حجة الفارسي، ٢٥٠/٦–٢٥٢، ومشكل إعراب القرآن، ٧٠٦/٢، والكشف عن وجوه القراءات، ٣٠٢/٢، والتبيان في إعراب القرآن، ١٢٠٠/٢.

أما من قرأ بالجر فقراءته صحيحة المعنى على قول من قال: إن الشواظ لا يكون إلا من نار وشيء آخر معه، أي: إنَّ الشواظ يتكون من شيئين: من نار ودخان، كما يصح معنى قراءة الجر على تقدير: يرسل عليكما شواظ من نار وشيء من نحاس،(١) وبذلك يكون معنى قراءة الجر كمعنى قراءة الرفع.

وأرى أن كل قراءة من القراءتين تكمل معنى الأخرى، وتبيَّن أن ما يرسَل إنما هو شيئان: لهبٌ من نار، وبعضٌ من النحاس. أو أن ما يُرسَل: نار محضة لا يشوبها دخان، ثُم يرسل دخان بعد ذلك، فالقراءتان تصفان شيئين من العذاب من نوع واحد: كل واحد منهما عذاب على حدته، أو يرسل هذا مرة وهذا أخرى.(٢)

ومما ورد على التبادل بين الرفع والجر من الأسماء المختلف في قراءتها اختلاف كلمة ﴿الْمَجِيدُ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ۝ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [سورة البروج/١٤-١٥]. حيث قرأ الأخوان وخلف ﴿الْمَجِيدِ﴾ بالجر، وقرأ الباقون ﴿الْمَجِيدُ﴾ بالرفع.(٣)

ووجه قراءة الجر: أنه جعل ﴿الْمَجِيدِ﴾ وصفاً للعرش،(٤) والآية على هذه القراءة كقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [سورة المؤمنون/١١٦]، حيث وصف الله ﷻ العرش بالكرم في (المؤمنون)، ووصفه بالمجد في (البروج).(٥)

وقال النحَّاس: ﴿الْمَجِيدِ﴾ نعت لـ (ربك) في قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [سورة البروج/١٢]؛ لعدم جواز أن يكون نعتاً للعرش؛ لأن المجيد من صفات الله ﷻ.(٦) والمعنى: إن بطش ربك المجيد لشديد.(٧)

---

(١) حجة الفارسي، ٢٥٢/٦، ومشكل إعراب القرآن، ٧٠٦/٢، والكشف عن وجوه القراءات، ٣٠٢/٢.

(٢) حجة أبي زرعة، ص ٦٩٣.

(٣) السبعة، ص ٦٧٨، والمبسوط، ص ٤٦٦، والتيسير، ص ١٣٩، والنشر، ٤٤٠/٢، وتحبير التيسير، ص ٦٠٩.

(٤) جامع البيان، ٣٤٦/٢٤، وحجة ابن خالويه، ص ٣٦٧–٣٦٨، ومعالم التنزيل، ٣٨٨/٨، والكشاف، ٧٣٤/٤، والمحرر الوجيز، ٤٦٣/٥، وزاد المسير، ٧٨/٩، ومفاتيح الغيب، ١١٣/٣١، والتبيان في إعراب القرآن، ١٢٨٠/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٢٩٦/١٩، والبحر المحيط، ٤٤٥/٨، والدر المصون، ٧٤٨/١٠، واللباب، ٢٥٤/٢٠، وروح المعاني، ٩٢/٣٠.

(٥) حجة ابن خالويه، ص ٣٦٧–٣٦٨، وحجة أبي زرعة، ص ٧٥٧.

(٦) إعراب النحَّاس، ١٩٥/٥، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، ٢٩٦/١٩، وأنوار التنزيل، ٤٧٤/٥، والدر المصون، ٧٤٨/١٠، واللباب، واللباب، ٢٥٥/٢٠. ونقل السمين عن مكي ذلك، ولم يصح هذا النقل؛ لأن مكياً يرى الوجهين: الجر على النعت للعرش، وعلى النعت لـ(رَبِّكَ). انظر: الكشف عن وجوه القراءات، ٣٦٩/٢، ومشكل إعراب القرآن، ٨٠٩/٢-٨١٠.

(٧) الجامع لأحكام القرآن، ٢٩٦/١٩.

وقد ردَّ الآلوسي(١) هذا الوجه، فقال: "وليس بذاك؛ لأن الأصل عدم الفصل بين التابع والمتبوع، فلا يقال به ما لم يتعين."(٢) وردَّ عليه الشوكاني(٣) بأنه "لا يضر الفصل بينهما؛ لأنها صفات لله ﷻ."(٤)

والوجه الأول أولى وعليه أكثر المفسرين، وهو ما رجَّحه الشوكاني رغم ردِّه الذي ردَّ به على الآلوسي.(٥)

ووجه قراءة الرفع: أن ﴿الْمَجِيدُ﴾ نعت لـ(ذو)، فهو من أوصاف الله تعالى، حيث رُدَّ على قوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ۞ ذُو الْعَرْشِ﴾، لكن أخَّره ليوافق رؤوس الآي.(٦)

أو خبر رابع عن ضمير الجلالة.(٧) والآية على هذه القراءة كقوله: ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [سورة هود/٧٣].

وقد رجَّح بعض المفسرين – ومنهم أبو جعفر النحاس – قراءة الرفع؛ لأن الأولى أن يكون المجد من أوصاف الله تعالى؛ لأن المجد من صفات التعالي والجلال وذلك لا يليق إلا بالله ﷻ.(٨)

---

(١) هو شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب من المجددين، ولد في بغداد سنة ١٢١٧هـ. وتقلد الافتاء فيها سنة ١٢٤٨هـ، ثم عزل، فانقطع للعلم، ثم سافر إلى الموصل، فالآستانة، ثم عاد إلى بغداد يدون رحلاته، وبقي فيها إلى أن توفي سنة ١٢٧٠هـ رحمه الله. من مؤلفاته: (روح المعاني) في التفسير، و(نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول) دوَّن فيه رحلته إلى الآستانة، ونشوة المدام في العود إلى دار السلام، و(غرائب الاغتراب) في تراجم الذين لقيهم، ودقائق التفسير. انظر: الأعلام، ١٧٦/٧.

(٢) روح المعاني، ٩٢/٣٠.

(٣) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان – من بلاد خولان باليمن – سنة ١١٧٣هـ، ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها سنة ١٢٢٩هـ، ومات حاكماً بها سنة ١٢٥٠هـ. ألَّف حوالي ١١٤ مصنفاً، منها: نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، و(إتحاف الاكابر) وهو ثبت مروياته عن شيوخه، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، والتعقبات على الموضوعات، و(فتح القدير) في التفسير، و(إرشاد الفحول) في أصول الفقه. انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للعلَّامة القاضي محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ)، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ٢٠٧/٢-٢١٧، والأعلام، ٢٩٨/٦.

(٤) فتح القدير، ٥٨٥/٥.

(٥) انظر: فتح القدير، ٥٨٥/٥.

(٦) جامع البيان، ٣٤٦/٢٤، وحجة ابن خالويه، ص ٣٦٧-٣٦٨، وحجة أبي زرعة، ص ٧٥٧، ومعالم التنزيل، ٣٨٨/٨، وزاد المسير، ٧٨/٩، ومفاتيح الغيب، ١١٣/٣١، والتبيان في إعراب القرآن، ١٢٨٠/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٢٩٧/١٩، وفتح القدير، ٥٨٥/٥.

(٧) مشكل إعراب القرآن، ٨١٠/٢، والدر المصون، ٧٤٨/١٠، واللباب، ٢٥٥/٢٠، والتحرير والتنوير، ٢٢٣/٣٠.

(٨) إعراب النحَّاس، ١٩٥/٥، وحجة أبي زرعة، ص ٧٥٧، ومفاتيح الغيب، ١١٣/٣١، والبحر المحيط، ٤٤٥/٨، وفتح القدير، ٥٨٥/٥.

وقراءة الجر أيضاً بليغة وقوية المعنى؛ لأن وصف العرش بالمجد كناية عن مجد صاحب العرش.(١)

وقد ردَّ من قرأ بالجر على من رجَّح قراءة الرفع بأن القرآن الكريم دل على أنه يجوز وصف غير الله بالمجد، منه وصف القرآن بالمجد في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ [سورة البروج/٢١]، وقد وصف الله ﷻ العرش بأنه كريم، فقال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [سورة المؤمنون/١١٦]، فلا يبعد أيضاً أن يصفه بأنه مجيد، ومعنى مجد الله ﷻ: عظمته بحسب الوجوب الذاتي، وكمال القدرة والحكمة والعلم، ومعنى عظمة العرش: علوه في الجهة، وعظمة مقداره، وحسن صورته وتركيبه، وقد قيل: العرش أحسن الأجسام تركيباً وصورة.(٢)

وأرى أن الحُكم برجحان إحدى القراءتين يعني الانتقاص من قدر المعاني التي دلت عليها القراءة الأخرى؛ لأن كل قراءة من القراءتين تكمل معنى القراءة الأخرى، فقراءة الرفع تصف الله ﷻ بالمجد، وقراءة الجرّ تصف العرش بهذا الوصف، والآية بقراءاتها تعبِّر بالألفاظ القليلة عن المعاني الكثيرة.

ومثله اختلاف القراء في قراءة كلمة ﴿مَحْفُوظٍ﴾ من قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۞ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [سورة البروج/٢١-٢٢]. حيث قرأ نافع ﴿مَحْفُوظٌ﴾ بالرفع، وقرأ الباقون ﴿مَحْفُوظٍ﴾ بالجر.(٣)

ووجه الرفع أن ﴿مَحْفُوظٌ﴾ نعت لـ (قُرْآنٌ). والمعنى على هذه القراءة: بل هو قرآن مجيد محفوظٌ في لوحٍ، ومعنى الآية على هذه القراءة كمعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر/٩]، حيث وصف الله القرآن الكريم في الآيتين بالحفظ من التحريف والتبديل والتغيير.(٤)

ووجه قراءة الجر أن ﴿مَحْفُوظٍ﴾ نعت لـ(لَوْحٍ). والمعنى على هذه القراءة: بل القرآن المجيد موضوع في لوحٍ محفوظٍ من وصول الشياطين إليه.(٥)

والآية على إحدى القراءتين تصف القرآن بالحفظ، وتصف اللوح بهذا الوصف على القراءة الأخرى، وكل قراءة من القراءتين تستلزم معنى القراءة الأخرى؛ لأن حفظ القرآن يستلزم أن اللوح المودع هو فيه محفوظ أيضاً،

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٢٣/٣٠.

(٢) مفاتيح الغيب، ١١٣/٣١.

(٣) السبعة، ص ٦٧٨، والتيسير، ص ١٣٩، والنشر، ٤٤٠/٢، وتحبير التيسير، ص ٦٠٩.

(٤) حجة ابن خالويه، ص ٣٦٨، وحجة الفارسي، ٣٩٦/٦، وحجة أبي زرعة، ص ٧٥٧.

(٥) إعراب النحَّاس، ١٩٦/٥، وانظر: جامع البيان، ٣٤٧/٢٤-٣٤٨، والكشف عن وجوه القراءات، ٣٦٩/٢، ومعالم التنزيل، ٣٨٩/٨، والكشاف، ٧٣٤/٤، والمحرر الوجيز، ٤٦٣/٥، ومفاتيح الغيب، ١١٤/٣١، والتبيان في إعراب القرآن، ١٢٨٠/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٢٩٩/١٩، وأنوار التنزيل، ٤٧٥/٥، والبحر المحيط، ٤٤٦/٨، والدر المصون، ٧٥٠/١٠، واللباب، ٢٥٧/٢٠، وفتح القدير، ٥٨٧/٥، وروح المعاني، ٩٤/٣٠.

لأن معنى حفظ القرآن هو حفظه من التغيير ومن تلقف الشياطين، ومعنى حفظ اللوح هو حفظه عن تناول غير الملائكة إياه، أو حفظه كناية عن تقديسه كقوله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ۞ لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ [سورة الواقعة/ ٧٨-٧٩]، فلا جرم حصل من القراءتين ثبوت الحفظ للقرآن واللوح.(١)

وبذلك تحقَّق بالقراءات المتنوعة التعبير عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة التي لا يمكن التعبير عنها إلا بألفاظ أكثر بكثير مما هو مذكور في القرآن.

ومن هنا يتبيَّن أن تعدد الإعراب في القراءات المتواترة يمثل قمة الإيجاز التي لا يمكن أن يصل إليها أي نظم آخر، ويبلغ شأوها في البلاغة، ومن هذا المثال وغيره نستنتج أن الأثر البلاغي لتبادل القراءات بين الرفع والجر أو النصب يتمثل غالباً في الإيجاز الذي هو أحد أعمدة البلاغة وأقطابها، إضافة إلى ما تضيفه كل قراءة من وجوه بلاغية لا توجد في القراءات الأخرى.

(١) التحرير والتنوير، ٢٢٨/٣٠.

المطلب الثالث: تبادل القراءات بين الجرِّ والنصب، وأثره في بلاغة النظم.

الجر والنصب نوعان من أنواع الإعراب وردت على التبادل بينهما بعض القراءات المتواترة، فأدَّت في بعض الأحيان إلى تعدد الدلالات والمعاني، وأنتجت بعض الآثار البلاغية.

وقد ورد على التبادل بين النصب والجر من الأسماء المختلف في قراءتها: كلمة ﴿الْأَرْحَامَ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [سورة النساء/١]، حيث قرأ حمزة ﴿وَالْأَرْحَامِ﴾ بالجر، وقرأ الباقون ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ بالنصب.(١)

وفي إعراب قراءة النصب وجوه:

الأول: عطف ﴿الْأَرْحَامَ﴾ على لفظ الجلالة (اللَّهَ). والمعنى: اتقوا الله واتقوا الأرحام أن تقطعوها، فإن قطيعتها مما يجب أن يُتقى، وعلى هذا أكثر المفسرين.(٢) أو اتقوا الله واتقوا حقوق الأرحام، فالكلمة على حذف مضاف.(٣) وهذا في الحقيقة من باب عطف الخاص على العام؛ لأن المعنى: اتقوا الله أي: اتقوا مخالفة الله، وقطع الأرحام مما نهى الله عنه. وفي عطف الأرحام على اسم الله دلالة على عظم ذنب قطع الرحم.(٤)

وكلمة (اتَّقُوا) بناء على ذلك لفظ مشترك بين معنيين؛ لأن تقوى الله ﷻ بالتزام طاعته واجتناب معاصيه، واتقاء الأرحام بأن توصل ولا تُقطَع عن البر والإحسان. فالجامع بينهما هذا القدر المشترك، وإن اختلف معنى التقويين. (٥)

الثاني: أن يكون ﴿الْأَرْحَامَ﴾ منصوبٌ بالإغراء، أي: والأرحامَ احفظوها وصلوها، كقولك: الأسدَ الأسدَ، وهذا يَدُلُّ على تحريم قطعيةِ الرحم ووجوب صلته.(٦)

---

(١) السبعة، ص ٢٢٦، والمبسوط، ص ١٧٥، والتيسير، ٧١، والنشر، ٢٨٢/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٣٤.

(٢) جامع البيان، ٥٢٢/٧–٥٢٣، ومعالم التنزيل، ١٥٩/٢، والكشاف، ٤٩٢/١، والمحرر الوجيز، ٤/٢-٥، ومفاتيح الغيب، ١٣٤/٩، والتبيان في إعراب القرآن، ٣٢٧/١، وأنوار التنزيل، ١٣٩/٢، والدر المصون، ٥٥٤/٣، وإرشاد العقل، ١٣٩/٢، والبحر المديد، ٣/٢، وروح المعاني، ١٨٤/٤.

(٣) التبيان في إعراب القرآن، ٣٢٧/١، وانظر: الدر المصون، ٥٥٤/٣، واللباب، ١٤٣/٦، والتحرير والتنوير، ١١/٤.

(٤) البحر المحيط، ١٦٥/٣، والدر المصون، ٥٥٤/٣.

(٥) البحر المحيط، ١٦٥/٣، والتحرير والتنوير، ١١/٤.

(٦) نقل بعض المفسرين أن هذا الوجه هو اختيار الواحدي. انظر: مفاتيح الغيب، ١٣٤/٩، واللباب، ١٤٤/٦، وإرشاد العقل، ١٣٩/٢. وقد بحثت في تفسيري الوسيط والوجيز للواحدي ولم أجده.

الثالث: أن لفظ ﴿الْأَرْحَامَ﴾ معطوف على محل المجرور في (به)، نحو: مررت بزيد وعمراً، ولما لم يشركه في الإتباع على اللفظ تبعه على الموضع،[١] ويؤيده قراءة عبد الله بن مسعود: (تساءلون به وبالأرحام).[٢] والمعنى: اتقوا الله الذي تُعَظِّمُونه والأرحامَ؛ لأنَّ الحَلْفَ به تَعْظِيم له.[٣] وهذا الوجه هو اختيار الفارسي وأبي البقاء.[٤]

وفي إعراب قراءة الجر وجهان:

الأول: عطف ﴿الْأَرْحَامِ﴾ على الضمير المجرور في (به)،[٥] من غير إعادة الجار.

والمعنى: اتقوا الله الذي يسأل بعضكم بعضاً به وبالأرحام. وفي هذا تعظيم لشأن الرحم، حيث جعلها الله مما يُسأَل ويتوسل به؛ لأن معنى الآية: اتقوا الله الذي تتوسلون به وبالأرحام، حيث يسأل بعضكم بعضاً بها،[٦] وذلك نحو قول العرب: "ناشدتك الله والرحم."[٧]

وفي هذه القراءة تعريضٌ بعوائد الجاهلية، إذ يتساءلون بينهم بالرحم وأواصر القرابة، ثم يهملون حقوقها ولا يصلونها، ويعتدون على الأيتام من إخوتهم وأبناء أعمامهم، وأيضاً هم آذوا النبي ﷺ وظلموه، مع كونه من ذوي رحمهم، وأحق الناس بصلتهم، فناقضت أفعالهم أقوالهم؛ من حيث إنهم يحلفون بالرحم ويسأل بعضهم بعضاً بها، ثم يهملون حقوقها.[٨]

والوجه الثاني: أن الواو للقسم و ﴿الْأَرْحَامِ﴾ مجرور بحرف القسم، وجوابُ القسمِ قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾[سورة النساء/١].[٩] ويبدو أن من قال بهذا الوجه الإعرابي قد ذهب إليه؛ فراراً من العطف على الضمير المجرور

---

(١) الكشاف، ٤٩٢/١، والمحرر الوجيز، ٤/٢، وأنوار التنزيل، ١٣٩/٢، والدر المصون، ٥٥٤/٣، واللباب، ١٤٤/٦.

(٢) البحر المحيط، ١٦٥/٣، والدر المصون، ٥٥٤/٣، واللباب، ١٤٤/٦، وإرشاد العقل، ١٣٩/٢، وروح المعاني، ١٨٤/٤.

(٣) التبيان في إعراب القرآن، ٣٢٧/١، والدر المصون، ٥٥٤/٣، واللباب، ١٤٤/٦.

(٤) حجة الفارسي، ١٢١/٣، ومفاتيح الغيب، ١٣٤/٩، والتبيان في إعراب القرآن، ٣٢٧/١.

(٥) جامع البيان، ٥١٩/٥، ومعالم التنزيل، ١٥٩/٢، والكشاف، ٤٩٢/١، والمحرر الوجيز، ٤/٢، والتبيان في إعراب القرآن، ٣٢٧/١، والبحر المحيط، ١٦٥/٣، والدر المصون، ٥٥٤/٣، واللباب، ١٤٤/٦، وإرشاد العقل، ١٣٩/٢، والتحرير والتنوير، ١١/٤.

(٦) المحرر الوجيز، ٤/٢، والتحرير والتنوير، ١١/٤.

(٧) ورد في صحيح البخاري أن قريش لما رأت أن من آمن منهم يلحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة، فصاروا إذا سمعوا بعير خرجت لقريش إلى الشام اعترضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم، "فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُنَاشِدُهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ." انظر: صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم/٢٥٨١، ٩٧٤/٢.

(٨) التحرير والتنوير، ١١/٤.

(٩) التبيان في إعراب القرآن، ٣٢٧/١، والدر المصون، ٥٥٥/٣، واللباب، ١٤٥/٦.

من غير إعادة الجار، وذهاباً إلى أن في القسم بها تنبيهاً على وجوب صلتها وتعظيماً لشأنها، وأنها من الله ﷻ بمكان.(١)

وهذا الوجه بعيد، وقد ذهب إلى ضعفه الكثير من المفسرين ومعربي القرآن.(٢) وقال ابن عطية فيه: "وهذا كلام يأباه نظم الكلام وسرده، وإن كان المعنى يخرجه."(٣)

وقد وقع – وللأسف – من بعض المفسرين والنحويين تضعيف وتوهين وطعنٌ في قراءة الجر، وكان من أبرز من تكلَّم بها: الطبري، ومكي، والزجاج، والزمخشري، والعكبري، والنحاس، وابن عطية، والبيضاوي.(٤)

وقد احتجوا لما ذهبوا إليه بعدم جواز العطف على الضمير المجرور، دون إعادة الجار عند البصريين،(٥)

---

(١) البحر المحيط، ١٦٧/٣.

(٢) إعراب النحَّاس، ٤٣١/١، والمحرر الوجيز، ٥/٢، والتبيان في إعراب القرآن، ٣٢٧/١، والجامع لأحكام القرآن، ٣/٥، والدر المصون، ٥٥٥/٣، والبحر المديد، ٣/٢.

(٣) المحرر الوجيز، ٥/٢، والبحر المحيط، ١٦٧/٣.

(٤) جامع البيان، ٥٢٣/٧، ومعاني الزجَّاج، ٦/٢، وإعراب النحَّاس، ٤٣١/١، والكشف عن وجوه القراءات، ٣٧٥/١–٣٧٦، والكشاف، ٤٩٢/١، والمحرر الوجيز، ٥/٢، والتبيان في إعراب القرآن، ٣٢٧/١، وأنوار التنزيل، ١٣٩/٢.

(٥) للنحويين في العطف على الضمير المجرور دون إعادة الجار ثلاثة مذاهب: الأول: عدم جواز العطف على الضمير المجرور دون إعادة حرف الجر، إلا في الضرورة، وهو مذهب جمهور البصريين. والثاني: جواز ذلك، ولو دون إعادة الجار. وهو مذهب الكوفيين وبعض البصريين. الثالث: يجوز ذلك إن أُكِّد الضمير، وإلاَّ لم يجز في الكلام، نحو: مررت بك نفسك وزيد ، وهذا مذهب الجرمي والزيادي، وأجازه الفراء. واستدل كل فريق بحجج تؤيد مذهبه. ومن أبرز حجج البصريين: أولاً: أن المضمر المجرور بمنزلة الحرف، والحرف لا ينفصل ألبتة، فهو بمنزلة التنوين، فوجب أن لا يجوز عطف المظهر عليه؛ لأن من شرط العطف حصول المشابهة بين المعطوف والمعطوف عليه، فإذا لم تحصل المشابهة وجب أن لا يجوز العطف. ثانياً: لم يستحسنوا عطف المظهر على المضمر المرفوع، فلا يجوز أن يقال: اذهب وزيد، بل يقولون: اذهب أنت وزيد، مع أن المضمر المرفوع قد ينفصل فإذا لم يجز عطف المظهر على المضمر المرفوع مع أنه أقوى من المضمر المجرور؛ لأنه قد ينفصل، فلأن لا يعطف المظهر على المضمر المجرور أَولى؛ لأنه لا ينفصل ألبتة. ثالثاً: إنما يجوز عطف الأول على الثاني لو جاز عطف الثاني على الأول، وهذا المعنى هنا غير حاصل؛ لأنك لا تقول: مررت بزيدوك، فكذلك لا تقول: مررت بك وزيد. ويمكن تلخيص حجج الكوفيين بالآتي: أولاً: جاء ذلك في التنزيل وكلام العرب قال الله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ [سورة النساء/١٢٧]. فـ(ما) في موضع خفض؛ لأنه عطف على الضمير المخفوض في (فيهن)، وقال أيضاً: ﴿وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [سورة البقرة/٢١٧]، حيث عطف (الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) على الهاء الضمير المجرور في (به). ثانياً: ورد مثل ذلك في الشعر كثيراً، ومنه: قول الشاعر: أَكُرُّ عَلَى الْكَتِيبَةِ لاَ أُبَالِي ... أَفِيهَا كَانَ حَتْفِي أَمْ سَوَاهَا. فـ(سواها) في موضع خفض بالعطف على الضمير المخفوض في (فيها) والتقدير: أم في سواها. فالقرآن والشواهد الشعرية والنثرية تؤيد مذهب الكوفيين، وهو الراجح. ويمكن التوسع في معرفة أدلة كل فريق ومناقشتها من خلال الرجوع إلى كتب النحو.
=

واحتج الزجاج وابن عطية بضعف معناها.(١)

وقد أحسن الرازي وأبو حيان الأندلسي بالردِّ عليهم ودحض حججهم، ويمكن تلخيص ردهما بالآتي:

١- أن حمزة أحد القراء السبعة، وهو بالرتبة السَّنيَّة المانعةِ له من نقلِ قراءة ضعيفة، فالظاهر أنه لم يأت بهذه القراءة من عند نفسه بل رواها عن رسول الله ﷺ وذلك يوجب القطع بصحة هذه القراءة. والعجب من النحاة الذين يستحسنون إثبات اللغة بأبيات شعرية مجهولة، ولا يستحسنون إثباتها بقراءة حمزة مع أنه من أكابر علماء السلف في علم القرآن.(٢)

٢ - يمكن تخريج هذه القراءة على تقدير تكرير الجار، كأنه قيل: تساءلون به وبالأرحام.

٣ - ورد في الشعر العطف على الضمير دون إعادة الجار، وقد أنشد سيبويه في ذلك:(٣)

فاليَوْمَ قرَّبتَ تَهْجُونَا وتَشْتُمُنَا فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ والأيَّامِ مِنْ عَجَب.(٤) (البحر البسيط)

راجع: الإنصاف في مسائل الخلاف، ٢/٤٦٣-٤٧٤، وشرح الرضي على الكافية، ح٢/٣٣٤-٣٣٧، وتوضيح المقاصد، ٢/١٠٢٦-١٠٢٧، وحاشية الصبان، ١/١٦٧-١٦٩. وانظر: البحر المحيط، ٢/١٥٦-١٥٧، واللباب، ٤/١١-١٢، ٦/١٤٤-١٤٦.

(١) جاء في تفسير الطبري: "والقراءة التي لا نستجيز لقارئٍ أن يقرأ غيرها في ذلك: النصب ... ؛ لما قد بينا أن العرب لا تعطف بظاهرٍ من الأسماء على مكنيّ في حال الخفض، إلا في ضرورة شعر." انظر: جامع البيان، ٧/٥٢٣، وجاء في معاني الزجاج: "القراءة الجيدة نصب الأرحام، ... فأما الجر في الأرحام فخطأ في العربية، لا يجوز إلا في اضطرار شعر، وخطأٌ أيضاً في أمر الدين عظيم؛ لأن النبي ﷺ قال: "لاتحلفوا بآبائكم، فكيف يكون تساءلون به وبالرحم على ذا؟" انظر: معاني الزجَّاج، ٢/٦، وجاء في الكشاف: "والجر على عطف الظاهر على المضمر، وليس بسديد؛ لأن الضمير المتصل متصل كاسمه، والجار والمجرور كشيء واحد." انظر: الكشاف، ١/٤٩٢. وجاء في المحرر الوجيز: "ويرد عندي هذه القراءة من المعنى وجهان: أحدهما: أن ذكر الأرحام فيما يتساءل به لا معنى له في الحض على تقوى الله، ولا فائدة فيه أكثر من الإخبار بأن الأرحام يتساءل بها، وهذا تفرق في معنى الكلام وغض من فصاحته، وإنما الفصاحة في أن يكون لذكر الأرحام فائدة مستقلة. والوجه الثاني: أن في ذكرها على ذلك تقريراً للتساؤل بها والقسم بحرمتها، والحديث الصحيح يرد ذلك في قوله ﷺ: (من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت)." انظر: المحرر الوجيز، ٢/٥. وجاء في أنوار التنزيل: "وقرأ حمزة بالجر عطفاً على الضمير المجرور، وهو ضعيف؛ لأنه كبعض الكلمة." انظر: أنوار التنزيل، ٢/١٣٩. وقد ردَّ القونوي هذه الحجة في حاشيته على تفسير البيضاوي، بأن مراد البيضاوي من قوله: ضعيف، أي فصيح غير أفصح، وقراءة الجمهور أفصح، إلا أن ما ذكره من وجه الضعف من أنه بمنزلة بعض الكلمة - فكما لا يجوز العطف على بعض الكلمة كذلك لا يجوز العطف عليه - مردود؛ لأن كون الشيء بمنزلة شيء آخر لا يقتضي كونه كذلك في كل الأحكام، وهذه قراءة متواترة يجب على الكل قبولها، وعدم محاكمتها إلى الأفصح من لغات العرب. انظر: حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، ٧/٩.

(٢) مفاتيح الغيب، ٩/١٣٣-١٣٤، والبحر المحيط، ٣/١٦٧، والدر المصون، ٣/٥٥٥، واللباب، ٦/١٤٧.

(٣) مفاتيح الغيب، ٩/١٣٣، واللباب، ٦/١٤٦.

(٤) هذا البيت من شواهد سيبويه، ولم أعثر على قائله. انظر: كتاب سيبويه، ٢/٣٨٣.

٤ – لا يمكن استناداً لمذهب البصريين ردُّ قراءة ثابتة صحيحة؛ لأننا لسنا متعبدين بقول نحاة البصرة ولا غيرهم ممن خالفهم، فكم حكم ثبت بنقل الكوفيين من كلام العرب لم ينقله البصريون، وكم حكم ثبت بنقل البصريين لم ينقله الكوفيون، والقرآن وقراءاته حجة على قواعد الكوفيين والبصريين جميعها.(١)

٥ – يُردُّ على ما ذهب إليه الزجاج من كون قراءة الجر خطأ عظيماً في أمر الدين؛ لأن النبي ﷺ نهى عن الحلف بالآباء بأن هذا حكاية عن فعل كانوا يفعلونه في الجاهلية؛ لأنهم كانوا يقولون أسألك بالله والرحم، وحكاية هذا الفعل عنهم في الماضي لا تنافي ورود النهي عنه في المستقبل، وأيضاً الحديث نهي عن الحلف بالآباء فقط، وهنا ليس كذلك بل هو حلف بالله أولاً، ثم يقرن به بعده ذكر الرحم. وهذا لا ينافي مدلول الحديث.(٢)

يُلحَظ من كل ما سبق أن قراءة النصب قراءة بليغة وقوية المعنى وعلى هذا اتفق المفسرون، وقد ذكر بعض المفسرين وجوهاً من البلاغة في قراءة الجر، من ذلك اشتمالها على تعظيم حقوق الأرحام؛ لأن الله ﷻ قرنها باسمه في التوسل والسؤال بها. وأما ما قيل في الطعن فيها، فلم يخفَ ما فيه، ولا يخفى أن الحجج التي استندوا إليها حجج واهية لا تثبت أمام النقل الصحيح الثابت عن النبي ﷺ.

والقراءتان تتعاضدان في الحث والحض على حفظ حقوق الأرحام ووجوب احترامها، وترك إهمالها.

ومن الأسماء المختلف في قراءتها والتي جرت على التبادل بين النصب والجر كلمة ﴿وَالْكُفَّارَ﴾ من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ [سورة المائدة/٥٧]، حيث قرأ البصريان والكسائي ﴿وَالْكُفَّارِ﴾ بالجر، وقرأ الباقون ﴿وَالْكُفَّارَ﴾ بالنصب.(٣)

ووجه قراءة الجر العطف على قوله: (مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ)، فعطف (الْكُفَّارِ) على الاسم الموصول (الَّذِينَ) الثاني المجرور بـ(من).(٤) ومعنى الآية على هذه القراءة: يا أيها المؤمنون لا تتخذوا المستهزئين من أهل الكتاب ومن الكفار أولياء. فبين في هذه الآية أن المستهزئين الذين اتخذوا دين المؤمنين هزواً ولعباً صنفان: أهل

---

(١) البحر المحيط، ١٦٧/٣.

(٢) مفاتيح الغيب، ١٣٤/٩.

(٣) السبعة، ص ٢٤٥، والتيسير، ص ٧٥، والعنوان، ص ٨٨، والنشر، ٢٨٨/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٤٨.

(٤) مشكل إعراب القرآن، ٢٣٠/١، والتبيان في إعراب القرآن، ٤٤٦/١.

كتاب: وهم اليهود والنصارى، وكفار عبدة الأوثان.(١) ويؤيد معنى هذه القراءة قراءة أبي بن كعب: (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الكفار أولياء)، بالإتيان بـ(من).(٢)

واسم الكفر وإن كان يطلق على الفريقين، إلا أنه غلب على عبدة الأوثان اسم (الكفار)، وعلى اليهود والنصارى اسم (أهل الكتاب)، وقد فرقت الآية بين الكفار وبين الذين أوتوا الكتاب، من حيث غلبة أن يقع اسم الكفار على المشركين بالله عبادة أوثان؛ لتضاعف كفرهم، فإنهم أبعد شأواً في الكفر.(٣)

ووجه قراءة النصب العطف على قوله: (الَّذِينَ اتَّخَذُواْ). فعطف (الْكُفَّارَ) على الاسم الموصول الأول.(٤) ومعنى الآية على هذه القراءة: لا تتخذوا المستهزئين، ولا الكفار أولياء. فالموصوف بالهزؤ واللعب في هذه القراءة اليهود لا غير، وليس في هذه القراءة إخبار عن استهزاء المشركين.(٥)

وقد رجّح مكي بن أبي طالب قراءة الجر؛ لقوتها في الإعراب وفي المعنى والتفسير، ولقرب المعطوف من المعطوف عليه، فقال: "ولولا اتفاق الجماعة على النصب، لاخترت الخفض؛ لقوته في الإعراب وفي المعنى والتفسير، والقرب من المعطوف عليه."(٦)

ورجّح النحاس قراءة النصب؛ لكونها أفصح وأبين، ونقل القرطبي مثل ذلك عن الكسائي.(٧)

ويمكن الجمع بين الحجج التي ذكرها المرجّحون لتقوية اختياراتهم، دون اللجوء إلى مسلك الترجيح؛ لأن الآية بقراءتيها تنهى المؤمنين عن اتخاذ اليهود والمشركين أولياء، وكل منهما في قراءة الجر موصوف بالهزؤ واللعب، خلافاً لقراءة النصب، وهذا يوضح القيمة البلاغية لتنوع إعراب القراءات، حيث أضافت قراءة الجر إلى الآية معنى جديداً كمّلت به معنى قراءة النصب، وهذا من وجوه الإعجاز البلاغي في نظم القرآن.

ومما ورد على التبادل بين النصب والجر في القراءات من الأسماء: كلمة ﴿الطَّاغُوتَ﴾ من قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ

---

(١) جامع البيان، ٤٣١/١٠، وحجة ابن خالويه، ص ١٣٢، وحجة أبي زرعة، ص ٢٣٠، والكشف عن وجوه القراءات، ٤١٣/١، والمحرر الوجيز، ٢٠٩/٢، ومفاتيح الغيب، ٢٨/١٢، والجامع لأحكام القرآن، ٢٢٣/٦، وفتح القدير، ٧٩/٢.

(٢) جامع البيان، ٤٣١/١٠، والكشاف، ٦٨٣/١، والمحرر الوجيز، ٢٠٩/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٢٢٣/٦، وفتح القدير، ٧٩/٢.

(٣) الكشاف، ٦٨٣/١، والمحرر الوجيز، ٢٠٩/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٢٢٤/٦، وأنوار التنزيل، ٣٤١/٢.

(٤) جامع البيان، ٤٣١/١٠، ومشكل إعراب القرآن، ٢٣٠/١، والتبيان في إعراب القرآن، ٤٤٦/١.

(٥) الكشف عن وجوه القراءات، ٤١٤/١، والمحرر الوجيز، ٢٠٩/٢، ومفاتيح الغيب، ٢٨/١٢، والجامع لأحكام القرآن، ٢٢٣/٦.

(٦) الكشف عن وجوه القراءات، ٤١٣/١–٤١٤.

(٧) إعراب النحّاس، ٢٩/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٢٢٣/٦.

أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [سورة المائدة/٦٠]، حيث قرأ حمزة ﴿وَعَبُدَ الطَّاغُوتِ﴾ بضم الباء وجر (الطَّاغُوتِ)، وقرأ الباقون ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ بفتح الباء ونصب (الطَّاغُوتَ).(١)

ووجه قراءة الجمهور أنه جعل (عَبَدَ) فعلاً ماضياً، و(الطَّاغُوتَ) مفعولاً للفعل (عَبَدَ). والجملة على هذه القراءة معطوفة على الصلة في قوله: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾،(٢) أو أنه ليس داخلاً في حيز الصلة، وإنما هو على تقدير (مَن)، أي: ومَن عبد.(٣) أو معطوف على ﴿الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ أي: جعل منهم القردة والخنازير وجعل منهم عَبَدَ الطاغوت حملاً على لفظ (مَنْ).(٤)

ومعنى الآية على هذه القراءة: قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله، من لعنه الله ومن غضب عليه، ومن جعل منهم القردة والخنازير، ومن عبد الطاغوت.(٥) ويؤيد هذه القراءةَ قراءةُ عبد الله بن مسعُودٍ: (وَمَنْ عَبَدُوا الطَّاغُوتَ).(٦)

ووجه قراءة حمزة: أن (عَبُدَ) جمع (عَبْد)، وهو جمع سماعي قليل، و(الطَّاغُوتِ) مجرور بإضافة (عَبُدَ) إليه.(٧)

أو أن (عَبُدَ) واحد أُريد به الكثرة، وليس بجمع (عَبْد)؛ لأنه ليس في أبنية الجمع مثله، فهو كلفظ (نِعْمَةَ) في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [سورة النحل/١٨]، لكن ضُمَّت الباء للمبالغة، كقولهم: رجل حذُر وفطُن للبليغ في الحذر والفطنة. وعلى هذا أكثر المفسرين. وبذلك يكون تأويل قراءة الجر: جعل منهم من هو خادمٌ للطاغوت، بالغٌ الغاية في عبادة الطاغوت وطاعة الشيطان.(٨)

---

(١) السبعة، ص ٢٤٦، والتيسير، ص ٧٥، والعنوان، ص ٨٨، والنشر، ٢/٢٨٨، وتحبير التيسير، ص ٣٤٨.

(٢) حجة ابن خالويه، ص ١٣٣، وحجة الفارسي، ٣/٢٣٨، وحجة أبي زرعة، ص ٢٣١، والمحرر الوجيز، ٢/٢١١، والتبيان في إعراب القرآن، ١/٤٤٨، وأنوار التنزيل، ٢/٣٤٣، والتحرير والتنوير، ٥/١٤٣.

(٣) جامع البيان، ١٠/٤٣٩، ومعاني النحّاس، ٢/٣٣٠، والكشف عن وجوه القراءات، ١/٤١٤، والجامع لأحكام القرآن، ٦/٢٣٥، والبحر المحيط، ٣/٥٢٩، والدر المصون، ٤/٣٢٧، واللباب، ٧/٤١٩، وفتح القدير، ٢/٨٠.

(٤) فتح القدير، ٢/٨٠.

(٥) جامع البيان، ١٠/٤٤٣، وزاد المسير، ٢/٣٨٨، والدر المصون، ٤/٣٢٧، واللباب، ٧/٤١٢، والتحرير والتنوير، ٥/١٤٣.

(٦) معالم التنزيل، ٣/٧٥، والكشاف، ١/٦٨٥، واللباب، ٧/٤١٢.

(٧) التبيان في إعراب القرآن، ١/٤٤٨، وأنوار التنزيل، ٢/٣٤٣، واللباب، ٧/٤١٩، والتحرير والتنوير، ٥/١٤٣.

(٨) معاني النحّاس، ٢/٣٣١، وحجة ابن خالويه، ص ١٣٣، وحجة أبي زرعة، ص ٢٣١، والكشف عن وجوه القراءات، ١/٤١٤، والمحرر الوجيز، ٢/٢١١، والموضِّح، ١/٤٤٦، وزاد المسير، ٢/٣٨٨، ومفاتيح الغيب، ١٢/٣٢، والجامع لأحكام القرآن، ٦/٢٣٥، وفتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للطيبي (٧٤٣هـ)، دراسة وتحقيق لسورتي النساء والمائدة، رسالة معدة لنيل درجة الدكتوراه، إعداد: صالح بن ناصر الناصر، بإشراف: د.حكمت بشير ياسين، الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، كلية القرآن الكريم، قسم =

قال أبو علي الفارسي: "وجاء على فَعُل؛ لأنه بناء يراد به الكثرة والمبالغة، في نحو: يَقُظ ونَدُس، ... فكأن تقديره أنه قد ذهب في عبادة الطاغوت والتذلل له كل مذهب وتحقق به."[(١)]

وقال الزمخشري: "معناه الغلو في العبودية؛ كقولهم: رجل حذُر وفطُن، للبليغ في الحذر والفطنة."[(٢)]

والإضافة إلى الطاغوت تقتضي الملازمة، فهو كقوله: خدم الطاغوت ولازم خدمته، وهذه الملازمة، كملازمة الملائكة عبادة الرحمن في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ [سورة الزخرف/١٩]. أي: إنَّ الله ﷻ قد حكم عليهم بذلك ووصفهم به.[(٣)]

وقد ذهب بعض المفسرين – ومنهم الفراء والطبري والنحاس ومكي بن أبي طالب – إلى تضعيف قراءة حمزة وترجيح قراءة الجمهور عليها،[(٤)] بمعنى: ومن جعل منهم القردة والخنازير ومن عبد الطاغوت؛ محتجين بأن (عَبُدَ) لم يجر على القياس، وهو غير مستفيض ولا معروف في كلام العرب، وبأن مثله لا يجوز إلا في الشعر لضرورة القوافي، وأما في القراءة فلا.[(٥)] وبأن قراءة عبد الله بن مسعود بمعنى: والذين عبدوا الطاغوت تؤيد معنى قراءة النصب.[(٦)]

وذهب الطبري ومكي إلى أن وجه قراءة النصب بعيد، لكنه جائز على بعده؛ فأهل العربية "يستنكرون إعمال شيء في (مَنْ) و(الذي) المضمرين ويستقبحونه، حتى كان بعضهم يحيل ذلك ولا يجيزه. ... كان آخرون يجيزونه على قبح، لذا كان الواجب على قولهم أن تكون القراءة بذلك قبيحة، لكن مع استقباحهم ذلك في الكلام اختاروا القراءة ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾، ... ولو كنا نستجيز مخالفة الجماعة في شيء مما جاءت به مجمعة عليه، لاخترنا القراءة بغير هاتين القراءتين، غير أن ما جاء به المسلمون مستفيضاً فيهم لا يتناكرونه، فلا نستجيز الخروج منه إلى غيره، فلذلك لم نستجز القراءة بخلاف إحدى القراءتين."[(٧)]

التفسير، عام ١٤١٥هـ، المجلد الثاني، ص ٣٨٠، والبحر المحيط، ٥٣٠/٣، والدر المصون، ٣٢٨/٤، وفتح القدير، ٨٠/٢، وروح المعاني، ١٧٦/٦.

(١) حجة الفارسي، ٢٣٧/٣.

(٢) الكشاف، ٦٨٥/١.

(٣) جامع البيان، ٤٣٩/١٠، والكشاف، ٦٨٦/١، والبحر المحيط، ٥٣١/٣. وانظر: القراءات العشر المختلفة في العلامة الإعرابية وأثر ذلك في المعنى، ص ١٣٨–١٣٩.

(٤) معاني الفَرَّاء، ٣١٤/١–٣١٥، وجامع البيان، ٤٤٠/١٠، ومعاني النحَّاس، ٣٣١/٢، وروح المعاني، ١٧٦/٦.

(٥) معاني الفَرَّاء، ٣١٥/١، وجامع البيان، ٤٤٠/١٠.

(٦) جامع البيان، ٤٤٢/١٠.

(٧) جامع البيان، ٤٤٢/١٠.

وإلى ذلك يذهب مكي أيضاً، فيقول: "حملاً على لفظ (مَنْ)، وهو الاختيار؛ لأن عليه الجماعة، وهو أبين في المعنى؛ لأن التقدير: من لعنه الله، ومن غضب عليه، ومن جعل منهم القردة والخنازير، ومن عبد الطاغوت، فهو أبين في المجانسة والمطابقة، وحمل آخر الكلام على مثال أوله."(١) أي: إنَّ مَكيّاً يرجّح قراءة الجمهور؛ لكونها قراءة الجماعة، ولقوة معناها ووضوحه، وكونها أنسب لسياق الآية ونسقها ونظمها.

والقراءتان تتساويان في البلاغة فيما أرى؛ فقراءة الجمهور أوضح في المعنى، وأوفق للسياق، وقراءة حمزة بليغة من جهة التعبير بـ(عَبُد) عن الكثرة؛ للمبالغة، كما أن الإضافة فيها تدل على ملازمة العابد للطاغوت ملازمة الخادم لسيده.

ومما ورد على التبادل بين النصب والجر في القراءات من الأسماء: كلمة ﴿تَحْتَهَا﴾ من قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سورة التوبة/١٠٠]، حيث قرأ ابن كثير ﴿مِن تَحْتِهَا﴾ بزيادة (مِنْ) وجر (تَحْتِهَا)، وقرأ الباقون ﴿تَحْتَهَا﴾ بدون (من) وبالنصب.(٢)

وقد اتفق القراء على إثبات (من) قبل (تحتها) في سائر القرآن، إلا هذا الموضع فقد اختلفوا على النحو المبيَّن آنفاً، والفرق بين القراءتين هو أنَّ قراءة إثبات (من) تبيِّن أن مبتدأ جري الأنهار من تحت الجنّات؛ لأن (مِن) لابتداء الغاية، أي: إنَّ الماء ينبع من تحت أشجارها، لا يأتي من موضع ويجري من تحت هذه الأشجار، أما في سائر القرآن فالمعنى: أن الأنهار تأتي من موضع وتجري تحت هذه الأشجار.(٣)

ولذلك يرى ابن الجزري أنَّ الجنات المذكورة في آية التوبة معدة لمن ذُكِر؛ تعظيماً لأمرهم، وتنويهاً بفضلهم، وإظهاراً لمنزلتهم؛ لمبادرتهم إلى تصديق النبي ﷺ.(٤)

والمعنى الذي ذكره ابن الجزري وجيه، ولا يتعارض مع الآيات المتفق على قراءتها بإثبات (مِنْ)، بل ربما يدل على بلاغة نظم القرآن عامة الذي يعبر في بعض المواضع عن معانٍ تشتمل على مزايا لطائفة مخصوصة كما هنا؛ حيث خصَّ الله ﷻ بالجنات المذكورة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ومن تبعهم بإحسان.

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات، ٤١٥/١.

(٢) السبعة، ص ٣١٧، والمبسوط، ص ٢٢٨، وتذكرة ابن غلبون، ص ٣٥٩، والتيسير، ص ٨٥، والنشر، ٣١٥/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٩٣.

(٣) الموضِّح، ٦٠٣/٢، والنشر، ٣١٦/٢.

(٤) النشر، ٣١٦/٢.

ومما ورد على التبادل بين النصب والجر في القراءات من الأسماء: كلمتا ﴿وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ [سورة المزمل/٢٠]، حيث قرأ ابن كثير والكوفيون ﴿وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾، وقرأ الباقون ﴿وَنِصْفِهِ وَثُلُثِهِ﴾ بالجر.(١)

ووجه قراءة الجر العطف على (ثُلُثَيِ اللَّيْلِ)، والمعنى على هذه القراءة: إن الله يعلم أنك تقوم أقل من نصف الليل وأقل من ثلثه.(٢)

ووجه قراءة النصب العطف على (أَدْنَىٰ). والمعنى: إن الله يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل، ويعلم أنك تقوم نصف الليل، وتقوم ثلث الليل، بحيث لا تنقص عن النصف وعن الثلث شيئاً.(٣)

وقراءة النصب مناسبة للتقسيم الذي في أول السورة؛ وتطابق التخيير فيما مر بين قيام النصف بتمامه، وبين قيام الناقص منه وهو الثلث، وبين قيام الزائد عليه وهو الأدنى من الثلثين؛(٤) لأنه إذا قام الليل إلا قليلاً صدق عليه قوله: ﴿أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ﴾؛ لأن الزمان الذي لم يقم فيه هو الثلث وشيءٌ من الثلثين، فيصدق عليه قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾. وأما قوله: (وَنِصْفَهُ)، فهو مطابق لقوله أولاً: (نِصْفَهُ) [سورة المزمل/٣]. وقوله: (وَثُلُثَهُ) تطابق قوله: ﴿أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً﴾ [سورة المزمل/٣]. فقد ينتهي النقص في القليل إلى أن يكون الوقت ثلث الليل. وأما قوله: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ [سورة المزمل/٤]، فإنه إذا زاد على النصف قليلاً، كان الوقت أقل من الثلثين، فيكون قد طابق قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ﴾، ويكون قوله تعالى: ﴿نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً﴾ [سورة المزمل/٣] شرحاً لمبهم ما دل عليه قوله: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [سورة المزمل/٢].(٥)

---

(١) السبعة، ص ٦٥٨، والتيسير، ص ١٣٧، والكفاية، ص ٣١٠، والنشر، ٤٣٣/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٩٦.

(٢) جامع البيان، ٦٩٧/٢٣، وإعراب النحّاس، ٦٢/٥، وحجة ابن خالويه، ٣٥٥، وحجة الفارسي، ٣٣٧/٦، وحجة أبي زرعة، ص ٧٣١، ومشكل إعراب القرآن، ٧٦٩/٢، ومفاتيح الغيب، ١٥٣/٣٠، والتبيان في إعراب القرآن، ١٢٨٤/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٥٢/١٩، وإرشاد العقل، ٥٣/٩، وروح المعاني، ١١٠/٢٩، والتحرير والتنوير، ٢٦٢/٢٩.

(٣) جامع البيان، ٦٩٧/٢٣، وإعراب النحّاس، ٦٢/٥، وحجة ابن خالويه، ٣٥٥، وحجة الفارسي، ٣٣٦/٦-٣٣٧، ومشكل إعراب القرآن، ٧٦٩/٢، والتبيان في إعراب القرآن، ١٢٨٤/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٥٢/١٩، والبحر المحيط، ٣٥٨/٨، والدر المصون، ٥٢٨/١٠، وإرشاد العقل، ٥٣/٩، وروح المعاني، ١١٠/٢٩، والتحرير والتنوير، ٢٦٢/٢٩.

(٤) روح المعاني، ١١٠/٢٩.

(٥) البحر المحيط، ٣٥٨/٨، والدر المصون، ٥٢٨/١٠-٥٢٩، واللباب، ٤٨١/١٩.

وقد رجَّح أبو عبيد قراءة الجر؛ لمناسبتها لقوله تعالى بعده: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ﴾ [سورة المزمل/٢٠]. أي: إنَّ الله ﷻ علم أنهم لن يحصوه، فكيف يقدرون على أن يعرفوا نصفه وثلثه. وكيف يكون المعنى أنهم يقومون نصف الليل على قراءة النصب ثم يخبر بعد ذلك أنهم لن يحصوه، أي: يطيقوه.(١) كما فسَّره الحسن.(٢)

ورجّح الفراء ومكي قراءة النصب؛ لأن المعنى عندهما عليها أولى؛ لأن الله ﷻ قال لنبيه ﷺ: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾، أي: صل الليل إلا شيئاً يسيراً منه تنام فيه، وهو الثلث، والثلث يسير عند الثلثين، ثم قال: ﴿نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً﴾ أي: نصفه أو أنقص من النصف قليلاً إلى الثلث، أو زد على النصف إلى الثلثين. ولو قُرِئ بالجر لكان معناه أنهم كانوا يقومون أقل من الثلث، وفي هذا مخالفة لما أمروا به؛ لأن الله ﷻ قال: قم الليل إلا قليلاً: نصفه أو أنقص منه قليلاً إلى الثلث، أو زد على الثلث، ولم يأمرهم بأن ينقصوا من الثلث شيئاً.(٣)

وأما قوله: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ﴾، فهو كقوله ﷺ: "استقيموا ولن تحصوا."(٤) أي: ولن تطيقوا.(٥)

جاء في معاني القرآن، للفراء: "فمن خفض أراد: تقوم أقل من الثلثين، وأقل من النصف، ومن الثلث. ومن نصب أراد: تقوم أدنى من الثلثين، فيقوم النصف أو الثلث. وهو أشبه بالصواب؛ لأنه قال: أقل من الثلثين، ثم ذكر تفسير القلة لا تفسير أقل من القلة. ألا ترى أنك تقول للرجل: لي عليك أقل من ألف درهم ثمانمائة أو تسعمائة، كأنه أوجه في المعنى من أن تفسر قلة أخرى. وكلٌّ صواب."(٦)

أي: إنَّ الفراء يضعِّف معنى: وأقل من نصفه الذي تبيِّنه قراءة الجر؛ لأنه إنما يبين القليل عنده، لا أقل من القليل، ويستحسن معنى قراءة النصب؛ لأنها تبيِّن قيام النبي ﷺ بما افترضه الله عليه دون إنقاص شيء منه.(٧)

---

(١) إعراب النحَّاس، ٦٢/٥، وحجة أبي زرعة، ص ٧٣٢.

(٢) المحرر الوجيز، ٣٨٧/٥، والدر المصون، ٥٢٩/١٠، واللباب، ٤٨١/١٩.

(٣) معاني الفَرَّاء، ١٩٩/٣، والكشف عن وجوه القراءات، ٣٤٥/٢–٣٤٦.

(٤) سنن البيهقي الكبرى، كتاب الطهارة، باب فضيلة الوضوء، رقم/٣٨٩، ٨٢/١، وسنن ابن ماجه، للحافظ محمد بن يزيد أبي عبد الله القزويني (٢٧٥هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، د.ط.، د.ت.، كتاب الطهارة وسننها، باب المحافظة على الوضوء، رقم/٢٧٧، ١٠١/١.

(٥) حجة أبي زرعة، ص ٧٣٢.

(٦) معاني الفَرَّاء، ١٩٩/٣.

(٧) إعراب النحَّاس، ٦٢/٥.

وجاء في الكشف لمكي بن أبي طالب: "وكلا القراءتين حسن غير أن النصب أقوى؛ لأن الفرض كان على النبي ﷺ قيام ثلث الليل، فإذا نصبت (ثُلُثَهُ) أخبرت أنه كان يقوم بما فرض الله عليه وأكثر، فإذا خفضت (ثُلُثِه) أخبرت أنه كان يقوم أقل من الفرض."(١)

وقد رد الإمام أبو جعفر النحاس على الفراء وأبي عبيد قائلاً: "والسلامة من هذا عند أهل الدين إذا صحت القراءتان عن الجماعة أن لا يقال: إحداهما أجود من الأخرى؛ لأنهما جميعاً عن النبي ﷺ، فيأثم من قال ذلك، وكان رؤساء الصحابة رحمهم الله ينكرون مثل هذا."(٢)

والعبارات التي ذكرها الأئمة في الانتصار لإحدى القراءتين لا تسقط القراءة المرجوحة لديهم، وإنما تبيِّن الحجج التي استندوا إليها في استحسان معاني بعض القراءات، وأرى أن الحجج التي خلَّفها موجهو القراءات عامة، والمرجِّحون خاصة تفتح آفاقاً للجمع بين القراءتين، وتفسير التفاوت الظاهر بينهما، وتلهم المتأخرين إلى طرق الجمع بين القراءات.

والجمع بين الحجج، والتماس الحسن في جميع القراءات هو الأولى بكلام الله ﷻ، والأليق بتعدد قراءاته.

ويمكن تفسير القراءتين هنا والجمع بينهما على أساس اختلاف الأوقات، وبيان أن معنى كل قراءة وقع في وقت دون آخر، وبذلك يكون تقدير المعنى: أنه ﷺ كان يقوم نصف الليل تارة، وثلثه تارة، وأقل من النصف، ومن الثلث أحياناً أخرى، وكلها أحوال معلومة لله ﷻ.(٣)

وعلمه ﷻ بذلك يكون على حسب الوقوع؛ لأنه ﷺ قام تلك المقادير في أوقات مختلفة، فقام أدنى من الثلثين، ونصفاً، وثلثاً، وقام أدنى من النصف، وأدنى من الثلث.(٤)

وكل هذه الأحوال المختلفة عن قيام النبي ﷺ بالليل تابعة لاختلاف أحوال الليالي والأيام في طول بعضها وقصر بعض، وكلها داخلة تحت التخيير الذي خيره الله ﷻ في قوله: ﴿قُمْ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [سورة المزمل/٢] إلى قوله: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ [سورة المزمل/٤].(٥) وبذلك يتبيَّن أن لا تنافي بين القراءتين.

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات، ٣٤٥/٢.

(٢) إعراب النحَّاس، ٦٢/٥، والجامع لأحكام القرآن، ٥٢/١٩.

(٣) روح المعاني، ١١٠/٢٩، والتحرير والتنوير، ٢٦٢/٢٩. بتصرف.

(٤) اللباب، ٤٨١/١٩.

(٥) البحر المحيط، ٣٥٨/٨، وإرشاد العقل، ٥٣/٩، والتحرير والتنوير، ٢٦٢/٢٩.

وهذا المثال وما سبقه من الأمثلة يبيِّن أن الإيجاز – الذي هو محور البلاغة وعمودها – هو الأثر الأبرز الذي أنتجه تعدد إعراب القراءات؛ حيث يعبِّر القرآن من خلال نظمه بالكلمة الواحدة عن المعاني الكثيرة من خلال تنوع القراءات، وينتج إلى جانب هذا الأثر البلاغي آثار أخرى تتضح من سياق كل مثال من الأمثلة الآنفة الذكر، كالمبالغة في الذم، أو المبالغة في المدح، أو المبالغة في الحث على التزام المأمور به.

ولا بد من الإشارة أخيراً إلى أن العلامة الإعرابية وما يترتب على معانيها الوظيفية الأولى من معان بلاغية إنما هو أمر راجعٌ إلى السياق وحده، مع اعتبار قرائن الأحوال الأخرى. أما الصناعة النحوية فهي من باب: "إنما يصلحه ويفسده معناه، فكل ما صلح به المعنى فهو جيد، وكل ما فسد به المعنى فمردود."[1]

وهذا أمر مشترك بين جميع القراءات المتغايرة إعرابياً، كما تبيَّن من الأمثلة المذكورة في هذا المبحث بمطالبه الثلاثة، والمبحث الآتي سيتناول بالدراسة الوجوه البلاغية الناتجة عن التغاير النحوي في الأفعال المختلَف في قراءتها، وأثر ذلك في بلاغة نظم القرآن.

---

(١) المقتضب، ٣١١/٤، وشرح المفصل، لابن يعيش، ٦٥/٢. وانظر: التوجيه البلاغي، ص ١٠٧.

المبحث الثاني: تنوع إعراب الأفعال المختلف في قراءتها، وأثره في بلاغة النظم.

المطلب الأول: التبادل بين الرفع والنصب، وأثره في بلاغة النظم.

المطلب الثاني: التبادل بين الرفع والجزم، وأثره في بلاغة النظم.

يقسم الفعل إلى ثلاثة أقسام، هي: الماضي: الذي يدل على زمنٍ مضى وانقضى، والمضارع: الذي يدل على الزمن الحاضر، والأمر الذي يدل على طلب الفعل في المستقبل.

والأصل في الأفعال البناء، حيث يبنى الماضي على الفتحة، وعلى السكون إن اتصلت به تاء الفاعل المتحركة، وعلى الضم إن اتصلت به واو الجماعة، ويبنى فعل الأمر على السكون، وعلى حذف حرف العلة إن كان معتلاً، وعلى حذف النون إن كان مضارعه من الأفعال الخمسة. أما الفعل المضارع فاتفق النحويون على إعرابه؛(١) لشبهه بالأسماء، من حيث جواز دخول لام الابتداء عليه كما تدخل على الاسم، خلافاً لفعلي الماضي والأمر. ولكونه يجرى على اسم الفاعل في حركته وسكونه، ويجوز استبدال اسم الفاعل به دون أن يتأثر المعنى، وذلك نحو قولك: زيد يضرب، وزيد ضارب، فلما أشبه الفعل المضارع الاسم في ذلك أعرب كما أعرب الاسم.(٢)

وكان يجدر بهذا المبحث أن يتناول بالدراسة التغاير النحوي (الإعرابي والبنائي) في القراءات بالنسبة إلى الأفعال، غير أنه اقتصر على دراسة التغاير الإعرابي فقط في قراءات الفعل المضارع؛ لملحظ بلاغي آخر، وهو أن تبادل القراءات إذا جرى بين فعلي الماضي والأمر لم يكتسب قيمته البلاغية من التغاير النحوي والتبادل بين الأزمنة، بل من كون الفعل الماضي دالاً على زمن غابر قد انقضى، وكون فعل الأمر دالاً على طلب الفعل في المستقبل، وهذا يجعل الجملة الفعلية التي اشتملت على الفعل الماضي جملة خبرية، والجملة المشتملة على فعل الأمر جملة إنشائية طلبية، ولهذا السبب أرجأت دراسته إلى الباب الثاني.

وهذا المبحث سيتناول بالدراسة صور تغاير الإعراب في الفعل المضارع، وقد رصدت بالاستقراء ثلاث صور لتبادل إعراب الفعل المضارع المختلف في قراءته، وهي: التبادل بين الرفع والنصب، وهو ما سأتناول دراسته في المطلب الأول، والتبادل بين الرفع والجزم، وهو ما سأدرسه في المطلب الثاني، والتبادل بين النصب والجزم.(٣)

---

(١) الأصول في النحو، ١/٥٠، واللباب في علل البناء والإعراب، ٢/٧٤، وشرح الرضي، ١/٦٥، وشرح ابن عقيل، ١/٣٧.

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف، ١/٥٤٩–٥٥٠، والمفصل في صنعة الإعراب، ص ٣٢٣.

(٣) لم أعثر له إلا على مثالين في القراءات العشر، وهو الفعل (أَكُنْ) من قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة المنافقون/١٠]. والفعل (وَلْيَحْكُمْ) من قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [سورة المائدة/٤٧] فأما المثال الأول فلم يكن لهذا التبادل فيه بين النصب والجزم كبير أثر في المعنى، وأما الثاني فإنه تبادل بين المضارع المنصوب بلام التعليل، والمضارع المجزوم بلام الأمر، فهو تبادل بين الخبرية والإنشائية الطلبية وستأتي دراسته في الباب الثاني؛ ولذلك لم أخصص للتبادل بين النصب والجزم مطلباً مستقلاً.

المطلب الأول: التبادل بين الرفع والنصب، وأثره في بلاغة النظم.

الرفع والنصب من أنواع الإعراب المشتركة بين الأسماء والفعل المضارع. والأصل في الفعل المضارع أن يكون مرفوعاً؛ لشبهه بالأسماء -من حيث جواز دخول لام الابتداء عليه كما تدخل على الاسم، وغير ذلك من الأمور التي سبق ذكرها- إلا إذا سُبِق بحروف نصب أدت إلى نصبه، أو بحروف جزم أدت إلى جزمه.(١)

ويُنصّب الفعل بالمضارع بأن، ولن، وكي، وإذن إذا اعتمد الفعل عليها، نحو: أرجو أن يغفرَ الله لي، ولن أبرحَ الأرض، وجئت كي تعلمَني، وقولك: إذن أكرمَك، جواباً لمن قال لك: أنا أزورُك، حيث تنصب الفعل (أكرمَك)؛ لاعتماده على إذن.(٢)

ويُنصب بأن مضمرة بعد حتى، ولام التعليل، وأو بمعنى إلى أن، وواو المعيّة، نحو: سرت حتى أدخلَها، وجئتك لتكرمَني، ولألزمنك أو تعطيَني حقي، ولا تأكل السمك وتشربَ اللبن، أي: لا تجمع بينهما.(٣)

كما يُنصَب بأن المضمرة بعد فاء السببيَّة في جواب الأمر، والنهي، والنفي، والاستفهام، والتمني، والحضّ، نحو: ائتني فأكرمَك، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ [سورة طه/٨١]، وما تأتينا فتحدثَنا، وأتأتينا فتحدثَنا؟ وقوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء/٧٣]، وألا تنزلُ فتصيبَ خيراً.(٤)

وقد ورد في القراءات العشر أمثلة كثيرة لتبادل الفعل المضارع بين الرفع والنصب، ومنها: اختلاف القراء في قراء الفعل ﴿يَقُولَ﴾ من قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة/٢١٤]. فقرأ نافع ﴿يَقُولُ﴾ بالرفع، وقرأ الباقون ﴿يَقُولَ﴾ بالنصب.(٥)

وأستحسن – قبل الدخول في توجيه القراءتين – التحدُّث عن حكم المضارع بعد حتى:

إذا دخلت حتى على فعلٍ مضارع، فإما أن تكون ابتدائية، أو جارة.

---

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف، ٥٥١/٢، والمفصل في صنعة الإعراب، ص ٣٢٣–٣٣٣، واللباب في علل البناء والإعراب، ٢٥/٢، وشرح قطر الندى، ص ٥٧.

(٢) المقتضب، ٦/٢، ١٠/٢–١١، واللمع في العربية، ص ١٢٧، والمفصل في صنعة الإعراب، ص ٣٢٥.

(٣) المقتضب، ٢٥/٢–٢٨، واللمع في العربية، ص ١٢٩–١٣١، والمفصل في صنعة الإعراب، ص ٣٢٥.

(٤) المقتضب، ١٣/٢–١٤، واللمع في العربية، ص ١٢٧–١٢٩، والمفصل في صنعة الإعراب، ص ٣٢٥.

(٥) السبعة، ص ١٨١، والتيسير، ص ٦٤، والنشر، ٢٥٩/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٠٤.

فأما (حتى) الابتدائية: فهي التي تدخل على جملة مضمونها غاية لشيء قبلها، فتشارك الجارة والعاطفة، في معنى الغاية. وهي حرف ابتداء، يقع بعدها المبتدأ والخبر، أو جملة فعلية مصدرة بفعلٍ ماض، نحو: ﴿حَتَّى عَفَوْا﴾ [سورة الأعراف/٩٥]، أو مصدَّرة بمضارع مرفوع، نحو: سألت عنك حتى لا أحتاجُ إلى سؤال.(١)

وأما (حتى) الجارة: فتدخل على المضارع فتنصبه بنفسها عند الكوفيين، وبأن مضمرة بعدها، عند البصريين.(٢)

والمشهور أن (حتى) الجارة لها معنيان:(٣) الأول: الغاية، نحو: ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ [سورة طه/٩١]. وعلامة كونها للغاية: أن يحسن في موضعها (إلى أن). والثاني: التعليل، نحو: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [سورة البقرة/١٩٣، وسورة الأنفال/٣٩]، وعلامة ذلك: أن يحسن في موضعها كي.(٤)

ويشترط لرفع المضارع بعد (حتى) ثلاثة شروط مجتمعة،(٥) هي:

١ – أن يكون زمن المضارع للحال حقيقة أو تأويلاً. ومما جاء على حكاية الحال الحقيقية: سألت عنك حتى لا أحتاجُ إلى سؤال، ويشترط أن يكون ذلك حاصلاً وقت النطق به. ومما جاء على حكاية الحال المؤولة: قول أحدنا اليوم: "هذا زهير شاعر الجاهلية، يراجع قصيدته حتى تجودُ بعد حول في مراجعتها." فهذا المثال يحكي الزمن الماضي المؤول بالحال، وهو الذي يكون فيه معنى المضارع قد تحقق وانتهى فعلاً قبل النطق بالجملة، وكان المناسب أن يذكر الفعل بصيغة الماضي، ولكنه يعاد ذكره بصيغة المضارع؛ بقصد حكاية الحال الماضية التي ترشد إليها القرينة التي تدل على حكايتها. ويسمى هذا الاتجاه: (حكاية الحال الماضية).(٦)

---

(١) وليس معنى كونها ابتدائية أنه يجب أن يكون بعدها مبتدأ وخبر، بل المعنى أنها صالحة لذلك. انظر: الجنى الداني في حروف المعاني، لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (٧٤٩هـ)، تح: د.فخر الدين قباوة، أ.محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٣هـ-١٩٩٢م، ص ٥٥١–٥٥٣. وتوضيح المقاصد، ١٢٤٩/٣.

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني، ص ٥٥٤، وحاشية الصبان، ٤٣٤/١.

(٣) زاد ابن مالك في التسهيل: معنى ثالثاً وهو (إلا أن)، كقول الشاعر: ليس العطاءُ من الفضول سماحةً ... حتى تجودَ وما لديك قليلُ. وهذا المعنى الذي ذكره ابن مالك غريب، وممن ذكره ابن هشام وحكاه في البسيط عن بعضهم. وهذا ليس نصاً على أن حتى إذا انتصب ما بعدها تكون بمعنى إلا أن، لأن ذلك تفسير معنى البيت، ولا حجة في البيت، لإمكان جعلها فيه بمعنى إلى. انظر: توضيح المقاصد، ١٢٥٠/٣، وحاشية الصبان، ٤٣٣/١.

(٤) الجنى الداني في حروف المعاني، ص ٥٥٤، وتوضيح المقاصد، ١٢٥٠/٣، وحاشية الصبان، ٤٣٢/١–٤٣٣.

(٥) الجنى الداني، ص ٥٥٥–٥٥٦، وتوضيح المقاصد، ١٢٥٠/٣–١٢٥١، وحاشية الصبان، ٤٣٦/١–٤٣٧، والنحو الوافي، ٣٣٩/٤–٣٤٤.

(٦) الغرض من حكاية الحال الماضية هو: إعادة حادثة وقعت، وسرد قصتها وقت الكلام، وكأنها تحصل أول مرة ساعة النطق بها؛ للإشعار بأهمية القصة، وبصحة ما تضمنته من معنى قبل (حتى) وبعدها، وأن ما بعد (حتى) مسبب عما قبلها وغاية له، فيثور الشوق إلى سماعها ويمتزج السامع بجوها. انظر: النحو الوافي، ٣٤١/٤.

وفي هاتين الصورتين التي يحكي فيها المضارع حالاً حقيقية أو حالاً ماضية مؤولة يجب رفع المضارع، وتكون (حتى) ابتدائية. وعلامة كونه حالاً أو مؤولاً به صحة الاستغناء عن (حتى) ووضع (فالآن) مكانها، دون أن يتأثر المعنى ولا الأسلوب، ويجب حينئذ أن يكون ما بعدها فضلة، ومسبباً عما قبلها.

٢ – أن يكون ما بعدها مسبباً عما قبلها؛ ليقع الربط بين ما قبلها وما بعدها، فإن لم يكن مسبباً عما قبلها لم يصح رفع المضارع، ووجب عدّها جارة ونصب ما بعدها، نحو: يقضي هؤلاء الزراع نهارهم في العمل، حتى تغرب الشمس. فغروب الشمس ليس مسبباً عن قضاء النهار في العمل، فيجب نصب المضارع.

٣ – أن يكون ما بعد (حتى) فضلة. أي: تم الكلام قبله من الناحية الإعرابية، وليس جزءاً أساسياً في جملة لا تستغني عنه في إتمام ركنيها الأصليين. فلا يجوز أن يكون خبراً لمبتدأ، أو خبراً لظن وأخواتها، فإن لم يكن فضلة لم يصح الرفع، ووجب النصب بأن مضمرة وجوباً بعد (حتى)، فلا يصح رفع الفعل في نحو: عملي حتى تغربَ الشمس، كان عملي حتى تغربَ الشمس، إن عملي حتى تغربَ الشمس.(١)

ويجوز نصب الفعل المضارع أو رفعه بعد (حتى) إذا كان معناه مستقبلاً بالنسبة للمعنى الذي قبل (حتى)، بأن يكون معنى ما بعدها وما قبلها قد تحقق قبل النطق بالكلام وقبل الزمن الحالي، أي: إن المعنيين قد وقعا وحصلا قبل النطق بالكلام، ولكن أحدهما وهو الذي قبل (حتى) أسبق في زمن تحققه وحصوله من المتأخر عنها، ولهذا يعدُّ المتأخر في زمنه — ما بعد حتى – مستقبلاً بالنسبة لما قبلها؛ لتحقق معناه بعد ذلك المتقدم عليها. وكل هذا بغير: حكاية الحال الماضية، وبغير تخيُّل أنها قائمة الآن بطريق الحكاية.

وجواز الرفع والنصب في هذه الحالة وأشباهها قائم على أساس التأويل؛ فالرفع على تخيل زمن المضارع حالاً مؤولة افتراضاً، من غير حكاية؛ لأن المضارع الذي للحال المحكية يجب رفعه. والنصب إما على عدِّه مستقبلاً بالنسبة للمعنى الذي قبل (حتى)، لا بالنسبة لزمن التكلم. أو على اعتبار العزم والنية على تحقيق معنى المضارع

(١) النحو الوافي، ٣٣٩/٤–٣٤٤. ويجب نصب المضارع بعد (حتى) في كل حالة لا تصلح للرفع. فيجب نصب المضارع بعد حتى في ثلاث حالات: هي: ألا يكون حالاً حقيقة ولا تأويلاً، بأن يكون زمنه ماضياً خالصاً، نحو: في سنة عشرين من الهجرة تم فتح مصر على يد العرب حتى ينقذوها من ظلم الرومان. فالفتح والإنقاذ وقعا في زمن خالص المضي، وبقيا هنا على حالهما من غير تأويل زمنهما بالحال. أو أن يكون مستقبلاً خالصاً، نحو: في الشهر القادم يزور بلادنا وفود من العلماء الأجانب حتى يطلعوا على مظاهر الحضارة والتقدم عندنا. فالزمن المستقبل هنا هو الزمن الآتي حقاً، ولا يكون مجيئهم إلا بعد انتهاء الكلام. وأن يكون ما بعد حتى غير مسبب عما قبلها، نحو: أصوم يومي هذا حتى يجيء المغرب. وأن يكون ما بعد حتى غير فضلة. بل جزءاً أساسياً في الإعراب. نحو: سهري حتى أنجز عملي. انظر: حاشية الصبان، ٤٣٥/١، والنحو الوافي، ٣٤٤/٤–٣٤٥.

قبل وقوع معناه. وفي صورة رفعه تكون (حتى) ابتدائية، وفي صورة نصبه تكون (حتى) جارة.(١) وعلى هذه الصورة الأخيرة – صورة جواز رفع الفعل المضارع بعد حتى ونصبه – جرت القراءات في هذه الآية. وفيما يأتي توجيه القراءتين وبيان وجوه إعراب الفعل في كل منهما.

وجه قراءة الرفع: أنه جعل (حتى) ابتدائية وغاية للمسّ والزلزال، والفعل (يَقُولُ) بعدها على حكاية الحال، والفعل المضارع بعد حتى إذا كان فعل حال لا يخلو أن يكون حالاً في حين الإخبار، نحو: مرض حتى لا يرجونه، أو حالاً قد مضت، فيحكيها على ما وقعت، فيرفع الفعل على أحد هذين الوجهين، والمراد به هنا المضي، فيكون حالاً محكية،(٢) إذ المعنى: وزلزلوا إلى أن قال الرسول.(٣) والمعنى على قراءة الرفع: بلغ بهم الأمر إلى غاية قال عندها الرسول والذين معه: متى نصر الله.(٤)

وفي إعراب قراءة النصب وجهان: الأول: أن تكون (حَتَّى) بمعنى (كَيْ)، فتفيد التعليل،كقولك: أطعتُ الله حَتَّى أدخل الجنة، والمعنى: وزلزلوا كي يقول الرسول. وهذا الوجه نسبه المفسِّر ابن عادل(٥) إلى أبي البقاء

---

(١) حاشية الصبان، ٤٣٥/١–٤٣٦، والنحو الوافي، ٣٤٥/٤–٣٤٦.

(٢) ذكر الفارسي أن قراءة الرفع تحتمل وجهين: "الأول: أن يكون السبب الذي أدى الفعل الذي بعد حتى قد مضى، والفعل المُسَبَّب لم يمض، مثال ذلك قولُهم: مرض حتى لا يرجُونه،... وتتجه على هذا الوجه الآيةُ، كأن المعنى: وزلزلوا فيما مضى حتى إن الرسولَ يقولُ الآن: متى نصر الله. وحكيت الحال التي كانوا عليها، كما حكيت الحال في قوله: ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [سورة القصص/١٥]، وقوله: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [سورة الكهف/١٨]. والوجه الآخر من وجهي الرفع: أن يكون الفعلان جميعاً قد مضيا، نحو: سرت حتى أدخلُها، ...والحال في هذا الوجه أيضاً محكية، كما كانت محكية في الوجه الآخر. ألا ترى أن ما مضى لا يكون حالاً؟" انظر: حجة الفارسي، ٣٠٦/٢–٣٠٧. وبذلك يتبيَّن أن الفارسي يؤول الوجه الأول كالثاني، ويرى في معنى قراءة الرفع ما يراها جمهور المفسرين، من كونها تحكي حالاً ماضية، لا الحال التي هم عليها الآن. وقد ذكر مكي في الكشف مثل ما ذكر الفارسي، لكن عبارته واضحة في أن مراده حكاية الحال الماضية؛ لأنه قال بعدما ذكر الوجه الأول: "ولا تحمل الآية على هذا المعنى، لأنها لحال قد مضى، فحُكِيَ." ثم قال بعد ذكر الوجه الثاني: "وعلى هذا تحمل الآية في الرفع، لا على الوجه الأول من وجهي الرفع." انظر: الكشف عن وجوه القراءات، ٢٨٩/١–٢٩٠.

(٣) جامع البيان، ٢٩٠/٤، وحجة أبي زرعة، ص ١٣١، والكشف عن وجوه القراءات، ٢٨٩/١–٢٩٠، ومفاتيح الغيب، ١٩/٦، والجامع لأحكام القرآن، ٣٤/٣، وأنوار التنزيل، ٤٩٨/١، والبحر المحيط، ١٤٩/٢، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (بعد ٨٥٠هـ)، تح: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ٥٨٩/١–٥٩٠، وفتح القدير، ٣٢٨/١، وروح المعاني، ١٠٤/٢.

(٤) معالم التنزيل، ٢٤٥/١، والبحر المحيط، ١٤٩/٢، و اللباب، ٥١٤/٣، والتحرير والتنوير، ٢٩٩/٢.

(٥) هو أبو حفص، سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي النعماني الدمشقي، الإمام العالم الفاضل، صنف التفسير المسمى باللباب في علم الكتاب، وفرغ من تأليفه في رمضان سنة ٨٧٩هـ. كان عالماً بأنواع قواعد العربية والعلوم السائرة في التفسير. توفي بعد سنة ٨٨٠هـ رحمه الله تعالى. انظر: طبقات المفسرين، للأدنة وي، ص ٤١٨–٤١٩، ومعجم المؤلفين، ٣٠٠/٧.

العكبري،[1] وهي نسبة خاطئة فيما أرى؛ لأن أبي البقاء لا يقول بذلك ألبتة،[2] بل عبارة أبي البقاء تدل على براءته من هذا القول الذي لا يجوز مثله في تفسير هذه الآية.[3]

وقد ضعّف المفسرون هذا الوجه، بل نصَّ بعضهم – كأبي جعفر النحاس وأبي زرعة والرازي والقرطبي – على أن نصب الآية لا يمكن أن يكون على هذا الوجه؛ لأنَّ قول الرسول والمؤمنين معه في المستقبل ليس علَّة للمسِّ والزلزال فيما مضى.[4]

وقد حاول ابن عرفة[5] التماس وجه يقوي كون حتى هنا بمعنى (كي) فقال رداً على أبي حيان الذي ضعَّف هذا الوجه: "إن اعتبرنا (الزلزال) من حيث نسبته إليهم فليس بعلة؛ لأنهم لا يتزلزلون قصداً لأن يقول الرّسول والمؤمنون هذه المقالة، وإن اعتبرناه من حيث نسبته إلى الحق ﷻ – إذ هو الفاعل المختار في الحقيقة – فهو علة في قول الرسول والمؤمنين؛ ذلك لأن الله ﷻ زلزلهم؛ ليقول الرسول والمؤمنون هذه المقالة."[6]

---

(١) جاء في اللباب: "والثاني: أنَّ (حَتَّى) بمعنى (كَيْ)، فتفيد العلَّة كقوله: أطعتُ الله حَتَّى أدْخَلنِي الجنةَ، وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ قول الرسول والمؤمنين ليس علَّة للمسِّ والزلزال، وإن كان ظاهر كلام أبي البقاء على ذلك، فإنه قال: "بالرفعِ على أَنْ يكونَ التقديرُ: زُلْزِلُوا فقالوا، فالزَّلْزَلَةُ سَبَبُ القولِ، و(أَنْ) بعد (حَتَّى) مُضْمَرةٌ على كِلا التقديرين." انظر: اللباب، ٥١٤/٢.

(٢) وقد بحثت في التبيان في إعراب القرآن، ١٧٢/١، ولم أجده.

(٣) أرى أن أبا البقاء بريء من نسبة هذا القول إليه؛ لأنه قال في التبيان: "(حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ): يُقرَأ بالنصب، والتقدير: إلى أن يقول الرسول فهو غاية، والفعل هنا مستقبل حكيت به حالهم، والمعنى على المضي، والتقدير: إلى أن قال الرسول. ويقرأ بالرفع على أن يكون التقدير: وزلزلوا فقال الرسول، فالزلزلة سبب القول، وكلا الفعلين ماض فلم تعمل فيه حتى." انظر التبيان في إعراب القرآن، ١٧٢/١. فليس في عبارة أبي البقاء ما يدل على ذهابه إلى أن (حتى) في قراءة النصب بمعنى (كي)، بل عبارته تدل على أنه يراها بمعنى (إلى أن). وأما توجيهه لقراءة الرفع، فغاية ما فيه أنه عوض بالفاء عن (حتى) ليدل على كون الفعل هنا في حكاية الحال الحقيقة، وهذه هي علامة كون الفعل لحكاية الحال كما ذكر النحويون.

(٤) إعراب النحَّاس، ٣٠٤/١–٣٠٥، وحجة أبي زرعة، ص ١٣٢، ومفاتيح الغيب، ١٩/٦، والجامع لأحكام القرآن، ٣٤/٣–٣٥. وانظر: البحر المحيط، ١٤٩/٢، و اللباب، ٥١٤/٣.

(٥) هو أبو عبد الله، محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي المالكي، ولد بتونس سنة ٧١٦هـ، في قرية (ورغمة). وقرأ بالروايات على أبي عبد الله محمد بن حسن بن سلمة وغيره، وبرع في الأصول، والفروع، والعربية، والقراءات، والفرائض، والحساب. وسمع من ابن عبد السلام الهواري الموطأ، وأخذ عنه الفقه والأصول. رحل إليه الناس وانتفعوا به، ولم يكن بالمغرب من يجري مجراه في التحقيق، ولا من اجتمع له من العلوم ما اجتمع له. من مؤلفاته: المختصر الكبير في فقه المالكية، والمختصر الشامل في التوحيد، ومختصر الفرائض، والمبسوط في الفقه. توفي سنة ٨٠٣هـ رحمه الله تعالى. انظر: الضوء اللامع، ٢٤٠/٩–٢٤٢، وبغية الوعاة، ١٧٣/١–١٧٤.

(٦) تفسير ابن عرفة المالكي، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي (٨٠٣هـ)، تح: د.حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، ط١/١٩٨٦م، ٦١٢/٢-٦١٣.

وهذه الحجة لا تقوى على مساندة هذا الوجه الأول فيما أرى؛ لأن مقام الآية وسياقها لا يسعف القولَ به تفسيراً، وإن كانت (حتى) تأتي بمعنى (كي) لغة ونحواً؛ لأن هذا المعنى لا يليق بالتفسير وبيان معنى الآية، ولذلك رفضه المفسرون.

والوجه الثاني والذي عليه اتفاق المفسرين: أن (حَتَّى) على الغاية بمعنى (إِلَى أن)، وفي هذا الوجه يكون الفعل الذي حصل قبل حَتَّى والذي حصل بعدها قد وُجِدا ومضيا، أي: وزلزلوا إلى أن قال الرسول، أي: لم يزالوا خائفين إلى أن قال الرسول، فالفعلان قد مضيا، حيث جعل قول الرسول غايةً لما تقدَّم من الخوف والمسِّ والزلزال،[١] والقراءة على هذا الوجه على حكاية الحال التي كانت في الماضي؛ لأن (حَتَّى) ينصب بعدها المضارع المستقبل، ومعنى الفعل هنا قد وقع ومضى.[٢] يقول أبو البقاء في قراءة النصب: "والفعلُ هنا مستقبلٌ، حُكِيت به حَالُهُمْ، والمعنى على المُضِيِّ، والتقدير: إلى أن قال الرسول."[٣]

وأجاز نظام الدين النيسابوري[٤] أن يكون (يقولَ) منصوباً جوازاً؛ لأنه في معنى الاستقبال بالنظر إلى ما قبل (حتى)، وإن لم يكن مستقبلاً عند الإخبار.[٥]

وذهب أبو زرعة وتابعه ابن عاشور إلى تأويل معنى الفعل (يقول) على أنه قول رسول المخاطبين، وهو النبي ﷺ، فـ(ال) فيه للعهد، والمعنى: وزلزلوا مثلهم حتى يقول الرسول ﷺ؛ لأن القول لَمَّا يقع وقتئذ.[٦] وعلى هذا الوجه يكون الفعل المضارع بعد حتى منصوباً وجوباً؛ لأنه على حكاية حال المستقبل الحقيقي.[٧]

ولفظ الفعل ومعناه بعد حتى هو الذي أدى إلى وقوع الاختلاف بين المفسرين في توجيه القراءتين، لأن الفعل بعد (حتى) في معنى الماضي، ولفظه لفظ المستقبل، فجاز فيه الوجهان الرفع والنصب؛ فالنصب على ظاهر

---

(١) حجة الفارسي، ٢/ ٣٠٦، والكشف عن وجوه القراءات، ١/ ٢٩٠، ومفاتيح الغيب، ٦/ ١٨–١٩، والجامع لأحكام القرآن، ٣/ ٣٤، والبحر المحيط، ٢/ ١٤٩، والدر المصون، ٢/ ٣٨٢، واللباب، ٣/ ٥١٤، وفتح القدير، ١/ ٣٢٨.

(٢) الدر المصون، ٢/ ٣٨٢، واللباب، ٣/ ٥١٤.

(٣) التبيان في إعراب القرآن، ١/ ١٧٢.

(٤) هو الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، نظام الدين، ويقال له الأعرج: مفسر، له اشتغال بالحكمة والرياضيات. أصله من بلدة (قم)، ومنشؤه وسكنه في نيسابور. من مؤلَّفاته: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ولب التأويل، و(شرح الشافية) في الصرف، وغير ذلك. توفي بعد سنة ٨٥٠هـ رحمه الله تعالى. انظر: بغية الوعاة، ١/ ٥٢٥، والأعلام، ٢/ ٢١٦.

(٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ١/ ٥٨٩.

(٦) حجة أبي زرعة، ص ١٣١–١٣٢، والتحرير والتنوير، ٢/ ٢٩٩.

(٧) تقدَّم أن الفعل المضارع الذي يحكي حال المستقبل الخالص يجب نصبه. انظر: النحو الوافي، ٤/ ٣٤٥.

الكلام؛ لأن حتى تنصب الفعل المستقبل، والرفع؛ لأن معناه الماضي، وحتى الناصبة لا تعمل في الماضي.(١)

وقد لخص الإمام الرازي السبب في اختلاف المفسرين هنا في توجيه النصب، بأنه وجِدت القرينة التي تدل على انقضاء معنى الفعل قبل (حتى)، ولم يوجد ما يدل على انقضاء ومضي الفعل بعدها، لذا جاز في الفعل بعد (حتى) الرفع والنصب. كقولك: سرت حتى أدخل البلد، فيحتمل أن السير والدخول قد وجدا وحصلا، ويحتمل أن يكون وجد السير، والدخول لم يوجد بعد.(٢)

وجاز بناء على ذلك تأويل الآية على حكاية حال الماضي الخالص، ونصب الفعل وجوباً بعد (حتى). أو حكاية الحال المؤول الماضي، وهنا يجب الرفع؛ لأن الفعل إذا كان يحكي الحال لا ينصب بعد (حَتَّى)؛ لأنَّ الناصب يخلِّص الفعل للاستقبال؛ فيتنافيان.(٣) أو حكاية الحال المستقبل الخالص، وهنا يجب النصب. أو حكاية حال المستقبل بالنسبة إلى ما قبل (حتى) وإن لم يكن مستقبلاً حقيقة، وفي هذا يجوز الرفع والنصب.(٤)

فالفعل على قراءة الرفع على معنى حال مضت محكية، وعليه المفسرون، والفعل على قراءة النصب: إما منصوب وجوباً على حكاية الحال الماضية الخالصة، وعليه جمهور المفسرين، أو على حكاية حال المستقبل الخالص وإليه ذهب أبو زرعة وابن عاشور، أو منصوب جوازاً؛ لما فيه من معنى الاستقبال بالنظر إلى ما قبل (حتى) وإن لم يكن مستقبلاً عند الإخبار، وإليه ذهب نظام الدين النيسابوري.

ولما كانت الآية مخبرة عن مسٍّ حلَّ بمن تقدم من الأمم، ومنذرة بحلول مثله بالمخاطبين وقت نزول الآية، جاز في فعل (يقول) أن يعتبر قول رسول أمة سابقة، أي: زلزلوا حتى يقول رسول المزلزلين، فـ(ال) للعهد، أو حتى يقول كل رسول لأمة سبقت، فتكون (ال) للاستغراق، ويكون الفعل محكياً به تلك الحال العجيبة، فجاز فيه الرفع

---

(١) معالم التنزيل، ٢٤٥/١،

(٢) مفاتيح الغيب، ١٩/٦.

(٣) الدر المصون، ٣٨٢/٢، واللباب، ٥١٤/٣.

(٤) وكذلك أحسن السمين وأجاد في التوفيق بين جميع الأقوال المذكورة في توجيه القراءتين، وتابعه ابن عادل فذكرا أنه إذا وقع المضارع بعد (حَتَّى): فإمَّا أن يكون حالاً أو مستقبلاً أو ماضياً، فإن كان حالاً رُفِع، نحو: (مَرِضَ حَتَّى لاَ يَرْجُونَهُ) أي: في الحال. وإن كان مُسْتَقْبلاً نصب، نحو: سِرْتُ حتَّى أدخل البلد، وأنت لم تدخل بعد. وإن كان ماضياً فتحكيه، ثُمَّ حكايتك له: إمَّا أن تكون بحسب كونه مستقبلاً بالنسبة إلى ما قبله، فتنصبه على حكاية هذه الحال، وإمَّا أن يكون بحسب كونه حالاً، فترفعه على حكاية هذه الحال، ولذلك يصدق أن تقول في قراءة الجمهور: نُصِبت على حكاية الحال، وفي قراءة نافعٍ أيضاً: رُفِعت على حكاية الحال. انظر: الدر المصون، ٣٨٢/٢، واللباب، ٥١٤/٣.

والنصب بعد حتى؛ لأن الفعل المراد به الحال يكون مرفوعاً.[1] والفعل الذي يراد به حكاية الاستقبال يكون منصوباً، وإن أريد به حكاية الحال في الماضي جاز فيه النصب.[2]

وقد حاول بعض المفسرين التماس الوجوه البلاغية في كل قراءة، ومن ثم ترجيح القراءة الأبلغ لديه. وقد رجَّح أبو جعفر النحاس والبقاعي[3] والشربيني[4] قراءة الرفع، ورجَّح أبو عبيد ومكي والطبري قراءة النصب.

فذهب النحاس إلى أن قراءة الرفع "أبين وأصح معنى، أي: وزلزلوا حتى الرسول يقول، أي: حتى هذه حاله؛ لأن القول إنما كان عن الزلزلة غير منقطع منها، والنصب على الغاية ليس فيه هذا المعنى."[5]

وقال البقاعي: "في قراءة النصب إعراب بأن غاية الزلزال القول، وفي الرفع إعراب عن غاية الزلزال وأنه أمر مبهم له وقع في البواطن والظواهر، أحد تلك الظواهر وقوع هذا القول، ففي الرفع إنباء باشتداد الأمر بتأثيره في

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٩٩/٢.

(٢) البحر المحيط، ١٤٩/٢، واللباب، ٥١٤/٣.

(٣) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرُبَاط ابن علي بن أبي بكر برهان الدين البقاعي الشافعي. ولد حوالي سنة ٨٠٩هـ، بقرية خربة روحا من عمل البقاع ونشأ بها، ونزل القاهرة ثم تحول إلى دمشق. أخذ عن أساطين عصره، فالقراءات عن ابن الجزري، والحديث عن الحافظ ابن حجر، والفقه عن التقي بن قاضي شهبة. توفي في دمشق في رجب سنة ٨٨٥هـ عن ٧٦ سنة رحمه الله تعالى. من مؤلفاته: نظم الدرر في مناسبة الآي والسور، وعنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران، وتنبيه الغبي بتكفير عمر بن الفارض وابن عربي، وبسبب مؤلفه الأخير هذا تناولته الألسن وكثر الرد عليه. وقد أفاض السخاوي في ذمه؛ ولعل ذلك راجع إلى ما يقع بين الأقران المعاصرين من ضيق الصدر تجاه بعضهم. انظر: الضوء اللامع، ١٠١/١–١١١، وانظر ترجمته في: نظم العقيان في أعيان الأعيان، للإمام جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تح: د. فيليب حتِّي (١٩٢٧م)، المكتبة العلمية، بيروت، د.ط.، د.ت.، ص ٢٤، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٥٠٩/٩–٥١٠، وطبقات المفسرين، للأدنة وي، ص ٣٤٧–٣٤٨.

(٤) هو محمد بن أحمد الشربيني شمس الدين، الفقيه الشافعي المفسر اللغوي. من أهل القاهرة. أخذ عن الشيخ نور الدين المحلي، ونور الدين الطهواني، والشيخ ناصر الدين الطبلاوي، وغيرهم، أجيز بالإفتاء والتدريس، فدرَّس وأفتى في حياة شيوخه، وأجمع أهل مصر على صلاحه، ووصفوه بالعلم والعمل والزهد والورع. من مؤلفاته: تفسير السراج المنير، والإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، ومغني المحتاج في شرح المنهاج للنووي، وتقريرات على المطول في البلاغة، وشرح شواهد القطر. توفي سنة ٩٧٧هـ رحمه الله تعالى. انظر: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، للشيخ نجم الدين محمد بن محمد الغزي (١٠٦١هـ)، تح: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤١٨/١هـ–١٩٩٧م، ٧٢/٣–٧٣، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٥٦١/١٠–٥٦٢.

(٥) إعراب النحَّاس، ٣٠٥/١. وكذا نقله عنه القرطبي. انظر: الجامع لأحكام القرآن، ٣٥/٣.

ظاهر القول وما وراءه. وهو في النصب واضح فإن حتى مسلطة على الفعل، وأما في الرفع فهي مقطوعة عن الفعل؛ لأنها لم تعمل فيه لمضيه؛ لتذهب النفس في الغاية كل مذهب، ثم استؤنف شيء من بيانها بالفعل."(١)

وقد وافقه الشربيني فيما ذهب إليه، فقال: "بالرفع على أنها حكاية حال ماضية، وفائدته: تصوّر تلك الحال العجيبة، واستحضار صورتها في مشاهدة السامع ليتعجب منها."(٢)

أي: إن القائلين بترجيح قراءة الرفع يذهبون إلى أن وجه البلاغة في قراءة الرفع هو في كونها تحكي تلك الحال الماضية، وكأنها حال حاضرة تحصل أول مرة ساعة النطق بها، مما يشعر السامع بأهمية القصة، وبكون ما بعد (حتى) مسبَّباً عما قبلها وغاية له، وهذا يثير الشوق إلى سماعها، ويؤدي إلى امتزاج السامع بجوها، ومن ثم مشاهدتها واستعجابه منها، وكأنه جزء من أحداثها.(٣)

أما أبو عبيد فقد ذهب – فيما نقله عنه النحاس(٤) – إلى أن قراءة النصب أرجح؛ لأن (زلزلوا) فعل ماض، و(يقول) فعل مستقبل، فلما اختلفا كان الوجه النصب، ولأنه إذا تطاول الفعل الماضي صار بمنزلة المستقبل.(٥) وإلى هذه الحجة الأخيرة استند الفرَّاء والطبري في ترجيحهما لقراءة النصب، فقال الطبري: "وإنما (الزلزلة) في هذا الموضع: الخوف من العدو، لا (زلزلة الأرض)، فلذلك كانت متطاولة، وكان النصبُ في (يقولَ) ... أفصحَ وأصحَّ من الرفع فيه."(٦)

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لأبي الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ)،تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط./١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ٣٩٧/١.

(٢) تفسير السراج المنير، للعلاَّمة شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني (٩٧٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.، د.ت.، ١٥٨/١.

(٣) وهذا المعنى الذي ذكره النحاس والبقاعي والشربيني هو عينه ما أشار إليه الأستاذ عباس حسن عند حديثه عن الغرض البلاغي من حكاية الحال الماضية. انظر: النحو الوافي، ٣٤١/٤.

(٤) إعراب النحَّاس، ٣٠٤/١.

(٥) وقد رد عليه النحاس بأن الحجة الأولى بأن (زلزلوا) ماض و(يقول) مستقبل: ليس فيها علة الرفع ولا النصب؛ لأن (حتى) ليست من حروف العطف في الأفعال، ولا هي من عوامل الأفعال ألبتة ، بل نصَّ الخليل وسيبويه على أن (حتى) من عوامل الأسماء. وكأن هذه الحجة غلط، وإنما يُتكَلَّم بها في باب الفاء. وأما الحجة الثانية، وهي أن الفعل إذا تطاول صار بمنزلة المستقبل، فليست حجة؛ لأنه لم يذكر العلة في النصب، ولو كان الأول مستقبلاً لكان السؤال بحاله، ومذهب سيبويه في (حتى) أن النصب فيما بعدها من جهتين، والرفع من جهتين: تقول: سرت حتى أدخلها على أن السير والدخول جميعاً قد مضيا، أي: سرت إلى أن أدخلها، وهذا غاية، وعليه قراءة من قرأ بالنصب. والوجه الآخر في النصب في غير الآية سرت حتى أدخلها، أي: كي أدخلها. والوجهان في الرفع: سرت حتى أدخلها، أي: سرت فأدخلها، وقد مضيا جميعاً، أي: كنت سرت فدخلت، ولا تعمل (حتى) ها هنا بإضمار (أن)؛ لأن بعدها جملة. انظر: إعراب النحَّاس، ٣٠٤/١-٣٠٥.

(٦) معاني الفرَّاء، ١٣٢/١-١٣٤. وانظر: جامع البيان، ٢٩١/٤.

ورجّح مكي قراءة النصب؛ لأن جماعة القراء عليها، وكذا نقله عنه القرطبي.(١)

ونقل الرازي أن الأكثرين اختاروا النصب؛ لأن قراءة الرفع لا تصح إلا إذا جعلنا الكلام حكاية عمن يخبر عنها حال وقوعها، وقراءة النصب لا تحتاج إلى هذا الفرض، فلا جرم كانت قراءة النصب أولى.(٢)

ويُرَدُّ على ما ذكره الرازي من حجة ترجيح قراءة النصب بأن في حكاية الحال الماضية من فوائد بلاغية ومن استحضار القصة ما ليس في قراءة النصب، وهذا ينقض قولهم بكون قراءة النصب أولى.

وقد أحسن ابن عاشور عندما حاول التماس البلاغة في كلتا القراءتين، فقال: "فقراءة الرفع أنسب بظاهر السياق، وقراءة النصب أنسب بالغرض المسوق له الكلام، وبكلتا القراءتين يحصل كلا الغرضين."(٣)

أي: إنَّ قراءة الرفع تناسب سياق الآية في كونها حكاية عما سلف وحدث لمرسلي الأمم السابقة، حيث زلزلوا وقالوا ما قالوه. وقراءة النصب تناسب كون القصة سيقت للاستفادة منها، ولتثبيت رسول هذه الأمة ﷺ، ومن معه من المؤمنين، إذ الحري بأتباع الرسل الاقتداء بهم والتأسي بأحوالهم.

فقراءة الرفع تحكي للمسلمين حالاً ماضية، وقراءة النصب تحكي حال المستقبل الذي لم يقع بعد، وترشد المسلمين إلى الاعتصام بحبل الله ﷻ إذا تداعى عليهم العدو من كل جانب، وكلتا القراءتين توجّه المسلمين إلى الحال التي ينبغي أن يكونوا عليها.(٤)

ولم أرَ أبلغ من هذا التوجيه الذي يجمع بين مزايا القراءتين، ويبيّن أن كلاً منهما تكاد تسابق القراءة الأخرى إلى قمة البلاغة. فالقراءتان بليغتان، وتتزاحم أكتافهما في أبواب البلاغة. وما أجمل أن يكون نظم القرآن هو الذي انفرد بهذه المزية التي لا يزاحمه فيها أي نظم آخر!

ومما ورد على التبادل بين الرفع والنصب من الأفعال المختلَف في قراءتها الفعل ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [سورة البقرة/٢٨٢]. حيث قرأ حمزة ﴿فَتُذَكِّرُ﴾ بالرفع وتشديد الكاف، وقرأه الجمهور

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات، ٢٩١/١، والجامع لأحكام القرآن، ٣٥/٣.

(٢) مفاتيح الغيب، ١٩/٦.

(٣) التحرير والتنوير، ٢٩٩/٢.

(٤) الوجوه البلاغية في توجيه القراءات، ص ٤٧٩.

بالنصب، ثم إن الجمهور اختلفوا فقرأ ابن كثير والبصريان ﴿فَتُذْكِرَ﴾ بالنصب والتخفيف، وقرأه الباقون ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ بالنصب والتشديد.(١)

وقبل البدء بتوجيه قراءتي الرفع والنصب في الفعل (فَتُذَكِّرَ) لا بد من بيان مذاهب القراء في قراءة (أَنْ تَضِلَّ)؛ لأن توجيه قراءتي النصب والرفع في (تذكر) مرتبط بمعنى قراءة (أَنْ تَضِلَّ)، وقد قرأ حمزة (إِنْ تَضِلَّ) بكسر همزة (إِنْ) على أنَّها شرطيَّةٌ، وجزم الفعل (تضلْ) لكن حرِّك بالفتحة؛ لالتقاء ساكنين؛ إذ أصلها (تضلل) فاللام الأولى ساكنة لإدغامها في الثانية، ومسكَّنة للجزم، ولا يمكن الإدغام في ساكن، فحرِّكت اللام الثانية بالفتحة هرباً من التقائهما، واختير التحريك بالفتحة؛ لأنها أخف الحركات. وقرأ الباقون (أَنْ تَضِلَّ) بفتح الهمزة، على أنَّ (أَنْ) هي المصدريةُ النَّاصبةُ للفعل بعدها،(٢) والفتحة في (تَضِلَّ) حركة إعراب.(٣)

وجواب الشرط على قراءة حمزة (إِنْ تَضِلَّ) هو ﴿فَتُذَكِّرُ﴾، ورُفِعَ الفعل على الاستئناف؛ لأَنَّهُ على إضمارِ مبتدأ، أي: فهي تُذَكِّر، فمعناه على الجزاء، والفعل جواب الشرط والجزاء.(٤) وقد ارتفع الفعل في جواب الجزاء هنا كما ارتفع في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ [سورة المائدة/٩٥].(٥)

والظاهر أنَّ جملة جواب الشرط هذه مستأنفةٌ؛ للإخبار بهذا الحُكْم، وهي جوابٌ لسؤالٍ مقدَّر، كأَنَّ قائلاً قال: ما بالُ امرأتين جُعِلَتا بمنزلةِ رجل؟ فأُجيب بجملة: (فَتُذَكِّرُ).(٦)

فالكلام على هذه القراءة كأنه بمعنى ابتداء الخبر عما تفعل المرأتان: إن نسيت إحداهما شهادتها، ذكرتها الأخرى. وانقطع الكلام عما قبله على معنى: واستشهدوا شهيدين من رجالكم، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء، فإن إحداهما إن ضَلت ذكرتها الأخرى. فهو على استئناف الخبر عن فعلها إن نسيت إحداهما شهادتها، من تذكير الأخرى الذاكرة منهما صاحبتها الناسية.(٧)

---

(١) السبعة، ص ١٩٣، والتيسير، ص ٦٧، والنشر، ٢٧٠/٢، وتحبير التيسير، ص ٣١٥.

(٢) الحاشية السابقة.

(٣) جامع البيان، ٦٤/٦–٦٥، وروح المعاني، ٦٠/٣.

(٤) جامع البيان، ٦٤/٦–٦٥، وحجة ابن خالويه، ص ١٠٤، وحجة الفارسي، ٤٢٦/٢، والكشف عن وجوه القراءات، ٣٢٠/١، ومعالم التنزيل، ٣٥١/١، والمحرر الوجيز، ٣٨٢/١، ومفاتيح الغيب، ٩٩/٧، والتبيان في إعراب القرآن، ٢٢٩/١، والبحر المحيط، ٣٦٥/٢، واللباب، ٤٨٩/٤–٤٩٠، والتحرير والتنوير، ٥٧٤/٢.

(٥) حجة الفارسي، ٤٢٧/٢، وحجة أبي زرعة، ص ١٥٠، والكشاف، ٣٥٣/١، والمحرر الوجيز، ٣٨٢/١، والجامع لأحكام القرآن، ٣٩٧/٣، وروح المعاني، ٦٠/٣، والتحرير والتنوير، ٥٧٤/٢.

(٦) اللباب، ٤٩٠/٤، وفتح القدير، ٤٥٢/١.

(٧) جامع البيان، ٦٤/٦.

وأما وجه النصب ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ على قراءة الجمهور فهو العطف على الفعل (تضلَّ) المنصوب بـ(أن).(١)

وقد اختلف العلماء في تقدير معنى الآية على هذه القراءة، فذهب جمهور المفسرين إلى أن تقدير المعنى: لِأَنْ أو كي تُذَكِّر إحداهما الأخرى إنْ ضَلَّتْ.(٢) ونظيرُه قولُهم: أَعْدَدْتُ الخشبةَ أَنْ يميلَ الحائِطُ فأدعمَه، وأعدْدتُ السِّلاح أن يجيء عدوٌّ فأدفعَه. فليس إعدادُ الخشبة؛ لكي يميلَ الحائطُ، ولا إعدادُ السلاح لكي يجيء العدو، وإنما هي للدعم إذا مال، والسلاح للدفع إذا جاء العدو.(٣)

وقد عبّر عن هذا المعنى بهذه الطريقة؛ لأنه لما كان (أَنْ تَضِلَّ) بمعنى: لضلال إحداهما، – فصارت علة الشهادة في الظاهر هي الضلال، مع أن الواقع ليس كذلك، بل العلة هي الذكر والحفظ؛ لما يترتب على الضلال من إضاعة المشهود به – فرّع عليه قوله: ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾؛ لأن فتذكر معطوف على تضل بفاء التعقيب فهو من تكملته، والعبرة بآخر الكلام، وفي هذا الاستعمال عدول عن الظاهر، والتقدير أن يقال: أن تذكر إحداهما الأخرى عند نسيانها. فهو كقولك: أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه، وأعددت السلاح أن يجيء عدو فأدفعه.(٤)

وقد وجه الزمخشري هذا التعبير بأنه: "لما كان الضلال سبباً للإذكار، والإذكار مسبباً عنه، وهم يُنزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر؛ لالتباسهما واتصالهما، كانت إرادة الضلال المسبب عنه الإذكار إرادة للإذكار. فكأنه قيل: إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت."(٥) وفي هذا دلالة على الاهتمام بشأن التذكير، حتى صار المتكلم يعلل بأسبابه المفضية إليه؛ لأجل تحصيله.(٦)

فسبب العدول عن الظاهر في الآية والمثالين هو: أن العلة تارة تكون بسيطة كقولك: فعلت كذا إكراماً لك، وتارة تكون مركبة من دفع ضر وجلب نفع بدفعه. فهنا يأتي المتكلم في تعليله بما يدل على الأمرين في صورة علة واحدة؛ إيجازاً في الكلام؛ لأن المقصود من التعدد خشية حصول النسيان للمرأة المنفردة، فلذا أخذ بقولها حق

---

(١) حجة ابن خالويه، ص ١٠٤، والكشف عن وجوه القراءات، ٣٢٠/١، والمحرر الوجيز، ٣٨٢/١، والتبيان في إعراب القرآن، ٢٢٩/١، والجامع لأحكام القرآن، ٣٩٧/٣، والبحر المحيط، ٣٦٥/٢، وفتح القدير، ٤٥٢/١، والتحرير والتنوير، ٥٧٤/٢.

(٢) جامع البيان، ٦٢/٦، ومعالم التنزيل، ٣٥١/١، والكشاف، ٣٥٣/١.

(٣) إعراب النحّاس، ٣٤٥/١–٣٤٦، وحجة الفارسي، ٤٢٥/٢–٤٢٦، وحجة أبي زرعة، ص ١٥٠، ومعالم التنزيل، ٣٥١/١، ومفاتيح الغيب، ٩٩/٧، والتبيان في إعراب القرآن، ٢٢٩/١، وأنوار التنزيل، ٥٧٩/١، والبحر المحيط، ٣٦٥/٢، والدرّ المصون، ٦٦٠/٢، واللباب، ٤٩٠/٤–٤٩١.

(٤) حجة الفارسي، ٤٢٥/٢–٤٢٦، والكشاف، ٣٥٣/١، والتحرير والتنوير، ٥٧٤/٢–٥٧٥.

(٥) الكشاف، ٣٥٣/١.

(٦) التحرير والتنوير، ٥٧٥/٢.

المشهود عليه، وقصد تذكير المرأة الثانية إياها، فمن شأن العرب إذا ذكروا علة – وكان للعلة علة – قدموا ذكر علة العلة، وجعلوا العلة معطوفة عليها بالفاء؛ لتحصل الدلالتان معاً بعبارة واحدة.(١)

والغرض من ذكر السبب ثم عطف المسبب عليه أنه لما كانت النفوس مستشرفة إلى معرفة أسباب الحوادث قدم في هذه العبارة ذكر سبب الأمر المقصود؛ لسبق النفوس إلى الإعلام بمرادها. وهذا من أبرع أنواع الفصاحة؛ إذ لو قال رجل لك: أعددت هذه الخشبة أن أدعم بها الحائط، لقال السامع: ولم تدعم حائطاً قائماً؟ فيجب ذكر السبب، فيقال: إذا مال، فجاء في الكلام تقديم السبب، وهو أشد إيجازاً من هذه المحاورة.(٢)

ونقل الآلوسي عن الجرجاني: أن تقدير المعنى في قوله تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ مخافة أن تضل. وردَّ: بأن هذا صحيح لو اقتصر عليه من غير أن يعطف عليه قوله: ﴿فَتُذَكِّرَ﴾؛ لأنه كان التقدير: فاستشهدوا رجلاً وامرأتين؛ مخافة أن تضل إحداهما، ولكن عطف ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ على (تضلّ) يفسد هذا؛ إذ يصير التقدير: مخافة أن تذكر إحداهما الأخرى، وتذكير إحداهما الأخرى ليس مخوفاً منه، بل هو المقصود.(٣)

ونقل النحاس عن المبرّد:(٤) "أن التقدير: ممن ترضون من الشهداء كراهة أن تضل إحداهما... قال أبو جعفر: وهذا القول غلط، وأبو العباس يجل عن قول مثله؛ لأن المعنى على خلافه، وذلك أنه يصير المعنى: كراهة أن تضل إحداهما وكراهة أن تذكر إحداهما الأخرى. وهذا محال."(٥) وليس هو المقصود، بل المقصود خلافه.(٦)

هذه مجمل أقوالهم في تقدير المعنى على قراءة الجمهور بالنصب، ولا يختلف معنى (تذكر) إن قرئ بالتشديد أو التخفيف؛ لأن الفعل بتخفيف الكاف هو بمعنى تثقيله، وهما من ذكَّرته، أو أذكرته أي: جعلته ذاكراً للشيء بعد نسيانه. فالكل من الذكر الذي هو ضد النسيان. والفعل (ذكَّر) و(أذكر) بالتضعيف والهمز يتعدى لمفعولين.

---

(١) التحرير والتنوير، ٢/٥٧٥.

(٢) المحرر الوجيز، ١/٣٨٢.

(٣) الدر المصون، ٢/ ٦٦١، واللباب، ٤/٤٩٠. وأعتقد أن نسبة هذا القول إلى الجرجاني غلط، وقد بحثت في دلائل الإعجاز ولم أجده.

(٤) هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري النحوي، المعروف بالمبرّد، إمام العربية ببغداد في زمانه، ولد في البصرة سنة ٢١٠هـ. من كتبه: المقتضب في النحو، والاشتقاق، واحتجاج القراء، والكامل، وطبقات النحاة البصريين، ومعاني القرآن، وإعراب القرآن. توفي سنة ٢٨٦هـ رحمه الله. انظر: بغية الوعاة، ١/ ٢٦٩–٢٧٠، وطبقات المفسرين، للأدنه وي، ص ٤١–٤٢.

(٥) إعراب النحَّاس، ١/٣٤٦. وأعتقد أن نسبة هذا القول إلى المبرّد غلط، فالمبرد يذهب إلى تفسير الآية بما ذكره جمهور المفسرين من حملها على معنى قولهم: "أعددت هذا أن يميل الحائط فأدعمه، ولم يعدده طلباً لأن يميل الحائط، ولكنه أخبر بعلة الدعم، فاستقصاء المعنى: إنما هو: أعددت هذا لأن إن مال الحائط دعمته." انظر: المقتضب، ٣/٢١٥.

(٦) البحر المحيط، ٢/٣٦٥، والدرّ المصون، ٢/٦٦١، واللباب، ٤/٤٩٠.

ولم يذكر في الآية سوى مفعول واحد، فالثاني محذوف، وتقدير المعنى على القراءتين: فتذكر إحداهما الأخرى الشهادة التي ضلَّت عنها، وعلى هذا جمهور المفسرين.(١)

وروي عن سفيان بن عيينة(٢) وأبي عمرو بن العلاء أنه قال: "ومن قرأ ﴿فَتُذْكِرَ﴾ بالتخفيف، قال: إذا شهدت المرأة ثم جاءت الأخرى فشهدت معها، فقد أذكرتها لقيامها مقام ذَكَر." أي: تردها ذكراً في الشهادة، لأن شهادة المرأة نصف شهادة الرجل، فإذا شهدت امرأتان صار مجموعهما كشهادة ذكر.(٣)

وهذا التأويل بعيد، ولم يرضَهُ عامة المفسرين؛ لأن اللفظ ينبو عنه من جهة اللغة ومن جهة المعنى، أما من جهة اللغة: فإن المحفوظ أن هذا الفعل لا يتعدى، تقول: أذكرت المرأة فهي مُذكِر إذا ولدت الذكور، وأما: أذكرت المرأة، أي: صيرتها كالذكر، فغير محفوظ.(٤) وأما من جهة المعنى: فلأن الفصاحة تقتضي مقابلة الضلال – المراد به هنا النسيان – بالتذكير، وهذا لا يتناسب مع ما نُقل عن أبي عمرو بن العلاء،(٥) ولأن النساء لو بلغن ما بلغن من العدد لا بد معهن من رجل في القضايا التي يقبل فيها الرجل مع المرأتين، لا فيما تختص به النساء ولا يُطلب انضمام رجل إليهن.(٦)

يقول الزمخشري: "ومن بدع التفاسير: ﴿فَتُذْكِرَ﴾ فتجعل إحداهما الأخرى ذكراً، يعني أنهما إذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذَكَر."(٧)

---

(١) حجة الفارسي، ٤٣٢/٢، والكشف عن وجوه القراءات، ٣٢١/١، ومعالم التنزيل، ٣٥١/١، والمحرر الوجيز، ٣٨٢/١، ومفاتيح الغيب، ١٠٠/٧، والبحر المحيط، ٣٦٦/٢، والدرّ المصون، ٦٦٣/٢، واللباب، ٤٩٢/٤.

(٢) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد: محدث الحرم المكي، من الموالي. ولد بالكوفة، سنة ١٠٧هـ، وسكن مكة وتوفي بها سنة ١٩٨هـ رحمه الله تعالى. كان من الحفاظ المتقنين، وأهل الورع في الدين، روى عن الزهري، وعمرو بن دينار. قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز. انظر: الأنساب، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (٥٦٢هـ)، تح: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، ط١/١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ٦٥٧/٥، وسير أعلام النبلاء، ٤٥٤/٨-٤٧٤.

(٣) جامع البيان، ٦٣/٦-٦٤، وحجة الفارسي، ٤٣٢/٢، وحجة أبي زرعة، ص ١٥١، والمحرر الوجيز، ٣٨٢/١، والجامع لأحكام القرآن، ٣٩٧/٣، والدرّ المصون، ٦٦٣/٢، واللباب، ٤٩٢/٤، وروح المعاني، ٥٩/٣.

(٤) البحر المحيط، ٣٦٦/٢.

(٥) حجة الفارسي، ٤٣٣/٢، ومعالم التنزيل، ٣٥١/١، والمحرر الوجيز، ٣٨٢/١، والجامع لأحكام القرآن، ٣٩٨/٣، والدرّ المصون، ٦٦٣/٢، واللباب، ٤٩٣/٤.

(٦) حجة الفارسي، ٤٣٣/٢، والمحرر الوجيز، ٣٨٢/١، ومفاتيح الغيب، ١٠٠/٧، والدرّ المصون، ٦٦٣/٢، واللباب، ٤٩٣/٤.

(٧) الكشاف، ٣٥٣/١.

وقد رجَّح الطبري القراءة بالنصب وتشديد الكاف، ونسبها إلى الصواب، لإجماع الحجة من القراء على ذلك، ولأنها أصح وأولى في المعنى من قراءة الرفع، وقراءة النصب والتخفيف.(١)

وأرى أن حجة الطبري لا تقوى على تضعيف قراءة الرفع؛ لأن وجه البلاغة في قراءة الرفع يرجع إلى ما في معنى الاستئناف من الإخبار وتقرير حكم جديد، ففيها إشعار بأهمية التذكير. ووجه البلاغة في قراءة النصب في إتباع الكلام بما قبله وعطفه على السبب، ففيها الدلالة على الاهتمام بشأن التذكير، حتى صار المتكلم يعلل بأسبابه المفضية إليه؛ لأجل تحصيله، ثم يعطف السبب الحقيقي عليه، وبكلتا القراءتين يتبيَّن المقصود من الآية.

ومما ورد على التبادل بين الرفع والنصب من الأفعال المختلَف في قراءتها الفعل ﴿لِتَزُولَ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [سورة إبراهيم/٤٦]، حيث قرأ الكسائي ﴿لَتَزُولُ﴾ بفتح اللام الأولى، ورفع الفعل، وقرأ الباقون ﴿لِتَزُولَ﴾، بكسر اللام الأولى ونصب الفعل.(٢)

والرفع في قراءة الكسائي على وجهين:

الأول: هو كون (إنْ) مخففة من الثقيلة، واللام لام الابتداء؛ للتوكيد، وهو مذهب البصريين.(٣)

والثاني: أنَّها نافية، واللام بمعنى (إلاَّ) وهو مذهب الكوفيين. والمعنى على الوجهين متقارب.(٤)

وفي الآية على هذه القراءة إثباتٌ لمعنى زوال الجبال من مكرهم، أي: هو مكر عظيم تزول منه الجبال، فهو مما يُشقَى به ويزيل الجبال عن مستقراتها؛ لقوته. والجبال على هذه القراءة إما حقيقة، أو مجازٌ عن أمور عظام سوى الإسلام، وفي ذلك تعظيم لمكرهم وبيان لشدته، فهو يزيل الجبال عن أماكنها.(٥)

ويحتمل أن تكون الجبال مجازاً عن الإسلام والحق الذي جاء به النبي ﷺ، ولكن معنى الإثبات على التعظيم فقط، فهو مكر قادر على إزالة أمر الدين، "ولكنَّ الله ﷻ أبطله ونصر أولياءه، وهذا أشد في العبرة."(٦)

---

(١) جامع البيان، ٦/٦٥.

(٢) السبعة، ص ٣٦٣، والمبسوط، ص ٢٥٧، والتيسير، ص ٩٥، وتحبير التيسير، ص ٤٢٥.

(٣) مشكل إعراب القرآن، ١/٤٠٧، والتبيان في إعراب القرآن، ٢/٧٧٤، وروح المعاني، ١٣/٢٥١.

(٤) الدرّ المصون، ٧/١٢٧، واللباب، ١١/٤١٣.

(٥) حجة ابن خالويه، ص ٢٠٣، وحجة الفارسي، ٥/٣٢، والكشاف، ٢/٥٣٠، والمحرر الوجيز، ٣/٣٤٦، وأنوار التنزيل، ٣/٣٥٦، ومدارك التنزيل، ٢/٣٨٢، والبحر المحيط، ٥/٤٢٥–٤٢٦، والنشر، ١/٦٧، وإرشاد العقل، ٥/٥٩، وفتح القدير، ٣/١٦٦، وروح المعاني، ١٣/٢٥١.

(٦) الكشف عن وجوه القراءات، ٢/٢٧، والمحرر الوجيز، ٣/٣٤٦.

ويؤيد هذا التأويل قراءة أبيّ: (ومكروا مكرهم، وعند الله مكرُهم، ولولا كلمة الله لزال من مكرهم الجبال).[1]

ويحتمل أن يكون معنى لتزول: ليقرب زوالها، أي: إنَّ مكرهم بلغ من عظمه محلاً يكاد يزيل الجبال. ومما يؤيد هذا التأويل أن عمر وعليّاً وعبد الله بن مسعود ﷺ وآخرين قرؤوا: (وإن كاد مكرهم لتزول) جعلوا مكان (كَانَ) فعل المقاربة (كاد)، ومعناها كالتأويل الأول، ولكن الزوال غير واقع.[2]

ومعنى الآية على هذه القراءة: تعظيم مكرهم وبيان شدته، فهو كقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [سورة نوح/٢٢]، وقوله: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [سورة مريم/٩٠-٩١]. فالجبال لم تزُلْ، ولكن العبارة عن تعظيم الشيء هكذا تكون.[3] وهذا من المبالغة في حصول أمر شنيع أو شديد في نوعه؛ إذ ليس المقصود من هذا الكلام الإخبار عن وقوعه، بل المراد التعظيم والتهويل، على نحو قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً﴾ [سورة مريم/٩٠].[4] وهذا التأويل هو الذي رجّحه أبو السعود؛ لأنه التأويل "الذي يقتضيه النظم الكريم، وينساق إليه الطبع السليم."[5]

وفي إعراب الفعل بالنصب في قراءة الجمهور ثلاثة وجوه:[6]

الأول: هو أنَّ (إنْ) في قوله: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ نافية، ولام ﴿لِتَزُولَ﴾ لام الجحود. أي: وما كان مكرهم زائلة منه الشرائع والنبوات وأقدار الله، التي هي كالجبال في ثبوتها وقوتها. فالجبال هنا مجاز عن القرآن ودين الإسلام وما ثبت من الحق، والآية على التحقير والاستخفاف بهم وبمكرهم، أي: ليس مكرهم بالذي تزول منه

---

(١) معاني النحّاس، ٥٤٣/٣، والكشف عن وجوه القراءات، ٢٧/٢، والمحرر الوجيز، ٣٤٦/٣، والبحر المحيط، ٤٢٦/٥، وروح المعاني، ٢٥١/١٣.

(٢) جامع البيان، ٤١/١٧-٤٢، ومعاني النحّاس، ٥٤٢/٣، وحجة أبي زرعة، ص ٣٧٩، والكشف عن وجوه القراءات، ٢٧/٢، ومشكل إعراب القرآن، ٤٠٨/١، ومعالم التنزيل، ٣٦٠/٤، والكشاف، ٥٣٠/٢، والموضّح، ٧١٣/٢، وزاد المسير، ٣٧٤/٤، والجامع لأحكام القرآن، ٣٨٠/٩، والبحر المحيط، ٤٢٥/٥-٤٢٦، وفتح القدير، ١٦٦/٣، وروح المعاني، ٢٥١/١٣.

(٣) حجة الفارسي، ٣٢/٥، والكشف عن وجوه القراءات، ٢٧/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٣٨٢/٩.

(٤) حجة ابن خالويه، ص ٢٠٣، والكشاف، ٥٣٠/٢، والمحرر الوجيز، ٣٤٦/٣، ومفاتيح الغيب، ١١٤/١٩، وأنوار التنزيل، ٣٥٦/٣، ومدارك التنزيل، ٣٨٢/٢، والبحر المحيط، ٤٢٥/٥-٤٢٦، وإرشاد العقل، ٥٩/٥، وفتح القدير، ١٦٦/٣، وروح المعاني، ٢٥١/١٣، والتحرير والتنوير، ٢٧١/١٢.

(٥) إرشاد العقل، ٥٩/٥.

(٦) اللباب، ٤١٢/١١-٤١٣.

أمثال الجبال.[١] وفي هذا تعريض بأن الرسول ﷺ والمسلمين الذين يريد المشركون المكر بهم لا يزعزعهم مكرهم؛ لأنهم كالجبال الرواسي.[٢] ومما يؤيد كون (إنْ) نافية قراءة عبد الله: (وما كان مَكْرُهُمْ).[٣]

الثاني: أن تكون (إنْ) المخففة من الثقيلة. والكلام بعده على الإثبات، لا على النفي. والمعنى: وإن كان مكرهم ليزول منه ما هو كالجبال في الثبات مما ذكر من الآيات والشرائع والمعجزات.[٤]

الثالث: أنَّ (إنْ) شرطية، وجوابها محذوفٌ، أي: وإن كان مكرهم قادراً على إزالةِ أشباه الجبال الرَّواسي، وهي المعجزات والآيات، فالله مجازيهم بمكرهم.[٥] ولا يمنع من ذلك كون مكرهم في غاية الشدة، فهو ﷻ أشد مكراً، ولا حاجة حينئذ إلى ملاحظة معنى الإبطال.[٦]

وعلى جميع الوجوه المذكورة في تخريج القراءتين تتفق معاني القراءات أو تتقارب، إلا أنها تتعارض مع وجه النفي، ولذلك رجَّح أبو حفص ابن عادل كون (إنْ) مخففة من الثقيلة على كونها نافية؛ لأنَّ الوجه الأول فيه معارضة لقراءة الكسائي؛ لأنَّ قراءته تؤذن بالإثبات، وقراءة غيره على هذا الوجه تؤذن بالنَّفي.[٧]

وقد أجاب بعض المفسرين عما وقع بين القراءتين من التعارض بين الإثبات والنفي: بأنَّ الجبال في قراءة الكسائي مشار بها إلى جبال الأرض أو إلى أمور عظام غير الإسلام ومعجزاته، وهذه الأمور العظام لمكرهم صلاحية إزالتها، أما الجبال في قراءة الجماعة فمشار بها إلى الإسلام، والقرآن، وما جاء به النبيُّ ﷺ من الدين الحق؛ لأنَّ ثبوته ورسوخه كالجبالِ. فلا تعارض بينهما؛ إذ لم يتواردا على معنى واحد نفياً وإثباتاً.[٨]

---

(١) جامع البيان، ٤٢/١٧، ومعاني النحَّاس، ٥٤٣/٣، وحجة ابن خالويه، ص ٢٠٣–٢٠٤، وحجة الفارسي، ٣١/٥، وحجة أبي زرعة، ص ٣٧٩–٣٨٠، والكشف عن وجوه القراءات، ٢٨/٢، ومشكل إعراب القرآن، ٤٠٧/١، ومعالم التنزيل، ٣٦٠/٤، والكشاف، ٥٣٠/٢، والمحرر الوجيز، ٣٤٦/٣، والموضِّح، ٧١٣/٢، وزاد المسير، ٣٧٤/٤، والتبيان في إعراب القرآن، ٧٧٤/٢، وأنوار التنزيل، ٣٥٥/٣، ومدارك التنزيل، ٣٨٢/٢، والبحر المحيط، ٤٢٦/٥، والنشر، ٦٧/١، وإرشاد العقل، ٥٨/٥، وفتح القدير، ١٦٦/٣، وروح المعاني، ٢٥١/١٣.

(٢) مفاتيح الغيب، ١١٤/١٩، والتحرير والتنوير، ٢٧٠/١٢.

(٣) الكشاف، ٥٣٠/٢، ومدارك التنزيل، ٣٨٢/٢، والدرّ المصون، ١٢٦/٧، واللباب، ٤١٢/١١، وإرشاد العقل، ٥٨/٥.

(٤) الكشاف، ٥٢٩/٢، والمحرر الوجيز، ٣٤٦/٣، والتبيان في إعراب القرآن، ٧٧٤/٢، وأنوار التنزيل، ٣٥٥/٣، وإرشاد العقل، ٥٨/٥، وفتح القدير، ١٦٦/٣، وروح المعاني، ٢٥١/١٣.

(٥) اللباب، ٤١٢/١١–٤١٣.

(٦) روح المعاني، ٢٥٠/١٣–٢٥١.

(٧) اللباب، ٤١٣/١١.

(٨) زاد المسير، ٣٧٤/٤–٣٧٥، والجامع لأحكام القرآن، ٣٨١/٩، واللباب، ٤١٣/١١، وإرشاد العقل، ٥٩/٥، وروح المعاني، ٢٥١/١٣.

ورفض أبو حيان أن يكون التعبير بالجبال مرة على الحقيقة ومرة عن الإسلام على سبيل المجاز، وذهب إلى أن التعبير بقدرة الكفار على إزالة الجبال من باب المجاز في التعبير عن قوة مكرهم.

جاء في البحر المحيط: "والذي يظهر أنّ زوال الجبال مجاز، ضُرِب مثلاً لمكر قوي وعظمه، والجبال لا تزول، وهذا من باب الغلو والإيغال والمبالغة في ذم مكرهم. وأما تأول بعضهم أنه عبر بالجبال عن الإسلام والقرآن؛ لثبوته ورسوخه، وعبر بمكرهم عن اختلافهم فيه، من قولهم: هذا سحر، هذا شعر، هذا إفك، فأقوال ينبو عنها ظاهر اللفظ."(١)

ورجَّح مكي وأبو زرعة والفارسي والرازي وآخرون قراءة النصب على التأويل المذكور في الوجه الأول من الوجوه الثلاثة على أن المراد بالجبال هنا أمر النبي ﷺ ودين الإسلام، ويكون المراد بهذه القراءة الإعلام والدلالة على أن ثبوتها كثبوت الجبال الراسية؛ لأن هذه القراءة –كما يرى مكي – هي التي عليها الجماعة، ولأنها أبين في المعنى،(٢) ولأن هذا التأويل أنسب لسياق الآية التالية التي وعد الله ﷻ بها نبيه ﷺ إظهار دينه، فقال: ﴿فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ [سورة إبراهيم/٤٧]. أي: قد وعدك الظهور والغلبة عليهم، لذلك كان مكرهم أضعف من أن تزول منه الجبال الراسيات التي هي دينك يا محمد ﷺ ودلائل شريعتك.(٣)

وذهب الطبري إلى أن قراءة النصب هي الصواب، على معنى: وما كان مكرهم لتزول منه الجبال، وهو المعنى المذكور في الوجه الأول؛ محتجاً بأن اللام الأولى إذا فُتحت، فمعنى الكلام: وقد كان مكرهم تزول منه الجبال، ولو كانت زالت لم تكن ثابتة، وفي ثبوتها على حالتها ما يبين عن أنها لم تزُل، ولأن إجماع الحجة من القرّاء على ذلك. ثم قال: "وفي ذلك كفاية عن الاستشهاد على صحتها، وفساد غيرها بغيره."(٤)

وأرى أنه لا داعي لترجيح قراءة على أخرى أو وجه على آخر؛ لأن كل وجه من الوجوه المذكورة صحيح، وتؤيده أدلة قرآنية واردة في مواضع أخرى من القرآن الكريم، أو تؤيده قراءات واردة عن بعض الصحابة على وجه التفسير، ولأنه ليس في حمل الجبال على المجاز ما يمنع، بل فيه من المبالغة في تصوير ثبات أمر الإسلام ما يرفع شأن هذا التأويل؛ لقوته في باب البلاغة. والتأويل الذي ذكره أبو حيان وهو أن قدرة الكافرين على إزالة الجبال مجاز عن قوة مكرهم تأويل بليغ أيضاً، ولا تعارض بين معنى القراءتين؛ لأن معنى كل منهما هو بالنظر إلى اعتبار هو غير الاعتبار الذي تنظر إليه القراءة الأخرى.

---

(١) البحر المحيط، ٤٢٦/٥.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات، ٢٨/٢.

(٣) حجة الفارسي، ٣٣/٥، وحجة أبي زرعة، ص ٣٧٩–٣٨٠، وزاد المسير، ٣٧٥/٤، ومفاتيح الغيب، ١١٤/١٩.

(٤) جامع البيان، ٤٢/١٧.

والحاصل أن هاتين القراءتين بجميع الوجوه التي ذكرها المفسرون في تأويلهما تتزاحمان وتتسابقان إلى قمة البلاغة، وإلى الدلالة على سمو نظم القرآن الذي يصلح بألفاظه القليلة للتعبير عن المعاني الكثيرة التي لا يصلح للتعبير عنها إلا الإتيان بالكثير من الألفاظ، ومن الصور والتشبيهات والاستعارات البليغة.

ومما ورد على التبادل بين الرفع والنصب من الأفعال المختلَف في قراءتها الفعل ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۞ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [سورة غافر/٣٦-٣٧]، حيث قرأ حفص ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ بنصب الفعل، وقرأ الباقون ﴿فَأَطَّلِعُ﴾ برفعه.(١)

ووجه الرفع في قراءة الجمهور: عطف (فَأَطَّلِعُ) على (أَبْلُغُ)، أي: إنَّ الفعل (فَأَطَّلِعُ) داخلٌ في حيز الترجي،(٢) والتقدير: لعلي أبلغ الأسباب، ثم لعلي أطلع،(٣) إلا أن حرف (ثم) أشد تراخياً من الفاء.(٤)

ووجه النصب في قراءة حفص: أنه نصب الفعل (فَأَطَّلِعَ) على جواب الترجي، لكن أَشرَب (لعل) معنى (ليت)، وشبَّه (لعل) حرف الترجي بـ(ليت) حرف التمني، وعامله معاملته، وذلك على مذهب الكوفيين.(٥)

والفرق بين الترجي والتمني هو: أن الترجي لا يكون إلا في الممكن، أما التمني فيكون في الممكن والمستحيل،(٦) لكن قد يُسْتعمل (لَعَلَّ) في التّمنّي على خلاف الأصل؛ لغرض بلاغي، هو إبرازُ المتَمَنَّى في صورة

---

(١) السبعة، ص ٥٧٠، والتيسير، ص ١٢٤، والنشر، ٤٠٥/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٣٩.

(٢) جامع البيان، ٣٨٧/٢١، وإعراب النحَّاس، ٣٣/٤، وحجة ابن خالويه، ص ٣١٥، وحجة أبي زرعة، ص ٦٣١،ومعالم التنزيل، ١٤٩/٧، والمحرر الوجيز، ٥٦٠/٤، ومفاتيح الغيب، ٥٩/٢٧، والتبيان في إعراب القرآن، ١١٢٠/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٣١٥/١٥، وأنوار التنزيل، ٩٣/٥، ومدارك التنزيل، ١١٥/٤، والبحر المحيط، ٤٤٦/٧، والدر المصون، ٤٨٢/٩، واللباب، ٥٥/١٧، وفتح القدير، ٧٠١/٤، والتحرير والتنوير، ١٩٨/٢٤.

(٣) حجة الفارسي، ١١١/٦، والكشف عن وجوه القراءات، ٢٤٤/٢، والموضِّح، ١١٢٦/٣، والتحرير والتنوير، ١٩٨/٢٤.

(٤) مفاتيح الغيب، ٥٩/٢٧.

(٥) حجة ابن خالويه، ص ٣١٥، وحجة أبي زرعة، ص ٦٣١، والكشاف، ١٧٢/٤، والتبيان في إعراب القرآن، ١١٢٠/٢، وأنوار التنزيل، ٩٣/٥، ومدارك التنزيل، ١١٥/٤، والبحر المحيط، ٤٤٦/٧، والدر المصون، ٤٨٢/٩، واللباب، ٥٥/١٧، وروح المعاني، ٦٩/٢٤. يقول الطبري: "(فَأَطَّلِعَ) نصباً؛ جواباً لـ(لعل)." انظر: جامع البيان، ٣٨٧/٢١. ويقول ابن عطية: "فأطلع بالنصب بالفاء في جواب التمني." انظر: المحرر الوجيز، ٥٦٠/٤.

(٦) توضيح المقاصد، ٥٢٣/١، وحاشية الصبان، ٣٩٨/١. وانظر: البحر المحيط، ٤٤٦/٧، والدر المصون، ٤٨٣/٩، واللباب، ٥٦/١٧، وحاشية ابن التمجيد، ٦١/١٧.

الممكن المطموع فيه؛ للإشعار بكمال العناية به، والتلهُّفِ على الحصول عليه، أو تحقيقه.(١)

وبلوغ أسباب السموات غير ممكن، لكن فرعون أبرز ما لا يمكن في صورة الممكن، وعلل بالترجي الذي لا يكون إلا في الممكن؛ ليُلبِّس الأمر على قومه وهو يعرف الحق، فإن عاقلاً لا يعدُّ ما رامه في عداد الممكن العادي، لكن قال ما قال؛ تمويهاً على سامعيه.(٢)

أو لعل فرعون أراد أن يُبنَى له رصدٌ في موضع عال يرصد منه أحوال الكواكب التي هي أسباب سماوية تدل على الحوادث الأرضية، فيرى هل فيها ما يدل على إرسال الله ﷻ لموسى عليه السلام، أو يرى فساد قول موسى فيما ادعاه من الرسالة؛ فإن إخباره عن إله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله إليه، وذلك لا يتأتى له إلا بالصعود إلى السماء، وهو غير ممكن ومما لا يقوى عليه الإنسان، لكن لجهله بالله وظنه أنه ﷻ مستقر في السماء، وأن رسله كرسل الملوك يلاقونه ويصلون إلى مقره أخرج ما لا يمكن في صورة الممكن.(٣)

ويمكن صرف الأمر في قوله: (ابْنِ لِي صَرْحًا) إلى غير ظاهره، وحمله على التهكُّم؛ مبالغةً في بيان قناعته بعدم إمكان ما ذكِر.(٤) والأرجح أنه قال هذه المقولة؛ لكمال عجزه عن المعارضة، ولذلك اشتغل وأشغل قومه بهذه المقالة الواهية؛ تلبيساً للأمر، وإخفاءً للحقِّ.(٥)

واستعمال (لَعَلَّ) في التّمنّي من باب الاستعارة، حيث استعار معنى التمني لحرف الرجاء على وجه الاستعارة التبعية؛ إشارة إلى بُعدِ ما ترجاه، وجعل نصب الفعل بعده قرينة على الاستعارة.(٦)

والبصريون ينكرون أن يكون للترجي جوابٌ منصوبٌ، ويخرِّجون النصب في هذه القراءة على أن الفعل (فَأَطَّلِعَ) جواب الأمر في قوله: (ابْنِ لِي)، أي: إن تبن لي أطلع، لكن نُصِب بأن مضمرة بعد الفاء في جوابه.(٧) أو أن يكون عطف على خبر (لعلي) بتوهم (أن) فيه؛ لأنه كثيراً ما جاء مقروناً بها، على حد قول القائل: (ولِبسُ

(١) البلاغة العربية، ١/٢٥١-٢٥٢.

(٢) البحر المحيط، ٧/٤٤٦، والسراج المنير، ٣/٥٧٧.

(٣) أنوار التنزيل، ٥/٩٣، وحاشية ابن التمجيد، ١٧/٦٢، وروح المعاني، ٢٤/٦٩.

(٤) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، ٧/٣٧٢.

(٥) حاشية القونوي، ١٧/٦٢.

(٦) التحرير والتنوير، ٢٤/١٩٨.

(٧) التبيان في إعراب القرآن، ٢/١١٢٠.

عباءةٍ وتقرَ عيني)، فمن نصب توهم أن الفعل المضارع الواقع خبراً منصوب (بأن). وتوجيه النصب على هذين الوجهين يتوافق مع مذهب البصريين خلافاً للأول.(١)

وجمهور المفسرين يخرِّجون قراءة النصب على الوجه الأول المتوافق مع قواعد الكوفيين، وهو الأولى؛ تشبيهاً للترجي بالتمني؛(٢) لوضوح معناه، ولأننا لسنا متعبدين بقواعد الكوفيين أو البصريين، بل يُفسَّر القرآن وتُخرَّج قراءاته وفق ما يقتضيه النظم والسياق، لا وفق ما تقتضيه قواعد الكوفيين والبصريين. ومعنى الآية على هذا الوجه: لعلي أبلغ الأسباب فمتى بلغتها أطلع.(٣)

فالمعنى على قراءتي الرفع والنصب مختلف؛ لأن معنى القراءة بالرفع: لعلي أبلغ الأسباب، ثم لعلي أطلع بعد ذلك، إلا أن ثم أشد تراخياً من الفاء. ومعنى القراءة بالنصب: لعلي أبلغ وأنا ضامنٌ أني متى بلغت فلا بد وأن أطلع.(٤) أي: إنَّ كلا الأمرين – على قراءة النصب – كان مرجواً في اعتقاده الفاسد؛ وذلك لجهله بالله وأسبابه، أو أنه أخرج ما لايمكن في صورة الممكن؛ تمويهاً على السامعين، أما قراءة الرفع فتعطف الإطلاع على البلوغ وتدخله في حيز الترجي، مما يدل على أنه كان شاكّاً في إمكانية الاطلاع على أسباب السماء.(٥)

وقد ذهب الطبري إلى أن قراءة الرفع هي الصواب التي لا يجوز القراءة بغيرها؛ لإجماع الحجة من القرّاء عليها.(٦) ولم يلتمس لترجيحه هذا وجوهاً بلاغية تشهد لقراءة الرفع، سوى ما ذَكَر من اتفاق أكثر القراء عليها.

وأشير هنا إلى أن كل قراءة من القراءتين فيها وجه بلاغي ليس في القراءة الأخرى، فقراءة الرفع تصور الواقع والمقدور؛ لأنه ما من عاقل يعتقد أن بإمكانه الوصول إلى السماء، والإطلاع على أسرارها، وهذا المعنى هو الذي جاءت به قراءة الرفع؛ لأنها جعلت البلوغ والاطلاع كليهما في حيز الترجي.

---

(١) البحر المحيط، ٤٤٦/٧، والدر المصون، ٤٨٢/٩، واللباب، ٥٥/١٧، وروح المعاني، ٦٩/٢٤.

(٢) أنوار التنزيل، ٩٣/٥، وحاشية ابن التمجيد، ٦١/١٧، والسراج المنير، ٥٧٧/٣.

(٣) الموضِّح، ١١٢٦/٣، ومفاتيح الغيب، ٥٩/٢٧.

(٤) إعراب النحّاس، ٣٣/٤، وحجة الفارسي، ١١١/٦، والكشف عن وجوه القراءات، ٢٤٤/٢، ومفاتيح الغيب، ٥٩/٢٧، والجامع لأحكام القرآن، ٣١٥/١٥، وفتح القدير، ٧٠١/٤.

(٥) وهذا عكس ما يراه د.أحمد سعد محمد، حيث رأى أن قراءة النصب تدل على الشك وقراءة الرفع تدل على أن الأمرين مرجوان لديه، وهذا لا يتفق مع إعراب الوجهين، ولا مع ما ذهب إليه المفسرون في توجيه قراءة النصب. انظر: التوجيه البلاغي، ص ١٣١.

(٦) جامع البيان، ٣٨٧/٢١.

أما قراءة النصب فتُحمَل على المبالغة؛ إذ إنها تخرج ما لا يمكن في صورة الممكن، ومن ثمَّ تجعل الاطلاع جواباً للترجي، أي: إذا بلغت لا بد أن أطَّلع. وإخراج الكلام بصورة المبالغة في تحقيق حصول الشيء؛ للتمويه على السامعين — غالباً – والتلبيس على عقولهم، أو للجهل بصفات الله ﷻ.

ومما ورد على التبادل بين الرفع والنصب من الأفعال المختلَف في قراءتها الفعل ﴿فَتَنْفَعَهُ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ [سورة عبس/٣-٤]، حيث قرأ عاصم ﴿فَتَنْفَعَهُ﴾ بنصب الفعل، وقرأه الباقون ﴿فَتَنْفَعُهُ﴾ بالرفع.(١)

ووجه الرفع في قراءة الجمهور العطف على (يَذَّكَّرُ)، ووجه قراءة عاصم النصب على جواب الترجي، وفق مذهب الكوفيين.(٢) أما عند البصريين فالترجي لا جواب له، والفعل منصوب بإضمار أن بعد الفاء.(٣)

وقراءة الرفع تخالف معنى قراءة النصب؛ لأن قراءة الرفع تعطف الفعل (تنفعُه) على (يذكرُ) المعطوف على (يزكَّى). أي: إنَّها تجعل الفعل (تنفعُه) في حيز الترجي، والمعنى عليها: لعله يتزكى، ويتذكر، فلعل الذكرى تنفعه إذا تذكَّر. فهي كقولك: لعل زيداً يقدمُ فيكرمُني، أي: لعله يكرمُني.(٤)

أما قراءة النصب فتجعل الفعل (تنفعَه) جواباً للترجي، والمعنى عليها: لعله يتزكى أو يتذكر، فيحصل له انتفاع بالتذكُّر، أي: إن تذكَّر نفعته الذكرى،(٥) فهي كقولك: لعل زيداً يقدمُ فيكرمَني. أي: إنَّك ترجو قدومه، وتضمن أنه إذا قدم أكرمك.

فالانتفاع على قراءة الرفع محتمل ومشكوك في حصوله، وفي قراءة النصب الانتفاع واقع لا محالة متى حصلت الذكرى، أو وُجِد فعل الترجي.

---

(١) السبعة، ص ٦٧٢، والتيسر، ص ١٣٨، والنشر، ٤٣٩/٢، وتحبير التيسير، ص ٦٠٥.

(٢) جامع البيان، ٢١٩/٢٤، وحجة ابن خالويه، ص ٣١٥، ومعالم التنزيل، ٣٣٦/٨، والكشاف، ٧٠٢/٤، ومفاتيح الغيب، ٥٢/٣١، والتبيان في إعراب القرآن، ١٢٧١/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٢١٤/١٩، وأنوار التنزيل، ٤٥٢/٥، والبحر المحيط، ٤١٩/٨، والدر المصون، ٦٨٦/١٠، واللباب، ١٥٥/٢٠، وإرشاد العقل، ١٠٨/٩، وفتح القدير، ٥٣٩/٥، وروح المعاني، ٤٠/٣٠، والتحرير والتنوير، ٩٤/٣٠. وقال ابن عطية في توجيه قراءة النصب: "بالنصب في جواب التمني." انظر: المحرر الوجيز، ٤٣٧/٥. قال أبو حيان: "وهذا ليس تمنياً إنما هو ترجٍّ" انظر: البحر المحيط، ٤١٩/٨. والظاهر أن ابن عطية أراد التَّمني المفهوم من الكلام، ويدلُّ له ما قاله أبو البقاء: "وبالنصب على جواب التمني في المعنى"، وإلاَّ فالفرق بين التمنِّي والترجِّي لا يجهله ابن عطية. انظر: الدر المصون، ٦٨٦/١٠، واللباب، ١٥٦/٢٠.

(٣) إعراب النحَّاس، ١٤٩/٥، والبحر المحيط، ٤١٩/٨، وروح المعاني، ٤٠/٣٠.

(٤) حجة أبي زرعة، ص ٧٤٩.

(٥) حجة الفارسي، ٣٧٦/٦، والكشف عن وجوه القراءات، ٣٦٢/٢، والقراءات العشر المختلفة في العلامة الإعرابية، ص ١١٦.

ونقل الآلوسي عن مكي أنه يذهب إلى تضمين (لعل) في سورة عبس معنى (ليت)؛ لبعد المرجو من الحصول، أي: بالنظر إلى المجموع إذ قد حصل من العبَّاس ﷺ، ولذلك رجَّح قراءة الضم؛ لأنها القراءة التي يصدقها الواقع كما يرى.[1]

والحقيقة أن الواقع يصدق كلتا القراءتين، فبعضهم يُرجى انتفاعه، لكن لا يقع ذلك منه؛ لغلبة الكفر عليه وقسوة قلبه، وبعضهم من المحقق أن الذكرى تنفعه؛ لأنه من العقلاء الذين يذعنون للحق متى بلغهم.

والقراءتان تحكيان حال فريقين من الكفَّار: فريق تبلغه الذكرى فلا ينتفع بها، وآخر ينتفع بها إن بلغته.

ويُلحَظ من الأمثلة المذكورة في هذا المبحث أن التغاير في إعراب الفعل المضارع، وتبادل قراءاته بين الرفع والنصب يؤدي غالباً إلى تعدد الدلالات في معنى الآية، والفعل المختلَف في قراءته، كما يؤدي إلى تكثير الوجوه البلاغية للآية المختلف في قراءتها، وهذا يؤثِّر في نظم القرآن الذي يعبِّر - من خلال قراءاته المتنوعة — عن الكثير من المعاني والوجوه البلاغية بأبلغ وأوجز عبارة ممكنة.

---

(١) روح المعاني، ٣٠/٤٠. ولم أرَ مكياً يرجح قراءة على أخرى في هذا الموضع من سورة عبس، بل إنه يذهب إلى اختلاف معنى القراءتين كما يرى ذلك جمهور المفسرين والموجهين. انظر: الكشف عن وجوه القراءات، ٢/٣٦٢.

المطلب الثاني: التبادل بين الرفع والجزم، وأثره في بلاغة النظم.

الجزم هو أحد أنواع الإعراب، وهو النوع الذي تختص به الأفعال، وهو من هذه الناحية يقابل الجر أو الخفض في الأسماء؛ لأن الجرَّ يخص الأسماء، والجزم يخص الأفعال.(١)

وعلامة الجزم الأصلية هي حذف الحركة من آخر الكلمة، وتلحق بهذه العلامة الأصلية علامات أخرى فرعية، هي: حذف حرف العلة من آخر الأفعال المعتلة، نحو: لم يغزُ، ولم يرمِ، وحذف النون من آخر الأفعال الخمسة، نحو: لم تقومي، ولم تذهبوا.(٢)

ويُجزَم الفعل المضارع بخمسة حروف هي: لَمْ، ولَمّا، ولا في النهي، ولام الأمر، وإنْ حرف الشرط والجزاء، الذي يجزم فعلين أحدهما فعل الشرط والآخر جوابه، وحرف الشرط يجزم فعلين؛ لأن حرف الشرط يقتضي جواب الشرط كما يقتضي فعل الشرط، ولهذا المعنى يسمى حرف الجزاء، ولذلك وجب أن يعمل في فعل الشرط وفي جواب الشرط؛ لأنه لما اقتضاهما معاً عمل فيهما معاً، نحو: إن تأتني آتِكَ، فقولك: (إن تأتني) شرط و(آتِكَ) جوابهُ، فلا بُدَّ للشرطِ من جوابٍ، وإلا لم يتم الكلام، وهو نظيرُ المبتدأ الذي لا بُدَّ له من خبر.(٣)

وجواب الشرط على نوعين: الأول: بالفعل المستقبل؛ لأن الجزاء يقع بالفعل ويكون في المستقبل، نحو: إن قمت أقمْ. والثاني: بالفاء، لأن فيها معنى الفعل، نحو: إنْ تأتني فأنا أكرمُكَ، وإنْ تتّقِ الله فأنتَ كريمٌ، وحق الفاء إذا جاءت للجواب أن يُبتدأ بعدها الكلام.(٤)

وهذا الحرف الأخير (إن) قد يحذف ويقع موقعه غيره من الأسماء، وذلك على ضربين:

الأول: أن يقومَ مقامه اسمٌ يجازى بهِ، نحو: مَنْ، ومَا، وأي، وأينَ، ومَتى، وحيثُما، ومهما، وإذْ ما. كقولك: مَنْ تكرمْ أكرمْ، والأصل أن تقول: إنْ تكرمْ زيداً أكرم.(٥)

الثاني: ضربٌ يحذفُ فيه حرف الجزاء مع ما عمل فيه ويبقى من الكلام ما يدلُ عليه، كأن يقع الفعل جواباً للأمر والنهي، أو الاستفهام، أو التمني، أو العرض، نحو في الأمر: زرني أزرْك، وفي النهي: لا تفعل الشرَّ

---

(١) الأصول في النحو، ١٤٦/٢، واللمع في العربية، ص ١٠، وأوضح المسالك، ٣٩/١.

(٢) الأصول في النحو، ١٦٤/٢، واللمع في العربية، ص ١٢٤—١٢٥.

(٣) كتاب سيبويه، ٨/٣، واللمع في العربية، ص ١٣٢-١٣٣، وأسرار العربية، ص ٢٩٢—٢٩٥، وعلل النحو، لأبي الحسن محمد بن عبد الله الوراق، تح: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض، ط١٤٢٠/١هـ-١٩٩٩م، ص ١٩٨—٢٠٠.

(٤) المقتضب، ٢/ ٥٨، واللمع في العربية، ص ١٣٤.

(٥) المقتضب، ٢/ ٤٥-٥٧، والأصول في النحو، ١٥٦/٢—١٦٢.

تنج، وفي الاستفهام: أين بيتك أزرْك، وفي التمني: ليت لي مالاً أنفقْه، وفي الدعاء: اللهم ارزقني بعيراً أحججْ عليه، وفي العرض: ألا تنزل تصبْ خيراً، حيث تجزم هذه الأفعال كلها في الجواب؛ لأنها في معنى جواب الشرط، ألا ترى أن المعنى في جواب الطلب: زرني فإنك إن تزرني أزرْك.(١)

والرفع والجزم نوعان من أنواع الإعراب وردت على التبادل بينهما بعض الأفعال التي اختلف القراء في قراءتها، مما أدى إلى تعدد الدلالات والمعاني في بعض الأحيان، وأنتج بعض الآثار البلاغية نتيجة هذا التعدد، وفيما يأتي أمثلة تدرس هذا النوع من تعدد الإعراب في القراءات وتبيّن الآثار البلاغية الناتجة عن ذلك.

فمما ورد على التبادل بين الرفع والجزم من الأفعال المختلَف في قراءتها الفعلُ ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ من قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [سورة البقرة/٢٧١]، حيث قرئت هذه الكلمة في المتواتر بثلاثة وجوه: ﴿وَنُكَفِّرْ﴾ بالياء للغائب وبالجزم، ﴿وَنُكَفِّرُ﴾ بنون العظمة وبالرفع، والثالث: ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ بالياء وبرفع الفعل.(٢)

فمن قرأ بالنون فعلى إسناد الفعل إلى الله ﷻ بنون المتكلم على طريقة التعظيم، ومن قرأ بالياء فقد أسند الفعل إلى الله ﷻ على طريقة الغائب؛ لأنه هو المكفِّر حقيقةً، وتؤيده قراءة النون، فإنها متعيِّنةٌ له. أو أسنده إلى الإخفاء المفهوم من قوله: (وَإِن تُخْفُوهَا)، وقيل: الضمير يعود على الصرف، أي: صرف الصدقات يكفِّر. ونسبة التكفير إلى الإخفاء أو إعطاء الصدقات مجاز؛ لأنَّهما سببٌ للتكفير.(٣)

ومن قرأ ﴿وَنُكَفِّرْ﴾ بجزم الفعل؛ فقد عطف الفعل (نُكَفِّرْ) على جملة (فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) الواقعة في محلّ الجزم جواباً للشرط.(٤) وبذلك تكون هذه القراءة قد جعلت التكفير معلقاً على الإخفاء.(٥) وكأن المعنى: وإن تخفوها

---

(١) كتاب سيبويه، ٩٣/٣، والمقتضب، ٨٠/٢–٨١، والأصول في النحو، ١٥٦/٢–١٦٢، واللمع في العربية، ص ١٣٥.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم وأبو عمرو ويعقوب ﴿وَنُكَفِّرُ﴾ بالنون ورفع الراء ، وقرأ حفص وابن عامر ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ بالياء والرفع، وقرأ الباقون ﴿وَنُكَفِّرْ﴾ بالنون والجزم. انظر: السبعة، ص ١٩١، والتيسير، ص ٦٦، والنشر، ٢٦٩/٢، وتحبير التيسير، ص ٣١٤.

(٣) المحرر الوجيز، ٣٦٦/١، والتبيان في إعراب القرآن، ٢٢١/١، والجامع لأحكام القرآن، ٣٣٦/٣، وأنوار التنزيل، ٥٧١/١، والبحر المحيط، ٣٣٩/٢، وإرشاد العقل، ٢٦٤/١، وروح المعاني، ٤٤/٣.

(٤) حجة الفارسي، ٤٠٠/٢، ومشكل إعراب القرآن، ١٤١/١، والكشف عن وجوه القراءات، ٣١٧/١، ومعالم التنزيل، ٣٣٦/١، والكشاف، ٣٤٤/١، ومفاتيح الغيب، ٦٦/٧، والتبيان في إعراب القرآن، ٢٢٢/١، وأنوار التنزيل، ٥٧١/١، والبحر المحيط، ٣٣٩/٢، وغرائب القرآن، ٥٢/٢، وإرشاد العقل، ٢٦٤/١، وروح المعاني، ٤٥/٣.

(٥) حجة ابن خالويه، ص ١٠٢، والمحرر الوجيز، ٣٦٦/١، والتحرير والتنوير، ٥٣٨/٢.

وتؤتوها الفقراء يكن الإخفاء خيراً لكم من الإبداء، وهذا الإخفاء يكفر عنكم من سيئاتكم، أي: إنَّ الجزاء بتكفير بعض السيئات هو وعد لمخفي الصدقة بصدقته التي أخفاها.(١)

ومن قرأ بالرفع فعلى ثلاثة أوجه، هي:(٢)

الأول: أن يكون الفعل مستأنفاً لا محل له من الإعراب، والجملة مبتدأة من فعل وفاعل، والواو عاطفةً جملة كلام على جملة كلام آخر.

الثاني: أن الفعل في محل رفع خبر مبتدأ مضمر، وذلك المبتدأ: إمَّا ضمير الله ﷻ، أو الإخفاء، أي: وهو (الله ﷻ، أو الإخفاء) يُكفِّر، ونحن نكفِّرُ.

الثالث: أنه عطفٌ على محلِّ ما بعد الفاء، إذ لو وقع مضارعٌ بعدها لكان مرفوعاً، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ [سورة المائدة/٩٥].

والفعل على جميع الوجوه في قراءة الرفع وعدٌ على إعطاء الصدقات سواء أكانت ظاهرة أم خفية. (٣)

وقد التمس بعض المفسرين لكل قراءة من قراءتي الرفع والجزم وجوهاً بلاغية تؤيدها، ومن ثم رجَّح أبو جعفر الطبري وابن عطية وأبو زرعة قراءة (وَنُكَفِّرْ عَنْكُمْ) بالنون والجزم عطفاً على موضع (الفاء) في قوله: (فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ)؛ على معنى الخبر من الله ﷻ عن نفسه بأنه يجازي المخفي صدقته؛ ابتغاء وجهه بتكفير سيئاته.

وإنما اختار الطبري القراءة بالجزم عطفاً على موضع (الفاء)، ورجَّحها على قراءة الرفع التي تعطف الفعل على ما بعد الفاء – مع أن الرفع هو الأفصح من الكلام في العطف على جواب الجزاء، وإنما الجزم تجويزه – ؛ "ليؤذن بجزمه أن التكفير- أعني تكفير الله من سيئات المصَّدق – لا محالة داخل فيما وعد الله المصَّدِّق أن يجازيه به على صدقته؛ لأن ذلك إذا جزم مؤذن بما قلنا لا محالة، ولو رفع كان قد يحتمل أن يكون داخلاً فيما وعده الله أن يجازيه به، وأن يكون خبراً مستأنفاً أنه يكفر من سيئات عباده المؤمنين، على غير المجازاة لهم بذلك على صدقاتهم؛ لأن ما بعد (الفاء) في جواب الجزاء استئناف، فالمعطوف على الخبر المستأنف في حكم المعطوف عليه

(١) جامع البيان، ٥٨٥/٥، والبحر المحيط، ٣٣٨/٢.

(٢) حجة الفارسي، ٤٠٠/٢، والكشاف، ٣٤٤/١، ومفاتيح الغيب، ٦٦/٧، والجامع لأحكام القرآن، ٣٣٦/٣، وأنوار التنزيل، ٥٧١/١، والبحر المحيط، ٣٣٩/٢، وغرائب القرآن، ٥٢/٢، وإرشاد العقل، ٢٦٤/١، وروح المعاني، ٤٤/٣.

(٣) التحرير والتنوير، ٥٣٨/٢.

في أنه غير داخل في الجزاء؛ ولذلك من العلة اخترنا جزم (نكفرْ)؛ عطفاً به على موضع الفاء من قوله: (فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) وقراءته بالنون."[1]

واحتج ابن عطية بالحجة ذاتها التي ذكرها الطبري، فقال: "والجزم في الراء أفصح هذه القراءات؛ لأنها تؤذن بدخول التكفير في الجزاء، وكونه مشروطاً إن وقع الإخفاء، وأما رفع الراء فليس فيه هذا المعنى."[2]

وقال أبو زرعة: "الجزم أولى؛ ليخلص معنى الجزاء، ويعلم بأن تكفير السيئات إنما هو ثواب للمتصدق على صدقته وجزاء له. وإذا رفع الفعل احتمل أن يكون ثواباً وجزاء، واحتمل أن يكون على غير مجازاة، وكان الجزم أبين المعنيين."[3]

وقد استحسن محقق تفسير جامع البيان ما ذكره الطبري من علة ترجيح قراءة الجزم، فقال تعليقاً على اختيار الطبري وحجته: "هذا من دقيق نظر أبي جعفر في معاني التأويل ووجوه اختيار القراءات. ولو قد وصلنا كتابه في القراءات الذي ذكره في الجزء الأول، وذكر فيه اختياره من القراءة، والعلل الموجبة صحة ما اختاره، لجاءنا كتاب لطيف المداخل والمخارج فيما نستظهر."[4]

ورجَّح أبو جعفر النحاس وأبو حيان الأندلسي قراءة (وَنُكَفِّرُ عَنْكُمْ) بالرفع: أما النحاس فتابع الخليل وسيبويه في حجتهما، فقال: "أجود القراءات (وَنُكَفِّرُ عَنْكُمْ) بالرفع، هذا قول الخليل وسيبويه. قال سيبويه: والرفع ههنا الوجه، وهو الجيد؛ لأن الكلام الذي بعد الفاء جرى مجراه في غير الجزاء."[5] أي: لما كان جواب الجزاء في قوله: (فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) في الفاء، ولم يكن فعلاً مجزوماً لم يستجيزوا أن يعطفوا فعلاً على غير جنسه، ولو كان جواب الجزم فعلاً مجزوماً لجزموا الفعل المعطوف على جواب الجزاء إذا كان فعلاً مثله.[6]

وأما حجة أبي حيان فلخصها بقوله: "إن الرفع أبلغ وأعم؛ لأن الجزم يكون على أنه معطوف على جواب الشرط الثاني، والرفع يدل على أن التكفير مترتب من جهة المعنى على بذل الصدقات – أبديت أو أخفيت – لأنا نعلم أن هذا التكفير متعلق بما قبله، ولا يختص التكفير بالإخفاء فقط، والجزم يخصصه به. ولا يمكن أن يقال:

---

(١) جامع البيان، ٥/٥٨٥.

(٢) المحرر الوجيز، ١/٣٦٦. وقد استحسن القرطبي حجة ابن عطية في اختياره لقراءة الجزم. انظر: الجامع لأحكام القرآن، ٣/٣٣٦.

(٣) حجة أبي زرعة، ص ١٤٨.

(٤) جامع البيان، حاشية رقم (١)، ٥/٥٨٥.

(٥) إعراب النحَّاس، ١/٣٣٩.

(٦) حجة أبي زرعة، ص ١٤٧.

إن الذي يبدي الصدقات لا يُكفَّر من سيئاته، فقد صار التكفير شاملاً للنوعين من إبداء الصدقات وإخفائها، وإن كان الإخفاء خيراً من الإبداء."(١)

وأرى أن الحجج المذكورة بمجموعها ترفع من قيمة القراءتين؛ فمن جهة المعنى: الرفع أعم وأمدح؛ لشموله جميع المتصدقين: من تصدَّق منهم في السر، ومن أعطى صدقته علانية وجهراً، والجزم أمدح للمخفي صدقته، حيث تخصّه من بين المتصدقين بالتكفير؛ لكون فعله أبعد عن الرياء وأقرب إلى الإخلاص.(٢)

أما من جهة اللفظ، فقراءة الرفع تجري على الأقيس في اللغة، فتعطف على ما بعد الفاء؛ لأن الفاء في جواب الجزاء لو تلاها فعلٌ لكان مرفوعاً، والجزم يحمل اللفظ على المعنى؛ لأن المعنى: وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء يكن خيراً لكم ونكفر عنكم."(٣)

واجتماع القراءات بجميع معانيها المذكورة في آية واحدة يرفع من قيمة نظم القرآن بلاغياً، حيث يمدح بكلمة واحدة جميع المتصدقين، ويخص بالكلمة ذاتها مخفي الصدقات بمزيد من المدح، دون أن يتكلّف المجيء بالكثير من الألفاظ، ودون أن نشعر بأي تناقض ظاهري أو حقيقي في معنى الآية، بل تأتينا الآية – من خلال قراءاتها المتنوعة – كآيات متعددة يجبر بعضها خواطر جميع المتصدقين، ويمدح بعضها من أخلص نيته لله ﷻ، والتمس بصدقته وجه الله ﷻ، ولم يرد بها غيره.

وقريباً مما ذكر في توجيه القراءات الآنفة وُجِّهت قراءات الفعل ﴿وَيَجْعَلْ﴾ من قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا﴾ [سورة الفرقان/١٠]. حيث قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر عن عاصم ﴿وَيَجْعَلُ﴾ بالرفع، وقرأ الباقون ﴿وَيَجْعَلْ﴾ بالجزم.(٤)

وفي إعراب ﴿وَيَجْعَلُ﴾ على قراءة الرفع وجهان:(٥)

---

(١) البحر المحيط، ٣٣٩/٢.

(٢) ولهذا لم يكن هناك تناقض بين قولي أبي زرعة والقرطبي في الحقيقة؛ لأن كل منهما ينظر إلى غير الجهة التي ينظر إليها الآخر، وإن كان لفظاهما متناقضين من حيث الظاهر. جاء في حجة أبي زرعة، ص ١٤٨: " وكان الجزم أبين المعنيين." وجاء في الجامع لأحكام القرآن، ٣٣٦/٣: " فهذه تسع قراءات أبينها ﴿وَنُكَفِّرُ﴾ بالنون والرفع."

(٣) إعراب القرآن، ٣٣٩/١، وحجة أبي زرعة، ص ١٤٨.

(٤) السبعة، ص ٤٦٢، والتيسير، ص ١٠٩، والإقناع، ص ٤٣٥، والنشر، ٣٧٣/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٨٤.

(٥) أنوار التنزيل، ٢٠٨/٤، والدر المصون، ٤٥٩/٨، واللباب، ٤٨٥/١٤، وفتح القدير، ٩٢/٤، وروح المعاني، ٢٤٠/١٨.

الأول: الواو للاستئناف، والفعل مستأنف لا محل له من الإعراب، وعليه جمهور المفسرين.(١)

والثاني: ذهب الزمخشري والبيضاوي وغيرهما إلى كون الواو للعطف، والفعل معطوف على جواب الشرط؛ لأن الشرط إذا وقع ماضياً جاز في جوابه الجزم والرفع.(٢) وذهب سيبويه إلى أن رفعه على تقدير تقديمه، وكون الجواب محذوفًا، أي: مذهب سيبويه أنه مرفوع مستأنف دليل الجواب لا نفسه. وذهب الكوفيون والمبرد إلى أنه على تقدير الفاء، ولذلك يرى الكوفيون فيه وجوب الرفع، وذهب آخرون إلى أنه ليس على التقديم والتأخير ولا على حذف الفاء؛ بل لَمَّا لم يظهر لأداة الشرط تأثير في فعل الشرط؛ لكونه ماضيًا ضعفت عن العمل في الجواب.(٣) فالزمخشري بنى قوله على هذين المذهبين الأخيرين.(٤)

وفي إعراب ﴿وَيَجْعَلْ﴾ على قراءة الجزم وجهان أيضاً:(٥)

الأول: جزم الفعل عطفاً على محل (جعل)؛ لأنه جواب الشرط.(٦) ومما يؤيد هذا الوجه ما جاء في مصحف أُبيِّ بن كعب وعبد الله بن مسعود ﵄: (تبارك الذي إن شاء يجعلْ).(٧)

والثاني: أنه مرفوع، لكن سكِّنت اللام لأجل الإدغام. قاله النحاس ومكي والزمخشري وغيرهم.(٨)

والأول أرجح وعليه جمهور المفسرين، والوجه الثاني فيه نظر؛ لأن نافعاً والأخوين وحفصاً من جملة من قرأ بذلك، وليس من أصولهم الإدغام حتى يُدَّعَى لهم في هذا المكان، أما أبو عمرو فهو ممن يقرأ بالجزم وأصله الإدغام، وهو يقرُّ هنا بسكون اللام فيحتمل ذلك على قراءته.(٩)

---

(١) حجة الفارسي، ٣٣٧/٥، وحجة أبي زرعة، ص ٥٠٨، والكشف عن وجوه القراءات، ١٤٤/٢، والمحرر الوجيز، ٢٠١/٤، وزاد المسير، ٧٥/٦، والتبيان في إعراب القرآن، ٩٨١/٢، والدر المصون، ٤٥٩/٨، والتحرير والتنوير، ٢٠/١٩.

(٢) الكشاف، ٢٧١/٣، وأنوار التنزيل، ٢٠٨/٤، ومدارك التنزيل، ٢٣٥/٣، وفتح القدير، ٩٢/٤. وانظر: شرح ابن عقيل، ٣٥/٤.

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف، ٦٢٨/٢، والمفصل في صنعة الإعراب، ص ٤٣٩–٤٤٠، وشرح الرضي على الكافية، ١٠٨/٤، وتوضيح المقاصد، ١٢٧٩/٣، وحاشية الصبان، ٢٦/٤،

(٤) الدر المصون، ٤٦٠/٨، واللباب، ٤٨٥/١٤.

(٥) إعراب النحَّاس، ١٥٣/٣، وحجة أبي زرعة، ص ٥٠٨، والكشف عن وجوه القراءات، ١٤٤/٢، والتبيان في إعراب القرآن، ٩٨١/٢، والدر المصون، ٤٦٠/٨، واللباب، ٤٨٦/١٤، وروح المعاني، ٢٤٠/١٨.

(٦) حجة الفارسي، ٣٣٦/٥، والمحرر الوجيز، ٢٠١/٤، وزاد المسير، ٧٥/٦، وأنوار التنزيل، ٢٠٨/٤، وفتح القدير، ٩٢/٤، والتحرير والتنوير، ٢٠/١٩.

(٧) مفاتيح الغيب، ٤٧/٢٤.

(٨) إعراب النحَّاس، ١٥٣/٣، والكشاف، ٢٧١/٣، والتبيان في إعراب القرآن، ٩٨١/٢.

(٩) الدر المصون، ٤٦٠/٨، واللباب، ٤٨٦/١٤، وروح المعاني، ٢٤٠/١٨.

والفرق بين معنى القراءتين هو: أن من جزم: علق جعل القصور على المشيئة، أي: إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ جَنَّاتٍ وقصوراً، ومن رفع: استأنف، ولم يعلق الجعل على المشيئة، والمعنى: وَسَيَجْعَلُ لَّكَ قُصُوراً في الآخرة.(١)

وذهب الواحدي وتابعه النسفي إلى أن معنى قراءة الرفع: الإخبار بأن الله ﷻ سيَجْعَل لَّكَ قُصُوراً في الآخرة. ومعنى قراءة الجزم: إن شاء وهب لك في الدنيا خيراً مما قالوا، وهو أن يعجل لك في الدنيا مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور. وإنما حمل المعنى على أن ذلك في الدنيا؛ لأنه ﷻ قد شاء أن يعطيه ذلك في الآخرة.(٢)

وما ذكره الواحدي محتمل؛(٣) لأنه لا يوجد ما يمنع من حمل معنى الآية على كون ذلك في الدنيا أو في الآخرة؛ لأنه ﷻ علَّق جعل القصور على المشيئة، ثم لم يشأ ﷻ أن يجعل له قصوراً في هذه الدنيا الفانية، وأخَّره إلى الآخرة الباقية. وقد عرض الله ﷻ على نبيه ﷺ ما شاء من ذلك في الدنيا فأباه.(٤)

ويؤيد ما ذكره الواحدي: ما جاء عن مجاهد(٥) في تفسير الآية: "إن شاء جعل لك جنات في الآخرة، وقصوراً في الدنيا."(٦) وما جاء في السنة عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: "عرض عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا، فَقُلْتُ: لا، يَا رَبِّ، وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْمًا وَأَجُوعُ يَومَاً، فإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ، وَإِذَا شَبِعْتُ حَمِدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ."(٧)

---

(١) إعراب النحَّاس، ١٥٣/٣، وحجة أبي زرعة، ص ٥٠٨، والكشف عن وجوه القراءات، ١٤٤/٢، وزاد المسير، ٧٥/٦، ومفاتيح الغيب، ٤٧/٢٤، والجامع لأحكام القرآن، ٦/١٣، واللباب، ٤٨٦/١٤–٤٨٧.

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ٣٣٥/٣، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص ٧٧٥، ومدارك التنزيل، ٢٣٥/٣.

(٣) المحرر الوجيز، ٢٠١/٤.

(٤) السراج المنير، ٦/٣.

(٥) هو مجاهد بن جبر، ويقال ابن جبير، أبو الحجاج مولى عبد الله بن السائب القارئ، تابعي مكي ثقة، من أعلم أهل زمانه بالتفسير. عرض القرآن على ابن عباس رضي الله عنهما ثلاث مرات. وقرأ عليه ابن كثير، وأبو عمرو بن العلاء، وابن محيصن، وغيرهم. روى الحديث عن ابن عمر، وابن عباس، وجابر، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم، وروى عنه الحكم بن عتيبة، ومنصور بن المعتمر، والأعمش، وغيرهم. توفي عام ١٠٣هـ رحمه الله. انظر: الجرح والتعديل، ٣١٩/٨، وتذكرة الحفاظ، ٧١/١، ومعرفة القراء الكبار، ٦٦/١.

(٦) مفاتيح الغيب، ٤٧/٢٤، واللباب، ٤٨٧/١٤، والسراج المنير، ٦/٣، وروح المعاني، ٢٣٩/١٨. وروى الطبري في تفسيره عن مجاهد: مجاهد: "(وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا) مشيدة في الدنيا." انظر: جامع البيان، ٢٤٣/١٩.

(٧) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب الكفاف والصبر عليه، رقم/٢٣٤٧، ٥٧٥/٤، وقال: حديث حسن. وأخرجه البيهقي أيضاً في شعب الإيمان. انظر: شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ)، تح: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٠هـ، باب في حب النبي ﷺ، فصل في زهد النبي ﷺ وصبره على شدائد الدنيا، رقم/١٤٦٧، ١٧٢/٢.

وذهب بعض المفسرين إلى أن حمل المشيئة على أن ذلك يكون في الآخرة أنسب لسياق الآية الآتية: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [سورة الفرقان/١١]؛ لأن مضمونها أن ما أعده الله ﷻ للكافرين يكون في الآخرة، فحسن أن يكون ما أعده الله ﷻ في المقابل لرسوله ﷺ والمؤمنين في الآخرة أيضاً.(١)

وإنما علق جعل ذلك في الآخرة على فعل المشيئة؛ تنبيهاً على أنه لا ينال ذلك إلا برحمته ﷻ، وأنه معلق على محض مشيئته ﷻ، وليس لأحد من العباد على الله ﷻ حق في الدنيا ولا في الآخرة.(٢)

ويمكن أن يرد بأن سياق الآية التالية لا يؤيد ما ذهبوا إليه، بل يؤيد ما ذكره الواحدي؛ لأن معناها: بل كذبوا بالساعة، فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب، وكيف يصدِّقون بتعجيل مثلما وعدك في الآخرة، وهم لا يؤمنون بها؟ بل أعتدنا لمن كذب بالساعة ناراً شديدة الاستعار.(٣) وبذلك يكون سياق الآية لا يؤيد كون الجعل في الآخرة، بل إن سياقها يؤيد أن الله ﷻ خير نبيه ﷺ بأن يجعل له في الدنيا مثل ما وعده في الآخرة.

وحمل معنى الآية على أن ذلك في الدنيا أبلغ في تبكيت الكفار، وقطع مجادلتهم، والردِّ عليهم فيما طلبوه عندما قالوا فيما نقله الله عنهم: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ۝ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ [سورة الفرقان/٧-٨].(٤)

وتعليق ذلك بمشيئته ﷻ؛ للإيذان بأن عدم الجعل؛ لعدم المشيئة المبنية على الحكم والمصالح، ولم يتعرض لجواب الاقتراحين الأولين؛ للتنبيه على خروجهما عن دائرة العقل، واستغنائهما عن الجواب؛ لظهور بطلانهما ومنافاتهما للحكمة التشريعية. وإنما الذي له وجه في الجملة هو الاقتراح الأخير؛ فإنه غير مناف للحكمة بالكلية؛ فإن بعض الأنبياء عليهم السلام قد أوتوا في الدنيا مع النبوة ملكاً عظيماً.(٥)

وبذلك أرجِّح أن معنى القراءتين مختلف، فالجزم على معنى: إن شاء جعل الله ﷻ لك قصوراً في الدنيا، والرفع: على الإخبار بأن الله ﷻ سيجعل لك قصوراً في الآخرة.

والقراءتان في قوة البلاغة سواء، وهما تتكاملان في إيضاح حالة ما كان عليه النبي ﷺ في الدنيا، وما أعده الله ﷻ له في الآخرة؛ فقراءة الجزم تؤيد ما ورد في السنة من تخيير الله ﷻ لنبيه ﷺ بأن يجعل له في هذه الدنيا

---

(١) المحرر الوجيز، ٢٠١/٤، والتحرير والتنوير، ٢٠/١٩.

(٢) روح المعاني، ٢٣٩/١٨.

(٣) مدارك التنزيل، ٢٣٥/٣.

(٤) روح المعاني، ٢٣٩/١٨، والتحرير والتنوير، ٢٠/١٩.

(٥) روح المعاني، ٢٣٩/١٨.

الفانية مثلما أعد له في الآخرة الباقية، ثم الاستجابة لرغبة النبي ﷺ بأن يكون نبياً عبداً. وقراءة الرفع تخبر عما وعد الله ﷻ نبيه ﷺ من الجنان والقصور والنعيم في تلك الدار الباقية.

ولا شك أن التعبير بهذه الكلمة الواحدة عن جميع المعاني المذكورة يبرز القيمة البلاغية لنظم القرآن، التي تتجلى بتحقيق غاية الإيجاز من غير الإخلال بالفصاحة.

ومما ورد على التبادل بين الرفع والجزم من الأفعال المختلَف في قراءتها الفعل ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ﴾ من قوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۞ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [سورة مريم/٥-٦]، حيث قرأ جمهور القراء ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ﴾ برفع الفعلين، وقرأ أبو عمرو والكسائي ﴿يَرِثْنِي وَيَرِثْ﴾ بجزمهما.[١]

ووجه الرفع أنه جعل (يَرِثُنِي) في محل نصب على الصفة لـ (وَلِيًّا)، لأنها جملة فعلية واقعة بعد النكرات، وعطف (يَرِثُ) عليه.

ووجه الجزم أنه جعل الفعل (يَرِثْنِي) جواب الدعاء في قوله: (فَهَبْ لِي)، وعطف (يَرِثْ) عليه.[٢] على إرادة التسبب، لأن الأصل أنه على تقدير فاء السبب، والمعنى: إن تهبه يرثني ويرث.[٣]

والمعنى على قراءة الرفع: فهب لي الولد الذي يرث مني العلم، ويرث من آل يعقوب النبوة،[٤] على معنى أنه يصلح لأن يوحى إليه، ولم يرد أن النبوة نفسها تورث.[٥] أي: طلب زكريا عليه السلام من الله ﷻ أن يهب له في ولياً وارثاً، أي: ولداً صالحاً لوراثة العلم والنبوة، وطلب أن تكون الإجابة في حياته؛ حتى يرث نبوته وعلمه؛ لئلا تكون الإجابة في الولد، لكن يحرمه فلا يحصل ما قصده.[٦]

ومعنى قراءة الجزم: فهب لي من لدنك ولياً، فإنه يرثني إذا وهبته لي.[٧]

---

(١) السبعة، ص ٤٠٧، وتذكرة ابن غلبون، ص ٤٢٣، والتيسير، ص ١٠١، والنشر، ٣٥٦/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٥٢.

(٢) جامع البيان، ١٤٧/١٨، ومعالم التنزيل، ٢١٨/٥، والكشاف، ٧/٣، وزاد المسير، ٢٠٩/٥، ومفاتيح الغيب، ١٥٤/٢١، والتبيان في إعراب القرآن، ٨٦٦/٢، ومدارك التنزيل، ٤٩/٣، وأنوار التنزيل، ٥/٤، والبحر المحيط، ١٦٥/٦، والدر المصون، ٥٦٧/٧، واللباب، ١٠/١٣، وفتح القدير، ٤٦٠/٣، وروح المعاني، ٦٢/١٦–٦٣، والتحرير والتنوير، ١٢/١٦.

(٣) المحرر الوجيز، ٥/٤، والتبيان في إعراب القرآن، ٨٦٦/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٨١/١١، والسراج المنير، ٣٢٧/٢، والتحرير والتنوير، ١٢/١٦.

(٤) جامع البيان، ١٤٧/١٨، وحجة الفارسي، ١٩١/٥، ومدارك التنزيل، ٤٩/٣.

(٥) مدارك التنزيل، ٤٩/٣.

(٦) معالم التنزيل، ٢١٩/٥، والبحر المحيط، ١٦٥/٦.

(٧) جامع البيان، ١٤٧/١٨.

وإنما حمل أكثر المفسرين الميراث: على ميراث العلم والنبوة؛ لأن الأنبياء لا يورِّثون المال، وإنما يورثون العلم، فالأولى أن يحمل على ميراث غير المال؛ لأنه يبعد أن يشفق زكريا – وهو نبي من الأنبياء – أن يرث بنو عمه ماله، وإنما خاف أن يضيِّع بنو عمه دين الله ويغيروا أحكامه، على ما كان شاهده من بني إسرائيل من تبديل الدين وقتل الأنبياء، فسأل ربه ولياً صالحاً يأمنه على أمته، ويرث نبوته وعلمه؛ لئلا يضيع الدين.(١)

وقد رجَّح أكثر المفسرين وموجهي القراءات — ومنهم أبو عبيد والطبري والنحاس ومكي، وابن زنجلة وابن عطية وأبو البقاء العكبري والقرطبي والشوكاني – قراءة الرفع على معنى: أن زكريا سأل ربه فقال: هب لي ولياً يكون وارثي، أي: الولي الذي يكون بهذه الصفة؛ لأن الأولياء منهم من لا يرث، لا أنه سأله ولياً، ثم أخبر أنه إذا وهب له ذلك كانت هذه صفته. أما قراءة الجزم فليس فيها هذا المعنى؛ لأن معناها: إن وهبت لي ولياً ورث؛ لأن الفعل (يَرِثْنِي) في قراءة الجزم وقع في جواب الدعاء، وجواب الأمر أو الدعاء عند النحويين فيه معنى الشرط والمجازاة، تقول: أطع الله يدخلك الجنة، أي: إن تطعه يدخلك الجنة، فكيف يخبر زكريا عن الله ﷻ بأنه إن وهب له ولياً فحتماً يرثه وهو أعلم بأن من الأولياء من لا يرث، ولذلك كان معنى قراءة الرفع أرجح لدى أكثر المفسرين؛ لأن قراءة الجزم على معنى أن زكريا أخبر عن أشياء حتمية من علم الغيب الذي حجبه الله عن خلقه.(٢)

فوجه رجحان قراءة الرفع أنها على معنى أن زكريا طلب من الله وارثاً موصوفاً، وقراءة الجزم ليس فيها هذا المعنى؛ لأنه ليس كل موهوب يرث.(٣)

وذكر أبو زرعة حججاً أخرى ترجِّح قراءة الرفع، منها:(٤)

أولاً: أن الأمر وقع على (وَلِيًّا) وهو اسم نكرة، والفعل بعد الاسم النكرة على الصفة له، كقولك: أعرني دابةً أركبها، وكقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [سورة التوبة/١٠٣]، ولو كان الأمر أو الدعاء واقعاً على المعرفة لكان الاختيار الجزم، كقوله تعالى: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ [سورة الأعراف/٧٣] فالهاء في (فذروها) معرفة، ولذلك كان الفعل (تَأْكُلْ) بالجزم.

---

(١) معالم التنزيل، ٢١٩/٥، وتفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، للعلَّامة علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (٧٤١هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١٣٩٩/١هـ-١٩٧٩م، ٢٣٩/٤.

(٢) جامع البيان، ١٤٧/١٨، وإعراب النحَّاس، ٦/٣، والجامع لأحكام القرآن، ٨١/١١، وفتح القدير، ٤٦٠/٣.

(٣) المحرر الوجيز، ٥/٤، والكشف عن وجوه القراءات، ٨٤/٢، والتبيان في إعراب القرآن، ٨٦٦/٢.

(٤) حجة أبي زرعة، ص ٤٣٨.

ثانياً: أن الفعل المضارع إذا حلَّ محل اسم الفاعل لم يكن إلا رفعاً، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ [سورة المدثر/٦]، أي: مستكثِراً. وحجتهم في ذلك: أن زكريا عليه السلام إنما سأل ولياً وارثاً علمه ونبوته، وليس المعنى على الجزاء، أي: إن وهبته ورث؛ لأنه ليس كل ولي يرث، ولذلك لم يرجح معنى الفعل على الجزاء على معنى: إن وهبته ورث؛ لأنه قد يهب ولياً لا يرث.

ثالثاً: أن الآية قد تمت عند قوله (وَلِيًّا) ثم ابتدئت بـ(يرثُني) أي: هو يرثُني ويرثُ من آل يعقوب، والابتداء بالفعل في أول الآية التالية يرجِّح أن يكون الفعل بالرفع، وهذه الحجة ذكرها مكي أيضاً بالكشف.(١)

وقد دافع الفرَّاء عن قراءة الجزم، ووصفها بأنها الوجه، فقال: "والجزمُ الوجه؛ لأن (يرثْني) من آية سوى الأولى، فحسن الجزاء."(٢) وتابعه في ذلك مكي، فقال: "ويقوي الجزم: أن (ولياً) رأس آية مستغنٍ عن أن يكون ما بعده صفة له، فحمله على الجواب دون الصفة."(٣)

ومعنى الرفع لدى الفرَّاء جائز؛ لأن الفعل (يرث) لحقته (ياء) ضمير المتكلم، والأمر إذا وقع على نكرة بعدها فعل لحقه الضمير جاز فيه وجهان: الجزم على الجزاء والشرطِ، والرفع على أَنه صلة للنكرة بمنزلة الذي، كقول القائِل: أعِرني دابَّة أركبْها، أو أركبُها، فإذا كان الفعل الذي بعد النكرة لا يصلح فيه إضمار الهاء إن كان الفعل واقعاً على الرجل فليسَ إلاّ الجزم، كقولك: هَبْ لي ثوباً أَتَجَمَّلْ مع الناس، لا يكون (أتجمَّلْ) إلاَّ جَزْماً؛ لأن الهاء لا تصلح فى أتجمل. وتقول: أَعِرني دابَّة أركبُ يا هذا؛ لأنك تقول أركبُها، فتضمر الهَاء، فيصلح ذلك.(٤)

والحاصل أن الحجج التي ذكرها جمهور المفسرين ترجِّح قراءة الرفع على قراءة الجزم بالنظر إلى حقيقة الأمر. وذكر الآلوسي أن معنى قراءة الجزم يستقيم مع معنى قراءة الرفع إذا فُسِّرت الحتمية التي في قراءة الجزم بما يتوافق مع ظن السائل، أي: فهب لي ولياً، فإنك إن تهبه يرثْني ويرثْ من آل يعقوب كما هو في ظني ورجائي.(٥)

وبحمل قراءة الجزم على هذا المعنى الذي ذكره الآلوسي نجتنب القول بضعف معناها، من جهة كون الحتمية لا تتفق مع ما هو معلوم لنبي الله من عدم ملازمة الوراثة لجميع الأولياء.

---

(١) حجة أبي زرعة، ص ٤٣٨، والكشف عن وجوه القراءات، ٢/٨٤.

(٢) معاني الفَرَّاء، ٢/١٦١–١٦٢.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات، ٢/٨٤.

(٤) معاني الفَرَّاء، ٢/١٦٢.

(٥) روح المعاني، ١٦/٦٣.

وبذلك أرى أن القراءتين معاً تتعاضدان في إثبات البلاغة لهذا النظم؛ لأن قراءة الرفع تصف الولي المرجو، وقراءة الجزم على معنى أن الولي المرجو تتحقق فيه صفة الوراثة كما هو في رجاء السائل وظنه، وكل قراءة من القراءتين تكمّل معنى القراءة الأخرى.

وقريباً مما ذكر في توجيه تلك القراءتين يمكن توجيه الرفع والجزم في قراءتي ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ من قوله تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [سورة القصص/٣٤]، حيث قرأ عاصم وحمزة ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ بالرفع، وقرأ الباقون ﴿يُصَدِّقْنِي﴾ بالجزم.(١)

والرفع ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ في قراءة عاصم وحمزة من وجوه: إما على أنه صفة لـ(رِدْءاً)، أو الحال من هاء (أَرْسِلْهُ)،(٢) أو حال من الضمير في (رِدْءاً)، أو أنه مرفوع على الاستئناف.(٣)

والجزم في قراءة الجمهور على أن الفعل جواب الطلب في قوله: (فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ).(٤)

والمعنى على قراءة الرفع: أرسله معي ردءاً مصدِّقاً لي. والكلام على قراءة الجزم في معنى الجزاء، على وجه الإخبار، أي: فأرسله، فإنك إذا أرسلته صدّقني.(٥)

وقد رجّح مكي قراءة الجزم؛ لكونها قراءة أكثر القراء.(٦)

ورجّح الطبري قراءة الرفع على معنى أن موسى عليه السلام سأل ربه تبارك وتعالى أن يرسل معه أخاه عوناً مصدقاً، أي:

---

(١) السبعة، ص ٤٩٤، والتيسير، ص ١١٣، والعنوان، ص ١٤٧، والنشر، ٣٨٢/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٩٨.

(٢) جامع البيان، ٥٧٨/١٩، وإعراب النحّاس، ٢٣٨/٣، وحجة ابن خالويه، ص ٢٧٨، ومشكل إعراب القرآن، ٥٤٥/٢، والكشف عن وجوه القراءات، ١٧٤/٢، والكشاف، ٤١٤/٣، والمحرر الوجيز، ٢٨٨/٤، والتبيان في إعراب القرآن، ١٠٢٠/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٢٨٧/١٣، والدر المصون، ٦٧٧/٨، واللباب، ٢٥٧/١٥.

(٣) حجة أبي زرعة، ص ٥٤٥، والبحر المحيط، ١١٣/٧، والدر المصون، ٦٧٧/٨، واللباب، ٢٥٧/١٥، وفتح القدير، ٢٤٦/٤، وروح المعاني، ٧٨/٢٠.

(٤) جامع البيان، ٥٧٨/١٩، وإعراب النحّاس، ٢٣٨/٣، وحجة ابن خالويه، ص ٢٧٨، وحجة أبي زرعة، ص ٥٤٦، ومشكل إعراب القرآن، ٥٤٥/٢، والكشف عن وجوه القراءات، ١٧٤/٢، ومعالم التنزيل، ٢٠٨/٦، والكشاف، ٤١٤/٣، والمحرر الوجيز، ٢٨٨/٤، وزاد المسير، ٢٢١/٦، والتبيان في إعراب القرآن، ١٠٢٠/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٢٨٧/١٣، والبحر المحيط، ١١٣/٧، والدر المصون، ٦٧٧/٨، واللباب، ٢٥٧/١٥، وفتح القدير، ٢٤٦/٤، وروح المعاني، ٧٨/٢٠، والتحرير والتنوير، ٥٢/٢٠.

(٥) جامع البيان، ٥٧٨/١٩، وحجة الفارسي، ٤٢١/٥، والكشف عن وجوه القراءات، ١٧٤/٢، وزاد المسير، ٢٢١/٦، ومفاتيح الغيب، ٢١٣/٢٤، واللباب، ٢٥٧/١٥.

(٦) الكشف عن وجوه القراءات، ١٧٤/٢.

سأله أن يكون بهذه الصفة. ونقل القرطبي مثل ذلك عن أبي عبيد.(١)

والسبب في اختيار هؤلاء الأئمة قراءة الرفع وترجيحها على قراءة الجزم؛ أن قراءة الجزم على معنى إن أرسلته صدَّقني، وفي ذلك تقرير عن الله ﷻ أنه سيكون بهذه الصفة، أما قراءة الرفع فعلى السؤال والطلب أن يكون هارون مصدقاً.

وأقول في قراءة الجزم في هذه الآية ما قلته في قراءة (يَرِثْنِي) بالجزم: أن الجواب هنا على معنى إن أرسلته صدَّقني، كما هو الأمر في ظني ورجائي، وبذلك يتكامل معنى القراءتين وينتفي التعارض بينهما.

ومما ورد على التبادل بين الرفع والجزم من الأفعال المختلَف في قراءتها الفعلان (يُضَاعَفْ، وَيَخْلُدْ) من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۞ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ [سورة الفرقان/٦٨-٦٩]، حيث قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم برفع الفعلين، وقرأ الباقون بجزمهما.(٢)

والرفع في قراءة ابن عامر من وجهين:(٣) على الاستئناف، وكأن الكلام قد تناهى عند (يَلْقَ أَثَامًا) ثم ابتدأ بقوله: (يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ).(٤) أو على الحال من فاعل (يلق)، والمعنى: يلق أثاماً مضاعفاً له العذاب.(٥)

والجزم في قراءة الجمهور على البدل من جواب الجزاء (يَلْقَ)، وهو بدل كل من كل، أو بدل اشتمال؛ لاتحادهما في المعنى. والمعنى: مضاعفة العذاب لقي الآثام.(٦)

---

(١) جامع البيان، ٥٧٨/١٩، والجامع لأحكام القرآن، ٢٨٧/١٣.

(٢) قرأ ابن عامر وأبو بكر برفع الفاء والدال في الفعلين (يُضَاعَفُ، وَيَخْلُدُ) وقرأ الباقون بجزمها. وابن كثير وأبو جعفر ويعقوب وابن عامر على أصلهم في كلمة (يُضَاعَف) يحذفون الألف ويشددون العين. انظر: السبعة، ص ٤٦٧، والتيسير، ص ١١٠، والإقناع، ص ٤٣٦، والنشر، ٣٧٤/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٨٦.

(٣) الكشاف، ٣٠٠/٣، والمحرر الوجيز، ٢٢١/٤، ومفاتيح الغيب، ٩٧/٢٤، والجامع لأحكام القرآن، ٧٧/١٣، وأنوار التنزيل، ٢٢٨/٤، والبحر المحيط، ٤٧٢/٦، والدر المصون، ٥٠٣/٨، واللباب، ٥٧١/١٤، والسراج المنير، ٢٤/٣، وإرشاد العقل، ٢٣٠/٦، وفتح القدير، ١٢٧/٤، وروح المعاني، ٤٨/١٩.

(٤) جامع البيان، ٣٠٩/١٩، وحجة الفارسي، ٣٥٢/٥، والكشف عن وجوه القراءات، ١٤٧/٢، والتبيان في إعراب القرآن، ٩٩١/٢.

(٥) روح المعاني، ٤٩/١٩.

(٦) إعراب النحَّاس، ١٦٨/٣، وحجة الفارسي، ٣٥٠/٥، والكشف عن وجوه القراءات، ١٤٧/٢، والكشاف، ٣٠٠/٣، والمحرر الوجيز، ٢٢١/٤، ومفاتيح الغيب، ٩٧/٢٤، والتبيان في إعراب القرآن، ٩٩١/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٧٧/١٣، وأنوار التنزيل، ٢٢٨/٤، والبحر المحيط، ٤٧٢/٦، والدر المصون، ٥٠٣/٨، واللباب، ٥٧١/١٤، ونظم الدرر، ٣٣٨/٥، والسراج المنير، ٢٤/٣، وإرشاد العقل، ٢٣٠/٦، وفتح القدير، ١٢٧/٤، وروح المعاني، ٤٨/١٩.

وكذلك فسر الشاعر الإتيان بالإلمام فجزم (تُلْمِمِ) في قوله:

مَتَى تَأْتِنَا تُلْمِمِ بِنَا فِي دِيَارِنَا تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً وَنَاراً تَأَجَّجَا.[1] (البحر الطويل)

ويمكن حمل قراءة الرفع على التفسير أيضاً إذا قيل: إنَّ الاستئناف بيانيٌّ، وعندها يكون الفعل (يُضَاعَفُ) محمولاً على المعنى، كأن قائلاً قال: ما لقي الآثام ؟ فقيل: يضاعف له العذاب.[2]

وقد رجَّح أبو جعفر النحاس ومكي قراءة الجزم؛ لأن الكلام عليها يتصل بعضه ببعض.[3]

واحتج الفراء والطبري لقراءة الجزم بأنها على التفسير خلافاً لقراءة الرفع؛ لأن من رفع (يُضاعف له) أراد الاسْتئنافَ، لا الجزاء،[4] أما من جزم فأراد التفسير، وكُلّ مجزوم فسَّرته ولم يكن حالاً لِمَا قَبْلَهُ فالوجه فيه الجزم، وما كان حالاً لما قَبلَهُ رَفَعْته. والفعلان (يضاعفْ، ويخلدْ) هنا على التفسير للأثام، وليسا حالاً لـ(يلق)، حيث قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾، ثم فسَّر الأثام، فقال: ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ﴾، نحو: إن تكلِّمني تُوصِني بالخير والبِرّ أقبلْ منك؛ حيث فسَّر الكلام بالوصية، والتوصية ليست حالاً للكلام، فلذلك جُزِمت.

ولو كان الفعل الثاني حالاً من الأول وليس تفسيراً له وجب الرفع. نحو: إن تأتنا تطلبُ الخير تجدْه؛ فـ(تطلبُ) حال من فاعل (تأتنا)، أي: إن تأتنا طالباً للخير تجده. والطلب ليس تفسيراً للإتيان. ونحو: إن تأتني تقرأُ أعطِك، فلا يجوز في (تقرأُ) إلا الرفع؛ لأنه ليس تفسيراً للإتيان، بل حالاً من فاعل الفعل الأول.

ومثله قول الشاعر: مَتى تَأْتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدِ.[5] (البحر الطويل)

فرفع (تعشو)؛ لأنه حال من فاعل (تأته)، على معنى: متى تأته عاشياً، أي: قاصداً مستضيئاً.

ولو كان (يضاعفْ، ويخلدْ) حالاً لـ(يلق)، لكان الوجه فيه الرفع.[6]

وذهب بعض المفسرين إلى جواز جعل الرفع على الحال من فاعل (يلق) في قراءة ابن عامر، غير أن حجة الفراء والطبري أكثر قبولاً؛ لأن الكلام على التفسير، ولذلك قال بعض المفسرين إن الاستئناف في قراءة الرفع بياني؛ لتفسير ما قبله على طريقة الجواب.

---

(١) البيت لعبيد الله بن الحر الجعفي، وهو من شواهد سيبويه. انظر: كتاب سيبويه، ٨٦/٣.

(٢) إعراب النحَّاس، ١٦٨/٣، والجامع لأحكام القرآن، ٧٧/١٣.

(٣) إعراب النحَّاس، ١٦٨/٣، والكشف عن وجوه القراءات، ١٤٧/٢.

(٤) معاني الفَرَّاء، ٢٧٣/٢. وانظر: كتاب سيبويه، ٨٦/٣–٨٧.

(٥) البيت للحطيئة. انظر: ديوان الحطيئة، تح: حمدو طمَّاس، دار المعرفة، بيروت، ط١٤٢٦/٢هـ–٢٠٠٥م، ص ٥٣.

(٦) معاني الفَرَّاء، ٢٧٣/٢، وجامع البيان، ٣٠٩/١٩. وانظر: المقتضب، ٦١/٢–٦٣.

وأرى أن القراءتين في المعنى والبلاغة سواء؛ لأن من رفع لحِظ اكتفاء الشرط بجوابه، فجعل ما أتى بعده مستأنفاً استئنافاً بيانياً؛ لبيان المعنى. ومن جزم لحِظ اتصال بعض الكلام ببعض، فجعل (يضاعفْ) بدلاً من (يلق) فجزمه، وجزم (يخلدْ) عطفاً عليه بالواو.(١)

وتفسير لقي الأثام – أي: العقوبة والجزاء – بطريقتي الرفع على الاستئناف البياني، والجزم على البدل يبرز قدرة نظم القرآن على التعبير عن المعنى الواحد بأكثر من طريقة، وهذه هي مزية التفنن في التعبير عن المعنى الواحد بعدة أساليب دون أن يشعر السامع بأي ثقل أو ركاكة في أي منهما، ولا شك أن هذا يكشف عن المرتبة العالية في البلاغة التي يرتقي إليها نظم القرآن.

ومما ورد على التبادل بين الرفع والجزم من الأفعال المختلَف في قراءتها الفعل (يَخَافُ) من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [سورة طه/١١٢]. حيث قرأ ابن كثير (فَلَا يَخَفْ) بالجزم، وقرأ الباقون (فَلَا يَخَافُ) بالرفع.(٢)

والرفع في قراءة الجمهور على أن (لا) نافية، والفعل على الخبر مرفوع؛ لتجرده من الناصب والجازم.

والجزم في قراءة ابن كثير على أن (لا) هي الناهية، والفعل (يَخَفْ) بعده مجزوم بلا الناهية، وحُذِفت ألفه منعاً من التقاء الساكنين: سكون الألف، وسكون الجزم.(٣)

وستأتي دراسة هذا المثال في الباب الثاني؛ لأن الوجوه البلاغية الكامنة في توجيه هاتين القراءتين ترجع إلى أمر آخر سوى تغاير الإعراب، وهو التبادل بين أسلوب الخبر وأسلوب النهي أحد أساليب الإنشاء.(٤)

---

(١) حجة ابن خالويه، ص ٢٦٦، وحجة أبي زرعة، ص ٥١٤–٥١٥.

(٢) السبعة، ص ٤٢٤، والمبسوط، ص ٢٩٨، والتيسير، ص ١٠٤، والنشر، ٣٦٢/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٦٣.

(٣) حجة أبي زرعة، ص ٤٦٤، ومعالم التنزيل، ٢٩٦/٥، والكشاف، ٩٠/٣، والمحرر الوجيز، ٦٥/٤، وزاد المسير، ٣٢٤/٥، والتبيان في إعراب القرآن، ٩٠٥/٢، والبحر المحيط، ٢٦١/٦، والدر المصون، ١٠٩/٨، واللباب، ٣٩٦/١٣.

(٤) وهناك الكثير من الأمثلة يرجع التغاير النحوي فيها إلى التبادل بين أسلوبي الخبر والأمر أو النهي، وهذا يرجع إلى كون الجملة إنشائية إنشائية طلبية أو خبرية، وسأخص هذا النوع من التبادل بفصل مستقل في الباب الثاني؛ لاشتماله على وجوه بلاغية ناتجة عن غير التغاير الإعرابي. وكان يجدر بهذا الفصل أن يتناول بعض الأمثلة من التبادل بين بناء الفعل للمعلوم أو المجهول؛ لأثر ذلك التبادل في اختلاف إعراب ما بعده من الأسماء، غير أني آثرت أن أخصص الفعل المختلف في قراءته بين البناء للمعلوم والبناء للمجهول بمبحث مستقل في الباب الثاني؛ لما ينشأ عن هذا التبادل من آثار بلاغية ناتجة عن بلاغة ذكر الفاعل في الجملة الفعلية المبتدئة بفعل مبني للفاعل، وبلاغة حذفه في الجملة الفعلية المبتدئة بفعل مبني للمفعول، ولهذا السبب أرجأت هذا النوع من القراءات إلى الفصل المتخصص بدراسة الآثار البلاغية الناشئة عن الحذف والذكر.

ومن هذه الأمثلة تتبين لنا الوجوه البلاغية الناتجة عن تغاير إعراب القراءات، وما ينشأ عن ذلك من آثار بلاغية تتمثل بالكشف عن بلاغة الإيجاز في نظم القرآن عموماً، بالإضافة إلى آثار أخرى تتضح في سياق كل آية قرآنية وخصوصيتها اللفظية.

وقد تبيَّن في هذا الباب أن سر إعجاز القرآن يكمن في الطريقة التي تركبَّت فيها الحروف في كلمات القرآن، والطريقة التي تآلفت فيها الكلمات ضمن الجمل، ثم في طريقة التأليف بين الكلمات وربط بعضها بالآخر.

كما تبيَّن أن تنوع القراءات لم ينقص من بلاغة أي جهة من الجهات المذكورة، بل زاد إلى الآية الكريمة وجوهاً بلاغية أخرى انكشف بها سر الإعجاز في ذلك الأسلوب الذي تفرَّد به القرآن الكريم.

وكل ما عرضت له في هذا الباب من بلاغة التغاير التصريفي والإعرابي للكلمات المختلَف في قراءتها ليس إلا شطر الإعجاز وبعضاً من سماته، أما الشطر الآخر فيكمن في الطريقة العجيبة التي تم بها تركيب الجُمَل.

والباب الآتي سيتناول بالدراسة الوجوه البلاغية الناتجة عن طريقة ربط الجملة القرآنية، وأثر هذه الوجوه في بلاغة النظم والكشف عن إعجازه، من خلال دراسة تنوع القراءات، وأثره في إثبات تلك البلاغة وذلك الإعجاز، وسيتجه الباب الآتي – إن شاء الله – إلى إجراء المقارنة بين القراءة المتواترة بنظيرتها الشاذة في بعض المواطن التي تستدعي طبيعتها ومقامها ذلك؛ لاكتشاف الآثار التي يروم البحث الكشف عنها.

الباب الثاني: تعدد أحوال الجمل القرآنية نتيجة تنوع القراءات، وأثره في بلاغة نظم القرآن.

الفصل الأول: تعدد أحوال الإسناد والربط في جمل القراءات، وأثره في بلاغة نظم القرآن.

الفصل الثاني: تعدد أحوال المسند والمسند إليه وعناصر الجملة، وأثره في بلاغة نظم القرآن.

الفصل الثالث: خروج بعض القراءات عن مقتضى الظاهر، وأثره في بلاغة نظم القرآن.

يشتمل علم البلاغة على ثلاثة علوم هي: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، وقد تبيَّن – فيما سبق – أن أبواب علم المعاني تمثِّل معظم علم البلاغة، وأن مباحثه تحظى بقدر كبير من الدراسة في هذه الأطروحة؛ لأن القراءات المتنوعة تتشعب في مباحث علم المعاني أكثر من تشعبها في مباحث علمي البيان والبديع.

وعلم المعاني الذي يدرس أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال(١) يشمل بالدراسة الأبواب الآتية:

١ – أحوال الإسناد الخبري: الذي يدرس أغراض الخبر، وطرق تأديته، وصور خروج الخبر عن مقتضى الظاهر، كما يدرس الجملتين الخبريتين الاسمية والفعلية والمعاني المستفادة من كل منهما.

٢ – أحوال المسند والمسند إليه: من حيث الحذف أو الذكر، والتقديم أو التأخير، والتعريف أو التنكير، والأغراض البلاغية لكل واحد منها، وظاهرة الخروج عن مقتضى الظاهر في الكلام البليغ، وصورها.

٣ – أحوال متعلقات الفعل: من حيث تقييد الفعل بالمفعول أو حذفه، والتقديم في المتعلقات.

٤ – القصر: طرقه وأقسامه، وأغراضه البلاغية.

٥ – الإنشاء الطلبي وغير الطلبي، وأقسام كل منهما، ومعانيها الأصلية، والمعاني التي تخرج إليها بالقرائن.

٦ – الفصل والوصل، ودواعيه البلاغية.

٧ – الإيجاز والإطناب، وأغراضهما البلاغية، وأنواعهما، ودواعي استعمال كل منهما في تأدية الكلام.(٢)

وقد دل الاستقراء على أن تنوع القراءات يشمل طرق تأليف الجملة وإسنادها، وطرق الربط بين الجمل.

أي: إنَّ جُملَ القراءات تتبادل بين الإسنادين الخبري والإنشائي، فتأتي الجملة في بعض قراءاتها بطريقة الإخبار، وفي بعضها الآخر بطريقة الإنشاء. كما تتنوع أحوال الربط بين الجمل المختلف في قراءتها بين الوصل والفصل، فتؤدَّى جملتان متجاورتان في بعض القراءات بطريقة الوصل، وفي بعضها الآخر بطريقة الفصل.

وكذلك تتشعب القراءات المتنوعة في بابي أحوال المسند والمسند إليه، فتتبادل في الجملة المختلَف في قراءة كلمات منها مواقع كلٍ من المسند والمسند إليه أو تتبدل أحوالهما بين حالي الحذف والذكر، أو التقديم والتأخير، أو التعريف والتنكير، أو الاسمية والفعلية.

وقد تخرج القراءات بالنسبة لحال الجملة القرآنية والجمل المجاورة لها عن مقتضى الظاهر إلى غيره لأغراض

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٦، ومختصر المعاني، ص ٢٧.

(٢) راجع: المبحث الأول من الفصل الثاني في الباب التمهيدي لهذا البحث.

بلاغية. وهذا الباب سيتناول بالدراسة هذه الأحوال المختلفة للقراءات المتنوعة؛ ليستكشف أثر هذا التنوع في بلاغة نظم القرآن وإعجازه.

وأشير هنا إلى أن طبيعة الدراسة في هذا الباب قد تقتضي أحياناً سرد أمثلة من القراءات الشاذة، تعين على فهم وتحديد الأحوال الملابسة للقراءات المتواترة، وبيان سبب إيثار تلك الأحوال للقراءات المتواترة، وأثرها في بلاغة نظم القرآن.

الفصل الأول: تعدد أحوال الإسناد والربط في جمل القراءات، وأثره في بلاغة نظم القرآن.

المبحث الأول: تبادل القراءات بين الإسنادين الخبري والإنشائي، وأثره في بلاغة النظم.

المبحث الثاني: تبادل القراءات بين الوصل والفصل، وأثره في بلاغة النظم.

رصد الاستقراء التام للقراءات المتعددة ظواهر وصوراً مختلفة لتنوع القراءات شملت في كثير منها أحوال تركيب الجمل القرآنية، حيث أدت بعض القراءات الجملة القرآنية تارة بأسلوب الإخبار، وأخرى بأسلوب الإنشاء بنوعه الطلبي غالباً، فتبادلت بذلك الجملة المختلف في قراءتها بين أسلوب الإخبار بصوره المتنوعة، وأسلوب الإنشاء في بعض أنواع القسم الطلبي منه.

كما بيّن استقراء القراءات أن التنوع شمل طرق الربط بين الجمل المتعددة؛ حيث أدت بعض القراءات الجملتين المتجاورتين متصلتين لفظاً أو معنى، وأدت قراءات أخرى الجملتين المتجاورتين بطريقة الفصل بينهما.

وقد أدى هذا التنوع إلى دخول القراءات المتعددة في مباحث متعددة من أبواب علوم البلاغة، مما أغنى التوجيه البلاغي للقراءات المتنوعة، وأسهم في الكشف عن وجوه جديدة من إعجاز القرآن.

وهذا الفصل سيتناول بالدراسة تبادل القراءات بين أسلوبي الخبر والإنشاء، وأسلوبي الفصل والوصل، وسيتجه إلى الكشف عن الآثار البلاغية لهذا التبادل في نظم القرآن عموماً، ونظم الجملة القرآنية التي شملت هذا التنوع خصوصاً، من خلال المبحثين الآتيين.

المبحث الأول: تبادل القراءات بين الإسنادين الخبري والإنشائي، وأثره في بلاغة النظم.

المطلب الأول: تنوع القراءات بين الإخبار والاستفهام، وأثره في بلاغة النظم.

المطلب الثاني: تنوع القراءات بين الإخبار والأمر، وأثره في بلاغة النظم.

المطلب الثالث: تنوع القراءات بين الإخبار والنهي، وأثره في بلاغة النظم.

المطلب الرابع: تنوع القراءات بين الإخبار والنداء، وأثره في بلاغة النظم.

الجملة المفيدة تدل على أحد أمرين: الخبر، أو الإنشاء؛[1] لأن الكلام – لذاته – إمّا أن يُقالَ فيه إنه مطابق للواقع أو غير مطابق، فهو الخبر، وإمّا ألّا يحتمل أن يقال فيه ذلك، فهو إنشاء.[2]

أولاً: الجملة الخبرية: وهي الجملة التي تشتمل على خبر ما يحتمل الصدق أو الكذب لذاته.[3]

أو الجملة التي لا يتوقف تحقق مدلولها على النطق بها. نحو: الصدق فضيلة، وإنفاق المال في سبيل الخير محمود؛ حيث إن مدلول هاتين الجملتين لا يتوقف على النطق بهما؛ لوجودهما في الواقع قبل نطق المتكلِّم بهما.

ثانياً: الجملة الإنشائية: وهي الجملة الّتي لا تشتمل على خبر يحتمل الصدق أو الكذب.

أو الجملة التي يتوقف تحقق مدلولها على النطق بها، كالأمر، والنهي، والاستفهام، والذمّ، وغيرها.[4]

فالمقصود بأسلوب الخبر: الإعلام بأنَّ الْحُكمَ الّذي اشتملت عليه الجملة له واقع مطابقٌ له خارجَ عبارة المتكلم. أما الإنشاء فلا يقصد منه حكاية ما في الخارج؛ لكونه كلاماً لا يحتمل الصدق أو الكذب، بل يقصد منه إحداث معنى بالكلام لم يكن حادثاً من قبل، كإنشاء طلب الفعل، بقولك: اسقني، أو اجتهد، أو لا

---

(١) يطلق الخبر في اصطلاح النحاة على أحد أمرين: إما المسند الذي تتم به الفائدة في الجملة الاسمية، أو الأسلوب الذي هو قسيم الاستفهام والأمر والنهي وغيره من أساليب الإنشاء. والخبر الذي يقصد بالدراسة في هذا المبحث هو المعنى الثاني الذي يقابل الإنشاء. ولم يرد مصطلح الإنشاء الذي يقابل الإخبار في كتب المتقدمين، بل ورد لديهم ذكر أنواعه، وكان معنى الإنشاء قائماً في أذهانهم وإن لم يعرفوا هذا الاسم. جاء في (أدب الكاتب): "والكلام أربعة: أمر، وخبر، واستخبار، ورغبة. ثلاثة: لا يدخلها الصدق والكذب، وهي: الأمر، والاستخبار، والرغبة. وواحد يدخله الصدق والكذب، وهو الخبر." انظر: أدب الكاتب، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروري الدينوري (٢٧٦هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر، ط٤/١٩٦٣م، ص ٤. ثم وضع المتأخرون مصطلح الإنشاء علماً على الأسلوب الذي يجمع جميع أنواع الكلام الذي لا يحتمل الصدق أو الكذب، أو الذي ليس له نسبة في الخارج تصدقه أو لا تصدقه. واختاروا هذا المصطلح ليجمع أنواع الكلام الطلبي وغيره مما لا ينطبق عليه تعريف الخبر؛ لأن هذه الأنواع معانٍ ينشئها المتكلِّم من ذاته، ليعبِّر بها عن غرضه، ولا يشترط أن يكون لها نسبة في الخارج تصدقها أو تكذبها. انظر: التوجيه البلاغي، ص ٢١٩–٢٢٠.

(٢) مختصر المعاني، ص ٢٩–٣٠.

(٣) أي: لكونه مجرد كلام، دون النظر إلى قائله، ودون النظر إلى كونه مقترناً بما يدل على إثباته حتماً، أو نفيه حتماً، ومدلوله لا يتوقف على النطق به، مثل: طلعت الشمس، نزل الغيث، بعث الله محمداً رسولاً، سيأتي الدجال في آخر الزمان، وقوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [سورة آل عمران/١٥١]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [سورة الجاثية/١١]. أي: إنَّ القصد من تقييد تعريف الخبر بكلمة (لذاته): إدخال الأخبار الواجبة الصدق، كأخبار الله وأخبار رسله، والأخبار الواجبة الكذب كأخبار المتنبئين في دعوى النبوة، والبديهيات المقطوع بصدقها أو كذبها. فكل هذه إذا نظر إليها لذاتها دون اعتبارات أخرى احتملت أحد الأمرين، أما إذا نظر فيها إلى خصوصية المخبِر، أو الخبر تكون متعينة لأحدهما. انظر: البلاغة العربية، ١/١٦٧.

(٤) مختصر المعاني، ص ٢٩–٣٠، وموجز البلاغة، ص ٢٢، والبلاغة العربية، ١/١٦٦–١٦٨.

تكسل، وإنشاء طلب الفهم، بقولك: هل يجوز أن أفعل كذا؟ أو ما حكم كذا شرعاً؟ ونحو ذلك.(١)

فليس القصد من أسلوب الإنشاء الإعلام بأمر تحقق أو لم يتحقق في الواقع، وإن كان يلزم عقلاً فهم أخبار لا تدل عليها الجملة الإنشائية بمنطوقها دلالة مباشرة، بل تدل عليها باللزوم الذهني، نحو: دلالة الاستفهام على أن المستفهم جاهل يطلب الفهم، ودلالة التمني على أن المتكلِّم يتمنى في نفسه ما دلت عليه عبارته.(٢)

والفرق بين الخبر والإنشاء هو أن الخبر يقصد تحقيق المطابقة لما في الواقع أو عدمها، وأن الإنشاء ليس فيه قصد للمطابقة ولا لعدمها؛ لأن مضمون الجملة الإنشائية لا لوجود له في الخارج، خلافاً للخبر.(٣)

ويقسم الإنشاء إلى قسمين: طلبي وغير طلبي، وكل منهما له أنواع وصور متعددة:

فالإنشاء الطلبي يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، وأنواعه هي: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والترجي، والنداء. وهذا النوع من الإنشاء يعنى علم المعاني بدراسته؛ لما فيه من اللطائف البلاغية.

والإنشاء غير الطلبي لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، وأنواعه هي: القسم، والتعجب، والمدح، والذم، وصيغ العقود، نحو: أبيع وأشهد، والأجوبة الدالة على الامتثال، نحو: لبيك، وسمعاً وطاعة.(٤)

وقد دخل تنوع القراءات هذا الباب من أبواب علم المعاني، فأغنى التوجيه البلاغي بما اشتمل عليه من وجوهٍ بلاغية؛ لأن الناظر في بلاغة الكلام يدرك أن كلاً من أسلوبي الخبر والإنشاء له مقام يقتضيه، غير أن تغاير طرق التعبير والجمع بين أسلوبين متخالفين في الآية الواحدة كان مما استرعى نظر الموجهين منذ محاولاتهم الباكرة، فطفقوا يبحثون عن سره، ويعللون له بأوجه عديدة تفسر اجتماعهما، باستقصاء مقامات الخطاب، وتصوير أحوال المخاطبين، دون إغفال المعاني التي تخرج إليها هذه الأساليب عن أصل مرادها.(٥)

وقد دل الاستقراء على أن تبادل القراءات جرى غالباً بين أسلوبي الخبر والاستفهام، ثم بين أسلوبي الخبر والأمر أو النهي، ثم بين أسلوبي الخبر والنداء، والمطالب الآتية ستتناول جميع هذه الصور بالدراسة.

---

(١) موجز البلاغة، ص ٢٢، والبلاغة العربية، ١/١٦٦–١٦٧.

(٢) البلاغة العربية، ١/١٦٧.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة، لجلال الدين أبي عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني (٧٣٩هـ)، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط٣/د.ت.، ١/٥٦.

(٤) راجع: الإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٣٠–١٤٤، ومختصر المعاني، ص ١٣٠–١٤٥، وموجز البلاغة، ص ٢٢، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، ١/٩١–١١٧.

(٥) التوجيه البلاغي، ص ٢٢١.

المطلب الأول: تنوع القراءات بين الإخبار والاستفهام، وأثره في بلاغة النظم.

الاستفهام: هو طلبُ الفهم فيما يكون المستفهَمُ عنه مجهولاً لدى المتكلّم، بواحد من أدوات الاستفهام: الهمزة (أصل أدواتِ الاستفهام كلّها)، وهل، ومن، ومتى، وأيان، وأين، وأنى، وكيف، وكم، وأي.(١)

والغرض الأصلي من الاستفهام: طلب الإفهام؛ لتحصيل فائدة مجهولة لدى المُستفهِم، وكل أداة من أدواته لها معنى تدل عليه أصالة، وقد تخرج عن معناها الأصلي لمعانٍ أخرى تفهم من القرائن والسياق،(٢) والمقام لا يتسع لبسط القول فيها، وسيتعرض هذا المطلب لذكر المعاني التي تدل عليها الأداة موضع الدراسة.

---

(١) تنقسم أدوات الاستفهام إلى ثلاثة أقسام: ١- ما يُسْتَفْهَمُ به عن التصور والتصديق، وهو الهمزة. ٢ – ما يُسْتَفْهَمُ به عن التصديق فقط، وهو هل. ٣- ما يُسْتَفْهَمُ به عن التصور فقط، وهو باقي الأدوات. والتصور: هو إدْراكُ المفرد، ويُطْلَبُ بالاستفهام عن التصّور إدْراكُ المسند إليه، أو إدْراكُ المسند، لتعيينه، ويكونُ الجوابُ بتعيينِ المسؤول عنه، مُسْنداً كان أو مُسنداً إليه. مثل: أضَرَبَ خالدٌ أَمْ أكل؟ والجواب: ضرب أو أَكل. أضُرِبَ زَيْدٌ أم عَمْرٌو؟ والجواب: عَمْرو أو زَيْدٌ. متى يُفْطِرُ الصّائم؟ والجواب: إذا غربتِ الشمس. التصديق: هو إدْراك النسبة الحكميّة بين المسند والْمُسْنَد إليه، موجبةً كانت أو سالبة. مثل: هل بُعِثَ خاتم المرسلين؟ والجواب: نعم، بُعِث. انظر: البلاغة العربية، ٢٥٨/١.

(٢) **الهمزة:** لطلب التصديق، نحو: أقام زيد؟ وأزيد قائم؟ أو التصور، نحو: أدِبْس في الإناء أم عَسَل؟. و(**هل**): لطلب التصديق فقط، نحو: هل قام زيد؟ وهل عمرو قاعد؟. و(**ما**): للاستفهام عن غير العقلاء، نحو: ما اللُّجَيْن؟ وجوابه: الفضّة. أو لشرح الاسم، نحو: قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الشعراء/٢٣]، فأجابه موسى مفسراً معنى: (رب العالمين): ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [سورة الشعراء/٢٤]. أو لشرح ماهية وحقيقة المسمى، نحو: ما الحَسَد؟ وجوابُه: تَمَنّي زَوالِ النعمة عن المحسود. وأما (**مَنْ**): فيُطْلَبُ بها تعيينُ أحد العقلاء، نحو: ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [سورة آل عمران/١٣٥]، وأما (**متى، وأيّان**): فللسؤال عن الزمان، نحو: متى جئت؟ وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴾ [سورة الذاريات/١٢]. (**كَيْفَ**): ويُسْتَفْهَمُ بها عن الحال، ويُطلَبُ بها تعيينُ الحال، نحو: ﴿وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً﴾ [سورة البقرة/٢٥٩]. (**أَيْنَ**): ويُسْتَفْهَمُ بِهَا عن المكان، نحو: ﴿يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ [سورة القيامة/١٠]. وأما (**أنّى**) فتستعمل تارة بمعنى كيف، نحو: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [سورة البقرة/٢٢٣] أي: كيف شئتم، وأخرى بمعنى: من أين، نحو: ﴿أَنَّى لَكِ هَذَا﴾ [سورة آل عمران/٣٧] أي: من أين لك هذا؟ أما (**أي**) فللسؤال عما يميز أحد المتشاركين في أمر يعمهما، نحو: قوله تعالى: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾ [سورة مريم/٧٣] أي: أنحن أم أصحاب محمد ﷺ؟ وقوله: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ [سورة النمل/٣٨] أي: الإنسي أم الجني؟ وأما (**كم**) فللسؤال عن العدد، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [سورة الكهف/١٩]. ثم إنَّ هذه الألفاظ تستعمل كثيراً في معانٍ أخرى غير طلب الاستعلام عن أمر ما بحسب ما يناسب المقام، منها الاستبطاء، نحو: قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة/٢١٤]. ومنها التعجب، نحو قوله: ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ [سورة النمل/٢٠]. ومنها الوعيد، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة المرسلات/١٦]. ومنها الأمر، نحو قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة هود/١٤]. ومنها الإنكار: إما للتوبيخ، والتكذيب، كقوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا﴾ [سورة الإسراء/٤٠]. ومنها التهكم، نحو: ﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ [سورة هود/٨٧]. ومنها التوبيخ والتعجيب جميعاً، كقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة/٤٤]. راجع: بغية الإيضاح، ٩٣/١–١٠٩، والبلاغة العربية، ٢٥٩/١–٣٠٣.

وقد ورد التبادل بين أسلوبي الخبر والاستفهام في القراءات المتواترة، وهذا المطلب سيتناول بالدراسة بعض القراءات المتبادلة بين هذين الأسلوبين؛ ليبيِّن الوجوه البلاغية الناتجة عن هذا التبادل، وأثر كل أسلوب من الأسلوبين في بلاغة نظم القرآن.

وقبل الشروع بدراسة الأثر البلاغي لمثل هذا التبادل لا بد من التذكير بأنه إذا حصل التعارض بين معاني القراءات المتواترة فلا يمكن ترجيح إحداها ترجيحاً يسقط القراءات الأخرى؛ لأن القراءات المتواترة في قوة الثبوت سواء، بل لا بد من التوفيق بينها.

ومن المعلوم أن أسلوبي الخبر والاستفهام يتعارضان في معناهما الأصلي؛ حيث يقتضي أسلوب الخبر أن المتكلِّم عالم بمقتضى الكلام ومضمونه، ويدل أسلوب الاستفهام على أن المتكلم جاهل بالجواب يطلب الإفهام عن مضمونه، ولذلك حاول المفسرون التوفيق بين معنيي الأسلوبين في الجمل القرآنية المتنوعة القراءات بعدة أساليب، منها: تأويل معنى إحدى القراءتين بما يتناسب مع القراءة الأخرى، أو حمل قراءة الإخبار على معنى الاستفهام بتقدير أداة استفهام محذوفة، أو إخراج قراءة الاستفهام عن معناها الأصلي إلى معنى آخر من المعاني الفرعية التي تدل عليها أدوات الاستفهام بالقرائن.

والأمثلة الآتية تبيِّن كيف تناول المفسرون القراءات المتنوعة وكيف أوَّلوها، وتبيِّن الوجوه البلاغية الناتجة عن هذا التعدد، وأثرها في نظم القرآن.

اختلف قراء المتواتر في قراءة قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ [سورة آل عمران/٧٣]. فقرأ ابن كثير ﴿آنْ يُؤْتَى﴾ بالمد على الاستفهام، وقرأ الباقون: ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾ على الإخبار.[١]

وهذه الآية من مشكلات القرآن وأصعبها تفسيراً، ومرد ذلك إلى نظم الآية وطريقة تأليفها،[٢] وليس إلى اختلاف قراءاتها، وإن كانت قراءة ابن كثير أوضح معنى من قراءة الجمهور.

وأشهر الوجوه في تأويل معنى الآية على قراءة ابن كثير ثلاثة:

الأول: أن يكون (أَن يُؤْتَى) على حذف حرف الجر - لام التعليل – والمُعَلَّل محذوف، والتقدير: ألأن يؤتى أحدٌ شرائعَ مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبَّرتموه، أو تحسدونه، أو تُنْكِرون اتباعه؟ وحُذِف الجواب؛ للاختصارِ،

---

(١) السبعة، ص ٢٠٧، والتيسير، ص ٦٩، والنشر، ٤١٣/١، وتحبير التيسير، ص ٣٢٤.

(٢) روح المعاني، ٢٠١/٣.

وهذا الحذفُ كثير؛ ومنه قول الرجل بعد طول العتاب لصاحبه، وتعديده عليه ذنوبه بعد كثرة إحسانه إليه: أَمِنْ قلة إحساني إليك ؟ أَمِنْ إساءتي إليك ؟ والمعنى: أمن هذا فعلتَ ما فعلتَ؟(١)

الثاني: (أَن يُؤْتَى) في محل رفع بالابتداء، والخبر محذوف، تقديره: أأن يُؤتَى أحَدٌ من الكتاب والعلم مثل ما أوتيتم تصدقون به، أو تعترفون به؟ أو: أإتيان أحد مثل ما أوتيتم ممكن أو مصدق به.(٢)

الثالث: أن يكون موضع (أَن يُؤْتَى) النصب على إضمار فعل، تقديره: أتقرون، أو أتشيعون ذلك، أو أتذكرون، ونحوه. والمعنى: أتقرون لأحد من المسلمين أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم؟ وهذا الوجه هو أولى الوجوه – كما يرى مكي بن أبي طالب – لأن الاستفهام بالفعل أولى؛ لأنك عن الفعل تستفهم.

وبذلك يكون معنى الآية على هذا الوجه من وجوه تفسير الاستفهام كمعنى قوله تعالى: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ [سورة البقرة/٧٦] أي: أتحدثون المسلمين بما وجدتم من صفة نبيهم ﷺ في كتابكم، ليحاجوكم به عند ربكم.(٣)

والاستفهام على قراءة ابن كثير توبيخ من الأحبار للأتباع على تصديقهم بأن محمداً ﷺ نبي مبعوث؛ لتأكيد الإنكار. أي: إنَّ الاستفهام في هذه الآية كالاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۞ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [سورة القلم/١٤-١٥].(٤)

أما أسلوب الخبر في قراءة الجمهور فقد حمله بعض المفسرين على معنى الإخبار، ثم ذكروا وجوهاً عديدة في تأويل المعنى، أشهرها:(٥)

أولاً: أن قوله: ﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ محمول على النفي بتقدير (لا) نافية محذوفة؛ لدلالة الكلام عليها،(٦) وتكون (أو) بمعنى (إلاَّ أن)، كقولك: لألزمنك أو تقضيني حقي.

---

(١) معالم التنزيل، ٢/٥٥، ومفاتيح الغيب، ٨/٨٥، ومدارك التنزيل، ١/٢٤٧، والدر المصون، ٣/٢٥٢-٢٥٣، واللباب، ٥/٣٢٥.

(٢) حجة الفارسي، ٣/٥٥، ومشكل إعراب القرآن، ١/١٦٣، وزاد المسير، ١/٤٠٧.

(٣) حجة الفارسي، ٣/٥٥–٥٦، ومشكل إعراب القرآن، ١/١٦٣، والكشف عن وجوه القراءات، ١/٣٤٨، وزاد المسير، ١/٤٠٨، والجامع لأحكام القرآن، ٤/١١٢، والبحر المحيط، ٢/٥٢٠، والدر المصون، ٣/٢٥٤.

(٤) الكشف عن وجوه القراءات، ١/٣٤٧، والمحرر الوجيز، ١/٤٥٦، ومفاتيح الغيب، ٨/٥٨، واللباب، ٥/٣٢٥.

(٥) المحرر الوجيز، ١/٤٥٦–٤٥٧، والدر المصون، ٣/٢٥٢-٢٥٦، واللباب، ٥/٣٢٣–٣٢٥.

(٦) حمل بعض المفسرين (أن) على النفي بدلاً من تقدير (لا) محذوفة؛ لأن (أنْ) تأتي أحياناً للنفي كما تأتي (لا). ونقله بعضهم أيضاً عن الفراء. انظر: البحر المحيط، ٢/٥١٩، والدر المصون، ٣/٢٥٥، واللباب، ٥/٣٢٤.

ومعنى الآية على هذا التأويل: أنهم أرادوا تعليل قولهم: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [سورة آل عمران/٧٣] بتقدير لام تعليل محذوفة قبل أن المصدرية - وهو حذف شائع مثله - ثم تقدير حرف نفي بعد (أن) يدل عليه السياق، ويقتضيه لفظ (أحد) المراد منه شمول كل أحد؛ لأن ذلك اللفظ لا يستعمل مراداً منه الشمول إلا في سياق النفي. وحذف حرف النفي بعد لام التعليل – سواء أكانت ظاهرة أو مقدرة - كثير في الكلام، ومنه قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [سورة النساء/١٧٦]، أي: لئلا تضلوا. (١)

وتقدير المعنى: ولا تؤمنوا بشيء لأي أحد إلا لمن تبع دينكم؛ لئلا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، إلا أن يحاجوكم.(٢) والقصد من هذا الكلام: تثبيت أنفسهم على ملازمة دين اليهودية.(٣)

وقيل: الكلام على هذا الوجه فيه تقديم وتأخير، واللام زائدة. والمعنى أن علماء اليهود قالوا لأتباعهم: لا تصدقوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم والكتاب، والحجة، والمن والسلوى، وفلق البحر، وغيرها من الفضائل والكرامات. أي: إنها لا تكون إلا فيكم، فلا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا من تبع دينكم.(٤)

ثانياً: جملة (أَن يُؤْتَى) مجرورة بحرف تعليل مقدر، والمُعَلَّل محذوف، تقديره: لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من فَضْل العلم والكتاب دعاكم إلى أن قُلْتُم ما قلتم، ودبَّرتم ما دبَّرتم، لا لشيء آخر. ويؤيده قراءة ابن كثير على الاستفهام؛ فإنها تدل على انقطاع قوله: (أَن يُؤْتَى) عما قبله، واستقلاله بالإنكار والتوبيخ والتقريع.(٥)

ثالثاً: أن ينتصب (أَن يُؤْتَى) على المفعول لأجله، والتقدير: مخافةَ أو كراهة أن يُؤتَى. وبذلك يكون قوله: ﴿أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ من تمام قول الطائفة، وليس داخلاً تحت قوله: (قل). أي: فعلتم ذلك حسداً وخوفاً من أن تذهب رئاستكم ويشارككم أحد فيما أوتيتم من فضل العلم، ومخافةَ أن يحاجوكم عند

---

(١) البحر المحيط، ٥١٩/٢–٥٢٠، والدر المصون، ٢٥٥/٣، واللباب، ٣٢٤/٥، والتحرير والتنوير، ١٢٨/٣.

(٢) التحرير والتنوير، ١٢٨/٣.

(٣) وقال الزجاج: معنى الآية: لا تجعلوا تصديقكم النبي ﷺ في شيء مما جاء به إلا لليهود؛ فإنكم إن قلتم ذلك للمشركين كان عوناً لهم على تصديق محمد ﷺ. انظر: معاني الزجّاج، ٤٣٠/١، وزاد المسير، ٤٠٧/١.

(٤) زاد المسير، ٤٠٦/١-٤٠٧، والجامع لأحكام القرآن، ١١٣/٤.

(٥) الكشاف، ٤٠١/١، وفتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للإمام الطيبي الحسين بن عبد الله (٧٤٣هـ)، دراسة وتحقيق لسورة آل عمران، رسالة معدة لنيل درجة الماجستير، إعداد: حسن بن أحمد بلغيث العمري، بإشراف: د.حكمت بشير ياسين، الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، كلية القرآن الكريم، قسم التفسير، عام ١٤١٦هـ، ص ١٥١، وأنوار التنزيل، ٥٣/٢، والدر المصون، ٢٥٣/٣-٢٥٤، واللباب، ٣٢٣/٥، وروح المعاني، ٢٠٠/٣.

ربكم، أي: يقيمون الحجة عليكم عند الله؛ إذ كتابكم يثبت نبوة رسول الله ﷺ، ويلزمكم أن تؤمنوا به وتتبعوه.(١)

ومما يؤيد هذا المعنى قوله بعده: (قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء)، ويؤيده أيضاً قراءة ابن كثير على الاستفهام الذي معناه الإنكار عليهم والتقريع والتوبيخ؛ لأن الاستفهام بمعنى الإنكار مثبت من حيث المعنى، أي: ألمخافة أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، أو يحاجوكم عند ربكم قلتم ذلك وفعلتموه؟(٢)

رابعاً: (أَن يُؤْتَى) منصوب بفعل مضمر يدل عليه قوله: ﴿وَلا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [سورة آل عمران/٧٣]؛ لأن قولهم هذا إنكار لأن يؤتى أحد مثل ما أوتوا، والمعنى: قل إن الهدى هدى الله، فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم.(٣)

خامساً: أن يكون (هُدَى اللَّهِ) بدلاً من (الْهُدَى)، ويكون (أَحَدٌ) خبر (أَن يُؤْتَى)، والتقدير: قُلْ إنَّ هدى الله أن يؤتى أحد، أو: إن هدى الله آتٍ أحداً مثل ما أوتيتم، و(أوْ) بمعنى (حتى)، والمعنى: حتى يحاجوكم عند ربكم، فيغلبوكم ويدحضوا حُجَّتَكم عند الله، و(يُحَاجُّوكُمْ) ليس معطوفاً على (أَن يُؤْتَى) وداخلاً في خبر (إن).(٤)

سادساً: أن يكون (أَن يُؤْتَى) بدلاً من (هُدَى اللَّهِ)، والمعنى: قُلْ: إن الهدى هدى الله، وهو أن يؤتى أحد كالذي جاءنا نحن، ويكون قوله: (أَوْ يُحَاجُّوكُمْ) بمعنى: فليحاجوكم، فإنهم يغلبونكم.(٥)

وكل وجه من الوجوه المذكورة هو موضع نقاش وأخذ ورد لدى المفسرين، بحيث يكاد لا يسلم واحدٌ منها من النقد، وهناك أيضاً وجوه أخرى ذكرها المفسرون في تقدير المعنى على القراءتين، والمذكور هو الأشهر.(٦)

وقد حمل بعض المفسرين أسلوب الخبر في قراءة الجمهور على معنى الاستفهام، فذهب إلى أن الآية على قراءة الجمهور تعني: أنهم أرادوا إنكار أن يؤتى أحد النبوة كما أوتيها أنبياء بني إسرائيل، فالكلام على هذه القراءة بمعنى الاستفهام الإنكاري، أي: إنَّ الجملة خبرية في الظاهر، لكنها في حقيقتها استفهامية تفيد الإنكار والتوبيخ،

---

(١) وقال مكي: المعنى: لا تؤمنوا أن محمداً ﷺ وأصحابه على حق إلا لمن تبع دينكم؛ مخافة أن يطلع أحد على عنادكم الحق، ويحاجوكم به عند ربكم. انظر: مشكل إعراب القرآن، ١/١٦٤، وزاد المسير، ١/٤٠٧.

(٢) البحر المحيط، ٢/٥١٨، والدر المصون، ٣/٢٥٥، واللباب، ٥/٣٢٤، وروح المعاني، ٣/٢٠١.

(٣) الكشاف، ١/٤٠١، والدر المصون، ٣/٢٥٤، واللباب، ٥/٣٢٣، وروح المعاني، ٣/٢٠١.

(٤) الكشاف، ١/٤٠١، وأنوار التنزيل، ٢/٥٣، والبحر المحيط، ٢/٥١٨، والدر المصون، ٣/٢٥٤، واللباب، ٥/٣٢٤، وروح المعاني، ٣/٢٠٠.

(٥) المحرر الوجيز، ١/٤٥٦، والدر المصون، ٣/٢٥٤-٢٥٥، واللباب، ٥/٣٢٤.

(٦) راجع: الجامع لأحكام القرآن، ٤/١١٢-١١٤، والبحر المحيط، ٢/٥١٨-٥٢٠، والدر المصون، ٣/٢٥٢-٢٥٦، واللباب، ٥/٣٢٣-٣٢٧.

وحذفت منها أداة الاستفهام لدلالة السياق عليها، ومما يؤيد ذلك قراءة ابن كثير بهمزتين على الاستفهام.(١)

فالاستفهام في قراءة ابن كثير ظاهر في دلالته على التوبيخ والإنكار، ومن حمل قراءة الجمهور على معنى الإخبار؛ فلما يدل عليه الظاهر، ومن حملها على معنى الاستفهام فقد استدل بالقراءة الأخرى وراعى دلالة الآية على التوبيخ والاستنكار، وأراح نفسه من عناء البحث في الوجوه المختلفة التي يحتملها معنى الإخبار.

ولا تخفى وجوه البلاغة في قراءة ابن كثير التي تخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى معنى الاستنكار والتوبيخ بدلالة السياق، وإن كانت قراءة الجمهور أعم وأوسع معنى من حيث كثرة الوجوه التي يحتملها معنى الإخبار؛ مما يجعل الآية على قراءة الجمهور وحدها – بوجوه تأويلها المتعددة – بمثابة أكثر من عشر آيات، كل واحدة منها تكاد تنافس الأخرى في بلاغتها، ولا يوجد إيجاز في أي كلام بليغ أبلغ من هذا الإيجاز.

ورأى الفارسي أن قراءة الجمهور أرجح من الأخرى؛ لأن (أحد) تدل على الواحد والكثرة، وهي في قراءة ابن كثير تدل على الكثرة بدلالة جمع ضميره في قوله: (أو يحاجوكم) حملاً على المعنى، ولذلك رأى أن هذا الموضع ينبغي فيه أن ترجح قراءة الجمهور على قراءة ابن كثير؛ لأن الأسماء المفردة — مثل (أحد) — ليس بالمستمر أن تدل على الكثرة، ولأن الاستفهام في قراءة ابن كثير للتوبيخ والتقرير، وإذا كان للتقرير فهو للإيجاب، وإذا كان بمعنى الإيجاب لم يجز دخول (أحد) عليه، كما لم يجز دخولها في الإيجاب.(٢)

وقد ردَّ ابن عطية على الحجة الأولى بأن (أحد) في مثل النبوة تدل على الكثرة؛ لأنها تقتضي الأتباع.(٣)

وأرد على الحجة الثانية بأن أكثر المفسرين حملوا الاستفهام على الإنكار الذي يفيد النفي وليس الإيجاب، وهذا يحسّن دخول (أحد) عليه؛ لأن لفظ أحد يراد به الشمول؛ وهو لا يستعمل مراداً منه الشمول إلا في سياق النفي. فالقراءتان في قوة البلاغة من هذه الناحية سواء.

وتعدد القراءات في هذه الآية لتكثير المعاني، والتفنن في إلقاء المعنى، وهذا دليل سماوية وإعجاز النظم الذي ضم كل تلك المعاني في جملة واحدة، ثم أداها بأساليب مختلفة لا ينفي واحد منها الآخر، ولا يخل ببلاغته.

ومما ورد على التبادل بين أسلوبي الخبر والاستفهام من القراءات المتواترة قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [سورة الأعراف/٨١]. حيث قرأ المدنيّان وحفص ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ

---

(١) التحرير والتنوير، ١٢٨/٣.

(٢) حجة الفارسي، ٥٦/٣–٥٧.

(٣) المحرر الوجيز، ٤٥٥/١.

الرِّجَالَ﴾ على الإخبار، وقرأ الباقون: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ على الاستفهام.[1]

وقوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة العنكبوت/٢٨]. حيث قرأ الحرميان وابن عامر وحفص وأبو جعفر ويعقوب ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ﴾ على الإخبار، وقرأ الباقون: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ﴾ على الاستفهام.[2]

والاستفهام في قراءة الآيتين ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ وقوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ ظاهر في دلالته على التوبيخ والإنكار والتقريع.[3]

أما الإخبار في القراءة الأخرى فيحتمل أمرين:

الأول: أن تكون الآيتان على صيغة الخبر في الظاهر، لكنهما في الحقيقة استفهاميتان، على تقدير همزة استفهام محذوفة للتخفيف، ولدلالة ما قبلها عليها.[4]

والثاني: أن يكون قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ [سورة الأعراف/٨١]. وقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ [سورة العنكبوت/٢٨] خبراً مستعملاً في التوبيخ والاستنكار، وجملة: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ مبينة لجملة ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ [سورة الأعراف/٨٠]، والبيان راجع إلى الشيء المنكر بهمزة الإنكار في (أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ) في قوله: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأعراف/٨٠].[5]

وقد اختار أبو عبيد قراءة الخبر محتجاً بأنَّ الجملة القرآنية ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ [سورة الأعراف/٨١] على التفسير للفاحشة المذكورة، فلم يحسن إدخال الاستفهام عليه؛ لأنه يقطع ما بعده عما قبله. واستدل بقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَئِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [سورة آل عمران/١٤٤]، وقوله: ﴿أَفَئِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [سورة الأنبياء/٣٤]. حيث لم يقل: (أَفَئِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ)، (أَفَئِنْ مِتَّ أَفَهُمْ)؛ لأن (انقلبتم، وفهم) على التفسير للفعلين المستفهَم عنهما، فهما بمنزلة شيء واحد كالمبتدأ والخبر، فلا

---

(١) السبعة، ص ٢٨٦، والتيسير، ص ٨١، والنشر، ٤٢١/١، وتحبير التيسير، ص ٣٧٤. وينبغي الانتباه إلى أن كل قارئ ممن قرأ بالاستفهام يقرأ على أصوله المذكورة في باب الهمزتين المجتمعتين في كلمة واحدة، فليرجع إليها في كتب القراءات.

(٢) السبعة، ص ٤٩٩، والتيسير، ص ١١٤، والتلخيص في القراءات، ص ٣٦٢، والنشر، ٤٢٢/١، وتحبير التيسير، ص ٥٠١.

(٣) مفاتيح الغيب، ١٣٧/١٤، والبحر المحيط، ٣٣٧/٤، وج١٤٥/٧، والدر المصون، ٣٧٢/٥، واللباب، ٢٠٥/٩، وروح المعاني، ١٥٣/٢٠. وقد ذهب الشوكاني إلى أن إعادة الاستفهام في آية الأعراف يدل على المبالغة في التوبيخ والتقريع؛ لتكرار الاستفهام الإنكاري في قراءة الاستفهام. انظر: فتح القدير، ٣٢٤/٢.

(٤) التحرير والتنوير، ١٧٩/٨، ١٦٢/٢٠.

(٥) الموضِّح، ٥٣٧/٢، ومفاتيح الغيب، ١٣٧/١٤، والبحر المحيط، ٣٣٧/٤، ١٤٥/٧، والدر المصون، ٣٧٢/٥، وفتح القدير، ٣٢٤/٢.

يحسن أن يكون فيهما استفهامان، كما لا يجوز: أزيد أمنطلق.(١)

واختار الخليل وسيبويه وتابعهما مكي قراءة الاستفهام؛ لأن الجملتين ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾، ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ جملتان مستقلتان، وكلٌّ واحد من الاستفهامين جملة مستقلة غير محتاجة في تمامها إلى شيء آخر، فلك أن تستفهم عن كل واحدة منهما.(٢)

وأما ما ذكره أبو عبيد من كون جملة ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ على التفسير لما قبلها فلا وجه له؛ لاستقلال كل جملة من الجملتين وعدم افتقارها إلى ما يفسرها، بخلاف الآيتين اللتين استدل بهما؛ لأن الفعل (انقلبتم) وجملة (فهم الخالدون) فيهما وقعتا جواباً للشرط، فلم يحسن انفصالهما عما قبلهما بالاستفهام. وقد ورد في التنزيل إعادة الاستفهام لانفصال الجملتين في قوله تعالى: ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [سورة يونس/٥٩].(٣)

وقد ورد مثل هذا التبادل بين أسلوبي الخبر والاستفهام في القراءات المتواترة والشاذة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ [سورة التوبة/٣٨]. حيث قرأ قراء المتواتر ﴿اثَّاقَلْتُمْ﴾ على الإخبار، وقرئ في الشاذ (أَثَّاقَلْتُمْ) على الاستفهام.(٤)

وجمهور المفسرين على أن القراءة المتواترة خبر مستعمل في التوبيخ؛ بدلالة الاستفهام الإنكاري في قوله: (مَا لَكُمْ)، وأن الاستفهام في القراءة الشاذة استفهام إنكاري توبيخي، والقراءتان متفقتان في المعنى.(٥)

و كلمة ﴿اثَّاقَلْتُمْ﴾ في القراءة المتواترة وقعت في محل جواب الشرط، والأولى في جملة الشرط ألا يدخل الاستفهام على جوابه، فهي كقوله تعالى: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [سورة آل عمران/١٤٤]، وقوله: ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [سورة الأنبياء/٣٤]. حيث لم يقل: (أَنْقَلَبْتُمْ)، (أَفَهُمُ)؛ لأن (انقلبتم، فهم) وقعا جواباً للشرط، فلم يحسن دخول الاستفهام عليهما؛ لأن الشرط وجوابه بمثابة شيء واحد كالمبتدأ والخبر، ولأن دخول همزة الاستفهام على الجواب يمنع عمل أداة الشرط فيه؛ لأنَّ ما بعد حرف الاستفهام لا يعمل فيه ما قبل حرف الاستفهام.

---

(١) حجة ابن خالويه، ص ١٥٨، والكشف عن وجوه القراءات، ٤٦٨/١، والجامع لأحكام القرآن، ٢٤٥/٧–٢٤٦، وفتح القدير، ٣٢٤/٢.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات، ٤٦٨/١، ومفاتيح الغيب، ١٣٧/١٤، والجامع لأحكام القرآن، ٢٤٥/٧ – ٢٤٦، واللباب، ٢٠٥/٩، وفتح القدير، ٣٢٤/٢.

(٣) حجة ابن خالويه، ص ١٥٨.

(٤) أنوار التنزيل، ١٤٥/٣، والبحر المحيط، ٤٣/٥.

(٥) أنوار التنزيل، ١٤٥/٣، والبحر المحيط، ٤٣/٥، وغرائب القرآن، ٤٦٩/٣، وإرشاد العقل، ٦٥/٤، وفتح القدير، ٥٢٥/٢.

وبذلك يكون العاملُ في هذا الظَّرف إمَّا الاستقرارَ المقدَّر في (لكم)، أو مضمراً مدلولاً عليه باللَّفظ، والتقدير: ما تصنعون إذا قيل لكم.(١) والأظهر تقدير لفظ يدل عليه (أَثَّاقَلْتُمْ) الذي دخلت عليه همزة الاستفهام؛ ليكون اللفظ المُقدَّر مدلولاً عليه من حيث اللفظِ والمعنى. أي: ما لكم تتثاقلون إذا قيل لكم انفروا، وحُذِف؛ لدلالة (اثاقلتم) عليه.(٢)

فهذا المثال يصلح أن يكون محلاً للاختلاف بين المفسرين؛ لأن ﴿اثَّاقَلْتُمْ﴾ وقعت في محل جواب الشرط، بخلاف (إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ) في آيتي الأعراف والعنكبوت.

ولذلك أرجِّح أن القراءتين المتواترتين في قوة البلاغة سواء، ووجه البلاغة في نظم القرآن في الآيتين — موضع الدراسة – يرجع إلى التفنن والتنويع في طرق إلقاء الخطاب: بأسلوب الخبر المستعمل في التوبيخ في بعض القراءات، وبأسلوب الاستفهام الإنكاري في بعضها الآخر.

ومما يدعوني إلى هذا الاعتقاد أن قراء المتواتر اتفقوا على قراءة الآية ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ [سورة العنكبوت/٢٩] بأسلوب الاستفهام، بعد اختلافهم في الآية السابقة لها؛ حيث أعتقد أن اختلاف القراءات في الآية السابقة، والاتفاق في هذه الآية للتنويع والتفنن لا أكثر، وإلا فالقصد إلى التوبيخ والاستنكار في آيتي الأعراف وآيتي العنكبوت ظاهر في جميع الآيات، وعلى جميع الوجوه المذكورة في تأويل قراءة الخبرية.

وقد ورد أيضاً على التبادل بين أسلوبي الخبر والاستفهام من القراءات المتواترة قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [سورة الأعراف/١١٣]. حيث قرأ الحرميان وحفص وأبو جعفر ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ على الإخبار، وقرأ الباقون: ﴿أئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ على الاستفهام، وهم على مذاهبهم المذكورة في باب الهمزتين من كلمة.(٣)

فأما الاستفهام في قراءة الجمهور فعلى أصله في الدلالة على الاستعلام والاستخبار عن المستفهَم عنه، ومما يدل على ذلك ظاهر جواب فرعون بـ(نَعَمْ) في الآية التالية: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [سورة الأعراف/١١٤]، حيث يدل جوابه بـ(نعم) على أنهم كانوا يستفهمون عن جزاء سحرهم.(٤)

---

(١) الكشاف، ٢/٢٥٨، وإرشاد العقل، ٤/٦٥، وفتح القدير، ٢/٥٢٥، وروح المعاني، ١٠/٩٥.

(٢) البحر المحيط، ٥/٤٤، والدر المصون، ٦/٥٠، واللباب، ١٠/٩٢، وإرشاد العقل، ٤/٦٥.

(٣) السبعة، ص ٢٨٩، والمبسوط، ص ٢١٢، والتيسير، ص ٨١، والنشر، ١/٤٢١، وتحبير التيسير، ص ٣٧٥-٣٧٦.

(٤) الموضِّح، ٢/٥٤٧، وفتح القدير، ٢/٣٣٧، والتحرير والتنوير، ٨/٢٣٢.

ومعنى الآية على هذه القراءة: لمَّا علم السحرة أن فرعون شديد الحرص على أن يكونوا غالبين، وخافوا أن يسخرهم فرعون بدون أجر، سألوه: هل سيجعل لهم أجراً إن غلبوا أو لا؟ فأجابهم فرعون: نعم لكم الأجر والقرب إن غلبتم.(١)

وأما قراءة نافع وحفص وغيرهما فتحتمل وجهين:(٢)

الأول: أن الآية على الاستفهام، وهمزة الاستفهام محذوفة تخفيفاً.

والثاني: أن يكون المعنى على هذه القراءة على الخبرية، لإيجاب الأجر واشتراطه، كأنهم قالوا: بشرط أن تجعل لنا أجراً إن غلبنا.(٣) ويحتمل أنهم قالوا ذلك؛ لأنهم وثقوا بحصول الأجر لهم، حتى صيروه في حيز المخبر به عن فرعون، فقطعوا ذلك لأنفسهم في حكمهم إن غلبوا. أي قالوا: يجب لنا الأجر إن غلبنا، فألزموا فرعون أن يجعل لهم مالاً إن انتصروا. وهنا يُحمَل جواب فرعون بـ(نعم وإنكم لمن المقربين) على التقرير لما أخبروا به عنه، حيث أقر لهم بما ألزموه، وزادهم على ما طلبوا.(٤)

وقد رجَّح مكي وأبو علي الفارسي قراءة الاستفهام، محتجين بأن السحرة أرادوا أن يعلموا هل لهم أجر أم لا، ولم يقطعوا على أن لهم الأجر، وبأن قراءة الخبر تحتمل معنى الاستفهام، وبإجماع القراء في الشعراء على القراءة بالاستفهام في قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [سورة الشعراء/٤١].(٥)

ورجَّح الآلوسي أن يكون الخبر في قراءة نافع وغيره على معنى الاستفهام، أي: أرادوا همزة الاستفهام، ولكنهم حذفوها من اللفظ وإن كانت باقية في المعنى، محتجاً بأن توافق القراءتين أولى من تخالفهما.(٦)

وأرى أنه لا وجه لترجيح قراءة على أخرى في الأعراف، أو وجه من وجوه قراءة الخبر على آخر، بل الأولى حمل الخبر والاستفهام على معانٍ وأحوال متعددة، فيُحمَل اختلاف القراءات في آية الأعراف، والاتفاق في آية

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٢٥٨/٧، والتحرير والتنوير، ١٣٩/١٩.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات، ٤٧٢/١–٤٧٣، والمحرر الوجيز، ٤٣٨/٢، والبحر المحيط، ٣٦٠/٤، والدر المصون، ٤١٤/٥، واللباب، ٢٥٧/٩، والبحر المديد، ٣٨١/٢، وروح المعاني، ٢٤/٩، والتحرير والتنوير، ٢٣٢/٨.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات، ٤٧٢/١، وروح المعاني، ٢٤/٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ٢٥٨/٧، وفتح القدير، ٣٣٧/٢–٣٣٨، والتحرير والتنوير، ٢٣٢/٨.

(٥) حجة الفارسي، ٦٥/٤، والكشف عن وجوه القراءات، ٤٧٣/١، ومفاتيح الغيب، ١٦٣/١٤–١٦٤، واللباب، ٢٥٧/٩، وروح المعاني، ٢٤/٩.

(٦) روح المعاني، ٢٤/٩.

الشعراء على تعدد الانفعالات بتعدد السحرة.

وبيان ذلك: أن كل ساحر من سحرة فرعون قد انفعل انفعالاً أدى به مطلوبه: فالشجاع قال لفرعون: (إِنَّ لَنَا لأَجْراً)، فحكم بضرورة وجود الأجر. وغيره شك فاستفهم – على ما يقتضيه الاستفهام من الاستعلام – وفي الاستفهام لا يتحتم الأجر؛ لأنه من الجائز أن يرد الفرعون قائلاً: لا أجر لكم، وقد يجيب بعكس ذلك.

والقرآن الكريم قد غطى جميع هذه الحالات والانفعالات، فأدى آية الأعراف بوجهين: بالخبر المنبئ عن حال الواثقين من سحرة فرعون، والاستفهام المنبئ عن حال الشاكّين منهم. ومن ثم غطى هذه الأحوال في القرآن الكريم عامة، فأتى بالقصة على صيغة الإخبار في بعض قراءات آية الأعراف، وأتى بها على أسلوب الاستفهام في سورة الشعراء،[(١)] وهذا من جمالية الإيجاز والتفنن في نظم القرآن.

ومما ورد على التبادل بين أسلوبي الخبر والاستفهام من المتواتر قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [سورة يوسف/٩٠]. حيث قرأ ابن كثير وأبو جعفر ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ بهمزة واحدة على الخبر، وقرأ الباقون: ﴿أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ بهمزتين على الاستفهام وفق أصولهم فيه.[(٢)]

فأما قراءة الاستفهام فتحتمل أمرين:

الأول: أن يكون الاستفهام على ظاهره من حيث دلالته على الاستعلام، فإنه ﷺ لَمَّا قال قبل هذه الآية فيما حكاه الله عنه: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [سورة يوسف/٨٩] تبسَّم، فرأوْا ثناياه كاللّؤلؤ، فشبهوه بيوسف، ولم يعرفوه، فقالوا استفهاماً: (أَئِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ؟). ومما يدلُّ على أنه استفهام قوله: (أَنَا يُوسفُ)، حيث أجابهم عما اسْتَفْهَمُوا عنه.[(٣)] ومما يؤيد كون الاستفهام على بابه: أنهم تَعجَّبوا من كونهم يترددون إليه من سنتين وأكثر، وهم لا يعرفونه، وهو مع هذا يعرفهم ويكتم نفسه، فلهذا قالوا على سبيل الاستفهام والاستغراب: (أَئِنَّكَ لأنْتَ يُوسُفُ).[(٤)]

والثاني: أن يكون الاستفهام تقريرياً، للإثبات[(٥)] على طريق التعجب والاستغراب؛ لأن أخوة يوسف عرفوه

---

(١) تفسير الشعراوي، ٤٢٨٩/٧.

(٢) السبعة، ص ٣٥١، والتيسير، ص ٩١، والنشر، ٤٢١/١، وتحبير التيسير، ص ٤١٧.

(٣) حجة أبي زرعة، ص ٣٦٣، ومفاتيح الغيب، ١٦٢/١٨، والجامع لأحكام القرآن، ٢٥٦/٩، والدر المصون، ٥٥١/٦، واللباب، ٢٠١/١١.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ٤٠٨/٤.

(٥) التفسير المنير، ٦٠/١٣.

بمجرد قوله لهم: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ حيث تنبهوا لَمَّا قال لهم ذلك، وفهموا أنه لا يخاطبهم بمثل هذا إلا وهو يقصد نفسه، وقيل: إنه لَمَّا قال لهم هذه المقالة، وضع التاج عن رأسه فعرفوه، وقيل: إنه تبسم فعرفوا ثناياه. أي: إنَّ أخوة يوسف استشعروا من كلامه، ثم من ملامحه، ثم من تفهم قول أبيهم لهم: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة يوسف/٨٦] أنه يتكلم مريداً نفسه، ولذلك أكَّدوا الجملة بـ(إنَّ) ولام الابتداء وضمير الفصل؛ لشدة تحققهم أنه يوسف عليه السلام، وأدخلوا الاستفهام التقريري على الجملة المؤكدة؛ لأنهم تطلبوا تأييده لعلمهم به.(١)

وأما قراءة الخبر فتحتمل أمرين:(٢)

الأول: أن يكون الخبر على ظاهره، والمراد به: لازم فائدة الخبر، أي: عرفناك. ويدل على ذلك أن جواب يوسف عليه السلام، بـ(أَنَا يُوسُفُ) مجردٌ عن التأكيد؛ لأنهم كانوا متحققين من ذلك، فلم يبق إلا تأييده لذلك.(٣)

والثاني: أن يكون الكلام على الخبر من حيث الظاهر، لكنه في الحقيقة على الاستفهام، وحذفت منه أداة الاستفهام تخفيفاً؛ لدلالة السِّياق والقراءة الأخرى عليه.

وقد رجَّح بعض المفسرين قراءة الاستفهام، وكون قراءة الخبر استفهاماً حذفت أداته؛ لأن الاستفهام يدل على الاستعظام والاستغراب، وهذا يتناسب مع سياق القصة، فإن أخوة يوسف عليه السلام تَعجَّبوا من أنهم يترددون إلى يوسف عليه السلام من سنتين وأكثر، وهم لا يعرفونه، وهو مع هذا يعرفهم ويكتم نفسه.(٤) ولأن حمل الخبر على ظاهره يتعارض مع قراءة الاستفهام، من حيث تخالف القراءتين مع أنَّ القائل واحد.(٥)

وأجيب بأنه لا تعارض بين معنى الخبر والاستفهام، خاصة إذا قيل: بأن الاستفهام تقريري للاستغراب، وأن قراءة الخبر يراد بها الاستفهام على تقدير أداة محذوفة. ولا تعارض بين معنى الخبر والاستفهام إذا لوحظ تعدد إخوة يوسف، ومن ثم قيل: إنَّ بعضهم ساق الكلام مساق الاستفهام؛ لجهله بكون العزيز الذي أمامه هو أخوه يوسف، وبعضهم قاله خبراً؛ لتبيُّنه بعدما ذكره من القول، وبعد اتضاح ملامحه.(٦)

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات، ١٤/٢، وفتح القدير، ٧٤/٣، والتحرير والتنوير، ١١٣/١٢.

(٢) مفاتيح الغيب، ١٦٢/١٨، والجامع لأحكام القرآن، ٢٥٦/٩، والدر المصون، ٥٥١/٦، واللباب، ٢٠١/١١.

(٣) حجة أبي زرعة، ص ٣٦٣، والكشف عن وجوه القراءات، ١٤/٢، والتحرير والتنوير، ١١٣/١٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ٤٠٨/٤.

(٥) الدر المصون، ٥٥١/٦، واللباب، ٢٠١/١١.

(٦) الدر المصون، ٥٥١/٦، واللباب، ٢٠١/١١.

ومع استيعاب هذين الأمرين يمكن إدراك الغرض البلاغي من تعدد قراءات هذه الآية، فهو تعدُّدٌ إحدى غاياته البلاغية التفنن في إلقاء القول وسرد القصة، وغايته الأخرى الإيجاز بذكر الأحوال المتعددة لإخوة يوسف بكلمات قليلة، وهذان الوجهان البلاغيان وغيرهما سران عظيمان من أسرار البلاغة والإعجاز في نظم القرآن.

ومما ورد على التبادل بين أسلوبي الخبر والاستفهام من القراءات المتواترة قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۞ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۞ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ [سورة الصافات/١٥١-١٥٣] حيث قرأ جمهور القراء ﴿أَصْطَفَى﴾ بفتح الهمزة على الاستفهام، وقرأ ورش من طريق الأصبهاني وابن جماز[١] عن أبي جعفر ﴿اصْطَفَى﴾ بهمزة وصل على طريقة الخبر.[٢]

فأما الاستفهام في قراءة الجمهور فهو استفهام إنكاري، بمعنى التوبيخ والتقريع والاستبعاد والتعجيب من جرأتهم وقولهم على الله بلا علم، ثم من اختيار نسبة الأدنى لذاته وهو البنات دون البنين، مع أن البنين أفضل عندهم؟[٣] ومعنى الآية على هذه القراءة كمعنى قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ [سورة الزخرف/١٦]، وقوله: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ [سورة الطور/٣٩]، وقوله: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾ [سورة النجم/٢١].[٤]

وأما أسلوب الخبر في قراءة نافع وأبي جعفر فيحتمل أمرين:

الأول: أن قوله: ﴿اصْطَفَى﴾ بدل من الجملة المحكية بالقول وهي: "وَلَدَ اللَّهِ" أي: ما كفاهم أن قالوا: ولد الله، حتى جعلوا ذلك الولد بنات، فقالوا: اصْطَفَى هذا الجنس على ذاك، فالخبر على هذا الوجه يحكي شنيع قولهم.[٥]

ويجوز أن يكون الكلام على الإخبار بإضمار القول، والتقدير: إنهم لكاذبون في قولهم: اصطفى.[٦]

---

(١) هو سليمان بن مسلم بن جماز، أبو الربيع الزهري مولاهم المدني مقرئ جليل ضابط، عرض على أبي جعفر وشيبة، ثم عرض على نافع، وأقرأ بحرف أبي جعفر ونافع. عرض عليه إسماعيل بن جعفر وقتيبة بن مهران، توفي بعد سنة ١٧٠هـ. انظر: غاية النهاية، ١/ ١٣٨.

(٢) السبعة، ص ٥٤٩، والنشر، ٤٠١/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٢٩، والمُيسَّر في القراءات، ص ٤٥١.

(٣) جامع البيان، ١١٩/٢١، وحجة أبي زرعة، ص ٦١٢، والكشاف، ٦٥/٤، والمحرر الوجيز، ٤٨٨/٤، والجامع لأحكام القرآن، ١٣٣/١٥، والبحر المحيط، ٣٦١/٧، والدر المصون، ٣٣٣/٩، واللباب، ٣٥٠/١٦، وفتح القدير، ٥٨٨/٤، وروح المعاني، ١٥٠/٢٣، والتحرير والتنوير، ٩٠/٢٣.

(٤) مفاتيح الغيب، ١٤٦/٢٦.

(٥) حجة أبي زرعة، ص ٦١٢، والكشاف، ٦٥/٤، والمحرر الوجيز، ٤٨٨/٤، ومفاتيح الغيب، ١٤٦/٢٦، والبحر المحيط، ٣٦١/٧، واللباب، ٣٥١/١٦، وفتح القدير، ٥٨٨/٤.

(٦) حجة أبي زرعة، ص ٦١٢، وفتح القدير، ٥٨٨/٤، وروح المعاني، ١٥٠/٢٣.

والثاني: أن الخبر هنا بمعنى الاستفهام، والكلام بتقدير همزة الاستفهام محذوفة لفظاً مع بقاء معنى الاستفهام؛ وحذف حرفه؛ للعلم به من المقام ودلالة السياق.(١)

وقد رجَّح بعض المفسرين(٢) قراءة الاستفهام على غيرها؛ لأنها الأنسب والأوفق لمعنى الآيات المجاورة ومقامها، والأليق بدلالة وواقع الحال. ولأن قراءة الإخبار –كما يرى الزمخشري – ضعيفة من جهة أنها إثبات بين إنكارين، حيث اكتنف هذه الجملة الإنكار من جانبيها، وذلك قوله: (وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)، وقوله: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [سورة الصافات/١٥٤] فمن جعلها للإثبات على جهة الإخبار، فقد أوقعها دخيلة بين نسيبين.(٣)

وقد ردَّ أبو جعفر النحاس وتابعه القرطبي على من ضعَّف قراءة الخبر بأنها تجوز من وجهتين:

إحداهما: أن تكون تبييناً لما قالوه من الكذب، ويكون قوله: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ منقطعاً مما قبله.

والأخرى: ذكر النحويون ومنهم الفراء أن التوبيخ يكون استفهاماً وبغير استفهام، وعليه تحمل قراءة الخبر.(٤)

وردَّ أبو حيان على حجة الزمخشري: بأن الإخبار في قوله: ﴿اصْطَفَى﴾ على قراءة نافع وأبي جعفر ليس دخيلاً بين نسيبين؛ لأن له مناسبة ظاهرة مع قولهم: ولد الله". وأما قوله: (وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)، فهي جملة اعتراض بين مقالتي الكفرة، جاءت للتنديد والتأكيد في كون مقالتهم تلك هي من إفكهم.(٥)

ولأجل هذا الأخذ والرد الذي جرى بين المفسرين رأى الآلوسي أن تخريج قراءة الخبر على معنى الاستفهام أولى؛ لأنه يحسم البحث، ويقطع الجدَل.(٦)

وأرى أنه بحمل قراءة الاستفهام على معنى التوبيخ، وقراءة الخبر على البدلية من القول أو على معنى الاستفهام يتم التوفيق بين معنى جميع القراءات، ويكون حمل قراءة الإخبار على جميع المعاني المذكورة أولى؛ لأن ذلك وإن كان لا يحسم البحث، لكنه يثري الآية بمزيد من المعاني، وهذا هو ما يسمى ببلاغة الإيجاز في نظم القرآن.

---

(١) معاني الفَرَّاء، ٣٩٤/٢، والتبيان في إعراب القرآن، ١٠٩٤/٢، والدر المصون، ٣٣٣/٩، واللباب، ٣٥١/١٦، وفتح القدير، ٥٨٨/٤، وروح المعاني، ١٥٠/٢٣، والتحرير والتنوير، ٩٠/٢٣.

(٢) منهم أبو حاتم فيما نقله عنه النحاس، وأبو زرعة، والزمخشري، والعكبري، والقرطبي. انظر: معاني النحاس، ٦٤/٦، وإعراب النحَّاس، ٤٤٤/٣، وحجة أبي زرعة، ص ٦١٢، والكشاف، ٦٦/٤، والتبيان في إعراب القرآن، ١٠٩٤/٢، والجامع لأحكام القرآن، ١٣٤/١٥.

(٣) الكشاف، ٦٦/٤.

(٤) معاني النحاس، ٦٤/٦، وإعراب النحَّاس، ٤٤٤/٣، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٣٤/١٥.

(٥) البحر المحيط، ٣٦١/٧، والدر المصون، ٣٣٤/٩، واللباب، ٣٥١/١٦، وروح المعاني، ١٥٠/٢٣.

(٦) روح المعاني، ١٥٠/٢٣.

ومما ورد على التبادل بين الإخبار والاستفهام من القراءات المتواترة قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ۞ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ [سورة ص/٦٢-٦٣] حيث قرأ الجمهور ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ﴾ بفتح الهمزة على الاستفهام، وقرأ البصريان والأخوان وخلف ﴿اتَّخَذْنَاهُمْ﴾ بهمزة وصل على طريقة الخبر.(١)

فأما الاستفهام في قراءة الجمهور فهو استفهام تقرير على جهة التوبيخ والتأنيب لأنفسهم والأسف على ما كان منهم من الازدراء والتحقير.(٢) وجملة (أَتَّخَذْنَاهُمْ) على هذه القراءة بدل من جملة (مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالاً). والمعنى على هذه القراءة: ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم أشراراً، ألأجل أنا اتخذناهم سخرياً وليسوا كذلك، فلم يدخلوا معنا النار فهم في الجنة، أم دخلوها معنا، ولكن مالت عنهم أبصارنا، فلا نراهم معنا ؟(٣)

وأما الخبر في قراءة الأخوين ومن معهما فيحتمل أمرين:

الأول: أن يكون المراد به الاستفهام، لكن حذفت أداته؛ لدلالة (أَمْ) المعادلة(٤) عليها، ولتقدم الاستفهام في قوله: (مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالاً).(٥)

والثاني: أن تكون الجملة خبرية على ظاهرها وفي حقيقتها، وتكون في محل نصب صفة ثانية لـ (رِجَالاً)، وعليه تكون (أم) منقطعة حرف إضراب بمعنى بل، أي: بل زاغت عنهم الأبصار.(٦)

ومعنى الآية على هذا الوجه: مَا لَنَا لا نرى هؤلاء الرجال الذين اتخذناهم سخرياً لم يدخلوا معنا النَّار، أم دخلوها، ولكن زاغت ومالت عنهم أبصارنا فَلَمْ نَرَهُمْ حين دخلوا.

أو: مَا لَنَا لا نرى هؤلاء الرجال الذين اتخذناهم سخرياً لم يدخلوا معنا النَّار، أم كانوا خيراً منا ونحن لا

---

(١) السبعة، ص ٥٥٦، والتيسير، ص ١٢٢، والنشر، ٤٠٢/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٣٢، والمستنير، ١٩/٣.

(٢) الكشاف، ١٠٤/٤، والمحرر الوجيز، ٥١٢/٤، والموضح، ١١٠٦/٣، وأنوار التنزيل، ٥٣/٥، ومدارك التنزيل، ٧٠/٤، والبحر المحيط، ٣٨٩/٧، وإرشاد العقل، ٢٣٣/٧، وروح المعاني، ٢١٨/٢٣، والتفسير المنير، ٢٢١/٢٣.

(٣) مفاتيح الغيب، ١٩٤/٢٦، وإرشاد العقل، ٢٣٣/٧، والبحر المديد، ٢٢٧/٦.

(٤) (أم) في قوله: (أم زاغت) معادلة لـ (ما) في قولهم: (ما لنا لا نرى)، والجملة المعادلة لقوله: (أَمْ زَاغَتْ) محذوفة، والتقدير: أمفقودون هم أم زاغت، أو: أليسوا معنا أم هم معنا ولكن أبصارنا تميل عنهم فلا نراهم. انظر: المحرر الوجيز، ٥١٢/٤، ومفاتيح الغيب، ١٩٤/٢٦.

(٥) معاني النحّاس، ١٣٣/٦، وحجة ابن خالويه، ص ٣٠٧، والكشاف، ١٠٥/٤، والبحر المحيط، ٣٨٩/٧، والدر المصون، ٣٩٣/٩، واللباب، ٤٤٦/١٦، وإرشاد العقل، ٢٣٣/٧، وفتح القدير، ٦٢٨/٤، وروح المعاني، ٢١٨/٢٣.

(٦) معاني النحّاس، ١٣٣/٦، والكشاف، ١٠٤/٤، والموضح، ١١٠٦/٣، وأنوار التنزيل، ٥٣/٥، ومدارك التنزيل، ٦٩/٤-٧٠، والبحر المحيط، ٣٨٩/٧، والدر المصون، ٣٩٣/٩، واللباب، ٤٤٦/١٦-٤٤٧، وإرشاد العقل، ٢٣٣/٧، وفتح القدير، ٦٢٨/٤، وروح المعاني، ٢١٨/٢٣، والتحرير والتنوير، ١٨٣/٢٣.

نعلم، فكانت أبصارنا تزيغ عنهم، وأفهامنا تكلُّ عن إدراك مقامهم، وأنهم على الحق ونحن على الباطل، فما تبعناهم في الدنيا.(١)

وقد رجَّح بعض المفسرين(٢) قراءة حمزة والكسائي على طريقة الإخبار محتجين بـ:

أولاً: تقدّم الاستفهام قبل ذلك في قوله: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾.(٣)

ثانياً: أن المشركين لم يشكوا أنهم اتخذوا المسلمين في الدنيا سخرياً، فكيف يستفهمون عن شيء علموه؟ ومما يدل على علمهم به أنه ﷻ قد أخبر عنهم بذلك في قوله: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [سورة المؤمنون/١١٠].(٤)

ويرد على هذه الحجج بـ: أولاً: كل استفهام كان بمعنى التعجب والتوبيخ، جاز فيه الاستفهام وتركه بإخراجه على وجه الخبر، وبه يتساوى معنى القراءتين.(٥)

ثانياً: لا تُلزم حجتهم الثانية أن يأتي الكلام بطريقة الخبر، ولو كان واجباً لوجب في (مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالاً)، ولكن الاستفهام هنا بمعنى التوبيخ والإنكار والتعجب، وخروج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى هذه المعاني لا ينافي علمهم بما صنعوه في الدنيا؛ لأن مثل هذا الاستفهام جائز عن الشيء المعلوم. ومن ذلك قول الأب وقد ضرب ولده ثم ندم: ماذا فعلت أضربت ابني؟ وهو غير شاك أنه قد ضربه.(٦)

وبهذه الطريقة يتم التوفيق بين معنى الخبر والاستفهام في القراءتين دون الحاجة إلى ترجيح إحداهما على الأخرى، بل يحمل تعدد القراءات، وتنوع المعاني على أنه وجه من وجوه الإعجاز البلاغي لنظم القرآن.

ومما ورد على التبادل بين أسلوبي الخبر والاستفهام من القراءات المتواترة قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ

---

(١) معالم التنزيل، ١٠٠/٧، واللباب، ٤٤٨/١٦، والبحر المديد، ٢٢٧/٦.

(٢) منهم أبو عبيد وأبو حاتم فيما نقله عنهما النحاس، والمبرد فيما نقَل عنه ابن زنجلة، والطبري، وأبو علي الفارسي. انظر: جامع البيان، ٢٣٣/٢١، وإعراب النحَّاس، ٤٧١/٣، وحجة الفارسي، ٨٢/٦–٨٣، وحجة أبي زرعة، ص ٦١٧.

(٣) جامع البيان، ٢٣٣/٢١، وإعراب النحَّاس، ٤٧١/٣، وحجة أبي زرعة، ص ٦١٦، ومفاتيح الغيب، ١٩٤/٢٦.

(٤) إعراب النحَّاس، ٤٧١/٣، وحجة الفارسي، ٨٢/٦–٨٣، وحجة أبي زرعة، ص ٦١٦–٦١٧، ومعالم التنزيل، ١٠٠/٧، ومفاتيح الغيب، ١٩٤/٢٦.

(٥) معاني الفَرَّاء، ٤١١/٢، وجامع البيان، ٢٣٣/٢١.

(٦) معاني الفَرَّاء، ٤١١/٢، وإعراب النحَّاس، ٤٧١، وحجة أبي زرعة، ص ٦١٧–٦١٨، ومفاتيح الغيب، ١٩٤/٢٦.

فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [سورة الأحقاف/٢٠] حيث قرأ نافع وعاصم وأبو عمرو والأخوان وخلف ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾ بهمزة واحدة على الإخبار، وقرأ الباقون ﴿أَأَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾ بهمزتين على الاستفهام، وفق أصولهم المذكورة في باب الهمزتين من كلمة.(١)

وقراءات هذه الآية من أكثر القراءات توافقاً في المعنى؛ حيث حمل جمهور المفسرين الاستفهام هنا على أنه استفهام توبيخي، فهو استفهام في الظاهر، لكنه خبر في المعنى، وحملوا قراءة الخبر على أنه خبر مستعمل في التوبيخ، أو على أنه خبر في الظاهر لكنه على نية الاستفهام التوبيخي في الحقيقة، كالقراءة الأخرى.(٢)

ومن هذا المثال وما سبقه يتبيَّن كيف تعامل المفسرون مع التعارض الظاهري بين أسلوبي الخبر والاستفهام، بحملهم الاستفهام في بعض الأحيان على معنى الإخبار، أو بجعل قراءة الخبر على نية الاستفهام أحياناً أخرى، أو بحمل تعدد القراءات على تعدد أحوال المُخبَر عنهم، بحسب ما يقتضي السياق والمقام.

وبهذه الطرق يتم التوفيق بين القراءات المتعددة التي يستدل بها على سعة نص القرآن وقدرته على تَحمُّل الكثير من المعاني، وأداء الجملة بأساليب متنوعة توقظ الأذهان وتنشطها، دون تعارضٍ بين الأساليب المتغايرة.

وحاصل الأمر: أن تعدد القراءات المتواترة وتبادلها بين أسلوبي الاستفهام والخبر يُسْهِم في تعدد معاني النص القرآني، وإثراء الآية المختلَف في قراءتها، كما يدل على بلوغ نظم القرآن قمة البلاغة في الإيجاز؛ حيث تؤدي الآية الكثير من المعاني بالألفاظ القليلة، وتبيِّن قدرة هذا النظم على أداء الجملة والمعنى بأساليب متعددة، تبدو متعارضة في الظاهر، لكنها في الحقيقة آيةٌ في التوافق عند مراعاة الحيثيات المختلفة التي تكتنف السياق، ومقام الأسلوبين، هذا فضلاً عن المعاني البلاغية الثانوية التي يمليها سياق كل قراءة من القراءات، كالتوبيخ، أو الإنكار، أو التعجب، وغيرها. وهذه المزايا تمثل باجتماعها أسرار الإعجاز التي تميِّز نظم القرآن عن سواه من الكلام البليغ.

---

(١) السبعة، ص ٥٩٨، والمبسوط، ص ٤٠٦، والتيسير، ص ١٢٨، والنشر، ٤١٤/١، وتحبير التيسير، ص ٥٥٧.

(٢) معاني الفَرَّاء، ٥٤/٣، وجامع البيان، ١٢١/٢٢، وإعراب النحَّاس، ١٦٦/٤–١٦٧، وحجة ابن خالويه، ص ٣٢٧، وحجة أبي زرعة، ص ٦٦٥، ومعالم التنزيل، ٢٦٠/٧، والمحرر الوجيز، ١٠٠/٥، والموضح، ١١٧٧/٣-١١٧٨، وزاد المسير، ٩١/٧، والجامع لأحكام القرآن، ١٩٩/١٦، والبحر المحيط، ٦٣/٨، والدر المصون، ٦٧٣/٩، واللباب، ٤٠٢/١٧، وفتح القدير، ٣١/٥، وروح المعاني، ٢٣/٢٦، والتحرير والتنوير، ٣٧/٢٦.

المطلب الثاني: تنوع القراءات بين الإخبار والأمر، وأثره في بلاغة النظم.

الأمر من أنواع الإنشاء الطلبي، وهو طلب فعل غير كفٍّ على جهة الاستعلاء،(١) بأحد الصيغ الأربع:

١ – فعل الأمر، كقوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [سورة هود/٣٧].

٢ – المضارع المقترن بلام الأمر، نحو: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ [سورة الطلاق/٧].

٣ – اسم فعل الأمر، نحو: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [سورة المائدة/١٠٥].

٤ – المصدر النائب عن فعل الأمر: نحو: ﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ [سورة محمد/٤].(٢)

والأصل في صيغة الأمر: الدلالة على طلب الفعل استعلاءً، على وجه اللزوم؛ لتبادر الذهن عند سماعه إلى ذلك، وهذا هو المفهوم منها عند الإطلاق، وما عداه يحتاج إلى دلالة القرائن والسياق.(٣)

وهذا المطلب سيتناول هذا الأسلوب بالدراسة من خلال دراسة الأثر البلاغي الناتج عن تبادل القراءات بين هذا الأسلوب وأسلوب الخبر؛ لاستخراج الوجوه البلاغية الناتجة عن هذا التبادل، وأثرها في بلاغة نظم القرآن.

وقد بيَّنت الدراسة أن التبادل بين أسلوبي الخبر والأمر قد ورد بين القراءات المتواترة في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [سورة البقرة/١٢٥]، حيث قرأ جمهور القراء ﴿وَاتَّخِذُوا﴾ بصيغة فعل الأمر، وقرأ نافع وابن عامر ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ بصيغة الماضي على الإخبار.(٤)

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٤١، ومختصر المعاني، ص ١٣٩.

(٢) البلاغة العربية، ١/٢٢٨–٢٣١.

(٣) أهم الأغراض البلاغية التي يمكن أن يخرج إليها أسلوب الأمر: الدعاء: من العبد لربه على سبيل التضرع، نحو: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [سورة نوح/٢٨]. التهديد: كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [سورة فصلت/٤٠]. التعجيز: كقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ [سورة البقرة/٢٣]. التسخير: كقوله تعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [سورة البقرة/٦٥]. الإهانة: كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [سورة الدخان/٤٩]. التسوية: كقوله تعالى: ﴿أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ﴾ [سورة التوبة/٥٣]. الاحتقار: كقوله تعالى: ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ [سورة الشعراء/٤٣]. الإرشاد، نحو: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة الأعراف/١٩٩]. التمني: نحو: ﴿وَنَادَوْاْ يا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَّاكِثُونَ﴾ [سورة الزخرف/٧٧]. التخيير: نحو: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُواْ بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [سورة الملك/١٣]. انظر: مفتاح العلوم، ص ٣١٨–٣١٩، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٤٢–١٤٣، ومختصر المعاني، ص ١٣٩–١٤١، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، ١/١١١–١١٣، والبلاغة العربية، ١/٢٣١–٢٣٨.

(٤) السبعة، ص ١٧٠، والتيسير، ص ٦٢، والنشر، ٢/٢٥٣، وتحبير التيسير، ص ٢٩٤.

فأما قراءة ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ بأسلوب الخبر فتحتمل وجوهاً، أشهرها وجهان:[١]

الأول: أنه معطوف على (جَعَلْنَا) الواقعة في محل جر بإضافة (إذ) إليه، والكلام جملة واحدة. والمعنى: ألهمنا الناس أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، أو أمرناهم بذلك على لسان إبراهيم عليه السلام فامتثلوا واتخذوه.[٢]

الثاني: أنه معطوف على قوله: (وإذْ جَعَلْنَا)، فيحتاج إلى تقدير (إذْ)، أي: وإذ اتَّخَذُوا، والكلام جملتان.

وذكر أبو البقاء وجهاً ثالثاً، وهو جواز أن يكون معطوفاً على محذوف تقديره: فثابوا واتخذوا.[٣]

وأما قراءة الأمر فتحتمل أوجهاً، أشهرها ثلاثة:

الأول: أنه مفعول لقول محذوف، أي: وقلنا: اتخِذوا.

وعلى هذا الوجه يحتمل: أن يكون الخطاب لإبراهيم عليه السلام وذريته، بتقدير عطف جملة ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ على جملة ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [سورة البقرة/ ١٢٤]. والمعنى: لما ابتلاه الله سبحانه وتعالى بكلمات وأتمهن، قال له جزاء لما فعله من ذلك: (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا)، وقال: (وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى).[٤] ويجوز أن يكون إبراهيم عليه السلام أمر بهذا ولده إلا أنه سبحانه وتعالى أضمر قوله: (وقال إبراهيم).[٥]

ويحتمل أن يكون الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمته.[٦] والكلام معترض في قصة إبراهيم عليه السلام، ومعناه: إنا شرفنا الْبَيْتَ وجَعَلْنَاه مَثَابَة لِّلنَّاسِ وَأَمْناً، فَاتَّخِذُوا أنتم من مقام إبراهيم قبلة لأنفسكم.[٧]

ومما يؤيد ذلك ما أخرجه البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "وافقت ربي في ثلاث، فقلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فأنزلت ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾."[٨] فهذا يدل على أن

---

(١) جامع البيان، ٣٢/٢، وحجة الفارسي، ٢٢٠/٢، وحجة أبي زرعة، ص ١١٣، والكشف عن وجوه القراءات، ٢٦٣/١، والمحرر الوجيز، ٢٠٧/١، ومفاتيح الغيب، ٤٤/٤، والجامع لأحكام القرآن، ١١١/٢، والبحر المحيط، ٥٥٢/١، والدر المصون، ١٠٥/٢، واللباب، ٤٦٢/٢.

(٢) التحرير والتنوير، ٦٩١/١.

(٣) التبيان في إعراب القرآن، ١١٢/١، والدر المصون، ١٠٥/٢، واللباب، ٤٦٢/٢.

(٤) جامع البيان، ٣٢/٢، ومفاتيح الغيب، ٤٤/٤.

(٥) مفاتيح الغيب، ٤٤/٤.

(٦) حجة الفارسي، ٢٢٠/٢، وحجة أبي زرعة، ص ١١٣، والتحرير والتنوير، ٦٩١/١–٦٩٢.

(٧) مفاتيح الغيب، ٤٤/٤.

(٨) صحيح البخاري، كتاب أبواب القبلة، باب ما جاء في القبلة ومن لا يرى الإعادة على من سها فصلى إلى غير القبلة، رقم/٣٩٣، ١٥٧/١.

الأمر لأمة سيدنا محمد ﷺ.[(١)]

الثاني: أنه معطوف على (اذكروا)، إذا قيل بأن الخطاب هنا لبني إسْرَائِيل، أي: اذكروا نعمتي واتخذوا.[(٢)]

الثالث: أنه معطوف على الأمر الذي تضمنه قوله: (مثابة)، كأنه قال: ثوبوا واتخِذوا.[(٣)]

وذكر السمين نقلاً عن أبي البقاء وجهاً رابعاً، وهو: أن يكون الكلام مستأنفاً.[(٤)]

وذهب ابن عاشور إلى الجمع بين جميع الاحتمالات الواردة في تفسير قراءتي الآية بتأويل قول عمر ﷺ: (فنزلت) أنه نزل على النبي ﷺ شرع الصلاة عند حجر المقام بعد أن لم يكن مشروعاً لهم؛ ليستقيم الجمع بين معنى القراءتين: (واتخَذوا) بصيغة الماضي وبصيغة الأمر؛ فإن صيغة الماضي لا تحتمل غير حكاية ما كان في زمن إبراهيم ﷺ، وصيغة الأمر تحتمل ذلك وتحتمل أن يراد بها معنى التشريع للمسلمين؛ إعمالاً للقرآن بكل ما تحتمله ألفاظه.[(٥)]

وقد خالف ابن خالويه جمهور المفسرين في ذلك فذهب إلى أن المراد بقراءتي الخبر والأمر أمة النبي محمد ﷺ، فقال: "قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ يُقرَأ بكسر الخاء وفتحها، فالحجة لمن كسر: أنهم أمروا بذلك ودليله، قول عمر ﷺ: أفلا نتخذه مصلى، فأنزل الله ذلك موافقاً به قوله. والحجة لمن فتح: أن الله ﷻ أخبر عنهم بذلك بعد أن فعلوه.

فإن قيل: فإن الأمر ضد الماضي، وكيف جاء القرآن بالشيء وضده؟ فقل: إن الله ﷻ أمرهم بذلك مبتدئاً، ففعلوا ما أمروا به، فأثنى بذلك عليهم، وأخبر به، وأنزله في العرضة الثانية."[(٦)]

وأظن أن ما ذكره ابن خالويه محتمل أيضاً، إلا أن الوجوه التي ذكرها جمهور المفسرين في تفسير قراءة الماضي أوضح وأبين، لأن دلالة المقام والسياق تؤيدها.

وقد رجَّح بعض المفسرين - منهم الطبري والنحاس ومكي – قراءة الجمهور بأسلوب الأمر؛ لأن الظاهر أن

---

(١) المحرر الوجيز، ٢٠٧/١.

(٢) جامع البيان، ٣٠/٢–٣٢، وإعراب النحّاس، ٢٥٩/١، والمحرر الوجيز، ٢٠٧/١، ومفاتيح الغيب، ٤٤/٤، والجامع لأحكام القرآن، ١١١/٢، والبحر المحيط، ٥٥٢/١، والدر المصون، ١٠٥/٢، واللباب، ٤٦٢/٢، وإرشاد العقل، ١٥٧/١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ١١١/٢، والبحر المحيط، ٥٥٢/١، والدر المصون، ١٠٦/٢، واللباب، ٤٦٢/٢، وإرشاد العقل، ١٥٧/١.

(٤) التبيان في إعراب القرآن، ١١٣/١، والدر المصون، ١٠٦/٢، واللباب، ٤٦٢/٢.

(٥) التحرير والتنوير، ٦٩٢/١.

(٦) حجة ابن خالويه، ص ٨٧.

المقصود بالمقام في الآية هو الحجر الذي تستحب صلاة ركعتي الطواف عنده اليوم، بدليل الأخبار الواردة عن عمر رضي الله عنه،[1] ولما أخرجه مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ لما فرغ من طوافه عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ الآية.[2]

وأرى أن هذه الحجة ليست كافية للقول برجحان إحدى القراءتين، بل الأولى القول بأن القراءتين في قوة الثبوت والدلالة والبلاغة سواء؛ إذ كل منهما تحكي واقعاً غير ما تحكيه الأخرى، وكل منهما تحمل على حال غير الحال الذي تحمل عليه الأخرى، وهذا من بلاغة الإيجاز في نظم القرآن بقراءاته المتنوعة.

واختلف القراء في قراءة الفعل ﴿أَعْلَمُ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة/ ٢٥٩] على وجهين: ﴿أَعْلَمُ﴾ بصيغة المضارع الدال على الحال، و﴿اعْلَمْ﴾ بصيغة الأمر الدال على طلب الفعل بالمستقبل.[3]

والقراءة بصيغة المضارع أسندت الكلام إلى المتكلم وهو هنا الرجل الذي مرَّ على القرية والذي أخبر الله عنه بقوله: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة/ ٢٥٩]. أي: إنَّ الفعل على هذه القراءة هو جواب الرجل عن قول الله سبحانه وتعالى له: ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ [سورة البقرة/ ٢٥٩].

وذهب جمهور المفسرين إلى أن جملة ﴿قَالَ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة/ ٢٥٩] على القراءة ﴿اعْلَمْ﴾ بهمزة الوصل من كلام الله سبحانه وتعالى أمراً للرجل بالاعتقاد الحق الذي يجب أن يقوده إليه العقل السليم بعد قيام الأدلة على عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى الذي أحيا العظام بعد موتها.[4] وذهب آخرون إلى أن الفاعل على هذه القراءة هو الرجل المارُّ نفسه، نزَّل نفسه منزلة الأجنبي، وأقبل عليها مخاطباً إياها على سبيل التجريد؛ مبكِّتاً لها،

---

(١) إعراب النحّاس، ٢٥٩/١، وجامع البيان، ٣٢/٢–٣٣، والكشف عن وجوه القراءات، ٢٦٤/١، وروح المعاني، ٣٨٠/١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم/١٤٧، ٨٨٦/٢.

(٣) قرأ الأخوان (قَالَ اعْلَمْ) بوصل الألف وجزم الميم على الأمر، وقرأ الباقون (قَالَ أَعْلَمُ) بقطع الألف ورفع الميم على الإخبار. انظر: السبعة، ص ١٨٩، والتيسير، ص ٦٥، والنشر، ٢٦٤/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٠٩.

(٤) حجة ابن خالويه، ص ١٠٠، وحجة أبي زرعة، ص ١٤٤–١٤٥، ومعالم التنزيل، ٣٢٢/٣، والمحرر الوجيز، ٣٥١/١، والجامع لأحكام القرآن، ٢٩٦/٣–٢٩٧، وتفسير القرآن العظيم، ٦٨٨/١، وروح المعاني، ٢٤/٣، والتحرير والتنوير، ٥١٠/٢–٥١١.

وموبخاً على ما اعتراها من ذلك الاستبعاد: اعلم أيها الإنسان أن الله على كل شيء قدير.[1]

ومذهب جمهور المفسرين أرجح؛ لأن دلالة الأمر على وجود مخاطَب يوجه إليه الأمر أظهر، ولأن هذا الوجه يناسب الأوامر السابقة: (فَانْظُرْ، وَانْظُرْ)، ويؤيده قراءة الأعمش (قيل اعلم) بالبناء للمفعول.[2]

فالعلم بقدرة الله ﷻ على كل شيء هو جواب الذي مرَّ على القرية على قراءة الجمهور، ومن كلام الله ﷻ، ومما أُمِرَ الرجل باعتقاده بعد قيام الأدلة على القراءة الأخرى.

ويحمَلُ تنوع القراءات في هذه الآية على التفنن في تأدية الكلام، وبيان الأحوال المختلفة التي اعترت الرجل المارَّ على القرية، وهذا يدلُّ على الإيجاز الذي يتسم به نظم القرآن.

ومما ورد على التبادل بين الخبر والأمر من القراءات المتواترة قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ۝ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [سورة المائدة/٤٦-٤٧] حيث قرأ جمهور القراء (وَلْيَحْكُمْ) بصيغة الأمر، وقرأ حمزة (وَلِيَحْكُمَ) بصيغة المضارع المقترن بلام التعليل على الخبر.[3]

فأما قراءة الجمهور فالأرجح أنها إخبار عمَّا فرض الله على النصارى في ذلك الوقْتِ على سبيل الحكاية، بتقدير كلام محذوف يدل عليه ما قبله. والمعنى: وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونورٌ ومصدقًا لما بين يديه من التوراة، وأمرنا أهْلَه أن يحكموا بما أنزل الله فيه.[4] أو: وآتيناه الإنجيل الموصوف بتلك الصفات، وقلنا: ليحكم أهل الإنجيل بما فيه.[5]

ويحتمل أن يكون قوله: "وَلَيَحْكُمْ" أمراً مبتدئاً للنَّصارى بالحُكْمِ بما في الإنجيلِ من الدلائل الدالة على نبوة محمدٍ ﷺ، وغير ذلك من الأحكام التي لم ينسخها القرآن، فمثل هذه الأمور يجوز تحكيم الإنجيل فيها بعد نزول القرآن؛ لعدم تعارضها مع ما جاء به القرآن الكريم.[6]

---

(١) جامع البيان، ٤٨٢/٥، وحجة أبي زرعة، ص ١٤٥، والجامع لأحكام القرآن، ٢٩٦/٣-٢٩٧، وروح المعاني، ٢٤/٣.

(٢) المبهج، ص ٣٨٣، والبحر المحيط، ٣٠٨/٢.

(٣) السبعة، ص ٢٤٤، والمبسوط، ص ١٨٥، والتيسير، ص ٧٤، والنشر، ٢٨٧/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٤٧.

(٤) جامع البيان، ٤٧٤/١٠، وإعراب النحَّاس، ٢٣/٢، وحجة الفارسي، ٢٢٨/٣، والمحرر الوجيز، ١٩٩/٢، وزاد المسير، ٣٩٦/٢.

(٥) الكشاف، ٦٧٢/١، والموضِّح، ٤٤٢/١، ومفاتيح الغيب، ١٠/١٢، والجامع لأحكام القرآن، ٢٠٩/٦، والبحر المحيط، ٥١١/٣، واللباب، ٣٦٤/٧، وإرشاد العقل، ٤٤/٣، وروح المعاني، ١٥١/٦، والتحرير والتنوير، ١٢٢/٥.

(٦) مفاتيح الغيب، ١٠/١٢، والجامع لأحكام القرآن، ٢٠٩/٦، والبحر المحيط، ٥١١/٣، واللباب، ٣٦٤/٧، وإرشاد العقل، ٤٣/٣-٤٤.

ويجوز أن يكون المراد بقوله: (وليحكمْ): زجر النصارى عَن تحريفِ ما فِي الإنجيل وتَغييرِه، كما فعل اليهود مِنْ إخفاءِ أحكامِ التَّوراةِ. والمعنى: ولْيُقِرّ أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه من غَيْرِ تحريفٍ ولا تبديلٍ، وهذا الوجه بعيد، وما ذُكِر قبله أولى.(١)

وأما اللام في قراءة حمزة فهي لام التعليل الناصبة للفعل، بمعنى كي. والفعل بعدها متعلق بـ(آتينا)، أو بـ(قفَّيْنَا). ومعنى الآية على هذه القراءة: وآتيناه الإنجيل وأنزلناه عليه فيه هدى ونورٌ ومصدقًا لما بين يديه من التوراة؛ كي يحكم أهله بما أنزل الله فيه.(٢)

وقد رجَّح مكي قراءة الجمهور بأسلوب الأمر؛ لأن الجماعة عليه، ولأن ما بعده من الوعيد والتهديد يدل على أنه إلزام من الله لأهل الإنجيل.(٣)

والصواب —كما يقول النحاس – أنهما قراءتان حسنتان؛ لأن الله ﷻ لم ينزل كتاباً إلا ليعمل بما فيه.(٤) وقد أنزل الله ﷻ الإنجيل؛ لكي يعمل النصارى بأحكامه، ولأجل ذلك أمرهم بالعمل بما فيه. كما أمر النبي ﷺ في الآية التي بعدها بالعمل بما أنزل الله إليه في الكتاب، فقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [سورة المائدة/٤٨].(٥)

فالقراءتان تتكاملان في التعبير عن مراد الله ﷻ، ولا غنى لإحداهما عن الأخرى في فهم المعاني التي دلت عليها كلتا القراءتين، وهذا الإيجاز هو وجه من وجوه الإعجاز في نظم القرآن.

ومما ورد على التبادل بين الخبر والأمر من القراءات المتواترة قوله تعالى: ﴿هَارُونَ أَخِي ۞ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۞ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [سورة طه/٣٠-٣٢]، حيث قرأ جمهور القراء (اشْدُدْ، وَأَشْرِكْهُ) بصيغة الأمر، وقرأ ابن عامر (أَشْدُدْ، وَأُشْرِكْهُ) بصيغة المضارع على الإخبار.(٦)

---

(١) مفاتيح الغيب، ١٠/١٢، والبحر المحيط، ٥١١/٣، واللباب، ٣٦٤/٧.

(٢) جامع البيان، ٤٧٤/١٠، وإعراب النحّاس، ٢٣/٢، وحجة ابن خالويه، ص ١٣١، وحجة الفارسي، ٢٢٧/٣–٢٢٨، وحجة أبي زرعة، ص ٢٢٨، والكشف عن وجوه القراءات، ٤١٠/١، والكشاف، ٦٧٢/١، والمحرر الوجيز، ١٩٩/٢، والموضّح، ٤٤٢/١، ومفاتيح الغيب، ١٠/١٢، والجامع لأحكام القرآن، ٢٠٩/٦، والبحر المحيط، ٥١٢/٣، وإرشاد العقل، ٤٤/٣، وفتح القدير، ٧٠/٢.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات، ٤١١/١، والجامع لأحكام القرآن، ٢٠٩/٦، وفتح القدير، ٧٠/٢.

(٤) إعراب النحّاس، ٢٣/٢.

(٥) حجة أبي زرعة، ص ٢٢٨.

(٦) السبعة، ص ٤١٨، والمبسوط، ص ٢٩٤، والتيسير، ص ١٠٣، والنشر، ٣٥٩/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٥٨.

فأما الأمر في قراءة الجمهور فيخرج على وجه الدعاء؛ لأنه سؤال من العبد لربه.(١) ومعنى الآية على هذه القراءة: سأل موسى عليه السلام الله سبحانه وتعالى أن يجعل هارون معيناً له في أعماله، فقال: اللهم قوني بأخي هارون، واجعله نبياً كما جعلتني، واجعله شريكاً لي في أمر النبوّة، وتبليغ رسالته.(٢)

وأما التعبير بالمضارع في قراءة ابن عامر؛ فلإخراج الكلام على أسلوب الخبر بإسناد الكلام إلى ذات المتكلم، وقد جُزِم الفعلان؛ لأن الأول واقع في جواب الطلب، وهو قوله: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا﴾ [سورة طه/٢٩]، والثاني معطوف عليه. ومعنى الآية على هذه القراءة: أسند موسى عليه السلام هذه الأفعال إلى نفسه، فقال سأشد أزري وأحكم قوتي استعانة بأخي هارون، وسأشركه في تدبير أمور الإرشاد والدعوة إلى الحق. وموسى عليه السلام هنا لا يريد بقوله (أمري) النبوة؛ لأن النبوّة لا يكون لموسى عليه السلام أن يشرك فيها بشراً.(٣)

ولأجل الهروب من تأويل الأمر في قراءة ابن عامر بغير أمر النبوة ذهب الطبري إلى رد قراءة ابن عامر، فقال: "بمعنى الخبر من موسى عن نفسه أنه يفعل ذلك، لا على وجه الدعاء، وإذا قرئ ذلك كذلك جُزِم (اشدد) و(أشرك) على الجزاء، أو جواب الدعاء، وذلك قراءة لا أرى القراءة بها، وإن كان لها وجه مفهوم، لخلافها قراءة الحجة التي لا يجوز خلافها."(٤)

وذهب آخرون – ومنهم النحاس وأبو علي الفارسي وابن عطية – إلى ترجيح قراءة الجمهور؛ لأن الفعلين في قراءة ابن عامر وقعا في موقع جواب الطلب، وجواب الطلب ينجزم بمعنى الشرط والمجازاة، على معنى: إن تجعل لي وزيراً من أهلي أشدد به أزري، وأشركه في أمري. وأمره هو النبوة والرسالة، وهو أمر ليس إليه أن يشرك أحداً فيه فيخبر به، لذا كانت قراءة الجمهور أليق بالمقام وواقع الحال على معنى: أنه عليه السلام سأل الله سبحانه وتعالى أن يشرك معه أخاه هارون في أمر النبوة.(٥)

واحتج الفارسي وابن عطية بأن قراءة الجمهور هي الأنسب للسياق، حيث تتناسب مع ما سبقها من الدعاء في الآيات السابقة، وهي قوله: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۞ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۞ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۞

---

(١) حجة ابن خالويه، ص ٢٤١، والكشف عن وجوه القراءات، ٩٧/٢، والكشاف، ٦٣/٣، والمحرر الوجيز، ٤٢/٤، وزاد المسير، ٢٨٢/٥، ومفاتيح الغيب، ٤٤/٢٢، والبحر المحيط، ٢٢٥/٦، والدر المصون، ٣٢/٨، واللباب، ٢٢٨/١٣.

(٢) جامع البيان، ٣٠١/١٨، وحجة أبي زرعة، ص ٤٥٢، ومعالم التنزيل، ٢٧١/٥، ومفاتيح الغيب، ٤٤/٢٢، والجامع لأحكام القرآن، ١٩٤/١١، والسراج المنير، ٥٠٧/٢، وروح المعاني، ١٨٥/١٦، وفتح القدير، ٥١٩/٣، والتحرير والتنوير، ١١٥/١٦.

(٣) جامع البيان، ٣٠١/١٨، والمحرر الوجيز، ٤٢/٤، والبحر المحيط، ٢٢٥/٦، وروح المعاني، ١٨٥/١٦.

(٤) جامع البيان، ٣٠١/١٨.

(٥) إعراب النحّاس، ٣٨/٣، وحجة الفارسي، ٢٢٢/٥، وزاد المسير، ٢٨٢/٥، والجامع لأحكام القرآن، ١٩٤/١١.

يَفْقَهُوا قَوْلِي ۞ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ [سورة طه/٢٥-٢٩]،(١) ولأنه قد وردت آيات أخرى في مواضع أخرى من القرآن الكريم تشير إلى أن موسى ﷺ قد سأل الله ﷻ أن يجعل أمر النبوة إلى هارون ويكلفه بالرسالة كما كلفَّه بها،(٢) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ۞ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ [سورة الشعراء/١٢-١٣]، وقوله: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [سورة القصص/٣٤].

فأما ما ذهب إليه الطبري من رد قراءة ابن عامر فأمر غير جائز؛ لأنه ليس للطبري ولا لغيره رد قراءة متواترة ثابتة عن النبي ﷺ مجمع على صحتها.

وأما ما ذهب إليه غيره من رجحان قراءة الجمهور؛ لكونها الأبلغ والأنسب للسياق فأمر جائز، لكنه خلاف الأولى؛ لأن الأولى القول بأن القراءتين متساويتان في البلاغة، ويمكن حملهما على مقامين مختلفين، فموسى ﷺ سأل الله ﷻ أن يشرك أخاه هارون في أمر النبوة، وقال في مقام آخر: سأحكم قوتي بهارون وأشاركه في تدبير أمور التبليغ والإرشاد إلى الحق؛ إعمالاً لمعنى القراءتين. وذلك من بلاغة الإيجاز في نظم القرآن.

ومما ورد على التبادل بين الخبر والأمر من القراءات المتواترة قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ۞ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سورة سبأ/١٨-١٩] حيث قرأ جمهور القراء (رَبَّنَا بَاعِدْ)، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام (رَبَّنَا بَعِّدْ)، بصيغة الأمر، وقرأ يعقوب (رَبُّنَا بَاعَدَ) بصيغة الماضي على الإخبار.(٣)

فأما قراءتا الجمهور وابن كثير بأسلوب الأمر، فهي خبر عمَّا كان من حالهم من مقابلة النعم بالبطر والجحود، فبعد أن أخبر الله عن إنعامه عليهم باقتراب المدن والقرى، وتيسير الأسفار أخبر عما كان منهم من بَطَر النعمة وسَأمِ الراحة، وملل العافية، وطلب الكدِّ والتعب كما طلبت اليهود الثوم والبصل مكان المن والسلوى.(٤) أو طلبوا المباعدة بين قراهم المتصلة؛ ليمشوا في المفاوز ويتزودوا للأسفار، ومن ثَمَّ يتطاولوا على الفقراء بقدرتهم على ركوب الرواحل وتزود الأزواد.(٥)

---

(١) حجة الفارسي، ٢٢٢/٥، وزاد المسير، ٢٨٢/٥.

(٢) المحرر الوجيز، ٤٢/٤.

(٣) السبعة، ص ٥٢٩، والتيسير، ص ١١٨، والتلخيص في القراءات، ص ٣٧٤، والنشر، ٣٩٠/٢، وتحبير التيسير، ص ٥١٦.

(٤) البحر المحيط، ٢٦٢/٧، والدر المصون، ١٧٥/٩، واللباب، ٤٨/١٦، وإرشاد العقل، ١٢٩/٧، وروح المعاني، ١٣٠/٢٢.

(٥) أنوار التنزيل، ٣٩٨/٤، والسراج المنير، ٣٥٩/٣، وإرشاد العقل، ١٢٩/٧، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، ١٩٩/٧، وحاشية =

ويحتمل أن يكون ذلك خبراً عن حالهم بمقابلة الدعوة إلى الشكر بالكفر، حيث كانوا كلما ذكرتهم رسلهم وأنبياؤهم بضرورة شكر النعم، وحمد الله على ما أولاهم من أسباب الرفاهية – ومنها اقتراب المدن وتيسير الأسفار – قالوا على وجه الطلب والدعاء: اللهم بَعِّدْ بين أسفارنا، فاجعل بيننا وبين القرى فلواتٍ ومَفَاوِزَ لنركبَ فيها الرَّوَاحِلِ ونتزودَ فيها الأزواد؛ بطراً بالنعمة وكفراً بالمنعم. وهذا نحو قول كفار قريش فيما حكاه الله عنهم: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة الأنفال/٣٢].[١]

وأما قراءة يعقوب (رَبُّنَا بَاعَدَ) بأسلوب الخبر، فتحمل على ما كان منهم من شكوى بُعد مسايرهم مع قصرها، ودنوها، وسهولة سلوكها؛ لفرط تنعمهم، وغاية ترفههم، وعدم اعتدادهم بنعم الله ﷻ، كأنهم يتحازنون على الله ﷻ؛ إفراطاً منهم في التكذيب، وعدم الاعتداد بالنعمة.[٢]

وتقدير معنى الآية على هذه القراءة: كأن الله ﷻ يقول: قرّبنا لهم أسفارهم، فقالوا أشراً وبطراً: لقد باعدَ ربُّنا بين أسفارنا، فتذمروا، واستقلوا ذلك العمران الكثير، وطلبوا أن تزداد البلاد قرباً، وذلك من بطر النعمة بطلب ما يتعذر حينئذ.[٣]

ويحتمل أن يكون معنى قراءة يعقوب: أن الله ﷻ لما أخبر عما أنعم به عليهم من تيسير الأسفار كفروا وجحدوا، فقابل الله ﷻ كفرهم بتخريب القرى المتوسطة ليجعل البعد في أسفارهم، فلما حلَّ بهم ذلك اشتكى بعضهم إلى بعض مما حلَّ بهم من بعد الأسفار؛ نتيجة كفرهم وجحودهم، فأخبر الله ﷻ في هذه القراءة عن ذلك الحال الذي حلَّ بهم والشكوى التي كانت منهم.[٤]

وقد رجَّح الطبري معنى قراءتي الجمهور وابن كثير على وجه الدعاء؛ لموافقتها لأقوال أهل التأويل التي تحمل معنى الآية على سؤال المشقة والتعب، والدعاء بزوال النعم؛ بطراً بها، وكفراً بالمنعم.[٥]

ورجَّح أبو حاتم – فيما نقله عنه القرطبي – قراءة يعقوب؛ لأنهم ما طلبوا التبعيد، وإنما طلبوا أقرب من ذلك القرب؛ بطراً وعُجْباً مع كفرهم. ولأن قراءة ابن عباس ﷺ والحس البصري (ربُّنَا بَعَّدَ بين أسفارنا) بالماضي

القونوي، ٤٨٩/١٥، وروح المعاني، ١٣٠/٢٢.

(١) التحرير والتنوير، ٤٣/٢٢–٤٤.

(٢) معاني النحّاس، ٤١٢/٥، وأنوار التنزيل، ٣٩٨/٤، والسراج المنير، ٣٥٩/٣، وإرشاد العقل، ١٢٩/٧، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، ١٩٩/٧، وفتح القدير، ٤٥٧/٤، وروح المعاني، ١٣٠/٢٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٢٩١/١٤، والتحرير والتنوير، ٤٣/٢٢–٤٤.

(٤) جامع البيان، ٣٨٨/٢٠، ومعاني النحّاس، ٤١٢/٥، والبحر المحيط، ٢٦٢/٧، وروح المعاني، ١٣٠/٢٢.

(٥) جامع البيان، ٣٨٩/٢٠.

وتشديد العين، تؤيد معناها.(١)

وأرى أنه لا يوجد دليل قوي يؤيِّد رجحان إحدى القراءتين على الأخرى؛ لأن معنى قراءة يعقوب على العكس تماماً من معنى قراءة الجمهور، وهذا يدل على أن كل قراءة تحكي حالاً غير الحال الذي تحكيه القراءة الأخرى؛ فقراءة الجمهور تحكي حال بطرهم وجحودهم قبل زوال النعمة، وقراءة يعقوب تحكي حال شكواهم بعد زوالها.

يقول النحاس: "وهذه القراءات إذا اختلفت معانيها لم يجز أن يقال: إحداها أجود من الأخرى، لا يقال ذلك في الأخبار إذا اختلفت معانيها، ولكن خبَّر عنهم أنهم دعوا أن يبعد بين أسفارهم بطراً وأشراً، وخبَّر أنهم لما فعل بهم ذلك خبَّروا به وشَكَوا."(٢)

ويحتمل أن تكون قراءة الجمهور تحكي حال بعضهم ممن ترف وبطر النعمة فسأل المباعدة بين الأسفار؛ بطراً وأشراً، وقراءة يعقوب تحكي حال فريق آخر أشد كفراً من الفريق الأول كذَّب بكون قرب البلاد من النعم، واستقل العمران من شدة ترفه، فسأل الله ﷻ أن تزداد البلاد قرباً.

والتعبير عن كل هذه المعاني بالألفاظ القليلة أو باللفظ الواحد المتنوع القراءات يدل على إعجاز نظم القرآن بإيجازه، وقدرته على التعبير عن المعاني المتخالفة والمتناقضة باللفظ الواحد من خلال تنوع قراءاته.

ومما ورد على التبادل بين الخبر والأمر من القراءات المتواترة قوله تعالى: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۞ انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ [سورة المرسلات/٢٩-٣٠] حيث قرأ جمهور القراء (انْطَلِقُوا) الثاني بصيغة الأمر، وقرأ رويس عن يعقوب (انْطَلَقُوا) بصيغة الماضي على الإخبار.(٣)

فأما قراءة الجمهور بأسلوب الأمر في الموضع الثاني؛ فللتكرير بموافقة الموضع الأول في اللفظ والأسلوب؛ لبيان المنطلَق إليه ووصفه،(٤) ولقصد التوبيخ أو الإهانة؛ إذ إن مقتضى الظاهر أن يقال: انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ظل ذي ثلاث شعب، غير أنه أعاد العامل بالأسلوب ذاته؛ للتأكيد في مقام التقريع.(٥)

وأما قراءة رويس بفتح اللام على صيغة الفعل الماضي، فللإخبار بأنهم انطلقوا إلى دخانها، بعد أن أُمِروا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٢٩١/١٤، وفتح القدير، ٤٥٧/٤.

(٢) إعراب النحَّاس، ٣٤٣/٣.

(٣) النشر، ٤٣٨/٢، وتحبير التيسير، ص ٦٠١.

(٤) المحرر الوجيز، ٤١٩/٥، والبحر المحيط، ٣٩٧/٨.

(٥) فتح القدير، ٥٠٥/٥، وروح المعاني، ١٧٥/٢٩، والتحرير والتنوير، ٤٠٢/٢٩.

بالانطلاق إلى النار، كأنهم لما أمروا امتثلوا فانطلقوا؛ إذ لا يمكنهم التأخير، إذ صاروا مضطرين إلى الانطلاق.(١) ولم يعطف الفعل الثاني على الأول بالفاء؛ لقصد الاستئناف؛ ليكون خبراً آخر عن حالهم.(٢)

واستبعد هذا بعض المفسرين، وقالوا: بل إن قوله: (انطَلَقوا) بصيغة الماضي كلام مستأنف استئنافاً بيانياً، كأنه قيل: ما كان منهم بعد أن أمروا بالانطلاق إلى النار، فقيل: امتثلوا وانطلقوا. ومما دعاهم إلى هذا القول: أنه كان ينبغي أن يقال: فانطلَقوا، بالفاء؛ ليرتبط آخر الكلام بأوله.(٣)

والقراءتان متحدتان في المعنى؛ لأن الفاعل على كلتا القراءتين هو المشركون المكذبون بعقيدة البعث بعد الموت، إلا أن قراءة رويس تدل على تحقق وقوع الفعل، وتصوِّر فظاعة حال المشركين، وتزيد نكايتهم بالإخبار عن انطلاقهم واستقرارهم في ذلك العذاب الأليم؛ لأنها جاءت بأسلوب الإخبار، وبصيغة الماضي التي تبيِّن أن الأمر ممتَثلٌ قطعاً.(٤)

فالقراءتان متكاملتان في المعنى، وبلاغة النظم تتحقق باجتماعهما؛ لأنهما معاً تدلان على إعجاز النظم بإيجازه، وقدرته على أداء المعنى الواحد بأساليب متعددة، وهذا من بلاغة التفنن في إيراد المعنى.

ومما ورد على التبادل بين الخبر والأمر من القراءات المتواترة (قال، وقل) في الآيات الآتية:

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الأنبياء/٤].(٥)

وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [سورة الأنبياء/١١٢].(٦)

وقوله: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [سورة المؤمنون/١١٢].

وقوله: ﴿قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة المؤمنون/١١٤].(٧)

---

(١) الكشاف، ٦٨١/٤، والمحرر الوجيز، ٤١٩/٥، والبحر المحيط، ٣٩٨/٨، وفتح القدير، ٥٠٥/٥،

(٢) التحرير والتنوير، ٤٠٢/٢٩.

(٣) مفاتيح الغيب، ٢٤١/٣٠، وروح المعاني، ١٧٥/٢٩.

(٤) الإتحاف، ص ٧٦٢.

(٥) قرأ الأخوان وخلف وحفص (قال) بألف على الخبر، والباقون (قل) بغير ألف على الأمر. انظر: السبعة، ص ٤٢٨، والتيسير، ص ١٠٥، والنشر، ٣٦٣/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٦٥.

(٦) قرأ حفص: (قال رب احكم) بالألف، والباقون بغير ألف. انظر: السبعة، ص ٤٣١، والتيسير، ص ١٠٥، وتحبير التيسير، ص ٤٦٧.

(٧) قرأ ابن كثير والأخوان (قل كم لبثتم) بغير ألف، وقرأ الأخوان (قل إن لبثتم) بغير ألف، وقرأ الباقون بالألف في الموضعين من سورة المؤمنون. انظر: السبعة، ص ٤٤٩، والتيسير، ص ١٠٨، والنشر، ٣٦٩/٢-٣٧٠، وتحبير التيسير، ص ٤٧٨.

وقوله: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ [سورة الزخرف/٢٤]. (١)

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن/٢٠]. (٢)

حيث يحمل أسلوب الخبر على الإخبار عما قاله النبي ﷺ في الأنبياء والجن، وتحمل قراءات الأمر على توجيه النبي ﷺ وأمره بأن يقول للمشركين ما أمره الله ﷻ بقوله، أو توجيهه إلى الإقبال بالدعاء في الموضع الثاني من الأنبياء.

وتحمَل القراءة بالماضي على الخبر عما قاله نذير كل أمة في الزخرف، وقراءة الأمر على أمر النذير بأن يقول لأمته: أولو جئتكم بأهدى مما كان عليه آباؤكم. أي: إنَّ الآية بقراءتيها تبيِّن أن جميع الرّسل قالوا لأقوامهم: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ [سورة الزخرف/٢٤]، وكذلك النبي ﷺ أُمِرَ بأن يجيب كفار قومه بهذا الجواب لـمَّا رفضوا دعوته للتوحيد، وأصرُّوا على دين آبائهم، كما يتبيَّن من سياق الآيات: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ۞ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [سورة الزخرف/٢٣-٢٤]. (٣)

وبالقراءتين يتكامل معنى الآية، ويتبيَّن أن النبي ﷺ قال لكفار قومه ما قاله جميع الرسل لأقوامهم؛ لأن كفار قريش تعلَّلوا بالعلَّة نفسها التي تعلَّل بها كفار الأمم السابقة.

وكذلك تحمل قراءة الماضي في آيات المؤمنون على الخبر عمَّا يقوله الله ﷻ أو الملك المأمور بسؤالهم؛ تبكيتاً وتوبيخاً. أي: قال الله ﷻ أو خازن جهنم للكفار يوم البعث: كَمْ لَبِثْتُمْ في الدنيا أو في القبور.

وتحمل قراءة الأمر في آيتي (المؤمنون) على توجيه الكافرين، وأمرهم بأن يتساءلوا عن مدة لبثهم، أو على الأمر للملك أو لبعض رؤساء أهل النار أن يسألوا الكفار عن مدة لبثهم في الأرض. (٤) أي: إنَّ الخبر والأمر يحمَل

---

(١) قرأ ابن عامر وحفص (قال أولو) بالألف على الخبر، وقرأ الباقون (قل) بغير ألف على الأمر. انظر: السبعة، ص ٥٨٥، والتيسير، ص ١٢٦، والنشر، ٤٠٩/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٤٨.

(٢) قرأ عاصم وحمزة وأبو جعفر: (قل إنما أدعو) بغير ألف على الأمر، وقرأ الباقون (قال) بالألف. انظر: السبعة، ص ٦٥٧، والتيسير، ص ١٣٦، والنشر، ٤٣٢/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٩٥.

(٣) التحرير والتنوير، ٢٣٤/٢٥-٢٣٥.

(٤) جامع البيان، ٨٢/١٩، ٦٦٩/٢٣، وحجة أبي زرعة، ص ٤٩٣، والمحرر الوجيز، ١٥٨/٤، ومفاتيح الغيب، ١١٠/٢٣، والجامع لأحكام القرآن، ١٥٦/١٢، والبحر المحيط، ٣٩١/٦، واللباب، ٢٦٧/١٤، والسراج المنير، ٦٥٧/٢، ٤٥١/٤-٤٥٢، والإتحاف، ص ٧٥٤.

يحمَل على ما يقتضيه سياق كل آية من الآيات.[1]

ومعنى كل قراءة من القراءتين في الآيات المذكورة يكمل معنى الأخرى، ولا يتعارض معه، بل يدل تعدد القراءات في هذه المواضع على أن النبي ﷺ أو النذير أو ملك جهنم قد امتثل أمر الله ﷻ، فقال ما أمره الله ﷻ بقوله. وهذا المعنى لا يمكن أن نكتشفه من معنى قراءات الأمر، وإنما يدلنا عليه قراءات الخبر. وتنوع القراءات من دلائل الإيجاز والإعجاز والتفنن في نظم القرآن الذي يعبر بقراءاته المتنوعة عن الصورة الكاملة للمشهد كما لو كانت قصة متكاملة الأطراف، يحكي لنا بدايتها ونهايتها بتلك الألفاظ القليلة.

وحاصل الأمر: أن تنوع القراءات المتواترة وترددها بين أسلوبي الخبر والأمر يدل غالباً على بلاغة الإيجاز في نظم القرآن؛ حيث يدل تعدد القراءات على تعدد الأحوال والمقامات، أو على امتثال الأمر وتحققه فعلاً.

هذا أبرز ما استنتجته الدراسة من آثار بلاغية لتبادل القراءات بين الخبر والأمر، والمطلب الآتي سيدرس أسلوب النهي، ووجوهه البلاغية؛ ليستخرج أثر تبادل القراءات بين أسلوبي النهي والإخبار في بلاغة النظم.

---

(١) جامع البيان، ٤١١/١٨، وحجة أبي زرعة، ص ٤٦٥، ٦٤٨، ٧٢٩، والمحرر الوجيز، ٧٤/٤، ١٠٤، والجامع لأحكام القرآن، ٧٦/١٦، ٢٥/١٩، وأنوار التنزيل، ٨٣/٤، والبحر المحيط، ٢٧٦/٦، ٣١٩، ١٢/٨، ٣٤٦، واللباب، ٤٥٠/١٣، ٦٢٧، والسراج المنير، ٥٤٩/٢، والإتحاف، ص ٥٥٢، ٥٥٧.

المطلب الثالث: تنوع القراءات بين الإخبار والنهي، وأثره في بلاغة النظم.

النهي من أنواع الإنشاء الطلبي، وهو طلب الكف عن الفعل استعلاءً، بصيغة المضارع الذي دخلت عليه (لاَ) الناهية، كقوله تعالى: ﴿وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾ [سورة النساء/٥].(١)

وهو يدل على التكليف الإلزاميُّ بالترك وعدم الفعل، وقد يخرج عن هذا المعنى الأصلي إلى معانٍ أخرى يدل عليها القرائن وسياق الكلام.(٢)

وقد ورد التبادل بين أسلوبي الخبر والنهي فيما بين القراءات المتواترة في بعض المواضع في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [سورة البقرة/١١٩]. حيث قرأ جمهور القراء (وَلَا تُسْأَلُ)، على الخبر، وقرأ نافع ويعقوب (وَلَا تَسْأَلْ)، على النهي.(٣)

وجملة ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ في قراءة الجمهور جملة خبرية، و(لا) على هذه القراءة هي النافية. والمعنى: لست مسؤولاً عن كفر أصحاب الجحيم، فلا يحزنك كفرهم؛ لأن الله ﷻ لا يسأل أحداً عن ذنب أحد.(٤)

والجملة بناء على هذه القراءة تقرير لمضمون قوله: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ). وهي إخبار من الله ﷻ لنبيه ﷺ بأنه غير مؤاخذ ببقاء الكافرين على كفرهم بعد أن بلغت لهم الدعوة؛ لأن السؤال هنا كناية عن المؤاخذة واللوم،(٥) مثل قوله ﷺ: "وكلكم مسؤول عن رعيته."(٦)

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٤٣، ومختصر المعاني، ص ١٤٢، والبلاغة العربية، ٢٢٨/١-٢٣١.

(٢) قد يخرج النهي عن معناه الأصليّ بدلالة السياق والقرائن إلى غيره، نحو: الدعاء، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [سورة البقرة/٢٨٦]، والالتماسُ، كقوله تعالى على لسان هارون ﷺ: ﴿ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأعراف/١٥٠]. والإرشادُ، كقوله تعالى: ﴿لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [سورة المائدة/١٠١]. والتمني، نحو: يا شمسُ لا تغربي. والتيئيس، كقوله تعالى للمنافقين: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [سورة التوبة/٦٦]. والتوبيخ، كقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة/٤٢]. انظر: البلاغة العربية، ٢٣٢/١-٢٣٦.

(٣) السبعة، ص ١٦٩، والمبسوط، ص ١٣٥، والتيسير، ص ٦٢، والنشر، ٢٥١/٢، وتحبير التيسير، ص ٢٩٤.

(٤) جامع البيان، ٥٥٨/٢، والكشف عن وجوه القراءات، ٢٦٢/١، ومعالم التنزيل، ١٤٣/١، والمحرر الوجيز، ٢٠٤/١، وزاد المسير، ١٣٨/١، ومفاتيح الغيب، ٢٨/٤، والجامع لأحكام القرآن، ٩٢/٢، وأنوار التنزيل، ٣٩٢/١، والبحر المحيط، ٥٣٨/١.

(٥) التحرير والتنوير، ٦٧٤/١.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه، رقم/٢٢٧٨، ٨٤٨/٢.

ومما يؤيد قراءة الجمهور ما روي عن ابن مسعود ﷺ أنه قرأ: (ولن تُسألَ). وقراءة أبي ﷺ: (وما تُسألُ)، فمعناهما موافق لقراءة الجمهور، وهو نفي أن يكون مسؤولاً عنهم.(١)

ومما يحسِّنها مشابهتها لما قبلها وما بعدها في الخبرية، فقوله ﷻ قبله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سورة البقرة/١١٩] خبر، وقوله بعده: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [سورة البقرة/١٢٠] خبر أيضاً، ومشابهة ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ لما قبله وبعده في الخبرية أجمل لفظياً من المخالفة.(٢)

أما الجملة في قراءة نافع ويعقوب فهي جملة إنشائية، و(لا) فيها هي الناهية التي تدخل على الفعل المضارع فتجزمه. والمعنى الحقيقي للنهي غير مراد هنا، وإنما المراد الدلالة على عظيم عذابهم وفظاعة أحوالهم.

ومعنى الآية على هذه القراءة: نُهيَ النبي ﷺ عن السؤال عن أحوال أهل النار؛ لفظاعة أحوال المشركين والكافرين حتى إن المتفكر في مصير حالهم ينهى عن الاشتغال بذلك؛ لأنها أحوال لا يحيط بها الوصف، ولا يبلغ إلى كنهها العقل في فظاعتها وشناعتها. أي: إنَّ النهي عن السؤال في هذه القراءة كناية عن تعظيم ما يلقونه من العذاب، كما تقول: فلان لا تَسأَل عنه، تعني أنه في نهاية تشهره من خير أو شر.(٣) ومن ذلك قول عائشة رضي الله عنها في صفة صلاة النبي ﷺ في رمضان: "يصلي أربع ركعات، فلا تَسأَلْ عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً فلا تَسأَلْ عن حسنهن وطولهن."(٤)

فالسؤال هنا مستعمل في الاهتمام والتطلع إلى معرفة الحال مجازاً مرسلاً بعلاقة اللزوم؛ لأن المعني بالشيء المتطلع لمعرفة أحواله يكثر من السؤال عنه.(٥)

وقيل: إن الله ﷻ نهى النبي ﷺ في هذه القراءة عن السؤال عن مصير بعض الكفار؛ لما روي في التفسير أن النبي ﷺ قال ذات يوم: "ليت شعري ما فعل أبواي؟" فنزلت (وَلَا تَسْأَلْ). وقصر الطبري قراءة النهي على هذا

---

(١) حجة ابن خالويه، ص ٨٧، وحجة الفارسي، ٢/٢١٦، وحجة أبي زرعة، ص ١١٢، والكشف عن وجوه القراءات، ١/٢٦٢، والكشاف، ١/٢٠٩، ومفاتيح الغيب، ٤/٢٩، والجامع لأحكام القرآن، ٢/٩٣، واللباب، ٢/٤٣٦، وإرشاد العقل، ١/١٥٢.

(٢) حجة الفارسي، ٢/٢١٦، والكشف عن وجوه القراءات، ١/٢٦٢.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات، ١/٢٦٢، ومعالم التنزيل، ١/١٤٣، والكشاف، ١/٢٠٩، والمحرر الوجيز، ١/٢٠٤، وزاد المسير، ١/١٣٨، ومفاتيح الغيب، ٤/٢٩، والجامع لأحكام القرآن، ٢/٩٣، وأنوار التنزيل، ١/٣٩٢، والبحر المحيط، ١/٥٣٨، واللباب، ٢/٤٣٦، وإرشاد العقل، ١/١٥٢، والتحرير والتنوير، ١/٦٧٣–٦٧٤.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب كان النبي ﷺ تنام عيناه ولا ينام قلبه، رقم/٣٣٧٦، ٣/١٣٠٨، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل، رقم/٧٣٨، ١/٥٠٩.

(٥) التحرير والتنوير، ١/٦٧٣–٦٧٤.

المعنى فقط.[1]

وقد استبعد جمهور المفسرين هذا المعنى؛ لأن والدي النبي ﷺ ماتا قبل البعثة، وهذا مما لا يتوهم أنه خفي عليه ﷺ، فهو ﷺ عالم بما آل إليه أمرهما،[2] ولأن حمل القراءة على معنى نهي النبي ﷺ عن السؤال عن حال أبويه مما لا يساعده النظم الكريم؛ لأن سياق الكلام يدل على أن ذلك عائد على اليهود والنصارى ومشركي العرب الذين جحدوا نبوّته ﷺ، وكفروا عناداً، وأصروا على كفرهم، حيث قال ﷻ بعد هذه الآية: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [سورة البقرة/١٢٠]، إلا إن كان ذلك على سبيل الانقطاع من الكلام الأول، فيكون من تلوين الخطاب، وهو بعيد.[3]

ولأجل بُعدِ هذا المعنى وضعفه رجّح الطبري ومكي بن أبي طالب قراءة الخبرية على قراءة النهي.

ومن ثم احتج الطبري لرجحان قراءة الجمهور بأن الله ﷻ قص قصص بعض اليهود والنصارى، وذكر ضلالتهم، وكفرهم بالله وجراءتهم على أنبيائه، ثم قال لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا﴾ [سورة البقرة/١١٩] لمن آمن بك واتبعك، (وَنَذِيرًا) لمن كفر بك وخالفك، فبلغ رسالتي، فليس عليك من أعمال من كفر بك بعد إبلاغك إياه رسالتي تبعة، ولا أنت مسؤول عما فعل بعد ذلك.

فالمُلاحظ أنه لم يجر لمسألة رسول الله ﷺ ربه عن أصحاب الجحيم ذكر، فيكون لقوله: ﴿وَلَا تَسْأَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ وجه يوجه إليه. وإنما الكلام موجه معناه إلى ما دل عليه ظاهره المفهوم، حتى تأتي دلالة بينة تقوم بها الحجة، على أن المراد به غير ما دل عليه ظاهره، فيكون حينئذ مسلّماً للحجة الثابتة بذلك.

فلا خبر تقوم به الحجة على أن النبي ﷺ نُهِيَ عن أن يسأل في هذه الآية عن أصحاب الجحيم، ولا دلالة تدل على أن ذلك كذلك في ظاهر التنزيل. والواجب أن يكون تأويل ذلك الخبر على ما مضى ذكره قبل هذه الآية، وعمن ذكر بعدها من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الكفر، دون النهي عن المسألة عنهم. فهذا يدل دلالة واضحة على أن الخبر أولى من النهي، والرفع به أولى من الجزم.[4]

وأعتقد أن سبب ترجيح قراءة الخبر عند الطبري هو ما ذهب إليه من حَمْلِ قراءة النهي على معنى نهي النبي

---

(١) جامع البيان، ٥٥٨/٢، وحجة الفارسي، ٢١٦/٢–٢١٧، والكشف عن وجوه القراءات، ٢٦٢/١، ومعالم التنزيل، ١٤٣/١، والكشاف، ج٢٠٨/١–٢٠٩، والمحرر الوجيز، ٢٠٤/١، ومفاتيح الغيب، ٢٨/٤. وبحثت عن هذا القول في كتب الحديث والسنن ولم أجده.

(٢) المحرر الوجيز، ٢٠٤/١، والبحر المحيط، ٥٣٨/١.

(٣) البحر المحيط، ٥٣٨/١، وإرشاد العقل، ١٥٢/١.

(٤) جامع البيان، ٥٥٩/٢–٥٦٠.

ﷺ عن السؤال عن حال أبويه، ولو أنه ذهب إلى المعنى الآخر الذي رجَّحه جمهور المفسرين لكنت أظن أنه يقول بتساوي القراءتين في البلاغة والصواب.

واستند مكي إلى عدة أسباب تقوي قراءة الرفع لديه، منها: أن قراءتي أبي وابن مسعود تشهد لها، وأن قراءة الرفع تتناسب مع ما قبلها وما بعدها في الخبرية، ويؤيدها قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ [سورة البقرة/٢٧٢]، وقوله: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [سورة المائدة/٩٩]، ولأن الأَولى في قراءة النهي أن تقترن بالفاء، كقولك: أعطيتك مالاً، فلا تسألني غيره.[1]

وأرى أن الأسباب التي استند إليها مكي في ترجيح قراءة الرفع أسباب وجيهة، وتدل على بلاغة قراءة الرفع، غير أنها لا تقوى – من وجهة نظري – على تضعيف قراءة الجزم والنهي. ولو أنه حاول التماس وجوه بلاغية تقوي قراءة الجزم لوجد؛ لأن قراءة النهي لها وجوه بلاغية تشهد لقوتها، منها:

١ – بلاغتها في التعبير عن فظاعة أحوال الكافرين وأهل النار، حتى إن المتفكر في مصير حالهم ينهى عن الاشتغال بذلك؛ لأنها أحوال لا يحيط بها الوصف، ولا يبلغ إلى كنهها العقل في فظاعتها وشناعتها.

٢ – بلاغة المغايرة الإعرابية والأسلوبية لما سبقها ولحقها؛ لأن المغايرة الإعرابية أو الأسلوبية تنبِّه الأذهان على أهمية المعنى والموضوع الذي تضمنه الكلام المغاير لما سبقه ولحقه، ولهذا كان الالتفات شجاعة العربية.

٣ – أما العطف بالواو دون الفاء، فلجعل الكلام مستقلاً بذاته، والإتيان به على جهة النهي المستأنف.

وأما ما ذكره مكي من كون العطف بالفاء أولى من الواو فصحيح إذا كان ما قبله علةً له، أي: لو كانت البشارة والنذارة عِلة لعدم السؤال عن أحوال أهل النار أو مصيرهم كان العطف بالفاء أَولى، كقولك: أعطيتك فرساً فلا تسألني غيره، إلا أن البشارة والنذارة في هذه الآية ليستا عِلة لعدم السؤال عن أحوال أهل النار حتى يقال: إن العطف بالفاء أَولى.[2]

وخلاصة القول: أن قراءة الخبر قوية بلاغياً، ويحسِّنها المشابهة اللفظية والأسلوبية لما جاورها من الجمل، وقراءة النهي بليغة أيضاً، ويحسِّنها مضمونها، والتعبير بها عن معنى كنائي لا يعبَّر عنه بلفظ واحد.

والمعنى الذي ذكره جمهور المفسرين لقراءة الرفع مع المعنى الذي ذكروه لقراءة النهي ورجحوه يشهدان لبلاغة نظم القرآن الذي عبَّر بلفظ واحد عن معانٍ كثيرة لا يُعبَّر عنها إلا بالكثير من الجمل.

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات، ١/٢٦٢.

(٢) حجة الفارسي، ٢/٢١٧.

ومما ورد على التبادل بين الخبر والنهي في القراءات المتواترة قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ [سورة البقرة/٢٣٣] حيث قرأ جمهور القراء (لَا تُضَارَّ)، مجزوم بلا الناهية، والفتحة للتخلص من التقاء الساكنين؛ لأن الراء الأولى ساكنة ليأتي الإدغام، وسكنت الراء الثانية للجزم ثم حركت بالفتحة؛ لأنها أخف الحركات. وقرأ ابن كثير والبصريان (لَا تُضَارُّ)،[(١)] على أن (لا) حرف نفي، والكلام على الخبر لفظاً.

وجمهور المفسرين على أن القراءتين في المعنى سواء؛ فقراءة الجمهور إنشائية جاءت بأسلوب النهي لفظاً ومعنى، وقراءة ابن كثير وأبي عمرو خبرية في اللفظ، لكنها في معنى النهي.[(٢)]

ويحسِّن قراءة ابن كثير وغيره مشابهتها ومناسبتها لما قبلها، وهو قوله: (لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا) من حيث اشتراك الجملتين في الخبرية والرفع لفظاً، وإن اختلف معناهما؛ لأن الأولى خبرية لفظاً ومعنى، وهذه خبرية في اللفظ، نهي في المعنى.[(٣)]

ومعنى الآية على القراءتين لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا، فينزع الولد منها إلى غيرها بعد أن رضيت بإرضاعه، وَلاَ مَوْلُودٌ لهُ بِوَلَدِهِ، بحيث لا تلقيه المرأة إلى أبيه بعدما ألفها؛ تُضَارُّهُ بذلك.

أو: لا تضارُّ والدةٌ فتكره على إرضاعه إذا كرهت إرضاعه، وقبل الصّبيُّ من غيرها؛ لأنَّ ذلك ليس بواجبٍ عليها، ولا مولودٌ له بولده فيحتمل أن يعطي الأمَّ أكثر مما يجب لها، إذا لم يرتضع الولد من غيرها، والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد، وهو أن يغيظ أحدهما صاحبه بسبب الولد.[(٤)]

وهذا الجانب الأخلاقي يرشد إليه القرآن من خلال القراءتين؛ فالأصل في مثل هذه المعاملات مراعاة مصلحة المولود، ودين الله ينهى عن كلِّ ضرر يحصل له بسبب نزاع الوالدين، وأخلاق الإسلام تنبو عن استغلال

---

(١) وهناك قراءة ثالثة، وهي: (لا تضارْ) بإسكان الراء وتخفيفها، وقرأ بها أبو جعفر. انظر: السبعة، ص ١٨٣، والتيسير، ص ٦٤، والنشر، ٢/٢٦٠، وتحبير التيسير، ص ٣٠٥.

(٢) معاني النحّاس، ١/٢١٧، وإعراب النحّاس، ١/٣١٧، والمحرر الوجيز، ١/٣١٢، والتبيان في إعراب القرآن، ١/١٨٥، والجامع لأحكام القرآن، ٣/١٦٧، والتحرير والتنوير، ٢/٤١٣. وقال القرطبي: "قرأ أبو عمرو وابن كثير وأبان بن عاصم وجماعة (تضارُّ) بالرفع عطفاً على قوله: (تكلفُ نفسٌ)، وهو خبر والمراد به الأمر. والقرطبي يقصد بقوله: الأمر: الأمر بترك الفعل وهو المضارة، والأولى أن يقول: خبر والمراد به النهي.

(٣) حجة الفارسي، ٢/٣٣٣–٣٣٤، والكشف عن وجوه القراءات، ١/٢٩٦، وزاد المسير، ١/٢٧٢، والبحر المحيط، ٢/٢٢٥، واللباب، ٤/١٧٦.

(٤) الكشف عن وجوه القراءات، ١/٢٩٦، ومعالم التنزيل، ١/٢٧٨، والكشاف، ١/٣٠٨، ومفاتيح الغيب، ٦/١٠٤، والجامع لأحكام القرآن، ٣/١٦٧، واللباب، ٤/١٧٨.

المولود من قبل أحد الوالدين للضغط على الآخر.(١)

وأرجِّح أن القراءتين في قوة البلاغة سواء؛ لأن معناهما واحد ويراد بهما النهي عن فعل الإضرار، ولأن كل قراءة فيها ما يحسنها بلاغياً، فقراءة الرفع يحسنها المشابهة اللفظية لما قبلها، وقراءة الجمهور يحسنها المغايرة التي تنبِّه الأذهان على ضرورة التزام ترك المنهي عنه، وهذا من بلاغة النظم الذي يفتَنُّ في التعبير عن المعنى.

ومما ورد على التبادل بين الخبر والنهي في القراءات المتواترة قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف/٢٦] حيث قرأ جمهور القراء (وَلَا يُشْرِكُ)، على الخبر، وقرأ ابن عامر (وَلَا تُشْرِكْ)، على النهي.(٢)

و(لا) في قراءة الجمهور (وَلَا يُشْرِكُ)، هي النافية التي تخلِّص الجملة للخبرية، ومعنى الآية بناء على هذه القراءة: النفي المحض أن يكون هناك أي شريك لله ﷻ في ملكه أو أحكامه أو علم الغيب. أي: إنَّ معنى الآية على هذه القراءة كمعنى قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن/٢٦].

أما (لا) في قراءة ابن عامر (وَلَا تُشْرِكْ)، فهي الناهية التي تدخل على الفعل المضارع فتجزمه وتفيد النهي، وظاهر الكلام على هذه القراءة: نهي النبي ﷺ أن يتخذ لله شريكاً، والمراد أمته والإنسان عموماً، أي: ولا تجعل أيها الإنسان لله ﷻ شريكاً في علم الغيب، ولا تعتقد أن يكون له شريك في ذلك.(٣)

وقد أتت هذه الآية في سياق الحديث عن قصة أهل الكهف، والظاهر أن الله ﷻ بعد أن أخبر بعددهم ومدة لبثهم في الكهف، أخبر ﷻ عن نفسه بأنه لا يشرك معه أحداً في أحكامه، ولا يطلع أحداً على غيبه وهذا معنى قراءة الجمهور. ولأجل هذه المناسبة والمشابهة في الخبرية بين قراءة الجمهور وما قبلها اختار مكي بن أبي طالب هذه القراءة.(٤)

وأرى أن المشابهة اللفظية وإن كانت أحد الوجوه البلاغية التي تشهد لبلاغة القراءة الخبرية، إلا أن ما يحسن

---

(١) الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية، ص ٢٠٣-٢٠٤.

(٢) السبعة، ص ٣٩٠، والتيسير، ص ٩٩، والنشر، ٣٤٨/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٤٤، ونسب الأصفهاني قراءة الجزم والنهي إلى يعقوب. انظر: المبسوط، ص ٢٧٧. وقراءة يعقوب كقراءة الجمهور كما حقق ابن الجزري في النشر.

(٣) حجة ابن خالويه، ص ٢٢٣، وحجة الفارسي، ١٤١/٥، وحجة أبي زرعة، ص ٤١٥، والكشف عن وجوه القراءات، ٥٩/٢، والمحرر الوجيز، ٥١١/٣، والموضّح، ٢/ ٧٧٩، وزاد المسير، ١٣١/٥، والجامع لأحكام القرآن، ٣٨٨/١٠، والبحر المحيط، ١١٣/٦، والدر المصون، ٤٧٢/٧، واللباب، ٤٦٥/١٢، وروح المعاني، ٢٥٦/١٥.

(٤) الكشف عن وجوه القراءات، ٥٩/٢.

قراءة النهي أنها تتمم معنى قراءة الجمهور، حيث أرشد الله ﷻ فيها نبيه ﷺ وأمته إلى الاكتفاء بما أخبر الله ﷻ به، والاقتصار على حكمه وبيانه، والاعتقاد أن لا أحد في الكون لديه علم بهذه الواقعة فيمكن أن يُقصَد لطلب معرفة تفاصيلها. أي: لا تشرك مع الله ﷻ أحداً في معرفة تفاصيل وأحكام تلك الواقعة.(١)

ومن هنا يدرك القارئ والمتأمل في كتاب الله ﷻ وقراءاته أن ثمَّة غرضاً بلاغياً وراء تعدد وتنوع القراءات في مثل هذا الموضع، وأن إيراد القراءات المتنوعة لا يُقصَد به مجرد التعدد، بل قُصِد به تتميم المعنى وتكميله، والإخبار عن اختصاص الله ﷻ وحده في علم الغيب، ومن ثمَّ الإرشاد إلى ترك البحث عما طوى الله ﷻ ذكره، وهذا من بلاغة الإيجاز في نظم القرآن.

ومما ورد على التبادل بين الخبر والنهي في القراءات المتواترة قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ [سورة طه/٧٧] حيث قرأ جمهور القراء (لَا تَخَافُ)، على الخبر، وقرأ حمزة (لَا تَخَفْ)، على النهي.(٢)

فأما قراءة الجمهور (لَا تَخَافُ)، فهي خبر يُراد به البشرى، و(لا) فيها هي النافية. والمعنى: وعد الله ﷻ نبيه موسى عليه السلام بأنه سيقطع البحر ويسير فيه دون أن يخاف أو يخشى إدراك فرعون له.

والأظهر أن الجملة على هذه القراءة في موضع الحال من فاعل (اضْرِب)،(٣) أي: ستمر وتجوز البحر يا موسى حال كونك آمنا من أن يدرككم العدو.(٤)

وأما قراءة حمزة فتحتمل وجهين:

الأول: أن تكون الجملة انشائية بأسلوب النهي، و(لا) ناهية، والفعل بعدها مجزوم بها، والجملة نهي مستأنف. والمعنى: اضرب طريقاً في البحر، ولا تخف لحاق فرعون بك.(٥)

---

(١) معاني النحّاس، ٢٢٩/٤، ومفاتيح الغيب، ٩٦/٢١.

(٢) السبعة، ص ٤٢١، والتيسير، ص ١٠٤، والنشر، ٣٦١/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٦١.

(٣) وذكر بعض المفسرين وجوهاً أخرى في إعراب الجملة في قراءة الجمهور، منها: أنه مستأنف فلا محل له من الإعراب، ومنها: أن الجملة صفة لـ (طريقاً)، والعائد محذوف، أي: لاَ تَخَافُ فيه. انظر: إعراب النحّاس، ٥٠/٣، والمحرر الوجيز، ٥٥/٤، والجامع لأحكام القرآن، ٢٢٨/١١، والدر المصون، ٨١/٨، واللباب، ٣٣٣/١٣، وروح المعاني، ٢٣٦/١٦.

(٤) الكشاف، ٧٩/٣، والموضّح، ٨٤٧/٢، ومفاتيح الغيب، ٨٠/٢٢، وأنوار التنزيل، ٦٣/٤، ومدارك التنزيل، ٩٤/٣، والبحر المحيط، ٢٤٥/٦، وإرشاد العقل، ٣١/٦، وفتح القدير، ٥٤٠/٣، والتحرير والتنوير، ١٥٦/١٦.

(٥) إعراب النحّاس، ٥٠/٣، وحجة أبي زرعة، ص ٤٥٨، ومعالم التنزيل، ٢٨٧/٥، والمحرر الوجيز، ٥٥/٤، وزاد المسير، ٣١٠/٥، ومفاتيح الغيب، ٨٠/٢٢، والبحر المحيط، ٢٤٥/٦، والدر المصون، ٨٢/٨، واللباب، ٣٣٣/١٣–٣٣٤، وروح المعاني، ٢٣٦/١٦.

الثاني: أن الجملة خبرية في موضع الجزم على جواب الأمر. أي: إن تَضْرِبْ طريقاً يبساً لاَ تَخَف.(١) ومعنى قراءة حمزة على هذا الوجه كمعنى قراءة الجمهور.

وما يهم الباحثة هو الوجه الأول، وهو كون الجملة انشائية بأسلوب النهي، على معنى الأمر لموسى عليه السلام ومن معه بتقوية ثقتهم واعتقادهم بأنهم سيجتازون البحر، وأنهم مؤيدون من الله تعالى ولذلك يجب عليهم ترك حال الخوف التي أخبر الله تعالى عنها بقوله: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۞ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۞ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة الشعراء/٦١-٦٣].

وبناء على هذا الوجه يتكامل معنى القراءتين؛ حيث يدعو الله تعالى موسى عليه السلام وأصحابه في قراءة حمزة إلى تقوية اليقين بنصر الله تعالى وتأييده لهم، ثمّ يبشرهم في القراءة الأخرى بأنهم سيجتازون البحر حال كونهم آمنين من الإدراك، وبذلك تقوم هذه الآية بقراءتيها مقام آيتين في المعنى.

ولا بد في هذا المقام من الإشارة إلى مسلك بعض المفسرين الذين اختاروا ترجيح قراءة الجمهور؛ لمناسبتها للرفع، أو لعدم الجزم في (تخشى).(٢)

وهذا الكلام غير وجيه؛ لأن أكثر المفسرين ذهبوا إلى أن إثبات الألف في (لا تخشى) يحتمل أمرين:

الأول: أن يكون قوله: (وَلاَ تَخْشَى) مرفوعاً عَلى الاستئناف، أي: وأنت لا تخشى. فهو كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [سورة آل عمران/١١١]، حيث استأنف فرفع (لَا يُنْصَرُونَ) بعد (يُوَلُّوكُمُ) المجزوم.

الثاني: أن يكون قوله: (وَلاَ تَخْشَى) مجزوماً، لكن أثبت الألف لمراعاة توافق الفواصل، فهي كقوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [سورة الأحزاب/١٠]، وقوله: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ [سورة الأحزاب/ ٤٨].(٣) وأعتقد أن القول بهذا الوجه - الجزم وإثبات الألف لمراعاة توافق الفواصل — يشير إلى وجه آخر من وجوه البلاغة في نظم القرآن، وهو ما يمتاز به من جمال الإيقاع، وجمال الانسجام الصوتي بين فواصل الآيات.

---

(١) جامع البيان، ٣٤٤/١٨، وإعراب النحّاس، ٥٠/٣، وحجة الفارسي، ٢٣٩/٥، والكشف عن وجوه القراءات، ١٠٢/٢، والكشاف، ٧٩/٣، والموضِّح، ٨٤٦/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٢٢٨/١١، وأنوار التنزيل، ٦٣/٤، ومدارك التنزيل، ٩٤/٣، والبحر المحيط، ٢٤٥/٦، وإرشاد العقل، ٣١/٦، وفتح القدير، ٥٤٠/٣، وروح المعاني، ٢٣٦/١٦، والتحرير والتنوير، ١٥٦/١٦.

(٢) إعراب النحّاس، ٥٠/٣—٥١، والكشف عن وجوه القراءات، ١٠٢/٢—١٠٣، وفتح القدير، ٥٤٠/٣.

(٣) معاني الفرّاء، ١٨٧/٢-١٨٨، والكشاف، ٧٩/٣، والموضّح، ٨٤٦/٢، ومفاتيح الغيب، ٨٠/٢٢، والجامع لأحكام القرآن، ٢٢٨/١١.

ومما ورد على التبادل بين الخبر والنهي في القراءات المتواترة قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [سورة طه/١١٢] حيث قرأ جمهور القراء (فَلَا يَخَافُ)، على الخبر، وقرأ ابن كثير (فَلَا يَخَفْ)، على النهي.[١]

والجملة في قراءة الجمهور (فَلَا يَخَافُ) خبرية، والكلام على الخبر، و(لا) نافية، والمعنى: من يؤمن ويعمل الصالحات لا يخاف الزيادة في سيئاته، أو النقص من حسناته، فانتفاء خوف المؤمن يوم القيامة أمر مقرَّر، فهو لا يخاف جزاء الظالمين، ولا يخشى إحباط عمله،؛ لأنه آمن منه بإيمانه وعمله الصالحات.[٢]

أما في قراءة ابن كثير فالجملة انشائية بأسلوب النهي، و(لا) هي الناهية.[٣] ولا يجوز أن يقال باحتمالية كون الفعل في قراءة ابن كثير مجزوماً؛ لأنه جواب لقوله: (وَمَنْ يَعْمَلْ) كما في المثال السابق؛ لأن جواب الشرط هنا وقع جملة فعلية طلبية يجب اقترانها بالفاء ويمتنع جزمها على الجواب، بل الجملة المقترنة بالفاء على القراءتين في موضع جزم بجواب الشرط.[٤] ومعنى الآية على قراءة النهي: من يعمل الصالحات فليأمن من جزاء الظالمين ومن الزيادة في سيئاته، أو النقص من حسناته؛ لأنه لم يفرط فيما وجب عليه. فالنهي عن الخوف أمر بالأمن.[٥]

وكل قراءة من القراءتين فيها خصوصية ليست في الأخرى؛ ففي قراءة الجمهور خصوصية لفظية، وفي قراءة ابن كثير خصوصية معنوية.

ووجه الخصوصية في قراءة الجمهور موافقتها للآية السابقة ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [سورة طه/١١١] في أسلوب الإخبار، فهي من هذا الوجه أبلغ من قراءة ابن كثير من حيث مشابهتها لما جاورها،[٦] ومن حيث كونها أدل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به؛ لأنها تدل على أن من حق من آمن بالله ﷻ أن يجتنب المظالم.[٧]

---

(١) السبعة، ص ٤٢٤، والتيسير، ص ١٠٤، والنشر، ٣٦٢/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٦٣.

(٢) التحرير والتنوير، ١٨٦/١٦.

(٣) إعراب النحّاس، ٤٩/٥، وحجة الفارسي، ٢٥٢/٥، وحجة أبي زرعة، ص ٤٦٤، والكشف عن وجوه القراءات، ١٠٧/٢، والكشاف، ٩٠/٣، والمحرر الوجيز، ٦٥/٤، والتبيان في إعراب القرآن، ٩٠٥/٢، وأنوار التنزيل، ٧٢/٤، والبحر المحيط، ٢٦١/٦، والدر المصون، ٨٢/٨، واللباب، ٣٩٦/١٣.

(٤) حجة الفارسي، ٢٥٢/٥، والإتحاف، ص ٥٤٩. وانظر: توضيح المقاصد، ١٢٨٢/٣، وحاشية الصبان، ٢٩/٤.

(٥) حجة الفارسي، ٢٥٢/٥، ومفاتيح الغيب، ١٠٤/٢٢، واللباب، ٣٩٦/١٣.

(٦) التحرير والتنوير، ١٨٦/١٦.

(٧) إرشاد العقل، ٤٥/٩.

ووجه الخصوصية في قراءة ابن كثير كونها تأمر بعدم التردد في حصول أمن المؤمن من الظلم والهضم،[1] فتفيد المبالغة في انتفاء الظلم، من خلال الأمر بتقوية اليقين، وحسن الظن بالله ﷻ. وبذلك يتكامل معنى القراءتين اللتين تتعاضدان للدلالة على بلاغة نظم القرآن.

وحاصل الأمر: أن تنوع القراءات المتواترة وترددها بين أسلوبي الخبر والنهي يدل غالباً على بلاغة الإيجاز في نظم القرآن؛ حيث يدل تعدد القراءات على تعدد المعاني، وتقوم كل قراءة مقام آية مستقلة في اللفظ والمعنى، تكمل معنى القراءة الأخرى، وتجيب عن التساؤلات التي قد تعرض في ذهن المتدبر في المعاني، والباحث عما بين سطور المعاني الظاهرية من دلالات ثانوية.

---

(١) نظم الدرر، ٤٨/٥، وروح المعاني، ٢٦٦/١٦.

المطلب الرابع: تنوع القراءات بين الإخبار والنداء، وأثره في بلاغة النظم.

النداء: هو طَلَبُ الإجابة لأمْرٍ ما بحرف من حروف النداء نائب مناب أدعو، وأدوات النداء ثمان، هي: (أَ، أَيْ، يَا، آ، آي، أَيَا، هَيَا، وَا). وكلُّ أداة من أدوات النداء لها مقام تقتضيه، فالأدتان (أَ، أَيْ) لنِدَاء القريب، وغيرهما لنداء البعيد.

وقد يتصرَّف البليغ في استعمال أدوات النداء، فينادي البعيد بأدوات نداء القريب؛ إشارةً إلى قربه من القلب، وحضوره في الذهن. وقد ينزل القريب منزلة البعيد فينادى بغير الهمزة وأي إشارة إلى علو مرتبته، نحو: "أيا مولاي" وأنت معه. أو إشارةً إلى انحطاط منزلته، أو غفلته وشرود ذهنه، كقولك لمن هو معك: "أيا هذا"

وقد يخرج النداء عن المعنى الأصليّ الموضوع له، فيُسْتَعْمَلُ في أغراضٍ أخْرى غير النداء، كالإغراء في قولك لمن أقبل يتظلم: "يا مظلوم تكلَّم"، أو الزّجْر واللّوم، أو التحسّر والتأسّف، والتَفجع والندم أو النُّدْبة، أو الاستغاثة، أو التمني، أو التضجر، أو التعجب، وغير ذلك من الأغراض التي تستفاد من القرائن.[(١)]

وكثيراً ما تُحذَفُ أداة النداء ولا سيما في نداء الرّبّ ودُعائه، فتكون مقدَّرة ذِهناً، كقوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [سورة إبراهيم/٣٥]، وقوله: ﴿رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [سورة المؤمنون/٢٦]. والأداةُ التي تُقدَّرُ عند الحذف هي: (يا). ولحذف أداة النداء دلالةٌ في نفس البليغ، وهي أنّ المنَادى هو في أقرب منازل القرب من المنادِي، حتّى لَمْ يحتج إلى ذكر أداة نداءٍ لَهُ لشدّةِ قُربِهِ، وهذا يليق بمقام دُعاءِ الرّبّ.[(٢)]

وقد جرى التبادل بين الإخبار والنداء في القراءات المتواترة في مواضع قليلة في القرآن الكريم. ومن أمثلة الآيات التي تبادلت قراءاتها المتواترة بين الإخبار والنداء قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الأعراف/١٤٩]، حيث قرأ الأخوان وخلف ﴿لَئِنْ لَمْ تَرْحَمْنَا رَبَّنَا وَتَغْفِرْ لَنَا﴾ بالخطاب ونصب (رَبَّنَا) على الدعاء، وقرأ الباقون ﴿لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ بالغيبة ورفع (رَبُّنَا)[(٣)] على أنه فاعل للفعل (يَرْحَمْنَا).[(٤)]

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٤٤، وبغية الإيضاح، ١١٦/١، والبلاغة العربية، ٢٤٠/١-٢٤٢.

(٢) البلاغة العربية، ٢٤٠/١-٢٤٢.

(٣) السبعة، ص ٢٩٤، والتيسير، ص ٨٢، والنشر، ٣٠٧/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٧٨.

(٤) اللباب، ٣٢١/٩.

ووجه قراءة الرفع أن الكلام على الإخبار بالغيبة، أي: أخذوا في الإقرار بالعبودية والاستغفار،[1] وتداولوا الكلام بينهم، ولم يتوجهوا بذلك إلى الله ﷻ بالدعاء؛ لغلبة الخوف عليهم، وعدم قدرتهم على المواجهة، واستحيائهم من خطاب الله ﷻ بعد اقترافهم ذلك الذنب، وهو عبادة العجل من دون الله ﷻ.[2]

ووجه قراءة النصب أن الكلام على الخطاب والدعاء، و(رَبَّنَا) منصوب على النداء، وفي هذه القراءة يظهر معنى الاستغاثة والتضرع والابتهال في السؤال والدعاء،[3] وتوجيه الخطاب بالدعاء والنداء أبلغ في الاستكانة والتضرع والخضوع،كما أن الدعاء فيه استعطاف واسترحام،[4] ولأجل هذه المعاني رجَّح القرطبي معنى قراءة الخطاب والنصب؛ لكونها الأبلغ.[5]

ورجَّح الإمام الطبري قراءة الرفع والغيبة، فقال: "والذي هو أولى بالصواب من القراءة في ذلك: القراءة على وجه الخبر بالياء في (يَرْحَمْنَا)، وبالرفع في قوله: (رَبُّنَا)؛ لأنه لم يتقدم ذلك ما يوجب أن يكون موجَّهًا إلى الخطاب."[6]

وأرى أن هذه الحجة لا تضعف القراءة الأخرى؛ لأن العدول عن النسق السابق أمر معروف ووجه حسن في الكلام البليغ، بل هو أدعى إلى جلب انتباه السامع، ولذلك حسُن أسلوب الالتفات، الذي ستأتي دراسته وبيان أغراضه.

وأعتقد أن الغرض البلاغي من تنوّع القراءات في هذه الآية هو الإيجاز في تصوير معنى الآية، حيث عبَّر بالقراءتين عن طائفتين مختلفين: طائفة خائفة قادرة على المواجهة معترفة بالذنب، وأخرى مستحيية يمنعها الحياء من الطلب وطرق أبواب الدعاء. أو عبرت القراءة بالرفع عن حالة ندمهم وخوفهم، ثم جاءت قراءة النصب لتعبِّر عن فزعهم إلى الدعاء، والتذلل بعد الندم والتحسر.

وقد لفت الإمام أبو حيان نظرنا إلى بلاغة الإيجاز في هذا التنوع، فقال: "فَيَجُوزُ أن يكون هذا الكلام صَدَرَ من جميعهم على التَّعَاقُبِ، أو هذا من طائفةٍ، وهذا من طائفةٍ، فمن غلب عليه الخوفُ، وقوي على

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٢٨٦/٧.

(٢) حجة الفارسي، ٨٨/٤–٨٩، وحجة أبي زرعة، ص ٢٩٧، والبحر المحيط، ٣٩٢/٤، والدر المصون، ٤٦٥/٥، واللباب، ٣٢١/٩.

(٣) حجة ابن خالويه، ص ١٦٤، والبحر المحيط، ٣٩٢/٤.

(٤) البحر المحيط، ٣٩٢/٤.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، ٢٨٦/٧.

(٦) جامع البيان، ١١٩/١٣–١٢٠.

المُواجهةِ؛ خاطب مستقيلاً من ذنبه، ومن غلب عليه الحياء أخرج كلامهُ مخرج المُسْتَحِي من الخطاب؛ فأسند الفِعْلَ إلى الغَائِبِ."[1]

ومن الآيات التي تنوعَّت قراءتها بين الإخبار والنداء قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام/٢٣]، حيث قرأ الأخوان وخلف ﴿رَبَّنَا﴾ بالنصب على النداء، وقرأ الباقون ﴿رَبِّنَا﴾ بالجر على طريقة الإخبار.[2]

وفي إعراب ﴿رَبَّنَا﴾ على قراءة النصب وجوه: الأول النصب على النداء، أي: والله يا ربنا.[3] أو النصب على المدح[4] أو على أنه مفعول لفعل محذوف، والتقدير: أعني ربنا.[5] والوجه الأول هو الأظهر.

ويجوز في إعراب ﴿رَبِّنَا﴾ على قراءة الجر ثلاثة وجوه: هي: الجر على النعت للفظ الجلالة،[6] أو البدل منه،[7] أو عطف البيان.[8]

وقد رجَّح بعض المفسرين قراءة النصب؛ لأن الله ﷻ قد تقدم ذكره، فلم يكن في النعت أو البدل كبير أثر في المعنى، وإنما يظهر الأثر المعنوي في قراءة النصب، حيث يتبيَّن من خلالها أنهم نادوا ربهم بعد ذلك مستغيثين به، ففيها ما ليس في قراءة الجر من معنى الاستكانة والتضرع حين لا ينفعهم ذلك.[9] ولأن قراءة النصب أنسب لسياق الآية من قراءة الجر؛ لأن الآية ابتَدأت بمخاطبة الله ﷻ إياهم، إذ قال للذين أشركوا: أين شركاؤكم، فجرى جوابهم إياه على نحو سؤاله لمخاطبتهم إياه، فقالوا: والله ربَّنا، بمعنى: والله يا ربنا ما كنا مشركين، فأجابوه مخاطبين له كما سألهم مخاطبين.[10]

---

(١) البحر المحيط، ٣٩٢/٤، والدر المصون، ٤٦٥/٥، واللباب، ٣٢١/٩.

(٢) السبعة، ص ٢٥٥، والمبسوط، ص ١٩٢، والتيسير، ص ٧٦، والنشر، ٢٩٠/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٥٣.

(٣) جامع البيان، ٣٠٠/١١، والمحرر الوجيز، ٢٧٨/٢، ومفاتيح الغيب، ١٥١/١٢، والتبيان في إعراب القرآن، ٤٨٧/١، وأنوار التنزيل، ٤٠٠/٢، والبحر المحيط، ١٠٠/٤، والدر المصون، ٥٧٤/٤، واللباب، ٧٥/٨.

(٤) المحرر الوجيز، ٢٧٨/٢، وأنوار التنزيل، ٤٠٠/٢، والبحر المحيط، ١٠٠/٤، والدر المصون، ٥٧٤/٤، واللباب، ٧٥/٨، وروح المعاني، ١٢٣/٧.

(٥) التبيان في إعراب القرآن، ٤٨٧/١، ومفاتيح الغيب، ١٥١/١٢، والبحر المحيط، ١٠٠/٤، والدر المصون، ٥٧٤/٤، واللباب، ٧٥/٨.

(٦) جامع البيان، ٣٠٠/١١، والتبيان في إعراب القرآن، ٤٨٧/١، والجامع لأحكام القرآن، ٤٠٣/٦.

(٧) الجامع لأحكام القرآن، ٤٠٣/٦.

(٨) المحرر الوجيز، ٢٧٨/٢، والبحر المحيط، ١٠٠/٤، والدر المصون، ٥٧٥/٤، واللباب، ٧٥/٨.

(٩) حجة ابن خالويه، ص ١٣٧، والكشف عن وجوه القراءات، ٤٢٧/١، والجامع لأحكام القرآن، ٤٠٣/٦.

(١٠) جامع البيان، ٣٠٠/١١، وحجة أبي زرعة، ص ٢٤٤.

والأولى ترك الترجيح بين القراءتين والتماس وجوه الحسن في القراءة الأخرى؛ لأن جميع القراءات كلام الله، ومما يحسن قراءة الجر: كونها على النعت والثناء، وأنك إذا قلت أحلف بالله ربي كان أحسن من قولك: أحلف بالله يا رب.[1] وبذلك يتكامل معنى القراءتين ويتضح ما في كل واحدة منهما من وجوه البلاغة التي لا تشملها القراءة الأخرى.

ومن الملحوظ أن الوجه البلاغي الذي تدل عليه قراءات النداء في المثالين الآنفَي الذكر هو الدلالة على التضرع والخضوع والاستكانة، ووجه البلاغة في قراءة الإخبار هو وصل الكلام بما قبله على سبيل البيان والإيضاح.

وقد دلت الدراسة على أن الإيجاز في التعبير عن المعاني، والتفنن في تأدية الكلام هما أبرز الآثار البلاغية الناتجة عن التوجيه البلاغي للقراءات المتواترة التي جرت على التبادل بين أسلوب الخبر، وأساليب الإنشاء.

والمبحث الآتي سيعرض لما يجري بين جمل القرآن من تنوع طرق الربط بينها؛ نتيجة تنوّع القراءات، من خلال الدراسة البلاغية لتبادل القراءات بين أسلوبي الفصل والوصل.

---

(١) حجة أبي زرعة، ص ٢٤٤.

المبحث الثاني: تبادل القراءات بين الوصل والفصل، وأثره في بلاغة نظم القرآن.

المطلب الأول: الوصل والفصل اللفظي، وأثرهما في بلاغة نظم القرآن.

المطلب الثاني: الوصل والفصل المعنوي، وأثرهما في بلاغة نظم القرآن.

تدور المعاني اللغوية لكلمة الوصل حول الجمع بين شيئين، يقال: وَصَلَ الشيء بالشيء: ضمه به ولأمه، واتَّصل الشيءُ بالشيء: لم ينقطع، وفلان يصل إلى بني فلان: ينتمي إليهم وينتسب.(١)

أما الفصل فهو عكس الوصل، ويدل لغةً على معنى القطع، وإبانة أحد الشيئين عن الآخر، والحجز بينهما، ومنه سميت أواخر الآيات: فواصل، وسمي القضاء بين الحق والباطل: فصلاً.(٢)

ولا يبعد المعنى الاصطلاحي البلاغي للوصل والفصل عن هذا المعنى اللغوي، **فالوصل**: هو عطف بعض الجمل على بعض، **والفصل**: تركُ هذا العطف.(٣)

والحقيقة أن للجمل المتلاحقة أو المتجاورة مع بعضها البعض ثلاثة أحوال:

١ - جملةٌ حالُها مع التي قبلَها حالُ الصفةِ معَ الموصوفِ والتأكيدِ مع المؤكَّدِ، فهذه لا يكونُ فيها العطفُ البتَّةَ؛ لشَبهِ العطف فيها، لو عُطِفَتْ بعطفِ الشيءِ على نفسه. وقد أطلقت على هذا النوع من الاتصال بين الجملتين اسم (الوصل المعنوي).

٢ - وجملةٌ حالها مع التي قبلها حال الاسمِ يكونُ غيرَ الذي قبلَه إلا أنه يشارِكُه في حكمٍ أو معنى، وهذه حقُّها العطف بالواو وغيرها من حروف العطف. وقد أطلقت على هذا النوع من الاتصال اسم (الوصل اللفظي).

٣ - وجملةٌ حالها مع الأخرى حال اسم مع اسم آخر لا يشاركه في شيء، فلا يكونُ إياهُ ولا مشاركاً له في معنًى، بل هو شيءٌ إن ذُكر لم يُذْكَر إلا بأمرٍ ينفردُ به، ويكونُ ذِكْرُ الذي قَبْلَه وتَركُ الذِّكْر سواءٌ في حالِه لعدم التعلقِ بينه وبينَه رأساً. وحقُّ هاتين الجملتين تركُ العطفِ بينهما.(٤)

وهذه الأحوال الثلاثة في علاقات الجمل المتجاورة بعضها مع بعض قد نصَّ عليها الإمام عبد القاهر

---

(١) لسان العرب، ٧٢٦/١١، وتاج العروس، ٧٨/٣١-٨٠، والمعجم الوسيط، ١٠٣٧/٢.

(٢) كتاب العين، ١٢٦/٧، ولسان العرب، ٥٢١/١١-٥٢٣، وتاج العروس، ١٦٢/٣٠-١٦٣.

(٣) مفتاح العلوم، ص ٤٥٩، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٤٥، ومختصر المعاني، ص ١٤٦، وموجز البلاغة، ص ٢٤، والبلاغة العربية، ٥٥٧/١. وقد خصَّ بعض البلاغيين بلاغة الوصل في العطف بالواو، دون بقيةِ حروف العطفِ؛ لأنَّ الواوَ هي الأداةُ الّتي تخفَى الحاجةُ إليها، ويحتاجُ العطف بها إلى دقةٍ في الإدراكِ؛ لأنها لا تفيدُ إلا مجرَّدَ الربطِ، وتشريكِ ما بعدها لِمَا قبلها في الحكمِ، بخلافِ العطفِ بغير الواو، فيُفيدُ معَ التشريكِ معانيَ أخرى، كالترتيبِ مع التعقيبِ في الفاءِ، وكالترتيبِ مع التراخي في ثُمَّ؛ إذ العطف بواحدٍ منها يُظهرُ الفائدةَ ومن ثم لا يقعُ اشتباهٌ في استعماله. انظر: بغية الإيضاح، ١٢٠/١. والصحيح أن البلاغة تتحقق بجميع حروف العطف، وأنّ الْمَعْنَى إذا كان يقتضي العطف بحرف من حروف العطف غير الواو، فالأصل العطف بالحرف الذي يقتضيه المعنى من هذه الحروف، ولا يُتْرَكُ هذا الأصل إلاَّ لغرضٍ بلاغي مقصود. انظر: البلاغة العربية، ٥٧٧/١-٥٧٨.

(٤) دلائل الإعجاز، ص ١٨٨.

الجرجاني، وهي لا تبعد كثيراً في معناها عما نصَّ عليه البلاغيون من كمال الاتصال وكمال الانقطاع، وشبههما في أثناء حديثهم عن مواضع الوصل والفصل، وشروط العطف بين الجملتين وترك العطف بينهما.(١)

وهي تبيّن أن الفصل بين الجملتين قد يكون لفظياً فقط، وقد يكون لفظياً ومعنوياً؛ لعدم الجامع بينهما، ولذلك يجب الانتباه عند إطلاق مصطلح الفصل؛ لئلا يقع الإلباس بين الانقطاع والفصل المعنوي من جهة، وبين

---

(١) نصَّ البلاغيّون على أن مواضع الوصل ثلاثة، هي: ١ً: إذا اتحدت الجملتان في الخبرية والإنشائية لفظاً ومعنى، أو معنى فقط، وكانت بينهما مناسبة تامة في المعنى، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۞ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [سورة الانفطار/ ١٣، ١٤] (خبريتان)، وقوله تعالى: ﴿فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [سورة الشورى/١٥]، (إنشائيتان). ومثال المختلفين، قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [سورة هود/٥٤]، أي: إني أشهدُ اللهَ وأشهدُكُم، فالجملة الثانية في هذه الآية: إنشائية لفظاً، ولكنها خبريةٌ في المعنَى. ٢ً: دفع توهم غير المراد: وذلك إذا اختلفت الجملتان في الخبرية والإنشائية، وكان الفصل يوهم خلاف المقصود، كقولك لمن يسألك: هل برئ علي من المرض ؟ فتقول: "لا – وشفاه الله " فترك الواو يوهم السامع الدعاء عليه، وهو خلاف المقصود. ٣ً: إذا كان للجملةِ الأولى محلٌّ من الإعراب، وقُصِدَ تشريك الجملة الثانية لها في الإعراب، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة الحج/٢٥]، حيث قُصدَ اشتراك (يصدّونَ) لـ (كفروا) في جعله صلةً. أما مواضع الفصل فخمسة، وهي: ١ً: في حالة كمال الاتصال: وهو اتحاد الجملتين اتحاداً تاماً، بحيث تُنزَّل الثانية من الأولى منزلة نفسها، كأن تكون الجملة الثانية بمنزلة البدل من الجملة الأولى، كقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ۞ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ [سورة الشعراء/١٣٢–١٣٣]، أو بأن تكون الجملة الثانية مؤكدة للجملة الأولى بما يشبه أن يكون توكيداً لفظياً أو معنوياً، كقوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [سورة الطارق/١٧]. ٢ً: حالة كمال الانقطاع: وهو اختلاف الجملتين اختلافاً تاماً، بأن يختلفا خبراً وإنشاءً، لفظاً ومعنىً، أو معنى فقط، نحو: تكلَّم إني مصغٍ إليك. أو بألا يكون بين الجملتين مناسبةٌ في المعنى ولا ارتباط، كقول الشاعر: إنّما المرءُ بأصغريهِ كلُّ امرئٍ رهنٌ بما لديهِ. فهنا يجب الفصل؛ لأنَّ العطف يكون للربط، ولا ربط بين جملتين في شدَّة التباين وكمال الانقطاع.٣ً: حالة شبه كمال الاتصال: وهو كون الجملة الثانية قوية الارتباط بالأولى، لوقوعها جواباً عن سؤالٍ يفهم من الجملة الأولى، كقوله تعالى على لسان النبي يوسف ﷺ: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [سورة يوسف/٥٣].٤ً: حالة شبه كمال الانقطاع: وهو أن تُسبقَ جملة بجملتين ويصح عطفها على الأولى منهما؛ لوجود المناسبة، ولكنْ في عطفها على الثانية فساد في المعنى، فيُتركُ العطف دفعاً لتوهّم أنه معطوف على الثانية، نحو قول الشاعر: وتَظُنُّ سَلمى أنني أبغي بها ... بَدَلاً أراها في الضلال تهيمُ. فجملةُ (أراها) يصحُّ عطفها على جملة (تظنُّ) لكن يمنع من هذا توهّم العطف على جملة (أبغي بها). ٥ً: التَّوسط بين الكمالين مع قيام المانع: وهو كون الجملتين متناسبتين، وبينهما رابطة قوية، لكن يمنع من العطفِ مانع، وهو عدم قصد التشريك في الحكم، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ۞ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [سورة البقرة/١٤–١٥]، فجملة (اللهُ يستهزئُ بهم) لا يصح عطفها على جملة (إنّا معكم)؛ لاقتضائه أنه من مقول المنافقين، والحال أنه من قوله تعالى دعاءً عليهم، ولا على جملةِ (قالوا)؛ لئلا يُتوهمَ مشاركته له في التقييد بالظرف، وأنَّ استهزاء الله بهم مقيدٌ بحال خُلوّهِم إلى شياطينهم، والواقع أن استهزاء الله بهم غير مقيد بحال من الأحوال. راجع: دلائل الإعجاز، ص ١٧٧–١٩١، ومفتاح العلوم، ص ٤٦٣–٤٨٧، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٤٧–١٥٩، ومختصر المعاني، ص ١٤٥–١٦٦، وبغية الإيضاح، ج٢/٦٠–٧٦، والبلاغة العربية، ج١/٥٨٣–٥٩٤.

الفصل اللفظي والوصل المعنوي من جهة أخرى؛ لأن ترك العطف بين الجمل (الفصل اللفظي) يكون أحياناً بسبب قوة الاتصال المعنوي المحقق للربط بين الجمل، وعندئذ يتساوى الفصل والوصل في كونهما نوعين من أنواع الروابط؛ فالفصل ربط معنوي، والوصل ربط ظاهر.(١)

وهذا المبحث سيتناول بالدراسة تبادل القراءات بين حالات الوصل والفصل اللفظي والمعنوي، وما يتبع ذلك من مسائل بلاغية ترتبط وتتعلق به، وأثر هذا التبادل في بلاغة نظم القرآن.

---

(١) انظر: مدخل القراءات القرآنية في الإعجاز البلاغي، د. محمد إبراهيم شادي، دار السعادة، القاهرة، د.ط./١٩٨٧م، ص ٨٤-٨٦، والتوجيه البلاغي، ص ٣٦١.

المطلب الأول: الوصل والفصل اللفظي، وأثرهما في بلاغة نظم القرآن.

وردت بعض الجمل القرآنية المتجاورة نتيجة تعدد وتنوع القراءات على التبادل الظاهري واللفظي بين الوصل والفصل، حيث قرأ بعض قراء المتواتر هذه الجمل بالربط اللفظي بحرف عطف، وقرأها آخرون بدون حرف عطف اكتفاء بما بين الجملتين المتجاورتين من روابط معنوية.

والحق أن الاتصال والترابط بين الجملتين في الأمثلة التي ستأتي في هذا المطلب متحقق حتماً، غير أن بعض القراءات أكَّدت الترابط بحرف العطف، وبعضها اكتفت بذلك الترابط المعنوي. وهذا أمرٌ مسلَّم به؛ لأنَّ هذا الأمر من المعلوم ضرورة للمتبحِّر في علوم البلاغة والقراءات المتواترة؛ حيث يستحيل في القراءات المتواترة الخروج عن الضوابط البلاغية المنطقية، ومن ثَمَّ الربط في بعض القراءات بحرف عطف بين جملتين بينهما تمام الانقطاع المعنوي، واختيار الفصل اللفظي بين الجمل في القراءات الأخرى.

وقد بيَّن الاستقراء التام للقراءات المتنوعة – وخاصة المتواترة منها – أن بعض الجمل القرآنية المختلف في قراءتها قد وردت بطريقتين من طرق الربط، فجاءت هذه الجمل المتجاورة بطريقة الوصل في بعض القراءات، ووردت في قراءات أخرى بطريقة الفصل اللفظي بينهما. وكذلك بيَّن الاستقراء أن التبادل قد جرى بين حروف العطف في بعض القراءات المتفق على قراءتها بطريقة الوصل اللفظي بين الجمل، وهو ما يعرف باسم (تعاور الحروف). وهذا المطلب سيتناول هاتين المسألتين بالدراسة من خلال الفقرتين الآتيتين:

أولاً: تبادل القراءات بين الوصل والفصل اللفظي، وأثره في بلاغة النظم.

وردت بعض الجمل القرآنية نتيجة تنوع القراءات المتواترة على التبادل بين طريقتي الوصل والفصل، وكان منها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ [سورة البقرة/١١٦]، حيث قرأ جمهور القراء ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ﴾ بالواو، وقرأ ابن عامر ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ﴾ بدون واو، كما هي في المصحف الشامي.(١)

وجمهور المفسرين على أن قوله: (وَقَالُوا) في قراءة الجمهور معطوف على ما قبله، وهو قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [سورة البقرة/١١٣]، أو قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ [سورة البقرة/١١٤]، أي: إنَّ هذه القراءة تضيف إلى ضلالات الفرق الثلاث المذكورة (اليهود، والنصارى،

---

(١) السبعة، ص ١٦٩، والمبسوط، ص ١٣٤، والتيسير، ص ٦٢، والنشر، ٢/٢٥٠، وتحبير التيسير، ص ٢٩٣.

والذين لا يعلمون: وهم المشركون) ضلالاً آخر، وتبيّن اتفاق هذه الفرق في هذه الضلالة.(١)

وذهب مكي إلى أن وجه العطف بالواو: أنَّ الذين أخبر الله ﷻ عنهم بأنهم يمنعون مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ويسعون في خرابها هم الذين قالوا: (اتخذ الله ولداً)، فالكلام كله إخبار عن ضلالات النصارى من أهل الكتاب، ولذلك وجب العطف بالواو؛ ليرتبط آخر الكلام بأوله.(٢)

أما تأويل معنى الجملة القرآنية في قراءة ابن عامر ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ﴾ بدون واو عطف فيحتمل وجهين:(٣)

الأول: أن الكلام على الاستئناف البياني،(٤) كأن السامع بعد أن سمع ما مر من عجائب هؤلاء الفرق الثلاث جمعاً وتفريقاً تسنى له أن يقول: لقد أسمعتنا من مساوئهم عجباً، فهل انتهت مساوئهم، أم لهم مساوئ أخرى؛ لأن ما سمعناه مؤذن بأنها مساوئ لا تصدر إلا عن فطر خبيثة.(٥)

الثاني: أن يكون الكلام ملحوظاً فيه معنى العطف، لكن اكتفى بالربط بالضمير عن الربط بالواو، أو اكتفى بما هو ملحوظ من كون المخبَر عنه بهذا القول هو المخبر عنه بمنع ذكر اسم الله في المساجد والسعي في خرابها.(٦)

وقد رجَّح جمهور المفسرين قراءة الجمهور؛ لأنها تعطف جملة خبرية على جملة مثلها، وذلك في باب البلاغة أحسن وآكد.(٧) واحتج مكي لرجحان قراءة الجمهور بأن ربط الكلام بالواو يجعل الكلام كله قصة واحدة، وهذا أبلغ من انفصاله.(٨)

ولحظ الإمام البقاعي أن قراءة الفصل أبلغ من قراءة الجمهور من جهة أنها جاءت لتتميم المعنى الذي جاءت به قراءة الوصل؛ لأنه "لما كان العطف على مقالات أهل الكتاب ربما أوهم اختصاص الذم بهم، حذفت

---

(١) الكشاف، ٢٠٧/١، وفتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للإمام الطيبي الحسين بن عبد الله (٧٤٣هـ)، دراسة وتحقيق من أوله إلى آية ١١٧ من سورة البقرة، رسالة معدة لنيل درجة الدكتوراه، إعداد: صالح عبد الرحمن الفايز، بإشراف: د.حكمت بشير ياسين، الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، كلية القرآن الكريم، قسم التفسير، عام ١٤١٣هـ، ٦٣٤/١، والبحر المحيط، ٥٣٢/١، والدر المصون، ٨٣/٢، واللباب، ٤١٨/٢–٤١٩، والتحرير والتنوير، ٦٦٥/١.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات، ٢٦٠/١.

(٣) البحر المحيط، ٥٣٢/١، والدر المصون، ٨٣/٢، واللباب، ٤١٨/٢–٤١٩.

(٤) حجة ابن خالويه، ص ٨٨، وحجة أبي زرعة، ص ١١١، والتبيان في إعراب القرآن، ١٠٨/١، والإتحاف، ص ٢٦٩.

(٥) نظم الدرر، ٢٢٨/١، والتحرير والتنوير، ٦٦٥/١.

(٦) الكشف عن وجوه القراءات، ٢٦٠/١.

(٧) البحر المحيط، ٥٣٢/١، والدر المصون، ٨٣/٢، واللباب، ٤١٨/٢، والإتحاف، ص ٢٦٩.

(٨) الكشف عن وجوه القراءات، ٢٦٠/١.

واو العطف في قراءة ابن عامر على طريق الاستئناف في جواب من قال: هل انقطع حبل افترائهم ؟ إشارة إلى ذم كل من قال بذلك، وذلك إشارة إلى شدة التباسها بما قبلها - كما قال الإمام أبو علي الفارسي - ؛ لأن جميع المتحزبين على أهل الإسلام مانعون لهم من إحياء المساجد بالذكر؛ لشغلهم لهم بالعداوة عن لزومها. والحاصل أنه إن عطف كان انصباب الكلام إلى أهل الكتاب، وأما غيرهم فتبع لهم للمساواة في المقالة، وإذا حذفت الواو انصب إلى الكل انصباباً واحداً."[1]

وأرى أن الحجج التي احتج بها جمهور المفسرين تكشف عن الوجوه البلاغية لقراءة الوصل، والحجة التي ذكرها الإمام البقاعي تكشف عن الوجوه البلاغية لقراءة الفصل.

وهذه الحجج جميعها هي التي أثرت مكتبة التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية عموماً، وكشفت عن بلاغة القراءات المتعددة في الآية الواحدة من جهة أخرى، مما أسهم في إثراء الدراسات المهتمة ببلاغة وإعجاز نظم القرآن الذي يعبر بأساليب مختلفة عن مراده، فتارة بالوصل المؤكِّد لترابط الجمل، وتارة بالفصل اللفظي المتمم لمعنى الوصل، والمكتفي بما بين الجمل من روابط معنوية.

وهذا التفنُّن في التعبير عن المعنى الواحد بالأساليب المتعددة من خلال تنوع القراءات في هذا الموضع وأمثاله وجه من وجوه بلاغة نظم القرآن وإعجازه.

ومما ورد في القراءات المتواترة على هذا النمط من التبادل قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۞ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران/١٣٢-١٣٣] حيث قرأ جمهور القراء ﴿وَسَارِعُوا إِلَى﴾ بالواو، وقرأ المدنيَّان وابن عامر ﴿سَارِعُوا إِلَى﴾ بدون واو.[2]

فكل قارئ من القراء العشرة اتبع ما بلغه من الأثر في التلاوة، كما اتبع رسم مصحفه؛ فإنَّ الواو غير مذكورة في مصاحف المدينة والشام، ثابتةٌ فيما عداها.[3]

فأما قراءة الجمهور - بواو العطف كما في مصاحف مكةَ والعراقِ ومصحف عثمانَ رضي الله عنه - فتعطف الفعل (سَارِعُوا) على (أَطِيعُوا) بالواو؛ لأن الجملتين إنشائيتان أمريتان، فحسن الوصل والربط بينهما بالواو.[4]

---

(١) نظم الدرر، ٢٢٨/١. وانظر: حجة الفارسي، ٢٠٢/٢-٢٠٣.

(٢) السبعة، ص ٢١٦، والتيسير، ص ٧٠، والنشر، ٢٧٥/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٢٧.

(٣) حجة أبي زرعة، ص ١٧٤، والنشر، ٢٧٥/٢، والدر المصون، ٣٩٤/٣.

(٤) الكشف عن وجوه القراءات، ٣٥٦/١، ومفاتيح الغيب، ٥/٩، والتبيان في إعراب القرآن، ٢٩٢/١، والدر المصون، ٣٩٤/٣، واللباب، ٥٣٤/٥، والإتحاف، ص ٣٢٢.

أما القراءة بدون واو – كما هي في مصاحف المدينة والشام – فتلحظ الترابط المعنوي بين معنى الآيتين؛ لأن قوله: (سَارِعُوا) ينزل منزلة البيان، أو بدل الاشتمال من جملة (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ)؛ لأن طاعة الله والرسول ﷺ مسارعة إلى المغفرة والجنة، فهما كالشيء الواحد،(١) ولأن مرجع الضمائر والمأمورين في الآيتين غير مختلف،(٢) وهذا يحسن الفصل بينهما؛ لشدة ترابطهما.

وقد حمل بعض المفسرين قراءة الفصل على الاستئناف.(٣) وذكر بعضهم جواز كون الجملتين على نية العطف؛ لكن قُرْب كل واحد منهما من الآخر في المعنى سوَّغ حذف العاطف، والوجه المذكور أولاً أولى وأقوى.(٤)

وقد ذكر أبو علي الفارسي — وتابعه في ذلك جمهور المفسرين — أن قراءتي الوصل والفصل متساويتان في البلاغة، ومتفقتان مع القواعد البلاغية، فمن قرأ بالواو عطف جملة إنشائية على جملة إنشائية طلبية مثلها، ومن ترك العطف بالواو؛ فلأن الجملة الثانية ملتبسة بالأولى مستغنية بذلك عن العطف بالواو.(٥)

وهذا التنوع في القراءات المتواترة لهذه الآية يشير إلى جواز الوصل والفصل في بعض الجمل؛ لتعدد الاعتبارات.(٦) ويدل على بلاغة نظم القرآن الذي يستحضر في آية واحدة جميع الوجوه البلاغية الممكنة في الجملة القرآنية؛ ليدل على سماوية هذا النظم، وإعجاز قراءاته المتنوعة التي تأتي بأساليب متعددة للتفنن في التعبير عن المعنى الواحد دون أن ينقض بعضها بعضاً أو ينقص من بلاغته.

ومما ورد على التبادل بين الوصل والفصل من القراءات المتواترة قوله تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ۞ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ [سورة المائدة/٥٢-٥٣]، حيث قرأ بعض القراء ﴿وَيَقُول الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالواو، وقرأ آخرون ﴿يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بدون واو.(٧)

---

(١) مفاتيح الغيب، ٥/٩، وغرائب القرآن، ٢٥٨/٢، والتحرير والتنوير، ٢٢٠/٣.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات، ٣٥٦/١.

(٣) التبيان في إعراب القرآن، ٢٩٢/١، ومدارك التنزيل، ٢٧٣/١، والبحر المحيط، ٦١/٣، والدر المصون، ٣٩٤/٣، وإرشاد العقل، ٨٥/٢، والإتحاف، ص ٣٢٢، وروح المعاني، ٥٦/٤.

(٤) الدر المصون، ٣٩٤/٣، واللباب، ٥٣٤/٥.

(٥) حجة الفارسي، ٧٨/٣، وزاد المسير، ٤٥٩/١، والجامع لأحكام القرآن، ٢٠٣/٤.

(٦) التحرير والتنوير، ٢٢٠/٣.

(٧) قرأ المدنيّان وابن كثير وابن عامر (يقول) بغير واو كما في مصاحفهم، وقرأ الباقون (ويقول) بالواو، فالبصريان يقرآن بنصب اللام.
=

وقد ذكرت الواو في مصاحف الكوفة والمشرق، وسقطت في مصاحف مكة والمدينة والشام، وكل قارئ من القراء العشرة قرأ بما يوافق مصحف مصره، فابن كثير المكي، وابن عامر الشامي، ونافع المدني، يقرؤون هذه الآية بإسقاط الواو، وقراءتهم موافقة لمصاحفهم. وليس معنى هذا أنهم إنما قرؤوا كذلك لأجل المصحف فقط، بل لأن الرواية التي تلقوها موصولة بالنبي ﷺ وافقت مصاحفهم.(١)

ولا يقتصر أثر اختلاف القراءات بين القرّاء العشرة على موافقة المصاحف العثمانية الموزعة على الأمصار أو مخالفتها، بل يترتب على ذلك بعض الآثار في معنى وبلاغة الآيات والجمل القرآنية المختلَف في قراءتها.

فالجملة على قراءة من قرأ ﴿يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بدون واو مستأنفة بيانياً، سيقت جواباً لسؤال مُقدَّر، كأنه لما قال الله ﷻ: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ سأل سائل: ماذا قال المؤمنون حينئذ؟ فأجاب ﷻ بقوله: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.(٢)

ووجه الفصل حينئذ الاكتفاء بما بين الآيتين من الاتصال المعنوي الذي تدل عليه الجملة الثانية؛ لأن المقصود بالذكر في قوله: (يسارعون، وقالوا: نخشى، ويصبحوا) في الجملة الأولى هم أنفسهم الذين قيل فيهم: (أهؤلاء الذين أقسموا) في الجملة الثانية، ولذلك اكتفت هذه القراءة بما أنبأ عنه الضمير في الجملة الثانية من الاتصال.(٣)

وأما من قرأ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالواو والرفع فقد أكَّد هذا الاتصال المعنوي بالوصل اللفظي، فربط هذه الجملة بالجملة السابقة بالواو، والمعنى: فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين، ويقول المؤمنون حينئذٍ: أهؤلاء الذين حلفوا لنا بالله جهد أيمانهم كذباً إنهم لمعنا؟(٤)

ويجوز أن تكون معطوفة على قوله: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ [سورة المائدة/٥٢]، أي: فترى المنافقين يسارعون، وترى الذين آمنوا يقولون أهؤلاء الذين أقسموا بالله.(٥)

والباقون بالرفع. انظر: السبعة، ص ٢٤٥، والتيسير، ص ٧٥، والعنوان، ص ٨٨، والنشر، ٢/٢٨٨، وتحبير التيسير، ص ٣٤٧.

(١) الدر المصون، ٤/٣٠١–٣٠٢، واللباب، ٧/٣٨٣.

(٢) الكشاف، ١/٦٧٧، ومفاتيح الغيب، ١٢/١٦، وأنوار التنزيل، ٢/٣٣٥، ومدارك التنزيل، ١/٤١٦، والدر المصون، ٤/٣٠١، والسراج المنير، ١/٣٠٤، والإتحاف، ص ٣٥٨، وروح المعاني، ٦/١٥٩.

(٣) حجة الفارسي، ٣/٢٣١، والكشف عن وجوه القراءات، ١/٤١١، والموضِّح، ٢/٤٤٣، والبحر المحيط، ٣/٥٢١، واللباب، ٧/٣٨٣.

(٤) جامع البيان، ١٠/٤٠٨–٤٠٩، وإعراب النحّاس، ٢/٢٧، وحجة أبي زرعة، ص ٢٢٩، والكشف عن وجوه القراءات، ١/٤١١، والكشاف، ١/٦٧٧، والموضِّح، ٢/٤٤٣.

(٥) حجة أبي زرعة، ص ٢٢٩–٢٣٠.

أما من قرأ (وَيَقُولَ) بالنصب فقد عطف هذه الجملة على معنى الجملة السابقة، بتقدير ضمير محذوف، أي: ويقول الذين آمنوا به، أي: بالله ﷻ، فهذا الضمير يصح به الربط، أو هو معطوف على (أن يأتي) على أنه بدلٌ من اسم الله لا خبرٌ، فتكون عسى تامة لا ناقصة، كأنك قلت: عسى أن يأتي، وأن يقول. أو معطوف على (فيصبحوا)، على أن يكون منصوباً بإضمار أن جوابا لـ(عسى)؛ إجراء للترجي مجرى التمني، أو معطوف على (الفتح)، وتقديره: فعسى الله أن يأتي بالفتح وبأن يقول الذين آمنوا.(١)

وتُحمَل قراءتا الوصل والوصل في هذه الآية على ما ذكرته في المثال السابق من تعدد الاعتبارات؛ فمما يحسِّن الوصل والفصل في هذه الآية أن في الجملة المعطوفة ذِكراً من المعطوف عليها؛ لأن الموصوف بقوله: (يسارعون فيهم) هم الذين قال فيهم المؤمنون: (أهؤلاء الذين أقسموا بالله)، فلما حصل في كل واحدة من الجملتين ذكر من الأخرى حسن العطف بالواو وبغير الواو. ونظيره قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [سورة الكهف/٢٢] ، حيث ترك ذكر الواو في قوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾؛ لأن في كل واحدة من الجملتين ذكر مما تقدم، فأغنى ذلك عن ذكر الواو. ثم قال: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، فأدخل الواو، فدل ذلك على أن حذف الواو وذكرها جائز؛(٢) لتعدد الاعتبارات: فالفصل؛ اكتفاءً بما بين الجمل من اتصال معنوي يؤكِّده الضمير في الجملة الثانية، والوصل؛ تأكيداً لما بينهما من الاتصال.

فبلاغة قراءة الوصل في كونها تحقق للجملة تأكيدَ الاتصال المعنوي، وهي لا تقلل من القيمة البلاغية لقراءة الفصل بالاستئناف البياني المترتب على ترك العطف؛ لأن "مثل هذا الأسلوب يجاذب النفوس ويستدعي نشاطها، ويثير فضولها للاستشراف والسؤال، حتى إذا أتى الاستئناف كان جواباً شافياً، وبهذا يتمكن المعنى في النفس أشدَّ تمكن، ويقع منها أمكن موقع؛ لأنه أتى بعد انتظار، وأطل بعد استشراف، وأطرق بعد ترقُّب، وفرق بين أن يفاجئك المعنى، وبين أن تنتظره وتترقبه."(٣)

---

(١) حجة الفارسي، ٢٢٩/٣–٢٣١، والمحرر الوجيز، ٢٠٦/٢–٢٠٧، ومفاتيح الغيب، ١٦/١٢، والتبيان في إعراب القرآن، ٤٤٤/١–٤٤٥، وأنوار التنزيل، ٣٣٥/٢، والبحر المحيط، ٥٢١/٣، والدر المصون، ٣٠٢/٤–٣٠٤، واللباب، ٣٨٤/٧، وروح المعاني، ١٥٩/٦.

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي، ١٩٨/٢، وحجة الفارسي، ٢٣١/٣–٢٣٢، والكشف عن وجوه القراءات، ٤١١/١، والمحرر الوجيز، ٢٠٦/٢، ومفاتيح الغيب، ١٦/١٢، واللباب، ٣٨٤/٧.

(٣) مدخل القراءات القرآنية في الإعجاز البلاغي، ص ١١٥.

وهذا يدل على بلاغة نظم القرآن الذي يستحضر في آية واحدة جميع الوجوه البلاغية الممكنة في الجملة القرآنية؛ ليدل على سماوية هذا النظم وإعجاز قراءاته المتنوعة التي تأتي بأساليب التفنن في التعبير عن المعنى الواحد دون أن ينقض بعضها بعضاً أو ينقص من بلاغته.

ومما ورد من القراءات المتواترة على التبادل اللفظي بين الوصل والفصل قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [سورة الأعراف/٤٣]، حيث قرأ جمهور القراء ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ بالواو، وقرأ ابن عامر ﴿مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ بدون واو.(١)

فأما جملة ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ في قراءة الجمهور فتحتمل أمرين: أن تكون الواو استئنافية، والجملة بعدها مستأنفة، أو أن تكون الواو حالية، والجملة بعدها في محل نصب على الحال.(٢)

وقد رجّح ابن عاشور هذا الوجه الأخير – وأتابعه في ذلك – على معنى: هدانا في هذا الحال: حال بعدنا عن الاهتداء، وذلك مما يؤذن بعظيم منة الله ﷻ عليهم، وبتعظيم حمدهم له، ولذلك جاءوا بجملة الحمد مشتملة على أقصى ما تشتمل عليه من الخصائص.(٣)

وأما قراءة ابن عامر ﴿مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ بدون واو - كما هي في المصحف الموجّه إلى الشام - فاختلف المفسرون في توجيهها:

فذهب جمهورهم إلى أنها في نية الاتصال، لكن سقطت الواو؛ لأن الكلام متصل مرتبط بما قبله؛ فجملة ﴿مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ جارية مجرى التَّفْسِير والبيان لقوله: (هَدَانَا لِهَذَا)، فلما كان أحدهما عين الآخر، وكانت القصة ملتبسة بما قبلها أغنى التباسها به عن ذكر حرف العطف المؤذن بالتغاير.(٤)

وذهب ابن عاشور إلى أن الجملة مفصولة عن التي قبلها، على اعتبار كونها كالتعليل للحمد، والتنويه بأنه حمد عظيم على نعمة عظيمة.(٥)

وما ذكره جمهور المفسرين أولى مما ذكره الشيخ ابن عاشور؛ لأن الجملتين في حالة كمال الاتصال، إذ هما

---

(١) السبعة، ص ٢٨٠، والتيسير، ص ٨٠، والنشر، ٣٠٣/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٧١.

(٢) التبيان في إعراب القرآن، ٥٦٩/١، واللباب، ١١٩/٩، وروح المعاني، ١٢١/٨.

(٣) التحرير والتنوير، ١٠٢/٨.

(٤) حجة الفارسي، ٢٥/٤، والكشف عن وجوه القراءات، ٤٦٤/١، والمحرر الوجيز، ٤٠٢/٢، والكشاف، ١٠٠/٢، وزاد المسير، ٢٠١/٣، ومفاتيح الغيب، ٦٧/١٤، وأنوار التنزيل، ٢١/٣، واللباب، ١١٩/٩، وغرائب القرآن، ٢٣٥/٣، وروح المعاني، ١٢١/٨.

(٥) التحرير والتنوير، ١٠٢/٨–١٠٣.

متحدتان اتحاداً تاماً، بحيث تُنزَّل الثانية من الأولى منزلة نفسها، فجملة ﴿مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ تفسيرية لما قبلها، كما أن جملة ﴿مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ تفسر جواب (لولا) المحذوف؛ لأن الاسم الواقع بعد (لولا) وجوابها محذوف دل عليه ما قبله، وتقديره: لولا أن هدانا الله ما كنا لنهتدي، وهذه الوجوه تحسِّن حذف الواو،(1) لكن لا توجبه؛ لأن العطف والربط بالواو له وجوه تحسنه، منها: كون الجملتين خبريتين، وعدم وجود سبب يقتضي الفصل بينهما، وكون العطف يقوي ارتباط الجملتين في المعنى، فهو آكد في الربط، ولهذا السبب اختار مكي قراءة الوصل.(2)

وأرجِّح أن قراءتي الفصل والوصل من قبيل التفنن بالتعبير عن المعنى الواحد بطرق وأساليب متنوعة، وهذا يعد من جملة الوجوه الدالة على بلاغة نظم القرآن.

ومما ورد من القراءات المتواترة على هذا النمط من التبادل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ۞ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة القصص/٣٦-٣٧]، حيث قرأ جمهور القراء ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ بالواو، وقرأ ابن كثير ﴿قَالَ مُوسَى﴾ بدون واو.(3)

فأما قراءة ابن كثير ﴿قَالَ مُوسَى﴾ بدون واو –كما هي في مصحف أهل مكة– فهو جواب لمقالتهم، والجواب لا يعطف بواو؛ جرياً على الأصل في الحوار.

أي: إنَّ قراءة ابن كثير تحكي كلام موسى عليه السلام بفعل القول غير معطوف بالواو شأن حكاية المحاورات.(4)

وأما قراءة الجمهور ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ بالواو فتحكي الحوار بغير الطريقة الغالبة؛ لغرض بلاغي، وهو قصد التوازن بين حجة ملأ فرعون وحجة موسى عليه السلام؛ ليظهر للسامع التفاوت بينهما في مصادفة الحق، ويتبصر فساد أحدهما وصحة الآخر؛ لأن الأشياء تتبين بضدها.

والمعنى لما جاءهم موسى عليه السلام بالبينات قالوا: هذا سحر مفترى، وقال موسى عليه السلام: الله يعلم من جاء بالهدى؛ فيتميز الناظر في تقابلهما فصل ما بين القولين وفساد أحدهما، فيعلم يقيناً أن قول موسى عليه السلام هو الحق

---

(١) التبيان في إعراب القرآن، ٥٦٩/١،

(٢) الكشف عن وجوه القراءات، ٤٦٤/١.

(٣) السبعة، ص ٤٩٤، والتيسير، ص ١١٣، والتلخيص في القراءات، ص ٣٥٩، والنشر، ٣٨٢/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٩٨.

(٤) أنوار التنزيل، ٢٩٣/٤، والبحر المحيط، ١١٤/٧، وغرائب القرآن، ٣٤٢/٥، والبحر المديد، ٢٦٦/٥، وروح المعاني، ٧٩/٢٠، والتحرير والتنوير، ٥٥/٢٠.

والهدى. ولهذا عطفت الجملة جرياً على غير الغالب؛ للتنبيه على النظر في معناهما.[1]

وبكلتا القراءتين يحصل الوفاء بحق الخصوصيتين من مقتضى حالي الحكاية،[2] والوفاء بهذه الخصوصيات من خلال القراءات المتنوعة المعبرة عن المعنى الواحد بطرائق وأساليب متعددة هو وجه من وجوه بلاغة نظم القرآن.

وكذلك ورد في القراءات المتواترة التبادل بين الربط بالفاء وعدمه في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [سورة الشورى/٣٠]، حيث قرأ جمهور القراء ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ﴾ بالفاء، كما في مصحف مكة، ومصاحف البصرة والكوفة، وقرأ المدنيَّان وابن عامر ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ بدون فاء، كما في مصحف المدينة، ومصحف الشام.[3]

وقد أدى تبادل القراءات بين إثبات الفاء وحذفها[4] إلى اختلاف المفسرين في تفسير (ما) في قوله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ﴾، فذهب جمهور المفسرين إلى أن (ما) في قراءة نافع ومن معه: اسم موصول في محل رفع مبتدأ، و(بِمَا كَسَبَتْ) جار ومجرور في محل رفع خبر (ما) الموصولة، والمعنى: والذي أصابكم من مصيبة واقع بسبب ما كسبت أيديكم.[5] ويجوز في خبر (ما) الموصولة دخول الفاء على الخبر وعدم دخوله، فإن دخل كان دخوله دليلاً على أن الأمر الثاني وجب بالأول، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [سورة البقرة/٢٧٤]، فدخول الفاء دليلٌ على أن الأجر وجب بالإنفاق، وإن لم تدخل الفاء على الخبر جاز أن يكون الأمر الثاني وجب بالأول، أو بغيره، وهذا هو وجه حذف الفاء في قراءة نافع.[6]

وذهب بعض المفسرين إلى أن (ما) هنا شرطية، وعللوا حذف الفاء من الجواب بأن (ما) الشرطية لم تعمل

---

(١) الكشاف، ٤١٦/١٣–٤١٧، وأنوار التنزيل، ٢٩٣/٤، والبحر المحيط، ١١٤/٧، وغرائب القرآن، ٣٤٢/٥، وروح المعاني، ٧٩/٢٠، والتحرير والتنوير، ٥٥/٢٠–٥٦.

(٢) التحرير والتنوير، ٥٦/٢٠.

(٣) السبعة، ص ٥٨١، والمبسوط، ص ٣٩٥، والتيسير، ص ١٢٦، والنشر، ٤٠٧/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٤٥، والمستنير، ٤٨/٣.

(٤) الفاء هنا هي الفاء الجوابية، ومعناها الربط، وتلازمها السببية. وهذه الفاء تكون جواباً لـ: الشرط، وما في معنى الشرط. انظر: الجنى الداني في حروف المعاني، ص ٦٦.

(٥) حجة الفارسي، ١٢٩/٦، وحجة أبي زرعة، ص ٦٤٢، والكشف عن وجوه القراءات، ٢٥١/٢، ومعالم التنزيل، ١٥٩/٧، ومفاتيح الغيب، ١٤٨/٢٧، وأنوار التنزيل، ١٣١/٥، والدر المصون، ٥٥٤/٩، واللباب، ٢٠٠/١٧، وفتح القدير، ٧٦٦/٤، وروح المعاني، ٤٠/٢٥، والتحرير والتنوير، ١٦٠/٢٥، وأضواء البيان، ٥٥/٧.

(٦) حجة الفارسي، ١٢٩/٦، والموضِّح، ١١٤٠/٣-١١٤١.

في الفعل؛ لأنه فعل الشرط ماض، وحذف الفاء من الجواب إذا كان الشرط بلفظ الماضي حسن وجائز.(١) واستدلوا لجواز حذف الفاء بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [سورة الأنعام/١٢١]،(٢) وبقول الشاعر: مَن يَفعَلِ الحسناتِ اللهُ يَشكُرُهَا.(٣) أي: فالله يشكرها.

وقد ردَّ صاحب الدر المصون بأن الآية لا تصلح للاستدلال بها على جواز حذف الفاء من جواب الشرط؛ لأن قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ ليس جواباً للشرط، بل هو جوابٌ لقسم مقدَّر حذفت لامه الموطئة قبل أداة الشرط، والتقدير: ولئن أطعتموهم إنكم لمشركون، وإلى هذا ذهب جمهور النحويين.(٤)

وأما البيت المذكور فلا يصلح شاهداً على هذه الآية؛ لأن الأرجح أن حذف الفاء فيه لضرورة الشعر، وضرورة الشعر لا يقاس ولا يستشهد بها لما في القرآن؛ لأن القرآن لا يحمل على الضرورات.(٥) وهذا يرجح كون (ما) في هذه القراءة اسماً موصولاً.

وأما (ما) في قراءة الجمهور، فتحتمل أمرين: (٦)

الأول: أن تكون اسم شرط، وجملة (بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) جواب الشرط، وقد دخلت الفاء على الجواب؛ لأن الفاء تلزم جواب الشرط إذا كان جملة اسمية، والتقدير: فهو بما كسبت أيديكم،(٧) وهو ما رجَّحه أكثر المهتمين بإعراب القرآن.(٨)

---

(١) مشكل إعراب القرآن، ٦٤٦/٢، والتبيان في إعراب القرآن، ٥٣٦/١، ١١٣٣/٢، وروح المعاني، ٤١/٢٥، والتفسير المنير، ٦٧/٢٥. وانظر: اللباب في علل البناء والإعراب، ٥٨/٢.

(٢) حجة الفارسي، ١٢٩/٦، والجامع لأحكام القرآن، ٣٠/١٦، والدر المصون، ٥٥٤/٩، وفتح القدير، ٧٧٦/٤.

(٣) البيت لحسان بن ثابت ﷺ. انظر: ديوان حسان بن ثابت ﷺ، تح: د.وليد عرفات، دار صادر، بيروت، د.ط/٢٠٠٦م، ص ٥١٦.

(٤) الدر المصون، ٥٥٤/٩، وانظر: شرح الرضي على الكافية، ٤٥٤/٤–٤٥٥، ومغني اللبيب، ص ١٣٥، ٣١١، وحاشية الصبان، ٢٩/٤، والنحو الوافي، ٤٦٦/٤.

(٥) اختلف النحويون في جواز حذف الفاء من جواب الشرط، فأجاز المبرد حذف الفاء وتقديرها، ومنعه جمهور النحويين – ومنهم سيبويه – إلا لضرورة شعر كما في البيت المذكور، والضرورات لا تكون في القرآن. انظر: كتاب سيبويه، ٦٣/٣–٦٤، والمقتضب، ٧٠/٢–٧١، وشرح الرضي على الكافية، ٤٦٣/٤، ومغني اللبيب، ص ٥٥٢، ٨٣٢، وشرح شذور الذهب، ٦٠٨/٢–٦٠٩، والنحو الوافي، ٤٦٦/٤.

(٦) حجة الفارسي، ١٢٩/٦، والكشف عن وجوه القراءات، ٢٥١/٢، ومفاتيح الغيب، ١٤٨/٢٧، وأنوار التنزيل، ١٣١/٥، والدر المصون، ٥٥٤/٩–٥٥٥، واللباب، ٢٠٠/١٧، والسراج المنير، ٦٣٨/٣، والتحرير والتنوير، ١٦٠/٢٥، وأضواء البيان، ٥٥/٧.

(٧) حجة الفارسي، ١٢٩/٦، والموضِّح، ١١٤١/٣.

(٨) معاني النحَّاس، ٣١٧/٦، ومشكل إعراب القرآن، ٦٤٦/٢، والتبيان في إعراب القرآن، ١١٣٣/٢.

والثاني: أن تكون (ما) موصولة متضمنة معنى الشرط ولذلك دخلت الفاء في جوابها، لتدل على أن التسبب وجب بالإصابة؛ لأن الفاء إذا دخلت على جواب الاسم الموصول دلَّت على أن الأمر الثاني وجب بالأول، وهو الإصابة؛ لأن نسبة ما يصيب إلى كسب الأيدي يكون بالإصابة، أي: إن تصبكم مصيبة تقع النسبة والإضافة إلى كسب الأيدي، فهذه النسبة وجبت بالإضافة.(١)

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن تفسير (ما) بالشرطية في القراءتين أبلغ؛ لأن (ما) الشرطية تدل على العموم، فتفيد عموم التسبب، واذا كانت (ما) للشرط كان معنى الآية عاماً في كل مصيبة، وكان معناها أقوى من المعنى الذي تدل عليه ما الموصولة.(٢)

وذهب بعضهم إلى أن الأرجح حمل (ما) في قراءة نافع وابن عامر على الموصولية، وحملها في قراءة الجمهور على الشرطية، ومن ثم ترجيح قراءة الجمهور ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ﴾ بالفاء، للسبب ذاته الذي ذكرته آنفاً.(٣)

وبذلك تكون قراءة الجمهور تعين معنى عموم التسبب لأفعالهم فيما يصيبهم من المصائب؛ لأن (ما) في هذه القراءة إما شرطية والشرط دال على التسبب، وإما موصولة مشبهة بالشرطية، فالموصولية تفيد الإيماء إلى علة الخبر، وتشبيهها بالشرطية يفيد التسبب.

أما قراءة نافع وابن عامر فلا تدل على عموم التسبب، بل تجوزه؛ لأن الموصول قد يراد به واحد معين بالوصف بالصلة، فتحمل على العموم بالقرينة، وبتأييد القراءة الأخرى.(٤)

والحقيقة أن القراءتين تفيدان التسبب؛ فقراءة الجمهور تفيد التسبب بدلالة الباء والشرطية، والقراءة الأخرى تستغني بما في الباء والموصولية من معنى السببية.(٥)

وتفسير (ما) بالشرطية على قراءة، وبالموصولية على قراءة أخرى لا إشكال فيه؛ لأن القراءتين في الآية الواحدة كالآيتين.(٦) وهذا يعد وجهاً من وجوه إعجاز وبلاغة نظم القرآن.

وحاصل الأمر: أن تبادل القراءات بين الوصل والفصل اللفظي يدلّ على بلاغة نظم القرآن من خلال

---

(١) حجة الفارسي، ١٢٩/٦، والموضِّح، ٣/ ١١٤١.

(٢) مشكل إعراب القرآن، ٦٤٦/٢، والتفسير المنير، ٦٧/٢٥.

(٣) معاني النحَّاس، ٣١٧/٦، وحجة أبي زرعة، ص ٦٤٢.

(٤) التحرير والتنوير، ١٦٠/٢٥، وذكر الفارسي قريباً من هذا المعنى الذي ذكره ابن عاشور. انظر: حجة الفارسي، ١٢٩/٦.

(٥) أنوار التنزيل، ١٣١/٥، والسراج المنير، ٦٣٨/٣، وحاشية القونوي، ٢٤٢/١٧.

(٦) أضواء البيان، ٥٥/٧.

أمرين: الإيجاز، والتفنن في التعبير عن المعنى الواحد بطرائق متعددة.

ثانياً: تعاور وتعاقب حروف العطف على بعض القراءات، وأثره في بلاغة نظم القرآن.

قد يكون من الظهور والوضوح بمكان استجلاء الوجوه البلاغية التي تدل عليها القراءات المتنوعة التي جرت على التبادل بين طريقتي الوصل والفصل؛ لأن علم المعاني قد ضمَّن محتوياته باباً مهماً للحديث عن الوصل والفصل، والمواضع التي تجب فيه وتجوز أو لا تجوز؛ واعتماداً على هذا الباب حمل البلاغيون والمفسرون قراءات العطف على تلك الوجوه البلاغية التي يدل عليها أسلوب الوصل، وحملوا قراءات ترك العطف على الوجوه الأخرى التي يدل عليها أسلوب الفصل.

غير أن الجهود التي بذلها هؤلاء العلماء في استخراج الأوجه البلاغية المتنوعة لتلك القراءات التي جرت على التبادل بين حروف العطف كانت بالفعل جهوداً تنم وتعبِّر تعبيراً صادقاً عن مدى اجتهاد العلماء عامة، والمفسرين خصوصاً في درس التوجيه البلاغي للقراءات المتواترة، وغيرها.

وقد هدى استقراء القراءات المتواترة إلى بعض النماذج الجارية على طريقة الربط والوصل اللفظي بين الجمل، ولكن على الاختلاف في أداة الربط أو العطف، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [سورة الأعراف/٩٨]، حيث قرأ جمهور القراء ﴿أَوَ أَمِنَ﴾ بتحريك الواو، وقرأ المدنيَّان وابن كثير وابن عامر ﴿أَوْ أَمِنَ﴾ بسكون الواو.[١]

فأما قراءة الجمهور فتعطف قوله: ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى﴾ على قوله قبله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [سورة الأعراف/٩٧] بحرف العطف (الواو) الذي أُدخِل عليه همزة الاستفهام، فهو عطف استفهام على استفهام آخر بالواو المفيدة للجمع بين أمرين.[٢] والمعنى: أفأمنوا مجموع العقوبتين.[٣]

وأما قراءة نافع ومن معه ﴿أَوْ أَمِنَ﴾ بسكون الواو فتعطف هذه الآية على الآية السابقة بحرف (أو) الذي يستعمل في معنيين:[٤]

الأول: الإباحة أو التخيير، كقولك: "أقوم أو أجلس"، وقولك: "جالس الحسن أو ابن سيرين".

---

(١) السبعة، ص ٢٨٦-٢٨٧، والتيسير، ص ٨١، والنشر، ٣٠٥/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٧٤.

(٢) حجة أبي زرعة، ص ٢٨٩، والمحرر الوجيز، ٤٣٣/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٢٥٤/٧، واللباب، ٢٣٧/٩، والتحرير والتنوير، ٢١١/٨.

(٣) الإتحاف، ص ٤٠١.

(٤) حجة الفارسي، ٥٣/٤، والموضِّح، ٥٤١/٢، ومفاتيح الغيب، ١٥١/١٤، واللباب، ٢٣٧/٩.

والثاني: الإضراب عن المعنى الأول، كقولك: "أنَا أخْرُجُ" ثم تقول: "أو أقيم"، فتضرب عن الخروج، وتثبت الإقامة، كأنك تقول: لا بل أقيمُ.

وقد رجَّح جمهور المفسرين كون (أو) في هذه القراءة للإباحة، بمعنى: أفأمنوا إتيان العذاب ضحى أو أمنوا أن يأتيهم ليلاً، أي: إن أمنوا الأول لم يأمنوا الآخر.(١) أو التخيير بين أحد شيئين لا تريد أن تبيّن من المقصود منهما وأنت تعلمه،(٢) أي: أفأمنوا إحدى العقوبتين.(٣)

واستبعد السمين هذا الوجه الذي اختاره الجمهور، ومن ثمَّ تابعه ابن عادل فوافقا بذلك الفارسي فيما ذهب إليه من ترجيح الوجه الثاني في هذه الآية، على أن يكون إبطال المعنى الأول غير مراد.(٤)

وهذا الكلام غير وجيه؛ لأنه يبطل معنى الإضراب أصلاً. ويمكن قبول التعبير الذي اختاره أبو حيان وهو كون (أو) في هذه القراءة للتنويع.(٥) أو التعبير الذي اختاره جمع من المفسرين، وهو كونها للترديد؛(٦) دلالةً على استواء هذه الضروب من العذاب.(٧)

وقراءة الجمهور أشبه بنسق ونظم الآيات المتجاورة من حيث مشابهتها اللفظية لما قبلها، وهو قوله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى﴾ [سورة الأعراف/٩٨]، ومشابهتها لما بعدها، وهو قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ [سورة الأعراف/٩٩]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ﴾ [سورة الأعراف/١٠٠]،(٨) ولهذا السبب اختارها أبو زرعة.(٩)

وهذه المشابهة اللفظية التي ذهب المفسرون إلى أنها تحسِّن قراءة العطف بالواو هي الوجه البلاغي اللفظي لهذه القراءة، وهناك وجه معنوي يحسِّنها، وهو الدلالة على إمكانية اجتماع العقوبتين عليهم، فيمكن أن يأتيهم العذاب ليلاً، ويمكن أن يأتيهم نهاراً أيضاً.

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات، ٤٦٨/١، والتبيان في إعراب القرآن، ٥٨٤، والجامع لأحكام القرآن، ٢٥٣/٧، ومدارك التنزيل، ٩٨/٢.

(٢) حجة ابن خالويه، ص ١٥٨، والكشف عن وجوه القراءات، ٤٦٨/١–٤٦٩، والمحرر الوجيز، ٤٣٣/٢، والتبيان في إعراب القرآن، ٥٨٤، والجامع لأحكام القرآن، ٢٥٣/٧-٢٥٤، ومدارك التنزيل، ٩٨/٢، والإتحاف، ص ٤٠١، والتحرير والتنوير، ٢١١/٨.

(٣) حجة الفارسي، ٥٥/٤، ومفاتيح الغيب، ١٥١/١٤، والإتحاف، ص ٤٠١.

(٤) الدر المصون، ٣٩٢/٥، واللباب، ٢٣٧/٩. وانظر: حجة الفارسي، ٥٥/٤.

(٥) البحر المحيط، ٣٥١/٤.

(٦) أنوار التنزيل، ٤٣/٣، وإرشاد العقل، ٢٥٤/٣، وروح المعاني، ١٢/٩.

(٧) مفاتيح الغيب، ١٥١/١٤.

(٨) حجة ابن خالويه، ص ١٥٨، وحجة الفارسي، ٥٥/٤، والكشف عن وجوه القراءات، ٤٦٩/١، ومفاتيح الغيب، ١٥١/١٤.

(٩) حجة أبي زرعة، ص ٢٨٩.

أما القراءة الأخرى فيحسنها ما فيها من إبهام أي العقوبتين هو المراد في حق البشر، بالرغم من أن العقوبة المرادة منهما معلومة بالنسبة لله ﷻ.

ووجه الحسن في تنوع القراءات يبدو في أن قراءة التخيير والإباحة تبيِّن أن إحدى العقوبات لا على التعيين قد تنزل بطائفة منهم، وهناك طائفة أخرى قد ترى جميع هذه العقوبات؛ بدلالة القراءة الأخرى بالواو، وهذا هو ما يعرف ببلاغة الإيجاز في نظم القرآن من خلال قراءاته المتنوعة.

ومما ورد على التبادل بين حرفين من حروف العطف قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [سورة غافر/٢٦]، حيث قرأ بعض القراء ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ﴾ بـ(أو) العاطفة، وقرأ آخرون ﴿وَأَنْ يَظْهَرَ﴾ بواو العطف.[(١)]

فأما قراءة الكوفيين ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ﴾ فتعطف ظهور الفساد على تبديل الدين بـ(أو)، للإباحة وتردُّد الخوف بين تبديل الدين وظهور الفساد، وهي تصب بذلك معنى الخوف على أحد الأمرين.[(٢)]

والمعنى: قال فرعون: ذروني أقتل موسى؛ إني أخاف إن تركته حياً أن يُبدِّل دينكم، أو أن يكون سبباً في ظهور الفساد. أي: لا بد من وقوع أحد الأمرين: فهو إن لم يُبدِّل دينكم كلياً، فإنه سيظهر في الأرض الفساد؛ بسبب الخلافات التي ستقع بين الناس، وما سيصحبها من القتال الذي يُذهِب الأمن، ويعطل المزارع والمكاسب والمعايش، ويُهلِك الناس قتلاً وضياعاً.

كأنه قال: إني أخاف إن تركته حياً أن يفسد عليكم دينكم الذي تعتقدون وتؤمنون أنه الدين الصحيح بدعوتكم إلى دينه، أو يفسد عليكم دنياكم بسبب وقوع الخصومات وإثارة الفتن.[(٣)]

---

(١) قرأ المدنيَّان وأبو عمرو (وَأَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) بالواو المفتوحة بدلا من أو، ويظهر بضم الياء وكسر الهاء، والفساد بنصب الدال. وقرأ ابن كثير وابن عامر بالواو أيضاً و(يَظْهَرَ) بفتح الياء والهاء و(الفسادُ) برفع الدال، وقرأ حفص ويعقوب (أو) بزيادة همزة قطع مفتوحة قبل الواو مع سكون الواو، و(يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) يظهر بالضم والكسر، والفساد بالنصب، وقرأ شعبة والأخوان وخلف بأو كذلك و(يَظْهَرَ) بفتح الياء والهاء، والفسادُ برفع الدال. انظر: السبعة، ص ٥٦٩، والتيسير، ص ١٢٤، والنشر، ٢/٤٠٥، وتحبير التيسير، ص ٥٣٨، والمستنير، ٣/٣٣.

(٢) معاني النحَّاس، ٦/٢١٤، وحجة ابن خالويه، ص ٣١٣، وحجة الفارسي، ٦/١٠٧، وحجة أبي زرعة، ص ٦٢٩–٦٣٠، والكشف عن وجوه القراءات، ٢/٢٤٣، ومفاتيح الغيب، ٢٧/٤٨، والتبيان في إعراب القرآن، ٢/١١١٨، والبحر المحيط، ٧/٤٤١، والدر المصون، ٩/٤٧١، واللباب، ١٧/٣٧، وفتح القدير، ٤/٦٩٥، والتحرير والتنوير، ٢٤/١٨١، والمستنير، ٣/٣٣.

(٣) مفاتيح الغيب، ٢٧/٤٨–٤٩، والجامع لأحكام القرآن، ١٥/٣٠٥، ومدارك التنزيل، ٤/١١١، والسراج المنير، ٣/٥٧٣، وإرشاد العقل، ٧/٢٧٤.

والقراءة الأخرى تعطف ظهور الفساد على تبديل الدين بالواو التي تفيد الجمع بين أمرين، وتسلط معنى الخوف على كلا الأمرين: تبديل الدين، وظهور الفساد معاً، والمعنى: إني أخاف فساد دينكم ودنياكم معاً.(١)

وقد اختار مكي قراءة العطف بالواو؛ "لأن فرعون خاف الأمرين جميعاً أن يقعا من موسى عليه السلام، وقد وقعا، فبدل الله دينهم بالإيمان، وأفسد ملك فرعون."(٢)

وذهب د.أحمد سعد محمد – وأتابعه في ذلك – إلى أن كل قراءة تمثِّل موقفاً لفرعون مع أعوانه ومستشاريه؛ إذ بنى حجته في قراءة الكوفيين على الإبهام أو التدرُّج، وقدَّم خوفه من تبديل دينه؛ لأنه هو الأهم عنده، أما القراءة الأخرى فهي تمثِّل موقفاً آخر تسلَّط فيه خوفه على التبديل والإفساد معاً، حتى يصل في محاجته المغلوطة إلى إقناع أعوانه بخطر موسى عليه السلام على دينهم ودنياهم معاً، وبذلك يتحقق للآية بلاغة الإيجاز الذي تمثله القراءتان معاً.(٣)

ومما ورد على التبادل بين حرفين من حروف العطف قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۞ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [سورة الشمس/١٤-١٥] حيث قرأ جمهور القراء ﴿وَلَا يَخَافُ﴾ بالواو العاطفة، كما في مصاحف أهل مكة والبصرة والكوفة، وقرأ المدنيَّان وابن عامر ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ بفاء العطف، كما في مصاحف أهل المدينة والشام.(٤)

فأما قراءة المدنيَّين وابن عامر فتعطف (لَا يَخَافُ) على قوله: (فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ) على سبيل التعقيب والتفريع، والأرجح أن الفاعل – على هذه القراءة – يعود إلى (ربهم)، والمعنى: فَدَمْدَمَ عليهم ربُّهم، أي: فأطبق عليهم العذاب حتى استأصلهم، فلا درك على الله سبحانه وتعالى في فعله بهم، فهو لا يخاف عاقبة ذلك وتَبِعَته، كما يخاف سائر المعاقِبين. أي: فَعَل الله سبحانه وتعالى ذلك غير خائف أن يلحقه تبعة مِن أحد، كما يخاف الملوك وغيرهم ممَّن يعاقِب؛ لأنه سبحانه وتعالى يتصرف في ملكه، ولأنه لا يفعل فعلاً إلا بحق، وكل من فعل بحق فإنه لا يخاف عاقبة فعله، وإن كان من شأنه الخوف. قال تعالى: ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [سورة الأنبياء/٢٣].(٥)

---

(١) معاني النحَّاس، ٢١٤/٦–٢١٥، وحجة ابن خالويه، ص ٣١٣–٣١٤، وحجة الفارسي، ١٠٧/٦، وحجة أبي زرعة، ص ٦٢٩–٦٣٠، والكشف عن وجوه القراءات، ٢٤٣/٢، ومفاتيح الغيب، ٤٨/٢٧، والتبيان في إعراب القرآن، ١١١٨/٢، وأنوار التنزيل، ٩٠/٥، ومدارك التنزيل، ١١١/٤، والبحر المحيط، ٤٤١/٧، والدر المصون، ٤٧١/٩، واللباب، ٣٧/١٧، وفتح القدير، ٦٩٥/٤.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات، ٢٤٣/٢.

(٣) التوجيه البلاغي، ص ١٩٧.

(٤) السبعة، ص ٦٨٩، والتيسير، ص ١٤٠، والنشر، ٤٤١/٢، وتحبير التيسير، ص ٦١٤.

(٥) حجة أبي زرعة، ص ٧٦٦، ومشكل إعراب القرآن، ٨٢١/٢، والكشف عن وجوه القراءات، ٣٨٢/٢، والكشاف، ٧٦٥/٤، =

وبذلك يخرَّج الكلام على الاستعارة التمثيلية؛ حيث مثَّل لفعل الله ﷻ من استئصالهم وإهلاكهم بفعل الملوك والمُعاقبين، مع بيان اختلافهم في ناحية، وهي أن الله ﷻ لا يخاف عاقبة فعله وتبعته كما يخاف الملوك؛ وذلك لإهانتهم، وبيان أنهم أذلاء عند الله ﷻ.(١)

ويحتمل أن يكون الفاعل نبي الله صالح عليه السلام، أي: لا يخاف عقبى هذه الفعلة بهم؛ إذ كان قد أنذرهم وحذرهم.(٢)

وأما قراءة الجمهور فتحتمل أمرين:(٣)

الأول: أن تكون الواو للاستئناف، والفاعل إما الله ﷻ، أو النبي صالح عليه السلام، كما في القراءة الأخرى.

والثاني: أن تكون الواو للحال، وفاعل (يخاف) عائد على (أَشْقَاهَا)، وهو المنبعث لقتل الناقة، المُتقدِّم ذكره في قوله تعالى: ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ [سورة الشمس/١٢]. والمعنى: انبعث لعقرها، وهو لا يخاف عقبى فعله؛ لكفره وطغيانه.(٤)

وقد استحسن الفرَّاء والقرطبي القراءة بالفاء، وقالا: إنها أجود من القراءة بالواو؛ لأنها ترجع إلى المعنى الأول، أي: فلا يخاف الله ﷻ عاقبة إهلاكهم، وهذا المعنى أبلغ من معنى القراءة بالواو، وإن كانت القراءتان صواباً معنى وثبوتاً.(٥)

وأرى أن القراءتين في البلاغة سواء؛ واختلاف المفسرين في مرجع الضمير يرجع إلى ما اكتنفه من الإجمال، وهو مراد لله ﷻ؛ لتختلف الآراء في عوده، ومن ثم يكون ذلك سبيلاً إلى إثراء المعاني، وتكثيرها، ودليلاً شاهداً على إعجاز القرآن الكريم بإيجازه.

وأما ما ذكره بعض المفسرين من أن إرجاع الضمير إلى الله ﷻ يجعل المعنى أبلغ؛ لأنه يدل على عدم مشابهة فعل الله ﷻ لفعل الملوك، فأمر وجيه، لكن من هذه الوجهة وبهذا الاعتبار؛ لأن إرجاع الضمير إلى

والمحرر الوجيز، ٤٨٩/٥، والبحر المحيط، ٤٧٦/٨، والدر المصون، ٢٥/١١، والبحر المديد، ٣١٠/٨، وإرشاد العقل، ١٦٥/٩، وروح المعاني، ١٤٦/٣٠، والتحرير والتنوير، ٣٣١/٣٠.

(١) روح المعاني، ١٤٦/٣٠.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات، ٣٨٢/٢، والمحرر الوجيز، ٤٨٩/٥، والبحر المحيط، ٤٧٦/٨،

(٣) مشكل إعراب القرآن، ٨٢١/٢، والكشف عن وجوه القراءات، ٣٨٢/٢، والمحرر الوجيز، ٤٨٩/٥، والبحر المحيط، ٤٧٦/٨، والدر المصون، ٢٥/١١، وروح المعاني، ١٤٦/٣٠.

(٤) حجة الفارسي، ٤٢٠/٦، وحجة أبي زرعة، ص ٧٦٦.

(٥) معاني الفَرَّاء، ٢٧٠/٣، والجامع لأحكام القرآن، ٨٠/٢٠.

المنبعث عاقر الناقة أبلغ من حيث الدلالة على المبالغة في ذم هذا الشقي، حيث أقدم على فعله غير هائب ولا وجِلٍ من عاقبة ما صنع.

والتفكر في النص القرآني، وسياقه، وملابساته يهدي إلى استنباط ما في كل وجه تفسيري من أوجه بلاغية، وهذا من معاني الإعجاز في نظم القرآن؛ لأنه كلام ليس ككلام البشر، بل هو الكلام الذي لا تنقضي عجائبه، وليس تعدد قراءاته إلا وجهاً من الوجوه الدالة على هذه الميزة البارزة فيه.

وحاصل الأمر: أنَّ تبادل القراءات بين حروف العطف قد دلَّ على بلاغة الإيجاز في نظم القرآن من خلال تنوع قراءاته. والمطلب الآتي سيتناول بالدراسة تبادل الجمل القرآنية بين حالتي الوصل والفصل المعنوي من خلال تعدد القراءات، وأثر هذا التبادل في بلاغة الجمل المختلف في قراءتها، وبلاغة نظم القرآن.

المطلب الثاني: الوصل والفصل المعنوي، وأثرهما في بلاغة نظم القرآن.

كل قارئ في القرآن الكريم يلحظ أن هناك الكثير من الجمل القرآنية مترابطة معنوياً مع جمل سابقة لها رغم كونهما آيتين منفصلتين، وهذا الترابط المعنوي هو الذي يجعل الجملة مستغنية عن الربط اللفظي بالواو أو غيرها من حروف العطف. ولا تخلو القراءات المتواترة المتنوعة عن هذا المظهر من مظاهر الترابط بين الجمل، حيث تتجلى مظاهره أكثر ما تتجلى في ناحيتين:

الأولى: إتباع الجملة القرآنية بما قبلها إعرابياً في بعض القراءات، وترك هذا الإتباع في قراءات أخرى.

والثانية: تبادل بعض الجمل القرآنية غير المرتبطة بالواو بين (إنَّ) المكسورة الهمزة، و(أنَّ) المفتوحة الهمزة.(١)

وهذا المطلب سيتناول هاتين الناحيتين بالدراسة؛ ليكشف أثر هذين النوعين من التبادل في بلاغة النظم.

أولاً: تبادل القراءات بين الوصل والفصل الإعرابي المعنوي، وأثره في بلاغة نظم القرآن.

تقدَّم في الفصل الآنف دراسة حالات من التغاير الإعرابي لبعض الكلمات المفردة التي أثَّر تغاير قراءاتها في اختلاف موقع الكلمة من جملتها، وهذا المطلب سيبيِّن أن هذا النوع من القراءات لا يقتصر أثره على تشارك الكلمات المفردة في المعنى والإعراب، بل يتعداه ليشمل بعض الجمل القرآنية التي تنزل بسبب تنوع القراءات مما قبلها منزلة المفرد حيناً، أو تجري على الاستئناف النحوي أو البياني حيناً آخر، وهذا هو عينه ما يسميه البلاغيون بكمال الاتصال، وشبه كمال الاتصال.(٢)

وقد دلَّ الاستقراء على جمل قرآنية كثيرة جرت على التبادل بين حالتي المشاركة الإعرابية لما قبلها أو عدم المشاركة، وكشفت الدراسة عن بعض الآثار المعنوية والبلاغية المؤثِّرة في بلاغة تلك الجمل القرآنية خصوصاً، وبلاغة نظم القرآن عموماً. وهذه الفقرة ستتناول بالدراسة بعضاً من هذه الجمل؛ لتكشف عن أثر تبادل القراءات بين المشاركة الإعرابية وعدمها في بلاغة الجمل المختلف في قراءتها من ناحية، ونظم القرآن من ناحية أخرى.

فعلى سبيل المثال اختلف القراء في قراءة قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۞ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ

(١) التوجيه البلاغي، ص ٣٦٢-٣٦٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٦٣.

شَدِيدٍ﴾ [سورة إبراهيم/١-٢]. حيث قرأ المدنيان وابن عامر ﴿اللَّهُ﴾ بالرفع وصلاً ووقفاً، ووافقهم رويس في حالة الابتداء، وقرأ الباقون ﴿اللَّهِ﴾ بالجر وصلاً ووقفاً.(١)

ووجه قراءة الرفع أن لفظ الجلالة ﴿اللَّهُ﴾ خبر عن مبتدأ محذوف. والتقدير: هو الله الذي له ما في السماوات والأرض، وهذا الوجه على المدح لله جل في علاه.

أو أن ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ، وخبره (الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ).(٢)

وقيل: ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ، و(الذي) صفته، والخبر محذوف، تقديره: الله الذي له ما في السموات وما في الأرض العزيز الحميد، وحذف لتقدم ذكره. أو: الله الذي له ما في السموات والأرض قادر على كل شيْء.(٣)

ووجه قراءة الجر أن لفظ الجلالة ﴿اللَّهِ﴾ بدل من (الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)، وعلى هذا أكثر المفسرين.(٤)

وذهب الزمخشري – وتابعه في ذلك بعض المفسرين – إلى أن ﴿اللَّهِ﴾ على قراءة الجر عطف بيان على (الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)؛ "لأنه جرى مجرى الأسماء؛ لغلبته على المعبود بحقّ، كالنَّجم للثُّريَّا."(٥)

وقد ردَّ عليه أبو حيان بأن هذا التعليل لا يتمُّ إلاَّ أن يكون أصله (الإله)؛(٦) لأن الصفة لا تقدّم على الموصوف، وللعرب في ذلك وجهان: الأول: أن تتقدم الصفة بحالها، وفيه إعرابان: أن يعرب صفة متقدمة، أو أن يجعل الموصوف بدلاً من صفته. والثاني: أن تضيف الصفة إلى الموصوف، فعلى هذا يجوز أن يعرب (العَزِيزِ الحَميدِ) صفة متقدمة.(٧)

---

(١) السبعة، ص ٣٦٢، والتيسير، ص ٩٤، والنشر، ٢/، وتحبير التيسير، ص ٤٢٤.

(٢) المحرر الوجيز، ٣٢٢/٣، ومفاتيح الغيب، ٦٠/١٩ ٦١، والبحر المحيط، ٣٩٣/٥، والدر المصون، ٦٦/٧، واللباب، ٣٣١/١١، وإرشاد العقل، ٣١/٥.

(٣) حجة الفارسي، ٢٧/٥-٢٨، والتبيان في إعراب القرآن، ٧٦٢/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٣٣٩/٩.

(٤) حجة ابن خالويه، ص ٢٠٢، وحجة الفارسي، ٢٥/٥–٢٧، وحجة أبي زرعة، ص ٣٧٦، والتبيان في إعراب القرآن، ٧٦٢/٢، وانظر: المحرر الوجيز، ٣٢٢/٣، والجامع لأحكام القرآن، ٣٣٩/٩، والدر المصون، ٦٦/٧، واللباب، ٣٣١/١١، وروح المعاني، ١٨٢/١٣.

(٥) الكشاف، ٥٠٥/٢، وانظر: مفاتيح الغيب، ٦٠/١٩، وإرشاد العقل، ٣٠/٥، وأنوار التنزيل، ٣٣٦/٣، وفتح القدير، ١٣٣/٣.

(٦) البحر المحيط، ٣٩٣/٥،

(٧) البحر المحيط، ٣٩٣/٥، والدر المصون، ٦٦/٧–٦٧، واللباب، ٣٣١/١١.

وبما أن (اللهُ) اسم علم لذاته المخصوصة، لذلك وجب أن يُذكر أولاً ثم يوصَف، كقوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة الحشر/٢٢]. ولا يمكننا أن نعكس الأمر، فنقول: هو الرحمن الرحيم الله؛ لأن (اللهَ) اسم علم للذَّات المخصوصة، وسائر الألفاظ دالة على الصِّفات.

"فالترتيب الحسن أن يذكر الاسم ثم يذكر عقيبه الصفات، كقوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [سورة الحشر/٢٤]، فأمّا أن تعكس فتقول: (هو الخالق المصور البارئ الله)؛ فذلك غير جائز، وإذا ثبت هذا فنقول: الذين قرؤوا برفع الجلالة على أنّه مبتدأ وما بعده خبر هو الصحيح، والذين قرءوا بالجرِّ إتباعاً لقوله: (الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) مشكل؛ لما بيّنا من أنَّ الترتيب الحسن أن يقال: الله الخالق. وعند هذا اختلفوا في الجواب: فقال أبو عمرو بن العلاء: القراءةُ بالخفض على التَّقديم والتَّأخير، والتقدير: صراط الله العزيز الحميدِ الذي له ما في السموات والأرض.[1] وقيل: لا يبعد أن تذكر الصفة أولاً ثمَّ يذكر الاسم، ثم تذكر الصِّفة مرة أخرى، كما يقال: الإمام الأجلّ محمد الفقيه، وهو بعينه نظير قوله: ﴿صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۞ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾. وتحقيق القول فيه: أنَّا بيَّنا أن الصِّراط إنَّما يكون ممدوحاً محموداً إذا كان صراطاً للعالم القادر الغنيّ، والله تعالى عبَّر عن هذه الأمور الثلاثة بقوله: (الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)، فوقعت الشبهة في أن ذلك (الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) من هو؟ فعطف عليها قوله: ﴿اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ إزالة لتلك الشُّبهة."[2]

وكل قراءة من القراءتين فيه من البلاغة ما لا يدرك شأوه، فقراءة الجر تُتبع لفظ الجلالة بما قبله، وفي هذا تفخيم لشأن الصراط؛ حيث أضافه في المعنى إلى لفظ الجلالة، فمعنى الآية على قراءة الجر: أنزل الله إليك الكتاب؛ لتخرج الناس من الظلمات إلى النور، والنور هو سلوك صراط الله العزيز الحميد. و"في الوصفية من بيان كمال فخامة شأن الصراط، وإظهار تحتم سلوكه على الناس ما ليس في الخبرية."[3] ولهذا السبب رجَّح بعض المفسرين قراءة الجر؛ لما فيها من اتصال بعض الكلام ببعض.[4]

ووجه البلاغة في قراءة الرفع أن الكلام على المدح؛ لأن القاعدة في ذلك أن الوصف والتابع "إذا عُدِل به عن إعرابه عُلِم أنه للمدح."[5]

---

(١) جامع البيان، ٥١٣/١٦، وانظر: معالم التنزيل، ٣٣٤/٤، وفتح القدير، ١٣٣/٣.

(٢) مفاتيح الغيب، ٦٠/١٩، واللباب، ٣٣٢/١١.

(٣) روح المعاني، ١٨٢/١٣.

(٤) ذكر مكي أن أبا عبيد ممن رجَّح قراءة الرفع. انظر: الكشف عن وجوه القراءات، ٢٥/٢.

(٥) الخصائص، لابن جني، ٣٩٩/١.

فالمغايرة هنا والابتداء بها يجعلان معنى الجملة القرآنية أقوى وأفخم من إتباع الكلام بما قبله؛ لانفصال الآية عما قبلها.(١) ولهذا السبب رجَّح بعض المفسرين قراءة الرفع.(٢)

والحجج التي ذكرها المفسرون لتأييد القراءة الراجحة لدى كل منهم تعكس ما في كل قراءة من وجوه بلاغية لا تتحقق في القراءة الأخرى، ولذلك قال الطبري: "وقد يجوز أن يكون الذي قرأه بالرفع أراد مَعْنَى مَنْ خفضَ في إتباع الكلام بعضِه بعضًا، ولكنه رفع لانفصاله من الآية التي قبله، كما قال جل ثناؤه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ [سورة التوبة/١١١] إلى آخر الآية، ثم قال: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾ [سورة التوبة/١١٢]."(٣)

وقد ورد مثل ذلك المعنى عن أبي السعود الذي قال: "ففيه على القراءتين بيان لكمال فخامة شأن الصراط، وإظهار لتحتم سلوكه على الناس قاطبة."(٤)

ولعل ذلك هو الذي جعل رويس عن يعقوب يقرأ بالرفع إذا وقف على قوله: (الْحَمِيدِ) وابتُدئ باسم (اللَّهِ)، ويقرأ بالجر إذا وصل (الْحَمِيدِ) باسم (اللَّهِ)؛ ليحقق بقراءته ما في القراءتين من بلاغة، وحسن بيان.

والقراءتان تدلان على بلاغة نظم القرآن الذي يعبِّر بكلمة واحدة عن أغراض متنوعة، فيمدح الله بالرفع، ويمدح الصراط بالجر دون أن يأتي بألفاظ كثيرة لتحقيق هذه الأغراض البلاغية.

ومن الجمل القرآنية التي وردت على التبادل بين حالتي المشاركة الإعرابية وعدمها قوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ۞ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الصافات/١٢٥-١٢٦]. حيث قرأ بعض القراء ﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ﴾ بنصب الأسماء الثلاثة، وقرأ آخرون ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ﴾ برفعها.(٥)

ووجه قراءة النصب أن الأسماء الثلاثة على البدل من (أَحْسَنَ)، أو البيان له.(٦) ويجوز أن يكون النصب على المدح بفعل محذوف تقديره: أعني اللهَ ربَّكم، فإن العرب تنصب بإضماره؛ مدحاً وتعظيماً.(٧)

---

(١) حجة ابن خالويه، ص ٢٠٢، وحجة أبي زرعة، ص ٣٧٦، وانظر: التحرير والتنوير، ٢١٧/١٢.

(٢) ذكر مكي أن ابن قتيبة ممن رجَّح قراءة الرفع. انظر: الكشف عن وجوه القراءات، ٢٥/٢. وبحثت عن رأي ابن قتيبة ولم أجده.

(٣) جامع البيان، ٥١٤/١٦.

(٤) إرشاد العقل، ٣٠/٥.

(٥) قرأ حفص والأخوان وخلف ويعقوب ﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ﴾ بنصب الأسماء الثلاثة، وقرأ الباقون برفعها. انظر: السبعة، ص ٥٤٩، والتيسير، ص ١٢٢، والنشر، ٤٠٠/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٢٩، والمُيسَّر في القراءات، ص ٤٥٠.

(٦) حكى أبو عبيد أن النصب على النعت، وقال النحاس: "وهو غلط وإنما هو بدل، ولا يجوز النعت؛ لأنه ليس بتحلية." انظر: إعراب إعراب النحَّاس، ٤٣٦/٣، وفتح القدير، ٥٨٢/٤.

(٧) جامع البيان، ٩٩/٢١، وحجة ابن خالويه، ص ٣٠٤، والكشاف، ٦٢/٤، والمحرر الوجيز، ٤٨٥/٤، ومفاتيح الغيب، ١٤١/٢٦، =

ووجه قراءة الرفع أن لفظ الجلالة (اللَّهُ) مبتدأ، وما بعده خبره وهو قوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ﴾، أو أن المبتدأ محذوفٌ، ولفظ الجلالة (اللَّهُ) خبره، والتقدير: هو اللهُ ربُّكم وربُّ آبائكم.(١)

ومما يحسِّن قراءة النصب كونه يشعر بكمال اتصال لفظ الجلالة بأحسن الخالقين، أي: يحسنها ما فيها من التصريح والبيان لجملة ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾، وكأن المعنى: كيف تذرون عبادة أحسن الخالقين ربكم ورب آبائكم وتعبدون بعلاً، كما يحسنها معنى التفخيم والتعظيم على قول من قال بنصبها بفعل محذوف تقديره (أعني).(٢)

ومما يحسن قراءة الرفع أن الكلام ابتداء آية، وأن المعنى قد تم على رأس الآية السابقة.(٣) وقراءة الرفع تنبّه على خطئهم بعبادة ما دون الله، وترك عبادة الله ﷻ مع كونه ربهم، ومدبِّر مصالحهم.(٤)

وهذا يُذكرنا **بقاعدة** قررها الرازي وأبو حيان في تفسيرهما نقلاً عن أبي علي الفارسي، وهي: "إذا ذكرت الصفات الكثيرة في معرض المدح والذم، فالأحسن أن تخالف بإعرابها، ولا تجعل كلها جارية على موصوفها، لأن هذا الموضع من مواضع الإطناب في الوصف، الإبلاغ في القول، فإذا خولف بإعراب الأوصاف كان المقصود أكمل؛ لأن الكلام عند الاختلاف يصير كأنه أنواع من الكلام، وضروب من البيان، وعند الاتحاد في الإعراب يكون وجهاً واحداً وجملة واحدة."(٥) ومن هنا جاء الحسن في قراءة الرفع.

ولذلك كان حمزة إذا وصل قوله تعالى: ﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ بما قبله نصب، وإذا وقف على ﴿أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ رفع قوله: ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾؛ ليحقق بقراءته ما في القراءتين من بلاغة، وحسن بيان.(٦)

والتبيان في إعراب القرآن، ١٠٩٣/٢، والبحر المحيط، ٣٥٨/٧، والدر المصون، ٣٢٧/٩، واللباب، ٣٤٠/١٦، والسراج المنير، ٤٦٩/٣، والتحرير والتنوير، ٧٨/٢٣.

(١) التبيان في إعراب القرآن، ١٠٩٣/٢، وانظر: جامع البيان، ٩٩/٢١، والكشاف، ٦٢/٤، والمحرر الوجيز، ٤٨٥/٤، والموضّح، ١٠٩٤/٣، والبحر المحيط، ٣٥٨/٧، والدر المصون، ٣٢٧/٩، واللباب، ٣٤٠/١٦، والتحرير والتنوير، ٧٨/٢٣.

(٢) حجة ابن خالويه، ص ٣٠٤، وحجة الفارسي، ٦٣/٦.

(٣) حجة الفارسي، ٦٣/٦، وحجة أبي زرعة، ص ٦١٠، والموضّح، ١٠٩٤/٣، والجامع لأحكام القرآن، ١١٨/١٥.

(٤) التحرير والتنوير، ٧٨/٢٣.

(٥) مفاتيح الغيب، ٣٩/٥، والبحر المحيط، ١٠/٢. ولم أجده في حجة الفارسي.

(٦) الكشاف، ٦٢/٤، ومفاتيح الغيب، ١٤١/٢٦، والدر المصون، ٣٢٧/٩–٣٢٨.

ومما ورد على التبادل بين الوصل والفصل المعنوي نتيجة المشاركة الإعرابية وعدمها جملة ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۞ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [سورة المزمل/٨-٩]، حيث قرأ بعض القراء ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ﴾ بالجر، وقرأ آخرون ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ بالرفع.(١)

والأظهر أن الجر في قراءة ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ﴾ على النعت أو البدل أو البيان من (رَبِّكَ).(٢) والكلام على هذه القراءة متصل بعضه ببعض إعراباً ومعنى.

ونُقل عن ابن عباس رضي الله عنهما وجهٌ آخر وهو: جواز كون الجر في هذه القراءة على القسم بإضمار حرف القسم، أي: ورب المشرق، وجواب القسم: لا إله إلا هو، فهو كقولك: "والله لا أحد في الدار سوى زيد."(٣)

وأما الرفع في القراءة الأخرى فيحتمل وجهين:(٤)

الأول: أن يكون قوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ مقطوع عما قبله معنى وإعراباً، فهو مرفوع على المدح، على أن (ربُّ) خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو.

والثاني: أن يكون ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ مبتدأ، وخبره: جملة (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ).

---

(١) قرأ أبو بكر وابن عامر ويعقوب والأخوان وخلف (رَبِّ الْمَشْرِقِ) بخفض الباء، وقرأ الباقون برفعها. انظر: السبعة، ص ٦٥٨، والتيسير، ص ١٣٦، والكفاية، ص ٣٠٩، والنشر، ٤٣٣/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٩٦.

(٢) جامع البيان، ٦٨٩/٢٣، وحجة الفارسي، ٣٣٦/٦، ومشكل إعراب القرآن، ٧٦٨/٢، والكشف عن وجوه القراءات، ٣٤٥/٢، ومعالم التنزيل، ٢٥٥/٨، والكشاف، ٦٤٠/٤، والتبيان في إعراب القرآن، ١٢٤٧/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٤٥/١٩، وأنوار التنزيل، ٤٠٦/٥، ومدارك التنزيل، ٤٤٧/٤، والبحر المحيط، ٣٥٥/٨، والدر المصون، ٥٢٢/١٠، واللباب، ٤٦٧/١٩، وإرشاد العقل، ٥١/٩، والبحر المديد، ١٦٣/٨، وفتح القدير، ٤٤٥/٥، وروح المعاني، ١٠٦/٢٩، والتحرير والتنوير، ٢٤٩/٢٩.

(٣) انظر: الكشاف، ٦٤٠/٤، ومفاتيح الغيب، ١٥٩/٣٠. وقد ضعَّف أبو حيان هذا الوجه؛ لأن فيه إضمار الجار، وهو أمر لا يجيزه البصريون إلاَّ مع لفظ الجلالةِ المعظمة (الله) خاصة، ولأن الجملة المنفية في جواب القسم إذا كانت اسمية فإنها تنفى بـ(مَا)، وحدها، ولا ينفى بـ(لا) إلا الجملة المصدرة بمضارع، أو بماض في معناه قليلاً. وأما ما ذكره الزمخشري فعلى سبيل التجويز والتسليم. انظر: البحر المحيط، ٣٥٥/٨–٣٥٦. وذهب السمين إلى جواز نفي الجملة الفعلية بما ولا وإن بمعنى ما النافية، وهذا هو الظاهر. انظر: الدر المصون، ٥٢٢/١٠، واللباب، ٤٦٧/١٩–٤٦٨.

(٤) جامع البيان، ٦٨٩/٢٣، وحجة الفارسي، ٣٣٦/٦، وحجة أبي زرعة، ص ٧٣١، ومشكل إعراب القرآن، ٧٦٨/٢، والكشف عن وجوه القراءات، ٣٤٥/٢، ومعالم التنزيل، ٢٥٥/٨، والكشاف، ٦٤٠/٤، والمحرر الوجيز، ٣٨٨/٥، ومفاتيح الغيب، ١٥٨/٣٠–١٥٩، والتبيان في إعراب القرآن، ١٢٤٧/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٤٥/١٩، وأنوار التنزيل، ٤٠٦/٥، ومدارك التنزيل، ٤٤٧/٤، والدر المصون، ٥٢٣/١٠، وغرائب القرآن، ٣٧٦/٦، واللباب، ٤٦٨/١٩، والسراج المنير، ٤٦٤/٤، وإرشاد العقل، ٥١/٩، والإتحاف، ص ٧٥٥، والبحر المديد، ١٦٣/٨،وفتح القدير، ٤٤٥/٥، وروح المعاني، ١٠٦/٢٩، والتحرير والتنوير، ٢٤٩/٢٩.

وقد استحسن النحاس قراءة الرفع؛ لأن قوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ ابتداء آية،[1] والرفع يقطع الكلام عما قبله، ويعطي الجملة صفة الاستقلال، ويخرج الكلام مخرج المدح؛ لأنه "إذا ذكرت الصفات الكثيرة في معرض المدح والذم، فالأحسن أن تخالف بإعرابها، ولا تجعل كلها جارية على موصوفها."[2]

وأشار الفرَّاء إلى أن انفصال الآيتين يحسِّن قراءة الرفع، لكن قراءة الجر حسنة أيضاً وبليغة؛ لأنها تتبع الكلام بما قبله، فتضيف إلى الأوصاف المذكورة للذات الجليلة في الآية الأولى أوصافاً أخرى تدل على عظمة الرب واتصافه بأعظم صفات الكمال، فالاستئناف والإتباع في هذه الآية، كالاستئناف والإتباع في قوله تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ۞ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الصافات/١٢٥-١٢٦].[3]

وهذا الذي ذكره الفراء أولى مما ذكره النحاس، وهو يتفق مع ما قرَّرته في المثالين الآنفين من أن الرفع وقطع الكلام أبلغ في المدح، والمشاركة الإعرابية تتبع الكلام ما قبله في المعنى، وتزيد للأوصاف المذكورة آنفاً أوصافاً أخرى تستتبع بها الصفات الآنفة وتؤكِّد مضمونها.

وهذه الأمثلة الثلاثة المذكورة تجري على التبادل بين حالتي الوصل والفصل المعنوي؛ لأن الربط بين الجملتين القرآنيتين يتم بالمشاركة الإعرابية في إحدى القراءات، دون القراءة الأخرى.

وهناك جمل قرآنية تتفق قراءاتها جميعاً على الوصل اللفظي، وتختلف فيما بينها في قوة الوصل المعنوي نتيجة الاختلاف الإعرابي؛ حيث تجري بعض القراءات على المشاركة الإعرابية، وتجعل حرف الربط للعطف، وتجري قراءات أخرى على القطع الإعرابي، وتجعل حرف الربط للاستئناف، ومن هذا القبيل تنوع قراءات قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [سورة المائدة/٤٥]، حيث قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ﴾ بنصب (النَّفْسَ، وَالْعَيْنَ، وَالْأَنْفَ، وَالْأُذُنَ، وَالسِّنَّ) ورفع (الْجُرُوحُ)، وقرأ الكسائي (أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ) بالنصب وما بعده كله بالرفع، وقرأ الباقون (نافع وحمزة وعاصم) جميع هذه الأسماء الستة منصوبة.[4]

---

(١) إعراب القرآن، ٥/٥٧.

(٢) مفاتيح الغيب، ٥/٣٩، والبحر المحيط، ٢/١٠.

(٣) معاني الفَرَّاء، ٣/١٩٨.

(٤) السبعة، ص ٢٤٤، والتيسير، ص ٧٤، والنشر، ٢/٢٨٧، وتحبير التيسير، ص ٣٤٦–٣٤٧.

فأما قراءة نافع ومن معه فتعطف جميع الأسماء الخمسة المذكورة على اسم (أنَّ)، وتشير إلى أنها جميعاً مما ذُكِرَ في التوراة. فالواو في هذه القراءة هي العاطفة التي تجمع بين أمرين في الحكم.(١)

وأما قراءة الكسائي فتحتمل وجوهاً، منها:(٢)

أولاً: أن تكون (الواو) عاطفة جملة اسمية على جملة فعلية، فتعطف الجمل كما تعطف المفردات، أي قوله: (والعين) مبتدأ، و(بالعين) خبره، وكذا ما بعدها. والجملة الاسمية معطوفة على الفعلية، وهي قوله: (وَكَتَبْنَا). وعلى هذا يكون مضمون الجملة الاسمية ابتداء تشريع، وبيان حكم جديد غير مندرج فيما كتب في التوراة، فالواو على هذه القراءة غير مشركة للجملة مع ما قبلها لا في اللفظ، ولا في المعنى.

ثانياً: أن تكون (الواو) عاطفة جملة اسمية على قوله: (أن النفس بالنفس)، لكن من حيث المعنى لا من حيث اللفظ، أي: إنَّ جملة (وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفُ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنُ بِالْأُذُنِ وَالسِّنُّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ) مندرجة تحت الكَتْب من حيث المعنى، لا من حيث اللفظ.

ثالثاً: أن (العين) عطف على الضمير المرفوع المستتر في الجار الواقع خبراً؛ إذ التقدير: أن النفس هي مأخوذة بالنفس، فالأسماء بعدها معطوفة على هي.

وأما قراءة ابن كثير ومن معه فتحتمل الوجوه المذكورة في توجيه قراء الكسائي، وتحتمل وجهاً رابعاً وهو: أن جملة (وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ) جملة استئنافية من مبتدأ وخبر، مستقلة ومقطوعة عما قبلها، أي: إنَّ الواو في هذه القراءة للاستئناف، وليست للعطف. وهذه القراءة تشير إلى أن حكم الجروح مما لم يُذكَر في التوراة، بل هو ابتداء تشريع، وتعريف بحكم جديد.(٣)

وذهب بعض المفسرين إلى إن المخالفة الإعرابية في قراءة ابن كثير للتفريق بين المجمل والمفسر؛ لأن قوله: (وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ) إجمال لحكم الجراح بعدما فصَّل حكم قطع الأعضاء، فقوله: (النَّفْسَ بالنفسِ، والعينَ بالعينِ)

---

(١) حجة الفارسي، ٢٢٣/٣، ومشكل إعراب القرآن، ٢٢٧/١، والكشف عن وجوه القراءات، ٤٠٩/١، ومفاتيح الغيب، ٧/١٢، والبحر المحيط، ٥٠٥/٣، وفتح القدير، ٦٨/٢.

(٢) إعراب النحّاس، ٢٢/٢، وحجة الفارسي، ٢٢٣/٣–٢٢٦،والكشف عن وجوه القراءات، ٤٠٩/١، والمحرر الوجيز، ١٩٦/٢–١٩٧، وزاد المسير، ٣٦٧/٢ ٣٦٨، ومفاتيح الغيب، ٧/١٢، والتبيان في إعراب القرآن، ٤٣٩/١، وإبراز المعاني، ٤٢٨/٢–٤٢٩، والجامع لأحكام القرآن، ١٩٢/٦–١٩٣، والبحر المحيط، ٥٠٦/٣، والدر المصون، ٢٧٣/٤–٢٧٦، واللباب، ٣٥١/٧–٣٥٥، وفتح القدير، ٦٨/٢.

(٣) حجة الفارسي، ٢٢٦/٣، والكشف عن وجوه القراءات، ٤٠٩/١–٤١٠، والمحرر الوجيز، ١٩٦/٢، والتبيان في إعراب القرآن، ٤٣٩/١، وإبراز المعاني، ٤٢٩/٢، والدر المصون، ٢٧٨/٤، واللباب، ٣٥٥/٧.

مفسّر غير مجمل، أما (وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ) فإنها مجملة؛ وخُولِفَ في الإعراب؛ لاختلاف الجراحات وتفاوتها؛[1] إذ ليس كل جرح يجري فيه قصاصٌ؛ بل ما كان يعرف فيه المساواة فقط ، وأمكن ذلك فيه، على تفصيل معروف في كتب الفقه.[2]

وذهب آخرون إلى أن وجه الاستئناف بـ (الجروح) عدم التشابه بين خبر الجروح وأخبار الأسماء الخمسة الأولى؛ فخبر الاسم الأول مثل خبر الاسم الثاني والثالث والرابع والخامس، فأشبه الكلام بعضه بعضاً، ثم استأنف فقال: (وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ)، ولم يقل: والجروح بالجروح قصاص، فكان الرفع بالابتداء أولى؛ لأن خبر الجروح لم يشبه أخبار ما تقدمه، فعدل به إلى الاستئناف، واختار الانقطاع عن الكلام الأول.[3]

وبذلك تكون أحكام القصاص في العين والأنف والأذن والسن والجروح مما كتبه الله ﷻ وبيَّنه في التوراة في قراءة الجمهور، وقراءة الكسائي وابن كثير تحتمل وجهين: أن يكون ذلك مما كتب عليهم في التوراة إذا قيل بأن هذه المرفوعات معطوفة على النفس من حيث المعنى لا اللفظ، أو أن تكون مما لم يُكتب في التوراة، بل هي من الأحكام التشريعية الجديدة إذا قلنا بانقطاعها عما قبلها لفظاً ومعنى.

وقد رجَّح بعض المفسرين أن الجروح معطوفة على النفس معنى لا لفظاً، في قراءة ابن كثير وأن أحكام القصاص في الجروح مما كتبه الله في التوراة، بدلالة قراءة النصب.[4]

واختار آخرون: أن الرفع والاستئناف في قراءة ابن كثير يدل على ابتداء الكلام، وتشريع حكم جديد للمسلمين، كأن المسلمين أمروا بهذا خاصة، ومن قبلهم لم يواجهوا به.[5]

---

(١) أنوار التنزيل، ٣٢٩/٢، والدر المصون، ٢٧٩/٤، واللباب، ٣٥٦/٧، وروح المعاني، ١٤٨/٦، والتحرير والتنوير، ١١٩/٥. وقد ذهب السمين وتابعه ابن عادل إلى تضعيف هذا التوجيه؛ لعدم الملازمة بين مُخَالَفَةِ الإعراب ومخالفةِ الأحكام المُشَارِ إليها بوجهٍ من الوُجُوهِ. انظر: الدر المصون، ٢٧٩/٤، واللباب، ٣٥٦/٧.

(٢) راجع: المهذب في فقه الإمام الشافعي، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، (٤٧٦هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ط.، د.ت.، ١٧٨/٢–١٨٣، والاختيار لتعليل المختار، لأبي الفضل عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي (٦٨٣هـ)، تح: عبد اللطيف محمد عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣/١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م، ٣٤/٥–٣٦، والمبدع في شرح المقنع، لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح الحنبلي (٨٨٤هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، د.ط./١٤٠٠هـ، ٣٠٦/٨–٣٠٩، والبحر الرائق، لابن نجيم الحنفي، ٣٤٥/٨–٣٤٨.

(٣) حجة ابن خالويه، ص ١٣١، وحجة أبي زرعة، ص ٢٢٧، والكشف عن وجوه القراءات، ٤١٠/١.

(٤) المحرر الوجيز، ١٩٧/٢، وإبراز المعاني، ٤٢٩/٢.

(٥) حجة ابن خالويه، ص ١٣١. وهذا القول اختيار ابن المنذر فيما نقله عنه القرطبي. انظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٩٣/٦.

ولا يوجد دليل يشهد لأي فريق منهم، خاصةً وأن قراءة النصب تقوي كون أحكام الجروح مما كتبه الله ﷻ في التوراة، ولا يمكن دفع معنى هذه القراءة المتواترة بمعنى تحتمله قراءة متواترة أخرى.

وقد ذهب مكي إلى اختيار القراءتين معاً؛ لأنه لحظ قوة المعنى والإعراب في القراءتين؛ فقراءة النصب يقويها اتصال بعض الكلام ببعض، وبيانها أن أحكام جميع المذكور مما كُتب في التوراة، وقراءة الرفع يقويها مخالفة خبرها لخبر ما قبلها، وكونها قراءة النبي ﷺ.(١)

وأميل إلى متابعة بعض المفسرين فيما ذهبوا إليه من كون رفع (الجروحُ) يدل على ضرورة التقصي في الجروح، وتحري ما يستوجب القصاص منها، وما لا يستوجب؛ لأنها وردت مجملة بعد ورود ما قبلها مفصلاً، وإن كان الربط بين الإجمال والتفسير لا يستلزم المغايرة الإعرابية؛ لأنه كالربط والعطف بين العام والخاص.(٢)

وإنما اخترت ذلك؛ لأن نظم القرآن ربط بين الجملتين بالواو التي تقتضي الجمع بين أمرين في الحكم، فدل بذلك على أن عدم المشاركة الإعرابية لا تدل على كون المخالف مغايراً لما قبله في الحكم؛ لأن العطف بالواو يدل على خلاف ذلك، ولا يعني هذا الغض من قيمة الاتصال المعنوي الذي تؤكده القراءة التي توافق إعرابياً ما قبلها، غير أن الربط بين الجملتين بالواو يدعو إلى البحث عن سببٍ آخر يمكن تعليل المخالفة الإعرابية به، وليكن التنبيه على ضرورة التقصي والتحري في الجروح قبل تنفيذ الأحكام.

وحاصل الأمر: أن المشاركة الإعرابية تقوي الاتصال المعنوي بين الجمل، والمخالفة تضعف هذا الاتصال وتنبِّه الأذهان على معانٍ جديدة يمكن تفسير المخالفة بها، وتنوع القراءات وتبادلها بين الحالتين يعد من بلاغة الإيجاز في نظم القرآن.

ثانياً: تبادل القراءات بين (إنَّ) و(أنَّ)، وأثره في بلاغة نظم القرآن.

(إنَّ) و(أنَّ) من الأحرف التي تدخل على الجملة فتفيد التأكيد، ويكون وجودها في الجملة بمثابة تكرير الكلام مرتين، وغرض التأكيد لمضمون الجملة يحصل بمجرد وجود (إنَّ) و(أنَّ) في الكلام دون النظر لأمر آخر؛ لأن هذين الحرفين موضوعان حقيقة لهذا الغرض.(٣)

غير أن هناك فروقاً بين (إنَّ) و(أنَّ) من حيث الموقع والمعنى، منها:

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات، ٤١٠/١.

(٢) التوجيه البلاغي، ص ٣٧٨.

(٣) اللباب في علل البناء والإعراب، ٢٠٥/١، والبلاغة العربية، ١٨٩/١-١٩٠.

أولاً: (إنَّ) المكسورة تقع في ابتداء الكلام وما في حكمه،[1] نحو: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ [سورة الدخان/٣]، ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة يونس/٦٢]. وتفيد في الجملة معنى واحداً هو التأكيد، أما المفتوحة فتقع في حشو الكلام؛ لتفيد التأكيد وتعلق ما بعدها بما قبلها.

ثانياً: (إنَّ) المكسورة أشبه بالفعل لذا كانت عاملة غير معمول فيها، كما هو أصل الفعل، وهي كالمفرد. و(أنَّ) المفتوحة عاملة ومعمول فيها، فهي كالمركَّب.

ثالثاً: (إنَّ) المكسورة ليست كبعض الاسم، بل هي مستقلة بنفسها، أما المفتوحة فهي كبعض الاسم؛ لأنها وما عملت فيه بتقدير اسم واحد، ولهذا وجب أن يسبقها ما يطلبها، فيمكن أن تقع مع ما بعدها من الجملة في موقع الفاعل نحو: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا﴾ [سورة العنكبوت/٥١]. أو المفعول غير المحكي، نحو: ﴿وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ﴾ [سورة الأنعام/٨١]. أو نائباً عن الفاعل، نحو: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ﴾ [سورة الجن/١]. أو مجرورةً بالحرف، نحو: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [سورة الحج/٦٢]. أو المجرور بالإضافة، نحو: ﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ [سورة الذاريات/٢٣]. أو مُبْدَلَةً من شيء، نحو: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال/٧].[2]

ومما يبرز الفرق بينهما في المعنى قوله ﷺ: "لبيك إنَّ الحمد والنعمة لك."[3] فإذا فُتِحت همزة (أنَّ) كان المعنى: لبيك؛ لأن الحمد لك، وإذا كسرت كان الحمد كلاماً مستأنفاً، وهو أجود في التلبية.[4]

وقد كثر التبادل بين (أنَّ) و(إنَّ) في القراءات المتواترة، ومن الطبيعي أن يؤدي هذا التبادل إلى تعدد معاني القراءات التي قد تضيف معنى جديداً للآية، أو تزيد من تأكيد مضمونها؛ بسبب الاختلاف في معنى كل من (أنَّ) و(إنَّ)، وتأثير كل منهما في اتصال الجملتين المتجاورتين أو انفصالهما.

ومما ورد على التبادل بين الوصل والفصل معنوياً نتيجة تعاقب (إنَّ) و(أنَّ) على القراءات المتواترة المتنوعة قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [سورة المؤمنون/١١١] حيث قرأ جمهور القراء ﴿أَنَّهُمْ

---

(١) الابتداء: إما أن يكون حقيقياً، بأن تقع إن في أول الكلام لا يسبقها شيء كالآية الأولى، وإما أن يكون حكمياً، وذلك إذا وقعت في أول الجملة، وسبقها حرف لا يغير الابتداء، مثل: (ألا) الاستفتاحية، كالآية الثانية، و(أما)، وبعد (حتى) الابتدائية. انظر: أوضح المسالك، ٣٣٥/١.

(٢) كتاب سيبويه، ١١٩/٣–١٢٨، واللباب في علل البناء والإعراب، ٢٢٣/١–٢٢٤، وأوضح المسالك، ٣٣٣/١–٣٤٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب التلبية، رقم/١٤٧٤، ٥٦١/٢، وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب التلبية وصفتها، رقم/١١٨٤، ٨٤١/٢.

(٤) اللباب في علل البناء والإعراب، ٢٢٣/١–٢٢٥.

هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بفتح الهمزة، وقرأ الأخوان ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بكسر الهمزة.(١)

وجملة ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بفتح الهمزة، متصلة ومتعلقة بما قبلها معنىً وإعراباً، وفي إعراب (أنَّ) وما بعدها على هذه القراءة وجهان:(٢)

الأول: أن تكون في محل نصب مفعول ثانٍ للفعل (جَزَيْتُهُمُ) الذي يتعدى إلى مفعولين، والمعنى: إني جزيتُ المؤمنين بصبرهم الفوز بالجنة.(٣)

والثاني: أن تكون في محل جر بحرف تعليل محذوف، والمفعول الثاني محذوف، تقديره: جزيتهم رضواني أو الجنة. والمعنى: إني جزيتُ المؤمنين بصبرهم الجنة؛ لأنهم هم الفائزون.

والوجه الأول أجود في التفسير، وعليه أكثر المفسرين؛ لأن الفوز هو الجزاء، وليس بعلة للجزاء.(٤)

أما قراءة الأخوين فتجعل جملة ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ جملة مستقلة، و(إنَّ) للتأكيد فقط، والمفعول الثاني لـ (جَزَيْتُهُمُ) محذوف تقديره: الرضوان أو الجنة، والجملة على هذه القراءة تحتمل وجهين:

الأول: أن تكون الجملة ابتدائية، جُعل الكلام في الجملة السابقة تاماً ومتناهياً عند قوله: (بما صبروا)، ثم ابتدأ جملة جديدة تخبر عن حال المؤمنين يوم القيامة بقصد مدحهم، فقال: ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.(٥)

والثاني: أن تكون الجملة مستأنفة نحوياً،(٦) على وجه التعليل للجزاء، أي: قد فازوا حيث صبروا، فجوزوا بصبرهم أحسن الجزاء. وبذلك يكون الكسر مثل الفتح من حيث المعنى لا من حيث الإعراب؛ لاضطرار المفتوحة إلى عامل؛ لأن الاستئناف يعلل به أيضاً، وبذلك يتوافق معنى هذا الوجه من وجهي قراءة الكسر مع الوجه الثاني

---

(١) السبعة، ص ٤٤٨-٤٤٩، والتيسير، ص ١٠٧، والإقناع، ص ٤٣٣، والنشر، ٣٦٩/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٧٧.

(٢) معاني الفَرَّاء، ٢٤٣/٢، وجامع البيان، ٨١/١٩، وحجة الفارسي، ٣٠٦/٥، وحجة أبي زرعة، ص ٤٩٢، والكشف عن وجوه القراءات، ١٣٢/٢، والمحرر الوجيز، ١٥٨/٤، والموضِّح، ٩٠٢/٢، ومفاتيح الغيب، ١٠٩/٢٣، والتبيان في إعراب القرآن، ٩٦١/٢، والجامع لأحكام القرآن، ١٥٥/١٢، والبحر المحيط، ٣٩٠/٦، والدر المصون، ٣٧٢/٨، واللباب، ٢٦٦/١٤، وروح المعاني، ٦٩/١٨، وفتح القدير، ٧١٦/٣.

(٣) معالم التنزيل، ٤٣١/٥، والكشاف، ٢٠٨/٣، وأنوار التنزيل، ١٧٠/٤، والسراج المنير، ٦٥٧/٢، والبحر المديد، ٤٢/٥.

(٤) جامع البيان، ٨١/١٩، وحجة أبي زرعة، ص ٤٩٣.

(٥) جامع البيان، ٨١/١٩، وحجة ابن خالويه، ص ٢٥٩، وحجة أبي زرعة، ص ٤٩٣، والجامع لأحكام القرآن، ١٥٥/١٢.

(٦) حجة الفارسي، ٣٠٦/٥، والكشف عن وجوه القراءات، ١٣١/٢-١٣٢، ومعالم التنزيل، ٤٣١/٥، والمحرر الوجيز، ١٥٨/٤، والتبيان في إعراب القرآن، ٩٦١/٢، وأنوار التنزيل، ١٧٠/٤، والدر المصون، ٣٧٢/٨، واللباب، ٢٦٦/١٤، والبحر المديد، ٤٢/٥.

من وجهي قراءة الفتح.(١)

ويجوز أن يكون الاستئناف بيانياً، كأن السامع بعد أن سمع قوله: إني جزيتهم بصبرهم سأل: بماذا جازيتهم، فأجاب الله: "إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ".(٢)

فقراءة فتح الهمزة تجعل الجملة تابعة للفعل قبلها في الحكم والإعراب، وتكون حينئذ في موقع التعليل للفعل، أو معمولة له. أما قراءة كسر الهمزة فتجعل الجملة استئنافية، مما يرشح الجملة بعدها لإنشاء معنى جديد، لكنه مع ذلك متعلق بما قبله، لأنه يقع منه موقع التذييل الذي يؤكِّد مضمونه ويزيده تحقيقاً.(٣)

وبهذه الوجوه التي تم بهما تعليل كل قراءة من القراءتين يتبين أثر الاتصال والانفصال المعنوي في معنى الجملتين القرآنيتين، فالاتصال يعيِّن المفعول الثاني للفعل، والانفصال يعلل الجزاء على وجه الاستئناف، ويبتدئ بالإخبار عن فوز المؤمنين على سبيل المدح، ويجيب عن تساؤل من استشرفت نفسه لمعرفة الجزاء.

ولا أعتقد أن هناك نظماً يستطيع أن يؤدي كل هذه المعاني بحرف واحد كما يؤديها نظم القرآن، وهذا من أبرز الوجوه الدالة على بلاغة نظم القرآن، وإعجازه بإيجازه.

ومما ورد على التبادل بين الوصل والفصل معنوياً نتيجة تعاقب (إنَّ) و(أنَّ) على القراءات المتواترة المتنوعة قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [سورة الزخرف/٣٩] حيث قرأ جمهور القراء ﴿أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ بفتح الهمزة، وقرأ ابن عامر ﴿إِنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ بكسر الهمزة.(٤)

وجملة ﴿أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ بفتح الهمزة في قراءة الجمهور متصلة ومتعلقة بما قبلها معنىً وإعراباً، وفي تأويل وإعراب (أنَّ) وما بعدها وجهان:(٥)

الأول: أن يكون المصدر المؤوَّل (أَنَّكُمْ مُشْتَرِكُونَ) في محل رفع فاعل، والمعنى: لن ينفعكم يوم القيامة اشتراككم في العذاب، كما كان في الدنيا يُهوِّن عليكم المصيبة اشتراككم فيها؛ لأن ذلك العذاب شديد عظيم،

---

(١) الكشاف، ٢٠٨/٣، والمحرر الوجيز، ١٥٨/٤، والبحر المحيط، ٣٩٠/٦، والدر المصون، ٣٧٢/٨، واللباب، ٢٦٦/١٤، والبحر المديد، ٤٢/٥، وروح المعاني، ٦٩/١٨.

(٢) التحرير والتنوير، ١٠٥/١٨.

(٣) التوجيه البلاغي، ص ٣٧٩.

(٤) السبعة، ص ٥٨٦، ولم يذكر اختلاف القراءات في هذا الموضع من الزخرف في التيسير، والنشر، وتحبير التيسير.

(٥) حجة ابن خالويه، ٣٢٢–٣٢٣، والكشاف، ٢٥٦/٤، وأنوار التنزيل، ١٤٦/٥، والبحر المحيط، ١٨/٨، والدر المصون، ٥٩٠/٩، واللباب، ٢٦٧/١٧، وإرشاد العقل، ٤٨/٨، والبحر المديد، ١٦/٧، وروح المعاني، ٨٣/٢٥.

يجعل كل واحد يشتغل بحاله ويذهل عن حال الآخر، إذ لكل واحد منهم ما لا تسعه طاقته، ولأنه إذا اشترك الأقوام في العذاب في الدنيا، أعان كل واحد منهم صاحبه بما يقدر عليه، فيتعاونون في تحمُّل أعبائها، ويتقاسمون عناءها، فيحصل بسببه بعض التخفيف، وهذا المعنى متبدّد يوم القيامة، ولأن جلوس الإنسان مع قرينه ورؤيته لمصاب غيره يُفيده أنواعاً كثيرة من السلوة، أما مجالسة الشيطان في القيامة فلا توجب السلوة، ولا تخفف العقوبة.(١)

والثاني: أن يكون في محل جر بحرف تعليل محذوف، وفاعل (يَنْفَعَكُمُ) مضمر عائد على التمني أو التبري المذكورين بقولهم: ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ [سورة الزخرف/٣٨]. والمعنى: لن ينفعكم هذا التمني، أو هذا الاعتذار؛ لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وشياطينكم في العذاب، كما كنتم مشتركين في سببه: وهو الكفر.

وجملة ﴿إِنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ في قراءة ابن عامر استئنافية، أي: إنَّ هذه القراءة تجعل الكلام تاماً عند قوله: (إِذْ ظَلَمْتُمْ)، وتستأنف بـ(إِنَّكُمْ)، وحينئذٍ يستحسن الوقف على قوله: (إِذْ ظَلَمْتُمْ)، وفاعل (يَنْفَعَكُمُ) ضمير عائد على التمني المذكور في الآية السابقة. أي: لن ينفعكم تمنّيكم أو تبريكم.(٢)

والاستئناف في هذه القراءة استئنافٌ تعليلي تتوافق به معنى هذه القراءة مع معنى الوجه الثاني من وجهي قراءة الجمهور.(٣)

وهذه الوجوه التي ذكرت في توجيه القراءتين تبيّن أثر الاتصال والانفصال المعنوي في معنى الجملتين القرآنيتين، فالاتصال يعيّن الفاعل وعلة الجزاء، والانفصال يعلّل الجزاء على وجه الاستئناف، وتنوع القراءات هنا يدل على بلاغة نظم القرآن، وإعجازه بإيجازه.

ومما ورد على التبادل بين الوصل والفصل معنوياً نتيجة تعاقب (إنَّ) و(أنَّ) على القراءات المتواترة قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [سورة الدخان/٤٩] حيث قرأ الكسائي ﴿أَنَّكَ أَنْتَ﴾ بفتح الهمزة، وقرأ الباقون ﴿إِنَّكَ أَنْتَ﴾ بكسر الهمزة.(٤)

والمقصود بالعزيز والكريم في هذه الآية أبو جهل بن هشام، فقد دلت روايات أسباب النزول أن أبا جهل لما نزلت الآية: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۞ طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ [سورة الدخان/٤٣-٤٤] قال: "أيوعدني محمد، والله لأنا أعزّ من

---

(١) مفاتيح الغيب، ١٨٤/٢٧، والجامع لأحكام القرآن، ٩١/١٦، واللباب، ٢٦٧/١٧.

(٢) حجة ابن خالويه، ٣٢٢، والتحرير والتنوير، ٢٥٦/٢٥.

(٣) الكشاف، ٢٥٦/٤، وأنوار التنزيل، ١٤٦/٥، والبحر المحيط، ١٨/٨، والدر المصون، ٥٩٣/٩، وروح المعاني، ٨٤/٢٥.

(٤) السبعة، ص ٥٩٣، والتيسير، ص ١٢٧، والنشر، ٤١١/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٥٢.

مشى بين جبليها." فنزلت هذه الآيات. وروي أنه قال: "ما بين جبليها رجل أعزّ ولا أكرم مني." فأنزل الله قوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾.(١)

ومعنى قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ في قراءة الجمهور: الإخبار عن عكس مدلول الكلام على سبيل الاستهزاء والتهكم بأسلوب التأكيد؛ لتقرير المعنى التهكمي الذي يزيد في غيظ الْمُسْتَهْزَأ بِهِ. والجملة على هذه القراءة ابتدائية، على جهة الحكاية، للإخبار عما قاله على سبيل التهكم، والمراد: إنك أنت الذليل المهان.(٢)

ويحتمل أن تكون الجملة استئنافية للتعليل، وبذلك يتحد معنى هذه القراءة مع أحد وجهي قراءة الكسائي.(٣)

ويستحسن لمن قرأ بكسر همزة (إنَّ) الوقف على قوله: ﴿ذُقْ﴾، والابتداء بقوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ﴾.(٤)

ووجه قراءة الكسائي ﴿أَنَّكَ أَنْتَ﴾ بفتح الهمزة: أن الكلام على تقدير لام تعليل محذوفة، والمعنى: ذق لأنك أنت العزيز في قومك، الكريم عند نفسك وفي دعواك، فأما عندنا فلست عزيزاً ولا كريماً.(٥)

ويحتمل أن يكون المصدر المؤول من (أنَّ) وما بعدها في محل نصب. أي: ذق عذاب هذا القول الذي قلته في الدنيا، أو ذق عذاب أنك أنت العزيز عند نفسك.(٦)

وقد ذهب الطبري إلى ردِّ قراءة الكسائي ونسبة الخطأ إليها؛ لمخالفتها التأويل الأولى لديه، فقال: "والصواب من القراءة في ذلك عندنا كسر الألف من (إنَّكَ)، على المعنى الذي ذكرت لقارئه؛ لإجماع الحجة من القرّاء عليه، وشذوذ ما خالفه، وكفى دليلاً على خطأ قراءة خلافها: ما مضت عليه الأئمة من المتقدمين

---

(١) جامع البيان، ٢٢/٤٨–٤٩.

(٢) معاني الفَرَّاء، ٣/٤٣–٤٤، وجامع البيان، ٢٢/٤٩، وحجة الفارسي، ٦/١٦٧، وحجة أبي زرعة، ص ٦٥٧، والكشف عن وجوه القراءات، ٢/٢٦٥، ومعالم التنزيل، ٧/٢٣٦، والكشاف، ٤/٢٨٥، والمحرر الوجيز، ٥/٧٧، ومفاتيح الغيب، ٢٧/٢١٦، وأنوار التنزيل، ٥/١٦٤، والبحر المحيط، ٨/٤٠، وإرشاد العقل، ٨/٦٥، والبحر المديد، ٧/٥٥، وفتح القدير، ٤/٨٢٢، وروح المعاني، ٢٥/١٣٤، والتحرير والتنوير، ٢٥/٣٣٩، والتفسير المنير، ٢٥/٢٣٣.

(٣) المحرر الوجيز، ٥/٧٧، والموضِّح، ٣/١١٦٤، والدر المصون، ٩/٦٢٩، واللباب، ١٧/٣٣٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ١٦/١٥١.

(٥) معاني النحَّاس، ٦/٤١٤، وحجة أبي زرعة، ص ٦٥٧، والكشف عن وجوه القراءات، ٢/٢٦٥، ومعالم التنزيل، ٧/٢٣٦، والكشاف، ٤/٢٨٥، والموضِّح، ٣/١١٦٤، ومفاتيح الغيب، ٢٧/٢١٦، والجامع لأحكام القرآن، ١٦/١٥١، وأنوار التنزيل، ٥/١٦٥، والدر المصون، ٩/٦٢٩، وإرشاد العقل، ٨/٦٥، والبحر المديد، ٧/٥٥، وفتح القدير، ٤/٨٢٢، وروح المعاني، ٢٥/١٣٤، والتفسير المنير، ٢٥/٢٣٣.

(٦) معاني الفَرَّاء، ٣/٤٣، وجامع البيان، ٢٢/٤٩، وحجة الفارسي، ٦/١٦٧، والكشف عن وجوه القراءات، ٢/٢٦٥، والتبيان في إعراب القرآن، ٢/١١٤٨، والجامع لأحكام القرآن، ١٦/١٥١، وأنوار التنزيل، ٥/١٦٥، والدر المصون، ٩/٦٢٩، وإرشاد العقل، ٨/٦٥.

والمتأخرين، مع بُعدها من الصحة في المعنى، وفراقها تأويل أهل التأويل."[1]

وهذه الطريقة التي كان ينتهجها الطبري أحياناً لا تليق بجلالة مقامه، وعلمه بكتاب الله وكلامه وقراءات آياته؛ لأن جميع القراءات المتواترة – ومنها قراءة الكسائي – ثابتة مجمع عليها، ولا يحق للطبري ولا لغيره ردَّ الثابت والمتواتر لخلافه التأويل الأولى لديه، وجمهور المفسرين يلتمسون لقراءة الفتح تأويلات مقبولة تتناسب مع أسباب النزول، وتأويلات قراءة الكسر.

وقد كان الأولى بالطبري في هذا المقام أن يشير إلى بلاغة القراءتين، وكونهما جميعاً صواباً، ويستدل بهما على إعجاز القرآن الكريم بقراءاته التي تحمل كل هذه المعاني نتيجة تعدد قراءات الحرف الواحد، ومن ثم يستدل بذلك على بلاغة الإيجاز في نظم القرآن.

وقبل أن أختم هذه الفقرة أستحسن بيان سبب ذلك المسلك الذي ارتضاه جمعٌ من المفسرين وهو حمل الاستئناف في قراءات (إنَّ) المكسورة الهمزة في الأمثلة الثلاثة الآنفة على معنى التعليل.

فأعتقد – والله أعلم – أن الذي جعل بعض المفسرين يتجهون إلى حمل الاستئناف على معنى التعليل هو رغبتهم في تجاوز المستوى النحوي إلى استشراف الدواعي البلاغية لاستئناف الكلام، وملاحظة جهات الربط بين ما قبله وما بعده، فإن الاستئناف النحوي وإن كان يدل على معنى جديد في الظاهر؛ فإنه لا يخلو من ارتباطٍ بين مضمون ما قبله وما بعده، أو بين دلالة الاستئناف والأغراض والمعاني الثانوية للكلام قبله، وهذا هو معنى التفسير، والتماس وجوه البلاغة وأسرار ترتيب الكلام، وتجاور الآيات القرآنية في نظمها.[2]

وحاصل الأمر: أن قراءات فتح الهمزة تقوي الاتصال المعنوي بين الجمل، وقراءات كسرها تنبِّه الأذهان على معانٍ جديدة يمكن بها تفسير الابتداء والاستئناف، وهذا يعد من بلاغة الإيجاز في نظم القرآن.

وهكذا يتبين كيف أثار تنوع القراءات بين مختلف الأحوال الإسنادية والتركيبية للجمل القرآنية (خبراً وإنشاءً، فصلاً ووصلاً) وجوهاً من البلاغة أسفرت عما في النظم الكريم من مزايا بلاغية، وقيم معنوية متعددة.

والفصل الآتي سيتناول بالدراسة الأحوال التي تعرض للمسند والمسند إليه، ومدخل القراءات فيها، وأثر القراءات المتبادلة بين الأحوال المختلفة في بلاغة نظم الآية المُختلَف في قراءتها.

---

(١) جامع البيان، ٢٢/٥٠.

(٢) التوجيه البلاغي، ص ٣٧٩–٣٨٠.

الفصل الثاني: تعدد أحوال المسند والمسند إليه وعناصر الجملة، وأثره في بلاغة نظم القرآن.

المبحث الأول: تبادل القراءات بين الحذف والذكر، وأثره في بلاغة النظم.

المبحث الثاني: التبادل بين التنكير والتعريف، أو التقديم والتأخير، وأثره في بلاغة النظم.

تتشعب المسائل التي تنبثق عن التوجيه البلاغي للقراءات المتنوعة أكثر ما تتشعب في مباحث وأبواب علم المعاني الذي يهتم بدراسة أحوال الإسناد الخبري، وأحوال المسند والمسند إليه،(١) وأساليب الخبر والإنشاء، وصور الخروج عن مقتضى الظاهر، والقصر والإيجاز والإطناب وغيرها.

غير أن علم المعاني وإن كان يعنى بدراسة جميع هذه الأبواب وما يتفرع عنها من مباحث ومسائل، إلا أنه يصرف أكبر همِّه، ويخصص أكثر مباحثه وأبوابه للحديث عن أحوال المسند والمسند إليه، وأحوال متعلقات الفعل، والدواعي البلاغية لكل حال من الأحوال؛ لأن هذه المسائل تتعلق بطريقة تأليف وتركيب الجملة التي عليها الاعتماد في تمييز وكشف بلاغة النظم.

وأهم الأحوال التي تعرض للمسند إليه هي: الذكر أو الحذف، التعريف أو التنكير، التقديم أو التأخير، الوصف، التأكيد، بيانه أو الإبدال منه، العطف عليه، وتعقيبه بضمير فصل.

وأهم الأحوال التي تعرض للمسند هي: الحذف أو الذكر، الإفراد أو الجملية، التعريف أو التنكير، التقديم أو التأخير، الاسمية أو الفعلية، والتخصيص أو عدمه.(٢)

وأما أحوال متعلقات الفعل، فهي ما يعرض للفعل من تقييده بالفاعل أو المفعول أو الحال أو السبب وغيره، وما يعرض لمتعلقاته من تقديم أو تأخير لأغراض بلاغية، كتقديم المفعول على الفاعل، والمفعول الثاني على الأول.(٣)

وقد بيَّن الاستقراء أن تنوع القراءات عموماً يتعلق أكثر ما يتعلق بمباحث ومسائل هذه الأبواب؛ لأن تعدد القراءات في الأفعال جرى اختلافها أكثر ما جرى بين البناء للمعلوم والبناء للمجهول. وتعدد إعراب الأسماء المختلَف في قراءتها ترتَّب – غالباً – على تعدد أحوال الأفعال التي عملت فيها بين البناء للمعلوم والبناء للمجهول مما حول المفاعيل عن النصب ليجعلها ترتفع وتقوم بدور النيابة عن الفاعل. وهذه الأحوال المختلفة

(١) المسند والمسند إليه: هما ما لا يستغني كل واحد منهما عن الآخر، ولا يَجد المتكلّمُ منهما بداً. انظر: كتاب سيبويه، ١/٢٣–٢٤. والإسنادُ هو الحكمُ بشيءٍ على شيء، كالحكم على زُهير بالاجتهاد في قولك: "زُهيرٌ مجتهد". ويُسمى المحكومُ به (مُسنَداً). ويُسمى المحكومُ عليه: (مُسنَداً إليهِ). فالمسنَدُ: ما حكمتَ به على شيءٍ، وهو الفعلُ، واسمُ الفعل، وخبرُ المبتدأ، وخبرُ الفعل الناقص، وخبرُ الأحرف التي تعملُ عملَ (ليس) وخبرُ (إن) واخواتها. والمسندُ إليه: ما حكمت عليه بشيءٍ، وهو الفاعلُ، ونائبُهُ، والمبتدأ، واسم الفعلِ الناقص، واسمُ الأحرف التي تعملُ عملَ (ليس)، واسمُ (إن) وأخواتها، واسم (لا) النافية للجنس. انظر: توضيح المقاصد، ١/٢٨٦، وموجز البلاغة، ص ١٠.

(٢) راجع: الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٣٧–١٠١، وخصائص التراكيب، ص ١١٤–٢٨١.

(٣) راجع: الإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٠٣–١١٧، وخصائص التراكيب، ص ٢٨٢–٣٣٧.

للأفعال والأسماء يدرسها علم المعاني في أثناء دراسته للأغراض البلاغية لحالات الحذف والذكر، وتقييد الفعل بمتعلقاته ضمن أبواب أحوال المسند والمسند إليه، وأحوال متعلقات الفعل.

وكذلك بين الاستقراء أن تنوع القراءات شمل في بعض الأحيان التبادل بين حالتي التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والاسمية والفعلية، والوصف والإبدال والبيان أو تركه، وهذه الحالات يخصص علم المعاني بعض مباحثه لدراستها ضمن الأبواب التي سبق ذكرها.

وبناء على ذلك يمكن التأكيد على أن التوجيه البلاغي للقراءات المتواترة وغيرها يلابس ملابسة شديدة هذه الأبواب التي يعنى علم المعاني بدراستها، ودراسة ما يترتب على اختلافها وتنوعها من أغراض بلاغية.

ولا شك أن دراسة جميع القراءات التي تندرج تحت هذه الأبواب باستقصاء شامل مما تفنى فيه الأعمار ويستحق أن تخصص له الأبحاث والأسفار؛ لذا فإن هذا الفصل سيدرس - على سبيل التمثيل لا الحصر — بعض القراءات المتبادلة بين تلك الأحوال المتعددة للمسند والمسند إليه التي لم يتقدم دراستُها في فصول سابقة؛[1] ليستخلص أثر هذا التنوع في بلاغة نظم القرآن.

(١) تقدمت دراسة أحوال التبادل بين الاسمية والفعلية، والوصف والبيان والإبدال من المسند إليه وتركه، والعطف على المسند إليه وترك العطف في فصول سابقة؛ لذا لن أكرر الحديث عنها في هذا الفصل؛ لأن دراستها المفصلة في تلك المواضع تغني عن الإعادة هنا، ولأن تبادل القراءات بين كل حال من الأحوال الآنفة الذكر يشتمل على وجوه بلاغية تستحق أن تفرد بالذكر في غير هذا الفصل، لذا فإن هذا الفصل سيختص بدراسة الأحوال الآتية: التبادل بين الذكر والحذف، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والتعقيب بضمير الفصل وعدمه، أما الأحوال الأخرى ككون المسند مفرداً أو جملة، وكونه مخصصاً أو لا، فلم أرَ أن تنوع القراءات قد شملها.

المبحث الأول: تبادل القراءات بين الحذف والذكر، وأثره في بلاغة نظم القرآن.

المطلب الأول: تبادل القراءات بين حذف الفاعل وإضماره، وأثره في بلاغة النظم.

المطلب الثاني: تبادل القراءات بين حذف المفعول وذكره، وأثره في بلاغة النظم.

المطلب الثالث: حذف عناصر الجملة الأخرى في بعض القراءات، وأثره في بلاغة النظم.

الحذف والذكر من الأحوال المشتركة التي تعرض لكل من المسند والمسند إليه، والاستقراء يبيّن أن تبادل القراءات بين هذين الحالين يجري في المسند إليه أكثر من جريانه في المسند؛ لأن أكثر التبادل جارٍ على ذكر الفاعل في جملة البناء للمعلوم، وحذفه في جملة البناء للمجهول.

وحذف الفاعل أو المفعول أو ذكرهما لا يجري في الجملة البليغة اعتباطاً ولغير قصد، بل إن كلاً من الحذف والذكر له دواعٍ وأغراض بلاغية تدعو إليه.

فأما ذكر المسند إليه فلأن الأصل أن يذكر إذا لم يكن هناك مقتض للحذف، أو للاحتياط؛ لضعف الاعتماد على القرينة، أو لزيادة الإيضاح والتقرير، كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة البقرة/٥، سورة لقمان/٥]، أو لإظهار تعظيمه؛ لكون اسمه مما يدل على التعظيم، نحو: أمير المؤمنين حاضر، أو لإهانته، لكون اسمه مما يدل على الإهانة، نحو: السارق اللئيم حاضر، أو للتبرك بذكره، كقولك: النبي ﷺ قائل هذا القول.(١)

وبهذه الدواعي والأسباب ذاتها يمكن التعليل للحالات التي يذكر فيها المسند في الجملة، ويمكن أن يضاف إلى هذه الأسباب أسبابٌ أخرى تدعو لذكر المسند، منها: ذكره ليتعين كونه اسماً فيستفاد منه الثبوت، أو كونه فعلاً فيستفاد منه التجدد، أو كونه ظرفاً فيورث احتمال الثبوت والتجدد.(٢)

وأما حذف المسند إليه: فإما لمجرد الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر، كقولك: "زيدٌ أتى ثمَّ ذهبَ" ولم تقلْ: (زيدٌ ذهبَ). وإما لذلك مع ضيق المقام، كقول الشاعر: " قال لي: كيف أنت؟ قلت: عليل"، ولم يقل: (أنا عليلٌ)؛ تضجّراً منْ علّتهِ. وإما للإشارة إلى أن في تركه تعويلاً على شهادة العقل، وأن في ذكره تعويلاً على شهادة اللفظ، كقوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [سورة البقرة/١٨]، فإن المسند إليه مفهوم من السياق، وقد تقدَّم ذكره، وإما لرعاية السَّجْعِ، أو القافية، أو أواخر الآيات، محافظةً على الجمال الفنّي في اللّفظ ونَسَقِ الجُمَل، كقولك: منْ طابَتْ سريرتُهُ، حُمِدَتْ سيرتُهُ، وإما لاعتبار آخر مناسب يهدي إلى مثله العقل السليم والطبع

---

(١) مفتاح العلوم، ص ٣٦٤–٣٦٥، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٣٨، ومختصر المعاني، ص ٤٩، وخصائص التراكيب، ص ١٤٢–١٥٣.
(٢) مفتاح العلوم، ص ٤٠٦، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٨٦، وخصائص التراكيب، ص ٢٥٤–٢٦١، والبلاغة العربية، ١/٣١٤–٣٢٨.

المستقيم، فإن أحوال حذف المسند إليه، ومقاماته الداعية إلى ذلك ليس من الممكن أبدًا أن تستقصى؛ لأن الدواعي أحوال تنبعث في دواخل النفوس.(١)

وبهذه الدواعي والأسباب ذاتها يمكن التعليل للأحوال التي يحذف فيها المسند من الجملة.(٢)

أما الدواعي والأغراض البلاغية التي تدعو لحذف الفاعل أو المفعول خصوصاً فقد درسها البلاغيون في باب مستقل، هو: أحوال متعلقات الفعل، والأحوال التي يدرسها هذا الباب هي أحوال متعلقات المسند إذا كان فعلاً، وقد جعلها البلاغيون بابا مستقلاً، رغم أنها فرع من فروع أحوال المسند؛ لكثرة مباحثها.(٣)

وأهم هذه الأحوال التي تعرض للفعل: تقييده بالفاعل والمفعول وغيرهما من المتعلقات أو حذفها.

وأهم الأغراض البلاغية التي تدعو لتقييد الفعل بمتعلقاته: تربية الفائدة وتكثيرها، فقولك: ضربتُ، ليس كقولك: ضربتُ زيداً، وهما ليسا كقولك: ضربت زيداً يوم الجمعة؛ لأنك كلما قيدت الفعل بقيد جديد فقدت أفدت فائدة جديدة. ففي المثال الأول: أفدت وقوع الضرب منك فقط، وفي الثاني: أفدت وقوعه منك على زيد، وفي الثالث: أفدت وقوعه منك على زيد يوم الجمعة، فكل مثال أكثر فائدة مما قبله باعتبار ما قد أضيف إليه، وعندما يتم تقييد الفعل بالفاعل والمفعول أو الظرف فالقصد من ذلك زيادة البيان؛ لأنك لو أردت الإخبار عن مجرد وقوع ضرب، لقلت: وَقَعَ أو وُجِد ضربٌ.(٤)

وأهم الأغراض البلاغية التي تدعو لحذف مفعول الفعل المتعدي: الإيجاز والاختصار لدلالة المقام عليه، وإثبات المعنى في نفسه للفاعل أو نفيه عنه، فيكون المتعدي حينئذ بمنزلة اللازم؛ فلا يذكر له مفعول؛ لئلا يتوهم السامع أن الغرض الإخبار به باعتبار تعلقه بالمفعول، ولا يُقدَّر أيضاً؛ لأن المقدَّر في حكم المذكور في أن السامع يفهم منه أن الغرض الإخبار بوقوع الفعل من الفاعل باعتبار تعلُّقه بمن وقع عليه. فمثلاً: المراد بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الزمر/٩] بيان أنه لا يستوى من يوجد له حقيقة العلم ومن لا يوجد، فالغرض إثبات العلم لهم، ونفيه عنهم من غير اعتبار المفعول الذي وقع عليه العلم.(٥)

---

(١) مفتاح العلوم، ص ٣٦١–٣٦٢، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٣٧، ومختصر المعاني، ص ٤٨–٤٩، وخصائص التراكيب، ص ١٢٢–١٤٠.

(٢) مفتاح العلوم، ص ٤٠٤–٤٠٦، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٨١، والبلاغة العربية، ١/٣٣٦–٣٤٨.

(٣) خصائص التراكيب، ص ٢٨٢.

(٤) دلائل الإعجاز، ص ١٢٧، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٠٣، ومختصر المعاني، ص ١٠٦، وخصائص التراكيب، ص ٢٨٣.

(٥) الإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٠٣، ومختصر المعاني، ص ١٠٦–١٠٧.

وهذه الأغراض المذكورة هي الأغراض البلاغية الرئيسة لتقييد الفعل بمتعلقاته، أو لذكر الفاعل والمفعول، وغيرهما. وقد تلحق بهذه الأغراض أغراض أخرى ثانوية، كتعظيم الفاعل بذكره، أو تعظيم المفعول به، أو صرف العناية للمذكور منهما دون المحذوف، أو لغير ذلك.(١)

وهذا المبحث سيتناول بالتمثيل بعض الآيات القرآنية التي اختُلِف في قراءتها بين إثبات الفاعل أو المفعول أو غيرهما من المتعلقات، وسيدرس الأغراض البلاغية للذكر والحذف في كل مثال من الأمثلة، ليبين أثر تبادل القراءات بين هذين الحالين في بلاغة نظم القرآن.

(١) راجع: دلائل الإعجاز، ص ١٣١–١٣٦.

المطلب الأول: تبادل القراءات بين حذف الفاعل وإضماره، وأثره في بلاغة النظم.

الأصل في الفاعل أن يكون مذكوراً، غير أن بعض الدواعي البلاغية قد تدعو لحذف الفاعل، كحذفه من الجملة الفعلية التي بني فعلها للمفعول، أما الفاعل المضمر في بعض الجمل التي بني فعلها للفاعل فهو كالمذكور.

ولا يمكن القول بأن ذكر الفاعل أو إضماره أبلغ من حذفه؛ لأن للحذف أغراضه التي لا يغني الذكر غناءه فيها، وللذكر أغراضه التي لا يغني الحذف غناءه فيها، ولأن البلاغة هي مراعاة المقامات والأحوال، فالذكر في موطنه بليغ مطابق، وهو أبلغ في بعض الأحيان من الحذف، والحذف في موطنه بليغ مطابق، وهو أبلغ في أحيان أخرى من الذكر، وهذه الأمور معروفة في أبواب البلاغة، وقد أكثر البلاغيون من التمثيل لها.(١)

غير أن تبادل القراءات المتواترة بين الحالين هو الأمر الذي يستدعي الدراسة والتفكُّر والتدبُّر؛ لأنه لا بد أن يكون لكل من الحذف والذكر وجهٌ بلاغيٌ يدعو إليه، وهذا المطلب سيتناول بعضاً من هذه الأمثلة بالدراسة؛ ليكشف عن الأغراض البلاغية لكل من الحذف والذكر، ويستخلص أثر هذا التبادل في نظم القرآن.

فعلى سبيل المثال: ورد العديد من الأفعال في كثير من الآيات القرآنية على التبادل بين البناء للفاعل والبناء للمفعول، أي: على التبادل بين حالتي حذف الفاعل في قراءات البناء للمجهول، وإضماره في قراءات البناء للمعلوم، ومن تلك الأمثلة: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة البقرة/٥٨]، وقوله: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الأعراف/١٦١]، حيث اختلف القراء في قراء الفعل ﴿نَغْفِرْ﴾ بين النون والياء والتاء، والبناء للمعلوم والمجهول.(٢)

فأما قراءة ﴿نَغْفِرْ﴾ بالنون وبناء الفعل للمعلوم، فتسند الفعل إلى فاعل مضمر معلوم من المقام وهو الله ﷻ، وهي تجري في سورة البقرة على نظام ما قبله من قوله: (وَإِذْ قُلْنَا)، وما بعده من قوله: (وَسَنَزِيدُ)، أي: إنَّ

---

(١) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، ١/٢٣–٢٤، وخصائص التراكيب، ص ١٤١.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم والأخوان وخلف ﴿نَغْفِرْ﴾ بالنون وبناء الفعل للمعلوم في السورتين، وقرأ ابن عامر ﴿تُغْفَرْ لكم﴾ بالتاء وبناء الفعل للمجهول في الموضعين، وقرأ المدنيَّان ﴿يُغْفَرْ لكم﴾ بالياء والبناء للمجهول في سورة البقرة، وبالتاء والبناء للمفعول في سورة الأعراف كابن عامر. أما يعقوب فإنه يوافق الجمهور في سورة البقرة ويوافق نافع في سورة الأعراف. انظر: السبعة، ص ١٥٧، ٢٩٥–٢٩٦، والتيسير، ص ٦٠، ٨٣، والنشر، ٢/٢٤٥، وتحبير التيسير، ص ٢٨٧، ٣٧٩.

هذه القراءة تجعل الكلام كله بأسلوب واحد وهو بناء الأفعال للمعلوم، وتصرِّح بالفاعل، وهو الله ﷻ المدلول عليه بـ(نا) الدالة على التعظيم، ونون العظمة.(١)

والقراءة (يَغْفِرْ) تبني الفعل للفاعل وهو الله تعالى، وهي في معنى القراءةِ الأولى، إلا أنَّ فيها التفاتاً.(٢)

وأما قراءة ﴿تُغْفَرْ﴾ ببناء الفعل للمجهول فتعرض عن ذكر الفاعل وتقيم المفعول (خَطَايَاكُمْ، خَطِيئَاتُكُمْ) مقامه، والفاعل في هذه القراءة محذوف وليس مضمراً، وإنما حُذف لعدم الحاجة إلى ذكره؛ لأنه معلوم من المقام ومقتضى الحال؛ إذ إنَّ غفران الذنوب أمرٌ يختص به الله ﷻ، ولا يملكه غيره.(٣)

وهذه القراءة تتناسب مع صيغة الفعل (وَإِذْ قِيلَ) في سورة الأعراف المتفق على قراءته بالبناء للمجهول، والمشابهة بين قراءة الجمهور وأول آية البقرة، وقراءة غيرهم وأول آية الأعراف من باب التفنن في رواية القصة بأساليب وطرق متعددة.(٤)

والقراءتان متساويتان في الدلالة على وقوع الحدث وهو المغفرة، والفاعل وهو الله؛ لأن الخطيئة إذا غفرها الله ﷻ فقد غُفرَت، وإذا غُفِرَت فإنما يغفرها الله،(٥) غير أن هناك نكتاً وأغراضاً بلاغية وراء إضمار الفاعل في قراءة الجمهور وحذفه في القراءة الأخرى سوى ما ذكر من المشابهة أو العلم به من المقام، وهي: أن المقام في الآيتين مقام امتنان وتعداد لما أنعم الله ﷻ به على بني إسرائيل،(٦) وهذا المقام يناسبه ذكر الفاعل؛ لأن التصريح بذكر الفاعل وهو الله ﷻ يجعل الكلام أعظم في المنة وأبلغ في بيان التفضُّل. ولا يخفى أن المضمر هنا في حكم المظهر.

وأما نكتة الحذف وغرضه البلاغي في قراءتي البناء للمجهول فهي أن حذف الفاعل من الجملة يجعل عناية السامع تنصرف إلى الحدَث وهو الغفران بغضِّ النظر عن فاعله المعلوم من المقام. وصرف العناية إلى المذكور وهو الفعل، دون المحذوف وهو الفاعل يظهر أن نعمة غفران الذنوب من أعظم النعم التي يُكرَم بها الإنسان.

وما ذكرته في توجيه هاتين القراءتين يتوافق مع ما قاله الشيخ ابن عاشور في مقام مشابه لهذا المقام، حيث قال في أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى

---

(١) حجة الفارسي، ٨٥/٢، وحجة أبي زرعة، ص ٩٨، والكشف عن وجوه القراءات، ٢٤٣/١، والبحر المحيط، ٣٨٥/١، والدر المصون، ٣٧٥/١، وروح المعاني، ٢٦٦/١.

(٢) الدر المصون، ٣٧٦/١.

(٣) حجة الفارسي، ٨٥/٢، والكشف عن وجوه القراءات، ٢٤٣/١.

(٤) التحرير والتنوير، ٣٢٦/٨.

(٥) حجة أبي زرعة، ص ٩٨، وغرائب القرآن، ٢٩٤/١.

(٦) مفاتيح الغيب، ٨٤/٣، والتحرير والتنوير، ٣٢٦/٨.

صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سورة إبراهيم/١]: "ذكر فيها فاعل الإنزال، وهو معلوم من مادة الإنزال المشعرة بأنه وارد من قبل العالم العلوي، ...؛ لأن المقام مقام الامتنان على الناس المستفاد من التعليل بقوله: (لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)، ومن ذكر صفة الربوبية بقوله: (بِإِذْنِ رَبِّهِمْ)، بخلاف آية سورة الأعراف فإنها في مقام الطمأنة والتصبير للنبي ﷺ المنزل إليه الكتاب، فكان التعرُّض لذكر المنزَل إليه والاقتصار عليه أهم في ذلك المقام، مع ما فيه من قضاء حق الإيجاز."(١)

وبهذه الأغراض البلاغية التي تم التماسها لكل قراءة تتضح بلاغة القراءتين، وبلاغة الإيجاز في القرآن الكريم الذي يقيم القراءتين مقام آيتين، فيعبِّر بإحداهما عن منَّة الله ﷻ على عباده بوضع الذنوب وتبعاتها عنهم، وتوليه لأمورهم، ويظهر في الأخرى عظم نعمة المغفرة التي تريح الإنسان من همِّ الذنوب وأعبائها التي تثقل كاهله.

ويمكن حمل تعدد القراءات على تعدد أحوال المذنبين وأحوال خطاياهم، وقربهم أو بعدهم من ربهم، وفي ذلك يقول البقاعي: "ففي قراءة ﴿نَغْفِرْ﴾ تَوَلٍّ من الحق، ومَنْ هو من حزبه من الملائكة والرسل، وفي قراءة ﴿تُغْفَرْ﴾ إبلاغ أمر خطاياهم بما يُفهمه التأنيث من نزول القدر، وفي قراءة الياء توسط بين طرفي ما يفهمه علو قراءة النون ونزول قراءة التاء، ففي ذلك بجملته إشعار بأن خطاياهم كانت في كل رتبة مما يرجع إلى عبادة ربهم وأحوال أنفسهم، ومعاملتهم مع غيرهم من أنبيائهم وأمثالهم، حتى جَمَعَت خطاياهم جميع جهات الخطايا الثلاث، فكأنهم ثلاثة أصناف: صنف بدَّلوا، وصنف اقتصدوا، وصنف أحسنوا، فيزيدهم الله ما لا يسعه القول و﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [سورة الرحمن/٦٠]."(٢)

ومما ورد على التبادل بين حالي حذف الفاعل وإضماره في القراءات المتواترة قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [سورة الأنعام/١٥-١٦]، حيث قرأ الأخوان وأبو بكر عن عاصم ويعقوب وخلف ﴿مَنْ يَصْرِفْ﴾ ببناء الفعل للمعلوم، وقرأ الباقون ﴿مَنْ يُصْرَفْ﴾ ببناء الفعل للمجهول.(٣)

---

(١) التحرير والتنوير، ١٢/٢١٥.

(٢) نظم الدرر، ١/١٤٢، نقلاً عن الحرالي.

(٣) السبعة، ص ٢٥٤، والتيسير، ص ٧٦، والنشر، ٢/٢٩٠، وتحبير التيسير، ص ٣٥٣.

فأما قراءة حمزة ومن معه ﴿مَنْ يَصْرِفْ﴾ فعلى البناء لفاعل مضمر، عائد على (رَبِّي) المذكور آنفاً. ويؤيد هذه القراءة قراءة أبيّ رضي الله عنه: (مَنْ يَصْرِف اللَّهُ عَنْهُ)، بالتصريح بالفاعل.(١) والمعنى: أي شخص يدفع الله عنه العذاب يوم القيامة فقد رحمه.(٢)

وهذه القراءة تتناسب مع قوله: (فَقَدْ رَحِمَهُ)؛ إذ لما كان هذا فعلاً مسنداً إلى ضمير اسم الله سبحانه وتعالى ، ناسبه أن يكون الأمر في (يَصْرِف) على هذا الوجه؛ ليتفق الفعلان ويكون صرفُ العذاب مسنداً إلى الله سبحانه وتعالى، وتكون الرحمة بعد ذلك مسندة إليه سبحانه وتعالى أيضاً.(٣)

وأما القراءة الأخرى ﴿مَنْ يُصْرَفْ﴾ فتبني الفعل للمفعول، وتحذف الفاعل لدلالة المقام والقراءة الأخرى عليه، وللإيجاز؛ إذ قد تقدّم ذكر الرّب.(٤)

والضمير المجرور بـ (عن) في هذه القراءة عائد إلى العذاب، أي: من يُصرَف هو عن العذاب، أو عائد إلى (من)، والمعنى: أي شخص يُصرَف العذاب عنه.(٥) وإنما حسن ذلك؛ لأنه سبحانه وتعالى لما أضاف العذاب إلى اليوم في قوله: (عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)، أضاف الصرف إليه أيضاً، فقال: من يُصرَف عنه عذاب ذلك اليوم.(٦)

ومما يحسّن القراءتين –سوى ما تقدَّم من مشابهة ومناسبة النظم والسياق السابق واللاحق– أن في إضمار الفاعل في قراءة الأخوين وحذفه من القراءة الأخرى نكتاً وأغراضاً بلاغية تتناسب مع السياق العام للآيات، فأما حذف الفاعل في قراءة البناء للمجهول فلصرف العناية إلى المذكور دون المحذوف، أي: لصبِّ الاهتمام والتركيز على صرف العذاب، ومجرد الحدث وليس إلى أي شيء آخر؛ لأن صرف العذاب يوم القيامة عن الإنسان نعمة ومنَّة عظيمة بغضِّ النظر عن المنعم.

---

(١) حجة الفارسي، ٢٨٥/٣–٢٨٦، والكشف عن وجوه القراءات، ٤٢٥/١، والكشاف، ١٢/٢، والمحرر الوجيز، ٢٧٤/٢، والبحر المحيط، ٩١/٤، والدر المصون، ٥٥٩/٤، واللباب، ٥٧/٨–٥٨، وإرشاد العقل، ١١٧/٣، وروح المعاني، ١١٢/٧.

(٢) جامع البيان، ٢٨٦/١١، والكشف عن وجوه القراءات، ٤٢٥/١، والكشاف، ١٢/٢، والبحر المحيط، ٩١/٤، وروح المعاني، ١١٢/٧.

(٣) جامع البيان، ٢٨٦/١١، وحجة الفارسي، ٢٨٦/٣–٢٨٧، وحجة أبي زرعة، ص ٢٤٣، ومفاتيح الغيب، ١٤١/١٢.

(٤) البحر المحيط، ٩١/٤.

(٥) جامع البيان، ٢٨٦/١١، والبحر المحيط، ٩١/٤، والتحرير والتنوير، ٤١/٦.

(٦) مفاتيح الغيب، ١٤١/١٢.

وأما قراءة الأخوين بإضمار الفاعل فتصرف العناية والاهتمام إلى الفاعل، وهذا أبلغ في الامتنان وبيان الإنعام؛ لأن المقام مقام تفضل، والتصريح بأن المتفضِّل هو الله ﷻ أبلغ في هذا المقام؛ لأن إنعامه على الخلق ليس كإنعام غيره، بل هو إنعام مشمول بالعناية والتلطُّف؛ كونه ربهم وخالقهم.

ومما دل على أن المقام للتفضل والامتنان قوله تعالى: ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾، فكل من صُرِف عنه العذاب في ذلك اليوم فبرحمة الله ﷻ، وليس لأن الإيمان والطاعة يوجبان هذا الانصراف، إذ لو كان الأمر كذلك لم يحسن أن يقال: إنه رحمه، فكل عقاب انصرف، وكل ثواب حصل فهو ابتداء فضل وإحسان من الله ﷻ.[(١)]

ومما يؤيد هذا المعنى قول النبي ﷺ: " لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ، قَالَ رَجُلٌ: وَلاَ إِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "وَلاَ إِيَّايَ إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَلَكِنْ سَدِّدُوا."[(٢)]

فكل قراءة من القراءتين تتشابه وتتناسب مع نظم وسبك الآية من جهة، وتركِّز الاهتمام على معنى لا يمكن التعبير عنه بغير هذا الأسلوب من جهة أخرى، وهذا من بلاغة الإيجاز في القرآن الكريم؛ حيث قامت القراءتان مقام آيتين، فضلاً عما في ذلك من التفنن في أداء المعنى بأساليب وطرق متعددة.

وقبل أن أختم الحديث عن هذه الآية وبلاغة نظمها لا بد لي أن أشير إلى ما وقع فيه بعض المُعرِبين والمفسرين وموجهي القراءات من الترجيح بين القراءتين، حيث رجَّح أبو عبيد وأبو حاتم والطبري[(٣)] واستحسن أبو علي الفارسي[(٤)] قراءة ﴿يَصْرِفْ﴾ مبنياً للفاعل؛ لتناسبها مع قوله: ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ بالبناء للفاعل، حيث لم يقل: (فقد رُحِم)، ولأن قراءة أبي ﷺ: (مَنْ يَصْرِفِ اللَّهُ عَنْهُ)، بالتصريح بالفاعل تؤيد هذه القراءة.

ورجح قوم – ومنهم مكي – قراءة ﴿يُصْرَفْ﴾ مبنياً للمفعول؛ لأنها أقل إضماراً؛ لأن المعنى: من يُصرَف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه الله.[(٥)]

---

(١) مفاتيح الغيب، ١٢/١٤١–١٤٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب لن يَدْخُلَ أَحَدٌ الجنة بعمله، بل برحمة الله تعالى، رقم/٢٨١٦، ٤/٢١٦٩.

(٣) نسب أبو حيان وتابعه السمين وابن عادل إلى الطبري القول بترجيح قراءة البناء للمفعول؛ لأنها أقل إضماراً. انظر: البحر المحيط، ٤/٩٢، والدر المصون، ٤/٥٦٣، واللباب، ٨/٦٠. وهذا الكلام غير صحيح، والصواب أن الطبري رجَّح قراءة البناء للفاعل. انظر: جامع البيان، ١١/٢٨٦.

(٤) حجة الفارسي، ٣/٢٨٦–٢٨٧.

(٥) الكشف عن وجوه القراءات، ١/٤٢٥، ومشكل إعراب القرآن، ١/٢٤٧، وانظر: حجة أبي زرعة، ص ٢٤٣، والمحرر الوجيز، ٢/٢٧٤.

وقد تقدّم أن الترجيح بين القراءتين المتواترتين بحيث تُضعِّفُ القراءة المرجوحة لا يجوز،[1] وخاصة في مثل هذا الموضع الذي راعت فيه القراءتان المناسبة الشكلية للنظم من الناحيتين، فقراءة البناء للفاعل ناسبت قوله: ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾، وقراءة المبني للمفعول لا حظت نسبة العذاب إلى اليوم في قوله: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾؛ فضلاً عما فيهما من أغراض بلاغية أشرت إليها.

ومما ورد على التبادل بين حالتي حذف الفاعل وإضماره في القراءات المتواترة قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الحديد/٨]، حيث قرأ جمهور القراء ﴿أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ ببناء الفعل للمعلوم، وقرأ أبو عمرو ﴿أُخِذَ مِيثَاقُكُمْ﴾ ببناء الفعل للمجهول.[2]

فأما قراءة الجمهور ﴿وَقَدْ أَخَذَ﴾ فتبني الفعل لفاعل مضمر عائد على المذكور سابقاً، وهو الله ﷻ ، وأما قراءة أبي عمرو فتبني الفعل للمفعول، وتحذف الفاعل؛ لكونه معلوماً من المقام.[3]

والمراد بالميثاق في الآية: إما ما نُصبِ من الأدلة، ورُكّز في العقول من النظر في الكون الذي يهدي إلى الإيمان بخالقه، والدلائل التي تدعو إلى متابعة الرسول ﷺ.[4]

أو: الميثاق والعهد الذي أخذه الله ﷻ على ذرية آدم عليه السلام حين استخرجهم من صلبه وأشهدهم على أنفسهم بأن الله ربهم لا إله لهم سواه. والذي أشار إليه ﷻ بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ [سورة الأعراف/١٧٢].[5]

وقد استحسن الفخر الرازي الوجه الأول؛ "لأنه ﷻ إنما ذكر أخذ الميثاق؛ ليكون ذلك سبباً في أنه لم يبق لهم عذر في ترك الإيمان بعد ذلك، وأخذ الميثاق وقت إخراجهم من ظهر آدم غير معلوم للقوم إلا بقول الرسول

---

(١) البحر المحيط، ٩٢/٤، واللباب، ٦٠/٨.

(٢) السبعة، ص ٦٢٥، والغاية، ص ٤٠٨، والتيسير، ص ١٣٣، والنشر، ٤٢٤/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٧٥.

(٣) حجة الفارسي، ٢٦٦/٦، والكشف عن وجوه القراءات، ٣٠٧/٢، والدر المصون، ٢٣٧/١٠، واللباب، ٤٥٨/١٨.

(٤) معالم التنزيل، ٣٣/٨، ومفاتيح الغيب، ١٨٩/٢٩، والجامع لأحكام القرآن، ٢٣٨/١٧، وأنوار التنزيل، ٢٩٧/٥، ومدارك التنزيل، ٣٣٠/٤، والبحر المحيط، ٢١٨/٨، والتفسير المنير، ٢٩٧/٢٧.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي (١٥٠هـ)، تح: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ٣٢١/٣، وجامع البيان، ١٧٢/٢٣، ومعالم التنزيل، ٣٣/٨، والمحرر الوجيز، ٢٥٨/٥، وزاد المسير، ١٦٨/٣، والجامع لأحكام القرآن، ٢٣٨/١٧، ومدارك التنزيل، ٣٣٠/٤، والبحر المحيط، ٢١٨/٨، والتفسير المنير، ٢٩٧/٢٧.

ﷺ، فقَبْلَ معرفة صدق الرسول لا يكون ذلك سبباً في وجوب تصديق الرسول ﷺ، أما نَصْبُ الدلائل والبينات فمعلوم لكل أحد، فذلك يكون سبباً لوجوب الإيمان بالرسول ﷺ."(١)

ويمكن أن يرد على ذلك بأن الله ﷻ أودع الإيمان بوجود الله ووحدانيته في الفطرة البشرية، فكان ذلك بمنزلة ميثاق قد أُخِذَ على كل واحد من الناس في الأزل وشرط التكوين، ويمكن للإنسان – سواء أكان مؤمناً أم كافراً – أن يستدل على هذا الناموس الفطري بما يشعر به حين تفزعه المصائب ولا يرى من يتوجه إليه في حالة الاضطرار إلا الله ﷻ الذي يشعر بفطرته أنه خالقه وموجده، فبهذا الشعور يستدل الإنسان على الميثاق المأخوذ عليه في عالم الذر. وقد أشار الله ﷻ إلى ذلك بقوله: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ۞ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [سورة النحل/٥٣-٥٤].

وأياً ما كان معنى الميثاق وتأويله فآخذه وفاعل أخذه هو الله ﷻ. وأما كون الفاعل مضمراً في إحدى القراءتين ومحذوفاً في القراءة الأخرى فلأغراض بلاغية يدل عليها كل من الحذف والذكر، منها:

أن المخاطبة ببناء الفعل للمفعول تجعل الخطاب أشد غلظة على المخاطب، فقولك: "افعل كما قيل لك" أبلغ وأشد وقعاً على المخاطَب من قولك: "افعل ما قلت لك."(٢) ولذلك كانت صيغة الخطاب مع مضمونه في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [سورة هود/١١٢] من أثقل الآيات وقعاً على النبي ﷺ كما ورد في السنة.(٣)

ومنها أن الخطاب ببناء الفعل للمفعول يجعل العناية والاهتمام ينصرف إلى الفعل والحدث المجرد؛ ليكون الكلام دالاً على وجوب التزام الميثاق أياً كان آخذه؛ لأن الغدر عند الكرماء - لا سيما العرب - شديد من غير نظر إلى معين.

وأما القراءة ببناء الفعل للمعلوم فتوجه الاهتمام إلى الفاعل، وتجعل وقع الحدث أثقل من حيث إنه إذا كان التزام الميثاق واجب بغض النظر عن آخذه، فكيف حال الميثاق الذي آخذه هو الملك الأعظم القادر على كل شيء، ورسوله الذي تعظيمه من تعظيم الله ﷻ.(٤)

---

(١) مفاتيح الغيب، ١٨٩/٢٩.

(٢) المحرر الوجيز، ٢٥٨/٥.

(٣) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "ما نزلت على رسول الله ﷺ في جميع القرآن آية كانت أشدّ ولا أشقّ عليه من هذه الآية." انظر: الكشاف، ٤٠٨/٢، والمحرر الوجيز، ٢١١/٣. وروي عن أبي علي السّري أنه قال: رأيت النّبي ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول اللّه، روي عنك أنك قلت: "شيّبتني هود"، فقال: "نعم"، فقلت: ما الذي شيّبك منها؟ قصص الأنبياء وهلاك الأمم! فقال: "لا، ولكن قوله تعالى: فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ." انظر: شعب الإيمان، للبيهقي، كتاب تعظيم القرآن، باب ذكر سورة هود، رقم/٢٤٣٩، ٤٧٢/٢.

(٤) نظم الدرر، ٤٤٠/٧.

وبكلتا القراءتين يحصل الوفاء بكلتا الخصوصيتين: الحث على التزام العهود والمواثيق عموماً، والتخويف والزجر عن نقض مواثيق الله ﷻ خصوصاً؛ لأن انتقامه وعقوبته على نقض المواثيق ليسا كانتقام البشر وعقوباتهم. وهذه المعاني والأغراض البلاغية التي تشير إليها القراءتان تدل على جمالية نظم القرآن، وإيجازه الذي لا يرقى إليه أي نظم بليغ كان.

ومما ورد على التبادل بين حالتي حذف الفاعل وإضماره في القراءات المتواترة قوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ۞ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ۞ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الفجر/٢٤-٢٦]، حيث قرأ جمهور القراء (لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ، وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ) ببناء الفعلين للمعلوم، وقرأ الكسائي ويعقوب (لَا يُعَذَّبُ عَذَابَهُ، وَلَا يُوثَقُ وَثَاقَهُ) ببناء الفعلين للمجهول.[1]

والفاعل في قراءة الجمهور هو (أَحَدٌ)، والأظهر أن الضميرين في (عَذَابَهُ، وَثَاقَهُ) يعودان على الله ﷻ وإن لم يُذكَر؛ لدلالة الحال عليه.[2]

وفي معنى الآية بناء على ذلك وجهان:

الأول: أن الله ﷻ يتولى عذاب الكفار يوم القيامة، ولا يكله إلى أحد؛ لأن الأمر يومئذ لله وحده.[3]

والثاني: أن ذلك العذاب من الشدة والتناهي بحيث إنَّ لا أحدَ من المعذِّبين في الدنيا يعذِّب أحداً أو يوثِق أحداً كتعذيب وتوثيق الله ﷻ يومئذ، فعذاب من يعذِّب في الدنيا، ليس كعذاب الله ﷻ يوم القيامة.[4]

---

(١) السبعة، ص ٦٨٥، والتيسير، ص ١٤٠، والنشر، ٤٤١/٢، وتحبير التيسير، ص ٦١٢.

(٢) حجة ابن خالويه، ص ٣٧١، والكشف عن وجوه القراءات، ٣٧٣/٢، والكشاف، ٧٥٥/٤، والمحرر الوجيز، ٤٨١/٥، والتبيان في إعراب القرآن، ١٢٨٧/٢، وإبراز المعاني، ٧٢٤/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٥٦/٢٠، والبحر المحيط، ٤٦٦/٨، والدر المصون، ٧٩٣/١٠، واللباب، ٣٣٣/٢٠، والسراج المنير، ٦١٤/٤، وفتح القدير، ٦٢٤/٥، والتفسير المنير، ٢٣٥/٣٠.

(٣) معاني الفَرَّاء، ٢٦٢/٣، وحجة الفارسي، ٤١٢/٦، وحجة أبي زرعة، ص ٧٦٣، والكشاف، ٧٥٥/٤، والمحرر الوجيز، ٤٨١/٥، ومفاتيح الغيب، ١٦٠/٣١، ومدارك التنزيل، ٥٢٢/٤، والبحر المحيط، ٤٦٦/٨، والدر المصون، ٧٩٣/١٠، واللباب، ٣٣٤/٢٠، وفتح القدير، ٦٢٤/٥، وروح المعاني، ١٢٩/٣٠.

(٤) معاني الفَرَّاء، ٢٦٢/٣، وجامع البيان، ٤٢٢/٢٤، وحجة الفارسي، ٤١٢/٦، وحجة أبي زرعة، ص ٧٦٣، والكشف والبيان، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (٤٢٧هـ)، تح: الشيخ أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١/١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، ٢٠٢/١٠، والكشف عن وجوه القراءات، ٣٧٣/٢، ومعالم التنزيل، ٤٢٣/٨، والمحرر الوجيز، ٤٨١/٥، ومفاتيح الغيب، ١٦٠/٣١، والجامع لأحكام القرآن، ٥٦/٢٠، والبحر المحيط، ٤٦٦/٨-٤٦٧، والدر المصون، ٧٩٣/١٠، واللباب، ٣٣٣/٢٠، وفتح القدير، ٦٢٤/٥.

وذهب الفارسي وتابعه بعض المفسرين إلى جواز عود الضميرين في (عَذَابَهُ، وَثَاقَهُ) على الإنسان الكافر، والمعنى: لا يعذِّب أحدٌ من الزبانية أحداً من أهل النار مثل من يعذبونه ويوثقونه، فهو أشدهم عذاباً ووثاقاً؛ لأنه أشدهم سيئات أفعال وقبائح أحوال.(١)

وأما الفاعل في قراءة الكسائي ويعقوب فمحذوف؛ لأنه معلوم من المقام، وهو الله ﷻ، أو الزبانية المتولون العذاب بأمر الله ﷻ.(٢) والضميران في (عَذَابَهُ، وَثَاقَهُ) في هذه القراءة يعودان على الإنسان الموصوف.(٣) و(أحدٌ) نائب عن الفاعل، وهو في هذه القراءة بمنزلة (أَحَداً) في قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة المائدة/ ١١٥].(٤)

ومعنى الآية على هذه القراءة يحتمل وجوهاً:

الأول: يومئذ لا يُعذَّب أحدٌ مثل العذاب الذي يُعذَّب به ذلك الإنسان الكافر المتحسر المشار إليه في الآية السابقة، ولا يوثَق أحدٌ مثلَ وثاقه؛(٥) لتناهيه في الكفر والعناد.(٦)

والثاني: لا يُعذَّب أحد في الدنيا كما يعذِّب الله الكافرَ يومئذ، ولا يُوثَق أحدٌ كما يُوثَق الكافرُ.(٧)

---

(١) حجة الفارسي، ٤١٢/٦، والكشاف، ٧٥٥/٤، ومفاتيح الغيب، ١٦٠/٣١، والجامع لأحكام القرآن، ٥٧/٢٠، وأنوار التنزيل، ٤٩٠/٥، والبحر المحيط، ٤٦٦/٨، والدر المصون، ٧٩٤/١٠، واللباب، ٣٣٤/٢٠، وروح المعاني، ١٢٩/٣٠.

(٢) الدر المصون، ٧٩٢/١٠، واللباب، ٣٣٣/٢.

(٣) حجة ابن خالويه، ص ٣٧١، والكشف عن وجوه القراءات، ٣٧٣/٢، والكشاف، ٧٥٥/٤، ومفاتيح الغيب، ١٦٠/٣١، وإبراز المعاني، ٧٢٣/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٥٧/٢٠، ومدارك التنزيل، ٥٢٢/٤، والبحر المحيط، ٤٦٧/٨، واللباب، ٣٣٣/٢، والبحر المديد، ٣٠٢/٨،وفتح القدير، ٦٢٤/٥، وروح المعاني، ١٣٠/٣٠، والتفسير المنير، ٢٣٥/٣٠.

(٤) التحرير والتنوير، ٣٠٠/٣٠.

(٥) نقل بعض المفسرين أن أبي بن خلف هو المراد بالمتحسِّر الذي أشار إليه قوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [سورة الفجر/٢٤]. انظر: الكشاف، ٧٥٥/٤، ومدارك التنزيل، ٥٢٢/٤، والبحر المديد، ٣٠٢/٨. وقيل: هو أمية بن خلف. انظر: معالم التنزيل ، ٤٢٣/٨، والبحر المحيط، ٤٦٧/٨.

(٦) حجة أبي زرعة، ص ٧٦٣، والكشف عن وجوه القراءات، ٣٧٣/٢، ومفاتيح الغيب، ١٦٠/٣١، والجامع لأحكام القرآن، ٥٦/٢٠، ومدارك التنزيل، ٥٢٢/٤، والبحر المحيط، ٤٦٧/٨، والدر المصون، ٧٩٢/١٠، واللباب، ٣٣٣/٢، والبحر المديد، ٣٠٢/٨، وفتح القدير، ٦٢٤/٥، وروح المعاني، ١٣٠/٣٠.

(٧) معاني الفرَّاء، ٢٦٢/٣، وجامع البيان، ٤٢٢/٢٤، والكشف عن وجوه القراءات، ٣٧٣/٢، والمحرر الوجيز، ٤٨١/٥، والجامع لأحكام القرآن، ٥٦/٢٠، والبحر المحيط، ٤٦٧/٨.

والثالث: لا يُحمَّل أحدٌ من الناس عذاب ذلك الإنسان الكافر، فهو كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [سورة الأنعام/١٦٤].(١)

ولا يخفى ما في جميع الوجوه المذكورة في تأويل معنى الآية على القراءتين من تعظيم أمر ذلك العذاب الذي يناله الإنسان الكافر الذي اتصف بأبشع القبائح وخصال السوء، غير أنه يغيب عن أكثر المفسرين استخراج الوجوه البيانية التي يدل عليها ذكر الفاعل وحذفه في القراءتين؛ ذلك أن ذكر الفاعل وحذفه في هذا المقام — تصوير مشهد من مشاهد يوم القيامة – لا بد وأن يكون له أغراض بلاغية سوى الإيجاز، ومعلومية الفاعل.

ومن أبرز الأغراض البلاغية لذكر الفاعل، وبناء فعل التعذيب للمعلوم في هذه الآيات: أن إسناد فعل التعذيب والتوثيق إلى الله ﷻ في موقف الحساب والعقاب يبلغ به الترويع منتهاه، فتعذيب الله ﷻ لا يشبه تعذيب المعذِّبين من البشر، وتوثيقه لا يشبه توثيق البشر، ولعل هذا الملمح البلاغي لا يغيب عن آيات القرآن الكريم التي أسندت فعل التعذيب للمعلوم في أكثر من أربعين موضعاً في القرآن الكريم.(٢)

ولا يخفى أن توجيه الاهتمام إلى العذاب في قراءة الكسائي هو أهم غرض لحذف الفاعل في هذه القراءة، فالمذكور يُعذَّب من قبل الله ﷻ وزبانية جهنم عذاباً لا يمكن وصفه؛ إذ لم يعُهَد مثله في أصناف العذاب ومعهوداته. فضلاً عن القصد إلى الإيجاز؛ لمعلومية الفاعل؛ كون الموقف لا يحتمل أن يكون لهذا الفعل فاعلٌ سوى الله ﷻ، أو من أوكل إليه هذا الفعل من الملائكة.

فحذف الفاعل يدخل الرهبة في القلوب، والخوف من ذات الموقف، وذكره يبلغ بالموقف غاية الترويع ومنتهاه؛ لأنه يُسند الفعل إلى جبار لا يمكن تصوُّر منتهى قدرته، وغاية سطوته وجبروته، فعذابه هو العذاب المتناهي في الألم والإهانة.

ويمكن حمل هذا الكلام على كل فعل من أفعال يوم القيامة اختلف القراء في قراءته بين البناء للمعلوم والمجهول، ومنه تسيير الجبال في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ

---

(١) الكشاف، ٧٥٥/٤، والجامع لأحكام القرآن، ٥٦/٢٠–٥٧، والبحر المحيط، ٤٦٧/٨، والدر المصون، ٧٩٣/١٠، وفتح القدير، ٦٢٤/٥، وروح المعاني، ١٣٠/٣٠. وذهب السمين في الدر إلى جواز تأويل قراءة الجمهور بهذا المعنى، أي: لا يَحْمِلُ أحدٌ عذابَ ذلك الإنسانِ الكافر. انظر: الدر المصون، ٧٩٤/١٠. وأرى أن ذلك فيه بعد، لأن (أحد) في قراءة الجمهور فاعل التعذيب، فناسبه أن يكون بمعنى (المُعذِّب) لا (المُعذَّب)، أما في قراءة الجمهور فهي في موقع المفعول، ويمكن حملها على هذا المعنى، أي: لا يُحمِّل الله أحداً من الناس ممن لا ذنب له ذنب هذا الكافر، ثم يعذِّبه به.

(٢) التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف، القاهرة، ط١٩٦٨/٥م، ١٥٩/٢.

أَحَدًا﴾ [سورة الكهف/٤٧].[1] والنفخ في الصور في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [سورة طه/١٠٢].[2]

وبعد: فإن أبرز الأغراض البلاغية التي دل عليها التبادل بين ذكر الفاعل وحذفه في الآيات المختلَف في قراءتها: هي الاعتناء بالحدث أو صرف العناية إلى الفاعل، مع ما يقتضيه كل سياق من وجوه أخرى، كالتهديد أو الامتنان، أو التعظيم.

وأبرز الآثار الناتجة عن هذه الوجوه البلاغية هي جعل الآية الواحدة بقراءاتها تقوم مقام آيات متعددة، فتقصد بذلك إلى الكشف عن سمة الإيجاز التي هي أبرز سمات الكلام البليغ، وتقصد من جهة أخرى إلى التفنن في التعبير عن المعنى الواحد بأكثر من طريقة كلٌ منها تلفت نظر القارئ والسامع إلى معنى ووجه غير الذي تفيده الأخرى. واتصاف القرآن بهذه المزايا هو الذي رفع قيمة نظمه من أعلى مراتب البلاغة إلى مرتبة الإعجاز.

والمطلب الآتي سيتناول دراسة الوجوه البلاغية لحذف المفعول وذكره، وأثرها في بلاغة النظم.

---

(١) قرأ الجمهور ﴿نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ ببناء الفعل للمعلوم، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ﴿تُسَيَّرُ الْجِبَالُ﴾ ببناء الفعل للمجهول. انظر: السبعة، ص ٣٩٣، والتيسير، ص ٩٩، والمبهج، ص ٦٠٨، والنشر، ٣٤٩/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٤٥.

(٢) قرأ أبو عمرو (نَنْفُخُ) بالنون وبناء الفعل للمعلوم، وقرأ الباقون (يُنْفَخُ) بالياء وبناء الفعل للمجهول. انظر: السبعة، ص ٤٢٤، والتيسير، ص ١٠٤، والمبهج، ص ٦٤٢، والنشر، ٣٦٢/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٦٢.

المطلب الثاني: تبادل القراءات بين ذكر المفعول وحذفه، وأثره في بلاغة النظم.

تقدَّم في مدخل هذا المبحث أن الغرض البلاغي الرئيس الذي يدعو لذكر المفعول هو ترتيب الفائدة عليه؛ لأن المتكلِّم حين يقصد إلى ذكر أو حذف متعلق الفعل فإنَّ له غرضاً وقصداً يدعوه إلى ذلك، فقد يقصد البليغ إلى حذف مفعول الفعل المتعدي؛ للإيجاز؛ لكونه معلوماً، أو لصرف العناية عنه إلى الفعل أو الفاعل، أو لقصد التعميم، لتذهب النفس في تقديره كل مذهب، أو لاستهجانه، أو لرعاية الفاصلة. وقد يقصد إلى ذكره ليتعيَّن، ولا يلتبس بغيره، أو لغرض آخر يدعوه إلى ذلك.(1)

واستخراج هذه الأغراض لا يلتبس على المتأمل والناظر عندما تكون الجملة على وجه واحد من الحذف أو الذكر، أما عندما ترد الجملة بالحذف تارة، والذكر طوراً فهذا مما يحتاج إلى إعمال الفكر لاستخراج الوجوه والأغراض البلاغية لهذين الوجهين.

وقد ورد في القرآن الكريم جملٌ قرآنية كثيرة اختلف قراء المتواتر في قراءتها بين حالي حذف المفعول وذكره، وهذا المطلب سيوجِّه عنايته إلى دراسة الوجوه البلاغية التي يدل عليها تبادل القراءات المتواترة بين ذكر المفعول وحذفه، وأثر هذا التبادل في بلاغة نظم القرآن.

فعلى سبيل المثال: وردت بعض الجمل القرآنية نتيجة تنوع القراءات المتواترة على التبادل بين حالتي حذف المفعول وعدمه، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ [سورة القصص/٢٣]، حيث قرأ ابن عامر وأبو جعفر وأبو عمرو ﴿حَتَّى يَصْدُرَ الرِّعَاءُ﴾، بفتح الياء وضم الدال، وقرأ الباقون ﴿حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾، بضم الياء وكسر الدال.(2)

والفعل (يَصْدُر) في قراءة ابن عامر ومن معه لا يحتاج إلى مفعول؛ لأنه من الفعل اللازم (صَدَرَ). ومعنى الآية بناء على هذه القراءة: ولما ورد موسى إلى بئر مدين، وجد عليها جماعة كثيرة من الناس يسقون مواشيهم،

---

(١) راجع: دلائل الإعجاز، ص ١٢٧–١٣٨، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٠٣–١٠٩، وخصائص التراكيب، ص ٣٠٦–٣٢٨.

(٢) السبعة، ص ٤٩٢، والتيسير، ص ١١٣، والعنوان، ص ١٤٧، والنشر، ٢/٣٨١، وتحبير التيسير، ص ٤٩٧.

ووجد في مكان أسفل من مكانهم امرأتين تمنعان أغنامهما عن الماء، فقال لهما: ما شأنكما تمنعان أغنامكما عن الماء؟ قالتا: لا نسقي حتى ينصرف الرعاة عن الماء.(١)

أما الفعل (يُصْدِرَ) في قراءة الجمهور فهو من (أصدر) المتعدي بالهمزة، وهو يحتاج إلى مفعول، غير أن المفعول في هذه الآية محذوف؛ لأغراض بلاغية سيأتي بيانها. ومعنى الآية في قراءة الجمهور: لا نسقي حتى يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء.(٢)

والغرض البلاغي في قراءة ابن عامر ومن معه هو توجيه الاهتمام إلى انصراف الرعاة، وليس إلى انصراف المواشي،(٣) وفيها بيان عفة الفتاتين، وابتعادهما عن الماء في حال وجود الرعاة؛ حذراً من مزاحمة الرجال، وهي تدل على فرط حيائهما، وتواريهما من الاختلاط بالأجانب.(٤)

وأما الغرض البلاغي في قراءة الجمهور فهو بيان تعلُّق الفعل بمفعول محذوف؛ لدلالة الكلام عليه من جهة،(٥) ورغبة في سوق الفعل محذوفَ المفعول من جهة أخرى؛ لصرف العناية عنه إلى إثباتِ الفعل لفاعلِه، وليبيِّن المتكلم أن الغرض من كلامه لا يتعلق بمفعول معَّين، بل الغرض هو أن يعلم السامع أنه قد "كان منَ الناس في تلك الحال سَقْيٌ، ومن المرأتين ذَوْدٌ، وأنهما قالتا: لا يكون مِنَّا سَقْيٌ حتى يُصدِرَ الرِّعاء، وأنه كان مِن موسى عليه السلام من بَعْدِ ذلك سَقيٌ. فأمّا ما كان المسقيُّ غنماً أم إبلاً أم غيرَ ذلك فخارجٌ عن الغرضِ ومُوْهِمُ خلافِه؛ وذاك أنه لو قيل: وجدَ من دونهم امرأتين تذودان غنمَهما، جاز أن يكونَ: لم يُنكِرِ الذَّودُ من حَيْثُ هو ذَوْدٌ، بل من حيثُ هو ذَوْدُ غَنَمٍ، حتى لو كان مكانَ الغنم إبلٌ لم ينُكَرِ الذَّود. كما أنك إذا قلتَ: ما لك تمنعُ أخاك؟ كنتَ منكراً المنعَ لا من حيثُ هوَ مَنْعٌ، بل مِنْ حيث هو منعُ أخٍ." (٦)

---

(١) حجة ابن خالويه، ص ٢٧٦، وحجة أبي زرعة، ص ٥٤٣، والكشف عن وجوه القراءات، ١٧٣/٢، ومعالم التنزيل، ٢٠٠/٦، والموضِّح، ٩٧٩/٢، ومفاتيح الغيب، ٢٠٥/٢٤، وإبراز المعاني، ٦٣٣/٢، وأنوار التنزيل، ٢٨٨/٤، والدر المصون، ٦٦٣/٨، واللباب، ٢٣٦/١٥.

(٢) جامع البيان، ٥٥٥/١٩، ومعاني النحّاس، ١٧٣/٥، وحجة ابن خالويه، ص ٢٧٦، وحجة الفارسي، ٤١٢/٥–٤١٣، وحجة أبي زرعة، ص ٥٤٣، والكشف عن وجوه القراءات، ١٧٣/٢، ومفاتيح الغيب، ٢٠٥/٢٤، والتبيان في إعراب القرآن، ١٠١٩/٢، وإبراز المعاني، ٦٣٣/٢، والدر المصون، ٦٦٣/٨، واللباب، ٢٣٦/١٥، وفتح القدير، ٢٣٦/٤.

(٣) حجة أبي زرعة، ص ٥٤٣.

(٤) روح المعاني، ٦٠/٢٠.

(٥) حجة أبي زرعة، ص ٥٤٣.

(٦) دلائل الإعجاز، ص ١٣٢.

فالغرض من حذف المفعول في قراءة الجمهور هو أن يتوفر الكلام على إثبات الفعل للفاعل؛ ليتبيَّن أن موسى عليه السلام رقَّ لهما لما كان منهما من سقي وذود، ولو ذكر المفعول وقال: غنمهما لأوهمت العبارة أن موسى عليه السلام رقَّ لذودهما الغنم، وما في ذود الغنم خصوصاً من مزيد عناء؛ لشدة تفلتها وصعوبة ضبطها، ولو كان منهما ذود إبل لجاز أن يدعهما، وليس هذا مرادًا. ولهذا كان لحذف المفعول في هذا الموضع من الرَّوْعة والحُسن ما ليس في ذكره؛ لأن في حذفه وتركِ ذِكرِه فائدةً جليلة، ولأَنَّ الغرضَ لا يَصحُّ إلاّ على تركه.(١)

ولا يخفى أن القراءات المتعددة في هذه الآية قامت مقام آيات متعددة؛ لأن كل قراءة صرفت اهتمام السامع إلى جهة غير الجهة التي صرفتها إليها القراءة الأخرى، وهذا من بلاغة الإيجاز في نظم القرآن.

ومن الأفعال التي وردت على التبادل بين اللزوم، والتعدي في القراءات المتواترة الفعل (يضلُّ) في الآيات الآتية: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [سورة الأنعام/١١٩]، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ [سورة يونس/٨٨].(٢) وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [سورة إبراهيم/٣٠]، ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة الحج/٩]، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [سورة لقمان/٦]، ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [سورة الزمر/٨].(٣)

حيث قرأ بعض القراء الفعل (يضل) في هذه الآيات مفتوح الياء، من الفعل اللازم (ضلَّ)، وقرأه آخرون مضموم الياء من الفعل المتعدي (أضلَّ). فالقراءات التي تفتح الياء، وتجعل الفعل لازماً تسند فعل الضلال إلى أنفسهم، وأما القراءات التي تضم الياء فتجعل الفعل متعدياً، وتسند إليهم إضلال غيرهم، وقراءات تعدية الفعل أعمُّ من قراءات اللزوم؛ لأنها تعبِّر عن قُبْحَ فِعْلِهم الذي جمع القبيحين معاً، فهم قد ضلوا في أَنْفُسِهِم، وأَضَلُّوا غيرهم، ولأن من أضل غيره لا بد وأن يكون ضالاًّ في نفسه، من غير عكس.(٤) فقراءات الفعل بضم الياء تتضمن

---

(١) خصائص التراكيب، ص ٣١٤.

(٢) قرأ الكوفيون (لِيُضِلُّونَ، لِيُضِلُّوا) بضم الياء في الأنعام ويونس، وقرأ الباقون (لَيَضِلُّونَ، لِيَضِلُّوا) بفتحها في الموضعين. انظر: السبعة، ص ٢٦٧، والتيسير، ص ٧٨، والنشر، ٢٩٦/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٦٣.

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (لِيَضِلُّوا، لِيَضِلَّ) في إبراهيم والحج ولقمان والزمر بفتح الياء في الأربعة، وقرأ الباقون: (لِيُضِلُّوا، لِيُضِلَّ) بضمها في الأربعة إلا أن رويساً وافق ابن كثير وأبا عمرو في إبراهيم والحج والزمر. انظر: السبعة، ص ٢٦٧، والتيسير، ص ٩٥، والنشر، ٣٣٦/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٢٥.

(٤) حجة الفارسي، ٣٩٢/٣–٣٩٧، والكشف عن وجوه القراءات، ٤٤٩/١، والمحرر الوجيز، ٣٣٩/٢، والدر المصون، ١٣٠/٥، ٢٣٦/٨، ٦٠/٩، ٤١٤، واللباب، ٤٠٢/٨، ٢٧/١٤، ٤٣٨/١٥، والإتحاف، ص ٣٨٤، ٥٥٩.

معناها، ومعنى قراءات فتح الياء، وقراءات فتح الياء لا تتضمن معنى القراءات الأخرى، لذلك كانت القراءات بتعدية الفعل وحذف المفعول أعمَّ معنى، وأشدَّ إيجازاً.(١)

وذهب ابن عاشور إلى أن المعنى الحاصل من القراءتين متحد؛ لأنهم إذا ضلوا في أنفسهم وهم قادة قومهم كان ضلالهم تضليلاً لغيرهم، وكذلك إذا أضلوا الناس فإنهم ما أضلوهم إلا وهم ضالون مثلهم.(٢)

والواقع أن ما ذكره ابن عاشور ليس بلازم؛ لأن من أضل غيره فهو في الضلال أذهب، ومن الهدى أبعد. يقول الإمام أبو علي الفارسي: "ألا ترى أن كلَّ مُضلٍ ضالٌّ، وليس كلُّ ضالٍ مُضِلاً؛ لأن الضالَّ قد يكون ضلالُه مقصوراً عليه نفسه لا يتعداه إلى سواه، والمُضِلُّ أكثرُ استحقاقاً للذم، وأغلظ حالاً من الضالِّ؛ لتحمله إثم من أضلَّه، كما قال: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [سورة النحل/٢٥]."(٣)

وأرى أن الغرض البلاغي من تنوع القراءات في هذه المواضع هو إثبات الفعلين لهم، فالمذكورون هم ممن امتطى الضلال، واختاره له طريقاً، وعن هذه المعاني عبرت قراءات اللزوم. وهم أيضاً ممن لم يقنع بضلال نفسه حتى ذهب يحرِّض الناس ويحملهم عليه، وعلى هذه المعاني دلت قراءات الفعل المتعدي، وإنما حذف المفعول على هذه القراءات؛ لقصد الإيجاز، لكون المفعول معلوماً، فأغنى الحذف في هذا المقام عن الذكر، ولقصد التعميم؛ لئلا يُظَن أن المراد إضلال أشخاص معينين، وبهذه الأغراض يتحقق لنظم هذه الآيات سمة الإيجاز؛ حيث تقوم كل آية منها مقام عدة آيات.

ومن الجمل القرآنية التي حذف مفعولها في بعض القراءات المتواترة دون بعضها: قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾ [سورة المؤمنون/٢٠]، حيث قرأ الجمهور ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ بفتح التاء وضم الباء، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس ﴿تُنْبِتُ بِالدُّهْنِ﴾ بضم التاء وكسر الباء.(٤)

والفعل (تَنْبُتُ) في قراءة الجمهور فعل لازم من (نبَتَ)، والجملة على هذه القراءة لا تفتقر إلى المفعول؛ للزوم فعلها. و(بالدهن حال)، والجملة كقولك: خرج زيد بسلاحه. ومعنى الآية بناء على ذلك: إن هذه الشجرة تَنبُت مصحوبة بالدهن الذي يستخرج من زيتونها.(٥)

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات، ٤٤٩/١.

(٢) التحرير والتنوير، ١٦٥/١١.

(٣) حجة الفارسي، ٣٩٧/٣.

(٤) السبعة، ص ٤٤٥، والتيسير، ص ١٠٧، والإقناع، ص ٤٣٢، والنشر، ٣٦٨/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٧٤.

(٥) جامع البيان، ٢٣/١٩، ومشكل إعراب القرآن، ٤٩٩/٢، والكشف عن وجوه القراءات، ١٢٧/٢، والكشاف، ١٨٤/٣، والمحرر الوجيز، ١٤٠/٤، والموضِّح، ٨٩٣/٢، ومفاتيح الغيب، ٧٩/٢٣، والتبيان في إعراب القرآن، ٩٥٢/٢، وإبراز المعاني، ٦٠٨/٢، والجامع =

أما الفعل في القراءة الأخرى فاختلف المفسرون فيه على ثلاثة أقوال هي:

الأول: أن نبت، وأنبت لغتان والفعل لازم، ومعنى قراءة ابن كثير على هذا القول كمعنى قراءة الجمهور.(١)

ومما يؤيد ذلك قول الشاعر:

رأيْتَ ذوي الحاجاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ قَطِينا لَهُمْ حتى إذا أَنْبَتَ البَقْلُ.(٢) (البحر الطويل)

الثاني: أن الفعل في قراءة ﴿تُنْبِتُ بِالدُّهْنِ﴾ من الفعل (أنبت) المتعدي، ومفعوله (الدهن)؛ لأن الباء في قوله: (بِالدُّهْنِ) زائدة،(٣) فهي كقولك: أخذت ثوبَه، وأخذت بثوبِه، وكقول الشاعر:

نَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أَرْبابُ الفَلَجْ نَضْرِبُ بِالبيضِ وَنَرْجُو بالفَرَج.(٤) (بحر الرجز)

وقيل: دخلت الباء على المفعول؛ لتدل على لزوم الإنبات ودوامه، كقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [سورة العلق/١]؛ لأن الفعل (قرأ) يتعدى إلى مفعوله بغير حرف، وإنما زيدت الباء؛ لتدل على الأمر بملازمة القراءة.(٥)

الثالث: أن تكون الباءُ غيرَ زائدةٍ، والجار والمجرور متعلقين بغير الفعل (تنبت) الذي تعدى إلى مفعول محذوف، و(بالدهن) حال، والمعنى: إنها شجرة تنبت وتخرِج ثمرها، أو جناها، وفيه الدهن (الزيت).(٦)

لأحكام القرآن، ١١٥/١٢، وأنوار التنزيل، ١٥١/٤، والبحر المحيط، ٣٧١/٦، والدر المصون، ٣٢٨/٨، واللباب، ١٩٢/١٤، وروح المعاني، ٢٢/١٨، وأضواء البيان، ٣٣٠/٥.

(١) جامع البيان، ٢٣/١٩، وحجة الفارسي، ٢٩٢/٥، والكشف عن وجوه القراءات، ١٢٧/٢، والكشاف، ١٨٤/٣، والمحرر الوجيز، ١٤٠/٤، ومفاتيح الغيب، ٧٩/٢٣، والتبيان في إعراب القرآن، ٩٥٢/٢، وإبراز المعاني، ٦٠٨/٢، والجامع لأحكام القرآن، ١١٥/١٢، وأنوار التنزيل، ١٥١/٤، والبحر المحيط، ٣٧١/٦، والدر المصون، ٣٢٨/٨، وإرشاد العقل، ١٢٨/٦، وروح المعاني، ٢٢/١٨، والتحرير والتنوير، ٣٢/١٨، وأضواء البيان، ٣٣٠/٥.

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى، انظر: ديوان زهير بن أبي سلمى، بشرح ثعلب، القاهرة، د.ط./١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، ص ١١١.

(٣) جامع البيان، ٢٣/١٩، والكشف عن وجوه القراءات، ١٢٧/٢، وحجة الفارسي، ٢٩١/٥، والمحرر الوجيز، ١٤٠/٤، وإبراز المعاني، ٦٠٨/٢، والتبيان في إعراب القرآن، ٩٥٢/٢، والجامع لأحكام القرآن، ١١٥/١٢، والبحر المحيط، ٣٧١/٦، والدر المصون، ٣٢٨/٨، واللباب، ١٩١/١٤، وروح المعاني، ٢٣/١٨.

(٤) القول للنابغة الجعدي. انظر: ديوان النابغة الجعدي، تح: عبد العزيز الرباح، مطبوعات المكتب الإسلامي، دمشق، د.ط./١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، ص ٢١٥، وموضع الشاهد أن الباء زائدة في قوله: وَنَرْجُو بالفَرَج. والمعنى: ونرجو الفرجَ.

(٥) مشكل إعراب القرآن، ٤٩٩/٢، والكشف عن وجوه القراءات، ١٢٧/٢.

(٦) حجة الفارسي، ٢٩٢/٥، ومشكل إعراب القرآن، ٤٩٩/٢، والكشف عن وجوه القراءات، ١٢٧/٢، والكشاف، ١٨٤/٣، والمحرر الوجيز، ١٤٠/٤، والموضّح، ٨٩٢/٢، ومفاتيح الغيب، ٧٩/٢٣، والتبيان في إعراب القرآن، ٩٥٢/٢، وإبراز المعاني، ٦٠٨/٢، والجامع =

وأميل إلى الوجه الثالث من هذه الوجوه؛ إعمالاً لجميع القراءات، وحملاً لها على المعاني المتعددة التي تحتملها؛ لأن إعمال جميع المعاني أولى من إهمال بعضها. وأرى أن حذف المفعول في قراءة ابن كثير إما اقتصاراً؛ لتركيز الاهتمام على حدث الإنبات، وإما اختصاراً؛ لدلالة المعنى عليه؛[1] إذ أجمع المفسرون على أن الشجرة المذكورة هنا هي شجرة الزيتون، ومعروف لكل أحد ما هو الثمر الذي تخرجه هذه الشجرة.

وهناك جمل قرآنية اتفق القراء على تعدية فعلها، لكن اختلفوا في حذف المفعول وذكره، فقرأه بعض قراء المتواتر محذوفَ المفعول، وقرأ آخرون بذكره، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ۞ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [سورة يس/٣٤-٣٥]، حيث قرأ الأخوان وخلف وأبو بكر ﴿وَمَا عَمِلَتْ﴾ بغير هاء ضمير وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك، وقرأ الباقون ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ﴾ بالهاء وهو في المصحف المكي والشامي والمدني ومصحف البصرة كذلك.[2]

و(ما) في قوله: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ﴾ ﴿وَمَا عَمِلَتْ﴾ على القراءتين تحتمل وجهين:

أولاً: أن تكون موصولة، والمعنى: ليأكلوا من ثمر الجنات والأعناب، ومن الذي عملته أيديهم من الغَرْس. والهاء في قراءة الجمهور تعود على الاسم الموصول، جرياً على الأصل، أما العائد في القراءة الأخرى فمحذوف، كما حذِف عائد الاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [سورة الفرقان/٤١]. والمراد: بعثه الله.

ثانياً: أن تكون (ما) نافية، والمعنى: ليأكلوا من ثمرٍ لم يخلقوه، والهاء في قراءة الجمهور تعود إلى ما ذكر من الحبِّ، والنخيل، والأعناب في الآية السابقة.

لأحكام القرآن، ١١٥/١٢، وأنوار التنزيل، ١٥١/٤، والبحر المحيط، ٣٧١/٦، والدر المصون، ٣٢٨/٨، واللباب، ١٩١/١٤، وإرشاد العقل، ١٢٨/٦، وروح المعاني، ٢٢/١٨، والتحرير والتنوير، ٣٢/١٨.

(١) الاختصار: هو أن يحذف المفعول مع كونه مراداً؛ لتقدم ذكره، أو لدلالة الكلام عليه، أو لغرض تعميمه، والاقتصار: هو أن يحذَف المفعول دون أن يكون مراداً في الكلام؛ لغرض تركيز الاهتمام على الفعل، وإثبات الفعل لفاعله، دون الالتفات إلى من وقع الفعل عليه. انظر: البحر المحيط، ٤٦٧/٣، والدر المصون، ١٢٨/١.

(٢) السبعة، ص ٥٤٠، والتيسير، ص ١٢٠، والتلخيص في القراءات، ص ٣٨٠، والنشر، ٣٩٣/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٢٣.

وأياً ما كان معنى (ما) فمفعول الفعل (عملت) مذكور في قراءة الجمهور، وهو (هاء) الضمير العائد إلى ما سبق ذكره، جرياً على الأصل، غير أنه في القراءة الأخرى ﴿وَمَا عَمِلَتْ﴾ محذوف.[1]

والحذف هنا حذف اختصار؛ لأن المفعول في هذه الآية معلوم؛ لتقدم ما يدل عليه، أو محذوف لإرادة التعميم، أي: وما عملت أيديهم شيئاً من ذلك.[2]

ويجوز أن يكون المفعول هنا محذوفاً اقتصاراً؛ والضمير غير منوي؛ قصراً للمعنى على الفعل، ورداً لجميع الأمور إلى بارئها سواء أكانت بسبب أم بغير سبب، والمعنى: ولم يكن لأيديهم عمل لشيء من الأشياء لا لهذا، ولا لغيره مما له مدخل في عيشهم، وفي غيره، وهذا القول يتفق مع تفسير (ما) بالنافية، وعندها يحسن كل الحسن إنكار الصنع عليهم.[3]

ويجوز في (ما) على قراءة الأخوين وجه ثالث سوى ما ذُكِر من الصلة والنفي، وهو أن تكون (ما) هي المصدرية. والمعنى: ليأكلوا من ثمره وعمل أيديهم، وهذا الوجه لا يمكن على قراءة من قرأ مع الضمير، وعندها لا نحتاج إلى تقدير محذوف؛ لأن احتمال الحذف غير وارد على هذا الوجه.[4]

وهذا الوجه لا يعارض الوجه الأول من الوجهين المذكورين آنفاً؛ لأن المراد بالمصدر هنا اسم المفعول، أي: ليأكلوا من ثمره ومعمول أيديهم، وبذلك تعود المصدرية إلى معنى الموصولة.[5]

واستبعد مكي حمل (ما) في قراءة الأخوين على النفي، لأن القول بالنفي يجعل الفعل محتاجاً إلى المفعول. "ومن قرأ (عملت) بغير هاء كان الأحسن أن تكون ما في موضع خفض، وتحذف الهاء من الصلة، ويبعد أن تكون نافيه؛ لأنك تحتاج الى إضمار مفعول لعملت."[6]

ويُفهَم من كلامه هذا أنه يستبعد معنى النفي، وحذف المفعول في قراءة الأخوين، ويرجّح أن (ما) موصولة وعائدها محذوف، وهذا يتفق مع المبدأ العام الذي يقضي بترجيح كل وجه إعرابي يقل الإضمار فيه.

---

(١) جامع البيان، ٥١٥/٢٠، وحجة الفارسي، ٤١/٦، وحجة أبي زرعة، ص ٥٩٨، ومعالم التنزيل، ١٧/٧، والكشاف، ١٨/٤، والموضّح، ١٠٧٢/٣-١٠٧٣، ومدارك التنزيل، ١٣/٤، والبحر المحيط، ٣٢٠/٧، والدر المصون، ٢٦٨/٩، واللباب، ٢١٤/١٦، والتحرير والتنوير، ٢٢٦/٢٢.

(٢) نظم الدرر، ٢٦١/٦، والدر المصون، ٢٦٨/٩، والتحرير والتنوير، ٢٢٦/٢٢.

(٣) نظم الدرر، ٢٦١/٦.

(٤) جامع البيان، ٥١٥/٢٠، ومفاتيح الغيب، ٦٠/٢٦، وغرائب القرآن، ٥٣٢/٥، وروح المعاني، ٩/٢٣.

(٥) روح المعاني، ٩/٢٣.

(٦) مشكل إعراب القرآن، ٦٠٣/٢.

وجاء في التفسير المنير: "وإما أنها نافية في قراءة (عملت) بغير هاء، والوجه الأول أوجه؛ لاحتياج (عملت) لتقدير مفعول إذا كانت (ما) نافية."[1]

وذهب بعض المفسرين إلى أن الأولى حمل (ما) على الصلة؛ توفيقاً بين معنى القراءتين؛ لأن حملها على النفي يجعل القراءة (عملت) بلا هاء بحاجة إلى تقدير مفعول محذوف؛ وحذف العائد من الصلة أحسن من الحذف من غيرها.[2]

ومع إجلالي وتقديري لهؤلاء العلماء إلا أني أرى عدم وجاهة مذهبهم هذا؛ لأن الحذف أو الإضمار قد يكون في كثير من الأحيان أبلغ من الذكر، وخاصة عندما يتعلق الكلام بحذف المفعول كما في هذا الموضع؛ لأن حذف المفعول من الكلام يدل على بلاغة الكلام، وقوة الناطق بالعربية؛ لأن المتكلم البليغ لا يحذفه إلا وهو يقصد إلى غرض بلاغي من وراء ذلك.

وقد يكون الغرض في هذا الموضع إرادة الإيجاز والاختصار؛ لدلالة الكلام على المحذوف، أو الاقتصار؛ لتركيز الاهتمام على الحدث، ونفي الفعل عن الإنسان، وإن كان متسبباً فيه، وإظهار أن الثمر بخلق الله ﷻ لا بعمل الإنسان، بناءً على أن جميع المخلوقات مستندة إليه ﷻ.[3]

وذهب د.محمد الجمل إلى أن قراءة ذكر المفعول فيها تخصيص للخطاب بالمخاطبين، حتى يشعروا أنهم معنيون قبل غيرهم، وقراءة حذف المفعول تعمم ذلك؛ لتشمل كل من يصلح له الخطاب.[4]

وبذلك تكون قراءة الأخوين – على جميع الوجوه المذكورة في تأويل (ما) - قد أضافت إلى قراءة الجمهور معنى جديداً، لم يكن ليفهم من الآية لولاها.

ويُلحَظ من هذا المثال أن معاني القراءات في هذا المقام لم تتناقض رغم اختلافها، وهذا يثبِت مزية الإعجاز لنظم القرآن الذي تتوافق قراءاته المتعددة وتتكامل، وتضيف قراءات حذف المفعول إلى قراءات اللزوم والذكر معاني جديدة تدل على اتسام نظم القرآن بالإيجاز، وبلوغه الغاية القصوى التي لا يصلح أي نظم آخر لبلوغها.

---

(١) التفسير المنير، ١٠/٢٣.

(٢) هم أصحاب التفاسير المذكورة: زاد المسير، ١٦/٧، وأنوار التنزيل، ٤٣٣/٤، وإرشاد العقل، ١٦٦/٧–١٦٧، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، ٢٤٠/٧-٢٤١.

(٣) حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، ١٣٣/١٦.

(٤) الوجوه البلاغية في توجيه القراءات، ص ٤٥٦.

وحاصل الأمر: أن تبادل القراءات المتواترة بين لزوم الفعل وتعديه، وحذف المفعول وذكره قد أريد به الدلالة على تكامل معاني القراءات، وعدم تناقضها، رغم التبادل بين حالتين: حالة لا تحتاج فيها الجملة المختلَف في قراءتها إلى مفعول، وأخرى تحتاج فيها إلى مفعول، لكنه محذوف؛ لدلالة الكلام عليه، أو لتذهب النفس في تقديره كل مذهب، أو لتركيز الاهتمام على الحدث دون من وقع عليه.

وهذه الأمثلة تصرف الأذهان إلى جمالية تعدد المعاني، والإيجاز في التعبير، وهناك أمثلة أخرى حُذِف المفعول من الجملة في بعض قراءاتها؛ مراعاة لأغراض معنوية بإزاء الحفاظ على جمال اللفظ والإيقاع، ومنها: حذف ياءات الزوائد[1] في أواخر الآيات؛ مراعاة لتوافق الفواصل، فقد اختلف القراء في إثبات ياء المتكلم وحذفها التي تقع من الكلمة في موقع الفاصلة على ثلاثة مذاهب:

الأول: إثبات ياءات الزوائد في الوصل؛ مراعاة للأصل، وحذفها في الوقف؛ مراعاة للرسم، وهذا مذهب نافع وأبي عمرو والأخوين وأبي جعفر.

الثاني: إثباتها في حالتي الوصل والوقف؛ مراعاة للأصل، وهو مذهب ابن كثير ويعقوب.

الثالث: حذفها في حالتي الوصل والوقف؛ مراعاة للرسم، وهذا مذهب ابن عامر وعاصم وخلف.[2]

ولكل قارئ من العشرة استثناءات يخرج بها عن هذه القواعد، وتفصيلها في كتب القراءات.[3]

ومن الأفعال التي حذف مفعولها في أصول بعض القراء (فَارْهَبُونِ، فَاتَّقُونِ) في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ۞ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ [سورة البقرة/٤٠-٤١]، حيث أثبت ابن

(١) ياءات الزوائد: هي كل ياء متطرفة زائدة في التلاوة على رسم المصاحف العثمانية، وتكون في الأسماء، نحو: (الداع، الجوار) وفي الأفعال، نحو: (يأت ويسر) وهي في هذا وشبهه لام الكلمة. وتكون أيضاً ياء إضافة في موضع الجر والنصب، نحو: (دعائي، وأخرتني). وتكون أصلية وزائدة، وكل منهما فاصلة وغير فاصلة، فأما غير الفاصلة فخمس وثلاثون، منها ثلاث عشرة أصلية، نحو: (الداع، ويأت) واثنتان وعشرون غير أصلية، وهي ياء المتكلم الزائدة، نحو: (إذا دعان، واتقون يا أولي). وأما الفاصلة فست وثمانون، منها: خمس أصلية وهي: (المتعال، التلاق، التناد، يسر، بالواد)، والباقي وهو إحدى وثمانون الياء فيه للمتكلم، نحو: (فارهبون، فاتقون، ولا تكفرون). وهذا الأخير هو موضع الدراسة في هذه الفقرة. انظر: النشر، ٢/٢٠٤—٢٠٥، والإتحاف، ص ٢١٩.

(٢) انظر: الروضة في القراءات الإحدى عشرة، للإمام أبي علي الحسن بن محمد بن إبراهيم المالكي البغدادي (٤٣٨هـ)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، دراسة وتحقيق: نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل، إشراف: د.عبد العزيز بن أحمد إسماعيل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه، عام ١٤١٥هـ، ص ٦٥٥-٦٥٦، والنشر، ٢/٢٠٧، والإتحاف، ص ٢١٩.

(٣) راجع: النشر، ٢/٢٠٧—٢١٨، والإتحاف، ص ٢١٩—٢٢٧.

كثير ويعقوب ياء المتكلم في حالتي الوصل والوقف في هذه الآيات فقرآ (فَارْهَبُونِي، فَاتَّقُونِي)؛ مراعاة للأصل؛ لأن هذه الأفعال تفتقر إلى مفعول، ومفعولها هو الياء التي أثبتوها، وحذفها ابن عامر وعاصم وخلف في الحالين؛ مراعاة للرسم، وهذه وإن وقعت في موقع المفعول إلا أن الكسرة في الوصل تدل على الياء المحذوفة، ودلالة الكلام تعيِّن المفعول المحذوف.

ووجه البلاغة في قراءة الإثبات: أنها تراعي الأصل، وتكشف عن مفعول الجملة، أما قراءة الحذف فتترك للسامع أمر تقدير المفعول المفهوم من السياق ودلالة الكلام، وتراعي تحقيق الموافقة في الصوت والنغم بين فواصل هذه الآيات، والفواصل المجاورة، وقراءة نافع ومن معه تقصد إلى الجمع بين مزايا قراءتي الحذف والإثبات.

ومن هذا المثال وما يوافقه يتبيَّن أن رسم القرآن والقراءات المتعددة راعت النواحي الشكلية الجمالية في نظم القرآن، فحذف ياءات المتكلم الدالة على المفعول، والواقعة في فواصل الآيات؛ مراعاة للانسجام الصوتي بين الفواصل، وهذا الغرض من جملة الأغراض البلاغية التي يمكن التعليل بها لحذف المفعول.

وبذلك يراعي القرآن الكريم وقراءاته الحفاظ على جمال النغَم، دون الإخلال بالمعاني، وبتلك الوجوه البلاغية جميعها يتحقق الإعجاز لنظم القرآن الذي لا يشابه في طريقة تأليفه وصياغته اللفظية والمعنوية الأسجاع والأشعار التي كانت مألوفة، بل خرج عن قوانين الكلام المعروفة، فحقق بذلك لنفسه سمة الإعجاز.

والمطلب الآتي سيتناول بالدراسة حذف قيود الفعل الأخرى ومتعلقاته في بعض القراءات أو ذكرها، وأثر ذلك في بلاغة نظم القرآن.

المطلب الثالث: حذف عناصر الجملة الأخرى في بعض القراءات، وأثره في بلاغة النظم.

تتضح القيمة البلاغية لحذف المسند إليه، وحذف قيود الفعل أكثر ما تتضح في حذف الفاعل والمفعول، وهذان العنصران من عناصر الجملة هما من أكثر العناصر التي وردت القراءات المتنوعة على التبادل بين حذفهما أو ذكرهما، وهناك عناصر أخرى ورد التبادل بين حذفها وذكرها في القراءات المتعددة في مواطن قليلة لا تكاد تذكر بإزاء ما ورد في حق الفاعل والمفعول.

فمما ورد من القراءات على التبادل بين الحذف والذكر أو الإضمار من عناصر الجملة: الفعل، المضاف، الصفة أو الموصوف. وهذا المطلب سيهتم بدراسة الأمثلة التي ورد فيها الحذف في القراءات المتواترة، وسيستعين أحياناً ببعض القراءات الشاذة التي تدلُّ على أن ثمة محذوفاً في القراءات المتواترة.

أولاً: حذف الفعل في بعض القراءات المتواترة، وأثره في بلاغة النظم.

كما ذكرت سابقاً فإن شواهد حذف الفعل (المسند) في القراءات المتواترة قليلة ونادرة جداً لا تكاد تذكر، ومما ورد في المتواتر من ذلك، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [سورة البقرة/٢٤٠]، حيث قرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص (وَصِيَّةً) بالنصب، وقرأ الباقون (وَصِيَّةٌ) بالرفع.[١]

وفي الجملة محذوف على كلتا القراءتين، فأما المحذوف في قراءة الجمهور (وَصِيَّةٌ) فهو إما المبتدأ أو الخبر؛ لأن تقدير المعنى: إما: وصيةٌ كائنة وحاصلةٌ لأزواجهم، وعلى هذا التقدير المحذوفُ هو الخبر. ويمكن أن يكون المعنى: الأمر أو المفروض أو الحكمُ وصيةٌ، وعلى هذا التقدير (وَصِيَّةٌ) خبر، والمبتدأ هو المحذوف.

وأما قراءة أبي عمرو ومن معه بالنصب فتجعل (وَصِيَّةً) مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف، تقديره: يوصون وَصِيَّةً، أو فليوصوا وَصِيَّةً، ويجوز أن يُقدَّر (أَلزِموا) فعلاً، مفعوله: (وَصِيَّةً)، والمعنى: ألزموا الذين يتوفون منكم وصيةً.[٢]

---

(١) السبعة، ص ١٨٤، والتيسير، ص ٦٤، والنشر، ٢/٢٦٠، وتحبير التيسير، ص ٣٠٦.

(٢) جامع البيان، ٥/٢٥١، وإعراب النحّاس، ١/٣٢٢–٣٢٣، وحجة ابن خالويه، ص ٩٨، وحجة الفارسي، ٢/٣٤١–٣٤٣، وحجة أبي زرعة، ص ١٣٨، والكشف عن وجوه القراءات، ١/٢٩٩، والكشاف، ١/٣١٧، والمحرر الوجيز، ١/٣٢٥–٣٢٦، وزاد المسير، ١/٢٨٥–٢٨٦، ومفاتيح الغيب، ٦/١٣٤، والتبيان في إعراب القرآن، ١/١٩٢، وإبراز المعاني، ١/٣٦٢، وأنوار التنزيل، ١/٥٣٧، والبحر المحيط، ٢/٢٥٤، والدر المصون، ٢/٥٠١–٥٠٣، واللباب، ٤/٢٣٩–٢٤٠، والسراج المنير، ١/١٨١، والإتحاف، ص ٢٩٠، والبحر المديد، ١/٢٣٥، وفتح القدير، ١/٣٩٣، وروح المعاني، ٢/١٥٨–١٥٩.

والغرض البلاغي من هذا الحذف هو: الإيجاز؛ لدلالة السياق على المحذوف، حيث ترك النظم أمر تقدير المحذوف للسامع، أو لمن أكرمهم الله ﷻ بعلم تأويل القرآن، وأوكل إليهم بيانه، وهم المفسرون الذين نذروا أنفسهم لبيان كلام الله، والإيضاح عن معانيه، وتفسير ما أجمل منه، وتقدير ما حُذف، ومنه هذا الموضع.

ومن وجوه البلاغة في القراءتين: أن قراءة الرفع تجعل الجملة اسمية فتفيد الثبوت واللزوم، وتدل على المبالغة في أهمية الوصية، وضرورة الإيصاء. وقراءة النصب تجعل الجملة فعلية تدل على التجدد والحدوث،[(١)] وتنبِّه على ضرورة تجديد الوصية حيناً بعد حين؛ لأن الإنسان لا يعلم متى توافيه المنيَّة.[(٢)] وبذلك تقوم القراءتان مقام آيتين.

ومما ورد محذوفَ الفعل في القراءات المتواترة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة البقرة/١٢٧]، فقد دلت قراءة عبد الله بن مسعود وأبيّ بن كعب ﵄: (وَيَقُولاَنِ: رَبَّنَا تَقَبَّلْ) على أن في الآية المتواترة فعلاً محذوفاً وهو فعل القول، وجملة: (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا) في محلّ نصب على الحال بإضمار قولٍ دلت عليه القراءة الشاذة، أي: يرفعان قائلين: ربَّنا.[(٣)]

ولعل الغرض البلاغي من حذف فعل القول في القراءة المتواترة هو القصد إلى أن تتوفر العناية بالمقول، ونستعيد الصورة أو الحال التي قيل فيها، وكأنها ماثلة أمامنا، فالقول على هذا مضمَر في الواقع، ومضمر في الجملة المعبِّرة عنه، ولو صرفنا اهتمامنا إلى تقدير القول المحذوف ليس غير لتغيَّر المعنى لدى المتلقي من استحضار صورة المقول إلى حكايته، فينقلب غرض الكلام.[(٤)]

وحذف القول في القرآن الكريم كثير جداً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ [سورة الأنعام/٩٣]، أي: يقولون: أخرجوا أنفسكم. ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۞ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [سورة الرعد/٢٣-٢٤]، أي: يقولون لهم: سلامٌ عليكم. ومنه قوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا

(١) التحرير والتنوير، ٢/٤٥٠.

(٢) الوجوه البلاغية في توجيه القراءات، ص ٤٤٧.

(٣) معاني الفَرَّاء، ١/٧٨، وجامع البيان، ٣/٦٤، والمحرر الوجيز، ١/٢١١، والجامع لأحكام القرآن، ٢/١٢٦، ومدارك التنزيل، ١/١٢٦، والبحر المحيط، ١/٥٥٩، والدر المصون، ٢/١١٤، واللباب، ١/٤٧٩–٤٨٠، وإرشاد العقل، ١/١٦٠، وفتح القدير، ١/٢٢١، وروح المعاني، ١/٣٨٤.

(٤) التوجيه البلاغي، ص ٢٩٤.

نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [سورة السجدة/١٢]، أي: يقولون: ربنا أبصرنا.[١] وإنما اخترت التمثيل بالآية موضع الدراسة؛ لأن القراءة الشاذة قد صرحت بالفعل المحذوف.

وفي القراءات الشاذة أمثلة كثيرة لحذف الفعل، تعرَّض بعض الدراسين لأمثلة منها، ولا أرى أنها تتناسب مع موضوع هذه الأطروحة؛ لعدم تقاطعها مع القراءة المتواترة التي تتجلى بلاغة النظم فيها.[٢]

ثانياً: حذف المضاف في بعض القراءات المتواترة، وأثره في بلاغة النظم.

وردت بعض القراءات المتواترة على التبادل بين حذف المضاف وعدمه، ومما ورد على هذا النمط قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [سورة المائدة/١١٢]، حيث قرأ جمهور القراء ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾، إلا الكسائي فإنه قرأ ﴿هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ﴾.[٣]

فأما قراءة الجمهور فواضحة وليس فيها أي حذف، ومعناها: هل يطيعك ربك في هذا الأمر، وهل يفعل هذا، وهل يقع منه إجابة إليه؟ فالاستفهام عن الاستجابة لا عن القدرة. وفي ذلك يقول ابن عباس ﷺ: كان الحواريون أعلم بالله من أن يشكُّوا أن الله تعالى يقدر على ذلك، وإنما معناه: هل يستطيع لك، أي: هل يطيعك؟ وهذه الصيغة من باب التلطف والتأدب في السؤال، فهي كقول بعض الصحابة لعبد الله بن زيد ﷺ: هل تستطيع أن ترينا كيف كان يتوضأ رسول الله ﷺ؟ مع جزمهم بأن عبد الله كان قادرًا على تعليمهم الوضوء، وكذلك كان الحواريون جازمين بأن الله ﷻ قادرٌ على إنزال المائدة، فالسؤال ليس بشكٍّ في الاستطاعة، وإنما سألوا بطريقة الأدب مع الله ﷻ، والتلطُّف في السؤال.[٤]

وأما قراءة الكسائي فتحتمل وجوهاً، منها:

١ - أن الحواريين عبَّروا بالاستطاعة عن طلب الطاعة، أي: إجابة السؤال، والمعنى: هل تسأل لنا ربك؟ وهل تستدعي طاعة ربك فيما تسأله؟[٥]

---

(١) معاني الفَرَّاء، ٨١/١.

(٢) راجع: التوجيه البلاغي، ص ٢٥٩–٢٦٢.

(٣) السبعة، ص ٢٤٩، والتيسير، ص ٧٥، والعنوان، ص ٨٨، والنشر، ٢٨٩/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٥١.

(٤) جامع البيان، ٢١٩/١١، ومعاني النحّاس، ٣٨٥/٢، وحجة ابن خالويه، ص ١٣٥، وحجة أبي زرعة، ص ٢٤١، والكشف عن وجوه القراءات، ٤٢٢/١–٤٢٣، والنكت والعيون، ٨٢/٢، والمحرر الوجيز، ٢٥٩/٢، والتبيان في إعراب القرآن، ٤٧٣/١، والجامع لأحكام القرآن، ٣٦٤/٦–٣٦٥، والبحر المحيط، ٥٧/٤، وإرشاد العقل، ٩٧/٣، والبحر المديد، ٢٢٧/٢، وروح المعاني، ٥٩/٧.

(٥) النكت والعيون، ٨٢/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٣٦٥/٦، وفتح القدير، ١٣٤/٢، والتحرير والتنوير، ٢٦٤/٥.

٢ – أن الكلام على حذف مضاف، والتقدير: هل تستطيع سؤالَ ربِّك، لكن حُذف المضاف، وألقى بحركة إعرابه على ما بعده، وعلى هذا أكثر المفسرين.(١)

فقراءة الجمهور ليس فيها أي حذف، أما قراءة الكسائي فأغلب المفسرين على أن فيها مضافاً محذوفاً، والغرض من هذا الحذف هو الإيجاز، وتحريك الأذهان إلى تقدير محذوف يتوافق مع سياق الآية.

ومما ورد على حذف المضاف من الجملة في بعض القراءات المتواترة، قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [سورة النساء/٣٤]، حيث قرأ جمهور القراء ﴿حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ برفع لفظ الجلالة، إلا أبو جعفر فإنه قرأ ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهَ﴾ بنصب لفظ الجلالة.(٢)

فأما قراءة الجمهور فليس فيها حذف، وهي تحتمل معاني منها: أنهن حافظات للغيب بحفظ اللّه إيَّاهُنَّ، وبتوفيقه لهن، أو بالَّذي حفظه اللَّهُ لَهُنَّ مِنْ مُهُورِ أزواجهِنَّ، والنَّفقة عليهن.(٣)

وأما القراءة الأخرى فلا بد فيها من تقدير مضاف محذوف لكي يستقيم المعنى؛ لأنَّ الذَّات المقدَّسة لا ينسب إليها أنها يحفظها أحَدٌ، وقد قدره المفسرون تبعاً لابن جني: بما حَفِظَ دين اللّه، أو أمر اللّه، أو حقَّ الله.(٤)

وقد صحَّ هذا الحذف استئناساً بالمقام وواقع الحال، والغرض من الحذف هنا هو الإيجاز، وتحريك ذهن السامع إلى تقدير المحذوف بما يتوافق مع السياق.

ومما ورد أيضاً على حذف المضاف من الجملة في بعض القراءات المتواترة، قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ۞ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [سورة

(١) جامع البيان، ٢١٨/١١، ومعاني النحّاس، ٣٨٥/٢، وحجة ابن خالويه، ص ١٣٥، وحجة الفارسي، ٢٧٣/٣، وحجة أبي زرعة، ص ٢٤١، والكشف عن وجوه القراءات، ٤٢٢/١، والنكت والعيون، ٨٢/٢، ومعالم التنزيل، ١١٧/٣، والمحرر الوجيز، ٢٦٠/٢، وزاد المسير، ٤٥٥/٢–٤٥٦، ومفاتيح الغيب، ١٠٧/١٢، والتبيان في إعراب القرآن، ٤٧٣/١، والجامع لأحكام القرآن، ٣٦٥/٦، والبحر المحيط، ٥٨/٤، والدر المصون، ٤٩٩/٤، وغرائب القرآن، ٣٧/٣، والسراج المنير، ٤٦٧/١، وإرشاد العقل، ٩٧/٣، وفتح القدير، ١٣٤/٢، وروح المعاني، ٥٩/٧، والتحرير والتنوير، ٢٦٤/٥.

(٢) تحبير التيسير، ص ٣٣٩.

(٣) البحر المحيط، ٢٥٠/٣، والدر المصون، ٦٧١/٣، واللباب، ٣٦١/٦.

(٤) المحتسب، ١٨٨/١، والمحرر الوجيز، ٤٧/٢، والتبيان في إعراب القرآن، ٣٥٤/١، والبحر المحيط، ٢٥٠/٣، والدر المصون، ٦٧١/٣، واللباب، ٣٦١/٦، والإتحاف، ص ٣٣٩، وروح المعاني، ٢٤/٥.

طه/٩٥، ٩٦] حيث قرأ القراء في المتواتر ﴿مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ على حذف المضاف الذي ذُكِر في قراءة عبد الله ابن مسعود ﷺ الشاذة (مِنْ أَثَرِ فرسِ الرَّسُولِ).(١)

ومعنى قراءة الجمهور لا يستقيم دون تقدير مضاف محذوف؛ لأن القبض بأطراف الأصابع من الرسول (جبريل ﷺ) غير ممكن، وإنما المراد: قبضتُ قبضة من التراب الذي خلفه حافر فرس الرسول.

وأنت ترى أن تقدير المضاف في هذه الآيات ضرورة؛ حيث لا يستقيم المعنى مع الغرض الذي سيق له الكلام إلا بها. والغرض البلاغي من حذف المضاف في هذه الأمثلة يتعلق بالدعوة إلى تقدير ما يدل عليه السياق، فهو من باب بلاغة الإيجاز. وإنما جاء الحذف في هذه الأمثلة متابعةً لما درج عليه العرب من ترك بعض الكلام؛ اعتماداً على صفاء الذهن، ودلالة المقام أو السياق.

ثالثاً: حذف الموصوف في بعض القراءات المتواترة، وأثره في بلاغة النظم.

وكذلك ورد حذف الموصوف في بعض القراءات، وتُرِك أمر تقديره للسامع في آيات منها قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [سورة البقرة/٨٣]، حيث قرأ جمهور القراء (حُسْنًا) بضم الحاء وسكون السين، وقرأ الأخوان ويعقوب وخلف (حَسَنًا) بفتح الحاء والسين.(٢)

فأما قراءة الجمهور فتحتمل وجهين من التأويل:

الأول: أنَّ (حُسْنًا) مصدر وُصِف القول به، إما على حذف مضاف، أي: قولاً ذا حُسْن، أو على الوصف بالمصدر للمبالغة؛ دلالةً على إفراط حسنه، أي: قولاً هو حُسْنٌ في نفسه. ويمكن أن يكون صفة أيضاً، لا لأنه مصدر، بل لأن الحُسْن والحَسَن لغتان، كالحُزْن والحَزَن.

والثاني: أنَّ (حُسْنًا) انتصب على المصدر (المفعول المطلق) من المعنى، أي: وليحسن قولكم حُسْناً.

وأما من قرأ (حَسَنًا) بفتحتين، فقد أجمع المفسرون على أنه صفة لمصدر محذوف، أي: وقولوا للناس قولاً حَسَناً، فحذف الموصوف، وكفَّ عن ذكره؛ لدلالة وصفه عليه.(٣)

---

(١) البحر المحيط، ٢٥٤/٦، وروح المعاني، ٢٥٣/١٦.

(٢) السبعة، ص ١٦٣، والتيسير، ص ٦١، والنشر، ٢٤٨/٢، وتحبير التيسير، ص ٢٩٠.

(٣) جامع البيان، ٢٩٤/٢—٢٩٥، وإعراب القرآن، المنسوب إلى الزجاج، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب الإسلامي، دار الكتاب المصري، القاهرة، د.ط.، د.ت، ٢٩٤/١، وإعراب النحّاس، ٢٤١/١، وحجة الفارسي، ١٢٧/٢—١٢٨، وحجة أبي زرعة، ص ١٠٣، والكشف عن وجوه القراءات، ٢٥٠/١، ومشكل إعراب القرآن، ١٠٢/١، ومعالم التنزيل، ١١٧/١، والمحرر الوجيز، ١٧٢/١—١٧٣، =

ولهذا الحذف في القرآن الكريم نظائر، منها قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ [سورة الرعد/٣]، ذكر الصفة (الرواسي) ولم يذكر الموصوف (الجبال)، ومنها قوله تعالى: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾ [سورة سبأ/١١] ذكر الصفة، ولم يذكر الدروع؛ إذ دل الوصف على الموصوف.[١]

وقد رجَّح أبو عبيد والطبري قراءة الأخوين (حَسَنًا) بفتح الحاء والسين؛ لأنها نعت، بمعنى: قولاً حسناً.[٢] وقال الطبري محتجاً لاختياره: "وأما (الحُسْن) فإنه صفة وقعت لما وصف به، وذلك يقع بخاصٍّ. وإذا كان الأمر كذلك، فالصواب من القراءة في قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حَسَنًا﴾ [سورة البقرة/٨٣]؛ لأن القوم إنما أمروا في هذا العهد الذي قيل لهم: "وقولوا للناس" باستعمال الحَسن من القول، دون سائر معاني الحُسن الذي يكون بغير القول، وذلك نعت لخاصٍّ من معاني الحُسن، وهو القول؛ فلذلك اخترت قراءته بفتح الحاء والسين، على قراءته بضم الحاء وسكون السين."[٣]

أي: إنَّ أبا عبيد ومن تابعه يستحسنون حذف الموصوف، ويرون أن القراءة الواقعة في موقع الصفة أبلغ وأوضح وأوفق للمقام من القراءة الأخرى. وهم بذلك يكشفون عن الوجوه البلاغية التي اشتملت عليها قراءة حذف الموصوف، إلا أن مسلكهم – الترجيح بين القراءات – يخالف الأولى؛ لأن جميع القراءات هي كلام الله ﷻ، والأجدر بهم الكشف عما في جميعها من وجوه بلاغية.

وأرى أن القراءتين في البلاغة سواء؛ لأن قراءة الأخوين يمكن أن تُحمَل على الوصف بالمصدر للمبالغة، ووجه بلاغتها ما فيها من التأكيد، والحضِّ على الإحسان؛ لأنه وضع المصدر موضع الاسم. وهذا إنما يستعمل للمبالغة في تأكيد الوصف، كرجل عدل وصوم. والقراءة الأخرى من الصفات المشبهة، ووجه بلاغتها ما فيها من الدلالة على ثبوت الوصف للموصوف، وملازمته له.[٤]

ومما ورد أيضاً على حذف الموصوف في بعض القراءات المتواترة، قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنعام/٣٢]، حيث قرأ جمهور القراء ﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ بلامين ورفع (الْآخِرَةُ)، وقرأ ابن عامر ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ بلام واحدة وجرِّ (الْآخِرَةِ).[٥]

وزاد المسير، ١/١٠٩–١١٠، ومفاتيح الغيب، ٣/١٥٣، وأنوار التنزيل، ١/٣٥٣، والبحر المحيط، ١/٤٥٣، والدر المصون، ١/٤٦٦–٤٦٧، واللباب، ٢/٢٣٦، وإرشاد العقل، ١/١٢٣.

(١) حجة أبي زرعة، ص ١٠٣.

(٢) الكشف والبيان، ١/٢٢٨.

(٣) جامع البيان، ٢/٢٩٥.

(٤) الانتصاف من الكشاف، ١/١٥٩.

(٥) السبعة، ص ٢٥٦، والتيسير، ص ٧٦، والنشر، ٢/٢٩٠، وتحبير التيسير، ص ٣٥٤.

فأما قراءة الجمهور فلا حذف أو إشكال فيها، فالدار مبتدأ صفته (الآخرة) وخبره (خير).

وأما قراءة ابن عامر فتحتمل وجهين من التأويل:

الأول: أن (دار الآخرةِ) من باب إضافة الموصوف إلى الصفة، كقولهم: مسجد الجامع.

والثاني: أن الجملة على تقدير مضاف تكون (الآخرةِ) وصفاً له، لكن حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه والتقدير: ولدارُ الحياةِ الآخرةِ. ومما يدل على الموصوف المحذوف أنه قد تقدَّم ذكر ما يدل عليه وصفته، وهو قوله: (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا).(١)

وأكثر المفسرين على أن الوجه الثاني أولى من الأول؛ لأن بعض اللغويين والمفسرين لا يستحسنون إضافة الشيء إلى صفته؛ لأنه كإضافته إلى نفسه. وأما ما ورد في القرآن الكريم على هذا النحو ك(دين القيمة، وحب الحصيد، وحق اليقين)، فهو أيضاً مما حُذف فيها الموصوف؛ لدلالة السياق والمقام، والتقدير: دين الملة القيمة، وحب الزرع الحصيد، وحق العلم اليقين.(٢)

ولأجل هذا الاعتراض أستحسن الوجه الثاني، وهو أن يكون الكلام على تقدير موصوف محذوف دلَّ السياق عليه؛ لأنه جارٍ على وجه لغوي كثر استعماله لدى العرب، وأجمع عليه العلماء.

والغرض من حذف الموصوف في هذه القراءات ونظائرها هو الإيجاز في الكلام؛ لتركيز المعاني الكثيرة في العبارات القليلة. أما الغرض من تبادل القراءات بين الحذف وعدمه فهو التفنن في حكاية القول بأكثر من أسلوب.

رابعاً: حذف الصفة في بعض القراءات المتواترة، وأثره في بلاغة النظم.

وكذلك ورد حذف الصفة في بعض القراءات في العديد من الآيات، منها قوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [سورة الكهف/٧٩] حيث قرأ قراء المتواتر هذه الآية بذكر السفينة، وحذف صفتها، وقد تمَّ تعيين الصفة المحذوفة في قراءة عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبيّ بن كعب ﷺ: (يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا).(٣)

---

(١) حجة الفارسي، ٣/٣٠١، والكشف عن وجوه القراءات، ١/٤٢٩–٤٣٠، ومفاتيح الغيب، ١٢/١٦٧، وإملاء العكبري، ١/٢٤٠، والبحر المحيط، ٤/١١٣، والدر المصون، ٤/٦٠٠، وغرائب القرآن، ٣/٦٣، وروح المعاني، ٧/١٣٤، والتحرير والتنوير، ٦/٧٠.

(٢) الحاشية السابقة، وإعراب القرآن، المنسوب إلى الزجاج، ١/٢٨٦–٢٨٧.

(٣) جامع البيان، ١٨/١٨٤، والنكت والعيون، ٣/٣٣٣، والكشاف، ٢/٦٩١، والمحرر الوجيز، ٣/٥٣٥، وأنوار التنزيل، ٣/٥١٦، والتسهيل لعلوم التنزيل، ١/٥١٧، والبحر المحيط، ٦/١٤٥، وفتح القدير، ٣/٤٣٤.

وأعتقد أن هذه القراءة هي من إضافات الصحابة ﷺ التفسيرية؛ إذ أجمع المفسرون على أن سياق الآية يبيّن أن الملك كان يأخذ كل سفينة صالحة للاستعمال غير معيبة، بدليل قوله: (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا)، ولأجل ذلك طوى القرآن ذكر الصفة؛ لتحقيق الإيجاز؛ لأن ذكر الصفة في هذا الموضع إطالة في النظم من غير طائل.(١)

جاء في التسهيل لعلوم التنزيل: " كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا: عموم معناه الخصوص في الجياد، والصحاح من السفن، ولذلك قرأ ابن مسعود: يأخذ كل سفينة صالحة."(٢)

ومما ورد على حذف الصفة في القراءة المتواترة، والتصريح بها في القراءة الشاذة قوله تعالى في بيان كفارة اليمين: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ [سورة المائدة/٨٩]، حيث قرأ أبيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود ﷺ: (فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ).(٣)

وقد أطلقت القراءة المتواترة الأيام الثلاثة المطلوب صيامها في كفارة اليمين عن الوصف، وقيدتها القراءة الشاذة بالتتابع؛ ولذلك اشترط أبو حنيفة(٤) وأحمد التتابع في صيام الكفارة؛ احتجاجاً بالقراءة الشاذة، واستحب المالكية والشافعية في الأظهر من مذهبهم التتابعَ في كفارة اليمين؛ استئناساً بها؛ لأن القراءة الشاذة ليست حجة تثبت بها الأحكام؛ ولذلك لا يرجح مضمونها على معنى القراءة المتواترة المجمع على ثبوتها.(٥)

---

(١) جامع البيان، ١٨٤/١٨، والكشف والبيان، ١٨٧/٦، والتسهيل لعلوم التنزيل، ٥١٧/١، وفتح القدير، ٤٣٤/٣، والتحرير والتنوير، ١٥٨/٥، ١٣٢/٧، ٢٩/١٣، ٤٥/٢٢.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، ٥١٧/١.

(٣) جامع البيان، ٥٥٩/١٠–٥٦١، والنكت والعيون، ٦٣/٢، والكشاف، ٧٠٦/١، والمحرر الوجيز، ٢٣٢/٢، وأنوار التنزيل، ٣٦١/٢، وتفسير القرآن العظيم، ١٧٧/٣، واللباب، ٥٠٢/٧، وغرائب القرآن، ١٠/٣، وروح المعاني، ١٤/٧.

(٤) هو النعمان بن ثابت بن زُوطَى بن ماه الفقيه التيمي الكوفي، أبو حنيفة، أحد الأئمة الأربعة، ولد في الكوفة سنة ٨٠هـ، ونشأ فيها، ذهب به والده ثابت إلى علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وهو صغير، فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته. أدرك أبو حنيفة أربعة من الصحابة، رضوان الله عليهم وهم: أنس بن مالك وعبد الله بن أبي أوفى بالكوفة، وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة، وأبو الطفيل عامر بن واثلة، ولم يلق أحداً منهم ولا أخذ عنه. أخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان، وسمع عطاء بن أبي رباح وأبا إسحاق السبيعي، ونافعاً مولى عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، وهشام بن عروة وغيرهم؛ وروى عنه عبيد الله بن المبارك، ووكيع بن الجراح، والقاضي أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني، وغيرهم. كان يبيع الخز ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والافتاء. قال فيه الإمام الشافعي: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة. توفي في بغداد سنة ١٥٠هـ، ودفن بمقبرة الخيزران رحمه الله تعالى. انظر: وفيات الأعيان، ٤٠٥/٥–٤١٤، وسير أعلام النبلاء، ٣٩٠/٦–٤٠٣.

(٥) انظر: الحاشية قبل السابقة، والبرهان في أصول الفقه، ٤١٢/١، وبدائع الصنائع، ٧٦/٢، ١١١/٥، وبداية المجتهد ونهاية المقتصد، ٣٣٦/١، والتقرير والتحبير، للعلّامة محمد بن محمد ابن أمير الحاج الحنبلي (٧٣٣هـ)، تح: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤١٩/١هـ-١٩٩٩م، ٢٤٩/٢–٢٥٢.

ومن هذا الاختلاف الفقهي يتبيَّن أن الغرض من حذف الصفة في القراءة المتواترة هو التيسير على الناس بترك الخيار لهم في تأدية الكفارة، فمن قدر على التتابع صام الأيام الثلاثة على ما بينته القراءة الشاذة، دون أن يعارض ما جاء في المتواتر، ومن لم يطق ذلك عمل بمضمون القراءة المتواترة، دون أن يكون عليه حرجٌ في ذلك. وبذلك يكون ترك الوصف في القراءة المتواترة أبلغ من التقييد به؛ لأن حذف الصفة يجعل النظم أعم دلالة، وأشمل تطبيقياً؛ إذ يستوعب بذلك معنى الإطلاق، ومعنى التقييد، خلافاً للقراءة الشاذة.

يقول الطبري: "فأما ما رُوي عن أبيّ وابن مسعود من قراءتهما: (فصيام ثلاثة أيام متتابعات)، فذلك خلاف ما في مصاحفنا، ... غيرَ أني أختار للصائم في كفَّارة اليمين أن يُتَابع بين الأيام الثلاثة، ولا يفرِّق؛ لأنه لا خلاف بين الجميع أنه إذا فعل ذلك فقد أجزأ ذلك عنه من كفارته، وهم في غير ذلك مختلفون، ففعلُ ما لا يُخْتَلف في جوازه، أحبُّ إليَّ، وإن كان الآخر جائزًا."[١]

ومن الأمثلة المذكورة في هذا المطلب يمكن الحكم بأن الغرض البلاغي من حذف ما عدا الفاعل والمفعول يتمثَّل غالباً في الإيجاز، والتعويل على فهم السامع، وقدرته على تقدير لفظ يقتضيه المقام والسياق.[٢] كما أنَّ تبادل القراءات بين الحذف وعدمه يعدُّ من باب التفنن في تأدية المعنى.

وبذلك تتبيَّن الوجوه البلاغية الناتجة عن تنوع القراءات بين الحذف والذكر، وينكشف أثرها في بلاغة النظم. والمبحث الآتي سيدرس أحوالاً أخرى من الأحوال التي تعرض للمسند والمسند إليه، وعناصر الجملة الأخرى؛ ليبيِّن وجوهها، وآثارها البلاغية.

---

(١) جامع البيان، ٥٦٢/١٠.

(٢) التوجيه البلاغي، ص ٢٨٩–٢٩٠.

المبحث الثاني: التبادل بين التنكير والتعريف، أو التقديم والتأخير، وأثره في بلاغة النظم.

المطلب الأول: تبادل القراءات بين التعريف والتنكير، وأثره في بلاغة النظم.

المطلب الثاني: تبادل القراءات بين التقديم والتأخير، وأثره في بلاغة النظم.

تقدم في المبحث السابق دراسة أحد أهم الأحوال التي تعرض للمسند والمسند إليه، وهو الحذف والذكر، وقد أفردته بمبحث مستقل لكثرة الأمثلة التي تنطبق عليه في القراءات المتواترة.

وهذا المبحث سيتناول أحوالاً أخرى من أحوال المسند والمسند إليه، وعناصر الجملة الأخرى، وهي: التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، وقد جمعت دراسة هذه الأحوال في هذا المبحث بسبب قلة الأمثلة التي تنطبق عليها في القراءات المتواترة.

ويعدُّ التعريف والتنكير من أهم أحوال الاسم عموماً، والمسنَد والمسنَد إليه خصوصاً؛ لأن كل واحد منهما – إذا كان مفرداً لا جملة – إما أن يكون نكرة أو معرفة، وكل من هذين الحالين له دواعٍ ومقاصد بلاغية تدعو إليه.

أما التقديم والتأخير فإنه من الأحوال التي تدل على تمكُّن المتكلم في العربية، وقدرته على تحريك الكلمة داخل الجملة إما تحقيقاً، أو تقديراً نتيجة التغيير في حركة الإعراب التي تتيح للكلمة حرية الحركة داخل النسق العام، ومن ثم الدلالة على أن ثمة غرضاً بلاغياً وراء الخروج عن القواعد العامة يقصد إليه البليغ.

وقد رصد استقراء القراءات المتواترة نماذج تمتُّ لهذه الأحوال المذكورة بالصلة، حيث كشف عن قراءات متواترة تدور بين حالتي التنكير والتعريف، وقراءات متواترة تجري على التعريف أو التنكير، خلافاً لما ورد في القراءات الشاذة. وكذلك كشف الاستقراء عن وقوع التبادل بين حالتي التقديم والتأخير الحقيقي والتقديري فيما بين القراءات المتواترة، أو بين المتواترة والشاذة.

والمطالب الآتية ستدرس الأغراض البلاغية لهذه الأحوال، وتستخرج الوجوه التي أسفر عنها تبادل القراءات بين هذه الأحوال، وأثره في بلاغة نظم القرآن.

المطلب الأول: تبادل القراءات بين التعريف والتنكير، وأثره في بلاغة النظم.

النكرة: اسم يطلق على شيء شائع في جنس أو نوع ، قليلاً كان أم كثيراً، مفرداً أم جمعاً، وهو لا يدل على شيء معين معلوم في ذهن المتكلِّم أو المخاطب، بل إن التمييز والتعيين لا يتأتى إلا بالتعريف.[١]

ويتم التعريف بأحد أنواع المعارف، وهي: الإضمار، العلمية، الإشارة، اسم الموصول، (ال) التعريف، الإضافة، أو النداء. وكل نوع منها له مقام يدعو لاستعماله، وأغراض بلاغية يقصد إليها.

وقد دلَّ الاستقراء على أن تنوع القراءات لم يجرِ بين التنكير وجميع أنواع المعارف المذكورة، بل جرى غالباً بين التنكير والتعريف بالإضافة، وأحياناً بين التنكير والتعريف ب(ال). وسأتعرض لذكر الأغراض البلاغية للتعريف بهذين النوعين في فقرتي هذا المطلب، وسأترك الحديث عن الأغراض التي تشير إليها أنواع المعارف الأخرى؛ لأن المقام لا يتسع لبسط الحديث عن جميعها، ويمكن معرفتها بالرجوع إلى كتب البلاغة التي أفاضت في تفصيلها.[٢]

والأصل في المسند إليه أن يكون معرفة؛ لأنه المحكوم عليه في الجملة، فينبغي أن يكون معلوماً، ليكون الحكم مفيداً، وقد يأتي نكرة لأغراض بلاغية تدعو لذلك، أما المسند فالأصل فيه التنكير؛ لإفادةِ العلمِ بشيءٍ مجهولٍ، وقد يأتي معرفة؛ لأغراض بلاغية تدعو للتعريف.[٣]

وأهم الأغراض البلاغية التي تدعو لتنكير المسند إليه، أو متعلَّقات الفعل، كالمفعول به مثلاً هي:[٤]

أولاً: الجهل بما يُعَرِّف المذكور بقسم من أقسام المعرفة، نحو: (جاء **رجلٌ** يسأل عنك)، وهذا الغرض لا يمكن أن يتأتى في تنكير بعض القراءات؛ لأنه يستحيل نسبة الجهل إلى الله ﷻ.

ثانياً: القصد إلى عدم تعيينه؛ لغرض ما، وقد يكون هذا الغرض الإفراد، أي: القصد إلى فرد مما يقع عليه اسم الجنس؛ لأن تعيينَه زائد على ما يقصد المتكلم بيانه، نحو: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ **رَجُلٌ** يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُواْ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة يس/٢٠]. أو لإخفاء شخص المتحدَّث عنه؛ لمصلحةٍ يراها المتكلم، كالتشويق إليه، أو الخوف عليه، نحو قول أخت موسى عليه السلام، التي كانت تتابع ما يجري لأخيها بعد أن ألقته أمه في اليمّ، فقالت لمن

(١) البلاغة العربية، ، ١/٣٩٦.

(٢) راجع: مفتاح العلوم، ص ٣٦٦-٣٨٠، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٣٩–٤٨، ومختصر المعاني، ص ٤٨–٥٧، وخصائص التراكيب، ص ١٥٤–١٧٧، ص ٢٦٨ ٢٧٥، والبلاغة العربية، ١/٤١٠–٤٥٠.

(٣) مختصر المعاني، ص ٤٨.

(٤) مفتاح العلوم، ص ٣٨٥–٣٨٨، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٤٨–٥٣، ومختصر المعاني، ص ٥٧–٥٨، وخصائص التراكيب، ص ١٧٨–١٨٥، والبلاغة العربية، ١/٤٠٠–٤٠٩.

يبحثون له عن مرضعة ترضعه، وتكفله: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ **بَيْتٍ** يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [سورة القصص/١٢]، حيث لم تحدّد أهل البيت، ولم تعرّفهم؛ خوفاً على موسى عليه السلام.

ثالثاً: أن يكون المراد ذكر واحد غير معين من الجنس أو النوع ، نحو: ﴿اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ **أَرْضاً** يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ [سورة يوسف/٩]، أي: أرضاً ما بعيدة دون تعيين، حتّى يضلّ أو تأكله الوحوش.

رابعاً: إرادة التكثير، بشرط أن تدلَّ القرائن على ذلك، وعندها يُحذَف الوصف الدالّ على الكثرة، ويُكتَفَى بدلالتي التنكير والقرينة. نحو: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ **جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ** ۞ **وَزُرُوعٍ** وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [سورة الدخان/٢٥-٢٦].

خامساً: إرادة التقليل أو التحقير، بشرط أن تدلَّ القرائن على ذلك، وعندها يُحذَف وصف القلة ويُكتَفَى بدلالتي التنكير والقرينة. نحو: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا **مَتَاعٌ** وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [سورة غافر/٣٩].

سادساً: إرادة التهويل، بشرط أن تدلَّ القرائن على ذلك، نحو: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۞ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ **بِحَرْبٍ** مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [سورة البقرة/٢٧٨-٢٧٩]، أي: بحربٍ شديدةٍ هائلة مخيفة، ودلّ على ذلك كَوْنُها من الله ورسوله، وكونُها عقوبة على كبيرة من الكبائر.

سابعاً: إرادة التعظيم أو التفخيم، نحو: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ **هُدًى** لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة/٢]، أي: هُدىً عظيم جليل، ودلّ على إرادة التفخيم والتعظيم قرينة تمجيد القرآن، ووصفه بأنه لا ريب فيه. وهذا الآية تصلح شاهداً لتنكير المسند إن قلنا بأن (هدى) خبر، وشاهداً لتنكير المسند إليه على القول بأنه مبتدأ.

ثامناً: إرادة نوع من الأنواع، نحو: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ﴾ [سورة آل عمران/١١١]، حيث جاء في هذا الآية تنكير لفظ (أذىً) لإرادة أنه نوع خفيف من أنواع الضّرَر، فالمعنى: لن يضرُّوكم إلاّ ضرراً هو نوعٌ من أنواع الأذى.

تاسعاً: إرادة التعميم، بشرط أن تدل القرائن عليه، نحو: (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)، أي: عليم بكلّ شيءٍ، خبير بكلّ ما يصلح بطبيعته للاختبار؛ إذ دلّ العقل ونصوصُ الشرع على أنّ صفاته جل جلاله عموم وشمول تامّ فيما هي له.

وأما أهم دواعي تنكير المسند فهي: إرادة الإطلاق وعدم الحصر؛ إذ التعريف فيه تَقْيِيدٌ وحصر. نحو: (زيد كاتبٌ، وعمرو شاعرٌ)، أو إرادةُ التفخيم، نحو: (هدىً للمتّقين) بناءً على كونهِ خبراً لمبتدأ محذوف، أو إرادة التحقير، نحو: (ما زيد شيئاً).(١)

والحقيقة أن الدواعي والأغراض البلاغية للتنكير لا تنحصر فيما ذُكِرَ؛ إذ إن اختيار النكرة في الكلام ممّا

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٩٧، ومختصر المعاني ص ٩٧.

تتشعّب فيه أغراض البلغاء، وقد تتفَتّقُ قرائح الّلاحقين عن أشياء لم يتنبّه لها السابقون؛ إذ الأمر ليس اصطلاحاً لغويّاً حتّى ينحصر فيما اصطلح عليه الأولون، بل هي أغراضٌ تُقْصَدُ بلاغياً من خلال استعمالٍ لغويّ قابل لدلالات كثيرة.[١]

وهذا المطلب سيتناول بالدراسة نماذج من القراءات المتبادلة بين حالتي التنكير والتعريف بالإضافة، أو بـ(ال)، ويستخرج الوجوه البلاغية التي يدل عليها كل من التنكير والتعريف، وأثر هذا التبادل في بلاغة نظم القرآن.

---

(١) البلاغة العربية، ١/٤٠٠.

أولاً: تبادل القراءات بين التنكير والتعريف بـ(ال).

تبيَّن في مقدمة هذا المبحث الأغراض البلاغية التي يدل عليها التنكير، أما التعريف باللام فيكون لإفادة معنى من المعاني التي تدل عليها لام التعريف بقسميها: العهدية، والجنسية.

فأما اللام العهدية فتدخل على الاسم؛ لتشير إلى معهود لدى المخاطب، وهي تشير إما إلى:

١ - معهود في الذكر، وهو ما تقدَّم ذكره صراحةً، نحو: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ [سورة النور/٣٥] فقد تقدَّم ذكر المصباح والزجاجة منكَرين، ثم معرَّفَين.

٢ - أو إلى معهود في الذهن، وهو ما تقدم ذكره تلميحاً، نحو: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾ [سورة آل عمران/٣٦]، فـ(الذَّكَر) لم يتقدم ذكره صريحاً، لكن أشير إليه بـ(ما) في قوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [سورة آل عمران/٣٥]؛ إذ التحرير وهو العتق لخدمة بيت المقدس لم يكن إلا للذكور، فهو المعني بـ(ما) في كلامها، ويسمى هذا العهد: العهد الكنائي.

٣ - أو إلى معهود حاضر وقت الخطاب، نحو: ﴿قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۞ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [سورة الأعراف/١٠٩-١١٠]، فلفظ (الْمَلأ) يشِيرُ إلى الْمَلأ الحاضرين فِي مَجْلِسِ فِرْعَوْن حِينَ قدَّم مُوسَى عليه السلام آياته، أو بمنزلة الحاضر، نحو: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [سورة الفتح/١٨]، ونحو: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [سورة التوبة/٤٠]، أي: الشجرة والغار المعهودين لك.

وأما لام الجنس، فتسمى لام الحقيقة، وتشمل: لام الحقيقة من حيث هي وتسمى: لام الجنس، ولام العهد الذهني، ولام الاستغراق الحقيقي، ولام الاستغراق العرفي. وهذه اللام تدخل على الاسم لتفيد أحد الأغراض الآتية:

١ - الإشارة إلى الحقيقة من حيث هي بقطع النظر عن عمومها وخصوصها، نحو: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [سورة الأنبياء/٣٠]، فهي تشير إلى جنس الماء، بقطع النظر عن الأفراد. وهذه اللام هي: لام الجنس.

٢ - الإشارة إلى الحقيقة في ضمن فرد مبهم، نحو: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ [سورة يوسف/١٣]. وهذا النوع من المعارف هو أقرب أنواع المعارف إلى النكرة. وهذه اللام تسمى: لام العهد الذهني.

٣ - الإشارة إلى الحقيقة في ضمن جميع الأفراد التي يتناولها اللفظ بحسب اللغة، وتسمى لام الاستغراق الحقيقي. ودليل الشمول والاستغراق إما: القرينة الحالية نحو: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة التغابن/١٨]، أي: كل غيب وشهادة. أو القرينة اللفظية نحو: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [سورة العصر/٢]، أي: كل إنسان بدليل الاستثناء بعده. وهذه اللام تسمى: لام الاستغراق الحقيقي.

٤ - الإشارة إلى جميع الأفراد التي يتناولها اللفظ بحسب متفاهم العرف، نحو: (جمع الملك الوزراء، وألقى

عليهم نصائحه)، فإن المقصود وزراء مملكته، لا وزراء العالم أجمع. وهذه اللام تسمى: لام الاستغراق العرفي.(١)

وعلى البليغ أن يختار لكلامه ما يلائم المعنى الذي يريد أن يعبّر عنه، مما يراه أكثر مطابقة لمقتضى الحال. وفيما يأتي دراسة للأغراض البلاغية التي يدل عليها التنكير والتعريف بـ(ال) في بعض القراءات المتواترة.

فعلى سبيل المثال اتفق قراء المتواتر على تنكير كلمة (حَيَاةٍ) من قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة البقرة/٩٦]، وقرأ أبي بن كعب ﷺ: (عَلَى الحَيَاةِ) بالتعريف.(٢)

واللام في قراءة أبي هي لام الجنس التي تشير إلى الحقيقة من حيث هي بقطع النظر عن عمومها وخصوصها، أي: إنَّ تعريف الحياة في الآية كتعريفها في قولنا : كلُّ أحدٍ يحبُّ الحياةَ ويكرهُ الموتَ.(٣)

أما التنكير في القراءة المتواترة فهو لبيان النوعية مع الإبهام، أي: إنَّ التنكير يدل على أن المراد الدلالة على نوع من الحياة مخصوص، وهو الحياة الزائدة، وهذا يبيّن مدى حرصهم على أن يزدادوا إلى حياتهم في الماضي والحاضر حياة مبهمة غير معلومة المقدار في المستقبل، ومنه يعلم حرصهم على الحياة المتطاولة.(٤)

ويجوز أن يراد بالتنكير أيضاً التحقير، ويكون المعنى: أنهم أحرص الناس على هذه الحياة الدنيئة الفانية، ويتناسون الحياة الحقيقية في الدار الآخرة.(٥)

وذهب أبو حيان إلى جواز أن يكون الكلام على حذف مضاف، والتقدير: على طول حياة، أو على حذف صفة، أي: على حياة طويلة. والظاهر أنه لو لم يقدر حذف لصح المعنى، والتقدير: أنهم أحرص الناس على مطلق حياة؛ لأن من كان حريصاً على مطلق حياةٍ، وهي المتحققة بأدنى زمان، فحرصُه على حياة طويلة أَولى، وبذلك يكون الله ﷻ قد ذمهم بأنهم أشد الناس حرصاً على حياة، ولو ساعة واحدة.(٦) ووجه الذم أنك

---

(١) مفتاح العلوم، ص ٣٧٦–٣٧٨، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٤٥–٤٨، ومختصر المعاني، ص ٥٤–٥٦، والبلاغة العربية، ١/٤٣٦–٤٤٤.

(٢) مفاتيح الغيب، ٣/١٧٦، والبحر المحيط، ١/٤٨١، والدر المصون، ٢/١١، واللباب، ٢/٣٠١، وروح المعاني، ١/٣٢٩.

(٣) دلائل الإعجاز، ص ٢٢٣.

(٤) مفاتيح الغيب، ٣/١٧٦، وأنوار التنزيل، ١/٣٦٥، والبحر المحيط، ١/٤٨١، والدر المصون، ٢/١١، واللباب، ٢/٣٠١، وغرائب القرآن، ١/٣٤٠، والسراج المنير، ١/٩٠، وفتح القدير، ١/١٨٠، وروح المعاني، ١/٣٢٩، والتفسير المنير، ١/٢٢٩. وانظر: دلائل الإعجاز، ص ٢٢٢–٢٢٣، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٤٩.

(٥) روح المعاني، ١/٣٢٩.

(٦) البحر المحيط، ١/٤٨١.

إذا عرفت بأنهم لما كانوا أحرص الناس على مطلق حياة، قلت: فكيف إن كبرت وطالت؟ فإن ذلك سيكون أبلغ في وصفهم بشدة الحرص عليها.(١)

ولأجل هذه المعاني المستفادة من تنكير كلمة (حَيَاةٍ) ذهب بعض المفسرين إلى أن التنكير في الآية المتواترة أبلغ من التعريف في قراءة أبي؛(٢) لأن التنكير أنسب لسياق الآية وغرضها، وهو بيان حرصهم على الحياة الطويلة، وعدم رغبتهم في مواجهة الموت. وهو أليق بمقام الذم؛ لأنه إذا كان المعنى وصفهم بالحرص على أدنى حياة ومطلق حياة، فإن جميع المعاني التي يحتملها التنكير في القراءة المتواترة تبيّن شدة اتصافهم بهذا الوصف (الحرص)، وهي أبلغ في الذم مما لو قيل بأن التنكير للتحقير.

وما أبلغ عبارة الجرجاني وهو يبيّن ما في التنكير في هذا المقام من لطائف دقيقة لا تجدها في التعريف: " ومما يَنْظُر إلى مثلِ ذلكَ قولُه تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ [سورة البقرة/٩٦] إذا أنتَ راجعتَ نفسَكَ، وأذكيْتَ حِسَّك وجدتَ لهذا التنكيرِ، وأنْ قِيلَ: "على حياةٍ" ولم يُقَلْ: (على الحياةِ) حُسناً وروعةً ولطفَ موقعٍ لا يُقادَرُ قَدْرُه. وتجدُك تَعْدَم ذلك مع التعريفِ، وتخرجُ عن الأريحيَّة والأُنْسِ إلى خلافِهما. والسَّبَبُ في ذلك أنَّ المعنى: على الازديادِ منَ الحياةِ، لا الحياةِ من أصلِها، وذلك لا يحرص عليه إلاّ الحيُّ. فأمَّا العادمُ للحياة فلا يَصِحُ منه الحرصُ على الحياةِ ولا على غيرها. وإذا كانَ كذلكَ صارَ كأنه قيلَ: ولتجدنَّهم أحرصَ الناسِ – ولو عاشوا ما عاشوا – على أن يزدادوا إلى حياتِهم في ماضي الوقت وراهِنِه حياةً في الذي يُسْتَقْبَلُ. فكما أنَّك لا تقولُ هاهنا أن يزدادوا إلى حياتِهم الحياةَ – بالتعريفِ – وإنما تقولُ: حياةً؛ إذْ كانَ التعريفُ يصلحُ حيثُ تُرادُ الحياةُ على الإطلاق، كقولنا: كلُّ أحدٍ يحبُّ الحياةَ ويكرهُ الموتَ، كذلك الحكمُ في الآية."(٣)

ومما اتفق قراء المتواتر على قراءته بالتنكير كلمة (نبيٍ) في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [سورة الأنفال/٦٧]، وقرأ أبو الدرداء ﷺ وأبو حيوة: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ) بالتعريف.(٤)

والتعريف في قراءة أبي الدرداء ﷺ للعهد، والقراءة به تصرف كلمة النبي إلى معيَّن، وتجعل المقصود بالكلام نبينا ﷺ، دون سائر الأنبياء.(٥) أما التنكير في القراءة المتواترة فلإرادة التعميم، أي: ما كان لنبي أرسله الله أن

---

(١) الدر المصون، ٢/١١، واللباب، ٢/٣٠١.

(٢) دلائل الإعجاز، ص ٢٢٢–٢٢٣، ومفاتيح الغيب، ٣/١٧٦، والبحر المحيط، ١/٤٨١، والدر المصون، ٢/١١، واللباب، ٢/٣٠١.

(٣) دلائل الإعجاز، ص ٢٢٢–٢٢٣.

(٤) الكشاف، ٢/٢٢٣، والبحر المحيط، ٤/٥١٣، واللباب، ٩/٥٦٨، وروح المعاني، ١٠/٣٢.

(٥) مفاتيح الغيب، ١٥/١٦٠، وأنوار التنزيل، ٣/١٢١، واللباب، ٩/٥٦٨، وروح المعاني، ١٠/٣٢.

يكون له أسرى حتى يتمكن سلطانه وأمره في الأرض.(١)

والقراءة بالتنكير أبلغ من قراءة التعريف؛ لأن فيها عموماً وإبهاماً؛ إذ إنها لا توجه النفي إلى معيَّن، وبذلك تجعل ما ذُكِرَ من الكلام بمنزلة قاعدة عامة، وسنة مطردة فيما بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أي: ما صح وما استقام لنبي من الأنبياء عليهم السلام.(٢)

اللهم إلا أن تُحمَل قراءة أبي الدرداء ﷺ بالتعريف على العموم كما في التنكير، وهو وجه ذكره أبو حيان والألوسي،(٣) لكنِّي أراه مستبعداً؛ لأن دلالة التعريف البلاغية غير دلالة التنكير.

وقيل: إن نبينا ﷺ هو المراد أيضاً بالقراءة المتواترة، لكن عبَّر ﷻ بالتنكير؛ تلطفاً به ﷺ حتى لا يواجه بالعتاب،(٤) ولأجل هذا الغرض (التلطُّف به ﷺ) أجاز أبو حيان أن يكون الكلام على حذف مضاف، والتقدير: ما كان لأصحاب نبي أو لأتباع نبيّ، لكن حُذف المضاف اختصاراً. ودليل ذلك أن قوله ﷻ: (تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا) جاء جمعاً، ولم يقل: "تريد أو يريد عرض الدنيا" موجهاً الخطاب إلى المفرد؛ لأنه ﷺ لم يأمر باستبقاء الرجال وقت الحرب، ولا أراد عرض الدنيا قط، وإنما فعله جمهور مباشري الحرب.(٥)

وهذا التقدير جائز، غير أن حمل التنكير على العموم يحقق الغرض الذي يرمي إليه أبو حيان في تقدير المضاف. وبذلك يتضح أن القراءة المتواترة بالتنكير أبلغ من قراءة التعريف من جهتين: أنها ألطف وقعاً على النبي ﷺ، وأنها تجعل مضمون الكلام بمنزلة سنة مطردة في حقِّ جميع الأنبياء عليهم السلام، وهذا أكثر تسلية للنبي ﷺ من توجيه الخطاب إليه مباشرة.

وعلى العكس مما سبق في المثالين الآنفي الذكر فقد اتفق قراء المتواتر على تعريف كلمة (الرُّسُلُ) في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [سورة آل عمران/١٤٤]، وقوله: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [سورة المائدة/٧٥]، وفي مصحف عبد الله بن مسعود ﷺ (رُسُلٌ) بالتنكير في الآيتين.(٦)

---

(١) روح المعاني، ١٠/٣٣.

(٢) إرشاد العقل، ٤/٣٥، وروح المعاني، ١٠/٣٣.

(٣) البحر المحيط، ٤/٥١٣–٥١٤، وروح المعاني، ١٠/٣٣.

(٤) روح المعاني، ١٠/٣٣.

(٥) البحر المحيط، ٤/٥١٤، وروح المعاني، ١٠/٣٣.

(٦) نُسِبت هذه القراءة إلى ابن عباس ﷺ، وحطان بن عبد الله الرقاشي. انظر: المحتسب، ١/١٦٨، والمحرر الوجيز، ١/٥١٦، ٢/٢٢٢، ٢/٢٢٢، والبحر المحيط، ٣/٧٤، ٣/٥٤٥، والدر المصون، ٣/٤١٥. وفي البحر المحيط: " وفي مصحف عبد الله (رسلٌ) بالتنكير، وبها =

وقد وجَّه أبو الفتح ابن جني التعريف والتنكير في هذه الآية بقوله بعد أن ذكر قراءة التنكير: "هذه القراءة حسنة في معناها؛ وذلك أنه موضع اقتصاد بالنبي ﷺ، وإعلام أنه لا يلزم ذمّته ممن يخالفه تبعةٌ، لقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [سورة العنكبوت/١٨]، وقوله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [سورة آل عمران/١٢٨]، وقوله: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [سورة الرعد/٧]، وقوله: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ [سورة يونس/٤٢].

ومعلومٌ أن (إنما) موضوعة للاقتصاد والتقليل، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر/٢٨]، فهذا كقوله: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [سورة هود/٤٠]، وقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ [سورة ص/٢٤]، وقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سورة سبأ/١٣]. فلما كان موضع اقتصادٍ به، وفكٍّ ليد الذمِّ عن ذمَّتِه، وكان من مضى من الأنبياء عليهم السلام في هذا المعنى مثله لاقَ بالحال تنكير ذكرهم بقوله: "قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ رُسُلٌ." وذلك أن التنكير ضربٌ من الكف والتصغير، كما أنَّ التعريف ضربٌ من الإعلام والتشريف."[(١)]

ثم قال: "فجرى قوله ﷻ: " قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ رُسُلٌ" مجرى قولك لصاحبك: اخدم كما خدَمَنا غيرُك من قبلك، ولا تبعة عليك بعد ذلك، فهذا إذاً موضع إسماح له، فلا بد من إلانة ذكره، وعليه جاء قوله تعالى: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ﴾، فأضاف ﷻ من عذرهم، وأَعلَم أن لا متعلَّق عليه بشيءٍ من أمرهم، فلهذا حسن تنكير (رُسُلٌ) ها هنا، والله أعلم.

وأما من قرأ: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فوجه تعريفهم ومعناه: أنكم قد عرفتم حال من قبله من الرسل في أنهم لم يُطَالَبوا بأفعال من خالفهم، وكذلك هو ﷺ، فلما كان موضع تنبيه لهم كان الأليق به أن يومئ إلى أمر معروف عندهم."[(٢)]

وقد اطَّلع جمهور المفسرين على هذا التوجيه في المحتسَب ونقلوا لنا عن ابن جني أن القراءة بتعريف الرسل أوجه في الكلام،[(٣)] ومن ثَمَّ استخلصوا أن التعريف في القراءة المتواترة للتعميم أولاً، وللتفخيم والتعظيم ثانياً، والتنويه بشأن الرسل جميعاً على مقتضى حالهم من الله ﷻ. والمعنى: أن محمداً ﷺ رسول كسائر الرسل، قد بلَّغ ما أُمِر بتبليغه كما بلَّغوا، ولزمكم أيها المؤمنون العمل بمضمون الرسالة، وليست حياة الرسول ﷺ وبقاؤه بين

قرأ ابن عباس رضي الله عنه وقحطان بن عبد الله." انظر: البحر المحيط، ٧٤/٣. وهو خطأ وتصحيف والصواب: حِطَّان. وسأتناول بالدراسة فقط القراءة من خلال سياق آل عمران فهي الآية التي حفل المفسرون بتوجيه القراءات فيها، ومن ثم أحالوا في المائدة عليها.

(١) المحتسب، ١٦٨/١.

(٢) المحتسب، ١٦٩/١.

(٣) المحرر الوجيز، ٥١٦/١.

أظهركم شرطاً في ذلك؛ لأن الرسول ﷺ يموت كما مات الرسل قبله.(١)

وأما التنكير في القراءة الشاذة فللتهوين؛ لأن الموضع "موضع تيسير لأمر النبي ﷺ في معنى الحياة، ومكان تسوية بينه وبين البشر في ذلك، فجيء تنكير الرسل جارياً في مضمار هذا الاقتصاد به ﷺ."(٢)

والمعنى: أن محمداً ﷺ رسول قد بلغ ما أُمِر بتبليغه، وليست حياته شرطاً لاستمرار أمر رسالته، فإنه ﷺ سيموت كما مات رسلٌ قبله. فالاقتصاد الذي ذكره المفسرون لا يعني تقليل الكمية، بل يعني تيسير وتهوين شأن موته؛ لئلا يستعظمه المسلمون إذا وقع، كما يقتضي ذلك سياق الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة آل عمران/١٤٤]، وإنما عدل المفسرون عن التعبير بهذه العبارات تأدباً مع النبي ﷺ.(٣)

وأرى أن ما ذكره الجمهور أقرب إلى معنى وسياق الآية وغرضها من المعنى الذي ذكره ابن جني وهو عدمُ تحمُّل النبي ﷺ تبعة من خالفه، وفكُّ ذمته عن خطئهم. وربما استطاع ابن عطية بفكره الثاقب أن يستخلص هذه المعاني للقراءات المتعددة من قراءة ما بين سطور كلام ابن جني، ومما يومئ إليه فحوى كلامه.

وذهب أبو البقاء العكبري إلى أن معنى التنكير في قراءة ابن عباس قريب من معنى المعرفة.(٤) ولعله أراد بذلك أن التعريف في القراءة المتواترة تعريف الجنس، وبذلك كان معنى النكرة قريباً من المعرفة بهذه الحيثية.(٥)

وأرى أن العكبري قد ساوى بين معنى التنكير والتعريف هنا؛ لأنه كان يلحظ في التنكير معنى التكثير، أي: رسلٌ كثيرون قد ماتوا، وهذا هو شأن الرسل عموماً. وهذا المعنى يتناسب جداً مع هذا المقام الذي يقتضي تسلية المؤمنين عن حدث عظيم كحدث وفاة النبي ﷺ.

وما ذهب إليه أبو البقاء وجيه ومقبول، لكنِّي أوافق بعض المفسرين فيما ذهبوا إليه من كون "قراءة الجمهور أولى؛ لأنها تدل على تفخيم الرسل وتعظيمهم."(٦) وأوفق للمقام من حيث إنها "تدل على تساوي كلٍ في الخلق والموت، فهذا الرسول هو مثلهم في ذلك."(٧)

---

(١) المحرر الوجيز، ٥١٦/١، والبحر المحيط، ٧٤/٣.

(٢) المحرر الوجيز، ٥١٦/١، ومثله في: البحر المحيط، ٧٤/٣، والدر المصون، ٤١٥/٣، واللباب، ٥٧٠/٥.

(٣) التوجيه البلاغي، ص ١٤٣.

(٤) التبيان في إعراب القرآن، ٢٩٦/١.

(٥) الدر المصون، ٤١٥/٣، واللباب، ٥٧٠/٥.

(٦) الدر المصون، ٤١٥/٣، واللباب، ٥٧٠/٥.

(٧) البحر المحيط، ٧٤/٣.

ومما اختلف تعريفه وتنكيره في القراءات المتواترة والشاذة كلمتا (الْحِمَارِ، أَسْفَارًا) في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [سورة الجمعة/٥]، حيث اتفق قراء المتواتر على تعريف (الْحِمَارِ) وتنكير (أَسْفَارًا)، وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه (كَمَثَلِ حِمَارٍ) بالتنكير،[١] وقرئ (يَحْمِلُ الأَسْفَارَ) بالتعريف.[٢]

وقراءة التنكير عند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في معنى قراءة التعريف عند قراء المتواتر؛ لأن التعريف للإشارة إلى الحقيقة في ضمن فرد مبهم، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ [سورة يوسف/١٣]. وهذا النوع من المعارف هو أقرب أنواع المعارف إلى النكرة.

جاء في الدر المصون: "وقرأ عبد الله (حِمَارٍ) منكراً، وهو في قوة قراءة الباقين؛ لأن المراد بالحمار: الجِنْس."[٣] والصحيح ما ذكره ابن عاشور بقوله: " قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ أي: فرد من الحمير غير معين، وقرينة إرادة الفرد دون الجنس: إسناد حمل الأسفار إليه؛ لأن الجنس لا يحمل."[٤]

أما تنكير الأسفار في القراءة المتواترة فهو للتكثير والتعظيم، أي: مثل من أوتي الكتاب ولم ينتفع به كمثل الحمار يحمل على ظهره كتباً كباراً، فهو يمشي بها ولا يدري منها إلا ما يمر بجنبيه وظهره من الكدِّ والتعب.[٥] ولهذا المعنى كان التنكير في القراءة المتواترة أبلغ من التعريف في القراءة الشاذة، أي: إنَّ التنكير والتعريف في (الأسفار) متفاوت بلاغياً، وليس كالتنكير والتعريف في كلمة (الحمار).

وبذلك يتبيَّن أن التبادل بين التنكير والتعريف ب(ال) لم يقع فيما بين القراءات المتواترة؛ لأنه لم يثبت عن النبي ﷺ، والرسم العثماني لا يحتمل هذا الاختلاف، وقد جرى هذا التبادل بين القراءات المتواترة من جهة والشاذة من جهة أخرى، وبيَّنت الدراسة أن القراءة الشاذة قد تكون بلاغياً في قوة المتواترة عندما لا تضيف إلى المعنى شيئاً جديداً سوى الإشارة إلى الجنس، أو إلى ما هو معهود في الذهن، لكن غالباً ما كانت القراءة المتواترة أبلغ من الشاذة؛ لأن التعريف فيها أو التنكير كان أليق بغرض الآيات وسياقها، وهذا هو معنى البلاغة في نظم القرآن الذي: " لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد."[٦]

---

(١) الدر المصون، ٣٢٦/١٠، واللباب، ٧٣/١٩، وروح المعاني، ٩٥/٢٨.

(٢) وردت هذه القراءة بلا نسبة في الكشاف، ٥٣١/٤.

(٣) الدر المصون، ٣٢٦/١٠، واللباب، ٧٣/١٩.

(٤) التحرير والتنوير، ٣١/١٢.

(٥) الكشاف، ٥٣١/٤، وروح المعاني، ٩٥/٢٨.

(٦) المحرر الوجيز، ٥٢/١.

ثانياً: تبادل القراءات بين التنكير والتعريف بالإضافة.

تبيَّن في مقدمة هذا المبحث الأغراض البلاغية للتنكير، أما أهم أغراض التعريف بالإضافة، فهي:

١ - كون الإضافة أخصر وأوجز طريق لإحضار المذكور في ذهن السامع، والمقام يقتضي الاختصار والإيجاز. كقول الشاعر: هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ اليَمَانينَ مُصْعِدُ   جَنِيبٌ وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوثَقُ.(1) (البحر الطويل)

٢ - إغناء الإضافة عن تفصيلٍ متعذِّرٍ، نحو: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [سورة الرحمن/٢٦]، فتفصيل من على الأرض أمرٌ متعذّر. أو إغناء الإضافة عن تفصيلٍ متعسّر، كقول من لديه أصدقاء كثيرون: (زارني أصدقائي).

٣ - أن يشار بالإضافة إلى تعظيم شأن المضاف، نحو: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً﴾ [سورة الجن/١٩]، فإضافة العبد إلى الله في الآية تَشْرِيفٌ عظيم للمضاف. أو لتعظيم شأن المضاف إليه، نحو: (هؤلاء أنصاري، وهذا السوقُ مِلْكِي)، فهو يُعظِّم نفسه بأنصاره، وبما يملك.

٤ - أن يشار بالإضافة إلى تحقير المضاف، كقولك في وصف عِقْدٍ تتفاخر به صاحبته: هذا عِقْدُ كَلْبِكِ. أو لتحقير المضاف إليه، كقولك لمن تريد إهانته، وأنت ترى كوخاً حقيراً: هذا قصرك.

٥ - الحث على الإكرام، نحو: ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُوْدٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ [سورة البقرة/٢٣٣]، فإنه لما نهيت المرأة عن المضارة، أضيف الولد إليها استعطافًا لها عليه، وكذا الوالد.

٦ – الاستهزاء والتهكم، كقولك لمن تسخر منه: هذا رَئِيسُنَا وزعيمُنَا، مع أنّه لا يصلُح إلاَّ أن يكون تابعاً خادماً. إلى غير ذلك من معانٍ لطيفة يمكن أن يُشارَ إليها بالإضافة.(2)

وهذه الفقرة ستدرس الأغراض البلاغية التي دلَّت عليها القراءات المتواترة المتبادلة بين حالي التنكير والتعريف بالإضافة، وستبيِّن أثر هذا التبادل في بلاغة نظم القرآن.

فعلى سبيل المثال جرى تبادل القراءات المتواترة بين التنكير والتعريف بالإضافة في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [سورة هود/٤٠]، وقوله: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ

---

(١) البيت لجعفر بن عُلْبَة الحارثي، وقد كان مسجوناً بمكة، فذكر صاحبته، فقال أبياتاً، منها البيت المذكور، وموضع الشاهد: أراد بقوله: "هواي"، الذي أهوى، وحسَّن هذا الاختصار أن الشاعر سجين، وهذا أخصر طريق يؤدِّي به المعنى. انظر: شرح ديوان الحماسة، لأبي تمَّام، تأليف أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (٤٢١هـ)، تح: غَريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ١/٤٠-٤١.

(٢) مفتاح العلوم، ص ٣٧٨—٣٨٠، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٤٨، ومختصر المعاني، ص ٥٦—٥٧، وخصائص التراكيب، ص ١٧٦—١٧٧، والبلاغة العربية، ١/٤٤٧—٤٥٠.

بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [سورة المؤمنون/٢٧]، حيث قرأ جمهور القراء ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ بالإضافة، وقرأ حفص ﴿مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ بالتنوين.(١)

فمن قرأ بالتنكير فقد حذف المضاف إليه، وعوَّض عنه بالتنوين، وأعمل الفعل (احمل) في (زوجين)، والمعنى: احمل زَوْجَيْنِ من كلِّ حيوان أو من كلِّ صنف ونوع لا بد منه في الأرض، فـ(زَوْجَيْنِ) مفعول (احْمِلْ)، و(اثْنَيْنِ) نعت لـ(زَوْجَيْنِ) على سبيل التأكيد، أي: لا تزد على اثنين. فهو كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [سورة النحل/٥١]. أما من قرأ بالإضافة فقد أعمل الفعل (احمل) في (اثنين) فجعله مفعولاً له، أي: احمل فيها من أزواج جميع الأنواع اثنين اثنين.(٢)

وذهب بعض المفسرين إلى أن قوله: (زوجين) للدلالة على العموم، أي: احمل اثنين (ذكراً وأنثى) من كل نوع له ازدواج.(٣) ومآل هذا المعنى الذي ذكروه وغيره واحد فيما أرى.

والزوج في اللغة: كل ما له مُشابه من نوعه، فالذكر زوج للأنثى، وهي زوج له، وقد يطلق الزوج على مجموعهما فيقابل الفرد،(٤) ولإزالة ذلك الاحتمال قال تعالى: (اثنين) كل منهما زوج للآخر.(٥)

فالزوج في هذه الآية: اسم لما ينضم إلى فرد فيصير زوجاً له، والزَّوجان: كل اثنين لا يَسْتغني أحدهما عن الآخر، ولا يُنتَفَع بأحدهما إلا أن يكون صاحبه معه. والمراد بـ (زَوْجَيْنِ) هنا: الذكر والأنثى من كل نوع.(٦)

قال ابن عطية: "ولو قدرنا المعنى: احمل من كل زوجين حاصلين اثنين، لوجب أن يحمل من كل نوع أربعة. والزوج يقال في مشهور كلام العرب للواحد مما له ازدواج، فيقال: هذا زوج هذا، وهما زوجان، وهذا هو المهيع في القرآن في قوله تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [سورة الأنعام/١٤٣] ثم فسرها،(٧) وكذلك هو في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ

---

(١) السبعة، ص ٣٣٣، ٤٤٥، وتذكرة ابن غلبون، ص ٣٧١، والتيسير، ص ٨٨، والنشر، ٣٢٥/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٠٥.

(٢) حجة ابن خالويه، ص ١٨٦، وحجة الفارسي، ٣٢٧/٤–٣٢٨، وحجة أبي زرعة، ص ٤٨٦، والكشف عن وجوه القراءات، ٥٢٨/١، والمحرر الوجيز، ١٧١/٣، والبحر المحيط، ٢٢٣/٥، والدر المصون، ٣٢٣/٦-٣٢٤، واللباب، ٤٨٦/١٠، وإرشاد العقل، ٢٠٨/٤، وروح المعاني، ٥٣/١٢، والتحرير والتنوير، ٢٥٩/١١–٢٦٠.

(٣) المحرر الوجيز، ١٧١/٣، والبحر المحيط، ٢٢٣/٥، والدر المصون، ٣٢٣/٦، واللباب، ٤٨٦/١٠.

(٤) تهذيب اللغة، ١٠٥/١١ ١٠٦، والصحاح، للجوهري، ٣٢٠/٢، ولسان العرب، ٢٩١/٢، وتاج العروس، ٢٢/٦.

(٥) إرشاد العقل، ٢٠٨/٤.

(٦) حجة ابن خالويه، ص ١٨٦، واللباب، ٤٨٦/١٠، والتحرير والتنوير، ٢٥٩/١١.

(٧) جاء التفسير في الآية ذاتها، قال تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾ [سورة الأنعام/١٤٣-١٤٤].

خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [سورة النجم/٤٥]، ... وهكذا يأخذ العدديون الزوج أيضاً في كلام العرب النوع كقوله: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [سورة ق/٧]، وقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ [سورة يس/٣٦]، إلى غير ذلك."(١)

ولأجل هذا الاشتراك في المعنى اللغوي للزوج جاء قوله: (اثنين) للبيان؛ لئلا يتوهم أن المراد هو أن يحمل فرداً واحداً من كل زوجين؛ لأن الزوج هو واحد من اثنين متصلين، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [سورة الأنعام/١٤٣]، ولئلا يحمل أكثر من اثنين من النوع الواحد فتضيق السفينة وتثقل.(٢)

ومآل المعنى على القراءتين واحد؛ لأن قراءة الجمهور أضافت (كل) إلى (زوجين)، وقراءة التنكير آلت إلى هذا المعنى بتقدير المضاف؛ لأن معناها من كل الأزواج زوجين.(٣) وبذلك يؤول تنوع القراءات بين التعريف وعدمه إلى التفنن في أداء المعنى، وهذا وجه بلاغي من وجوه البلاغة في نظم القرآن.

ومما تبادل بين التنكير والتعريف بالإضافة من القراءات المتواترة قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾ [سورة يوسف/١٩]، حيث قرأ جمهور القراء ﴿يَا بُشْرَايَ﴾ بالإضافة إلى ياء المتكلم، وقرأ الكوفيون ﴿يَا بُشْرَى﴾ على وزن (فُعْلَى) بدون إضافة.(٤)

وقراءة الكوفيين تحتمل وجوهاً:

الأول: أن المستقي لما رأى يوسف عليه السلام نادى البشرى؛ بشارة لنفسه أو لقومه ورفاقه، فأنزلها منزلة شخص وناداه على سبيل الاستعارة المكنية. وكأنه يقول: يا أيتها البشرى، تعالي وأقبلي، فهذا أوان حضورك.(٥)

وكلمة (بشرى) على هذا التأويل تحتمل وجهين من التأويل والإعراب:

أ – أن تجعل البشرى اسماً للبشارة، والكلمة في محلّ الرفع، كقولك: "يَا رجُلُ" لاختصاصه بالنِّداء.

ب– أن تكون في موضع نصب، والمنادى شائع في جنس البشرى، ولا يراد به شيء بعينه، نحو: يا رجلاً.(٦)

---

(١) المحرر الوجيز، ١٧١/٣، والبحر المحيط، ٢٢٣/٥، والدر المصون، ٣٢٤/٦، واللباب، ٤٨٦/١٠.

(٢) التحرير والتنوير، ٢٦٠/١١.

(٣) زاد المسير، ٤٧٠/٥.

(٤) السبعة، ص ٣٤٧، والتيسير، ص ٩٠، والنشر، ٣٣١/٢، وتحبير التيسير، ص ٤١٣.

(٥) حجة الفارسي، ٤١٢/٤، والكشف عن وجوه القراءات، ٧/٢، والكشاف، ٤٢٦/٢، والمحرر الوجيز، ٢٢٨/٣، ومفاتيح الغيب، ٨٥/١٨، وأنوار التنزيل، ٢٧٩/٣، والدر المصون، ٤٥٩/٦، واللباب، ٤٨/١١، وروح المعاني، ٢٠٣/١٢.

(٦) حجة الفارسي، ٤١١/٤، والكشف عن وجوه القراءات، ٧/٢–٨، واللباب، ٤٨/١١.

وقيل: إن هذه الكلمة تستعمل للتبشير من غير قصد إلى النداء، فهي كقولك: يا عجباه، أي: اعجبوا.(١)

الثاني: أن الإضافة مرادة هنا؛ لأن المراد تبشير نفسه، فهو كقولك: "يا غلام لا تفعل، ويا نفسُ اصبري." أي: يا غلامي، ويا نفسِي. فالكلام على التنكير في الظاهر، وعلى الإضافة إلى المتكلم في المعنى، والياء محذوفة، لكنها مرادة.(٢)

والثالث: ذكر السُّدي(٣) أنَّ (بشرى) اسم رجل، والمعنى: لما رأى المستقي يوسف عليه السلام دعا صاحباً له اسمه بشرى، وناداه ليعينه على إخراجه، كما يقال يا زيد، و(بشرى) على هذا الوجه في موضع رفع بالنداء.(٤)

وهذا التأويل الأخير استبعده المفسرون، والمعنى الأول والثاني أوجه، وتشهد لهما القراءة الأخرى.(٥)

جاء في تفسير القرآن العظيم: " وقرأ بعض القراء يا بشراي، فزعم السُّدي أنه اسم رجل، ناداه ذلك الرجل الذي أدلى دلوه معلماً له أنه أصاب غلاماً، وهذا القول من السدي غريب؛ لأنه لم يُسبَق إلى تفسير هذه القراءة بهذا إلا في رواية عن ابن عباس، والله أعلم. وإنما معنى القراءة على هذا النحو يرجع إلى القراءة الأخرى، ويكون قد أضاف البشرى إلى نفسه وحذف ياء الإضافة، وهو يريدها كما تقول العرب: يا نفس اصبري ويا غلام أقبل، بحذف حرف الإضافة، ويجوز الكسر حينئذ والرفع، وهذا منه، وتفسرها القراءة الأخرى يا بشراي، والله أعلم."(٦)

أما الجمهور فيضيفون البشرى إلى ذات المتكلم، والمعنى: لما رأى المستقي يوسف عليه السلام في الجب قال: يا بشرى نفسي هذا غلام، أي: يا نفسي أبشري، أي: إنَّ معنى هذه القراءة يتوافق مع بعض معاني قراءة الكوفيين.(٧)

ومن هذا القبيل: الاختلاف في إمالة (أَسَفَى) من قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾

---

(١) مفاتيح الغيب، ٨٥/١٨، واللباب، ٤٨/١١، وروح المعاني، ٢٠٣/١٢.

(٢) معاني الفَرَّاء، ٣٩/٢، وحجة أبي زرعة، ص ٣٥٧، والكشف عن وجوه القراءات، ٨/٢، وروح المعاني، ٢٠٣/١٢.

(٣) هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي صاحب التفسير والمغازي والسير؛ من تابعي أهل الكوفة، أدرك جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، منهم سعد بن أبي وقاص، وأبو سعيد الخدري، وابن عمر، وأبو هريرة، وابن عباس رضي الله عنهم. توفي سنة ١٢٨هـ، وقيل: سنة ١٢٧هـ. انظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تَغري بَردي الأتابكي (٨٧٤هـ)، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، ٣٩٠/١.

(٤) حجة أبي زرعة، ص ٣٥٧، والكشف عن وجوه القراءات، ٧/٢-٨، والكشف والبيان، ٢٠٤/٥، ومفاتيح الغيب، ٨٥/١٨، وأنوار وأنوار التنزيل، ٢٧٩/٣، والبحر المحيط، ٢٩١/٥، واللباب، ٤٨/١١،

(٥) حجة الفارسي، ٤١٢/٤، والتسهيل لعلوم التنزيل، ٤١١/١، والبحر المحيط، ٢٩١/٥، والدر المصون، ٤٥٩/٦، وروح المعاني، ٢٠٣/١٢.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ٣٧٦/٤.

(٧) الكشف عن وجوه القراءات، ٧/٢-٨، والكشف والبيان، ٢٠٤/٥، والكشاف، ٤٢٦/٢، والمحرر الوجيز، ٢٢٨/٣.

[سورة يوسف/٨٤]. حيث قرأ الأخوان بالإمالة، وقرأ الباقون بالفتح الخالص.[١]

أما الإمالة في قراءة الأخوين، فللدلالة على أن أصل الألف ياء، وهذه الياء هي ياء الإضافة إلى المتكلِّم، وقد أضاف الأسف إلى ضمير نفسه؛ لأن هذا الأسف أسفٌ جزئي مختص به من بين جزئيات جنس الأسف.[٢]

وأما الفتح في قراءة الجمهور، فيدل على أن هذه الألف ليست ياء، وهذه القراءة تحتمل وجهين:

الأول: يحتمل أنه نادى بالأسف كفرد شائعٍ في جنسه؛ لتنزيله منزلة من يعقل، فكأنه يقول: يا أسفاً احضر فهذا أوان حضورك. والألف للندبة،[٣] وحذفت الهاء التي هي في الندبة علامة المبالغة في الحزن فلم يقل: (يا أسفاه)؛ تجلداً منه عليه السلام إذ كان قد ارتبط إلى الصبر الجميل.[٤]

والثاني: أن الألف عوض عن ياء المتكلم في النداء، نحو: يا غلاما، ويا أبتا. فالإضافة مرادة في المعنى.[٥] والأصل: يا أسفي، لكن فُتحَت الفاء، وصُيِّرت الياء ألفاً؛ ليكون الصوت بها أتم.[٦]

أي: إنَّ قراءة الجمهور تحتمل معنى إضافة الأسف إلى نفسه، فكأنه في المعنى: (يا أسفي) كقراءة الأخوين، وتحتمل التنكير، ونداء الأسف كفرد شائع في جنسه.

وتبادل القراءات بين التنكير والتعريف في هاتين الآيتين من باب التفنن في التعبير عن المعنى الواحد بعدِّة أساليب؛ لأن معنى النكرة يرجع إلى معنى التعريف كما صرَّح به أكثر المفسرين.

وهذا لا يعني أنَّ القراءتين متطابقتان في جميع الوجوه البلاغية؛ لأن قراءة الأخوين تخص البشرى والأسف بما يخص المتكلم من بين جميع أفراد البشرى والأسف. وقراءة الجمهور تفتِّق الجملة عن صور بيانية واستعارات تتجلى بوجه أكثر بلاغة في النكرة منه في المعرفة، كما أن التنكير يظهر مدى الفرح والسرور في الآية الأولى، ومدى الحزن والأسف في الآية الثانية، فهو من هذه الجهة أكثر مبالغة في التعبير عن المشاعر من التعريف بالإضافة. وبهذه الوجوه البلاغية جميعها تتحقق أنصع وجوه البلاغة لنظم القرآن.

---

(١) التيسير، ص ٤٠، وتحبير التيسير، ص ٢٤٢.

(٢) التحرير والتنوير، ١٢/١٠٨.

(٣) حجة أبي زرعة، ص ٢٢٤، والدر المصون، ٦/٥٤٥.

(٤) المحرر الوجيز، ٣/٢٧٢.

(٥) المحرر الوجيز، ٣/٢٧٢، والبحر المحيط، ٥/٣٣٣.

(٦) التبيان في إعراب القرآن، ٢/٧٤٣، والدر المصون، ٦/٥٤٥.

ومما تبادل بين حالتي الإضافة وعدمها في القراءات المتواترة قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [سورة النمل/٨٩]، حيث قرأ الكوفيون ﴿مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾ بالتنكير، وقرأ الباقون ﴿فَزَعِ يَوْمِئِذٍ﴾ بإضافة الفزع إلى اليوم، ثم إن المدنيّين يقرآن ﴿فَزَعِ يَوْمَئِذٍ﴾ بفتح الميم، والباقون ﴿يَوْمِئِذٍ﴾ بكسرها.[١]

أما قراءتا الإضافة فتعد المؤمنين بالأمن من فزع يوم القيامة، وهو الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب والمشار إليه بقوله: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [سورة الأنبياء/١٠٣]،[٢] ويحتمل أن يكون المراد الكثرة، أي: جميع أفزاع ذلك اليوم وأهواله؛ لأن (فزع) مصدر، والمصدر يحتمل الواحد والكثرة.[٣]

وأما قراءة التنكير فتدل على فزعٍ غير مخصص، وقد اختلف المفسرون في دلالة التنكير، فحمله بعضهم على:

١ - التهويل والتعظيم، أي: وهم (الذين جاءوا بالحسنات) آمنون من فزعٍ عظيمٍ هائلٍ لا يقدَّر قدره، وهو الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب والنار بعد تمام المحاسبة، وظهور الحسنات والسيئات.[٤]

٢ - أو النوعية، أي: آمنون من فزع نوع العقاب، أما فزع الهيبة فإنه يلحق كل مكلف، وهو ما أثبته ﷻ في قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [سورة النمل/٨٧].[٥]

٣ - العموم، أي: وهم يومئذٍ آمنون من كل فزع.[٦] ومنه الرعب الحاصل من معاينة فنون الدواهي والأهوال، والفزع الحاصل من مباشرة العذاب، وفزع الموت الذي عاينوه في الدنيا.[٧]

وقراءة التنكير على هذا الوجه "أعم من المعرفة؛ ... لأنك إذا قلت: "رأيت رجلاً" وقع قولك على كل رجل، وكذا إذا قلت: "رأيت غلاماً"، فإذا قلت: "رأيت غلامك" حصرت الرؤية على شخص واحد."[٨]

٤ - التقليل، أي: وهم آمنون من فزع واحد من أفزاع يوم القيامة، أمّا ما يلحق الإنسان من الرعب ومشاهدته فلا ينفك منه أحد،[٩] والمقصود بالفزع هنا الفزع المشار إليه بقوله: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [سورة

---

(١) السبعة، ص ٤٨٧، والتيسير، ص ١١٢، والإقناع، ص ٤٣٨، والنشر، ٣٨٠/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٩٥.

(٢) إرشاد العقل، ٣٠٥/٦.

(٣) حجة الفارسي، ٤٠٩/٥، والجامع لأحكام القرآن، ٢٤٥/١٣، وروح المعاني، ٣٧/٢٠.

(٤) غرائب القرآن، ٣٢٣/٥، والسراج المنير، ١٢٥/٣، وإرشاد العقل، ٣٠٥/٦.

(٥) غرائب القرآن، ٣٢٣/٥.

(٦) البحر المحيط، ٩٦/٧، واللباب، ٢٠٨/١٥-٢٠٩، وروح المعاني، ٣٧/٢٠.

(٧) النكت والعيون، ٢٣١/٤.

(٨) حجة أبي زرعة، ص ٥٤٠.

(٩) أنوار التنزيل، ٢٨٠/٤، والسراج المنير، ١٢٥/٣، والتحرير والتنوير، ٣٢٢/١٩.

الأنبياء/١٠٣].[1] وبذلك تكون قراءة الإضافة أعم من قراءة التنكير؛ لأنها تقتضي الأمن من جميع فزع ذلك اليوم، وعلى هذا جمهور المفسرين.[2]

مما تقدَّم يتبيَّن أن المفسرين مضطربون في بيان أي القراءتين أعم، فبعضهم يحمل التنكير على العموم، ومن ثم يجعل التنكير أعم، وأكثرهم يحمل التنكير على التقليل، ومن ثم يجعل قراءة الإضافة أعم.

واستناداً إلى ذلك ذهب بعض المفسرين – ومنهم الفراء والطبري وأبو عبيد – إلى ترجيح قراءة التعريف بالإضافة على قراءة التنكير؛ لأن الإضافة تبيِّن أنه فزع معلوم، وبذلك تتناسب مع تعريف الفزع في قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [سورة الأنبياء/١٠٣]،[3] ولأنها أبين وأعم في الإخبار عن أمانه من كلّ أهوال ذلك اليوم؛ لأنه إذا لم يضف كان الأغلب عليه أنه جعل الأمان من فزع بعض أهواله.[4]

وهذا الترجيح ضعيف المستند؛ لأن كلمة (فزع) مصدر، والمصدر لا يدل على قليل أو كثير، بل يتناول القليل كما يتناول الكثير، وبذلك تتساوى القراءتان في المعنى[5] والدلالة على العموم والخصوص؛ "لأن إضافة المصدر وتنكيره سواء في عدم إفادة العموم."[6]

يقول أبو علي الفارسي: "يجوز إذا نَوَّنَ فزعاً أن يعنيَ به فزعاً واحداً، ويجوز أن يعنيَ به كثرة؛ لأنه مصدر والمصادر تدل على الكثرة، وإن كانت مفردة الألفاظ كقوله ﷻ: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [سورة لقمان/١٩]، وكذلك إذا أضيف، فقيل: ﴿مِن فَزَعِ يَوْمَئِذٍ﴾ أو (يَوْمِئِذٍ) أن يُعنى به مفرد، ويجوز أن يُعنَى به كثرة."[7]

وإذا كان هناك فرق في المعنى بين القراءتين فالأرجح أنه فيما يدل عليه التنكير من التهويل والتعظيم، وفيما تدل عليه الإضافة من بيان أن الفزع الذي وعُد المؤمنون بالأمان منه هو فزع العذاب يوم القيامة، وهو الفزع الأكبر، أما ما عداه فلا يسمى فزعاً بالنسبة إليه.

أي: إنَّ كلَّ قراءة من القراءات تسابق الأخرى إلى قمة البلاغة في التعبير عن عظيم الفزع والخوف الذي

---

(١) البحر المحيط، ٩٦/٧، وروح المعاني، ٣٧/٢٠.

(٢) جامع البيان، ٥١٠/١٩، ومعالم التنزيل، ١٨٤/٦، واللباب، ٢٠٨/١٥، والسراج المنير، ١٢٥/٣، وروح المعاني، ٣٧/٢٠.

(٣) معاني الفرَّاء، ٣٠١/٢، وجامع البيان، ٥١٠/١٩.

(٤) جامع البيان، ٥١٠/١٩، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، ٢٤٥/١٣، وفتح القدير، ٢٢٢/٤، كلاهما نقلاً عن أبي عبيد.

(٥) حجة الفارسي، ٤٠٩/٥، والكشف عن وجوه القراءات، ١٧٠/٢، وفتح القدير، ٢٢٢/٤، والتحرير والتنوير، ٣٢٢/١٩.

(٦) التحرير والتنوير، ٣٢٢/١٩. سوَّى ابن عاشور بين القراءتين في العموم والخصوص تأصيلاً، ثمَّ اضطرب في التطبيق فحمل الفزع في القراءتين على التقليل، فقال: "إضافة المصدر وتنكيره سواء في عدم إفادة العموم فتعين أنه فزع واحد."

(٧) حجة الفارسي، ٤٠٩/٥.

أمنهم الله ﷻ منه يوم القيامة؛ فقراءة التنكير تدل على عظيم منة الله ﷻ على أولئك الذين أحسنوا العمل في الدنيا بتأمينهم من فزع عظيم هائلٍ يوم القيامة، وقراءة الإضافة تعدهم بالأمن من أعظم الأفزاع وأكبرها، فتضيف الفزع إلى يوم القيامة لتبيّن أن الأمن من هذا الفزع هو أعظم المنن؛ لأن ما عداه ليس بفزع بالنسبة إليه.(١)

وكذلك اختلف قراء المتواتر في قراءة قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [سورة النمل/٧]، حيث قرأ الكوفيون ويعقوب ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ بالتنكير، وقرأ الباقون ﴿بِشِهَابِ قَبَسٍ﴾ بالإضافة.(٢)

وأصل الشهاب: الكوكب المنقض من السماء، وكل ما يقال له شهاب من المنيرات فعلى التشبيه.(٣) والمراد بالشهاب في هذه الآية: النار التي تؤخذ في طرف عود أو غيره، شبهها بالشهاب، ثم خصصه بأنه مما اقتبس؛ إذ الشهب قد تكون من غير اقتباس، والقبس اسم لقطعة النار تقتبس في عود أو غيره.(٤)

و(قَبَسٍ) في قراءة الكوفيين نعت أو بدل من (شِهَابٍ)، وصف الشهاب الذي جاء نكرة في هذه القراءة، بأنه شهاب مقبوس، والمعنى: لعلي آتيكم بشعلة نار مقبوسة.(٥)

وقد خصص الشهاب بما هذا صفته في قراءة ﴿بِشِهَابِ قَبَسٍ﴾؛ لأن الإضافة في هذه القراءة بيانية، من باب إضافة النوع إلى جنسه؛ لتخصيص الشهاب بالنوع المقتبس منها؛ إذ الشِّهاب يكون قبساً وغيره.(٦)

والبيان والتخصيص مقصود على كلتا القراءتين؛ لأن المراد في الآية تعيين نوع واحد من بين جميع أنواع الشهب الشائعة في جنسها، وهو النوع المقتَبس من النار الجامع لمنفعتي الضياء والاصطلاء؛ لأن من النار ما ليس بقبس كالجمر.(٧)

---

(١) إرشاد العقل، ٣٠٥/٦، وروح المعاني، ٣٧/٢٠.

(٢) السبعة، ص ٤٧٨، والتيسير، ص ١١١، والإقناع، ص ٤٣٧، والنشر، ٣٧٦/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٩١.

(٣) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (٨٧٥هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٥٦/٣. ١٥٦/٣.

(٤) المحرر الوجيز، ٢٤٩/٤.

(٥) الكشف عن وجوه القراءات، ١٥٤/٢، ومعالم التنزيل، ١٤٤/٦، والكشاف، ٣٥٤/٣، وأنوار التنزيل، ٢٥٩/٤، والدر المصون، ٥٧٢/٨، وإرشاد العقل، ٢٧٣/٦.

(٦) حجة الفارسي، ٣٧٧/٥، ومشكل إعراب القرآن، ٥٣١/٢، والكشف عن وجوه القراءات، ١٥٤/٢، والمحرر الوجيز، ٢٤٩/٤، والتبيان في إعراب القرآن، ١٠٠٤/٢، ومدارك التنزيل، ٢٠٤/٣، والدر المصون، ٥٧٣/٨، واللباب، ١١١/١٥، والسراج المنير، ٨٦/٣، والإتحاف، ص ٥٩٥، وفتح القدير، ١٨٠/٤، وروح المعاني، ١٥٩/١٩، والتفسير المنير، ٢٦٠/١٩.

(٧) إرشاد العقل، ٢٧٣/٦، والبحر المديد، ١٩٨/٥.

وقد حصل التخصيص بالوصف في قراءة الكوفيين، وبإضافة الشهاب إلى نوعه في القراءة الأخرى، وبذلك آل التنكير والتعريف في القراءتين إلى معنى واحد.

ونظير هذا: التبادل بين الإضافة والتنكير في قوله: ﴿بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ من قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ [سورة الصافات/٦].(١)

وحاصل الأمر: أن القراءات المتواترة المتبادلة بين التنكير والتعريف بالإضافة غالباً ما تؤدي المعنى ذاته، وغالباً ما يكون تنوعها من باب التفنن في التعبير عن المعنى الواحد بعدّة أساليب، وقد ثبتت هذه النتيجة بالاستقراء لجميع القراءات المتواترة الجارية على هذا النمط من التبادل.(٢)

ولكن هل تنطبق هذه النتيجة على جميع القراءات المتواترة المخالفة لما يقابلها من التنكير أو التعريف في القراءات الشاذة؟ إن الإجابة على هذا التساؤل تتطلب الوقوف على بعض الأمثلة التوضيحية.

فعلى سبيل المثال اتفق قراء المتواتر على قراءة (كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) معرفاً بالإضافة في قوله تعالى: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [سورة إبراهيم/٣٤]، وقرأ ابن عباس ﷺ والحسن (وَآتَاكُمْ مِنْ كُلٍّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) بالتنكير.(٣)

والآية المتواترة تضيف (كل) إلى (ما)، ومعناها: وآتاكم جميع ما سألتموه، مما تحتاجونه ويليق بكم. أما القراءة الشاذة فتترك المضاف إليه وتعوض عنه بالتنوين، ومعناها: وآتاكم من كل شيء سألتموه، مما شأنه أن يُنتَفَع به. ويجوز أن تكون (ما) نافية، أي: وآتاكم من كلّ شيء لم تسألوه ولم تطلبوه منه.(٤)

والقراءة الشاذة تتوافق في أحد وجهيها مع معنى القراءة المتواترة، أما الوجه الآخر للشاذة فينافي معنى القراءة المتواترة؛ لأنّ المتواترة تثبت أنهم قد سألوه، و(ما) نافية في أحد تأويلي القراءة الشاذة تعني أنهم لم يسألوه. وبذلك تكون القراءة الشاذة قد أضافت للآية المتواترة معنى جديداً، وهو أن الله ﷻ آتى عباده من كل نعمة يحتاجون

---

(١) قرأ عاصم وحمزة (بِزِينَةٍ) بالتنوين، والباقون بغير تنوين، وقرأ أبو بكر عن عاصم (الْكَوَاكِبَ) بالنصب، والباقون بالخفض. انظر: السبعة، ص ٥٤٦–٥٤٧، والتيسير، ص ١٢١، والنشر، ٣٩٦/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٢٧، والمُيسَّر في القراءات، ص ٤٤٦.

(٢) من ذلك على سبيل المثال: تبادل القراءات المتواترة بين التنكير والتعريف بالإضافة في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ [سورة الزمر/٣٨]، وقوله: ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة الأنفال/١٨]، وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ [سورة الصف/١٤].

(٣) المحتسب، ٣٦٣/١، والمحرر الوجيز، ٣٤٠/٣، والجامع لأحكام القرآن، ٣٦٧/٩، والبحر المحيط، ٤١٦/٥، وفتح القدير، ١٥٧/٣.

(٤) جامع البيان، ١٥/١٧، والكشف والبيان، ٣٢٠/٥، والمحرر الوجيز، ٣٤٠/٣، ومفاتيح الغيب، ١٠٢/١٩، والجامع لأحكام القرآن، ٣٦٧/٩، وأنوار التنزيل، ٣٥٠/٣، والبحر المحيط، ٤١٦/٥، وغرائب القرآن، ١٩٤/٤، وإرشاد العقل، ٤٨/٥، والبحر المديد، ٣٧٣/٣، وفتح القدير، ١٥٧/٣.

إليها سألوه إياه فأعطاهم، أو أعطاهم إياه بغير سؤال كالشمس والقمر.

ويمكن أن يتوافق معنى القراءة المتواترة مع كلا وجهي القراءة الشاذة إذا فسِّر (سألتموه) بمعنى: ما احتجتم إليه، أي: آتاكم من كل ما احتجتم إليه مما لا تصلح أحوالكم إلا به، سواء أسألتموه قولاً، أم بلسان الحال.(١)

وبذلك يتبيَّن أنه إذا جرى التبادل بين التنكير والتعريف بالإضافة فيما بين القراءة المتواترة والشاذة فإن هذا التبادل قد يدل على اختلاف المعنى، وعدم اتفاقه مع ما جاءت به القراءة الشاذة، إلا أن الاستقراء يدل على أن التبادل بين هاتين الحالتين غالباً ما يؤول إلى المعنى الواحد كما في تنوع القراءات المتواترة.

فمثلاً وجَّه المفسرون التبادل بين التعريف والتنكير في قوله: (عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ)(٢) من قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ [سورة المعارج/١١]، وفي قوله: (تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةُ ذَلِكَ الْيَوْمِ)(٣) من قوله تعالى: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [سورة المعارج/٤٤] وجَّهوه وفسروه بما فسروا به القراءات المتواترة في قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعِ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [سورة النمل/٨٩].

وكذلك تم توجيه التعريف والتنكير في قراءات (بِحُورِ عِينٍ)(٤) من قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [سورة الدخان/٥٤]، وقوله: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [سورة الطور/٢٠] بما تم به توجيه وتفسير قراءات (بِشِهَابٍ قَبَسٍ) المتواترة من قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [سورة النمل/٧].

وحاصل الأمر: أن تبادل القراءات بين التنكير والتعريف بالإضافة يجري فيما بين القراءات المتواترة، كما يجري بين القراءات المتواترة والشاذة، وقد بيَّنت الدراسة أنه إذا تبادلت القراءات المتواترة بين حالتي التعريف بالإضافة والتنكير فغالباً ما تؤول القراءات المتنوعة إلى معنى واحد، وإن دلَّ التنكير والتعريف على وجوه بلاغية – سبق الإشارة إلى بعضها – تتناسب وسياق كل آية، غير أن هذه الوجوه المتنوعة تدل غالباً على أن هذا التنوع من باب التفنن في التعبير عن المعنى الواحد بعدِّة أساليب.

---

(١) البحر المحيط، ٤١٦/٥.

(٢) قرأ أبو حيوة (عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ) بتنوين (عذاب) ونصب (يوم). انظر: الكشاف، ٦١٣/٤، ومفاتيح الغيب، ١١٢/٣٠، وأنوار التنزيل، ٣٨٨/٥، والدر المصون، ٤٥٤/١٠، واللباب، ٣٦١/١٩، وإرشاد العقل، ٣١/٩، وروح المعاني، ٦٠/٢٩، وفتح القدير، ٤٠٦/٥.

(٣) قرأ أبو المتوكل وأبو الجوزاء وعمرو بن دينار والتمار: (ذلةُ ذلك اليومِ) بإضافة (ذِلَّةُ) إلى (ذلك) وبخفض الميم. انظر: زاد المسير، ٣٦٧/٨، والدر المصون، ٤٦٥/١٠.

(٤) قرأ عكرمة (بحورِ عينٍ) على ترك التنوين في (حور) وإضافتها إلى (عِينٍ). انظر: المحرر الوجيز، ٧٨/٥، والجامع لأحكام القرآن، ١٥٤/١٦، والدر المصون، ٦٣٠/٩، واللباب، ٣٣٤/١٧، وإرشاد العقل، ١٤٨/٨، وروح المعاني، ٣٢/٢٧.

أما التبادل بين التنكير وهذا النوع من أنواع المعارف في القراءات المتواترة والشاذة، فإما أن يحمل معه اختلاف المعاني، والمعنى الراجح هو ما أثبتته القراءة المتواترة، وغالباً ما يؤول هذا الاختلاف إلى اتحاد المعاني، كما هو الحال في القراءات المتواترة.

والمطلب الآتي سيتناول بالدراسة التبادل بين التقديم والتأخير؛ ليكشف عن الأغراض البلاغية لهذا التبادل وأثرها في بلاغة نظم القرآن.

المطلب الثاني: تبادل القراءات بين التقديم والتأخير، وأثره في بلاغة النظم.

كلّ عنصر من عناصر الجملة العربية له موقع في ترتيب بناء الجملة، فالأصل في الجملة الفعليّة تقديمُ المسند وهو الفعل، وتأخير المسند إليه، وهو الفاعل أو ما يَنُوب منابه، ثم تأتي متعلقات الفعل كالمفعول وغيرها.(١)

والأصل في الجملة الاسميّة تقديم المسند إليه، وهو المبتدأ، وتأخير المسند وهو الخبر وما يتّصل به، وبعد ذلك تأتي متعلقات الخبر المماثلة لمتعلقات الفعل، إذا كان الخبر ممّا يعمل عمل الفعل، أو جملة مصدّرة بفعل.(٢)

هذا هو الترتيب الطبيعي للجملة العربية، لكن إذا عرض لبعض عناصر الجملة مزايا تدعو إلى تقديم ما حقه التأخير، فالأحسن تغيير هذا النظام؛ ليشير التقديم والتأخير (الخروج عن الترتيب الطبيعي للجملة) إلى الغرض الذي يراد بيانه، ويترجم عن قصد المتكلّم ومرامه.

وقد أشار الإمام عبد القاهر الجرجاني إلى تلك المزايا التي يمكن أن يشير إليها التقديم والتأخير، والأغراض البلاغية التي قد يتفتق عنها الخروج عن نظام الجملة، وترتيبها الطبيعي بقوله: "التقديم والتأخير: هو بابٌ كثيرُ الفوائد، جَمُّ المحاسن، واسعُ التصرُّف، بعيدُ الغاية، لا يزالُ يفتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفضي بكَ إلى لطيفةٍ. ولا تزالُ ترى شِعراً يروقُك مسمَعُه، ويَلْطُف لديك موقعُه، ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أنْ راقك ولطُفَ عندك أن قُدِّم فيه شيءٌ، وحُوِّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان."(٣)

والخروج عن مقتضى الترتيب الطبيعي لا يفضي دائماً إلى الحسن، وإنما فقط ما يفيد زيادة في المعنى مع تحسين في اللفظ، كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة/٥]، حيث أفاد تقديم المفعول التخصيص وتناسق الفواصل، وهذا الضرب من التقديم هو أحسن أنواعه وأرقاها في فنون البلاغة، وكذلك ما يفيد زيادة في المعنى فحسب، نحو: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة الزمر/٦٦]، فتقديم المفعول في هذه الآية يفيد تخصيص الله ﷻ بالعبادة دون سواه، ولو أخّر لم يفد الكلام التخصيص.

أما ما يتساوى فيه التقديم والتأخير، فلا يهتم له البلغاء، وأمّا ما يختلُّ به المعنى أو يفقد به اللّفظ جماله فيتجافون عنه وينفرون منه، كتقديم الصفة على الموصوف، والصلة على الموصول.(٤)

---

(١) يقصد بمتعلقات الفعل: المفعول به، والجار والمجرور، والظرف، والمفعول المطلق، والمفعول معه، والمفعول لأجله، والحال، والتمييز في أحوال قليلة ونادرة. انظر: البلاغة العربية، ٣٨١/١.

(٢) المرجع السابق، ٣٥٠/١.

(٣) دلائل الإعجاز، ص ٩٦.

(٤) البلاغة العربية، ٣٦٣/١.

ويكاد يجمع البلاغيون على أن الغرض البلاغي الأهم الذي يدعو إلى تقديم ما حقه التأخير هو الاهتمام بالمُقدَّم. يقول الجرجاني: "واعلمْ أنَّا لم نجدْهُم اعْتَمدوا فيه شيئاً يَجري مجرى الأصل غيرَ العنايةِ والاهتمام."[١]

ويقول سيبويه في كتابه: " فإن قدمتَ المفعولَ وأخَّرتَ الفاعل جرى اللفظُ كما جرى في الأوّل، وذلك قولك: ضَرَبَ زيداً عبدُ الله؛ لأنّك إنَّما أردت به مُؤخّراً ما أردت به مقدَّمًا، ولم تُرد أن تَشغلَ الفعل بأوَّلَ منه، وإنْ كان مؤخراً في اللفظ فَمِن ثمَّ كان حدّ اللفظ أن يكون فيه مقدَّماً، وهو عربيٌّ جيَّد كثير، كأنَّهم إنَّما يقدّمون الذي بيانه أهمُّ لهم، وهُمْ ببيانه أَعْنَى، وإن كانا جميعاً يُهِمّانِهم ويَعْنِيانهم."[٢]

والحقُّ أن البلاغيين قد أَوْلَوا مباحث التقديم والتأخير عنايتهم، واهتموا بإيضاح المقاصد البلاغية التي يرمي إليها البليغ عندما يجري أحد هذين الحالين على عناصر جملته، فذكروا للتقديم والتأخير أغراضاً أخرى تتفرع عن مقصد العناية الاهتمام.

وأهم الأغراض البلاغية التي تدعو لتقديم المسند إليه: هو كون تقديمه في الجملة الاسمية هو الأصل ولا مقتضى للعدول عنه، أو ليتمكن الخبر في ذهن السامع؛ لأن في المبتدأ تشويقاً إليه، وإما لتعجيل المسرة أو المساءة، لكونه صالحاً للتفاؤل أو التطير، نحو: سعد في دارك، والسفاح في دار صديقك. وإما لإيهام أنه لا يزول عن الخاطر، أو مراعاة لحال المخاطب الذي يسرُّه البدء بالمسند إليه؛ لتشوّقه إلى معرفة أخباره، أو استئناسه أو تلذّذه بسماع اسمه،[٣] أو للتفاخر في المواطن التي يكون ذكر المسند إليه فيها يُشعر بالفخر، كقول أحد الطائيين: "حاتم الطائي جدي". أو الاهتمام بالممدوح بتقديم اسمه في الجملة، أو لإرادة التفخيم والتعظيم، نحو: مَلِكُ البلاد سيزورنا قريباً.[٤]

وأهم الأغراض البلاغية التي تدعو لتقديم المسنَد إليه في الجملة الفعلية: تقوية الحكم الذين دلّت عليه الجملة وتوكيده، نحو: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [سورة الأعراف/١٩٦]. أو إفادة التخصيص إذا كان المسند إليه مسبوقاً بنفي، والمسندُ فعلاً، فقولك: ما أنت بنيت هذه الدار، يفيد أن هذه الدار المبنية لم تبنها أنت، وإنما بناها غيرك. فالفعل ثابت قطعاً، وإنما توجه النفي إلى الفاعل المذكور خصوصاً.[٥] وهذه المسألة من المسائل الخلافية الشهيرة

---

(١) دلائل الإعجاز، ص ٩٧.

(٢) كتاب سيبويه، ٣٤/١.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٥٦، ومختصر المعاني، ص ٦٣–٦٤، والبلاغة العربية، ٣٦٤/١.

(٤) مختصر المعاني، ص ٦٤، والبلاغة العربية، ٣٦٥/١–٣٦٦.

(٥) الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٥٧–٦٠، ومختصر المعاني، ص ٦٤–٦٥، وخصائص التراكيب، ص ١٨٦–١٩٦، والبلاغة العربية، ٣٦٤/١.

التي خالف فيها السكاكي جمهور البلاغيين، والمقام لا يتسع لتفصيلها.(١)

أما أهم الأغراض التي تدعو لتقديم مسنَدٍ حقه التأخير، فهي: تخصيص المسند بالمسند إليه، أي: قصره على المسنَدِ إليه، فلا يكون لغيره، نحو قوله تعالى: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ [سورة القصص/٧٠]، فهاتان الجملتان اسميتان، والأصل فيهما تقديم المسنَدِ إليه، لكن قُدِّم فيهما المسند؛ لإفادة القصر، أي: كلُّ الحمد وكلّ الحكم مقصوران عليه، لا يتعديان إلى غيره ﷻ.

أو: التّنْبِيه من أوّل الأمر على أنّه خبرٌ لا نعت، إذا كان تأخيره قد يوهم ابتداءً أنّه نعتٌ للمسند إليه، نحو: (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) جاء في هذه الجمل القرآنية تقديم المسند (لَهُمْ) على المسند إليه (عَذَابٌ)؛ لئلا يسبق إلى التوهّم أن المسند قد سيق على سبيل النعت للمسند إليه، وأن الخبر لم يأتِ بَعْدُ، مع ما في هذا التقديم من مراعاة الحفاظ على جمالية التناسق الصوتي بين رؤوس الآيات.(٢)

وأما أهم دواعي تقديم متعلقات الفعل عن مراتبها فهي: إرادة التخصيص، وقصر الحكم على المقدم من متعلقات الفعل على الفعل أو ما في معناه، مما يعمل عمله، نحو قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة/٥]، قدِّم المفعول به في الجملتين؛ لتخصيص وحصر عبادة العابد الذي يتلو هذه الآية بالله ﷻ، وتخصيص وحصر استعانته به ﷻ إذا استعان. ونحو قوله ﷻ أيضاً: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لا إله إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة التوبة/١٢٩]، أي: أخُصُّهُ وَحْدَهُ بِتَوَكُّلي، وقَدْ فُهِمَ هذا من تقديم المعمول على عامله.

وقد يكون الغرض من تقديم بعض متعلقات الفعل ومعمولاته الاهتمام بشأن المقدّم أو الإشعار بالاهتمام به، لا إرادة التخصيص والحصر. ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِآيَاتِنَا

(١) لا يشترط السكاكي دخول النفي على المسنَد إليه المقدَّم لإفادة التخصص، فقولك: "أَنَا قُمتُ، أنا كفيت مهمك." يفيد اختصاص المسند بالمسند إليه، أي: قمت وحدي، وكفيت مهمك وحدي لمن يعتقد خلافه، لأنه يصح تأخير المسند إليه، وتصير العبارة قمت أنا، وكفيت أنا، ويكون المسند إليه حينئذ فاعلاً في المعنى لا في اللفظ؛ لأن الفاعل في اللفظ هو التاء، ولأن المتكلم يعدُّ أن أصل العبارة: قمت أنا، ثم يتصرف فيها ويقول: أنا قمت؛ وهذا التصرف والاعتبار من المتكلم يفيد أنه حين قصد إلى هذا التقديم إنما أراد الاختصاص. انظر: مفتاح العلوم، ص ٥١٢، وقد تابعه في ذلك بعض البلاغين، انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٥٦، ومختصر المعاني، ص ٦٥، والبلاغة العربية، ٣٦٤/١. ورفض آخرون مذهب السكاكي؛ لأنه "يتجافى مع فطرة اللغة، ويسر أدائها لمعانيها، ولا نعتقد أن هناك متكلماً يفكر في الصياغة هذا التفكير، ويفترض أن: أنا قمت، أصلها: قمت أنا، ثم يخالف هذا الأصل ليفيد معنى الاختصاص." انظر: خصائص التراكيب، ص ١٩٦–١٩٧. وهذه المسألة من المسائل الخلافية التي اختلف البلاغيون في حكمها وشروطها، والمقام لا يتسع لبسطها. راجع: الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٦١–٦٥، ومختصر المعاني، ص ٦٦–٦٩.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٠٠–١٠١، ومختصر المعاني، ص ١٠١–١٠٢، وخصائص التراكيب، ص ٢٧٧–٢٨١، والبلاغة العربية، ٣٧٦/١–٣٨١.

يُوقِنُونَ﴾ [سورة السجدة/٢٤]، فقوله: (بِآيَاتِنَا) معمولٌ مقدَّمٌ على عامله (يُوقِنُونَ) وَقُدِّمَ للإشعار بأهمية آيات الله في حياة البشر؛ إذ إن الإيقان بها يُصَحِّحُ مسيرتهم ويُقوّمُ سُلوكهم، وليس الغرض حصر الإيقان بها، فأركان الإيمان التي يجب الإيقان بها لا تقتصر على آيات الله ﷻ، هذا مع ما في تأخير (يُوقِنُونَ) من مراعاة التناسق الصوتي بين رؤوس الآيات.(١)

وهناك الكثير من الأغراض التي تدعو لتقديم بعض متعلقات الفعل، لا يتسع المقام لبسطها والتمثيل لها.(٢)

وقد يقدّم البليغ ويؤخّر بعض معمولات الفعل على بعض في الجملة ولو تكافأت مراتبها متى انقدحت لديه فكرة مناسبة، يمكن الدلالة عليها بأسلوب التقديم والتأخير، كتقديم بعض النعوت على بعض، وبعض المعطوفات المتعدّدة التي تعطف بالواو التي هي لمطلق الجمع، وبعض ألفاظ التوكيد المعنوي.

ومن ذلك أن يقدِّم البليغ ما يراه الأهمّ؛ لغايةٍ ما يَرْمي إليها، أو لمراعاة الترتيب الطبيعي في المعاني، كأن يقدّم في المتعاطفات بالواو اللفظ الدّال على التقوى على اللّفظ الدّالّ على البرّ، لأنّ الارتقاء إلى مرتبة البرّ لا يكون إلاَّ بعد استكمال حقوق مرتبة التقوى. وقد يعكس الأمر لغرض الإشعار بأفضليّة المقدّم وأنّ مرتبته أعلَى، وبغية التشجيع على العمل به، كتقديم اللّفظ الدالّ على البرّ على اللفظ الدالّ على التقوى.

وقد يكون الغرض إرادة الترقّي من الأدنى إلى الأعلى، أو العكس، أو إرادة البدء بما هو بمنزلة الأساس فما يتصل به تدرّجاً إلى الأعلى حتى القمة، وقد يقع الترتيب على وفق تدرج أحوال النفس، وما يصحب ذلك من التصاعد في الإحساس. والأغراض الداعية إلى ذلك كثيرة لا تحصر.(٣)

وفيما يأتي أمثلة لكلمات قُرئت في بعض القراءات بالتقديم وفي بعضها الآخر بالتأخير، ثمَّ دلَّ كل من أسلوب التقديم والتأخير على غاية وغرض ما لم تلمح إليه القراءة الأخرى، ونتج عن ذلك آثارٌ بلاغية في نظم القرآن مترتبة على تبادل القراءات.

وقبل أن أبدأ بسرد بعض الأمثلة لا بد لي أن أشير إلى أن هذا النمط من التبادل لم يجرِ بين القراءات المتواترة إلا في ثلاثة مواضع: آيتين تتبادل قراءاتهما المتواترة بين حالتي تقديم القتل أو القتال وهما: في سورتي آل عمران والتوبة، وآية تقدم إحدى قراءتيها بضرورة الكف عن ظلم المرابين التائبين، وأخرى تقدم بنهيهم عنه، وهي

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، ص ١١١–١١٢، ومختصر المعاني، ص ١١١-١١٣، والبلاغة العربية، ١/٣٨١–٣٨٥، وخصائص التراكيب، ص ٣٢٩–٣٣١.

(٢) راجع: الإيضاح في علوم البلاغة، ص ١١١–١١٧، ومختصر المعاني، ص ١١١–١١٤، والبلاغة العربية، ١/٣٨٥–٣٨٩.

(٣) راجع: البلاغة العربية، ١/٣٨٩–٣٩٥، وخصائص التراكيب، ص ٣٣٢–٣٣٧.

في سورة البقرة. أما التبادل بين حالتي التقديم والتأخير فيما بين القراءات المتواترة والشاذة فله أمثلة ونماذج كثيرة.

وأبدأ بدراسة الآيتين اللتين اختلف قراء المتواتر في قراءتهما بين تقديم القتل أو القتال وهما: قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [سورة آل عمران/١٩٥]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [سورة التوبة/١١١]، حيث قرأ جمهور القراء ﴿وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾، ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾، بتقديم الفعل المبني للمعلوم وتأخير المبني للمجهول، وقرأ الأخوان وخلف ﴿وَقُتِلُوا وَقَاتَلُوا﴾، ﴿فَيُقْتَلُونَ وَيَقْتُلُونَ﴾ بتقديم الفعل المبني للمجهول على الفعل المبني للمعلوم، على العكس من قراءة الجمهور.(١)

وقد وقع التقديم والتأخير في هاتين الآيتين بين فعلين متعاطفين بالواو التي هي لمطلق الجمع.

ولأن العطف بالواو يقتضي الجمع المطلق بين المتعاطفين في اللغة، ولا يقتضي الترتيب أو التعقيب يرى بعض اللغويين والمفسرين أن التقديم والتأخير في القراءتين سواء، ولا يترتب على تقديم المقدَّم وتأخير المؤخَّر أي ميزة أو دلالة معنوية، أو أثر بلاغي؛ لأن الواو تدل على مطلق الجمع، ومآل المعنى عليهما في الآيتين واحد.(٢)

يقول المبرِّد: "إن العرب إذا كان العطف بالواو قدَّمت وأخَّرت، قال الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [سورة التغابن/٢]، وقال: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ [سورة الرحمن/٣٣]، وقال: ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [سورة آل عمران/٤٣]، ولو كان بثُمَّ أو بالفاء لم يصلح إلا تقديم المقدَّم، ثم الذي يليه واحداً فواحداً."(٣)

ومن المفسرين من يرى أن القراءات في الآيتين تحتمل أحد معنيين:(٤)

الأول: أن تحمل الواو على أصل معناها اللغوي وهو الجمع المطلق بين المتعاطفين، ومن ثَمَّ لا تختلف دلالتا التقديم والتأخير في القراءتين؛ لأن الواو لا تقتضي الترتيب أو التعقيب، وإلا كان معنى قراءة الأخوين أنهم قاتلوا

---

(١) السبعة، ص ٢٢١، وتذكرة ابن غلبون، ص ٣٦١، والتيسير، ص ٧١، والعنوان، ص ٨٢، والنشر، ٢٨١/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٣٢.

(٢) إعراب النحَّاس، ٤٢٧/١، وزاد المسير، ٥٣٠/١. وقد ذهب ابن عاشور في آل عمران إلى تساوي معنى القراءتين، انظر: التحرير والتنوير، ٣١٥/٣، لكن فرَّق بين معنى القراءتين في التوبة والتمس وجه البلاغة في كل منهما كما سيأتي. انظر: المرجع ذاته، ٢١٠/١٠.

(٣) الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣/١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ١٥/٢.

(٤) المحرر الوجيز، ٥٥٧/١-٥٥٨، والموضِّح، ١/ ٣٩٨، وزاد المسير، ٥٠٤/٣، ومفاتيح الغيب، ١٢٣/٩، ١٥٩/١٦، وأنوار التنزيل، ١٣٤/٢، والبحر المحيط، ١٥٢/٣، والدر المصون، ٥٤٢/٣-٥٤٣، واللباب، ١٢٨/٦، والسراج المنير، ٧٣٨/١، والإتحاف، ص ٣٣٠، وروح المعاني، ١٦٩/٤.

بعدما قُتلوا، وهذا المعنى غير مقبول، ومما يحيله العقل والعرف، بل وجهها أنه قُدِّم فيها ما هو متأخرٌ في المعنى، وبذلك تُحمَل القراءات المتعددة على اتحاد الأشخاصِ الذين صدر منهم هذان الفعلان.

والثاني: أن تحمل الواو على التوزيع، وبذلك يدل تنوع القراءات على أنَّ المقاتلين فريقان: يُقتَل بعضهم ويُقاتِل الباقون.(١)

وبذلك يتبيَّن أن جمهور المفسرين ينظرون إلى أصل المعنى اللغوي للواو، ثم ينقسمون، فمنهم من يقول باتحاد الفاعلين، فيرجع الضمير (الواو الدالة على الفاعلين) في القراءتين وفي الآيتين إلى فريق واحد، ومن ثمَّ لا يرى في التقديم والتأخير أي دلالة معنوية، أو أثر بلاغي؛ لأن الواو تدل على مطلق الجمع.

ومنهم من لا يبتعد عن هذا المعنى الأصلي للواو، ولكن يرى دلالتها على التوزيع مع دلالتها على ذلك المعنى الأصلي، فجميع المقاتلين يشتركون في القتال بدايةً، ثم يُقتل فريق منهم، ويبقى آخرون يقاتلون.

أما الفارسي فقد انطلق إلى ما وراء المواضعة اللغوية وبحث في أسرار التقديم والتأخير، والتمس وجوه الحسن في كلتا القراءتين؛ حيث رأى أنَّ العطف بالواو وإن دلَّ على مطلق الجمع بين المتعاطفين؛ لأن الواو لا تعطي ترتيباً، إلا أن تقديم المقدَّم وتأخير المؤخَّر له ميزة وحسن في كلٍ من القراءتين:

فوجه الحسن في قراءة الجمهور أن اللفظ المقدَّم فيها جاء تابعاً للمعنى، فلما كانت الواو لا تعطي رتبة، سواء أتقدم الفعل المبني للمفعول أم تأخَّر، تقدَّم اللفظ الذي له المعنى في التقديم؛ لأن المعنى هو لتقديم الفعل المبني للفاعل؛ لأن القتال يكون قبل القتل، والمقتول يُقتَل بعد القتال، لذا فالأولى أن يكون القتل متأخراً.

ووجه الحُسن في قراءة الأخوين أن الواو لما كانت دالَّة على التوزيع بين مختلف الفرق فقد دلَّ تأخير القتال في قراءة الأخوين على فضيلة فريق من المقاتلين: قاتلوا بعدما رأوا القتل الذي وقع بأصحابهم، ولم يهنوا أو يضعفوا، وبذلك يكون معنى هذه القراءة كمعنى قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة آل عمران/١٤٦]. وقد حذا مكي بن أبي الطالب حذو الفارسي في توجيه القراءتين ورأى رأيه فيهما.(٢)

لكنَّ مكياً انطلق إلى ما وراء تحسين القراءتين فالتمس البلاغة فيهما، ثم رأى أن قراءة الأخوين أبلغ في مدح القوم؛ حيث تصفهم بالشجاعة والإقدام، فهم لم يضعفوا ولم يرتاعوا لمَّا رأوا الموت والقتل ينزل بأصحابهم،

---

(١) ومن المفسرين من اكتفى بهذا المعنى الثاني وحمل الواو على التوزيع، والضمير على تعدد الفاعلين. انظر: حجة أبي زرعة، ص ١٨٧، والكشف والبيان، ٢٣٥/٣، ٩٧/٥، ومعالم التنزيل، ١٥٤/٢، ٩٨/٤.

(٢) حجة الفارسي، ١١٧/٣، ٢٣١/٤–٢٣٢، والكشف عن وجوه القراءات، ٣٧٣/١.

بل جدُّوا في القتال بعدما قُتِل أصحابهم.[1]

وقد تابعه في هذا بعض المفسرين، فجاء في نظم الدرر: "ولما كان القتل نفسه هو المكروه، لا بالنسبة إلى معين، كان المدح على اقتحام موجباته، فبنى للمفعول قوله: (وَقُتِلُوا) أي: فيه، فخرجوا بذلك عن مساكن أرواحهم بعد النزوح عن منازل أشباحهم. وقراءة الأخوين بتقديم المبني للمفعول أبلغ معنى؛ لأنها أشد ترغيباً في الإقدام على الأخصام؛ لأن من استقل أقدم إقدام الأسد فقتل أخص منه ولم يقف أحد أمامه، فكأنه قيل: وأرادوا القتل، هذا بالنظر إلى الإنسان نفسه. ويجوز أن يكون الخطاب للمجموع فيكون المعنى: وقاتلوا بعد أن رأوا كثيراً من أصحابهم قد قُتِلَ."[2]

أما أبو السعود فقد لحظ أن تقديم القتل في قراءة الأخوين له وجه بلاغي آخر سوى امتداحهم بالشجاعة، وهو الإيذان بعراقة الشهادة، وأولويتها في طموحات المجاهد.

جاء في تفسير أبي السعود: "وتقديم حالة القاتلية على حالة المقتولية؛ للإيذان بعدم الفرق بينهما في كونهما مصداقاً لكون القتال بذلاً للنفس. وقرئ بتقديم المبنى للمفعول؛ رعاية لكون الشهادة عريقة في الباب، وإيذاناً بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله تعالى، بل بكونه أحب إليهم من السلامة، كما قيل في حقهم:

لاَ يَفْرَحُونَ إذا نَالَتْ رِمَاحُهُمُ قَوْماً، وَلَيْسوا مُجَازيعاً إذا نِيلوا

لا يَقَعُ الطَّعْنُ إلاّ في نُحُورِهِمُ، وما لَهُمْ عنْ حِياضِ المَوْتِ تَهْلِيل. (البحر البسيط)[3]"[4]

وقد أحسن فريق من المفسرين حين ابتعد في هاتين القراءتين عن القول بالترجيح والبحث عن أسبابه، بل أغرق في البحث عن بلاغة التقديم والتأخير في قراءتي هاتين الآيتين، فتأمل ورأى أنَّ الاهتمام بالمقدَّم من أبرز الوجوه البلاغية التي يدل عليها التقديم والتأخير، ومن ثمَّ حمل هاتين القراءتين على هذا الوجه البلاغي.

يقول المفسِّر ابن عاشور: "وفي قراءة الجمهور اهتمام بجهادهم بقتل العدو، وفي القراءة الأخرى اهتمام

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات، ٣٧٣/١.

(٢) نظم الدرر، ٢٠٠/٢.

(٣) البيت لكعب بن زهير. انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، للعلَّامة شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (٧٣٣هـ)، تح: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤٢٤/١هـ-٢٠٠٤م، ٣٠٩/١٦، وشرح قصيدة "بانت سعادُ" للشيخ أبي محمد جمال الدين عبد الله ابن هشام الأنصاري (٧٦١هـ)، وبهامشه حاشية الإمام الشيخ إبراهيم الباجوري (١٢٧٧هـ)، د.ط.، د.ت.، ص ٨٣، وشرح قصيدة كعب بن زهير "بانت سعادُ" في مدح رسول الله ﷺ، لابن حجة الحموي (٨٣٧هـ)، تح: د. علي حسين البوّاب، مكتبة المعارف الرياض، طبعة جديدة/١٤٠٦هـ-١٩٨٥م، ومطلع البيت الأول: "ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم"، ص ٦٤.

(٤) إرشاد العقل، ١٠٥/٤. وقد ذكر الآلوسي قريباً من هذا المعنى الذي ذكره أبو السعود، راجع: روح المعاني، ١٦٩/٤.

بسبب الشهادة التي هي أدخل في استحقاق الجنة."[1]

فقراءة الجمهور تبتدئ بمدح المقاتلين بالجرأة والشدَّة والقوة التي بها يدحرون العدوَّ، ويشبعونهم قتلاً وضرباً. ونظراً لأهمية هذه الصفات التي يتصف بها المقاتلون في تحقيق النصر والعزة والرفعة للإسلام جاءت قراءة الجمهور مبتدئة بها؛ لتشير إلى أن إيقاع القتل بالعدو أولى وأهم عند الله ﷻ من وقوعه بالمسلمين؛ لأن القتال يقوي شوكة الإسلام والمسلمين، فكان أولى عند الله ﷻ من الشهادة بالنظر إلى هذه الحيثية.

أما قراءة الأخوين فتبدأ بذكر الشهادة؛ لكونها موضع الرغبة لدى المقاتلين، والظفر بها هو محط أنظار المجاهدين؛ لكونها السبب في استحقاق الجنة، ولتشير إلى أهمية هذه الصفة (الحرص على الشهادة) في نفي الخوف عن المسلمين وهم يغشون ساحات القتال. فمقام الشهادة أرفع عند الله بالنسبة للشهيد، أما رفعة الإسلام فتحتاج إلى اتصاف المقاتلين بالصفة الأخرى.

والآيتان – موضع الدراسة – تسلِّطان الضوء على أهمية صفة القوة في إحدى القراءتين، وأهمية الحرص على الشهادة في القراءة الأخرى، فقراءة تقديم الفعل المبني للفاعل تبيِّن شدة المسلمين، وحرصهم على قتل أعدائهم، وقراءة تقديم الفعل المبني للمفعول تبيِّن حب المسلمين للشهادة في سبيل الله، وحرصهم على الفوز بها، وبذلك تقوم الآية الواحدة مقام آيتين، لا أرى للمجاهد في سبيل الله ﷻ غنى عنهما وهو يغشى ساحات الوغى.

وبذلك يتبيَّن أنَّ الاستناد إلى دلالة الواو العاطفة على مطلق الجمع في الاستدلال على تساوي قراءات التقديم والتأخير لا يستقيم مع القول بارتقاء نظم القرآن أرقى منازل البلاغة؛ لأن هذا ربما يؤدي إلى الظنِّ أن ترتيب الألفاظ في القرآن الكريم يأتي اعتباطاً وكيفما اتفق، وذاك أمر لا يتصوره امرؤ ينعم النظر في أبلغ الكلام؛ إذ إن ترتيب الألفاظ في الذكر إنما يتأتى على حسب ترتيب المعاني في النفس.[2]

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني: "وأما نظمُ الكلِم فليسَ الأَمرُ فيه كذَلك؛ لأنك تَقْتفي في نظمِها آثارَ المعاني، وتُرتِّبُها على حسبِ ترتيبِ المعاني في النَّفس، فهو إذاً نظمٌ يعتبرُ فيه حالُ المنظوم بعضهُ معَ بعضٍ، وليسَ هو النَّظم الذي معناهُ ضَمُّ الشَيءِ إلى الشّيءِ كيف جاءَ واتّفق. وكذلك كانَ عندَهُم نظيراً للنَّسجِ والتّأليفِ والصياغةِ والبناءِ والوَشْيِ والتّحبير وما أشبه ذلك مما يوجبُ اعتبارَ الأجزاءِ بعضِها معَ بعضٍ حتىّ يكونَ لوضعِ كلٍّ حيثُ وُضِعَ علّةٌ تَقْتضي كونَه هناك، وحتى لو وُضعَ في مكانٍ غيرِه لم يَصحَّ.

والفائدةُ في معرفة هذا الفرقِ أنَّك إذا عرفتَه عرفتَ أنْ ليس الغرضُ بنظمِ الكلِم أن توالَتْ ألفاظُها في النُّطق

---

(١) التحرير والتنوير، ١٠/٢١٠.

(٢) التوجيه البلاغي للقراءات، ص ٢١٨، والوجوه البلاغية، ص ٤٧١.

بل أن تناسَقتْ دلالتُها وتلاقتْ مَعانيها على الوجهِ الذي اقتضاهُ العقلُ. وكيف يُتَصورُ أن يُقصَدَ به إلى توالي الألفاظِ في النُّطق بعد أن ثبتَ أنّهُ نظمٌ يُعتبرُ فيه حالُ المنظوم بعضِه معَ بعضٍ ... وأيُّ مساغٍ للشكِّ في أنَّ الألفاظَ لا تستحقُّ من حيثُ هي ألفاظٌ أن تُنظَمَ على وجهٍ دونَ وجهٍ. ولو فرضْنا أنْ تنخلعَ من هذهِ الألفاظ التي هيَ لغاتٌ دلالتُها لَما كان شيءٌ منها أحقَّ بالتَّقديم من شيءٍ ... ودليلٌ آخرُ وهو أنّه لو كان القصدُ بالنَّظم إلى اللفظِ نفسهِ دونَ أن يكونَ الغرضُ ترتيبَ المعاني في النَّفس ثم النّطقَ بالألفاظ على حذْوِها لكانَ يَنْبغي ألاّ يختلفَ حالُ اثنين في العلمِ بحُسن النَّظم أو غيرِ الحُسنِ فيه؛ لأَنهما يُحسَّانِ بِتوالي الألفاظِ في النُّطق إحساساً واحداً، ولا يعرفُ أحدُهما في ذلك شيئاً يجهلُهُ الآخَر."[1]

وهكذا ينبغي أن يكون منهج القرآن بالعطف بالواو، ذلك النظر الذي لا يقف عند حدود المواضعة، بل يتجاوزها إلى استشراف الأوجه البلاغية التي يستدعيها سياق المُقدَّم في الذكر، فلا شك أنَّ للمُقدَّم حظّاً وفضلاً على المؤخَّر، فإذا تغايرت قراءاته كان لكل وجه ما يناسبه من المعنى.[2]

وكذلك اختلف القراء في قراءة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة/٢٧٨-٢٧٩]. حيث قرأ جمهور القراء (لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ) بتقديم الفعل المبني للفاعل على المبني للمفعول، ولم يخالفهم في هذه القراءة إلا المفضَّل[3] عن عاصم الذي قرأ (لَا تُظْلَمُونَ وَلَا تَظْلِمُونَ) بتقديم الفعل المبني للمجهول على المبني للمعلوم بعكس ما هو الأمر في قراءة الجمهور.[4]

وقد رجَّح الفارسي وبعض المفسرين قراءة الجمهور؛ لأنها الأنسب لسياق الآية ونظمها، ولأن الفعل (تَظْلِمُونَ) بالبناء للفاعل أشكل بما قبله؛ لأن الفعل الذي قبله (وإن تُبْتُمْ) مسنَد إلى الفاعل، ولذلك كان البدء بـ(لَا تَظْلِمُونَ) مبنياً للفاعل أشكل بما قبله، وأنسب من البدء بـ(لَا تُظْلَمُونَ) المسند فيه الفعل إلى المفعول.[5]

وقد سبق أبو البقاء العكبري المفسرين إلى البحث عن سرِّ التقديم والتأخير في هاتين القراءتين، فهداه التأمل فيهما إلى أن قراءة الجمهور تقدِّم الفعل المبني للفاعل، لأن منع التائبين من الظلم أهم، أي: لا تظلموا الغريم بطلب

---

(١) دلائل الإعجاز، ص ٥٦—٥٧.

(٢) التوجيه البلاغي للقراءات، ص ٢١٨.

(٣) هو المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر الضبي، الكوفي المقرىء كان من أجلِّ أصحاب عاصم بن أبي النجود، وعنه أخذ القراءة، روى القراءة عنه علي بن حمزة الكسائي وجبلة بن مالك البصري وغيرهما. توفي سنة ١٦٨هـ رحمه الله. انظر: معرفة القراء الكبار، ١٣١/١.

(٤) السبعة، ص ١٩٢، وتذكرة ابن غلبون، ٢٧٨/١، ولم يذكر ابن الجزري هذه القراءة في النشر وغيره.

(٥) حجة الفارسي، ٤١٤/٢، والبحر المحيط، ٣٥٣/٢، والدر المصون، ٦٤٣/٢، واللباب، ٤٦٤/٤، والجامع لأحكام القرآن، ٣٧٠/٣.

زيادة على رأس المال. ولذلك جاءت بالنهي عن ظلم الآخرين، ثم ثنَّت بنهي الآخرين عن ظلم المرابين التائبين، أما رواية المفضَّل فتلحظ أهمية تطمين نفوس التائبين، ولذلك تُقدِّم الفعل المبني للمفعول؛ بمعنى: لا تُظلَمون أنتم بنقصان رأس المال، أو بالمطل. وبما أن النفوس تطمئن إلى نفي الظلم عنها، قدَّم به، ثم ثنَّى بمنعهم من الظلم.(١)

وبالرغم من دقَّة ولطف هذا الوجه البلاغي الذي اهتدى إليه أجاز أن تكون القراءتان بمعنى واحد؛ لأن الفعلين المقدَّم والمؤخر فعلان متعاطفان بالواو، والواو لا تقتضي الترتيب. "ويجوز أن تكون القراءتان بمعنى واحدٍ؛ لأنَّ الواو لا ترتِّب."(٢)

ولعل هذه الرؤية هي رؤية أكثر المفسرين؛ حيث يتعرض أكثرهم لذكر القراءات في هذه الآية دون أن يعقِّب على الأثر المعنوي للتقديم والتأخير في كل منهما.(٣) بل يصرح بعضهم كالأخفش بتساويهما: "(لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ)، وقال بعضهم: (لا تُظْلَمُونَ ولا تَظْلِمون) كله سواء في المعنى."(٤)

وقد تقدَّم في المثال السابق أن استشراف المعاني البلاغية للتقديم والتأخير في الأمثلة والنصوص القرآنية والقرائية أولى وأليق ببلاغة النظم من الوقوف عند حدود المواضعة اللغوية؛ لأن التشبُّث بأصل المواضعة يصرف الذهن عن استشراف المعاني الكثيرة التي اقتضت الحكمة الإلهية إيداعها في هذه الألفاظ القليلة.

ففي هذه الآية مثلاً يُلحَظ تناسب كل قراءة من القراءتين مع غرض ومقصد الآية التي جاءت في مقام الترغيب والترهيب؛ فقراءة الجمهور تتناسب وتتلاءم مع مقام الترهيب؛ إذ إنها تهتم بإبراز نهي المرابين عن ظلم المدينين؛ إحقاقاً لحق المجتمع، واتقاءً لحرب الله ورسوله التي تقدَّم الوعيد بها. أما القراءة الأخرى فتسلِّط الضوء على بثِّ الطمأنينة في قلوب المرابين الذين ما زالوا يتعلقون بأوشاب ما بقي من الربا؛ ترغيباً في توبتهم عن ذلك الإثم الذي يقوِّض دعائم المجتمع المؤمن القائم أساساً على الإيثار والتكافل.(٥)

فكل قراءة من القراءتين تسابق الأخرى إلى الالتحام بسياق الآية ونظمها، ثم لا تلبث أن تجد كل واحدة منها مكانها من مقاصد الآية: فقراءة العامة هي الأنسب لمقام الترهيب، ورواية المفضَّل هي الأليق بمقام الترغيب. ولولا تجاوز حدود المواضعة اللغوية، وملاحظة الارتباط بين مقام العناية والاهتمام، وأسلوب التقديم والتأخير لما

---

(١) التبيان في إعراب القرآن، ٢٢٥/١، والدر المصون، ٦٤٣/٢، واللباب، ٤٦٤/٤.

(٢) التبيان في إعراب القرآن، ٢٢٥/١، والدر المصون، ٦٤٣/٢، واللباب، ٤٦٤/٤.

(٣) حجة ابن خالويه، ص ١٠٤، وزاد المسير، ٣٣٤/١، والجامع لأحكام القرآن، ٣٧٠/٣، والبحر المحيط، ٣٥٣/٢، وغرائب القرآن، ٥٩/٢.

(٤) معاني الأخفش، ص ٢٠٣.

(٥) التوجيه البلاغي، ص ٢١٦.

تيسَّر لعالم متضلّع من اللغة أمثال العكبري أن يلحظ هذه المعاني والوجوه البلاغية في كلتا القراءتين اللتين تقومان في نظمهما مقام آيتين.

وبعد: هذه هي الآيات التي اختلفت قراءتها المتواترة بين حالتي التقديم والتأخير وذاك ما هدى الله ﷻ إليه من معانيها، بعد التنقيب في أسرار هذين الأسلوبين بلاغياً.

أما القراءات الشاذة فقد ورد فيها الكثير من الأمثلة التي تخالف القراءة المتواترة في التقديم والتأخير، أذكر منها على سبيل التمثيل: القراءات الشاذة الواردة على التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة/١٢٤]. حيث قرأ ابن عباس ﷺ وأبو الشعثاء[١] وأبو حنيفة (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمُ رَبَّهُ) بالرفع ثم النصب، وتقديم الفاعل وتأخير المفعول كما هو الأصل في ترتيب الجملة الفعلية، بعكس القراءة المتواترة التي تقدِّم المفعول وتؤخِّر الفاعل.[٢]

والابتلاء: الاختبار، وهذا المعنى واضح في القراءة المتواترة ولا إشكال فيه. ومعنى الآية: أنَّ الله ﷻ عامل إبراهيم عليه السلام معاملة المختبر؛ حيث كلَّفه بأوامر ونواه، يظهر بحسن قيامه بحقوقها قدرته على الخروج عن عهدة الإمامة العظمى، وتحمل أعباء الرسالة. أما معنى الابتلاء في قراءة ابن عباس ﷺ فهو الدعاء، أي: دعا إبراهيم عليه السلام ربه بكلمات من الدعاء يتطلب فيها الإجابة، أي: دعاه فعل المختبر هل يجيبه إليهن أم لا، وأطلق اسم الابتلاء على الدعاء على سبيل المجاز.[٣]

أما قراءة ابن عباس ﷺ فتجري على الأصل في ترتيب الجملة الفعلية، فتقدِّم الفاعل وتؤخِّر المفعول مع مراعاة أن معنى الابتلاء في هذه القراءة وهو الدعاء يتناسب مع هذا الترتيب.

وأما القراءة المتواترة فتؤخر الفاعل وتقدِّم المفعول؛ لأن في الفاعل ضميراً يعود على المفعول ويوجب

---

(١) هو جابر بن زيد الأزدي البصري، أبو الشعثاء، اليحمدي الخوفي (من خَوف ناحية في عمان) أحد علماء التابعين وفقهائهم، ومن أئمة أهل البصرة، وهو من كبار تلامذة ابن عباس، روى عن ابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، ومعاوية بن أبي سفيان وعكرمة ﷺ، وغيرهم، وروى عنه قتادة، وعمرو بن دينار، وأيوب السختياني، وعمرو بن هرم، وآخرون. روى عطاء عن ابن عباس ﷺ أنه قال: "لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علماً عمَّا في كتاب الله." توفي سنة ٩٣هـ، وقيل: ١٠٣هـ رحمه الله تعالى. انظر: صفوة الصفوة، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ابن الجوزي (٥٩٧هـ)، تح: محمود فاخوري، د.محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، ط٢/١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ٢٣٧/٣، والعبر في خبر من غبر، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، تح: د.صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، د.ط./١٩٨٤م، ١٠٨/١، وتهذيب التهذيب، ٢/ ٣٤.

(٢) مفاتيح الغيب، ٣٤/٤، والبحر المحيط، ٥٤٥/١، والدر المصون، ٩٨/٢.

(٣) مفاتيح الغيب، ٣٤/٤، والبحر المحيط، ٥٤٥/١-٥٤٦، والدر المصون، ٩٨/٢، وإرشاد العقل، ١٥٥/١.

تقديمه،[(١)] ولفائدة بلاغية لا تلحظ في تقديم الفاعل، وهي: الاهتمام بمن وقع عليه الابتلاء؛ إذ كون الله ﷻ هو المبتلي أمر معلوم. أي: إنَّ تقديم المفعول له سببان: سببٌ معنويٌّ، وآخر صناعي.[(٢)]

والقراءة المتواترة تجري على الأصل اللغوي من التقديم والتأخير دون أن تغفل الجانب البلاغي، وهو كون المفعول المقدَّم هو الأهم في هذا الباب.

يقول ابن عطية: " وقُدِّم على الفاعل؛ للاهتمام؛ إذ كون الرب مبتلياً معلوم، فإنما يهتم السامع بمن ابتُلي، وكون ضمير المفعول متصلاً بالفاعل موجب تقديم المفعول، فإنما بُني الكلام على هذا الاهتمام."[(٣)]

وكذلك خالف ابن مسعود ؓ وقتادة والأعمش القراءة المتواترة فقرؤوا (لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالمون) بتأخير الفاعل وتقديم المفعول، بعكس القراءة المتواترة التي تقدِّم الفاعل وتؤخِّر المفعول.[(٤)]

والعهد هو الذي ينال الظالمين في القراءة المتواترة، ومعنى الآية: إن عهدي بالإمامة لا يصل إلى الظالمين، وإنما ينال من كان عادلاً بريئاً من الظلم. وفي القراءة الشاذة الظالمون هم الفاعلون، أي: لا يصل الظالمون إلى عهدي ولا يدركونه.[(٥)]

وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن القراءتين هنا بمعنى واحد؛ لأن ما نالك فقد نلته، تقول: نلت خيرَك، ونالني خيرُك. ومعنى المطاوعة في هذا الفعل هو الذي قضى باستواء دلالتي التقديم والتأخير في هذه الآية.

جاء في تفسير الطبري: "وإنما جاز الرفع في (الظالمين) والنصب، وكذلك في (العهد)؛ لأن كل ما نال المرءَ فقد ناله المرءُ، كما يقال: "نالني خيرُ فلان، ونلت خيرَه"، فيوجه الفعل مرة إلى الخير ومرة إلى نفسه."[(٦)]

والقراءتان المتواترة والشاذة في هذه الآية، كالقراءتين المتواترتين في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [سورة البقرة/٣٧]؛ لأن "كل ما تلقيته فقد تلقاك، فجاز أن يقال: تلقى آدمُ كلماتٍ، أي: أخذها

---

(١) تقديم المفعول في هذه الصورة واجب عند جمهور النحاة؛ لأنه متى اتَّصَل بالفاعل ضمير يعود على المفعول وجب تقديمه؛ لئلا يعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة، هذا هو المشهور، وما جاء على خلافه فهو ضرورة. انظر: شرح قطر الندى، ص ١٨٥، وشرح ابن عقيل، ١٠٥/٢، وحاشية الصبان، ٨٠/١–٨٢.

(٢) البحر المحيط، ٥٤٥/١، والدر المصون، ٩٧/٢، واللباب، ٤٤٤/٢.

(٣) المحرر الوجيز، ٢٠٥/١.

(٤) معاني الفرَّاء، ٧٦/١، وجامع البيان، ٢٤/٢، والجامع لأحكام القرآن، ١٠٨/٢، والبحر المحيط، ٥٤٨/١، والدر المصون، ١٠٣/٢، واللباب، ٤٥٥/٢.

(٥) معاني الأخفش، ص ١٥٤، وجامع البيان، ٢٤/٢، والكشاف، ٢١١/١، والبحر المحيط، ٥٤٨/١، والدر المصون، ١٠٣/٢.

(٦) معاني الفرَّاء، ٧٦/١، وجامع البيان، ٢٤/٢. ومثله في: التبيان في إعراب القرآن، ١١٢/١، والدر المصون، ١٠٤/٢، واللباب، ٤٥٥/٢.

ووعاها واستقبلها بالقبول. وجاز أن يقال: تلقى كلماتٌ بالرفع، على معنى جاءته عن الله كلماتٌ، ومثله: قوله: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، وفي قراءة ابن مسعود ﷺ (الظالمون)."(١)

ومعنى المطاوعة وإن كان يسوّي بين دلالتي المقدَّم والمؤخَّر في القراءتين، غير أنه لا يمنع من التماس الوجوه البلاغية في القراءة المتواترة التي حوَّلت (الظالمين) من رتبة الفاعلية إلى رتبة المفعولية، وفعلت بـ (العهد) عكس هذا.

ولعل الاهتمام هو أبرز الوجوه البلاغية التي يدل عليها تقديم العهد في كلتا القراءتين؛ حيث آثرت القراءتان تعجيل ذكر العهد؛ لأنه موضع الاهتمام كما يوضّحه سياق الآية؛ حيث سأل إبراهيم عليه السلام الله سبحانه وتعالى الإمامة (العهد) لذريته، فجاءه الرد إن العهد لا يصل إلى الظالمين.

يقول الزجاج: "والقراءة الجيدة هي على نصب الظالمين؛ لأن المصحف هكذا فيه، ...، ولأن المعنى أن إبراهيم عليه السلام كأنه قال: واجعل الإمامة تنال ذريتي، واجعل هذا العهد ينال ذريتي، قال الله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فهو على هذا أقوى أيضاً."(٢)

وهناك وجه بلاغي آخر يمكن أن نلحظه في تأخير المفعول في القراءة المتواترة والفاعل في القراءة الأخرى، وهو: الاستجابة لمتطلبات جمالية اللفظ وتناسق الإيقاع. جاء في تفسير أبي السعود: "وقرئ (الظالمون) على أن عهدي مفعول، قُدِّم على الفاعل؛ اهتماماً ورعاية للفواصل."(٣) والقراءة المتواترة لا تبتعد عن هذه الوجوه البلاغية التي ذكرها للقراءة الشاذة.

وبذلك يتبين أن التقديم والتأخير في قراءات هذه الآية تتجاوب مع السياق؛ إذ يُلحَظ أن المقدَّم (إبراهيم، عهدي) في القراءات المتواترة هو الأنسب لنظم الآية وسياقها، كما يُلحَظ أن تأخير (الظالمين) يتلاءم مع الإيقاع والنغم وفواصل الآيات. وبهذه الوجوه تتجلى بلاغة نظم القرآن، وتتضح جمالية تأليف كلماته.

ومما يخالف المتواتر أيضاً من القراءات الشاذة قراءة أنس بن مالك ﷺ (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ثَابِتٍ أَصْلُهَا)،(٤) بتقديم ما هو صفة في المعنى على الموصوف، بعكس القراءة المتواترة ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [سورة إبراهيم/٢٤].

---

(١) مفاتيح الغيب، ١٩/٣.

(٢) معاني الزجَّاج، ٢٠٥/١.

(٣) إرشاد العقل، ١٥٦/١.

(٤) جامع البيان، ٥٧٠/١٦، والمحتسب، ٣٦٢/١، والكشاف، ٥١٩/٢، والمحرر الوجيز، ٣٣٥/٣، وأنوار التنزيل، ٣٤٦/٣، والبحر المحيط، ٤١١/٥، والدر المصون، ١٠٠/٧، وروح المعاني، ٢١٣/١٣.

وجملة (أَصْلُهَا ثَابِتٌ) في قراءة الجماعة في محل جر صفة لـ (شَجَرَةٍ)، وتقوم هذه الجملة بكاملها مقام المفرد، أما قراءة أنس بن مالك ﷺ فتعبر عن صفة الثبات بالمفرد (ثَابِتٍ)، والثبات في الحقيقة وصفٌ للأصل، لكن قراءة أنس ﷺ أجرت الصفة على شجرة، مع أن الثبات ليس لها، إنما هو للأصل.

ووجه البلاغة في قراءة أنس ﷺ أنَّ (ثَابِتٍ أَصْلُهَا) صفة الشجرة، وأصل الصفة أن تكون اسماً مفرداً؛ لأن الجملة إذا جاءت صفة لنكرة حُكِم على موضعها بإعراب المفرد الذي هي واقعة موقعه، وقراءة أنس ﷺ تُجرِي لفظ المفرَد صفة على النكرة، بخلاف قراءة الجماعة (أَصْلُهَا ثَابِتٌ) فإنها تضع الجملة في موضع المفرد، فالموضع فيها للمفرد لا للجملة.(١)

ووجه آخر: وهو أن إجراء الصفة على الشجرة مع كونها صفة الأصل كوصف الشيء مرتين: مرة صورةً ومرة معنى، فإنه لما قيل: (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ثَابِتٍ) تبادر إلى الذهن أن (ثابتٍ) صفةٌ لشجرة صورة، أي: إن شيئاً من الشجرة متصف بالثبات. ثم لما قيل: (أصلُها) عُلِم صريحاً أن الثبات صفة أصل الشجرة.(٢)

ووجه البلاغة في القراءة المتواترة: أنها تتسم بحسن التقابل والتقسيم، حيث قال ﷻ: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾، فقدَّم ذكر الأصل ثم الإخبار عن وَصْفِه، وثنَّى بتقديم الفرعِ والإخبارِ عنه.(٣)

ووجه آخر: أنه لما كان الثبات صفة الأصل، فقد جاء بالإخبار عما هو له لفظاً ومعنًى في القراءة المتواترة، لكن ورد في القراءة الشاذة وصفاً للشجرة لفظاً فقط؛ لأن المعنى انصرف إلى الأصل. ولهذا كانت القراءة المتواترة أبلغ وأقوى في المعنى من الشاذة؛ لأنها تجري على الأصل اللغوي، وتجعل الصفة مختصة بما هي له لفظاً ومعنى.(٤)

جاء في محتَسَب ابن جني: "قراءة الجماعة (أَصْلُهَا ثَابِتٌ) أقوى معنًى؛ وذلك أنك إذا قلت: ثابت أصلها فقد أجريت ثابتاً صفة على شجرة، وليس الثبات لها إنما هو للأصل. ولعمري إن الصفة إذا كانت في المعنى لما هو من سبب الموصوف جرت عليه، إلا أنها إذا كانت له كانت أخص لفظاً به.

وإذا كان الثبات في الحقيقة إنما هو للأصل، فالمعتمَد في الثبات إنما هو الأصل، فبقدر ذلك حسن تقديمه؛ عناية به، ومسارعةً إلى ذكره. ولأجل ذلك قالوا: "زيد ضربته" فقدموا المفعول؛ لأن الغرض هنا ليس بذكر الفاعل، وإنما هو ذكر المفعول، فقدَّموه؛ عناية بذكره. ثم لم يُقنِع ذلك حيث أزالوه عن لفظ الفضلة وجعلوه في اللفظ رب

---

(١) المحتسب، ٣٦٣/١، وروح المعاني، ٢١٣/١٣.

(٢) روح المعاني، ٢١٣/١٣.

(٣) البحر المحيط، ٤١١/٥، وروح المعاني، ٢١٣/١٣.

(٤) الكشاف، ٥١٩/٢، وأنوار التنزيل، ٣٤٦/٣، والبحر المحيط، ٤١١/٥، وروح المعاني، ٢١٣/١٣.

الجملة، فرفعوه بالابتداء، وصارت الجملة التي إنما كان ذيلاً لها وفضلة ملحقةً بها في قولهم: وضربت زيداً ثانية له، وواردة في اللفظ بعده، ومسنَدَة إليه، ومخبَراً باللفظ عنه. ... فكذلك قولك: مررت برجلٍ أبوه قائم أقوى معنى من قولك: قائمٍ أبوه، لأن المخبَر عنه بالقيام إنما هو الأب لا الرجل."[(١)]

وجاء في الكشاف: "وقرأ أنس بن مالك ﷺ (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ثَابِتٍ أَصْلُهَا). فإن قلت: أيّ فرق بين القراءتين؟ قلت: قراءة الجماعة أقوى معنى؛ لأنّ في قراءة أنس أجريت الصفة على الشجرة، وإذا قلت: مررت برجل أبوه قائم، فهو أقوى معنى من قولك: مررت برجل قائمٍ أبوه؛ لأنّ المخبَر عنه إنما هو الأب لا رجل."[(٢)]

إذاً: لقراءة أنس وجه في البلاغة لا يمكن إغفاله، أما القراءة المتواترة فهي الأبلغ والأقوى معنًى؛ لأنها تؤخِّر المسنَد (الخبر: ثابت) عن المسند إليه (المبتدأ: أصلها)، وتأتي بالصفة بطريقة الإخبار عن الموصوف، فتجعلها بذلك جارية على أصلها اللغوي، ومختصة بما هي له لفظاً ومعنى، مع ما تتسم به من حسن التقابل والتقسيم. وبذلك يتضح أن ما جاء متواتراً لا يبلغ أي لفظ آخر أن يدرك شأوه في البلاغة، وحسن النظم والتأليف.

والخلاصة: أن القراءات المتواترة المتغايرة بين حالتي التقديم والتأخير إنما جاءت على التبادل بين هذين الأسلوبين لغرض مهم، وهو الإشعار بأهمية كل من المقدَّم والمؤخَّر، فقدمت المؤخَّر في بعض القراءات وأخرته في قراءة أخرى؛ لتبرز عنايتها بمضمون القراءتين، ولتشير إلى أن لكل واحدة منهما وجهاً بلاغياً يكاد يكون هو الأنسب والأليق بالسياق، وهذا من بلاغة الإيجاز في نظم القرآن الذي يعبِّر عن اهتمامه بجميع المعاني من خلال قراءاته المتعددة.

وقد تبيَّن أن القراءة المتواترة حين تخالف الشاذة في التقديم والتأخير فإن هذه المخالفة تحتمل أموراً، منها: أن ما قدمته الآية المتواترة هو موضع العناية والاهتمام، كما يشير إلى ذلك السياق، أو أنّ تقديمه هو الأصل وبه يكون المعنى أوضح، كما في قوله: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾، وقد يكون التقديم والتأخير لمراعاة توافق الفواصل.

وقبل أن أختم هذا الفصل أودُّ أن أشير إلى أن هناك مثالاً واحداً في القراءات المتواترة ورد متوافقاً مع أحد أحوال المسند إليه، وهي حالة تعقيب المسند إليه بضمير الفصل، لتخصيصه بالمسند إليه.[(٣)]

وهذا المثال هو: قراءة الجمهور لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [سورة الحديد/٢٤]، التي تفصل بين

---

(١) المحتسب، ٣٦٢/١، وروح المعاني، ٢١٣/١٣.

(٢) الكشاف، ٥١٩/٢، والدر المصون، ١٠٠/٧.

(٣) مفتاح العلوم، ص ٣٨٥، والإيضاح في علوم البلاغة، بتحقيق الخفاجي، ٥٩/٢، ومختصر المعاني، ٦٣/١، وموجز البلاغة، ص ٢١.

المسند والمسنَد إليه بضمير الفصل (هو)، بخلاف قراءة ابن عامر والمدنيَّين ﴿فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.[1]

والقراءتان متقاربتان في المعنى؛ لأن الفصل قد يكون للتخصيص، أي: لقصر المسند على المسند إليه، وقد يكون لمجرد التأكيد إذا كان التخصيص حاصلًا بدونه، بأن يكون في الكلام ما يفيد قصر المسند على المسند إليه، ومنه قراءة الجمهور لهذه الآية.[2]

فقراءة نافع وابن عامر تفيد اختصاص الله ﷻ بالغنى والحمد المطلق؛ لأن طرفي الإسناد فيها معرفة، وتعريف طرفي الإسناد طريق من طرق القصر.[3] أما قراءة الجمهور فتفيد تأكيد هذا القصر والاختصاص؛ لأنها تفصل بين طرفي الإسناد بضمير الفصل (هُوَ).[4] وتنوع القراءات هنا بين هذين الحالين من باب التفنن في التعبير.

وبذلك يكون هذا الفصل قد استوفى معظم أحوال المسند والمسند إليه وعناصر الجملة الأخرى بالدراسة، وترك أحوالاً أخرى لتقدّم دراستها في فصولٍ أخرى. والفصل الآتي سيتناول ظاهرة أخرى من الظواهر التي تعرض لأحوال الإسناد، وهي: الخروج عن مقتضى الظاهر في بعض القراءات.

---

(١) السبعة، ص ٦٢٧، والمبسوط، ص ٤٣٠، والتيسير، ص ١٣٣، والنشر، ٢/٤٢٤، وتحبير التيسير، ص ٥٧٦.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، بتحقيق الخفاجي، ٢/٥٩، والبلاغة العربية، ١/٤٧٠–٤٧١.

(٣) البلاغة العربية، ١/٥٣٦-٥٤٤.

(٤) التحرير والتنوير، ٢٧/٣٧٣.

الفصل الثالث: خروج بعض القراءات عن مقتضى الظاهر، وأثره في بلاغة نظم القرآن.

المبحث الأول: الالتفات في بعض القراءات، وأثره في بلاغة النظم.

المبحث الثاني: العدول في ضمائر الأعداد وصيغ الأفعال، وأثره في بلاغة النظم.

كلُّ ما ذكر سابقاً من القراءات المتبادلة بين مختلف الأحوال التي قد تعرض للمسند والمسند إليه، وبقية عناصر الجملة إنما جرى على مقتضى الظاهر في الكلام والإسناد، غير أنَّ جريان الجملة القرآنية خصوصاً، والجملة العربية عموماً على هذا المقتضى أمر غير مطَّرِدٍ؛ لأن مقتضى الحال والاعتبارات البلاغية الأخرى قد تدعو البليغ إلى تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر؛(١) مراعاةً لهذه الاعتبارات.

وقد ذكر البلاغيون صوراً لخروج الكلام عن مقتضى الظاهر، منها:

الالتفات،(٢) وأسلوبُ الحكيم،(٣) والإضمار في مقام الإظهار، وعكسه،(٤) والتعبير عن المستقبل بلفظ

---

(١) أي: ما سبق من أحوال المسند إليه، هو مقتضى ظاهر الحال. والحال هو الأمر الداعي لإيراد الكلام بكيفية مخصوصة، سواء أكان ذلك الأمر الداعي ثابتاً في الواقع أم كان ثبوته بالنظر إلى ما عند المتكلم. أما ظاهر الحال: فهو الأمر الداعي بشرط أن يكون ذلك الأمر ثابتًا في الواقع فقط. فظاهر الحال أخص من الحال، ومقتضى ظاهر الحال أخص من مقتضى الحال، فإذا خرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر كان سائراً على مقتضى الحال. أي: إنَّ النسبة بين مقتضى الظاهر ومقتضى الحال هي العموم والخصوص الوجهي. انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، بتحقيق خفاجي، ٩٣/٢، وموجز البلاغة، ص ٥٣.

(٢) الالتفات: هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة – التكلم والخطاب والغيبة – بعد التعبير عنه بطريق آخر منها، بشرط أن يكون التعبير الثاني على خلاف ما يقتضيه الظاهر. وسيأتي الحديث عنه مفصلاً في المبحث الآتي. انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٧٢-٧٣، ومختصر المعاني، ص ٧٧—٧٩، وموجز البلاغة، ص ٣٨.

(٣) أسلوب الحكيم: هو تلقي المخاطب بغير ما يترقب، بحمل كلامه على خلاف مراده؛ تنبيهاً على أنه الأَولى بالقصد، أو بإجابة السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره؛ تنبيهاً على أنه الأَولى بحاله أو المهمّ له. مثال الأول: قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [سورة الأنفال/١٩]، أي: إنْ تَدْعُوا الله بأنْ يَنْصُرَكم على الرسول والذين آمَنُوا معه، فَقَدْ جَاءَكم النَّصْرُ ولكن على غير ما تطلبُون، لقد جاءكم نَصْرُ الله لرسوله والّذين آمنوا معه عليكم. فقُبِل دُعاؤهم بالنّصر، ولكن بعد حمله على غير ما طلبوا، لقد طلبوا مجيء النّصر لهم، فجاء النّصر للمؤمنين عليهم. ومثال الثاني: قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [سورة البقرة/١٨٨]، حيث سألوا عن السبب في اختلاف القمر في زيادة ضوئه ونقصانه، فأجيبوا ببيان الحكمة من ذلك. راجع: مفتاح العلوم، ص ٥٥٣—٥٥٤، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٧٦—٧٧، ومختصر المعاني، ص ٨٠—٨١، وموجز البلاغة، ص ٣٨—٣٩، والبلاغة العربية، ٤٩٨/١—٥٠٣.

(٤) قد يخرج المسند إليه على خلاف الظاهر، فيوضع المظهر موضع المضمر، أي: قد يكون استخدام الضمير في الكلام هو المتبادر الذي يقتضيه ظاهر الأسلوب المعتاد، لكن قد يوجد داعٍ بلاغي يستدعي الاسم الظاهر بدل استخدام الضمير، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [سورة آل عمران/٥٩]، فمُقْتَضَى الظّاهر يستدعي أن يقال: "فتوكَّلْ عليه إنّه يحبُّ المتوكلين"، لكن وُضع الاسم المظهر (الله) موضع الضمير لإدخال الروعة والمهابة؛ لأن لفظ الجلالة يجمع كُلَّ صفات كمال الله ﷻ، لأنه اسم علم للذات العليّة الجامعة لكلّ صفات الكمال. وقد يعكس الأمر، فيوضع المضمَر موضع المظهَر، فالأصل ألا يذكر الضمير إلا وقد سبقه ما يعود عليه؛ ليكون المقصود بالكلام واضحاً، لكن تجد في الكلام البليغ صوراً تبنى على خلافه، فيذكر الضمير ليفسر بمتأخر عنه في بعض الصور، أو يذكر من غير تفسير اعتماداً على فهم السامع أو وضوح المعنى أو غير ذلك. ومنه: استعمال ضمير الشأن أو القصّة في مقام الاسم الظاهر في الأمر الذي يُرادُ فيه التعظيم والتفخيم، وغير ذلك. كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

=

الماضي،(١) والتغليب،(٢) ووضع الخبر موضع الإنشاء أو الإنشاء موضع الخبر،(٣) والانتقال من الماضي إلى المضارع وبالعكس،(٤) وغير ذلك.

[سورة الصمد/١]، أي: قل: الشأنُ العظيم الجليل الذي يجب أن يَهْتَمَّ بِهِ كُلُّ ذي فكر: اللهُ أَحَدٌ. راجع: مفتاح العلوم، ص ٣٩٢–٣٩٥، والإيضاح في علوم البلاغة، بتحقيق خفاجي، ٩٤/٢–٩٥، ومختصر المعاني، ص ٧٥–٧٧، والبلاغة العربية، ٥٠٣/١–٥٠٩.

(١) التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي، صورة من صور خروج الكلام عن مقتضى ظاهر الحال، ويجري هذا الأسلوب في أثناء الحديث عن أحداث المستقبل التي سيتقع، وتقديمها في صورة أحداثٍ تمَّ وقوعُها؛ تنبيهاً على تحقق وقوعها، ومنه: قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْارْضِ﴾ [سورة النمل/٨٧]، وقوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْارْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾ [سورة الكهف/٤٧]، حيث جعل المتوقع الذي لا بد من وقوعه بمنزلة الواقع. راجع: الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٧٧، ومختصر المعاني، ص ٨١، وخصائص التراكيب، ص ٢٢٨–٢٣٥، والبلاغة العربية، ٥٠٩/١–٥١٠.

(٢) التغليب، هو: إعطاء أحد المتصاحِبَيْن في اللّفظ، أو المتشاكِلَيْن المتشابِهَيْنِ في بعض الصفات، أو المتجاورين أو نحو ذلك حُكْمَ الآخَر، كتغليب المذكّر على المؤنّث، وتغليب الكثير على القليل، وتغليب المعنى على اللفظ، وتغليب المخاطب على الغائب، وتغليب أحد المتناسبين أو المتشابِهَيْن أو المتجاوريْنِ على الآخر، وتغليب العقلاء على غيرهم، وغير ذلك، بقصد الإيجاز في التعبير ولدواعٍ بلاغية أخرى. ومنه قوله تعالى: ﴿يَابَنِي ءَادَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ [سورة الأعراف/٢٧]، أي: كما أخرجَ أَباكم وأمكم، جاء بعبارة (أَبَوَيْكُمْ) على سبيل التغليب، لما بينهما من علاقة، وغُلِّبَ الذكر على الأنثى. انظر: مفتاح العلوم، ص ٧٦٠–٧٦٤، وموجز البلاغة، ص ٣٩، والبلاغة العربية، ٥١٠/١–٥١٢.

(٣) قد يُخرِج البليغ كلامَه عن مقتضى الظاهر فيضع الخبر موضع الإنشاء، ويضع الإنشاء موضع الخبر، لأغراض بلاغيّة متعدّدة، منها على سبيل المثال: وضع الخبر موضع الإنشاء؛ للتنبيه على لزوم المسارعة إلى امتثال الأمر التكليفي، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ﴾ [سورة البقرة/٨٤]، أي: لا تسفكوا دماءكم، ولا تخرجوا أنفسكم من دياركم، فجاء التكليف بصيغة الخبر؛ للإشعار بلزوم فورية الامتثال. ومنه: وضع الإنشاء موضع الخبر؛ لإظهار العناية والاهتمام بالشيء، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [سورة الأعراف/٢٩]، كان مقتضى الظاهر أن يقال: وبإقامة وجوهكم عند كل مسجد، وبدعائكم مخلصين له الدين، عطفاً على لفظ (بالقسط)، وبأسلوب الخبر، لكن خولف هذا الظاهر فجاء التعبير بأسلوب الإنشاء في صيغة الأمر التكليفي؛ إشعاراً بالاهتمام بالمطلوب في أمر التكليف. راجع: مفتاح العلوم، ص ٥٤٩–٥٥٣، والبلاغة العربية، ٥١٢/١–٥١٥، وخصائص التراكيب، ص ٢٢٨–٢٣٠.

(٤) الانتقال في تتابع الجمل من الفعل الماضي إلى الفعل المضارع وبالعكس صورة من صور الخروج عن مقتضى الظاهر، يأتي بها البليغ لأغراض بلاغية، منها: إثارة الانتباه وإحضار المشاهد الماضية في صور المشاهد الحاضرة، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [سورة فاطر/٩]. كان مقتضى الظاهر أن يعطف (فَتُثِيرُ) على الفعل الماضي (أَرْسَلَ) بفعل ماض فيقول: "فأثارت"، لكن عدل عن هذا الظاهر إلى التعبير بالمضارع؛ لتقديم صورة السحاب المثار كأنه حدث يجري مع تلاوة النص، وهذا الأسلوب فيه إحضار للمشاهد الماضية في صور المشاهد الحاضرة الجارية ذات الأحداث المتجددة، إذ الفعل المضارع يفيد مع الحدوث الحاضر التجدد والتتابع، مع ما فيه من التنويع في أسلوب التعبير الذي يستثير الانتباه ويستدعيه بقوة. ومنه: الانتقال من المضارع إلى الماضي في وصف بعض أحداث يوم القيامة؛ لتقديم الأحداث التي ستأتي في المستقبل في صورة أحداث قد وقعت ومضت، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْارْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾

=

والالتفات هو أكثر صور الخروج عن مقتضى الظاهر تحققاً بين القراءات المتواترة، أما الصور الأخرى فمنها ما لم يتحقق في القراءات، كـ (الإضمار في مقام الإظهار، والإظهار في مقام الإضمار، وأسلوب الحكيم، والتغليب، وتجاهل العارف،[1] والقلب[2])، ومنها ما هو قليل الوقوع، كـ (التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي، ووضع الخبر موضع الإنشاء وبالعكس، والانتقال من الماضي إلى المضارع وبالعكس).

والالتفات من أبرز الصور المذكورة، وأكثرها تردداً بين القراءات المتواترة؛ لذا سأفرد هذه الصورة بمبحث مستقل من بين تلك الصور، وسأتناول الصور الأخرى بالدراسة في مبحث آخر.

[سورة النمل/٨٧]، كان مقتضى الظاهر أن يقال: "فيفزع" بالفعل المضارع عطفاً على فعل (يُنْفَخُ)، لكن عدل عن هذا الظاهر؛ لتقديم الأحداث التي ستأتي في المستقبل في صورة أحداث قد وقعت ومضت، مع ما في هذا الأسلوب من تنويع يستثير الانتباه. انظر: البلاغة العربية، ١/٥١٥–٥١٧.

(١) تجاهل العارف: هو أن يتكلم العارف بالأمر مخرجاً ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه أو يجهله؛ ليزداد تأكيداً. ومنه: قول البوصيري: أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بذي سَلَمٍ   مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ.
أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ   وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ.
شكَّك في الأسباب الداعية إلى بكائه المختلط بالدم، فسأل: أهي التذكر، أم الريح التي هبت من أرض محبوبه، أم البرق الذي أومض من جهتها؟ رغم معرفته بأن السبب هو التذكر، بقصد التعجيب. انظر: البلاغة العربية، ١/٥١٧–٥١٨.

(٢) القلب: وهو إجراء التبادل بين جزئين يمكن إجراء التبادل بينهما من أجزاء الجملة لغرضٍ بلاغيّ. كقوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة البقرة/٧١] فالأصل أن يقول: "كادوا ما يفعلون". للتوسع، راجع: مفتاح العلوم، ص ٣٩٢–٤٠٣، والإيضاح في علوم البلاغة، ص ٧٠–٨٠، ومختصر المعاني، ص ٧٤–٨٢، والبلاغة العربية، ١/٤٧٨–٥٢٠.

المبحث الأول: الالتفات في بعض القراءات، وأثره في بلاغة النظم.

المطلب الأول: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

المطلب الثاني: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

المطلب الثالث: الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

المطلب الرابع: الالتفات من التكلم إلى الغيبة.

الالتفات أسلوب بلاغي له كبير الأثر في تحقيق البلاغة لنظم القرآن؛ حيث يوحي بالكثير من اللطائف والمعاني، ويجدد نشاط السامع، ويطرد عنه الملل الذي قد يعتريه من جريان الكلام على طريقة واحدة من طرق التعبير. وقد اهتم العلماء قديماً وحديثاً بدراسته؛ لأهميته وشدة اتصاله بالقرآن الكريم؛ حيث لا تكاد تخلو سورة في القرآن الكريم من هذا الأسلوب.

والالتفات في **اللغة**: الصرف، وليّ الشيء على غير جهته، يقال: لَفَتُّ الشَّيءَ: لوَيْتُه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ [سورة الحجر/٦٥]، ويقال: لفَتُّ فلاناً عن رأيه: صرفته عنه، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [سورة يونس/٧٨]، أي: تصرفنا.[١]

أما تعريف الالتفات **اصطلاحاً** فقد اضطربت الآراء في مشمولاته وحدوده بين تضييق لمفهومه، واتساع،[٢]

فاختار بعض البلاغيين توسيعه بحيث يشمل العدول والتحوُّل من نوع من أنواع الضمائر إلى آخر، كالتحوّل من غيبة إلى خطاب، ومن خطاب إلى تكلُّم، والعدول في صيغ الأفعال من الماضي إلى المضارع، وعكس ذلك، والعدول في الأعداد من خطاب الجماعة إلى خطاب المفرد أو المثنى، وعكس ذلك.[٣]

ومن ثَمَّ عرَّفوا الالتفات بأنه: "العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول."[٤]

وهذا الاتساع في مفهوم الالتفات لم يتوافق مع ما نحا إليه علم البلاغة بعد من تحديد المصطلحات والتقنين، ولم يطب لكثير من المتأخرين الّذين جعلوا مصطلح الالتفات خاصَّاً بالمخالفة بين الضمائر، متابعين في ذلك ابن المعتز الذي كان أول من تعرض للحديث عن هذا الأسلوب تحت مصطلح الالتفات، فقال: "الالتفات: وهو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة، وما يشبه ذلك."[٥]

وحَصْرُ الالتفات بالضمائر هو مذهب الزمخشري، والسكاكي، والخطيب القزويني، وكل من اعتنى بشرح

---

(١) تهذيب اللغة، ٢٠٣/١٤، ومختار الصحاح، ص ٦١٢، ولسان العرب، ٨٤/٢، وتاج العروس، ٧٨/٥.

(٢) راجع: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د. حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط./١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ص ١٢-٢٦.

(٣) وهذا المذهب هو اختيار ضياء الدين ابن الأثير، والعلوي المالكي، والزركشي من الأقدمين، واختاره بعض المعاصرين، ومنهم: د.قحطان، وحسن طبل. راجع: المثل السائر، ١١/٢، والطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن العلوي اليمني (٧٤٥هـ)، دار الكتب الخديوية، مصر، د.ط./١٢٢٢هـ-١٩١٤م، ١٣٢/٢، والبرهان، ٣٣٤/٢، وانظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د. حسن طبل، ص ٢٣-٢٤، والالتفات في البلاغة العربية، ونماذج من أسرار بلاغته في القرآن الكريم، د. طاهر عبد الرحمن قحطان، مجلة الدراسات الاجتماعية، مجلة علمية محكَّمة تصدر عن جامعة العلوم والتكنولوجيا بصنعاء، ع/١٩، يناير-يونيو عام٢٠٠٥م، المجلد١٠، ص ١٦٥-١٦٦.

(٤) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، ١٣٢/٢.

(٥) البديع، لابن المعتز، ص ٥٨.

تلخيص المفتاح من البلاغيين، وهو مذهب جمهور البلاغيين، وإن اختلفوا في تحديد أطرافه:(١)

حيث ذهب جمهورهم إلى أن الالتفات هو: التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة – التكلم، والخطاب، والغيبة – بعد التعبير عنه بطريق آخر منها، بشرط أن يكون التعبير الثاني على خلاف ما يقتضيه الظاهر.(٢)

وذهب الزمخشري، والسكاكي إلى أنه التعبير عن المعنى بطريق من هذه الطرق بعد التعبير عنه بغيره، أو التعبير ابتداء بواحدة من هذه الطرق إذا كان على خلاف مقتضى الظاهر.(٣)

أي: إنَّ السكاكي يتفق مع جمهور البلاغيين بجعل الالتفات خاصًّاً بتحويل الضمائر دون الصيغ، والأعداد. ويخالفهم في كونه يجيز مجيء الالتفات في أول الكلام إذا كان ابتداء الكلام على خلاف مقتضى الظاهر؛ لأن الالتفات عنده التعبير بطريق من الطرق الثلاثة عما عُبِّر عنه بغيره، أو كان مقتضى الظاهر أن يُعبَّر عنه بغيره، أما الجمهور فلا يجيزون وقوع الالتفات في أول الكلام سواء وافق مقتضى الظاهر أو خالفه.

فقول القائل محدِّثاً نفسه: ويحك ما فعلتَ وما صنعتَ؟ ليس التفاتاً عند الجمهور، وإن كان مقتضى الظاهر أن يقول: ويحي ما فعلتُ وما صنعتُ، وهو التفات عند السكاكي؛ لأنه عبر عن المتكلم بطريق المخاطب، وكان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بطريق التكلم.(٤) أي: إنَّ تعريف السكاكي للالتفات أعم من تعريف الجمهور، فكل التفات عند جمهور البلاغيين هو التفات عنده من غير عكس.(٥)

ومذهب جمهور البلاغيين أقرب إلى الصواب من مذهب الزمخشري والسكاكي؛ لأن "الالتفات من عوارض الألفاظ، لا من التقادير المعنوية."(٦) فنقل أسلوب الكلام ابتداءً إلى غير ما يقتضي الظاهر إنما هو نقل تقديري عما تقتضيه مواضعات اللغة، وليس نقلاً أسلوبياً متجسداً بطرفيه في نسيج الكلام.(٧)

والالتفات من أجلِّ المباحث البلاغية، وأعظمها شأناً، ويلقب بشجاعة العربية؛ لأن البليغ حين يستخدم أسلوب الالتفات يقدم على أنماط من التعبير مخالفة لما يقتضيه الأصل، ويفاجئ المتلقي بالتنقل بين طرق الكلام، وهذا ضرب من الشجاعة، واقتحام سبيل غير السبيل المألوف؛ ولذلك كان البليغ الذي يستعمل الالتفات في

---

(١) الالتفات في البلاغة القرآنية، د. حسن طبل، ص ٢٢-٢٥.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٧٢-٧٣، ومختصر المعاني، ص ٧٧-٧٨، والبلاغة العربية، ١/٤٧٩، وخصائص التراكيب، ص ٢١٦-٢١٧.

(٣) راجع: مفتاح العلوم، ص ٣٩٥-٤٠٣.

(٤) خصائص التراكيب، ص ٢١٧.

(٥) الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٧٢-٧٣، ومختصر المعاني، ص ٧٨. وقد غلط الأستاذ محمد أبو موسى في إبانة العلاقة بين مفهوم الالتفات عند الجمهور والسكاكي، فقال: "إن كل التفات عند السكاكي التفات عند الجمهور من غير عكس". انظر: خصائص التراكيب، ص ٢١٧. والعكس هو الصحيح؛ لأن مفهوم الالتفات عند جمهور البلاغيين أخص من مفهومه عند السكاكي كما تبيَّن.

(٦) تفسير البحر المحيط، ١/١٤٢.

(٧) أسلوب الالتفات، د. حسن طبل، ص ٢٦.

كلامه كالرجل الشجاع يركب مالا يستطيعه غيره، ويتورَّد ما لا يتورَّده سواه.(١)

والبليغ حين يقتحم ميدان الالتفات بشجاعة يهدف إلى تحقيق أغراض بلاغية عامة، وأخرى خاصة:

فأما الأغراض العامة فتشترك بها جميع أساليب الالتفات، وصوره وهي: التفنن في انتقال الكلام من أسلوب إلى آخر، والتنويع في العبارة؛ بغية استثارة انتباه المتلقي، وبعث نشاطه لاستقبال ما يوجه له، والإصغاء إليه، وصيانة السمع عن الضجر والملل؛ لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات، والسآمة من الاستمرار على منوال واحد، بالإضافة للإيجاز والاقتصاد في التعبير؛ لأن المتكلِّم يعبِّر عما في نفسه بمجرد تحويل أسلوب الكلام.(٢)

وأما الأغراض البلاغية الخاصة: فتظهر من النظر في مواقع الكلام، وأحواله، ومن معنى العبارة التي حصل الالتفات إليها، وهذه الأغراض تُفهَم من السياق، ولا تستفاد إذا جرى القول وفق مقتضى الظاهر. ومن أهمها: التعظيم، والتفخيم، والمبالغة، والدلالة على الاختصاص، والتنبيه، والاهتمام، والتوبيخ، والمدح، والإنكار.(٣)

وللالتفات وفق المصطلح الذي استقر لدى جمهور البلاغيين ست صور، هي: الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب، والانتقال من التكلم إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم، والانتقال من التكلم إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى التكلم. وقد تحقق من هذه الصور في القراءات الصور الأربع الأولى دون الأخيرتين.(٤) الأخيرتين.(٤) وهذا المبحث سيتناول دراسة الالتفات من خلال القراءات المتواترة، ويبيِّن آثاره البلاغية في نظم القرآن، وفق رؤية الجمهور وتعريفهم لهذا المصطلح، لا وفق رؤية السكاكي وتعريفه.

---

(١) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، ٢/١٣١-١٣٢، وخصائص التراكيب، ص ٢١٥-٢١٦.

(٢) البرهان، ٣/٣٢٦، والإتقان، ٣/٢٨٩، والبلاغة العربية، ١/٤٨٢-٤٨٣.

(٣) البرهان، ٣/٣٢٦-٣٣٠، والبلاغة العربية، ١/٤٨٣.

(٤) أكثر صور الالتفات شيوعاً بين القراءات المتواترة هي الصورة الثانية (الالتفات من الغيبة إلى الخطاب)، في حين تتقارب نسبة وقوع الصورتين الأولى والرابعة، ويندر تحقق الصورة الثالثة في المتواتر. وقد ذكر دكتور أحمد سعد محمد أن نماذج الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، ومن الغيبة إلى التكلم تكثر في القراءات المتنوعة وتقل في صورتي الالتفات من الخطاب أو التكلم إلى الغيبة، أما الالتفات من التكلم إلى الخطاب في القراءات فنادر الوقوع. انظر: التوجيه البلاغي، ص ٣٤١. وأخالفه فيما ذهب إليه حيث بيَّن الاستقراء التام للقراءات المتواترة والشاذة أن عدد نماذج الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ثمانون نموذجاً، وعدد نماذج الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم هي بضع وأربعون نموذجاً، أما الالتفات من التكلم إلى الغيبة في القراءات فوقع في ثلاثين موضعاً، أكثرها في القراءات الشاذة التي هي موضع الاهتمام والعناية في أطروحته. ولم أقف على نماذج للالتفات من الخطاب إلى التكلم، وبالعكس بين القراءات المتنوعة: متواترها وشاذها.

المطلب الأول: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

يدل التحول عن الغيبة إلى الخطاب على التفاوت بين مقامي المُخبَر عنهم بصيغة الغائب، والمُقبَل عليهم بالخطاب، ويحمل هذا الانتقال بين ثناياه معاني بلاغية تختلف باختلاف المقام وعداً أو وعيداً، وهذه المعاني يدل عليها سياق الإقبال على المخاطبين، ومواجهتهم بالكلام المنقول إليهم.

فالالتفات إلى الخطاب في مقام الوعد يعني الإقبال على المخاطبين بالتحبب والتلطُّف، وينطوي على معاني التشريف، والتكريم، والإيناس، وهذا ما يؤكّده استقراء سياق آيات الوعد المتضمنة التفاتات من هذا القبيل، أما الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في مقام الذم والوعيد فيشمل معاني التوبيخ، والتقريع، والإنكار، والدلالة على شدة الغضب حسبما يؤكده الاستقراء لمقام الآيات المختلَف في قراءتها.(١)

وفيما يأتي دراسة موجزة لبعض الجمل القرآنية التي اختلف قراء المتواتر في قراءتها بين حالتي الالتفات ومخالفة مقتضى الظاهر، ومشابهة الأفعال السابقة في الإسناد وفق ما يقتضي الظاهر، وستحاول هذه الدراسة الكشف عما ينطوي عليه الالتفات من معانٍ ووجوهٍ بلاغية، وأثر هذا الأسلوب في بلاغة نظم القرآن.

فعلى سبيل المثال: اختلف قراء المتواتر في قراءة الآيات الآتية التي يخبر الله ﷻ بها عن محاسن أعمال بعض أهل الكتاب بقوله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۝ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران/١١٣-١١٥]، اختلف القراء في قراءة الآية الأخيرة ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ بين الالتفات وعدمه.(٢)

إن الأفعال في هذه الآيات جرت جميعاً بطريقة الإخبار عن الغائب، ثم التفتت في الآية الأخيرة – في قراءة الجمهور – إلى الحاضرين منهم تحضُّهم على سلوك مسلك الصالحين، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوهُ﴾ [سورة آل عمران/١١٥]، وهذا الالتفات إلى الخطاب وعد للحاضرين من أهل الكتاب، وترغيب لهم للإقبال على شرع الله المستقيم، والتخلي عن الرذائل التي درج عليها بعض أسلافهم من قتل الأنبياء وتكذيبهم، كما يحمل الالتفات معاني الرحمة والعطف على المخاطبين، وإيناسهم بالإقبال عليهم بالخطاب.

وهذه الوجوه التي تتجلى في قراءة الالتفات والخطاب تتناسب مع غرض الآيات وسياقها، حيث اقتصرت

---

(١) التوجيه البلاغي، ص ٣٤٢.

(٢) قرأ حفص والأخوان وخلف ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ بياء الغائب، وقرأ الباقون ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوهُ﴾ بتاء الخطاب. انظر: السبعة، ص ٢١٥، والغاية، ص ٢١٦، والتيسير، ص ٦٩، والنشر، ٢/٢٧٥، وتحبير التيسير، ص ٣٢٦.

الآية على ذكر المجازاة بالخير، ولم تتعرض لذكر الجزاء على فعل الشر، رغم أن كلاً من فعل الخير والشر يترتَّب عليه موعوده. يقول أبو حيان: "لما وصفهم بأوصاف جليلة أقبل عليهم؛ تأنيساً لهم، واستعطافاً عليهم، فخاطبهم بأنّ ما تفعلون من الخير فلا تمنعون ثوابه؛ ولذلك اقتصر على قوله: (مِنْ خَيْرٍ)؛ لأنه موضع عطف عليهم وترحم، ولم يتعرض لذكر الشرّ، ومعلوم أن كل ما يُفعَل من خير وشر يترتب عليه موعوده."(١)

ولهذه القراءة أثر بليغ في إيصال المعنى إلى نفوس المخاطبين عامةً، مما يحمل المسلمين وغيرهم على المسارعة إلى فعل الخيرات؛ لأن الإقبال إليهم بالخطاب بعد الإخبار بصيغة الغائب يشعر المخاطبين بعظيم مراقبته ﷻ لأحوالهم، واطلاعه على خفايا نفوسهم، مما يحثهم على مراقبته ﷻ في أفعالهم وأقوالهم كما يراقبهم، فتمتلئ قلوبهم عند العمل بعظمته، فيعملون ما يعملون وكلهم شعور بأنه مطلع على ما تخفي صدورهم، وفي هذا ترغيب لهم للمسارعة إلى فعل الخيرات.

وعموم الخطاب لا يدل على اختصاص صالحي أهل الكتاب بحسن الجزاء، بل يشمل جميع المؤمنين، كما يدل عليه ابتداء الخطاب، فهي كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [سورة البقرة/١٩٧]، وقوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾ [سورة المزمل/٢٠].(٢)

وقراءة الغيبة ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ تعاضد معنى قراءة الخطاب؛ حيث تدل على عظم أجر الصالحين السابقين بقرينة مقام الامتنان، ووقوعه عقب ذكرهم.(٣)

ولا يخفى أن بلاغتها تتجلى في مشابهتها لما قبلها من الأفعال، وتجاوبها مع نسقها الظاهر، مما يجعل الكلام بها يسير على وتيرة واحدة،(٤) وهذا وجه بلاغي جليل تتجلى به جمالية النسق اللفظي للآيات.(٥)

---

(١) البحر المحيط، ٣/٣٩. وانظر مثله في الدر المصون، ٣/٣٥٨.

(٢) معاني النحاس، ١/٤٦٣–٤٦٤، ومعالم التنزيل، ٢/٩٤، ومفاتيح الغيب، ٨/١٦٧، ولباب التأويل في معاني التنزيل، ١/٤٠٧، والدر المصون، ٣/٣٥٨، واللباب، ٥/٤٨١.

(٣) التحرير والتنوير، ٣/١٩٦.

(٤) حجة أبي زرعة، ص ١٧١، وروح المعاني، ٤/٣٥.

(٥) رجَّح الإمام الطبري قراءة الغيبة ونسب إليها الصواب؛ لأن ما قبل هذه الآية من الآيات إخبار عن الأمة القائمة من أهل الكتاب، فرأى أن إلحاق هذه الآية بمعاني الآيات قبلها أولى من صرفها عن معاني ما قبلها؛ لعدم توفر دلالة فيها تدل على الانصراف عن صفتهم. انظر: تفسير الطبري، ٧/١٣١. وأرى أن التعليل بهذه العلة لترجيح قراءة الغيبة غير صحيح، وأن الأَولى بالصواب هو النظر إلى ما في كل قراءة من أغراض ومعانٍ بلاغية لا تدل عليها القراءة الأخرى. أي: إنَّ الأجدر بالمفسر أن يوفق بين معاني القراءات المتنوعة، ويوجِّه اهتمامه إلى استخراج المعاني الكثيرة التي تدل عليها الآية بقراءاتها، والاستدلال بذلك على ثراء النص القرآني، وليس أن يوجِّه اهتمامه إلى ترجيح أو نسبة الصواب إلى بعضها دون البعض الآخر.

غير أن قراءة الالتفات تتناغم في دلالاتها، وتتجاوب مع النسق المعنوي، والسياق القرآني؛ لتصل بالنص إلى غايته الأسمى في الإمتاع، والإبداع، والتأثير. وبذلك يكون أبو حيان قد تفوَّق على سائر المفسرين حين تجاوز النظرة الجزئية في تحليل القراءات وتوجيهها، وانطلق إلى ما وراءها من التوفيق والتأليف بين المعاني الجزئية التي يدل عليها أسلوب الالتفات، والمعاني الكلية التي تفهم من السياق العام ودلالة الاقتصار على فعل الخير.(١)

وبهذه الوجوه المتعددة التي تم بها توجيه القراءتين يتبيَّن كيف أمكن للنص القرآني التعبير بقليل من الألفاظ عن الكثير من المعاني، والوجوه البلاغية؛ بفضل القراءات المتعددة، وهذا يعدُّ آية من آيات الجمال والكمال، والإيجاز والإعجاز التي يتسم بها نظم القرآن.

ويمكن أن تلحظ الكثير من المعاني والوجوه البلاغية إذا تأملت أيضاً قوله ﷻ وهو يصف ما أعده للمتقين من نعيم: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ۞ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ۞ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۞ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۞ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [سورة ص/٤٩-٥٣]، وقد اختلف قراء المتواتر في قراءة الآية الأخيرة ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ بين الالتفات وعدمه.(٢)

اقرأ والحظ كيف أخبر الله عن هذا النعيم العظيم بصيغة الغائب، ثم تأمل الالتفات إلى الخطاب في قراءة الجمهور ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [سورة ص/٥٣]. إنَّ الالتفات إلى الخطاب في هذا المقام بعد الإخبار عن كلِّ ما تقدَّم بأسلوب الغائب يُشعر بالمنَّة والشرف العظيم الذي خص الله ﷻ به المخاطبين، ويُشعر بالفرح الغامر الذي يجعل المخاطبين يطيرون فرحاً بالبشارة الكبرى الملقاة إليهم؛ حيث لا يغيب عن بال المستمع لقراءة الالتفات معنى الامتنان، والتشريف، والتكريم للمتقين بإحضارهم لمقام خطاب الله ﷻ،(٣) وهذه المعاني تأخذ بمجامع قلوب المخاطبين؛ حيث لا يغيب عن التذوق البلاغي تلك المعاني التي أضفاها التحول من الغيبة إلى الخطاب على نظم هذه الآيات.

ولاشك أن الخطاب في هذا المقام هو الأليق بمعاني التكريم، والامتنان، والتشريف،(٤) وإن كان في القراءة الأخرى وجوهٌ بلاغية لا يمكن ملاحظتها في قراءة الخطاب؛ حيث تُحْضِرُ قراءة الغيبة – بالمقابل – معاني التنكيل

---

(١) التوجيه البلاغي، ص ٣٤٧، بتصرُّف.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿هَذَا مَا يُوعَدُونَ﴾ بطريقة الإخبار عن الغائب، وقرأ الباقون ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ بالخطاب. انظر: السبعة، ص ٥٥٥، والتيسير، ص ١٢٢، والنشر، ٤٠٢/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٣٢، والمُستنير، ١٧/٣.

(٣) اللباب، ٤٣٩/١٦، والسراج المنير، ٥١١/٣، وإرشاد العقل السليم، ٢٣١/٧-٢٣٢، والبحر المديد، ٢٢٦/٦،والتحرير والتنوير، ١٧٦/٢٣، والتفسير المنير، ٢١٣/٢٣.

(٤) إرشاد العقل، ٢٣٢/٧.

بالطاغين، وإدخال الحسرة والندامة والغمِّ إلى قلوبهم.

فعندما تسمع القراءة ﴿هَذَا مَا يُوعَدُونَ﴾ التي أعرضت عن توجيه الخطاب إلى المتقين، وألقته بطريقة الغيبة تشعر أنها جاءت بهذا الأسلوب لتأتي بالطاغين إلى مقام الاستماع؛ لتعرِّفهم بما أعده الله ﷻ للمتقين، وعندها سترى التنكيل وهو يتزايد على الطاغين، والحسرة والندم وهما يتضاعفان عليهم.(١) فضلاً عما في هذا الأسلوب من موافقة ومشابهة ما قبله في طريقة الإسناد، مما يجعل الكلام يأتلف على نظام واحد.(٢)

والنظر في معاني القراءتين ووجوههما البلاغية يؤكد أن بلاغة نظم القرآن في هذه الآيات لا تتجلى بجمالها كاملة إلا بالنظر إلى الآية بجميع قراءاتها، وبالتركيز على معاني التفنن والتنويع والإيجاز التي يدل عليها الالتفات عموماً، ومعاني التشريف والامتنان التي يدل عليها السياق، ومقام الوعد خصوصاً.

وفي المقابل تهدي دراسة القراءات الواردة في مقام الوعيد إلى معانٍ ووجوه بلاغية أخرى بعكس تلك المعاني والوجوه التي كشف عنها أسلوب الالتفات في مقام الوعد.

فعلى سبيل المثال اختلف قراء المتواتر في قراءة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة آل عمران/١٨٠]، حيث قرأ جمهور القراء ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ بالخطاب، وقرأ ابن كثير والبصريان ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ بالغيبة.(٣)

في هذه الآية يهددُّ ويتوعَّد الله ﷻ أولئك الذين أنعم عليهم ببعض الخيرات والمنافع – مالاً أو علماً – ثم بخلوا بها، ومنعوها أهلها ومستحقيها. وقد جاء نسق القرآن في هذه الآية جميعها بأسلوب الحديث عن الغائب: لا يظنَّن ولا يتوهَّمن هؤلاء البخلاء أن بخلهم هو خير لهم، بل هو شر لهم؛ لأن عقاب بخلهم سيرتد عليهم، حيث سيلزمون إثمه في الآخرة، وسيجعل الله ﷻ الأموال التي بخلوا بها طوقاً يلتف حول رقابهم ويعذبهم بها، فالله ﷻ لا يخفى عليه شيء من أمر العباد، فهو ﷻ خبير بما كان منهم من منع الحقوق، وسيجازيهم على ذلك.(٤)

أمَّا قراءة الجمهور ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، فتصبُّ غضب الله ﷻ على أولئك البخلاء بذلك التذييل المروِّع الذي جاء بأسلوب الخطاب بعد الغيبة، والالتفات بعد الإعراض؛ ليدل على أن الغضب قد بلغ منه ﷻ

---

(١) التحرير والتنوير، ١٧٦/٢٣. بتصرُّف.

(٢) حجة أبي زرعة، ص ٦١٤، وإبراز المعاني، ٦٦٧/٢، وأنوار التنزيل، ٥١/٥، وإرشاد العقل، ٢٣١/٧، وفتح القدير، ٦٢٣/٤.

(٣) السبعة، ص ٢٢٠، والتيسير، ص ٧١، والنشر، ٢٧٩/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٣١.

(٤) مفاتيح الغيب، ٩١/٩–٩٤، وروح المعاني، ١٣٩/٤–١٤٠، باختصار وتصرُّف.

مبلغاً، كأنه قد تناهى إلى حد جعله ﷻ يتوجه إليهم بالخطاب، ويشافه بالعتاب،[١] فالالتفات "للمبالغة في الوعيد، والإشعار باشتداد غضب الرحمن الناشئ من ذكر قبائحهم."[٢]

وقراءة الغيبة تجري مع نسق النص ونظامه، وسياق الغيبة فيه، وهذا يجعلها أوفق لجمال التناسق اللفظي في الآية، إلا أن الملحظ البلاغي في قراءة الالتفات يتجلى بما في توجيه الخطاب من الوعيد والتهديد، وهذا الأمر هو الذي جعل المفسّرين يتفقون على أن قراءة الالتفات أبلغ من قراءة الغيبة.[٣]

ولم يعد يخفى أنَّ هذا المسلك مخالفٌ للأَولى، لكنَّ البحث عن وجوه البلاغة في جميع القراءات المتواترة هو الأليق بالمصدر الرباني لجميعها.

وكذلك يُلحَظ معنى المبالغة في الوعيد والتهديد في قراءة الالتفات في الآيات الآتية من سورة الروم: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ۞ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة الروم/٨-١١].

فعند قراءة هذه الآيات تَلحَظ نبرة التقريع والتوبيخ تجري في سياق هذه الآيات كلها، وهي تسير وفق نظام واحد من الغيبة، ثم إنك تُفاجَأ بانحراف مسار النص ونسقه عن أسلوب الغيبة، حيث يأتي الالتفات إلى الخطاب في قراءة الجمهور ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٤] بعد ذاك الإعراض وتوجيه الخطاب إلى الغائب في آيات كثيرة سابقة لهذه القراءة. وإذا تابعت في قراءة الآيات التالية من هذه السورة ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ۞ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ۞ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۞ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [سورة الروم/١٢-١٥]. إذا تابعت القراءة فإنك ستقرر أن الالتفات والتحوُّل المفاجئ عن مسار الغيبة، ثم العودة إليه لا بد أنه جرى وفق هذه الطريقة لملحظٍ بلاغي مهمٍّ يفوت الغرض بدونه.

---

(١) غرائب القرآن، ٣١٩/٢.

(٢) إرشاد العقل، ١٢١/٢.

(٣) الكشاف، ٤٧٤/١، ومفاتيح الغيب، ٩٤/٩، ومدارك التنزيل، ١٩٤/١-١٩٥، ولباب التأويل، ٤٥٨/١، والبحر المحيط، ١٣٤/٣، وغرائب القرآن، ٣١٩/٢، ونظم الدرر، ١٨٩/٢، وروح المعاني، ١٤٠/٤.

(٤) قرأ الجمهور ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالخطاب، وقرأ أبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ بالغيبة. انظر: السبعة، ص ٥٠٦، والتيسير، ص ١١٥، والنشر، ٣٨٤/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٠٤.

إن الالتفات إلى الخطاب في قوله ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يحمل بين طياته معاني بلاغية جليلة، منها: المبالغة في الوعيد والترهيب؛ إذ كان مقتضى الظاهر أن يقول: (ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) بياء الغيبة، إلا أنه عدل عنه إلى خطاب المشركين؛ "لمكافحتهم بالوعيد، ومواجهتهم بالتهديد،" كما أن توجيه الخطاب إليهم بعد الحديث بطريقة الغيبة يوهم أن الرجوع إلى الله ﷻ للحساب مخصوص بهم،[١] وبذلك يكون الالتفات؛ لتأكيد وتقرير مضمون الكلام، والمبالغة في إثبات الرجوع إلى الله ﷻ الذي ينكرونه، والمبالغة في الوعيد والترهيب.[٢]

ولاشك أن قراءة الغيبة تتجاوب مع النسق العام للآيات، وتتماشى مع مقتضى الظاهر، وتؤذن بما في الغيبة من الإعراض عن المكذِّبين، غير أنها لا تقدم للقارئ هذه الصورة المروِّعة التي تقدمها قراءة الالتفات، ولا تقرع أذنه بالتهديد الشديد، والوعيد المزمجر، كما تصنع قراءة الخطاب.

وإذا استقر في ذهن القارئ هذه الوجوه التي يحملها الالتفات، وتفهَّم المعاني والصور التي يحملها فإنه سيقرر النتيجة ذاتها وهو يقرأ الآيات الآتية من سورة الزخرف: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۞ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الزخرف/٨٢-٨٦].

إن القارئ المتمعِّن سيحكم بالحكم ذاته عندما يعترضه الالتفات إلى الخطاب في قراءة الجمهور ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾،[٣] إذ إن الالتفات المفاجئ إلى الخطاب في هذا التذييل، وترك النسق العام من الغيبة لا بد أن يكون لمقاصد بلاغية لا تتحقق إلا به، وقد ذكر المفسرون أن الالتفات في قراءة الجمهور؛ للتهديد، وهذا المعنى لا تدل عليه قراءة الغيبة التي جاءت تبعاً لأسلوب الضمائر التي قبله، وتناسبت لفظياً مع السياق العام.[٤]

وكذلك يهدينا التدبُّر في قوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ۞ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة المائدة/٤٩-٥٠]، إن التدبّر في

---

(١) روح المعاني، ٢٤/٢١.

(٢) إرشاد العقل، ٥٣/٧، والبحر المديد، ٣٣٤/٥، وفتح القدير، ٣٠٩/٤، وروح المعاني، ٢٤/٢١، والتفسير المنير، ٥٧/٢١.

(٣) قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف، ورويس ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ بالغيب، وقرأ الباقون ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالخطاب. انظر: السبعة، ص ٥٨٩، والتيسير، ص ١٢٧، والنشر، ٤١٠/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٥٠.

(٤) أنوار التنزيل، ١٥٥/٥، والسراج المنير، ٦٧٩/٣، وإرشاد العقل، ٥٧/٨،والبحر المديد، ٣٦/٧، وروح المعاني، ١٠٧/٢٥، والتحرير والتنوير، ٣٠١/٢٥.

هذه الآية وقراءاتها[(١)] يهدي إلى أن الالتفات إلى الخطاب في قراءة ابن عامر ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ تَبْغُونَ﴾ أبلغ في زجر أهل الكتاب، وردعهم، وتبكيتهم من قراءة الجمهور ﴿يَبْغُونَ﴾ التي تناسبت مع نسق ما قبلها من الغيبة.

والزجر والردع متحقق في القراءتين؛ لأنه مفهوم من أسلوب الاستفهام الإنكاري الذي قُصِد به توبيخ أهل الكتاب على ما كان منهم من ترك ما جاء به النبي ﷺ، والإعراض عنه إلى ما درج عليه حُكَّام الجاهلية، إلا أنَّ قراءة الخطاب أبلغ في الإنكار، وأغلظ عليهم في التوبيخ، وأدلُّ على شدة الغضب؛ إذ فيها مواجهتهم بالإنكار، والردع والزجر، وليس ذلك في الغيبة.[(٢)]

وكذلك يمكن لمن قرأ قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة النمل/٥٩]، ونظر في سياقها الذي تناول الحديث عن عجائب ذنوب الأمم السابقة، وما كان من قصصهم، وكيف كانت نهايتهم، يمكن لمن قرأ هذه الآية، ثم تدبَّر قراءة الجمهور ﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا تُشْرِكُونَ﴾ التي عدلت عن مقتضى الظاهر من الغيبة، يمكن له أن يؤكِّد أن الالتفات إلى الخطاب في هذه القراءة؛ لتبكيت وتوبيخ المشركين الذين آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله ﷻ، بالرغم من شدَّة التباين بين الله ﷻ وبين الأوثان، وظهور خيرية ونفع ما أعرضوا عنه، وهي أبلغ في التهكّم بهم وتنبيههم على نهاية ضلالهم، وجهلهم المفرط من قراءة عاصم والبصريين ﴿أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بالغيبة.[(٣)]

وأصل معنى التوبيخ والتبكيت متحقق في القراءتين؛ لأنه مفهوم من تذييل الآيات الدالة على وجوب عبادة الله ﷻ وتوحيده، ومن الاستفهام الإنكاري.[(٤)] إلا أنَّ معنى التوبيخ في قراءات الخطاب – في هذا المثال، وما سبقه – أبلغ،[(٥)] ومعنى الإعراض في قراءات الغيبة أوضح؛ لما فيه من إبعادهم عن توجيه الخطاب إليهم، مما يؤذن بتناهي الغضب، وشدة الإنكار. والقراءات المتعددة تجمع إلى الآية جميع هذه الأغراض، وتعبِّر عنها بأقل الألفاظ، وهذا من بلاغة الإيجاز في قراءات القرآن.

---

(١) قرأ ابن عامر ﴿تَبْغُونَ﴾ بالخطاب، وقرأ الباقون ﴿يَبْغُونَ﴾ بالغيبة. انظر: السبعة، ص ٢٤٤، والتيسير، ص ٧٥، والنشر، ٢٨٧/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٤٧.

(٢) البحر المحيط، ٥١٦/٣، والدر المصون، ٢٩٨/٤–٢٩٩، واللباب، ٣٧٧/٧، ونظم الدرر، ٤٧٩/٢، والسراج المنير، ٤٣٧/١، وإرشاد العقل، ٤٧/٣، وروح المعاني، ١٥٦/٦.

(٣) السبعة، ص ٣٢٤، والتيسير، ص ١١٢، والنشر، ٣٧٨/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٩٣.

(٤) الكشاف، ٣٧٩/٣، ومفاتيح الغيب، ١٧٦/٢٤، ومدارك التنزيل، ٢١٨/٣، والبحر المحيط، ٨٤/٧، وغرائب القرآن، ٣١٣/٥، والسراج المنير، ١١٤/٣، وإرشاد العقل، ٢٩٣/٦، والتحرير والتنوير، ٢٨٣/١٩–٢٨٤، والتفسير المنير، ١٠/٢٠.

(٥) اللباب، ١٨٥/١٥.

والخلاصة: أن الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في سياق ومقام الوعد يحمل معاني اللطف، والرحمة، والتشريف، والإيناس، والامتنان، وكل معاني التكريم التي يحتملها سياق الآيات، أما الالتفات في مقام الوعيد فغالباً ما يكون للمبالغة في الإنكار، والتهديد، والترهيب، والتوبيخ كل ذلك بحسب ما يحتمله السياق من المعاني والوجوه. أما عندما يكون مضمون الكلام الحث على أمر من الأمور؛ فغالباً ما يكون الالتفات أدعى إلى المسارعة في امتثال الأمر، كما تقرَّر في المثال الأول، وغالباً ما يكون الخطاب أقرب إلى نفس المخاطَب، وأرغب له في قبول الأمر.[1]

وقد بيَّن الاستقراء أن الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في القراءات وقع أكثر ما وقع في مقام الوعيد حاملاً معه معاني التوبيخ، والتقريع، والإنكار، وأن وجه البلاغة في قراءة الغيبة يتجلى في تجاوبها مع النظام، والنسق العام، ووجه البلاغة في قراءة الالتفات يتجلى فيما يحمله من معانٍ ووجوه بلاغية دعت للخروج عن مقتضى الظاهر. وبهذه الوجوه تتحقق لنظم القرآن البلاغة التي يتبيَّن بها إعجازه؛ لأن الالتفات يحقق لنص القرآن جماله اللفظي، وبلاغته المعنوية بمجرَّد تحويل أسلوب الكلام في لفظ واحد.

والمطلب الآتي سيتناول بالدراسة بعض القراءات التي جرت على طريقة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، ويبيِّن أثرها في بلاغة النظم.

---

(١) وهو ما نلحظه في قراءة الجمهور لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [سورة البقرة/٨٣]، فمن قرأ (لَا يَعْبُدُونَ) "بالياء؛ فلأن بني إسرائيل لفظ غيبة، ومن قرأ بالتاء فهو التفات، وحكمته الإقبال عليهم بالخطاب؛ ليكون أدعى للقبول، وأقرب للامتثال؛ إذ فيه الإقبال من الله على المخاطب بالخطاب." انظر: البحر المحيط، ٤٥١/١، ومثله في الدر المصون، ٤٥٨/١، واللباب، ٢٢٧/٢.

المطلب الثاني: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

دلَّ الاستقراء على أن هناك الكثير من القراءات المتواترة الجارية على التبادل بين الالتفات من الخطاب إلى الغيبة وعدم الالتفات، فعلى سبيل المثال اختلف قراء المتواتر في قراءة قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [سورة آل عمران/٣٦]، حيث قرأ أبو بكر عن عاصم، وابن عامر، ويعقوب ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ﴾ بإسكان العين وضم التاء، وقرأ الباقون ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ بفتح العين وإسكان التاء.(١)

وجملة ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ على قراءة الجمهور من كلام الله ﷻ، وليس من كلام امرأة عمران، وفيها تنبيه على عِظَم قَدْر هذا المولود، والدلالة على أنَّ له شأناً لم تعرف به أمه؛ إذ إنها لا تعرف من أمره سوى كونه أُنْثَى لا يصلح لخدمة المساجد، دون ما سيؤول إليه أمرها، وأمر ولدها من عظائم الأمور.(٢)

ولست بصدد دراسة أغراض هذه القراءة البلاغية، وما فيها من تعظيم أمر المولود، والتنبيه على جهل أمه بقدره؛ لأن الجملة على هذه القراءة جملة معترضة من كلام الله ﷻ، وليست من قول امرأة عمران المحكي.

أما قراءة أبي بكر ومن معه فتجعل الجملة من كلام امرأة عمران، لا من كلام الله ﷻ. والجملة على هذه القراءة فيها التفات من الخطاب إلى الغيبة؛ إذ كان مقتضى الظاهر أن تقول: "وأنت أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ" جرياً على نسق ما قبله من الخطاب في قولها: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾، لكن عدلت عن هذا الظاهر لغرض ما.

ويُحتَمل أن يكون هذا الغرض تسلية نفسها، ولذلك عدلت عن الخطاب، وتوجهت إلى نفسها تسليها عن فوات الذَكَر، وكأنها تقول: إن علم الله ﷻ وحكمته يحملان على عدم التحسر على ما فات من المقصد؛ إذ مراده ينبغي أن يكون المراد، وليس الذكر الذي طلبته، ورجوته مثل الأنثى التي علمها، وأرادها، وقضى بها، فلعل هذه الأنثى تكون خيراً من الذكر؛ لأن الله ﷻ هو الذي أرادها. سلَّت بذلك نفسها.(٣)

وقد يكون غرض هذا الالتفات إظهار غاية الإجلال، والخجل من المواجهة بالاعتذار؛ إذ إن ما أنجبته وهو الأنثى لا يصلح أن يكون محرَّراً لخدمة بيت المقدس كما نذرت.(٤)

وقد يكون الغرض التحسُّر على فوات المقصود بالأنثى، ولذلك عدلت إلى الغيبة عن نسق الخطاب،

---

(١) السبعة، ص ٢٠٤، والغاية، ص ٢١٠، والمبسوط، ص ١٦٢، والتيسير، ص ٦٨، والنشر، ٢٧٢/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٢١.

(٢) الكشاف، ٣٨٤/١، وفتوح الغيب، ٩٧/٣–٩٨، والدر المصون، ١٣٥/٣–١٣٦، واللباب، ١٧٤/٥، وإرشاد العقل، ٢٨/٢.

(٣) الكشاف، ٣٨٤/١، والبحر المحيط، ٤٥٧/٢، والدر المصون، ١٣٥/٣، وإرشاد العقل، ٢٨/٢.

(٤) اللباب، ١٧٤/٥، وإرشاد العقل، ٢٨/٢.

وأخرجت الكلام مخرج الخبر المستعمل في التحسُّر.[1]

والنص لا يمنع أياً من هذه الاحتمالات؛ فالله ﷻ هو وحده العالم بما كان مرادها وهي تقول ما قالت.

والذي يهم هنا هو الإشارة إلى أن الجملة القرآنية عندما تعدل عن مقتضى الظاهر، وتخرج عنه إلى غيره فإن ذلك يكون لغرض بلاغي يقصِّده المتكلم. كما إن تعدد القراءات في هذا الموضع يدل على أن التنوع ما بين الالتفات وعدمه يثري النص بكثير من المعاني، ويهبه طاقة كبيرة تجعله يتحمَّل أكثر مما تسمح به أمثاله من الجُمَل عادة، مما يدل على سعة نص القرآن، وثرائه نتيجة تنوع قراءاته.

ومما جرى على الالتفات إلى الغيبة في القراءات المتواترة قراءة الجمهور لقوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة النحل/١]، خلافاً لقراءة الأخوين وخلف ﴿تُشْرِكُونَ﴾ بالخطاب.[2]

وقراءة الأخوين تجري على نسق ما قبلها من الخطاب في قوله ﷻ: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، وتعبِّر عن سخط الله ﷻ على قبائح أفعالهم، وما كان منهم من نسبة الشريك إليه ﷻ، والإعراض عن توحيده، فعذاب الله ﷻ الموعود قد أتى، وهو يتربَّص بكل من نسب الإلوهية لغير الله ﷻ، فلا تستعجلوه؛ لأن قبائح أفعالكم جعلت عذاب الله ﷻ هو الذي يطلبكم.

أما قراءة الجمهور فتعدل عن مقتضى الظاهر من الخطاب وتلتفت إلى الغيبة، وهي بهذا تعبِّر عن غاية السخط والازدراء والتحقير لكل من اعتقد الشريك لله ﷻ، ونسب إليه بذلك ما يستحيل وجوده.

فالحكمة من هذا الالتفات: "أنه أعرض عن مخاطبتهم، وأبرزهم في صورة من لا يُقبَل عليهم بالخطاب، وجعلهم كالغائبين عنه؛ لأن مخاطبة الشخص، ومواجهته بالكلام إقبال من المخاطب عليه، وتأنيس له، فقطع عنهم مواجهته لهم بالخطاب؛ لكثرة ما صدر عنهم من المخالفات."[3]

أي: إنَّ الالتفات إلى الغيبة أبلغ من الخطاب في تحقير شأن المشركين بحطِّهم عن رتبة المخاطبة، والإشارة إلى كمال التبرُّؤ منهم؛[4] لأنه يؤذن باقتضاء ذكر قبائحهم؛ للإعراض عنهم، وحكاية شنائعهم لغيرهم.[5]

وهذه المعاني لا يمكن توفيرها في قراءة الخطاب؛ لأن جريان النصِّ على مقتضى الظاهر لا يتفتق عن هذه

---

(١) التحرير والتنوير، ٨٦/٣.

(٢) السبعة، ص ٣٢٤، والتيسير، ص ٨٦، والنشر، ١٧/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٩٧.

(٣) البحر المحيط ٤٣٤/١.

(٤) التحرير والتنوير، ٧٨/١٣. بتصرُّف.

(٥) إرشاد العقل، ٩٥/٥، وروح المعاني، ٩٢/١٤.

المعاني، كما يؤذن به الالتفات، والخروج عن مقتضى الظاهر في إسناد الكلام.

ومما جاء على التبادل بين الالتفات وعدمه في القراءات المتواترة قراءة غير الجمهور لقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف/٣]،(١) وقوله: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النمل/٦٢].(٢)

فقراءة الجمهور تجري على نسق ما قبلها من الخطاب في الآيتين، وهذا وجه من وجوه بلاغتها، ولها وجه آخر هو أنها بعدما توجَّهت إلى المشركين تأمرهم باتباع الحق، وترك ما درجوا عليه من الإشراك في سورة الأعراف، وبعدما ساقت الأدلة الدالة على وحدانيته بأسلوب المواجهة في سورة النمل تابعت في توجيه الخطاب إلى المشركين في الآيتين توبِّخهم على إعراضهم، وقلة تذكُّرهم وتفكُّرهم، فأخرجت بذلك الكلام مخرج الوعيد والتهديد.(٣)

أما قراءة الغيبة فتعدل عن سنن الظاهر إلى غيره؛ للإعراض عنهم وتوجيه الكلام إلى غيرهم من السامعين، وهم النبي ﷺ ومن معه من المسلمين؛ لأنهم استأهلوا الإعراض بعد تذكيرهم،(٤) فهذا الالتفات يؤذن بأن سوء حالهم، في عدم الامتثال بالأمر والنهي يقتضي صرف الخطاب عنهم، وحكاية جناياتهم لغيرهم.(٥)

أي: إنَّ الالتفات يؤذن بأنهم أحقر عند الله من مخاطبتهم، وأن قبائح أفعالهم، وقلة استجابتهم يدعوان إلى الإعراض عنهم، وعدم خطابهم مرة أخرى؛ فالخطاب الأول لم ينفع معهم، ولو استمر في خطابهم فلن ينفعهم أيضاً، ولذلك استحقوا أن تُحكى جنايتهم للغير بأسلوب الخبر.

وقريب مما ذكر في المثالين السابقين يمكن توجيه القراءات في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ۝ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الحاقة/٣٨-٤٢]. حيث قرأ جمهور القراء (قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ، قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) بالخطاب، وقرأ ابن كثير، وابن

---

(١) قرأ ابن عامر (يَتذكَّرون) بياء قبل التاء، وكذا هو في مصاحف أهل الشام مع تخفيف الذال، وقرأ الباقون بتاء واحدة من غير ياء قبلها كما هي في غير المصحف الشامي. وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص على أصلهم في تخفيف الذال. انظر: السبعة، ص ٢٧٨، والتيسير، ص ٨٠، والنشر، ٣٠١/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٧٠.

(٢) قرأ أبو عمرو، وهشام، وروح بالغيبة، وقرأ الباقون بالخطاب، وهم على أصولهم في الذال كما تقدم. انظر: السبعة، ص ٤٨٤، والتيسير، ص ١١٢، والنشر، ٣٧٨/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٩٣.

(٣) التحرير والتنوير، ٢٩٠/١٩.

(٤) المرجع السابق، ١٥/٨، ٢٩٠/١٩.

(٥) إرشاد العقل، ٢١١/٣، وروح المعاني، ٧٨/٨.

عامر، ويعقوب بالياء والغيبة.(١)

ومما جرى أيضاً على الالتفات في القراءات المتواترة قراءة الجمهور لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة العنكبوت/١٧-١٩]، حيث قرأ الأخوان وأبو بكر وخلف ﴿أَوَلَمْ تَرَوْا﴾ بالتاء، وقرأ الباقون ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ بالياء.(٢)

فقراءة الأخوين تجري على وفق مقتضى الظاهر من الخطاب، أما قراءة الجمهور فتخرج عن هذا الظاهر، إعراضاً عنهم؛ للإيذان بشدة الغضب على ما كان منهم من قلة الاعتبار بعد كل ذلك التذكير والوعظ.(٣) كما إن الالتفات إلى الغيبة فيه "نكتة إبعادهم عن شرف الحضور بعد الإخبار عنهم بأنهم مكذِّبون."(٤)

وبذلك يتبيَّن أن الالتفات إلى الغيبة في جميع الأمثلة المتقدمة يثري نص القرآن بمزيد من المعاني التي يوحي بها الخروج عن مقتضى الظاهر. وقد بيَّنت الدراسة أنَّ التحقير والازدراء هي أبرز المعاني التي يمكن ملاحظتها في قراءات الالتفات؛ لأن الرجوع إلى الغيبة بعد الخطاب يؤذن بأن الإعراض عن المخاطَبين هو الأنسب لمقام الكلام؛ إذ غالباً ما يكون المقام مقتضياً لطرح المخاطبين، وترك الالتفات إليهم.

والقراءات المتعددة تحقق لنظم القرآن سمة إيجازه؛ لأنها تحمل إلى الآية أغراضاً بلاغية متعددة؛ فقراءات الخطاب للوعيد والتهديد، وقراءات الغيبة للتبكيت والتحقير.

ويمكن تحديد أغراض الالتفات البلاغية من خلال السياق الذي يساعد في الكشف عن المعنى الذي يحمله الالتفات إلى الآية، وأستحسن هنا الاستشهاد بقول ابن الأثير(٥): "والذي عندي في ذلك أن الانتقال من

---

(١) السبعة، ص ٦٤٨-٦٤٩، والتيسير، ص ١٣٥، والكفاية، ص ٣٠٦، والنشر، ٤٣٠/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٩٠.

(٢) السبعة، ص ٤٩٨، والتيسير، ص ١١٤، والتلخيص في القراءات، ص ٣٦٢، والنشر، ٣٨٣/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٠١.

(٣) نظم الدرر، ٥٤٧/٥.

(٤) التحرير والتنوير، ١٥١/٢٠.

(٥) هو نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد ضياء الدين، أبو الفتح الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير، وُلِد في في جزيرة ابن عمر سنة ٥٥٨هـ، وتعلم بالموصل، واتصل بالسلطان صلاح الدين، وولي الوزارة للملك الأفضل علي بن صلاح الدين في دمشق، فلم تُحمَد سيرته. مهر في النحو واللغة وعلم البيان، واستكثر من حفظ الشعر، فحفظ شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، وشعر البحتري، وشعر أبي الطيب المتنبي. من مؤلَّفاته: المثل السائر في أدب الكاتب والشعر، والوشي المرقوم في حل المنظوم، والمعاني المخترعة في صناعة الإنشاء، وغيرها. توفي سنة ٦٣٧هـ. انظر: العبر في خبر من غبر، ١٥٦/٥، وبغية الوعاة، ٣١٥/٢.

الخطاب إلى الغيبةِ، أو من الغيبة إلى الخطاب لا يكون إلا لفائدة اقتضته، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوبٍ إلى أسلوب، غير أنها لا تُحدُّ بحدٍّ، ولا تُضبَط بضابطٍ، لكن يشار إلى مواضع منها؛ ليقاس عليها غيرها، فإنا قد رأينا الانتقال من الغيبة إلى الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن المخاطب، ثم رأينا ذلك بعينه – وهو ضد الأول – قد استعمل في الانتقال من الخطاب إلى الغيبةِ، فعلمنا حينئذ أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وتيرة واحدة، وإنما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود، وذلك المعنى يتشعب شُعباً كثيرة لا تنحصرُ، وإنما يُؤتى بها على حسب الموضع الذي ترد فيه."(١)

والخلاصة: أن تبادل القراءات بين حالة الغيبة في الخروج عن مقتضى الظاهر، وحالة الخطاب وفق ما يقتضي الظاهر يدلُّ على بلاغة نظم القرآن من عدة جهات: فقراءات الخطاب تحفظ للنص القرآني جماله اللفظي بتجاوبها، وتناسبها مع النسق العام، وقراءات الالتفات إلى الغيبة تثري نص القرآن بالوجوه البلاغية والمزايا المعنوية.

والمطلب الآتي سيتناول بالدراسة بعض القراءات التي جرت على طريقة الالتفات من الغيبة إلى التكلُّم، ويبيِّن أثرها في بلاغة النظم.

---

(١) المثل السائر، ٢/٤.

المطلب الثالث: الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

يدلُّ الالتفات على أهمية ما سيأتي من الكلام، وينبِّه الأذهان على ضرورة تفهُّم واستيعاب مضمونه، وهو من أهم الوسائل التي يستدعي بها المتكلِّم إصغاء السامع.

وهذه الفائدة عامَّة في جميع أساليب الالتفات، وصوره، أما تحويل الأسلوب إلى التكلُّم خاصَّة فيدل على قيمة الكلام المُلقى، وحظوته لدى المتكلِّم؛ إذ يدل على عناية المتكلِّم بمضمون الكلام الآتي.

وهذه الصورة تضيف معنى التعظيم إلى تلك المعاني الآنفة الذكر عندما يكون المتكلِّم هو الله ﷻ، ثم يأتي السياق ليلقي على مقام التعظيم ألواناً من المعاني تتعاضد جميعاً في التعبير عن المراد بأبلغ عبارة، وأنصع بيان.

وقد أسعف الاستقراء بالكثير من القراءات المتواترة الجارية على هذا الأسلوب، وأشار المفسرون والموجهون إلى الكثير منها، وبيَّنوا أنَّ العدول عن أسلوب الغيبة إلى التكلُّم صورة من صور الالتفات تشير إلى تعظيم المتكلِّم للأمر، وأهمية الكلام،(١) لكنهم لم يهتموا كثيراً بتوجيه القراءات في كل موضع وردت فيه؛ تعويلاً على ما تقدَّم لديهم من بيان الفوائد، والأغراض البلاغية لهذا الأسلوب وهذه الصورة.

وفيما يأتي نماذج تمثيلية من قراءات متواترة عدلت عن مقتضى الظاهر من الغيبة، والتفتت إلى التكلُّم؛ لأغراض بلاغية، سيتجه هذا المطلب للكشف عنها، واستلهامها من أقوال المفسرين.

فعلى سبيل المثال اختلف قراء المتواتر في قراءة قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء/١٦٢]، حيث قرأ حمزة وخلف ﴿أُولَئِكَ سَيُؤْتِيهِمْ﴾ بالياء، وقرأ الباقون ﴿أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ﴾ بالنون.(٢)

وقراءة حمزة، وخلف تجري على الظاهر، في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾،(٣) أما قراءة الجمهور فتعدل عن الظاهر؛ إذ الأصل أن يقول: "سيؤتيهم" على نسق ما قبلها من الغيبة،(٤) لكنها عدلت عن مقام الغيبة إلى التكلُّم

(١) الدر المصون، ٤٥٦/٢، واللباب، ١٥١/٤، ٤٠٨/٩، ٢٦٨/١٠، ونظم الدرر، ٣٠٩/٤، وإرشاد العقل، ٨٧/١، ١١٩/٥، ١٥٥/٥، وروح المعاني، ٢١٨/١٥، ٢٤٨/١٨، وأضواء البيان، ٢٢/٤، والتفسير المنير، ٢٦٠/١٤، ١٠/١٥، ٧٧/١٩، ١٣٧/٢١.

(٢) السبعة، ص ٢٤٠، والتيسير، ص ٧٤، والنشر، ٢٨٦/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٤٤.

(٣) البحر المحيط، ٤١٣/٣، والدر المصون، ١٥٦/٤، واللباب، ١٢٩/٧.

(٤) صفوة التفاسير، ٢٠٧/١، والتفسير المنير، ٢٦/٦.

تعظيماً،[1] وتشريفاً لمن اتصفوا بهذه الصفات الجليلة؛ إذ أضاف الله ﷻ في هذه القراءة الأجر إلى ذاته ﷻ.

ومقام الامتنان في الآية هو الذي حسَّن الالتفات إلى التكلُّم؛ لأن ضمير المتكلم أدخل في الامتنان من ضمير الغائب،[2] فهو مشعر بأن هذا الأجر واصل إليهم من العظيم ﷻ، ولا شك أن عطاءه ﷻ ليس كعطاء غيره؛ لأن العظيم -إذا أعطى- يعطي خيراً عظيماً، لمن يستحق هذا العطاء العظيم.[3]

وكذلك اختلف قراء المتواتر في قراءة قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يونس/٥]، فقرأ ابن كثير، والبصريان، وحفص ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ بالياء، وقرأ الباقون ﴿نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ بالنون.[4]

ونسق هذه الآية وما قبلها يجري على الغيبة، وبذلك تكون القراءة بالياء متوافقة مع مقتضى الظاهر، أما القراءة بالنون فهي على الالتفات بعد طول التعبير بالغيبة – التي قد يتوهم معها البعد والجفاة – إلى التكلُّم الدال على القرب، ولذة الإقبال بالمخاطبة، إضافة إلى معنى العظمة.[5]

أي: إنَّ التعبير عن تفصيل الآيات بنون العظمة بعد التعبير عن الجعل والتقدير والخلق بأسلوب الغيبة، فيه تعظيم لشأن البيان،[6] وكأن الله ﷻ يقول: وأنا الذي أفصِّل، وأبيِّن الدلائل الباهرة، واحدة في إثر واحدة، تفصيلاً وبياناً شافياً يدعوكم إلى حقيقة الإيمان، والتسليم.[7]

ففي الالتفات اهتمام وعناية بشأن البيان؛ لما فيه من هزِّ فهم السامعين عند ذكره،[8] وفي إضافته إلى نون المعظِّم نفسه دلالة على علو شأن البيان، وارتقائه على جميع الأفعال الأخرى التي هي صنع الله ﷻ أيضاً، فهذا البيان، والتفصيل أهمُّ من الخلق، والجعل، والتقدير؛ إذ به تهتدي العقلاء إلى طريق نجاتها وفلاحها، وهو يدل على عظمة الله ﷻ، وشدة احتياج الخلق إليه؛ مما يلزمهم بسلوك طريق طاعته، ويحتِّم عليهم الإقرار بوحدانيته.[9]

---

(١) الدر المصون، ٤/١٥٦، واللباب، ٧/١٢٩.

(٢) التحرير والتنوير، ١٩/٦٩، ١٩/٦٥، ٢٢/١٥٥. وانظر مثله في صفوة التفاسير، ٣/١٧، والتفسير المنير، ١٩/٧٧.

(٣) التحرير والتنوير، ٣/١١١.

(٤) السبعة، ص ٣٢٣، والتيسير، ص ٨٦، والنشر، ٢/٣١٧، وتحبير التيسير، ص ٣٩٧.

(٥) نظم الدرر، ٥/٦١٩.

(٦) البحر المحيط، ٥/١٣٠، والدر المصون، ٦/١٥٤، واللباب، ١٠/٢٦٨.

(٧) نظم الدرر، ٣/٤١٨.

(٨) التحرير والتنوير، ١٣/١٤٠، ٢١/٩٣.

(٩) وهذه الفائدة مستوحاة من قول السمين الحلبي: "قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ [سورة فاطر/٢٧] هذا التفات من الغيبة إلى التكلم، وإنما كان

=

كما إن مقام التكلُّم في هذا السياق يؤذن باختصاصه ﷻ بهذا البيان، وأنه لا يقدر أحد على مثل هذا التفصيل الشافي، والهادي إلى ربوبية الخالق ﷻ ووحدانيته إلا هو.[(١)]

والالتفات إلى التكلُّم هو الذي فتَّق الأذهان عن هذه المعاني؛ لأن ضمير المتكلِّم أدخل في الامتنان من ضمير الغائب، فهو مشعر بأن هذا التفصيل نعمة بها يتم تمييز الخطأ من الصواب، ولذلك كان الملتفَت إليه هو الأليق بهذا الالتفات؛ لأنه الأرقى في مقام المنَّة.[(٢)]

ومما جرى على الالتفات من الغيبة إلى التكلُّم في القراءات المتواترة قراءة ابن كثير، وعاصم، وابن ذكوان في إحدى روايتين، وأبي جعفر لقوله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل/٩٦]، خلافاً لقراءة الجمهور ﴿وَلَيَجْزِيَنَّ﴾ بالياء.[(٣)]

فأما قراءة الجمهور فتناسب نسق الغيبة المتقدِّم في قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل/٩٥]، وقوله: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [سورة النحل/٩٦].

وأما قراءة ابن كثير، ومن معه فتعدل عن مقتضى الظاهر، وتُحوِّل أسلوب الكلام من الغيبة إلى التكلِّم؛[(٤)] تعظيماً لشأن الجزاء،[(٥)] ومبالغةً في الحمل على الثبات في الدين، أي: أقسم لنجزين الذين صبروا على أذية المشركين، ومشاق الإسلام التي من جملتها الفقر والوفاء بالعهود، بأحسن الجزاء، بمقابلة صبرهم على ما لاقوه من

كذلك؛ لأن المنة بالإخراج أبلغ من إنزال الماء." انظر: الدر المصون، ٢٢٦/٩، وقول الشنقيطي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ [سورة طه/٥٣]: "وهذا الالتفات من الغيبة إلى التكلم بصيغة التعظيم في هذه الآيات كلها، في إنبات النبات يدل على تعظيم شأن إنبات النبات؛ لأنه لو لم ينزل الماء، ولم ينبت شيئاً لهلك الناس جوعاً وعطشاً، فهو يدل على عظمته جل وعلا، وشدة احتياج الخلق إليه، ولزوم طاعتهم له جل وعلا." انظر: أضواء البيان، ٢٢/٤.

(١) وهذه الفائدة أيضاً مستوحاة من كلام أبي حيان: "فَأَنْبَتْنَا: وهذا التفات من الغيبة إلى التكلم بنون العظمة، دالاً على اختصاصه بذلك، وأنه لم ينبت تلك الحدائق المختلفة الأصناف والألوان والطعوم والروائح بماء واحد إلا هو تعالى." انظر البحر المحيط، ٨٤/٧. وكلام الشيخ إسماعيل حقي: "وقال: ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ﴾ [سورة فاطر/٩] التفاتاً من الغيبة إلى التكلم؛ دلالة على زيادة اختصاصه به ﷻ، وأن الكل منه، والوسائط أسباب." انظر: روح البيان في تفسير القرآن، لأبي الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي (١١٢٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط.، د.ت. ٣١١/٧.

(٢) التحرير والتنوير، ٦٩/١٥.

(٣) السبعة، ص ٣٧٥، والتيسير، ص ٩٦، والنشر، ٣٤٣/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٣٣.

(٤) الدر المصون، ٢٨٤/٧، واللباب، ١٥٣/١٢، وروح المعاني، ٢٢٥/١٤، والتحرير والتنوير، ٢١٩/١٣.

(٥) نظم الدرر، ٣٠٩/٤.

الأمور المذكورة.(١) والالتفات إلى التكلّم يدل على عظيم النعمة التي امتنَّ بها الله على عباده. والموافقة اللفظية هي التي تحسِّن القراءة الأخرى التي يفهم معنى الامتنان فيها من السياق.

وقد ورد الكثير من القراءات الجارية على أسلوب الالتفات من الغيبة إلى التكلُّم في مقام الوعد والامتنان، والمقام لا يتسع لذكرها جميعاً لكن أختم ببعض الآيات الواردة في سياق غفران الذنوب، ودخول الجنة، وأذكر منها قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سورة النساء/١٣]،(٢) وقوله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [سورة الفتح/١٧]،(٣) وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سورة التغابن/٩]،(٤) وقوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [سورة الطلاق/١١].(٥)

وقراءة الجمهور في هذه الآيات تجري على نسق الغيبة المتقدِّم، وهي تؤذن بعناية الله ﷻ بالمؤمنين؛ لأنها تضيف الفعل إلى ضمير الجلالة.(٦)

أما قراءة نافع ومن معه فتعدل عن مقتضى الغيبة إلى التكلم؛ تعظيماً لشأن هذه النعم المذكورة (تكفير السيئات، ودخول الجنة)، وتشريفاً للمؤمنين الصالحين، وتماشياً مع سياق الامتنان؛ لأن المقام مقام إقبال وتلطُّف، فناسبه ضمير المتكلم.(٧)

كما إن الالتفات ينبِّه الأذهان على فخامة شأن ذلك الغفران، ودخول الجنة، حيث نسبه الله ﷻ إليه بعد

---

(١) إرشاد العقل، ٥/١٣٩، وروح المعاني، ١٤/٢٢٥.

(٢) قرأ المدنيّان وابن عامر ﴿نُدْخِلْهُ﴾ بالنون، وقرأ الباقون ﴿يُدْخِلْهُ﴾ بالياء. انظر: السبعة، ص ٢٢٨، والتيسير، ص ٧٢، وتحبير التيسير، ص ٣٣٦.

(٣) القراءات في هذه الآية كآية النساء. انظر: السبعة، ص ٦٠٤، والتيسير، ص ١٣٠، والنشر، ٢/٤١٥، وتحبير التيسير، ص ٥٦٠.

(٤) قرأ المدنيّان وابن عامر ﴿نُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَنُدْخِلْهُ﴾ بالنون فيهما، وقرأ الباقون ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ﴾ بالياء. انظر: السبعة، ص ٦٣٨، والتيسير، ص ١٣٤، والكفاية، ص ٣٠٢، والنشر، ٢/٤٢٨، وتحبير التيسير، ص ٥٨٣.

(٥) القراءات في هذه الآية كالقراءات في آية النساء الآنف ذكرها. انظر: السبعة، ص ٦٣٩، والتيسير، ص ١٣٤، والكفاية، ص ٣٠٣، ٣٠٣، وتحبير التيسير، ص ٥٨٤.

(٦) نظم الدرر، ٢/٢٢٤، والتحرير والتنوير، ٢٦/١٤٥، ٢٨/٣٠٣، ٢٨/٢٤٩.

(٧) التحرير والتنوير، ٢٨/٢٤٩.

الإخبار عن جميع ما تقدَّم بأسلوب الغيبة،[1] وهي أشدُّ تعظيماً لأمر هذه النعمة والمنة، وأشدُّ تنشيطاً للمؤمن وتحفيزاً له على العمل الصالح؛ لأنها الأنسب لحال السامع الذي يتشوَّف بكلتيه إلى الخبر، ومعرفة الجزاء، فبهذه القراءة يأتيه الجواب مفعماً بلذة الالتفات والإقبال.[2]

ومما يحسِّنُ قراءات الغيبة أنها تجري على نسق الألفاظ المتقدمة في الآيات، أما قراءات الالتفات فيظهر حسنها بما فيها من تنشيط السامع، وتحريك ذهنه للإصغاء إلى مضمون الكلام الآتي بعد الالتفات، مما يدل على أهميته، وجلالة شأنه لدى المتكلِّم.

وبذلك يتبيّن أن الالتفات أسلوب بلاغيٌ يكسب نظم القرآن جماله اللفظي، بما يضفيه عليه من التفنن في نظم الكلام، وتلوين الأساليب؛ مما يهزُّ نشاط السامع، ويدعوه للإصغاء،[3] كما يكسبه الجمال المعنوي بتعانق أسلوب الغيبة والتكلُّم مع سر المعنى. كل ذلك ببلوغ غاية الحسن والروعة التي لا يمكن أن يقدح فيها منازع.

والخلاصة: أن وجه البلاغة في قراءات الغيبة في الأمثلة المذكورة، وغيرها من القراءات المتواترة يتجلى في مناسبتها لمقتضى الظاهر، وتماشيها مع نسق الآيات، وسياقها اللفظي، أما قراءات الالتفات فتكمن بلاغتها فيما تضيفه إلى الفعل الملتفَت إليه من معنى التعظيم والتفخيم؛ إذ إنها تنسب هذه الأفعال -في مقام الوعد والإقبال- إلى الله ﷻ صراحة، وبذلك تجعل الكلام أبلغ في الامتنان، وأعظم في بيان قدر النعمة المخبَّر عنها بطريق التكلُّم. وهذه القراءات أليق بسياق الآيات المعنوي، وإن كانت الأخرى أنسب لسياقها اللفظي، وقد جمع نظم القرآن بينهما، فجمع بذلك إليه الفضيلتين.

وفيما يأتي نماذج وأمثلة من قراءات متواترة جرت على طريقة الالتفات إلى التكلُّم بعد الغيبة، لكن في سياق الترهيب والوعيد، أذكر منها القراءات الواردة على طريقة الالتفات إلى التكلُّم في مقام الحشر، في الآيات:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۞ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [سورة الأنعام/٢١-٢٢].[4]

---

(١) روح المعاني، ١٧/٥.

(٢) نظم الدرر، ٢٢٤/٢، ٢٠٣/٧. بتصرُّف.

(٣) السراج المنير، ١٨/١، وإرشاد العقل، ١٦/١، وروح المعاني، ٨٩/١، والتحرير والتنوير، ٥٥/١١، ٢٥٥/١٣.

(٤) قرأ يعقوب ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ﴾ بالياء فيهما، وقرأ الباقون ﴿نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ﴾ بالنون. انظر: النشر، ٢٩٠/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٥٣.

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة الأنعام/١٢٧-١٢٨].(١)

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة يونس/٤٤-٤٥].(٢)

﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ۞ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ [سورة الفرقان/١٦-١٧].(٣)

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۞ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سورة سبأ/٣٩-٤٠].(٤)

وقراءة ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ تجري على نسق الغيبة المتقدِّم في جميع الآيات المذكورة وهي أوفق للنسق اللفظي، أما قراءة الجمهور ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ فهي على طريقة الالتفات من الغيبة إلى مقام التكلُّم؛(٥) إيذانًا بكمال الاعتناء والاهتمام بأمر الحشر يوم القيامة،(٦) وإشارةً إلى أنَّ الحشر أمر عظيم ينبغي أن يُعتنى بأمره، ويُستعَد له، كما إن نسبة الحشر إلى الله ﷻ بنون العظمة فيها تهويل لأمر الحشر وجمع الناس للحساب، وتهديد به ووعيد

---

(١) قرأ حفص، وروح ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ بالياء، وقرأ الباقون ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ بالنون. انظر: السبعة، ص ٢٦٩، والتيسير، ص ٧٩، والنشر، ٢٩٦/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٦٤.

(٢) قرأ حفص عن عاصم ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ بالياء، وقرأ الباقون ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ بالنون. انظر: السبعة، ص ٣٢٧، والتيسير، ص ٧٩، ٨٧، والنشر، ٢٩٦/٢، ٣٢٠، وتحبير التيسير، ص ٣٦٤. أما الموضع الأول من يونس ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ﴾ [سورة يونس/٢٨]، فالكل متفق على أنه بالنون. انظر: النشر، ٢٩٦/٢.

(٣) قرأ ابن كثير، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ بالياء، وقرأ الباقون ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ بالنون، إلا أن ابن عامر يقرأ (نَحْشُرُهُمْ ... فَنَقُولُ) بالنون، والباقون (فَيَقُولُ) بالياء. انظر: السبعة، ص ٤٦٣، والتيسير، ص ١٠٩، والإقناع، ص ٤٣٥، والنشر، ٣٧٣/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٨٤.

(٤) قرأ حفص، ويعقوب ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ﴾ بالياء فيهما، وقرأ الباقون ﴿نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ﴾ بالنون. انظر: السبعة، ص ٥٣٠، والتيسير، ص ٧٩، والنشر، ٢٩٠/٢، ٣٩١، وتحبير التيسير، ص ٣٦٤.

(٥) إرشاد العقل، ١٥٠/٤، ٢٠٨/٦، وروح المعاني، ١٢٧/١١، ٢٤٨/١٨، والتحرير والتنوير، ٥٠/٧، ٢٥/١٩.

(٦) البحر المديد، ١٢٧/٤، وإرشاد العقل، ١٩٦/٥، وروح المعاني، ١٧٥/١٥، ٢٤٨/١٨، وصفوة التفاسير، ١٤٣/٢، والتفسير المنير، ١٦٩/١٥. لم يهتم أكثر المفسرين بتوجيه بلاغة الالتفات إلى التكلم في الآيات المذكورة، لكنهم اهتموا ببيان وجه البلاغة في الالتفات من الغيبة إلى التكلُّم في مقام الحشر عند تفسيرهم للآية ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [سورة الإسراء/٩٧]. وهذه الآية متفق على قراءتها بالنون، والالتفات لدى جميع القراء، ولذلك كان الالتفات إلى التكلُّم فيها موضع العناية لدى المفسرين، ويمكن حمل كلامهم على قراءات الالتفات في الآيات المذكورة في المتن؛ لمشابهتها آية الإسراء في المقام، والسياق، والحكم.

عظيم للمخالفين والعاصين،(١) وهذا ما تُشعر به الالتفاتات المتكررة في كل موضع يرد فيه ذكر الحشر في القرآن الكريم مبنياً للفاعل ومسنداً إلى الله ﷻ إما بضمير الجلالة أو بنون العظمة.(٢)

ومما اختلف قراء المتواتر في قراءته أيضاً، وجرى على الالتفات إلى التكلم في بعض قراءاته، قوله تعالى: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [سورة الأعراف/١٨٦]، حيث قرأ عاصم، والبصريان ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ بالياء والرفع، وقرأ الأخوان وخلف ﴿وَيَذَرْهُمْ﴾ بالياء والجزم، والباقون ﴿وَنَذَرُهُمْ﴾ بالنون والرفع.(٣)

فأما قراءة الجمهور بالياء فتجري على نسق الغيبة المتقدِّم في قوله: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾، وهي من هذه الجهة أوفق لنسق الآية وسياقها اللفظي. أما قراءة الحرميين، وابن عامر، وأبي جعفر فتجري على الالتفات من طريق الغيبة إلى طريق التكلُّم؛(٤) تعظيماً وتهويلاً، وتشديداً للوعيد والتهديد الذي اشتملت عليه الآية، أي: ونحن –بما لنا من العظمة – نذرهم في طغيانهم، وكفرهم متحيرين مترددين.(٥) ومن أعرض الله عنه وتركه فقد خاب خيبة خيبة عظيمة؛ لأن إعراضه ﷻ ليس كإعراض غيره، ووعيده وتهديد ليس كأي وعيد وتهديد.

ومما جاء في المتواتر أيضاً على الالتفات إلى التكلُّم بعد الغيبة قراءة ابن كثير، وأبي عمرو لقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ۞ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ [سورة الإسراء/٦٨-٦٩].(٦)

وقراءة الجمهور لقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ

(١) إرشاد العقل، ١٨٤/٣، وروح المعاني، ٢٥/٨.

(٢) دلَّ الاستقراء على أن كل موضع ورد فيه فعل (يحشر، نحشر) مبنياً للفاعل في القرآن الكريم قد ورد بنون العظمة على نسق ما تقدّم، أو بأسلوب الالتفات من الغيبة إلى التكلُّم إما اتفاقاً كما في (يونس/٢٨، الإسراء/٩٧، مريم/٦٨، مريم/٨٥، طه/١٠٢، طه/١٢٤، النمل/٨٣) أو لدى جمهور القراء كما في (الأنعام/٢٢، الأنعام/١٢٨، يونس/٤٥، الفرقان/١٧، سبأ/٤٠) ما عدا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الحجر/٢٤-٢٥]، فإنه ورد مسنداً إلى ضمير الجلالة بأسلوب الغيبة بعد التكلم؛ لتقدُّم الضمير (هو) قبله.

(٣) السبعة، ص ٢٩٨–٢٩٩، والتيسير، ص ٨٣، والنشر، ٣٠٨/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٨١.

(٤) اللباب، ٤٠٨/٩، وإرشاد العقل، ٣٠٠/٣، وروح المعاني، ١٢٩/٩، والتحرير والتنوير، ٣٧٤/٨.

(٥) اللباب، ٤٠٨/٩، وإرشاد العقل، ٣٠٠/٣، وروح المعاني، ١٢٩/٩.

(٦) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو (نَخْسِفَ، نُرْسِلَ، نُعِيدَكُمْ، فَنُرْسِلَ، فَنُغْرِقَكُمْ) بالنون في الخمسة، وقرأ الباقون بالياء إلا أبا جعفر ورويساً فإنهما يقرآن جميع ذلك بالياء إلا (فَتُغْرِقَكُمْ) فإنها عندهما بالتاء على التأنيث. انظر: السبعة، ص ٣٨٣، والتيسير، ص ٩٧، والنشر، ٣٤٦/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٣٨.

بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [سورة سبأ/٩].[1]

وقراءة الجمهور لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [سورة الجن/١٧].[2]

حيث جرت قراءات الياء في هذه الآيات على نسق ما تقدَّمها من الغيبة، فقراءة الجمهور في الإسراء تتناسب لفظياً مع قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا **إِيَّاهُ** فَلَمَّا **نَجَّاكُمْ** إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ [سورة الإسراء/٦٧]، وقراءة حمزة، والكسائي في سبأ تتناسب مع قوله ﷻ: ﴿أَفْتَرَى **عَلَى اللَّهِ** كَذِبًا﴾ [سورة سبأ/٨]، وقراءة الكوفيين في سورة الجن تتناسب مع قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ **رَبِّهِ**﴾، وهي من هذه الجهة تحقق لنظم القرآن بلاغته اللفظية بتناسقها مع سياق الغيبة فيها.

أما القراءة بالنون فتجري على طريق الالتفات إلى التكلُّم بعد الإخبار بطريق الغيبة، وتنسب بذلك هذه الأفعال إلى الله ﷻ بنون العظمة،[3] في مقام العذاب والتنكيل؛ لتهويل الأمر، والمبالغة في التحذير؛[4] مما يجعل الكلام في هذه القراءات أبلغ في الوعيد، وأعظم في التهديد، وأشدُ في القهر من قراءات الغيبة. فالمعنى الكلي لهذه الآيات: إن بقيتم على عنادكم، وكفركم فأعدوا أنفسكم لعذاب عظيم من خسفٍ، وإرسالِ عواصف، وإسقاطِ حَصَبٍ وكِسَف، وإغراقٍ، وتعذيبٍ بنار نرسله عليكم بما لنا من العظمة التي تضطركم إلى غاية الذل والمهانة.[5]

والخلاصة: أن وجه البلاغة في قراءات الالتفات يكمن فيما يضيفه هذا الأسلوب إلى نظم الآيات من مزايا معنوية. وغالباً ما يكون الغرض البلاغي من الالتفات إلى التكلُّم هو التعظيم، ثم إن سياق الآيات هو الذي يحدِّد المعنى الذي يلقي به الالتفات بحسب اختلاف المقام بين الوعد والوعيد.

وأخيراً: لا بد من الإشارة إلى أن الالتفات إلى التكلُّم في مقام الوعد كان أكثر منه في مقام الوعيد – كما بيَّن الاستقراء – ولعل ذلك يرجع إلى أن مقام التكلُّم مقام إقبال، فناسبه الترغيب والوعد أكثر من الترهيب والوعيد. والمطلب الآتي سيتناول بالدراسة بعض القراءات التي جرت على طريقة الالتفات من التكلُّم إلى الغيبة.

---

(١) قرأ حمزة، والكسائي، وخلف ﴿إِنْ يَشَأْ يَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يُسْقِطْ﴾ بالياء في الثلاثة، وقرأ الباقون (إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ ... أَوْ نُسْقِطْ) بالنون. انظر: السبعة، ص ٥٢٦–٥٢٧، والتيسير، ص ١١٨، والنشر، ٣٩٠/٢، وتحبير التيسير، ص ٥١٤–٥١٥.

(٢) قرأ الكوفيون، ويعقوب ﴿يَسْلُكْهُ﴾ بالياء، وقرأ الباقون ﴿نَسْلُكْهُ﴾ بالنون. انظر: السبعة، ص ٦٥٦، والتيسير، ص ١٣٦، والنشر، ٤٣٢/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٩٤.

(٣) الدر المصون، ٣٨٥/٧، ١٥٧/٩–١٥٨، ٤٩٦/١٠، واللباب، ٣٣٧/١٢، ١٩/١٦، ٤٢٩/١٩–٤٣٠، والسراج المنير، ٣٥٦/٢، ٣٥٠/٣، وإرشاد العقل، ١٨٥/٥، وروح المعاني، ١١٦/١٥، والتحرير والتنوير، ١٣٠/١٤، ٢٣/٢٢، ٢٢٣/٢٩.

(٤) إرشاد العقل، ١٤٦/٣.

(٥) نظم الدرر، ٤٠٧/٤، ١٥٦/٦.

المطلب الرابع: الالتفات من التكلم إلى الغيبة.

الالتفات إلى الغيبة بعد التكلم صورة من صور الالتفات يندر تحققها في القراءات المتواترة، لكن الاستقراء التام لهذا النوع من القراءات قد هدى إلى ثلاثة مواضع خالف فيها بعض قراء المتواتر إخوانهم، فأجروا قراءتهم على الالتفات إلى الغيبة بعد التعبير بأسلوب التكلُّم.

ونظراً لندرة تحقق هذه الصورة في القراءات المتواترة فقد قلَّ اعتناء الموجهين والمفسرين باستخراج الوجوه البلاغية التي يدل عليها هذا النوع من الالتفات، اللهم إلا إشارات لا تروي ظمأ المتعطش إلى دراسة مغزى الالتفات إلى الغيبة في القراءات المخالفة لمقتضى الظاهر. وهذا المطلب سيحاول دراسة القراءات المتواترة التي جرت على هذه الطريقة، واستخراج مزاياها المعنوية وآثارها البلاغية في نظم الآيات المختلَف في قراءتها.

فقد تنوعت القراءات المتواترة في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة آل عمران/٥٦-٥٧]، حيث قرأ حفص ورويس ﴿فَيُوَفِّيهِمْ﴾ بالياء، وقرأ الباقون ﴿فَنُوَفِّيهِمْ﴾ بالنون.(١)

أما قراءة الجمهور فتتناسب مع مقتضى الظاهر، وتجري مع نسق الآية السابقة لها، ومع ضمير التكلُّم في قوله: ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ﴾، وهذا هو وجه بلاغتها اللفظي.

ولها وجوه أخرى معنوية منها: أنها تنسب فعل الجزاء إلى الله ﷻ بأسلوب التعظيم، خلافاً لما تقدَّم؛ حيث جاء هناك بالمتكلم وحده، وهنا بالمتكلم بصيغة المعظم نفسه؛ جرياً على سنن العظمة والكبرياء؛ لأغراض بلاغية أهمها: الاعتناء بالمؤمنين، ورفع شأنهم، والدلالة على أنهم مُعظَّمونَ عندَه ﷻ،(٢) والإشعار بعظيم الأجر الذي سيُوفَّاه الصالحون ويُؤتوه من الله ﷻ؛ إذ العظيم يعطي عظيماً.(٣)

ومنها: موافقة نسق ما تقدَّم من أسلوب التكلُّم مع الإشعار بالفرق بين مقامي الآيتين؛ إذ نسب فعل الجزاء إلى نفسه ﷻ بنون العظمة؛ لإبراز تمام الاعتناء بالأولياء، متضمناً غاية القهر للأعداء، فأبدى فعل الوفاء والإثابة في مظهر العظمة؛ تعظيماً لهم، وتحقيراً لأعدائهم.(٤)

جاء في البحر المحيط: "وقرأ الجمهور: ﴿فَنُوَفِّيهِمْ﴾ بالنون الدالة على المتكلم المعظِّم شأنه، ولم يأت بالهمزة

---

(١) السبعة، ص ٢٠٦، والتيسير، ص ٦٨، والنشر، ٢٧٤/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٢٣.

(٢) البحر المحيط، ٤٩٩/٢، واللباب، ٢٧٣/٥.

(٣) التحرير والتنوير، ١١١/٣.

(٤) نظم الدرر، ٩٩/٢.

كما في تلك الآية؛ ليخالف في الإخبار بين النسبة الإسنادية فيما يفعله بالكافر، وبالمؤمن، كما خالف في الفعل، ولأن المؤمن العامل للصالحات عظيم عند الله ﷻ، فناسبه الإخبار عن المجازي بنون العظمة."[1]

وأما قراءة حفص فتخالف مقتضى الظاهر وتعدل عن طريق التكلُّم المتقدِّم إلى طريق الغيبة؛ تفنُّناً في الفصاحة، وتنويعاً في الأساليب.[2]

وقد ذكر الآلوسي وجهاً بلاغياً آخر لهذه القراءة، وهو الإيذان بالفرق بين مقامي التعذيب والإثابة، فقال: "لعل وجه الالتفات إلى الغيبة على القراءة الأولى الإيذان بأن توفية الأجر مما لا يقتضي لها نَصبُ نفسٍ؛ لأنها من آثار الرحمة الواسعة، ولا كذلك العذاب."[3]

ويقرب من هذا الوجه ما جاء في روح البيان: "ولعل الالتفات إلى الغيبة؛ للإيذان بما بين مصدري التعذيب والإثابة من الاختلاف من حيث الجلال والجمال."[4]

ولا يمكن هنا أن يُفسَّر الالتفات إلى الغيبة بعد التكلُّم بأنه للإعراض، كما تم تفسير غرض الالتفات إلى الغيبة في المطلب الثاني؛ لأن المقام والسياق لا يسمحان بحمل الالتفات على مثل هذا المعنى.

وتنوع القراءات في هذه الآية يدلُّ على أنَّ نظم القرآن يبلغ من الجلال والجمال مبلغاً لا يفوت معه جميع المعاني التي يمكن للآية أن تتحمَّلها، بمجرد تغيير حرف واحد يوحي بأن التحويل في أسلوب الكلام وحده يمكن أن يعبِّر عن المعاني الكثيرة التي يلقي بها الالتفات على السياق والمقام؛ منبهاً بذلك الأذهان على أن هذا التحويل لا بد أن يكون لمعنى وغرَضٍ ما، فتأملوا كلام الله وأنتم تقرؤونه، وتدبَّروا أسلوبه، وطريقة تركيبه فإنها آية الإعجاز التي تفتِّق الآيات عن كثير من المعاني التي تثري نظم القرآن.

ومما اختلف قراء المتواتر في قراءته، ثمَّ جرت بعض قراءاته على أسلوب الالتفات من التكلّم إلى الغيبة قوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ۞ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ [سورة الكهف/٥١-٥٢]، حيث قرأ حمزة ﴿وَيَوْمَ نَقُولُ﴾ بالنون، وقرأ الباقون ﴿يَقُولُ﴾ بالياء.[5]

وقراءة حمزة تجري على نسق ما تقدَّم من أسلوب التكلُّم في قوله: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾، وقوله: ﴿وَمَا كُنْتُ﴾،

---

(١) البحر المحيط، ٤٩٩/٢.

(٢) البحر المحيط، ٤٩٩/٢، والدر المصون، ٢١٦/٣، واللباب، ٢٧٣/٥، وصفوة التفاسير، ١٣٢/١، والتفسير المنير، ٢٣٦/٣.

(٣) روح المعاني، ١٨٥/٣.

(٤) روح البيان، ٤١/٢.

(٥) السبعة، ص ٣٩٣، والتيسير، ص ٩٩، والمبهج، ص ٦٠٩، والنشر، ٣٤٩/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٤٥.

أما قراءة الجمهور فتعدل عن هذا الظاهر، وتلتفت إلى الغيبة بعد التكلُّم.

وقد تقدَّم ضمير الجلالة في الآية السابقة لهذه القراءة، فدلَّ على أن فاعل ﴿يَقُولُ﴾ هو الله ﷻ،(١) ومرجع الضمائر في القراءتين واحد، وقراءة الجمهور على الالتفات.

ولم يتعرض المفسرون لذكر وجه البلاغة في قراءة الجمهور، ولعل الوجه يكمن في أن مقام التكلُّم مقام إقبال، والآية في سياق توبيخ وتقريع الكفار الذين ادعوا الشركاء لله ﷻ،(٢) وهذا المقام يناسبه الإعراض، وترك الإقبال؛ لأن عدم تجاوب المشركين مع دلائل التوحيد قد بلغ مبلغاً استدعى الإعراض عنهم، وتحقيرهم.

ومما يؤيد ذلك أن القول يستدعي الإقبال على متلقي الخبر، غير أنَّ شدة العناد والإصرار على الكفر يستدعي الإعراض والازدراء، فناسبه الالتفات المتوافق مع حال المشركين.

فضلاً عما في هذه القراءة من وجوه بلاغية عامة تتجلى في التنويع والتفنن، وجذب انتباه السامع.

وكذلك اختلف قراء المتواتر في قراءة قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ [سورة الفرقان/١٧]، فقرأ الجمهور (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ ... فَيَقُولُ) الفعل الأول بالنون والثاني بالياء، ففيه التفات من التكلم إلى الغيبة، وقرأ حفص، وابن كثير، وأبو جعفر، ويعقوب (يَحْشُرُهُمْ ... فَيَقُولُ) كليهما بالياء، وقرأ ابن عامر (نَحْشُرُهُمْ ... فَنَقُولُ) كليهما بالنون.(٣)

وما يهم في هذه الآية هو قراءة الجمهور التي تعدل عن مقتضى الظاهر في قراءة الفعل (فَيَقُولُ)، وتلتفت إلى الغيبة بعد التعبير بطريق التكلم في قوله: (نَحْشُرُهُمْ).(٤)

ولعل وجه البلاغة في الالتفات إلى الغيبة يتجلى في تناسب الالتفات مع مقام الكلام؛ إذ يتوجه الله ﷻ إثر حشر الخلائق إلى المعبودين من أصنام وأوثان وغيرها، فيسألهم على سبيل التقريع والتبكيت للعَبَدة: ﴿أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾، أي: هل أنتم الذين دعوتموهم إلى عبادتكم، أم إنهم ضلُّوا عن السبيل بأنفسهم بإخلالهم بالنظر الصحيح، وإعراضهم عن الرشد.(٥)

ولمّا كان مقام التقريع والتوبيخ أنسب للغيبة والإعراض من مقام التكلُّم أعرض والتفت عن إضافة فعل

---

(١) مفاتيح الغيب، ١١٨/٢١، والبحر المحيط، ١٣٠/٦، والدر المصون، ٥٠٩/٧، واللباب، ٥١١/١٢.

(٢) روح المعاني، ٢٩٨/١٥، وفتح القدير، ٤١٩/٣.

(٣) السبعة، ص ٤٦٢–٤٦٣، والتيسير، ص ١٠٩، والنشر، ٣٧٣/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٨٤.

(٤) التحرير والتنوير، ٢٥/١٩، وأضواء البيان، ٣٢/٦، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ٦٠٥/٣.

(٥) أنوار التنزيل، ٢١٠/٤، والبحر المديد، ١١٥/٥، وفتح القدير، ٩٧/٤.

القول إلى ضمير المتكلم، وأضافه إلى ضمير الغيبة؛ إيذاناً بشدة غضبه، وإعراضه عن مواجهتهم والإقبال عليهم بذاته المقدَّسة.

جاء في البحر المديد في أثناء تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [سورة الكهف/٥٠]: "وفي الالتفات إلى الغيبة، ... من الإيذان بكمال السخط، والإشارة إلى أن ما فعلوه ظلم قبيح، ما لا يخفى."(١)

والخلاصة: أن الالتفات من التكلم إلى الغيبة صورة نادرة التحقق في القراءات المتواترة، وإن وجدت فعناية المفسرين بتوجيهها ضعيفة، ويمكن التماس وجهها مما ذكر البلاغيون من أغراض الالتفات، ووجوهه البلاغية، ومما أشار إليه المفسرون في مواضع أخرى، على أن يكون ذلك مما يتفق مع سياق الآية ومقامها.

وقد ذكر بعض المفسرين أن نافعاً قرأ (وَلَيَجْزِيَنَّهُمْ) بالياء من قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل/٩٧]، وهذه القراءة تجري على طريقة الالتفات إلى الغيبة بعد التكلُّم، وتخالف مقتضى الظاهر، إذ الأصل يقضي أن يكون الفعل (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ) بالنون؛ ليتناسب مع صيغة الفعل (فَلَنُحْيِيَنَّهُ) قبله.(٢) وبذلك تكون بعض قراءات هذه الآية مما يندرج تحت صورة الالتفات من التكلُّم إلى الغيبة في المتواتر.

وهذا التوجيه صحيح لو صحت نسبة هذه القراءة إلى نافع؛ غير أن هؤلاء المفسرين قد أخطأوا فيما نسبوه إلى نافع؛ حيث أجمع علماء القراءات على قراءة هذه الكلمة بالنون، فهي مما لم يُختَلَف في قراءته على هذا الوجه.(٣)

وكذلك ذكر الشيخ ابن عاشور أن بعض قراءات قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [سورة الإسراء/١٣]،(٤) تجري على الالتفات من التكلُّم إلى الغيبة.

والحق أن قراءة الجمهور لقوله: ﴿وَنُخْرِجُ﴾ تجري على نسق أسلوب التكلُّم في قوله: ﴿أَلْزَمْنَاهُ﴾،أما قراءة يعقوب، وأبي جعفر فتخرج على خلاف مقتضى الظاهر والنسق اللفظي المتقدِّم.

(١) البحر المديد، ١٦٩/٤، وانظر: إرشاد العقل، ٢٢٨/٥، وروح المعاني، ٢٩٥/١٥.

(٢) المحرر الوجيز، ٤١٩/٣، نقلاً عن أبي حاتم، وانظر أيضاً: البحر المحيط، ٥١٧/٥، والجواهر الحسان في تفسير القرآن، ٣٢٢/٢، وروح المعاني، ٢٢٨/١٤.

(٣) السبعة، ص ٣٧٥، وحجة أبي زرعة، ص ٣٩٣، وإبراز المعاني، ٥٥٩/٢، والإتحاف، ص ٤٩٩.

(٤) قرأ أبو جعفر ﴿وَيُخْرَجُ﴾ بالياء المضمومة وفتح الراء مبنياً للمفعول، وقرأ يعقوب ﴿وَيَخْرُجُ﴾ بالياء المفتوحة وضم الراء، وقرأ الباقون ﴿وَنُخْرِجُ﴾ بالنون المضمومة وكسر الراء. انظر: النشر، ٣٤٤/٢.

وقد عدَّ ابن عاشور قراءة يعقوب على الالتفات، وهذا المحمل غير صحيح؛ لاختلاف مرجع الضمائر في القراءتين، ولعل السبب في ذلك هو خطؤه في عزو القراءة الصحيحة إليه؛ حيث قال: "وقرأ الجمهور ﴿وَنُخْرِجُ﴾ بنون العظمة، وبكسر الراء، وقرأه يعقوب بياء الغيبة المضمومة، وكسر الراء، والضمير عائد إلى الله المعلوم من المقام، وهو التفات."(١) والصحيح أن قراءة يعقوب بالياء المفتوحة وضم الراء، لا كسرها، والفاعل هو ضمير الطائر، ولذلك لا يمكن حمل قراءة يعقوب على الالتفات إلا بتكلُّف، وإن كانت مخالفة لمقتضى الظاهر، إذ إن قراءة (وَنُخْرِجُ)؛ أنسب لما قبلها.

وذكر الآلوسي أن فرقةً قرأت: "(وَيُخْرِجُ) بالياء من الإخراج مبنياً للفاعل، وهو ضمير الله ﷻ، وفيه التفات من التكلم إلى الغيبة."(٢) أي: إنَّ الالتفات إلى الغيبة في هذه الآية قد جرى في بعض القراءات الشاذة، ولم يجرِ في القراءات المتواترة.

والخلاصة: أن الالتفات في بعض قراءات الآيات ينشِّط السامع، ويدعوه للإصغاء؛ لما في التفنن وتلوين الأساليب من أثر في طرد الضجر والملل الذي جبلت عليه النفوس، كما يحقق لنظم القرآن غاية الإيجاز والاقتصاد في التعبير؛ لأن المتكلِّم يعبِّر عما في نفسه بمجرد تحويل أسلوب الكلام. ثم إن سياق الآيات هو الذي يحدِّد المعنى الذي يلقي به الالتفات على الآية بحسب اختلاف المقام بين الوعد والوعيد.

وبشكل عام فإن أكثر ما وقع في القراءات المتنوعة من صور تجري على الالتفات من التكلم إلى الغيبة هو على مذهب السكاكي؛ فكثيراً ما يعبر الله ﷻ عن نفسه ابتداءً بصيغة الغائب، وهو كثير في القرآن الكريم، لكنه ليس موضع البحث هنا؛ لأنه لا يجري على طريقة التحويل من أسلوب إلى آخر من أساليب الكلام.

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٩/١٤.

(٢) روح المعاني، ص ٣٢/١٥.

المبحث الثاني: العدول في ضمائر الأعداد، وصيغ الأفعال، وأثره في بلاغة النظم.

المطلب الأول: العدول عما يقتضي الظاهر من الإفراد إلى الجمع.

المطلب الثاني: العدول عما يقتضي الظاهر من الجمع إلى الإفراد.

المطلب الثالث: العدول عما يقتضي الظاهر من الإفراد أو الجمع إلى التثنية، وبالعكس.

المطلب الرابع: العدول عن مقتضى الظاهر في صيغ الأفعال.

التعبير عن الجمع أو التثنية بصيغة الإفراد، وبالعكس صورة من صور الخروج عن مقتضى الظاهر أدرجها بعض البلاغيين ضمن مبحث الالتفات، مخالفين بذلك الشائع والمشهور الذي استقر عليه علم البلاغة.

جاء في كتاب البلاغة العربية: "وقالوا: يقربُ من الالتفات نقل الكلام من خطاب الواحد أو الاثنين أو الجمع إلى الآخر. أقول: هذا صحيح، ولا مانع من إلحاقه به."(١)

وجاء في بحث (الالتفات في البلاغة العربية): "يتمثل الالتفات في الأعداد في انتقاله من خطاب الواحد إلى الاثنين، وإلى الجمع والعكس، وهكذا."(٢)

والحق أن العدول في الأعداد يمكن أن يعد صورة مستقلة من صور العدول عن الظاهر، كما عُدَّت المخالفة بالضمائر من إحدى صوَرِه. وقد أحسن د. أحمد سعد محمد عندما فصل هذه الصورة عن الالتفات، ودرسها في مبحث مستقل من مباحث الخروج عن مقتضى الظاهر، لكن أراه قد أخطأ عندما تناول في هذا المبحث دراسة نماذج من القراءات المتبادلة بين جمعي القلة والكثرة، كما أخطأ عندما خلَط بين أمثلة العدول عن الظاهر، والأمثلة التي تتساوى فيها دلالتا الجمع والإفراد؛ لدلالتهما على الجنس.

وبيان ذلك أن القرآن الكريم يعبِّر في كثير من آياته عن كلمة ما بطرق متعددة، فيأتي بها على الجمع حيناً، وعلى الإفراد أحياناً، ولا يخرج تبادل القراءات بين الإفراد أو الجمع في كثير من الآيات المختلف في قراءة كلماتها عن ذلك؛ لأن أكثر الكلمات التي تنوعت قراءاتها المتواترة هي من الكلمات التي تتساوى فيها دلالة المفرد والجمع؛ لأنها من أسماء الجنس التي لا تختلف دلالتها بين الإفراد والجمعية، أو لأن الآية محتملة لمعنى الإفراد والجمع دون تناقض أو اختلاف.

فعلى سبيل المثال اختلف القراء في قراءة (الريح) بين الإفراد والجمع في ستة عشر موضعاً من آيات القرآن الكريم،(٣) غير أن هذه القراءات لا تُعدُّ من نماذج العدول عن مقتضى الظاهر، وإنما هي من باب التنويع والتفنن في التعبير.

---

(١) البلاغة العربية، ١/٤٨٣–٤٨٤.

(٢) الالتفات في البلاغة العربية، د. طاهر عبد الرحمن قحطان، بحث منشور في مجلة الدراسات الاجتماعية، بصنعاء، ص ١٧٨.

(٣) هي المواضع الآتية: (سورة البقرة/١٦٤، الأعراف/٥٧، إبراهيم/١٨، الحجر/٢٢، الإسراء/٦٩، الكهف/٤٥، الأنبياء/٨١، الحج/٣١، الفرقان/٤٨، النمل/٦٣، الروم/٤٨، سبأ/١٢، فاطر/٩، ص/٣٦، الشورى/٣٣، والجاثية/٥.) انظر: النشر، ٢/٢٥٤–٢٥٥.

وقد درج بعض المفسرين على التفريق بين دلالتي (الريح) و(الرياح)، فقالوا: (الرياح) بالجمع يكثر استعماله في ريح الخير والرحمة، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ [سورة الحجر/٢٢]، و(الريح) المفردة يكثر استعمالها مقترنة بالعذاب، ومنه قوله ﷻ: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة الاحقاف/٢٤].(١)

واستدلوا بما روي عن أبي بن كعب ﷺ أنه قال: "كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الرِّيَاحِ فَهِيَ رَحْمَةٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الرِّيحِ فَهُوَ عَذَابٌ."(٢) وما روي عن ابن عباس ﷺ أنه قال: ما هبت ريح قط إلا جثا النبي ﷺ على ركبتيه وقال: "اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رَحْمَةً، وَلا تَجْعَلْهَا عَذَابًا، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيَاحاً، وَلا تَجْعَلْهَا رِيحاً."(٣)

غير أنَّ هذا الحديث لم يصح،(٤) وإن ثبت فيحتمل أن يكون مخرَّجاً على قراءة الأكثرين،(٥) أو متوافقاً مع ما تواتر من قراءة عاصم؛ إذ شاع عنه أنه "كان يقرأ ما كانَ من رحمةٍ: الرياح، وما كان منْ عذاب قرأه: ريح."(٦)

ويحتمل أن النبي ﷺ قاله استئناساً بقوله ﷻ: ﴿وَمِنْ ءايَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّراتٍ﴾ [سورة الروم/٤٦]، وقوله: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [سورة الذاريات/٤١].(٧) حيث ذكر الله ﷻ (الرياح) بصيغة الجمع

---

(١) بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي (٣٧٣هـ)، تح: د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.، ٥٣٨/١، وحجة الفارسي، ٢٥٧/٢، والكشف عن وجوه القراءات، ٢٧١/١، والكشف والبيان، ٣٣/٢، ومفردات ألفاظ القرآن، ٤٢٢/١، والمحرر الوجيز، ٢٣٣/١، ٤١٢/٢، ٢١٣/٤، والجامع لأحكام القرآن، ١٩٨/٢، والتسهيل لعلوم التنزيل، ٣٠٤/١، والبحر المحيط، ٦٤١/١، ٤٠/٣، ٤٦٢/٦، والدر المصون، ٢٠٧/٢، والجواهر الحسان، ١٢٦/١، واللباب، ١٣٠/٣، ٢٥/٢، وفتح القدير، ٣٢٨/٤، ، وصفوة التفاسير، ٦٨/١.

(٢) تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، للإمام الحافظ عبد الرحمن بن محمَّد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم (٣٢٧هـ)، تح: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرَّمة، الرياض، ط١٤١٧/١هـ-١٩٩٧م، رقم/١٤٧٥، ٢٧٥/١، والنكت والعيون، ١٤٨/٤، ٣١٩، وتفسير العز بن عبد السلام، للإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي (٦٦٠هـ)، تح: د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، ط١٤١٦/١هـ-١٩٩٦م، ص ٤٢٧، وفتح القدير، ٢٥٢/١.

(٣) مسند الإمام الشافعي، للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.، د.ت.، كتاب العيدين، رقم/٣٦١، ص ٨١، ومسند أبي يعلى، لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي (٣٠٧هـ)، دار المأمون للتراث، دمشق، تح: حسين سليم أسد، ط١٤٠٤/١هـ-١٩٨٤م، أول مسند ابن عباس ﷺ، رقم/٢٤٥٦، ٣٤١/٤. والحديث إسناده ضعيف.

(٤) معاني النحَّاس، ٣٣/٥-٣٤.

(٥) روح المعاني، ١٤٤/٨، ٢٩/١٩، ٢٠٢/٢٣.

(٦) معاني الفرَّاء، ٢٦٩/٢.

(٧) مفاتيح الغيب، ١٨٢/٤، وروح المعاني، ٣٢/٢.

في سياق الرحمة في آية الروم وهي من الآيات المتفق على قراءتها بالجمع، وذكر (الريح) بصيغة الإفراد في سياق العذاب في الذاريات، وهذه الآية اتفق القراء على قراءتها بالإفراد.(١)

وهذه التفرقة أغلبية غير مطردة،(٢) وأحسن ما يعلل به أن الريح النافعة تجيء خفيفة، وتتخلل موجاتها فجوات فلا تحصل منها مضرة، فريح المطر تتشعب وتتفرق، وتأتي لينة من هنا وهناك، وشيئاً إثر شيء، فباعتبار تفرق مهابِّها جُمِعَت، وأما ريح العذاب فتأتي جسداً واحداً، تعصف، وتحطِّم ما تجد وتهدمه، فلذلك جُعِلت ريحاً واحدة.(٣)

والأقرب إلى الصواب – والله أعلم – هو التسوية بين معنى المفرد والجمع في هذا المقام؛ لأن (الريح) في الآيات المشار إليها من أسماء الجنس، واسم الجنس المعرف يستوي المفرد والجمع في دلالته على العموم والجنس.(٤)

ومما يؤيِّد ذلك التعبير بالإفراد في إحدى القراءات المتواترة، والتعبير بالجمع عن الكلمة ذاتها في السياق ذاته والآية ذاتها في القراءة الأخرى في ستة عشر موضعاً؛ حيث قرئ بالجمع والإفراد في سياق الخير، وقرئ كذلك في سياق العذاب. (٥) ويدل على ذلك أن المفسرين اللذين ذهبوا إلى التفرقة ألجأتهم بعض القراءات إلى القول بالاتحاد والتساوي؛ استناداً إلى دلالة التعريف واسم الجنس.(٦)

---

(١) كلُّ (ريح) في القرآن ليس فيها ألف ولام، اتفق القراء على توحيدها، وما فيها ألف ولام اختلفوا في جمعها وتوحيدها، إلا (الريح العقيم) في سورة الذاريات اتفقوا على توحيدها، والموضع الأول من سورة الروم (الرياح مبشرات) [الآية/٤٦] اتفقوا على جمعها. انظر: معالم التنزيل، ١/١٧٨، واللباب، ٣/١٣١.

(٢) الدر المصون، ٢/٢٠٧، واللباب، ٣/١٣٠، وروح المعاني، ٢٣/٢٠٢، والتحرير والتنوير، ٢/٨٥، ٢٥/١٦٦.

(٣) المحرر الوجيز، ١/٢٣٣، ٢/٤١٢، ٤/٢١٣، والجامع لأحكام القرآن، ٢/١٩٨–١٩٩، والبحر المحيط، ٦/٤٦٢، والدر المصون، ٢/٢٠٧، والجواهر الحسان، ١/١٢٦، وغرائب القرآن، ٥/٤١٨، واللباب، ٣/١٣٠، والتحرير والتنوير، ٢/٨٥، ٨/١٣٧.

(٤) زاد المسير، ١/١٦٩، ومفاتيح الغيب، ٤/١٨٢، والتبيان في إعراب القرآن، ١/١٣٤، وروح المعاني، ٢/٣٢، ٨/١٤٤، ١٤/٣١، ١٩/٢٩، ٢١/٥١، والتحرير والتنوير، ٢/٨٥، ٨/١٣٧، ١٢/٢٤١، ١٩/٦٩، ٢٢/١٢٦.

(٥) الدر المصون، ٢/٢٠٧، والتحرير والتنوير، ٢/٨٥، ٢٥/١٦٦. جاء في الدر المصون: "وهذا الذي قاله [ابن عطية] يردُّه اختلاف القراء في أحد عشر موضعاً." انظر: الدر المصون، ٢/٢٠٧. وقد ردَّ عليه ابن عادل بقوله: "وهذا لا يرده؛ لأن من جمع في الرحمة، فقد أتى بالأصل المشار إليه، ومن أفرد في الرحمة، فقد أراد الجنس، وأما الجمع في العذاب، فلم يأت أصلاً، وأما الإفراد فإن وُصِف، كما في يونس من قوله: ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [سورة يونس/٢٢]؛ فإنه مزيل للبس، وإن أُطلِق، كان للعذاب، كما في الحديث، وقد تختص اللفظة في القرآن بشيء، فيكون أمارة له." انظر: اللباب، ٣/١٣٠. وأقول: إن حجة ابن عادل لا تصلح تأييداً لمذهبه من التفرقة، بل إن دلالتها على تساوي اسم الجنس المعرف المفرد والمجموع أقوى.

(٦) انظر مثلاً: حجة الفارسي، ٢/٢٥٦، والكشف عن وجوه القراءات، ١/٢٧١، والجامع لأحكام القرآن، ١٠/١٥، وأنوار التنزيل، ٤/٣٣٩، والتسهيل لعلوم التنزيل، ١/٣٠٤، والبحر المحيط، ٦/٤٦٢، ٧/١٧٣، وفتح القدير، ٣/١٨١.

فعلى سبيل المثال قرأ جميع القراء ما عدا المدنيَّين (الرِّيحَ) بالإفراد في سياق الخير[1] في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۞ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ [سورة الشورى/٣٢-٣٣]،[2] وقرأ حمزة وخلف في الحجر: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾ [سورة الحجر/٢٢] بالإفراد، خلافاً للجمهور.[3]

أي: إنَّ جمهور القراء يقرؤون (الريح) في الشورى مع أنها رياح الرحمة، وكذلك حمزة أيضاً في الحجر؛ مما يدل على أن الإفراد في قراءته يتوافق مع معنى الجمع في قراءة الجمهور: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾؛ لأن سياق الآية في ذكر رياح الخير، وحمل قراءة حمزة على غير هذا المعنى الذي تحتمله الآية؛ مراعاةً لصيغة الإفراد تعسُّفٌ لا يليق بالنظم الكريم، وإنما يُحمَل الإفراد والجمع على إرادة الجنس، ويقال إن الإفراد والجمع من باب قولهم: " أهلك الناس الدينار الصفر، والدرهم البيض."[4]

والرجوع إلى المواضع المشار إليها يؤيِّد ما ذهبت إليه، ويؤكِّد أن تنوع القراءات هذا من باب التفنن والتنويع، وليس من مظاهر العدول عن مقتضى الظاهر في شيء.

وقد كثر تبادل القرءات المتواترة بين الجمع والإفراد في كثير من الآيات، وأدى هذا التبادل إلى اتساع مدلولات الآية، أو دل السياق على اتحاد معنى المفرد والجمع؛ لدلالتهما على الجنس.

وبيَّنت الدراسة أنَّ تنوع القراءات في الكثير من الآيات لا يعدُّ من مظاهر العدول عن مقتضى الظاهر، فالتبادل بين الإفراد والجمع في قراءات كلمة (رِسَالَتَهُ) في سورتي المائدة والأنعام و(بِرِسَالَاتِي) في الأعراف،[5]

---

(١) قرأ المدنيَّان بالجمع في الشورى، والباقون بالإفراد. انظر: التيسير، ص ٦٣، والنشر، ٢/٢٥٤، وتحبير التيسير، ص ٢٩٧-٢٩٨.

(٢) التحرير والتنوير، ٢٥/١٦٦.

(٣) التيسير، ص ٦٣، والنشر، ٢/٢٥٤، ٢/٣٣٨، وتحبير التيسير، ص ٢٩٧.

(٤) مشكل إعراب القرآن، ١/٤١٢، والكشف والبيان، ٥/٣٣٦، ومفاتيح الغيب، ٤/١٨٢، ١٤/١١٣، وفتح القدير، ٣/١٨١، وروح المعاني، ١٤/٣١، وأضواء البيان، ٢/٢٧٢.

(٥) اختلف قراء المتواتر في قراءة (رسالة) بين الجمع والإفراد في سورة المائدة/٦٧، الأنعام/١٢٤، الأعراف/١٤٤. راجع: السبعة، ص ٢٤٦، والتيسير، ص ٧٥، ٧٨، والنشر، ٢/٢٨٨، ٢٩٦، وتحبير التيسير، ص ٣٤٨، ٣٦٣. وذهب المفسرون إلى اتحاد معنى القراءتين؛ لأن المفرد والمجموع في سياق الآيات المذكورة يدلان على الجنس. انظر: مفاتيح الغيب، ١٢/٤١، والجامع لأحكام القرآن، ٦/٢٤٤، وغرائب القرآن، ٢/٦١٧، واللباب، ٧/٤٤٠، والتحرير والتنوير، ٥/١٥٦، ٧/٤٢.

وقراءات كلمة (وَكُتُبِهِ) في سورتي البقرة والتحريم،[1] وقراءتَيْ كلمة (مَسَاجِدَ) [سورة التوبة/١٧]،[2] وكلمات أخرى كثيرة[3] هو من باب التنويع والتفنن، وليس من باب وضع المفرد أو الجمع موضع الآخر؛ لأن الإفراد والجمع في هذه المواضع سواء؛ حيث تتساوى قراءات الإفراد والجمع في المعنى؛ لأن هذه الأسماء أريد بها الجنس في هذه الآيات.

وتعدد القراءات في مثل هذه المواضع ليس محور البحث؛ لبعده عن القضية المدروسة، وعدم اندراج أحد قراءاته تحت ظاهرة العدول عن مقتضى الظاهر. وهذا لا يعني انعدام أو قلة القراءات التي يمكن تخريجها على هذا الوجه؛ إذ أوقفني الاستقراء على الكثير من القراءات المتواترة التي تُخرَّج وفق ظاهرة العدول في الأعداد.[4]

---

(١) اختلف قراء المتواتر في قراءة (وَكُتُبِهِ) بين الجمع والإفراد في سورة البقرة/٢٨٥، والتحريم/١٢. راجع: السبعة، ص ١٩٥، ٦٤١، والتيسير، ص ٦٧، ١٣٥، والنشر، ٢/٢٧٠، ٤٢٨، وتحبير التيسير، ص ٣١٦، ٥٨٥. وذهب المفسرون إلى اتحاد معنى القراءتين؛ لأن المفرد والمجموع في سياق الآيات المذكورة يدلان على الجنس. انظر: حجة أبي زرعة، ص ٧١٥، ومعالم التنزيل، ٨/١٧١، والكشاف، ١/٣٥٨، والمحرر الوجيز، ١/٣٩٢، ومفاتيح الغيب، ٧/١١٦–١١٧، والتبيان في إعراب القرآن، ١/٢٣٤، والجامع لأحكام القرآن، ٣/٤٢٨، ١٨/٢٠٤، وأنوار التنزيل، ١/٥٨٥، والبحر المحيط، ٢/٣٧٩، ٨/٢٩٠، وغرائب القرآن، ٢/٨٨، واللباب، ١٩/٢١٩–٢٢٠، وإرشاد العقل، ١/٢٧٤، وروح المعاني، ٣/٦٨، والتحرير والتنوير، ٢/٥٩٤–٥٩٥.

(٢) قرأ البصريان، وابن كثير (مسجد الله) على التوحيد، وقرأ الباقون بالجمع. انظر: السبعة، ص ٣١٣، والتيسير، ص ٨٥، والنشر، ٢/٣١٣، وتحبير التيسير، ص ٣٨٨. واتفق المفسرون على أن التبادل بين الإفراد والجمع في قراءة (مساجد)؛ لأجل تكثير المعاني، أي: ما صحَّ للمشركين أن يعمرُوا المسجد الحرام، كما يدل عليه قراءة الإفراد، أو شيئاً من المساجد، كما يدل عليه قراءة الجمع. وقيل: المسجد الحرام هو المراد بقراءة الجمهور، وإنما جمع؛ لأنَّ كُلَّ بقعةٍ من المسجد الحرام يقال لها: مسجدٌ، وإمَّا لأنه قبلةُ سائر المساجد. والتفريق بين معنى القراءتين أولى؛ لأن قراءة الجمع أعم؛ إذ إنها تشمل معنى قراءة الإفراد، فالمنع من عمارة المسجد الحرام يندرج في قراءة الجمع؛ لأنه أشرف المساجد. انظر: جامع البيان، ١٤/١٦٦–١٦٧، ومعاني النحَّاس، ٣/٩١، والكشف والبيان، ٥/١٨–١٩، والكشاف، ٢/٢٤٠، ومفاتيح الغيب، ١٦/٧، والجامع لأحكام القرآن، ٨/٨٩، والتسهيل لعلوم التنزيل، ١/٣٥٣، والبحر المحيط، ٥/٢٠–٢١، واللباب، ١٠/٤٣، والسراج المنير، ١/٦٧٨، والبحر المديد، ٣/٦٠، وإرشاد العقل، ٤/٥٠، وروح المعاني، ١٠/٦٤.

(٣) كتبادل الكلمات الآتية (زَبُورًا) [سورة النساء/١٦٣، والإسراء/٥٥]، (صَلَاتَكَ) [سورة التوبة/١٠٣، وهود/٨٧]، وكلمة (آيَاتٌ) في [سورتي يوسف/٧، والعنكبوت/٥٠] بين الإفراد والجمع في القراءات المتواترة؛ إذ أن جمهور المفسرين يخرجون قراءات الجمع والإفراد في هذه الآيات على إرادة الجنس.

(٤) أوقفني الاستقراء على بضعة وثلاثين موضعاً اختلف قراء المتواتر في قراءاتها بين الإفراد والجمع، وخرجت إحدى قراءاتها عن مقتضى الظاهر في جمعها أو إفرادها، كما أوقفني على أربعين موضعاً خرجت فيه القراءة المتواترة عن مقتضى الظاهر مخالفة بذلك بعض القراءات الشاذة التي جرت مع الظاهر والأصل من الجمع أو التثنية أو الإفراد، وعلى مئة وأربعين موضعاً خرجت فيه القراءة الشاذة عن الظاهر، مخالفة القراءة المتواترة الجارية مع الظاهر.

والحق أن العدول في الأعداد يمكن أن يعد صورة مستقلة من صور العدول عن الظاهر، كما عُدَّت المخالفة بالضمائر من إحدى صوَرِه. والعدول في الأعداد يشتمل على ست صور، هي: الانتقال من الواحد إلى الاثنين، ومن الواحد إلى الجمع، ومن الاثنين إلى الواحد، ومن الاثنين إلى الجمع، ومن الجمع إلى الواحد، والعدول عن الجمع إلى التثنية.(١)

وقد تحقق منها في القراءات المتنوعة الصور الآتية: العدول عن الإفراد إلى الجمع، وعن الإفراد إلى التثنية، وعن الجمع إلى الإفراد، وعن الجمع إلى التثنية، وعن التثنية إلى الإفراد.(٢)

وهذا المبحث سيتناول بالدراسة نماذج من القراءات المتواترة التي وردت على الجمع أو الإفراد أو التثنية، لكن على غير ما يقتضي ظاهر الآية ونسقها وسياقها، وسيدرس الوجوه البلاغية التي نتجت عن هذا العدول، كما سيدرس نماذج من القراءات التي جرت على خلاف الزمن الذي جرت به أفعال النسق القرآني المتقدِّم، وأثر هذا العدول في بلاغة نظم القرآن.

---

(١) الالتفات في البلاغة العربية، د. طاهر عبد الرحمن قحطان، ص ١٧٨-١٨٠.

(٢) دلَّ استقراء القراءات المتواترة على أن العدول عن الإفراد إلى الجمع قد ورد في عشرة أمثلة، وعن الإفراد إلى التثنية في مثال واحد، وعن الجمع إلى الإفراد في عشرين مثالاً، وعن الجمع إلى التثنية في مثال واحد.

المطلب الأول: العدول عما يقتضي الظاهر من الإفراد إلى الجمع.

الأصل في العربية هو صياغة الكلام على وفق ما يقتضي الظاهر، ويطابق الحال من التركيب والوضوح، لكن قد يعدل البليغ عن ذلك غير مكترثٍ بسنن المطابقة والموافقة، فيعبر عن المفرد بصيغة الجمع أو التثنية؛ قصداً إلى إشارة لطيفة أو ملحظ دقيق، يمكن للسامع اكتشافه بمجرد التفكير في سر العدول.

وقد أجرى القرآن الكريم بعض القراءات المتواترة على سنن المطابقة، وأجرى بعضها الآخر على عكس هذه السنن؛ ليحقق بمجموع قراءاته جميع المزايا التي يمكن أن يرمي إليها النص البليغ.

فعلى سبيل المثال عبَّر الله ﷻ عن ذاته العلية بصيغة الجمع في العديد من القراءات؛ قصداً إلى معانٍ بلاغية يمكن التماسها في كثير من الآيات القرآنية، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [سورة آل عمران/٨١]،(١) وقوله: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة الكهف/٥١]،(٢) وقوله: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [سورة مريم/٩]، (٣) وقوله: ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۞ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [سورة طه/١٢-١٣]،(٤) وقوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ۞ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [سورة طه/٨٠-٨١].(٥)

فقد عبر الله ﷻ في بعض قراءات هذه الآيات عن ذاته المقدَّسة بصيغة الجمع، بعد أن كان نسق الآيات يجري على التعبير عن ذاته بالإفراد؛ لمقصد بلاغي وإشارات لطيفة يوحي بها هذا العدول.

---

(١) قرأ المدنيّان ﴿آتَيْنَاكُمْ﴾ بالنون والألف جمعاً، للتعظيم، وقرأ الباقون ﴿آتَيْتُكُمْ﴾ بالتاء المضمومة على التوحيد. انظر: السبعة، ص ٢١٤، والتيسير، ص ٦٩، والنشر، ٢/٢٧٤، وتحبير التيسير، ص ٣٢٥.

(٢) قرأ أبو جعفر ﴿أَشْهَدْنَاهُمْ﴾ بالنون والألف على الجمع للعظمة، وقرأ الباقون ﴿أَشْهَدْتُهُمْ﴾ بالتاء مضمومة من غير ألف على ضمير المتكلم. انظر: النشر، ٢/٣٤٩، وتحبير التيسير، ص ٤٤٥.

(٣) قرأ الأخوان ﴿خَلَقْنَاكَ﴾ بالنون والألف على لفظ الجمع، وقرأ الباقون ﴿خَلَقْتُكَ﴾ بالتاء مضمومة من غير ألف على لفظ التوحيد. انظر: السبعة، ص ٤٠٨، والتيسير، ص ١٠٢، والنشر، ٢/٣٥٦، وتحبير التيسير، ص ٤٥٣.

(٤) قرأ حمزة ﴿وَأَنَّا اخْتَرْنَاكَ﴾ بصيغة الجمع، وقرأ الباقون ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ بتخفيف النون، و(اخْتَرْتُكَ) بتاء مضمومة من غير ألف. انظر: السبعة، ص ٤١٧، والتيسير، ص ١٠٣، والنشر، ٢/٣٥٩، وتحبير التيسير، ص ٤٥٨.

(٥) قرأ الأخوان وخلف (أَنْجَيْتُكُمْ، وَوَاعَدْتُكُمْ، رَزَقْتُكُمْ) بالتاء مضمومة على لفظ الواحد من غير ألف في الثلاثة، وقرأ الباقون (أَنْجَيْنَاكُمْ، وَوَاعَدْنَاكُمْ، رَزَقْنَاكُمْ) بالنون مفتوحة وألف بعدها فيهن على الجمع. انظر: السبعة، ص ٤٢٢، والتيسير، ص ١٠٤، والنشر، ٢/٣٦١، وتحبير التيسير، ص ٤٦١.

فقراءة نافع وأبي جعفر ﴿آتَيْنَاكُمْ﴾ فيها تنزيل الواحد وهو الله ﷻ منزلة الجمع؛ للتعظيم، وقراءة الجمهور ﴿آتَيْتُكُمْ﴾ على الإفراد موافقة لنسق التوحيد فيما قبله (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ)، وما بعده (إِصْرِي).[1] والعدول إلى الجمع في الكهف،[2] ومريم،[3] وطه[4] يومي ويشير إلى معنى التعظيم المذكور آنفاً.

والتعبير بالجمع في هذه الآيات ليس من قبيل الالتفات في الضمائر الذي تقدَّم الحديث عنه في المبحث السابق، بل هو صورة أخرى من صور العدول؛ لأن نسق النص القرآني السابق لهذه الآيات كان يحكي فعل الله ﷻ بصيغة الإفراد، ثم ما لبث عن عدل عن هذا النسق معبراً عن الذات العلية بالجمع، فخالف بذلك مقتضى الظاهر، وترك سنن المطابقة اللفظية؛ إشارة إلى تعظيم الفاعل وهو الله ﷻ، وتعظيم الفعل الذي صدر عنه في هذا المقام، وهو إيتاء الكتاب والحكمة، وخلق السموات والأرض، وخلق عيسى عليه السلام من غير أب، واختيار موسى عليه السلام للرسالة، وغير ذلك.

وبتلك القراءات جمعت الآيات إلى نظمها السامي المحاسن البلاغية التي تكمن في كل من الموافقة والمخالفة. وهو ما أشار إليه الآلوسي بقوله: "قرأ نافع (آتيناكم) على لفظ الجمع؛ للتعظيم، والباقون (آتيتكم) على التوحيد، ولكل من القراءتين حُسنٌ من جهة، فافهم ذاك، فبعيد أن تظفر بمثله يداك."[5]

ومما عُبِّر عنه في متواتر القراءات بالجمع وهو مفرد: قول رسول الأمة الذي قصَّه الله ﷻ علينا في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ۞ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ [سورة الزخرف/٢٣-٢٤]، حيث قرأ جمهور القراء ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ﴾ بالإفراد، وقرأ أبو جعفر ﴿أَوَلَوْ جِئْنَاكُمْ﴾ بالجمع.[6]

وقراءة الجمهور تجري على نسق التوحيد المتقدِّم في قوله: (مِنْ نَذِيرٍ، قَالَ)، وتحكي قول الرسول – وهو مفرد – بصيغة الإفراد، أي: إنَّها قراءة جارية على الأصل، ومتوافقة مع السياق اللفظي للآيات.

(١) حجة أبي زرعة، ص ١٦٩، والكشف عن وجوه القراءات، ٣٥٢/١، ومعالم التنزيل، ٦٢/٢، والكشف والبيان، ١٠٤/٣، والتبيان في إعراب القرآن، ٢٧٧/١، والجامع لأحكام القرآن، ١٢٦/٤، والبحر المحيط، ٥٣٥/٢، والدر المصون، ٢٩٢/٣-٢٩٣، وفتح القدير، ٥٣٧/١.

(٢) الكشف والبيان، ١٧٧/٦، ومعالم التنزيل، ١٨٠/٥، والدر المصون، ٥٠٨/٧، واللباب، ٥١٠/١٢.

(٣) معالم التنزيل، ٢٢٠/٥، والجامع لأحكام القرآن، ٨٤/١١، وأضواء البيان، ٣٧١/٣.

(٤) الكشف والبيان، ٢٤٠/٦، ٢٥٦، ومعالم التنزيل، ٢٦٧/٥، ٢٨٧، والتحرير والتنوير، ١٠٥/١٦.

(٥) روح المعاني، ٢١٢/٣.

(٦) النشر، ٤٠٩/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٤٨، والمستنير، ٥٣/٣.

أما قراءة أبي جعفر فإنها تعبِّر عن قول الرسول ﷺ بصيغة الجمع؛ لغرض بلاغي إما أن يكون: تعظيم الرسول ﷺ من جانب ربه ﷻ الذي خاطبه بقوله: (قُلْ)[1] في قراءة الجمهور.[2]

وإما أن يكون الغرض الإشارة من جانب الرسول إلى أن قوله ﷺ مطابق لقول جميع الرسل.[3]

وهذا الغرض الأخير لا يمكن أن يُفهم من الآية لولا العدول إلى الجمع، وترك النسق اللفظي الذي أوحى بأن وراء المخالفة اللفظية سراً معنوياً، وغرضاً بلاغياً يكمن خلف أستار الخروج عن الظاهر. ولا يخفى أن تعدد القراءات في هذه الآية يحقق للآية وجوه إعجازها وجمالها المكتسَب من مزايا القراءتين.

ومما جرى على الجمع أيضاً في القراءات المتواترة قراءة جمهور القراء لقوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ [سورة الانشقاق/١٩]، خلافاً لما قرأ به ابن كثير والأخوان وخلف ﴿لَتَرْكَبَنَّ﴾ بفتح الباء على التوحيد.[4]

والأصل في هذه الآية التوحيد كما قرأ ابن كثير ومن معه، مراعاة لما تقدَّم من التوحيد والإفراد في نسق الآيات السابقة: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۞ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۞ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۞ وَيَصْلَى سَعِيرًا ۞ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۞ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ۞ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ [سورة الانشقاق/٦-١٥]. أي: إنَّ قراءة ابن كثير تجري مع نسق الآيات السابقة التي أجرت ألفاظها على نمط الإفراد في الضمائر (الكاف والهاء)، وأحرف المضارعة (الياء).

وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن الخطاب في قراءة التوحيد موجَّه إلى النبي ﷺ.[5] والمعنى: لتركبَن يا محمد مكابدة الكفار حالاً بعد حال، أو لتركبَن فتح البلاد شيئاً بعد شيء، أو لتركبَن السماوات في الإسراء سماء بعد

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٥/٢٣٤-٢٣٥.

(٢) قرأ ابن عامر وحفص (قال أولو) على الخبر، وقرأ الباقون (قل) على الأمر. انظر: السبعة، ص ٥٨٥، والتيسير، ص ١٢٦، والنشر، ٢/٤٠٩، وتحبير التيسير، ص ٥٤٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ١٦/٧٦، والمستنير، ٣/٥٣.

(٤) السبعة، ص ٦٧٧، والتيسير، ص ١٣٩، والنشر، ٢/٤٤٠، وتحبير التيسير، ص ٦٠٩.

(٥) جامع البيان، ٢٤/٣٢٢-٣٢٤، وحجة ابن خالويه، ص ٣٦٧، وحجة الفارسي، ٦/٣٩١، وحجة أبي زرعة، ص ٧٥٦، والكشف عن وجوه القراءات، ٢/٣٦٧، والكشف والبيان، ١٠/١٦١، ومعالم التنزيل، ٨/٣٧٥، والمحرر الوجيز، ٥/٤٥٩، والموضِّح، ٣/١٣٥٥، والجامع لأحكام القرآن، ١٩/٢٧٨، والتسهيل لعلوم التنزيل، ٢/٥٥٣، والبحر المحيط، ٨/٤٤٠، والدر المصون، ١٠/٧٣٨، واللباب، ٢٠/٢٣٨، والبحر المديد، ٨/٢٧١، وفتح القدير، ٥/٥٧٧-٥٧٨، وأضواء البيان، ٨/٤٧٣.

سماء، أو لتركبَن أحوال أيامك حالاً بعد حال: حال البعثة، ثم الدعوة، ثم الهجرة، ثم الجهاد وفتح البلاد، ثم الحج وتوديع العباد، ثم الرحيل إلى دار المقام، ثم الشفاعة، ثم المقام في دار الكرامة.(١)

أو هو بشارة للنبي ﷺ بالظفر والغلبة على المشركين بعد حال الخوف والشدة، أي: لتركبن يا محمد حالاً بعد حال حتى يختم لك بجميل العاقبة، فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم في كفرهم، أو ليبدلنَّك الله ﷻ بالمشركين أنصاراً من المسلمين.(٢)

وذهب بعض المفسرين إلى أن قراءة الإفراد مصروفة في المعنى إلى جنس الإنسان، فالمراد بها عامة الناس؛ لأن سياق الآيات في أصول البعث ومواقفه. والآية تحتمل جميع الأحوال التي تعرض للإنسان، أي: ستمرون أيها البشر بأحوال عديدة: النطفة، ثم العلقة، ثم المضغة، ثم الجنين، ثم الخروج إلى الدنيا، ثم الطفولة، ثم الشباب، ثم الكهولة، ثم الشيخوخة، ثم الهرم، ثم الموت. وفي الحياة الدنيا سترون فقراً وغنى، وقوة وضعفاً، ورخاء وشدة إلى غير ذلك مما تحتمله الكلمة. ثمَّ ستجدون أحوالاً متعددة كل واحدة منها مطابقة لأختها في الشدّة والفظاعة، كأحوال شدائد الموت، ثم القبر، ثم البعث، ثم الحشر، ثم الحساب، ثم الميزان، ثم الصراط، ثم الجنة أو النار.(٣)

والمعنى الثاني أرجح؛ لأنَّ سياق الآيات أشبه بالناس منه بالنبي ﷺ؛ إذ قد ذكر قبل الآية من يؤتى منهم كتابه بيمينه وشماله، ثم قال بعدها: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الانشقاق/٢٠]، وذكر ركوبهم طبقاً بعد طبق بينهما.(٤) أي: إنَّ قراءة الإفراد في الأرجح متوافقة تماماً في المعنى مع قراءة الجمع.(٥)

وقراءة الجمهور تعدل عن النسق اللفظي وتصرف الخطاب إلى عامة الناس بصيغة الجمع بعد أن كان السياق يجري على الإفراد والتوحيد. وأرى أنَّ غرض العدول عن الظاهر في هذه القراءة هو التنبيه على أن تغيُّر الأحوال وتفاوت الدرجات في الدنيا أمر يشمل الناس كافةً، ولا يختص بفردٍ دون آخر.

فقراءة الإفراد هي الأشبه بما قبلها وتجري على نظير ما تقدَّمها، وكون السياق محتملاً لمعنى العموم – إذ المراد جنس الإنسان – لا يلغي الخاصية اللفظية فيه، وقراءة الجمع تعدل عن الأصل؛ لتنبِّه الأذهان على معانٍ يمكن أن يتفتَّق عنها سر العدول، وبكلتا القراءتين يجمع النص القرآني إلى نظمه جمال اللفظ وجمال المعنى.

---

(١) البحر المديد، ٢٧١/٨.

(٢) مفاتيح الغيب، ٣١/١٠٠–١٠١.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات، ٣٦٧/٢–٣٦٨، والكشف والبيان، ١٦١/١٠، والمحرر الوجيز، ٤٥٨/٥–٤٥٩، والتسهيل لعلوم التنزيل، ٥٥٣/٢، والبحر المحيط، ٤٤٠/٨، والسراج المنير، ٥٨٠/٤، والبحر المديد، ٢٧١/٨، وفتح القدير، ٥٧٧/٥.

(٤) الكشف والبيان، ١٦١/١٠، واللباب، ٢٣٨/٢٠.

(٥) مفاتيح الغيب، ١٠٠/٣١، والسراج المنير، ٥٨٠/٤، وإرشاد العقل، ١٣٣/٩، والإتحاف، ص ٧٧١، وروح المعاني، ٨٢/٣٠.

وقد أوقفني الاستقراء على آيات اتفق قراء المتواتر على قراءتها بصيغة الجمع على خلاف الظاهر الذي جاءت به بعض القراءات الشاذة، وأذكر من ذلك – على سبيل المثال – قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف/٢٧].

وقد جاءت القراءة المتواترة ﴿لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ بصيغة الجمع على خلاف نسق الإفراد الذي جاءت به الآية في الألفاظ والضمائر (الشَّيْطَانُ، أَخْرَجَ، يَنْزِعُ، إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ)، أما القراءة الشاذة (لَا تَرَوْنَهُ) بصيغة الإفراد فإنها توافق نسق الضمائر المتقدِّمة، وترجع الضمير على الشيطان وحده المفرد بالنّهي أولاً؛ لكونه رأسهم وكبيرهم وباقي الشياطين له تبع.(١)

وأرى أن القراءة المتواترة تعدل عن الظاهر اللفظي؛ للتنبيه على أن خروج الشياطين عن حدود رؤية البشر أمر يشترك فيه جميع الشياطين، وليس مختصاً بكبيرهم، ولعل الجمع بعد ذلك في قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يومئ إلى أن العلة في الجمع بعد الإفراد هي التنصيص على اشتراكهم في الأحكام.

ومما يندرج تحت المخالفة الظاهرية من الآيات قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۞ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [سورة مريم/٦٠-٦١]، حيث اتفق قراء المتواتر على قراءة (جَنَّاتِ عَدْنٍ) بصيغة الجمع خلافاً لما تقدم من الإفراد في قوله: (فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ).

ولفظ (جَنَّاتِ) في القراءة المتواترة بدل من (الْجَنَّةَ)، بدل بعض من كل؛ إذ تشتمل الجنة على جنات عدن اشتمال الكل على الجزء.(٢)

وجاء في بعض القراءات الشاذة (جنَّة عدنٍ) بالإفراد،(٣) موافقةً لنسق إفراد المبدل منه. وقد استحسن بعض المفسرين هذه الموافقة اللفظية، فقالوا: ولولا الخط لجاز (جنة عدن)؛ لأن قبله (يدخلون الجنة).(٤)

---

(١) البحر المحيط، ٢٨٥/٤، والقراءة الشاذة فيه بلا نسبة.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ١٢٦/١١، والدر المصون، ٦١٠/٧، واللباب، ٩٠/١٣، وإرشاد العقل، ٢٧٢/٥، وفتح القدير، ٤٨٥/٣، وروح المعاني، ١١٠/١٦.

(٣) قرأ الحسن بن حيّ وعلي بن صالح والأعمش في رواية (جنَّة عدنٍ) نصباً مفرداً، وقرأ اليماني والحسن البصري والأزرق عن حمزة (جَنَّةُ) رفعاً مفرداً. انظر: زاد المسير، ٢٤٦/٥، والدر المصون، ٦١١/٧، واللباب، ٩١/١٣، وروح المعاني، ١١١/١٦.

(٤) إعراب النحّاس، ٢٢/٣، والجامع لأحكام القرآن، ١٢٦/١١، وفتح القدير، ٤٨٥/٣ جميعهم نقلاً عن أبي حاتم.

والأرجح أن قراءات الإفراد مساوية لجمع القراءة المتواترة؛ لأن الجنة اسم لمجموع الجنات التي هي بمنزلة الأنواع للجنس.[1] غير أني ألتمس من عدول القراءة المتواترة عن الظاهر إلى الجمع، ومخالفتها للمبدل منه في الإفراد وجهاً بلاغياً لا يشير إليه التوافق مع الظاهر في القراءات الشاذة، وهو كون الجمع يشير إلى الكثرة ويدل على وفرة العطاء، مما يرغِّب العاصين في التوبة، وملازمة العمل الصالح.

والخلاصة: أن العدول عن الظاهر في القراءات المتواترة يراعي في بعض الآيات المعنى الدال على الجمع، وفي بعضها الآخر ينبِّه الأذهان على أن هناك معاني ووجوهاً بلاغية تكمن خلف أسرار العدول والمخالفة، والقراءات الأخرى تجري وفق النسق المتقدِّم؛ حرصاً على جمال المشابهة اللفظية.

والآيات التي تتبادل قراءاتها المتواترة وفق الوجهين المذكورين تجمع إلى نظمها جمال الأسلوب وجمال المعنى، وبذلك يتجلى وجه البلاغة في تعدد القراءات، ويظهر أثره في جمال نظم القرآن بجمعه بين مزايا القراءات المتعددة.

---

(١) فتح القدير، ٣/٤٨٥.

المطلب الثاني: العدول عما يقتضي الظاهر من الجمع إلى الإفراد.

العدول في ضمائر الأعداد له صور عديدة، وهو ينطوي غالباً على إشارات لطيفة، ومقاصد بلاغية متعددة، ومن صوره التي كثر ترددها في متواتر القراءات: صورة العدول عن الجمع إلى الإفراد. وفي هذا المطلب دراسة موجزة لنماذج من القراءات المتواترة التي تجري على الإفراد، لكن ليس وفق ما يقتضي الظاهر.

فعلى سبيل المثال: اختلف قراء المتواتر في قراءة ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بين الإفراد والجمع في أربعة مواضع هي:

قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الأنعام/١١٥].[١]

وقوله: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يونس/٣٣].[٢]

وقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يونس/٩٦].

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [سورة غافر/٦].

وقراءة الجمع في هذه الآيات تجري على النسق اللفظي للآيات المذكورة التي جرت ألفاظها على صيغة الجمع،[٣] وعلى الأصل المعنوي؛ لأن معناها الجمع فناسبه الجمع في اللفظ،[٤] إذ المراد الجمع باعتبار تعدد الكلمات وتنوعها بين الأمر والنَّهي، والوعد والوعيد،[٥] أو باعتبار تكرر الكلمة الواحدة بالنظر إلى أن متعلقها أناس كثيرون، فكل واحد منهم تحق عليه كلمة.[٦]

---

(١) قرأ الكوفيون ويعقوب ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بلا ألف على التوحيد، وقرأ الباقون ﴿كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ على الجمع. انظر: السبعة، ص ٢٦٦، والتيسير، ص ٧٨، والنشر، ٢/٢٩٦، وتحبير التيسير، ص ٣٦٢.

(٢) قرأ المدنيَّان وابن عامر ﴿كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ هنا وفي آخر سورة يونس، وفي غافر الثلاثة على الجمع، والباقون على التوحيد. انظر: السبعة، ص ٣٢٦، ٥٦٧، والتيسير، ص ٨٧، والنشر، ٢/٢٩٦، وتحبير التيسير، ص ٣٩٨–٣٩٩.

(٣) حجة ابن خالويه، ص ١٤٨، وحجة أبي زرعة، ص ٢٦٨.

(٤) مفاتيح الغيب، ١٣/١٣١.

(٥) حجة الفارسي، ٣/٣٨٨–٣٨٩، والكشف عن وجوه القراءات، ١/٤٤٧، ومعالم التنزيل، ٣/١٨١، والدر المصون، ٥/١٢٥، وغرائب القرآن، ٦/٢٢، واللباب، ٨/٣٩٥، ١٠/٤١٣، وفتح القدير، ٢/٢٢٥، والتحرير والتنوير، ١١/٧٥، ١٧٨.

(٦) التحرير والتنوير، ١١/٧٥، ١٧٨.

وقراءة الإفراد توافق في المعنى قراءة الجمع بحسب الجنسية؛ لأن الكلمة تطلق على مجموع الكلام، كقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ [سورة المؤمنون/١٠٠]، ولأن الكلمة قد يراد بها الكلمات الكثيرة إذا كانت مضبوطة بضابط واحد، كقولهم: قال زهير في كلمته، يعني قصيدته، وقال قس في كلمته، أي: خطبته.(١)

وقد أقامت قراءات التوحيد المفرد مقام الجمع؛ إشارةً إلى ناحيةٍ لطيفة ومعنى دقيق، وهو أن كل كلمات الله ﷻ وأوامره ونواهيه ومجموع ما جاء في القرآن كالكلمة الواحدة في كونه حقاً، وصدقاً، ومعجزاً.(٢) وهذا المعنى لا توحي به قراءة الجمع، بل إن التفكُّر في سر العدول عن الظاهر هو الذي هدى العقل السليم إلى هذا المعنى.

ولا يخفى وجه الحسن في تطابق اللفظ مع الظاهر في قراءات الجمع، وبذلك يكون القرآن قد جمع بنظمه جميع مزايا الحسن من خلال تعدد قراءاته.

ومما عُدِل فيه عن الجمع إلى الإفراد في القراءات المتواترة قراءة جمهور القراء لكلمة (مَكَانَتِكُمْ، مَكَانَتِهِمْ) حيث جاءت في القرآن الكريم. وقد وردت هذه الكلمة في الآيات الآتية: قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة الأنعام/١٣٥]، وقوله: ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [سورة هود/٩٣]، وقوله: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾ [سورة هود/١٢١]، وقوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ [سورة يس/٦٧]، وقوله أيضاً: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الزمر/٣٩]. ولم يخالف في ذلك إلا أبو بكر الذي قرأ بالجمع في جميع الآيات.(٣)

وقراءة أبي بكر توافق السياق اللفظي للآيات التي تخاطب الجماعة، وتطابق ما قبلها وبعدها في الجمعية، وتتوافق مع ظاهر المعنى وأصله؛ حيث تخاطب كل واحد من المخاطبين؛ والمعلوم أنهم على أحوال مختلفة من أمر دنياهم، وأن لكل واحد منهم مكانة.(٤)

أما قراءة الجمهور فإنها تجري على الغالب في العربية، لأن (مكانة) مصدر، والمصادر في أكثر الأمر مفردة، وقد تجمع في بعض الأحوال إلا أن الغالب هو الأول، ومن أفرد فقد أراد العموم والجمع استناداً إلى دلالة المصدر

---

(١) حجة ابن خالويه، ص ١٤٨، وحجة الفارسي، ٣٨٩/٣، وزاد المسير، ١١٠/٣، ومفاتيح الغيب، ١٣١/١٣، واللباب، ٤١٣/١٠، والتحرير والتنوير، ٧٥/١١.

(٢) مفاتيح الغيب، ١٣١/١٣.

(٣) السبعة، ص ٢٦٩، والتيسير، ص ٧٩، والنشر، ٢٩٧/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٦٤.

(٤) الكشف عن وجوه القراءات، ٤٥٢/١، والبحر المحيط، ٢٢٨/٤، والدر المصون، ١٥٨/٥، واللباب، ٤٤٠/٨، وروح المعاني، ١٢٧/١٢.

على الجنس.[1] والمعنى: اعملوا على تمكنكم من أمركم، وأقصى استطاعتكم وإمكانكم، أو عملوا على طريقتكم، إني عامل على مكانتي التي عليها، فاثبتوا على عداوتكم وكفركم، إني ثابت على الإسلام وعلى عداوتكم.[2]

والقراءتان في الحسن سواء، فقراءة الجمع توافق النسق اللفظي والمعنى الأصلي، وقراءة الإفراد تجري على الغالب من توحيد المصادر، وأراها تشير بخروجها عن نسق الجمع إلى أن جميع المخاطبين في الحكم سواء، لا يتميَّز واحد منهم عن الآخر، وكأنهم جميعاً ينزلون منزلة فرد واحد.

وقد أجرى الله ﷻ الكثير من القراءات المتواترة على هذه الطريقة؛ فلاحظ دلالة المصدر على الجنس في قراءات الإفراد، وراعى المطابقة اللفظية بين الكلمة وسياقها في قراءات الجمع التي أضيف فيها المصدر إلى جميع المخاطبين في كثير من الآيات، وأذكر منها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [سورة المؤمنون/٨، والمعارج/٣٢]،[3] وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ [سورة المعارج/٣٣]،[4] وقوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [سورة التوبة/٢٤].[5]

فقراءات الجمع في آيات الأمانة والشهادة أوفق للنسق اللفظي، وأدلُّ على العموم،[6] وهي تلاحظ تعدد أنواع الأمانات والشهادات، وتعدد القائمين بالحفظ والشهادة.[7]

---

(١) حجة الفارسي، ٤٠٧/٣، وحجة أبي زرعة، ص ٢٧٢، والكشف عن وجوه القراءات، ٤٥٢/١–٤٥٣، ومفاتيح الغيب، ١٦٦/١٣، والبحر المحيط، ٢٢٨/٤، والدر المصون، ١٥٨/٥، واللباب، ٤٤٠/٨، وروح المعاني، ١٢٧/١٢، ٦/٢٤.

(٢) مفاتيح الغيب، ١٦٦/١٣، والبحر المحيط، ٢٢٨/٤، والدر المصون، ١٥٨/٥، واللباب، ٤٤٠/٨، وروح المعاني، ١٢٧/١٢، ٦/٢٤.

(٣) قرأ ابن كثير (لِأَمَانَتِهِمْ) في السورتين بغير ألف على التوحيد، وقرأهما الباقون (لِأَمَانَاتِهِمْ) بالألف على الجمع. انظر: السبعة، ص ٤٤٤، والتيسير، ص ١٠٧، والنشر، ٣٦٧/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٧٤.

(٤) قرأ حفص ويعقوب (بِشَهَادَاتِهِمْ) بالألف على الجمع، والباقون (بِشَهَادَتِهِمْ) بغير ألف على التوحيد. انظر: السبعة، ص ٦٥١، والتيسير، ص ١٣٦، والكفاية، ٣٠٧، والنشر، ٤٣٠/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٩٢.

(٥) قرأ أبو بكر عن عاصم (وَعَشِيرَاتُكُمْ) على الجمع، والباقون (وَعَشِيرَتُكُمْ) على التوحيد. انظر: السبعة، ص ٣١٣، والتيسير، ص ٨٥، والنشر، ٣١٣/٢، وتحبير التيسير، ص ٣٨٩.

(٦) الدر المصون، ٣١٩/٨، واللباب، ١٧٣/١٤، والتحرير والتنوير، ١٤/١٨.

(٧) حجة أبي زرعة، ص ٧٢٤، والكشف عن وجوه القراءات، ١٢٥/٢، والمحرر الوجيز، ٣٧٠/٥، واللباب، ٣٧١/١٩، وروح المعاني، ١١/١٨، ٦٤/٢٩، والتحرير والتنوير، ١٤/١٨.

أما قراءات الإفراد فتكتفي بدلالة المصدر على الجنس والكثرة والعموم.(١)

وقراءة الجمع في سورة التوبة تراعي المطابقة اللفظية بين ما قبلها وما بعدها من الألفاظ التي وردت بصيغة الجمع، كما تراعي الموافقة مع أصل المعنى؛ إذ إنَّ لكل واحد من المخاطبين عشيرة تختص به.(٢) وقراءة الإفراد تدل على معنى الجمع بقرينة الإضافة إلى ضمير الجماعة.

ولا يوجد في هذه القراءات ما هو الأَولى؛ لأن لكل من الإفراد والجمع وجه حسنه ومزايا جماله، فقراءات الجمع يحسِّنها المطابقة اللفظية والمعنوية، وقراءات الإفراد يحسنها دلالتها على الالتحام والاتحاد بين جميع المخاطبين وكأنهم جميعاً في حكم المذكور سواء.

وهذه المعاني هي التي نلاحظها في قراءات قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ [سورة سبأ/١٥].(٣) حيث نصَّ المفسرون على أن قراءة الجمع تجري على الظاهر من إضافة المساكن إلى جماعة، فمساكنهم بعددهم، ولكل واحد منهم مسكن.(٤)

وقراءة الإفراد يراد بها الجمع، ثم يحتمل أن يراد بالمسكن المكان، أو المصدر أي: السكنى، والمصدر يشمل الكل، وليس فيه وضع المفرد موضع الجمع، بخلاف المكان فإن فيه وضع المفرد موضع الجمع.(٥)

والغرض من مخالفة ظاهر الجمع تصغير شأنهم، وبيان أن الله ﷻ لما عاقبهم، عاقبهم في وقت واحد، وكأنهم كانوا في مسكن واحد.(٦) وهذه الإشارة اللطيفة لم تكن لتفهَم من الآية لولا العدول عن مقتضى الظاهر.

---

(١) حجة الفارسي، ٢٨٧/٥، وحجة أبي زرعة، ص ٧٢٤، والكشف عن وجوه القراءات، ١٢٥/٢، والمحرر الوجيز، ٣٧١/٥، وزاد المسير، ٤٦١/٥، والجامع لأحكام القرآن، ٢٩٢/١٨، وأنوار التنزيل، ١٤٨/٤، والدر المصون، ٣١٩/٨، واللباب، ٣٧١/١٩، وروح المعاني، ١١/١٨، ٦٤/٢٩، والتحرير والتنوير، ١٤/١٨.

(٢) حجة الفارسي، ١٨٠/٤، والكشف عن وجوه القراءات، ٥٠٠/١، والمحرر الوجيز، ١٩/٣، ومفاتيح الغيب، ١٦/١٦، والدر المصون، ٣٤/٦.

(٣) قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص (مَسْكَنِهِمْ) بغير ألف على التوحيد، والكسائي وخلف يقرآن بكسر الكاف، وحمزة وحفص بفتحها، وقرأ الباقون (مَسْاكِنِهِمْ) بألف على الجمع مع كسر الكاف. انظر: السبعة، ص ٥٢٨، والتيسير، ص ١١٨، والنشر، ٣٩٠/٢، وتحبير التيسير، ص ٥١٦.

(٤) حجة الفارسي، ١٢/٦، وحجة أبي زرعة، ص ٥٨٦، والكشف عن وجوه القراءات، ٢٠٤/٢، والمحرر الوجيز، ٤١٣/٤، والجامع لأحكام القرآن، ٢٨٣/١٤، والدر المصون، ١٦٩/٩–١٧٠، واللباب، ٣٧/١٦–٣٨.

(٥) حجة الفارسي، ١٢/٦–١٤، وحجة أبي زرعة، ص ٥٨٦، والدر المصون، ١٧٠/٩، واللباب، ٣٧/١٦–٣٨، وروح المعاني، ١٢٥/٢٢.

(٦) البحر المحيط، ٦٥/٨.

وقد أوقفني الاستقراء على عديد من الكلمات القرآنية التي اتفق قراء المتواتر على قراءتها بالإفراد، على خلاف ما يقتضي الظاهر من جمعها، وبخلاف ما ورد في بعض القراءات الشاذة، وأذكر منها على سبيل المثال: كلمة (سَمْعِهِمْ) من قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [سورة البقرة/٧]، حيث اتفق قراء المتواتر على قراءة هذه الكلمة بالإفراد، وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة[١] (وعلى أسماعهم) بالجمع.[٢]

فوجه الجمع في القراءة الشاذة هو القصد إلى تحقيق المشابهة في الجمعية بين الأسماع والأبصار والقلوب.[٣]

وذهب جمهور المفسرين إلى أن وجه الإفراد في القراءة المتواترة هو أن السمع مصدر، والمصدر يقع للقليل والكثير، ولمّا كان الجمع هو المراد في الآية أضيف (السمع) إلى ضمير جماعة، فدل المضاف إليه على المراد، كما دلَّ الجمع فيما قبله وما بعده على ذلك، ويحتمل أن يراد على مواضع سمعهم، فحذف وأقام المضاف إليه مقامه.[٤]

وأشار السيوطي إلى أن وجه إفراد السمع وجمع البصر هو أن "السمع غلب عليه المصدرية فأفرد، بخلاف البصر فإنه اشتهر في الجارحة، ولأن متعلق السمع الأصوات وهي حقيقة واحدة، ومتعلق البصر الألوان والأكوان وهي حقائق مختلفة، فأشار في كل منهما إلى متعلقه."[٥]

فالمُسمِع فرد، والمسموع للكل شيء واحد، ولما اشترك الكل في سماع الصوت ذاته صارت أسماعهم بالاتصال فرداً؛ إذ إنَّ سمع الفرد يغني عن استماع الكل، فحق السمع في البلاغة الإفراد، أما القلوب والأبصار فمختلفة متعلقاتها، ومتباينة طرقهما، ومتفاوتة دلائلهما، ومعلمهما على أنواع، وملقّنهما على أقسام، ولهذا توسط المفرد (السمع) بين الجمعين (القلوب والأبصار).[٦]

---

(١) هو إبراهيم بن أبي عبلة، واسمه شمر بن يقظان بن المرتحل، أبو إسماعيل، وقيل: أبو إسحاق، ثقة كبير تابعي، له حروف في القراءات واختيار خالف فيه العامة في صحة إسنادها. أخذ القراءة عن أم الدرداء الصغرى هجيمة بنت يحيى الأوصابية، قال: قرأت القرآن عليها سبع مرات، وأخذ أيضاً عن واثلة بن الأسقع. أخذ عنه الحروف موسى بن طارق، وابن أخيه هاني بن عبد الرحمن بن أبي عبلة، وكثير بن مروان. توفي سنة ١٥١، وقيل: ١٥٢، وقيل ١٥٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ٣٢٣/٦-٣٢٥، وغاية النهاية، ١/ ١٠.

(٢) الكشف والبيان، ١٥١/١، والكشاف، ٩٢/١، والمحرر الوجيز، ٨٨/١، وزاد المسير، ٢٨/١، ومفاتيح الغيب، ٤٩/٢، والبحر المحيط، ١٧٦/١.

(٣) البحر المحيط، ١٧٦/١.

(٤) إعراب النحّاس، ١٨٦/١، والكشاف، ٩٢/١، والمحرر الوجيز، ٨٨/١، وزاد المسير، ٢٨/١، ومفاتيح الغيب، ٤٩/٢، والتبيان في إعراب القرآن، ٢٣/١، والجامع لأحكام القرآن، ١٩٠/١-١٩١، ومدارك التنزيل، ٤٩/١، والبحر المحيط، ١٧٦/١، والدر المصون، ١١٤/١-١١٥.

(٥) معترك الأقران في إعجاز القرآن، ٤٨١/٣.

(٦) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النّورسي، تح: إحسان قاسم الصالحي، ط١/ ١٤٠٩هـ-١٩٩٣م، ٨٤/١.

والخلاصة: أن حق السمع في هذه الآية الجمع؛ تحقيقاً للمناسبة بين ما جاء قبله وما تلاه من الجمعية، لكن عدل عن الجمع وأقيم المفرد مقامه؛ رعايةً لما في السمع من معنى المصدرية، وإشارة إلى اختلاف متعلقه عن متعلقات ما قبله وما بعده، وتفنناً في أداء المعنى، وصياغة الكلام.

ومما اتفق قراء المتواتر على قراءته بالإفراد أيضاً على خلاف مقتضى الظاهر كلمة (تِجَارَتُهُمْ) من قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة/١٦]، حث اتفق قراء المتواتر على قراءة (تِجَارَتُهُمْ) بالإفراد، وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة (فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَاتُهُمْ) بالجمع.(١)

وقراءة ابن أبي عبلة تجري وفق الظاهر وأصل المعنى؛ لأنها تتناسب مع صيغة الجمع فيما قبلها وما بعدها، وتتوافق مع أصل المعنى؛ إذ إنَّ لكل واحد منهم تجارته.(٢)

أما قراءة العامة فتضع المفرد موضع الجمع؛ اكتفاءً بدلالة المصدر والإضافة إلى ضمير الجماعة على المعنى المراد، ولتشير بهذا العدول إلى أن تجاراتهم وإن تعددت فهي من سوق واحدة، وهم فيها شركاء؛(٣) وطرق الضلالة تؤدي إلى مصير واحد مهما اختلفت وتباينت.

ومما اتفق قراء المتواتر على قراءته بالإفراد أيضاً كلمة (بِشَيْءٍ) من قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ [سورة البقرة/١٥٥]، خلافاً للقراءة الشاذة (بأشياء) بالجمع.(٤)

والقراءة العامة تخالف مقتضى الظاهر؛ حيث تلجئ المفسِّر إلى تقدير محذوف في الآية؛ لأنها تفرد في مقام التعداد، والتقدير: بشيء من الخوف، وشيء من الجوع، وشيء من نقص الأموال، بخلاف القراءة الشاذة التي تجري على الجمع في مقام الكثرة، ولا تحتاج الآية معها لمحذوف مقدَّر.(٥)

ووجه الإفراد والعدول عن الظاهر في القراءة المتواترة هو الاختصار، والدلالة على التقليل؛ إذ لو جمعه، فقال: بأشياء، لاحتمل أن تكون ضروباً من كل واحد مما بعده. أي: سنختبر صبركم بشيء قليل من الخوف وقليلٍ من الجوع، ونقص الأموال والأنفس والثمرات، ولس بالكثير منه،(٦) فإن الاختبار بالقليل أدعى إلى الصبر

---

(١) الكشف والبيان، ١٥٩/١، والمحرر الوجيز، ٩٨/١، والبحر المحيط، ٢٠٦/١، وروح المعاني، ١٦٣/١.

(٢) البحر المحيط، ٢٠٦/١.

(٣) روح المعاني، ١٦٣/١.

(٤) نُسِبت هذه القراءة إلى الضحَّاك. انظر: البحر المحيط، ٦٢٣/١، والدر المصون، ١٨٥/٢.

(٥) معاني الفَرَّاء، ٩٤/١، وجامع البيان، ٢٢٠/٣، ومفاتيح الغيب، ١٣٦/٤، ولباب التأويل، ١٢٨/١، والبحر المحيط، ٦٢٣/١، والدر المصون، ١٨٥/٢.

(٦) مفاتيح الغيب، ١٣٦/٤، ولباب التأويل، ١٢٨/١، والبحر المحيط، ٦٢٣/١، والدر المصون، ١٨٥/٢.

من الابتلاء بالكثير من ذلك؛ لأن الاختبار بقليل من البلاء يتميز به الصابر من الجزِع، والابتلاء بالكثير قد يفوق الطاقة البشرية، فيحمل المؤمن الصابر على الجزَع.

فالإفراد في القراءة المتواترة – كما يرى جمهور المفسرين – للتقليل والتحقير، وإنما قلله؛ ليؤذن أن كل بلاء أصاب الإنسان وإن جلَّ ففوقه ما يقلُّ بالنسبة إلى ما وقاه منه، أو بالنسبة إلى ما يصيب به معانديهم في الآخرة، وليخفف الله ﷻ عن المصابين، ويريهم أن ما وقاهم من النوائب هو أضعاف ما أصابهم من المصائب، فيعرفون بسبب ذلك أن رحمته ﷻ لا تفارقهم. وكأنه ﷻ يخبر عباده: بأن ما وقاهم منه أكثر بكثير بالنسبة إلى ما أصابهم به؛[1] ولذلك يجب عليهم الصبر على النوائب، والشكر في حال المحنة فضلاً عن حال المنحة؛ ليقيهم الكثير من المصائب التي دفعها عنهم؛ ولئلا يصيبهم أعظم مما أصابهم، وفي هذا التقليل توجيه للعباد إلى وجوب المداومة على الشكر في جميع الأحوال.[2]

وفي العدول عن الظاهر وإقامة المفرد موقع الجمع في هذه الآية، تهوينٌ للخبر المفجع، وإشارة إلى الفرق بين هذا الابتلاء وبين الجوع والخوف اللذين سلطهما الله ﷻ على بعض الأمم عقوبةً، كما جاء في قوله ﷻ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [سورة النحل/١١٢]، فجاء في سورة البقرة بكلمة (شيء)، واستعار في سورة النحل اللباس اللازم للابس؛ ليدل على الملابسة والتمكن، وكلمة (شيء) من أسماء الأجناس العامة، جاء بها على الإفراد والتنكير؛ لقصد التقليل والدلالة على التحقير.[3]

وهذه الوجوه البلاغية التي أوحى بها العدول عن الظاهر في متواتر القراءات لا يمكن لمحها في نظم الآيات لولا العدول ومخالفة الظاهر، ولهذا كانت القراءات المتواترة في الأمثلة السابقة – بلا شك – أبلغ معنى من القراءات الشاذة، وإن كانت المشابهة اللفظية تعضد القراءات الشاذة، وتحقق وجه بلاغتها.

وتعدد القراءات المتواترة التي تتبادل بين حالتي مجاراة الظاهر والخروج عنه تجمع إلى نظم القرآن جمال اللفظ، وحسن المعنى.

---

(١) الكشاف، ٢٣٣/١، وأنوار التنزيل، ٤٣٠/١، والسراج المنير، ١٢٠/١، وإرشاد العقل، ١٨٠/١، وحاشية القونوي، ٣٧٤/٤.

(٢) حاشية القونوي، ٣٧٤/٤.

(٣) التحرير والتنوير، ٥٣/٢–٥٤.

المطلب الثالث: العدول عما يقتضي الظاهر من الإفراد أو الجمع إلى التثنية، وبالعكس.

كثر في القراءات المتواترة ورود صورتي العدول عن الإفراد إلى الجمع وعن الجمع إلى الإفراد اللذين سبق دراستهما في المطلبين الآنفين، لكن قلَّت نماذج العدول عن الإفراد إلى التثنية، وعن التثنية إلى الإفراد، وعن التثنية إلى الجمع، وعن الجمع إلى التثنية حيث لم يرد في المتواتر من ذلك على خلاف الظاهر إلا الكلمات القليلة، وهذا المطلب سيتناول هذه الصور من خلال الأمثلة الآتية:

فقد أوقفني الاستقراء على نموذج واحد من القراءات المتواترة المتبادلة بين الإفراد على وفق الظاهر، والتثنية على خلافه وذلك في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۝ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [سورة الكهف/٣٥-٣٦]، حيث قرأ المدنيّان وابن كثير وابن عامر ﴿خَيْرًا مِنْهُمَا﴾ بميم بعد الهاء على التثنية كما هي في مصاحف أهل مكة والمدينة والشام، وقرأ الباقون ﴿خَيْرًا مِنْهَا﴾ بحذف الميم على الإفراد كما في مصاحف أهل البصرة والكوفة.(١)

وقراءة الإفراد توافق نسق الإفراد في أقرب مذكورٍ، وهو قوله ﷻ: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ [سورة الكهف/٣٥]، أما قراءة التثنية فتعدل عن نسق الآية السابقة إلى نسق ما تقدَّمها في قوله: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۝ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ [سورة الكهف/٣٢-٣٣].(٢)

والحق أن الله ﷻ أخبر عن ذلك الكافر بأن الله ﷻ قد آتاه جنتين، ثم عدل عن التثنية إلى الإفراد في قوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾؛ مراعاة لمضمون الكلام؛ إذ لا يمكن دخوله فيهما معاً في وقت واحد.(٣)

وأعاد الضمير إلى أقرب مذكور في قراءة البصريين والكوفيين ﴿خَيْرًا مِنْهَا﴾، وأعاده إلى الأصل وهو الجنتان في القراءة الأخرى ﴿خَيْرًا مِنْهُمَا﴾. والقراءتان حسنتان، وتنوعهما ضرب من ضروب التفنن في حكاية الكلام.(٤)

---

(١) السبعة، ص ٣٩٠، والتيسير، ص ٩٩، والمبهج، ص ٦٠٧، والنشر، ٣٤٩/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٤٤.

(٢) معاني الفرّاء، ١٤٤/٢، وحجة أبي زرعة، ص ٤١٧، والكشف عن وجوه القراءات، ٦١/٢، والموضِّح، ٧٨١/٢-٧٨٢، ومفاتيح الغيب، ١٠٧/٢١، والدر المصون، ٤٩٠/٧، واللباب، ٤٨٨/١٢، والتحرير والتنوير، ٦٧/١٥-٦٨، وأضواء البيان، ٢٧٤/٣.

(٣) أضواء البيان، ٢٧٤/٣.

(٤) التحرير والتنوير، ٦٧/١٥-٦٨.

ولأجل الحسن الكامن فيهما حار المفسرون في بلاغتهما، فذهب أبو علي الفارسي إلى أن الإفراد أولى؛ لأنه أقرب الى الجنة المفردة في قوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾، والتثنية لا تمتنع؛ لتقدم ذكر الجنتين.(١) وذهب القرطبي إلى أن التثنية أولى؛ لأن الضمير أقرب في المعنى إلى الجنتين.(٢)

وقد سبقه مكي فقال: "والاختيار التثنية؛ لأن هلاك الجنتين بظلمه لنفسه أبلغ من هلاك جنة واحدة."(٣) ولعله يقصد بذلك أن وجه البلاغة في العدول إلى التثنية عن الإفراد هو زيادة التبكيت والتحسير.

والأصوب عدم الترجيح بين القراءتين، والجمع بين الرأيين، والاعتراف بمزية القراءتين، ثم التسليم لما فيها من جمالية التفنن في العدول المتكرر عن الظاهر، مع الاعتراف بمزاياهما المعنوية ودلالاتهما البلاغية.

وكذلك أوقفني الاستقراء على نموذج من القراءات التي اتفق قراء المتواتر على قراءتها بالإفراد، وليس بالتثنية التي يقتضيها الظاهر، التي وردت بها بعض القراءات الشاذة وذلك في كلمة (آيَةً) من قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء/٩١]، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [سورة المؤمنون/٥٠]. حيث قرأ عبد الله بن مسعود ﷺ وإبراهيم بن أبي عبلة (آيتين) بالتثنية.(٤)

فقراءة ابن مسعود ﷺ تتوافق مع نسق التثنية في قوله: "وَآوَيْنَاهُمَا"، وتُجري كلمة (آيتين) مع ظاهر المعنى وأصله؛ لأن كلاً من مريم وعيسى عليهما السلام آيةٌ على حِدَة.

أما مريم فآياتها كثيرة، منها: ظهور حملها من غير ذكر، ومنها أنَّ رزقها كان يأتي به الملائكة من الجنة كما دلَّ على ذلك قوله ﷻ على لسان زكريا ﷺ: ﴿أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران/٣٧].(٥)

وأما عيسى ﷺ فآياته أكثر من أن تحصى، ومنها ولادته من غير أب، وكلامه في المهد، وخلقه الطير من الطين ثم نفخ الروح فيها، وشفاء المرضى، وإحياء الموتى، وغير ذلك مما ذكره الله ﷻ في قوله: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ

(١) حجة الفارسي، ١٤٤/٥، وزاد المسير، ١٤٣/٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ٤٠٤/١٠.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات، ٦١/٢.

(٤) زاد المسير، ٤٧٥/٥، ومدارك التنزيل، ١٣٤/٣.

(٥) مفاتيح الغيب، ١٨٩/٢٢، واللباب، ٥٨٩/١٣.

﴿الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [سورة المائدة/١١٠].(١)

أما القراءة المتواترة فإنها تعدل عن الظاهر، ولا تجري معه كما جرت كلمة (آيَتَيْنِ) مع الظاهر في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ [سورة الإسراء/١٢]؛ إما لأن معنى الكلام: جعلناهما عَلَماً وحجة، فكل آية منهما تقوم مقام الأخرى في معنى الدلالة على الله ﷻ، وعلى عظيم قدرته؛ لأن أمرهما في الدلالة على الله واحد.(٢) وإما بتقدير الحذف من الأول لدلالة الثاني عليه، أو بالعكس، فآية مفعول المعطوف عليه، أي: وجعلنا ابن مريم آية وأمه كذلك، وهو نظير الحذف في قوله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [سورة التوبة/٦٢].(٣) أو لأن مجموع الآيتين في قصة مريم وعيسى عليهما السلام تتلخص في آية واحدة؛ إذ إنَّ كلاً منهما آية بالآخر فصارا آية واحدة، لأنّ حالهما بمجموعهما آية واحدة، وهي ولادتها إياه من غير فحل.(٤)

وبذلك يتبيَّن أن وجه العدول عن الظاهر، وإقامة المفرد مقام المثنى في هاتين الآيتين هو صرف الأذهان إلى هذه المعجزة وحدها دون غيرها من المعجزات والآيات المتكاثرة التي يستقل بها كل واحد منهما؛ لأن هذه الآية — الولادة من غير زوج — هي التي تجمعهما، فهي آية مشتركة بينهما، فلما ذكرهما الله ﷻ معاً في هاتين السورتين كان حمل اللفظ على الأمر الذي لا يتمّ إلا بمجموعهما أولى، وهو الولادة على الوجه العجيب الناقض للعادة، لا المعجزات التي كان عيسى ؑ مستقلاً بها.(٥)

ومما خرج أيضاً عن مقتضى الظاهر ما اتفق عليه قراء المتواتر من القراءة في قوله تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [سورة الأنبياء/٧٨]، حيث قرأ قراء المتواتر (لِحُكْمِهِمْ) بإضافة (حكم) إلى ضمير الجمع، وقرأ ابن عباس ؓ (لِحُكْمِهِما) بصيغة التثنية.(٦)

---

(١) الكشاف، ١٩١/٣-١٩٢، وغرائب القرآن، ١٢٢/٥.

(٢) جامع البيان، ٥٢٢/١٨-٥٢٣.

(٣) معاني النحاس، ٤٦٠/٤، وإعراب النحّاس، ٧٨/٣، والكشاف، ١٩٢/٣، والجامع لأحكام القرآن، ٣٣٨/١١، ومدارك التنزيل، ١٣٤/٣، وغرائب القرآن، ١٢٢/٥، واللباب، ٥٨٩/١٣، والبحر المديد، ٣٧٨/٤، والتفسير المنير، ١٢١/١٧.

(٤) إعراب النحّاس، ٧٨/٣، والكشف والبيان، ٣٠٥/٦، ومعالم التنزيل، ٣٥٣/٥، والكشاف، ١٣٤/٣، ومفاتيح الغيب، ١٨٩/٢٢، والجامع لأحكام القرآن، ٣٣٨/١١، ومدارك التنزيل، ١٣٤/٣، ولباب التأويل، ٣٨/٥، واللباب، ٥٨٩/١٣، والسراج المنير، ٥٨٤/٢، والبحر المديد، ٣٧٨/٤، والتفسير المنير، ١٢١/١٧، ١٢٤/١٧، ٥٣/١٨.

(٥) جامع البيان، ١٧١/٦، ومفاتيح الغيب، ٩٠/٢٣، وغرائب القرآن، ١٢٢/٥، واللباب، ٢٢٣/١٤.

(٦) معاني الفرّاء، ٢٠٨/٢، والمحرر الوجيز، ٩٣/٤، وزاد المسير، ٣٧١/٥، ومفاتيح الغيب، ١٦٩/٢٢، والبحر المحيط، ٣٠٧/٦، والدر المصون، ١٨٤/٨-١٨٥، واللباب، ٥٥١/١٣، وإرشاد العقل، ٧٨/٦، وروح المعاني، ٧٤/١٧.

والمراد بضمير الجماعة في القراءة المتواترة التثنية، إذ إنَّ الضمير يعود في المعنى إلى داود وسليمان عليهما السلام، أي: إنَّ القراءة المتواترة تعدل عن التثنية إلى الجمع، وتجري على خلاف الظاهر، إما على طريقة المجاز بإيقاع الجمع موقع التثنية مجازاً؛ لأن التثنية جمع، وهي أقل الجمع.

أو: بإضافة المصدر للجماعة (الحاكمَيْن والمحكوم عليه) وهذا يلزم منه إضافة المصدر لفاعله ومفعوله دفعة واحدة، وفيه الجمع بين الحقيقة والمجاز، فإن الحقيقة إضافة المصدر لفاعله، والمجاز إضافته لمفعوله.(١)

والأَولى إعادة الضمير في (لِحُكْمِهِمْ) على الحاكمَيْن والمحكوم لهما وعليهما، والمعنى: وكنا للحكم الذي صدر في هذه القضية شَاهِدِينَ، وقد عبّر بالمصدر؛ لأنه أراد الدلالة على وجود الحقيقة، والدلالة على أنَّ هذا الحدث وقع وصدر، كقولهم: له ذكاء الحكماء، وفهم الأذكياء، أي: إنَّ المصدر مضاف في المعنى للحاكم والمحكوم له والمحكوم عليه، وبهذا التأويل يندفع المحذوران المذكوران آنفاً.(٢)

والخلاصة: أن قراءة ابن عباس ﷺ تجري وفق الظاهر وتعيد الضمير إلى داوود وسليمان عليهما السلام، والقراءة المتواترة تخرج عنه وتعيد الضمير إليهما وإلى من وقع عليهم الحكم، وإلى ذات الحكم الذي صدر في القضية، وبذلك تكون أعم معنًى وأبلغ تعبيراً من الشاذة. ولعل تعميم دلالة الكلمة لتشمل كلاً من الحكم والحاكمين والمحكوم عليهم ولهم هو الغرض من العدول عن الظاهر في القراءة المتواترة.

ومما خرج عن مقتضى التثنية إلى الجمع في متواتر القراءات كلمة (اخْتَصَمُوا) من قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [سورة الحج/١٩]، وكلمة (اقْتَتَلُوا) من قوله: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [سورة الحجرات/٩]. حيث اتفق قراء المتواتر على قراءة هاتين الكلمتين بالجمع على خلاف الظاهر والنسق المتقدِّم في قوله: (خَصْمَانِ، طَائِفَتَانِ)، مراعاة للمعنى؛ لأن كل خصم وطائفة فريقٌ يجمع تحته عدداً من الأفراد.(٣) وقرأ ابن أبي عبلة (اخْتَصَمَا، اقْتَتَلَتَا) مراعاة للفظ التثنية.(٤)

---

(١) زاد المسير، ٣٧١/٥، ومفاتيح الغيب، ١٦٩/٢٢، والدر المصون، ١٨٤/٨-١٨٥، واللباب، ٥٥١/١٣، وروح المعاني، ٧٤/١٧.

(٢) البحر المحيط، ٣٠٧/٦، والدر المصون، ١٨٥/٨، واللباب، ٥٥١/١٣، وروح المعاني، ٧٤/١٧.

(٣) معاني الفَرَّاء، ٢٢٠/٢، وإعراب النحَّاس، ٩١/٣، والكشَّاف، ٣٦٧/٤، وزاد المسير، ٤١٧/٥، والبحر المحيط، ٣٣٤/٦، ١١١/٨، والدر المصون، ٢٤٧/٨-٢٤٨، ٨/١٠، واللباب، ٤٦/١٤، ٥٣٧/١٧، وتفسير الجلالين، للإمامين جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (٨٦٤هـ)، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، دار الحديث، القاهرة، ط١/د.ت. ص ٦٨٦، وفتح القدير، ٦٣٥/٣، ٨٩/٥، وروح المعاني، ١٣٣/١٧، ١٤٩/٢٦، والتفسير المنير، ٢٣٤/٢٦.

(٤) الكشَّاف، ٣٦٧/٤، والمحرر الوجيز، ١١٤/٤، وزاد المسير، ٤١٧/٥، ٤٦٣/٧، والبحر المحيط، ٣٣٤/٦، ١١١/٨، والدر المصون، ٢٤٧/٨، ٩/١٠، واللباب، ٤٦/١٤، ٥٣٨/١٧، وفتح القدير، ٨٩/٥، وروح المعاني، ١٣٣/١٧، ١٥٠/٢٦.

والقراءة المتواترة تجمع بين حسن مجاراة اللفظ ومجاراة المعنى؛ إذ تراعي بقوله: (هَذَانِ، بينهما) اللفظ، وبقوله: (اختَصَمُوا، اقْتَتَلُوا) المعنى.(١)

ووجه البلاغة في إجراء لفظ (فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) على وفق الظاهر، ولفظ (اقْتَتَلُوا) على خلافه أن الطائفتين أولاً في حال القتال مختلطون فلذلك جمع ضميرهم، وفي حال الصلح متميزون فلذلك ثني الضمير.(٢)

أي: إنَّ العدول عن الظاهر في القراءة المتواترة يراعي معنى الاختلاط والاجتماع حال الاقتتال والاختصام، ولأجل ذلك جمع ضمير الفعل الدال على القتال والخصومة. وبهذا الوجه يتجلى حسن القراءة المتواترة، وتفوقها على بلاغة القراءات الشاذة.

وقد أوقفني الاستقراء على نموذج من القراءات المتواترة التي خرج بعضها عن الظاهر وعُدِل فيها عن الجمع إلى التثنية، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة الحجرات/١٠]، حيث قرأ يعقوب ﴿بَيْنَ إِخْوَتِكُمْ﴾ على الجمع، وقرأ الباقون ﴿بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ على التثنية.(٣)

وقراءة يعقوب توافق الظاهر والسياق اللفظي الجاري على الجمع في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، كما توافق السياق المعنوي للآيات التي جاءت في بيان أحكام القتال بين طوائف المسلمين، حيث قال تعالى قبل هذه الآية: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الحجرات/٩]، فالطائفة جمع وإن كانت واحداً في اللفظ، وقراءة الجمع تراعي كل فرد من الطائفتين.(٤)

أما قراءة التثنية فإنها توافق في التثنية ما جاء قبل هذه الآية من تثنية (طَائِفَتَانِ، بَيْنَهُمَا) وتجري لفظ (أَخَوَيْكُمْ) وفق لفظ ما قبلها دون معناها، وهي بذلك تخرج عن الأصل المعنوي؛(٥) إذ تعبر عن كل جماعة من الجماعات المقتتلة بالمفرد؛ إشارة إلى الحالة التي ينبغي أن يكون عليها المسلمون، وهي الصلح والسلام الدائمين،

---

(١) الكشاف، ١٥٠/٣، والدر المصون، ٢٤٨/٨، ١٠/٨-٩، واللباب، ٤٧/١٤، ٥٣٧/١٧-٥٣٨، وتفسير الجلالين، ص ٦٨٦، وروح المعاني، ١٤٩/٢٦.

(٢) روح المعاني، ١٥٠/٢٦.

(٣) المبسوط، ص ٤١٢، والنشر، ٤١٥/٢، وتحبير التيسير، ص ٥٦٢.

(٤) حجة أبي زرعة، ص ٦٧٥-٦٧٦، والتحرير والتنوير، ٢٠٤/٢٦.

(٥) حجة أبي زرعة، ص ٦٧٦.

فالاقتتال بين المسلمين مرفوض وإن كان بين اثنين فقط من بين جماعات كبيرة. وقراءة التثنية تنبّه على أن منشأ اقتتال الجماعات يكون غالباً بين اثنين: هما زعيما طائفتين، ثم يتعصب لهما كثير من الأفراد.[(١)]

أي: إنَّ قراءة الجمهور تعبر بالمثنى عن الجمع؛ رعايةً لعدد أقل من يقع بينهم القتال والتشاجر.[(٢)] وفي ذلك إشارة إلى وجوب الإصلاح بين جميع المتخاصمين؛ لئلا يظن متوهم أن الإصلاح واجب عند اختلاف قوم، فأما إذا كان بين اثنين فلا يؤمر بالإصلاح؛ لعدم عموم المفسدة، ولينتفي هذا التوهم قال: ﴿بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، أي: أصلحوا بينهما وإن لم تكن الفتنة عامة ولم يكن الأمر عظيماً كالقتال، بل لو كان بين رجلين من المسلمين أدنى اختلاف فاسعوا في الإصلاح. وقراءة التثنية تدلُّ على أن الإصلاح فيما فوق الاثنين أَولى؛ لأن الفتنة والفساد في قتال الجماعة أوسع وأعم انتشاراً.[(٣)]

وهذه المعاني لا تشير إليها قراءة يعقوب؛ لأنها تجري وفق الظاهر، والخروج عن الظاهر هو الذي أوحى بهذه المعاني بعد التفكُّر في سر العدول وأغراضه.

والخلاصة: أن الخروج عن مقتضى الظاهر ينبّه الأذهان على أن هناك غرضاً بلاغياً أو معنوياً يدعو لمخالفة الظاهر، مما يدعو القارئ والسامع للتفكر في الآية وسياقها، والبحث عن أوجه العدول وأسراره البلاغية، التي بها يكمن سر المعنى ومغزاه؛ إذ لولا المعاني الكامنة خلف أستار المخالفة والعدول عن الظاهر لما آثر نظم القرآن ترك النسق اللفظي إلى غيره.

---

(١) القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، د.محمد بن عمر بن سالم بازمول، إشراف: د.عبد الستار فتح الله سعيد، دار الهجرة، الرياض، ط١/١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ٦٩٩/٢.

(٢) المحرر الوجيز، ١٤٩/٥، والجامع لأحكام القرآن، ٣٢٣/١٦، وأنوار التنزيل، ٢١٦/٥، والتسهيل لعلوم التنزيل، ٣٥٨/٢، والبحر المحيط، ١١١/٨، وإرشاد العقل، ١٢٠/٨-١٢١، والإتحاف، ص ٧٠٩، والتفسير المنير، ٢٣٥/٢٦.

(٣) مفاتيح الغيب، ١١١/٢٨، والبحر المحيط، ١١١/٨، وإرشاد العقل، ١٢١/٨، والبحر المديد، ١٦٣/٧، وفتح القدير، ٩٠/٥، وروح المعاني، ١٥١/٢٦-١٥٢.

المطلب الرابع: العدول عن مقتضى الظاهر في صيغ الأفعال.

عدَّ بعض البلاغيين التعبير عن الماضي بالمضارع، والتعبير عن المضارع بالماضي أو بالأمر صورة من صور الالتفات،[1] ويعدُّ ضياء الدين ابن الأثير على رأس أولئك البلاغيين؛ حيث درج في كتابه المثل السائر على تقسيم الالتفات إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: في الرجوع من الغيبة إلى الخطابِ، ومن الخطاب إلى الغيبة.

القسم الثاني: في الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمرِ، وعن الفعل الماضي إلى فعل الأمر.

القسم الثالث: في الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبلِ، وعن المستقبل بالماضي.[2]

وقد حذا حذوه بلاغيون آخرون، وذهبوا إلى توسيع مفهوم الالتفات، وكان منهم: العلَّامة يحيى بن حمزة العلوي الذي يقول: "ولا شك أن الالتفات قد يكون من الماضي إلى المضارع، وقد يكون على عكس ذلك."[3]

والأرجَح أن التحول من صيغة إلى أخرى من صيغ الأفعال صورة مستقلة من صور العدول عن الظاهر وليست صورة من صور الالتفات، وهذا مذهب جمهور البلاغيين كالزمخشري والسكاكي ومن حذا حذوهما من شرَّاح تلخيص المفتاح.[4]

جاء في مختصر المعاني: "ومنه، أي: من خلاف مقتضى الظاهر: التعبير عن المعنى المستقبل بلفظ الماضي؛ تنبيهاً على تحقق وقوعه، نحو قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة الزمر/٦٨]، بمعنى يصعق. ومثله التعبير عن المقصود المستقبل بلفظ اسم الفاعل، كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ [سورة الذاريات/٦]، مكان يقع."[5]

والتعبير المفاجئ بصيغة الماضي بعد التعبير بصيغة المضارع ينبِّه الذهن على أن هناك غرضاً بلاغياً كامناً خلف هذا العدول، والعدول عن نسق المضي إلى الاستقبال ينبِّه على أسرار بلاغية لا يمكن استخلاصها في غير أسلوب الخروج عن الظاهر الذي اهتم علم المعاني بدراسة صوره وأغراضه.

ويشترط لتحقق صورة العدول عن الظاهر أن يكون ذلك بين أفعال متعاطفة أو واردة في سياق واحد، كما

---

(١) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ص ٢٢٨.

(٢) المثل السائر، ٢/٣–١٢.

(٣) الطراز المتضمِّن لأسرار البلاغة، ١٣٢/٢، وأسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د. حسن طبل، ص ٢٣–٢٤.

(٤) أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د. حسن طبل، ص ٢٢–٢٣.

(٥) مختصر المعاني، ص ٨١.

في الأمثلة الآتية في ثنايا هذا المطلب. أما إذا حدث التغيير في صيغة الفعل في أثناء الانتقال من موضوع إلى آخر فإن هذا التغيير لا يعد من العدول في شيء، فالانتقال إلى الزمن الماضي في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سورة إبراهيم/١٩]، بعد التعبير بصيغة المضارع في الآية السابقة ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [سورة إبراهيم/١٨]، ليس نموذجاً من نماذج العدول عن الظاهر؛ لاختلاف الموضوعين، وتخالف السياقين.

وكذلك لا يعد الانتقال إلى المضي في الفعل (تَوَفَّتْهُمُ) من قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [سورة محمد/٢٧]، بعد التعبير بالمضارع في قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [سورة محمد/٢٦]، لا يعد عدولاً عن الظاهر؛ للسبب ذاته.

وقد أوقفني الاستقراء على بعض القراءات المتواترة التي جرت على غير الظاهر، وعدلت عن التعبير بالصيغة الزمنية التي درجت عليها الآية فيما قبل الكلمة المختلَف في قراءتها، وهذا المطلب سيتناول بالدراسة بعضاً من هذه النماذج.

أولاً: عدول بعض القراءات المتواترة إلى التعبير بالماضي، وأثره في بلاغة النظم.

تبيَّن فيما سبق أن التعبير بالماضي يدل غالباً على تحقق الفعل وثبوت حدوثه، وأن نظم القرآن غالباً ما يعبِّر عن أحداث ومشاهد يوم القيامة المستقبلة بصيغة المضي، ويخرجها في صورة الأمر الواقع الماضي؛ ليدل على ثبوت تحققها، وكونها من الأمور الواقعة لا محالة.

لكن لا يمكن تعميم هذا الغرض على جميع الآيات التي تعدل بعض قراءاتها عن زمن الاستقبال إلى المضي؛ إذ إنَّ سياق كل آية هو الذي يحدد الغرض الرئيس من ترك النسق الظاهر في كل مثال قرآني.

فعلى سبيل المثال اختلف قراء المتواتر في قراءة الفعل (جَعَلَ) من قوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [سورة الأنعام/٩٦]، حيث قرأ الكوفيون (وَجَعَلَ اللَّيْلَ) بصيغة الماضي ونصب (الليلَ)، وقرأ الباقون (وَجَاعِلُ اللَّيْلِ) على وزن فاعل، وجر لام (الليل).(١)

وقراءة الجمهور تجري على النسق السابق في هذه الآية وما قبلها، وتتناسب مع التعبير بصيغة اسم الفاعل

(١) السبعة، ص ٢٦٣، والتيسير، ص ٧٨، والنشر، ٢/٢٩٤، وتحبير التيسير، ص ٣٦٠.

في قوله: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ [سورة الأنعام/٩٥].(١)

أما قراءة الكوفيين فإنها تعدل عن التعبير بصيغة اسم الفاعل إلى التعبير بصيغة الماضي؛ حملاً لـ (جَعَلَ) على معنى (فالق) في الموضعين؛ لأن فالق بمعنى فلق، وصيغة اسم الفاعل– وإن كانت تدل على الحال والاستقبال غالباً – إلا أنها هنا تدل على المضي؛ لأنها تتحدث عن أحداث ماضية، وأمور قد كانت، ولذلك آثرت قراءة الكوفيين الحمل على المعنى الكامن في اسم الفاعل المعطوف عليه (فَالِقُ)، وإن كان في ذلك عدولٌ عن سنن الظاهر؛ لأن هذا العدول له أسباب قوية تبرّره وتشهد له.(٢)

ويحتمل أن يكون المراد بهذه المخالفة اللفظية الدلالة على كون الحدث المعبَّر عنه بصيغتي الماضي، واسم الفاعل في كل من (فالق، وجعل) مستمرّ في الأزمنة المختلفة، فاسم الفاعل غير مختص بالحال والاستقبال في هذه الآيات، وصيغة الماضي في قراءة الكوفيين غير مختصَّة بالزمن الغابر؛ بقرينة تعاطفهما.(٣)

وكأن العدول عن الظاهر في هذه القراءة ينبّه على أن فلق الحب والنوى، وفلق الإصباح وجعل الليل سكناً للمخلوقات أمر كائن وسيكون، والأحداث الكامنة في هذه الصيغ هي من النعم الدائمة التي لا تختص بزمن ما.

وهناك وجه آخر يدعو للعدول إلى المضي، وهو أن الأفعال التي عطفت على لفظ (جَعَلَ) جاءت بلفظ الماضي، وهو قوله بعدها: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾ [سورة الأنعام/٩٧]، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [سورة الأنعام/٩٨]، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام/٩٩]، فلأجل أن تكون معطوفة على أمثالها، وأشبه بما تقدمها، جرى لفظ (جَعَلَ) على المضي، وخرج عن نسق ما تقدَّمه.(٤)

كل هذه الأسباب مجتمعة تمثِّل الغرض البلاغي للعدول عن سنن الظاهر في قراءة الكوفيين، وتبيِّن أن الحسن في هذا العدول معنوي من جهة، لفظي من جهة أخرى، وبهاتين الوجهتين يتحقق لنظم القرآن جماله الفني

---

(١) حجة الفارسي، ٣٦١/٣، وحجة أبي زرعة، ص ٢٦٢، والكشف عن وجوه القراءات، ٤٤٢/١، والموضِّح، ٤٨٨/١، وغرائب القرآن، ١٢٦/٣، وفتح القدير، ٢٠٧/٢.

(٢) حجة الفارسي، ٣٦٢/٣–٣٦٣، والكشف عن وجوه القراءات، ٤٤١/١، والموضِّح، ٤٨٨/١، والجامع لأحكام القرآن، ٤٥/٧، وأنوار التنزيل، ٤٣٣/٢، والبحر المحيط، ١٩٠/٤، وروح المعاني، ٢٣٣/٧، وفتح القدير، ٢٠٧/٢.

(٣) الكشاف، ٤٧/٢، وفتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للإمام الطيبي الحسين بن عبد الله (٧٤٣هـ)، دراسة وتحقيق لسورة الأنعام، رسالة معدة لنيل درجة الماجستير، إعداد: أمجد علي شاه، بإشراف: د.حكمت بشير ياسين، الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، كلية القرآن الكريم، قسم التفسير، د.ت.، ٣٠٤/٥، وغرائب القرآن، ١٢٦/٣، وروح المعاني، ٢٣٣/٧.

(٤) حجة أبي زرعة، ص ٢٦٢، والكشف عن وجوه القراءات، ٤٤١/١.

والمعنوي المكْتَسَب من تعدد قراءاته.

وكذلك اختلف قراء المتواتر أيضاً في قراءة الفعل (خَلَقَ) من قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة النور/٤٥]، حيث قرأ جمهور القراء ﴿خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ بصيغة المضي، ونصب (كُلَّ)، وقرأ الأخوان وخلف ﴿خَالِقُ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ بصيغة اسم الفاعل وجر (كُلِّ).[١]

وقراءة الجمهور تخرج عن مقتضى الظاهر وتعبِّر بالماضي بعد أن كان النسق جارياً على التعبير بصيغة المضارع في قوله: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [سورة النور/٤٤]؛ لتأكيد مضمون الكلام، والدلالة على أن الحدث الكامن في الفعل أمر متحقق ومتقرر منذ القدم.

وهذه القراءة تجمع بين الماضي ودلالته على الثبوت، والمضارع ودلالته على الاستمرار في الآية الواحدة؛ لأنها تختار فعل المضي لقراءة ﴿خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾؛ للدلالة على تقرير التقوي بأن هذا شأن متقرر منذ القدم، ولا تفوّت الدلالة على التكرير حيث تعقب الكلام بقوله: ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ الذي يعبِّر عن الخلق بالمضارع.[٢]

وقراءة الأخوين لا يفوتها معنى المضي؛ لأن صيغة اسم الفاعل (خَالِقَ) تحتمل معنى الماضي أيضاً؛[٣] لأنها تتحدث عن أمر كائن منذ القدم، وهذه الصيغة أعم دلالة وأجمع من صيغة الماضي؛ لأنها تشتمل على ما مضى من الزمن وما يحدث مما هو كائن،[٤] غير أنَّ صيغة الماضي أقوى دلالة على أن هذا الشأن (الخلق من الماء) متقرر منذ القدم.

ونلمح في نظم القرآن ناحية جمالية مترتبة على قراءة الماضي، وهي التفنن بالعدول المتكرر عن الصيغة الزمنية، حيث كان النص يعبِّر أولاً بصيغة المضارع ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ ، ثم عدل عنه إلى الماضي ﴿خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾، ثم عاد إلى المضارع مرة أخرى في قوله: ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾. وهذا العدول المتكرر ينبِّه الذهن على مضمون ما سيأتي من الكلام بعد كلِّ فعل من الأفعال؛ لأن تغيير النسق اللفظي يدفع الفتور والملل عن الأذهان، ويجدد نشاطها لتلقي ما سيأتي في كل مرة.

كما أن المقصود من التعبير بصيغة الفعل هو التنبيه على الاعتبار بما بعد الفعل من المخلوقات، وهذا أكثر

---

(١) السبعة، ص ٤٥٧، والتيسير، ص ٩٤، والنشر، ٣٣٥/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٢٤.

(٢) التحرير والتنوير، ٢١٢/١٨.

(٣) جامع البيان، ٢٠٣/١٩، والكشف عن وجوه القراءات، ١٤٠/٢، والموضّح، ٩١٨/٢.

(٤) حجة أبي زرعة، ص ٥٠٣.

ما يتأتى فيه الفعل على صيغة (فَعَلَ)، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [سورة النساء/١]، وقوله: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [سورة الفرقان/٢]، فنبههم بذلك على أن يعتبروا ويتفكروا في قدرته، وكذلك قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ [سورة النور/٤٥] وفق قراءة الجمهور.[(١)]

أي: إنَّ إيثار صيغة الفعل الماضي؛ للتنبيه على مضمون ما يتبعه من الكلام، بخلاف صيغة اسم الفاعل التي توجِّه النظر غالباً إلى صانع الحدث، ولذلك وجَّه بعض المفسرين قراءة اسم الفاعل التي قرأ بها الأخوان وخلف من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سورة إبراهيم/١٩]،[(٢)] بأن المراد بها توجيه النظر إلى الصانع والفاعل على سبيل التعظيم.[(٣)]

وبذلك يتبيَّن أن العدول عن الظاهر يضيف إلى الآية القرآنية معاني لا يكتسبها النص الجاري على مقتضاه، وتعدد القراءات يجمع لنظم القرآن أطراف الحسن والجمال؛ نتيجة تعدد المزايا والوجوه البلاغية المترتبة على كل قراءة من القراءات المتنوعة.

ومما يخرج عن مقتضى الظاهر أيضاً، ويعدل إلى التعبير بالماضي بعد أن كان النص يعبِّر بالمضارع: قراءة الجماعة لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ [سورة يونس/٢٧]، حيث قرأ قراء المتواتر (كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ) بصيغة الماضي، خلافاً لما قرأ به أبي بن كعب ﷺ (كَأَنَّمَا يَغْشَى) بصيغة الفعل المضارع.[(٤)]

وقراءة أبي ﷺ تجري وفق نسق ما تقدَّمها من التعبير بصيغة المضارع الدال على التجدد والاستمرار في قوله: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾، أما القراءة العامة فتخرج الكلام في صيغة الماضي على خلاف مقتضى الظاهر من زمن الحال، لإفادة تحقق الفعل حتى كأنه مضى ووقع؛ دلالةً على ثبوت الظلمة وسوادها، وتلبُّسها بوجوه المجرمين تلبّس الأمر المتمكّن الذي لا زوال له ولا انفكاك فيما أرى.

وصيغة الماضي هي التي ترشد إلى هذه المعاني؛ لأن الماضي يدل على تحقق الأمر وثبوته، ولعل القصد إلى المبالغة في ثبوت الظلمة لأصحابها هو الذي قضى بهذا العدول، وآذن بأهمية مخالفة الظاهر في هذا المقام.

ومما خرج أيضاً عن مقتضى الظاهر، وجرى على صيغة الماضي خلافاً لما تقدَّم: قراءة العامة للفعل (فَظَلَّتْ)

---

(١) حجة أبي زرعة، ص ٥٠٢.

(٢) قراءات هذه الآية كقراءات آية النور. انظر: السبعة، ص ٣٦٢، والتيسير، ص ٩٤، والنشر، ٣٣٥/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٢٤.

(٣) الكشف والبيان، ٣١٢/٥، وأنوار التنزيل، ٣٤٣/٣–٣٤٤.

(٤) معاني الفرّاء، ٤٦٢/١، والكشف والبيان، ١٣٠/٥، والكشاف، ٣٢٧/٢، والبحر المحيط، ١٥٢/٥، وإرشاد العقل، ١٣٩/٤.

من قوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [سورة الشعراء/٤].(١)

وقد جرى النسق القرآني في هذه الآية على صيغة المضارع فافتتح الله ﷻ الآية بقوله: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ﴾، ثم عدل عن المضارع إلى الماضي، فقال: "فَظَلَّتْ"، فأتى بالفعل على صيغة الماضي، وهو يريد المضارع كما يرى جمهور المفسرين، بدلالة العطف على قوله: "نُنَزِّلْ"؛ لأن المعطوف عليه جواب شرط، وللمعطوف حكم جواب الشرط، فاستوى فيه صيغة المضارع وصيغة الماضي؛ لأن أداة الشرط تخلص الماضي للاستقبال، وبذلك يكون (فظلت) معناه: فتظل أعناقهم؛ لأن الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستقبل، فهو كقولك: " إن تأتني أكرمتك." أي: أكرمك.(٢)

وبما أن عطف الماضي على المضارع غير متناسب من جهة المعنى كان من الضروري حمل أحد الزمنين على الآخر، فجمهور المفسرين يحملون الماضي على المضارع، ويختارون تأويل (ظلّت) بـ (تظلُّ)، والآلوسي لا يرى مانعاً يمنع من حمل المضارع على الماضي، وتأويل (ننزل) بـ (أنزلنا)؛ لأن لكل تأويل من التأويلين وجهاً بلاغياً يعضده، والأَولى القول بهما؛ اعتباراً بسعة التعبير القرآني وثرائه.

يقول الآلوسي: " و(ظلت) عطف على (ننزل)، ولابد من تأويل أحد الفعلين بما هو من نوع الآخر؛ لأنه وإن صح عطف الماضي على المضارع إلا أنه هنا غير مناسب؛ فإنه لا يترتب الماضي على المستقبل بالفاء التعقيبية أو السببية، ولا يعقل ذلك، والمعقول عكسه، وبتأويل أحد الفعلين يدفع ذلك، لكن اختار بعضهم تأويل ظلت بتظل، وكأن العدول عنه إليه؛ ليؤذن الماضي بسرعة الانفعال وأن نزول الآية؛ لقوة سلطانه وسرعة ترتب ما ذكر عليه، كأنه كان واقعاً قبله. وبعضهم تأوّل ننزل بأنزلنا، ولعل وضعه موضعه؛ لاستحضار صورة إنزال تلك الآية العظيمة الملجئة إلى الإيمان، وحصول خضوع رقابهم عند ذلك في ذهن السامع؛ ليُتعجب منه، فتأمل."(٣)

وابن عاشور يستخلص من حمل الماضي على معنى المضارع وجهاً بلاغياً آخر سوى ما ذكره جمهور

---

(١) قرئ في بعض القراءات الشاذة: (فتظل أعناقهم) بصيغة المضارع، والقراءة بلا نسبة في: الكشاف، ٣٠٥/٣. وفي حاشية الطيبي (فتظلل) بفك الإدغام، وهي أيضاً بلا نسبة، وكذلك الأمر في قسم التحقيق. انظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للإمام شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، دراسة وتحقيق سورة الأنبياء إلى نهاية سورة الشعراء، رسالة معدة لنيل درجة الماجستير، إعداد: عبد القدوس راجي محمد موسى، بإشراف: د.عبد الله محمد الأمين، الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، كلية القرآن الكريم، قسم التفسير، عام ١٤١٦هـ، ٥٢٨/٧. وهاتان القراءتان تجريان وفق النسق المتقدِّم، وأمرهما ظاهر.

(٢) معاني الزجّاج، ٨٢/٤، وإعراب النحّاس، ١٧٤/٣، وتفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (٣٩٩هـ)، تح: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، ط١٤٢٣/١هـ-٢٠٠٢م، ٢٧٠/٣، والكشاف، ٣٠٥/٣، وزاد المسير، ١١٦/٦، ومدارك التنزيل، ٢٦٠/٣،والتحرير والتنوير، ١١٢/١٩.

(٣) روح المعاني، ٦٠/١٩.

المفسرين من سرعة الانفعال، فيرى أن عطف الماضي على المضارع وإن صح "غير أن هذا الاختلاف بين الفعلين لا يخلو من خصوصية في كلام البليغ وخاصة في الكلام المعجز، وهي هنا أمران: التفنن بين الصيغتين، وتقريب زمن مضي المعقب بالفاء من زمن حصول الجزاء، بحيث يكون حصول خضوعهم للآية بمنزلة حصول تنزيلها، فيتم ذلك سريعاً حتى يخيل لهم من سرعة حصوله أنه أمر مضى، فلذلك قال: "فَظَلَّتْ" ولم يقل: "فتظل". وهذا قريب من استعمال الماضي في قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [سورة النحل/١]، وكلاهما للتهديد، ونظيره لقصد التشويق: قد قامت الصلاة."(١)

وهذه المعاني – التهديد والدلالة على سرعة الامتثال والانفعال – لم يكن النص القرآني ليؤديها لولا العدول عن الظاهر، وما يكمن خلف المخالفة من المقاصد البلاغية.

ومما خرج أيضاً عن مقتضى الظاهر قراءة العامة لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سورة سبأ/٥١]، حيث عبَّرت القراءة المتواترة عن الأخذ بصيغة الماضي بعد التعبير عن عدم الفوت بصيغة المصدر المحتمل لجميع الأزمنة، خلافاً لما ورد في بعض القراءات الشاذة (وَأَخْذٌ) بصيغة المصدر على نسق الظاهر المتقدِّم في (فَلَا فَوْتَ).(٢)

والقراءة الشاذة تعطف الأخذ على الفوت لفظاً ومعنى، أي: فلا فوت هناك، وهناك أخذٌ.(٣)

أما القراءة المتواترة فتعطف (أُخِذُوا) على (فَزِعُوا)، أو على معنى (فَلاَ فَوْتَ)، أي: فلم يفوتوا وأخذوا.(٤)

والتعاطف بين المصدرين في القراءة الشاذة يؤيِّد الوجه الثاني، كما أن المعنى يؤيِّد أن عطف (أُخِذُوا) على معنى (فَلاَ فَوْتَ) أولى من العطف على (فَزِعُوا)؛ لأنه لو عُطِف على (فَزِعُوا) لكان المعنى: ولو ترى وقت فزعهم وأخذهم، وهذا المعنى غير مراد، وإنما المراد – والله أعلم – ولو ترى إذ فزعوا فلم يفوتوا وأُخذِوا، فالعطف على ما فيه الفاء المعَلِّقة الأول بالآخر على وجه التسبيب أولى.(٥)

وأرى أن الغرض من ترك الظاهر وإيثار التعبير بالماضي بدلاً من التعبير بصيغة المصدر هو التهديد والدلالة على سرعة الأخذ؛ لأن صيغة المضي تدل على تحقق الفعل حتى كأنه مضى ووقع، مما يدخل الرهبة في قلوب

---

(١) التحرير والتنوير، ١١٢/١٩.

(٢) نسبت هذه القراءة إلى عبد الرحمن مَوْلى بني هاشم، وطلحة بن مصرّف. انظر: المحتسَب، ١٩٦/٢، والمحرر الوجيز، ٤٢٦/٤، والدر المصون، ٢٠٣/٩، واللباب، ٩٠/١٦.

(٣) الكشاف، ٦٠١/٣، وأنوار التنزيل، ٤٠٧/٤، والدر المصون، ٢٠٣/٩، وإرشاد العقل، ١٤٠/٧.

(٤) الكشاف، ٦٠١/٣، وأنوار التنزيل، ٤٠٧/٤، والدر المصون، ٢٠٣/٩، واللباب، ٨٩/١٦–٩٠، وإرشاد العقل، ١٤٠/٧.

(٥) المحتسَب، ١٩٦/٢.

المعاندين. وهذه المعاني – التهديد والدلالة على سرعة وقوع الفعل– لم يكن النص القرآني ليؤديها لولا العدول عن الظاهر، وما يكمن خلف المخالفة اللفظية من المقاصد البلاغية، وبذلك يتبيَّن قدرة نظم القرآن على إثراء المعاني بمجرد تحويل أسلوب الكلام، وهذا الوجه يعدُّ من مزايا إعجازه اللفظي.

ثانياً: عدول بعض القراءات المتواترة عن المضي إلى الاستقبال، وأثره في بلاغة النظم.

قد يجري التعبير القرآني في بعض آياته على نسق المضي ثم ما يلبث أن يتحوَّل عنه في عامة قراءاته أو بعضها إلى صيغة أخرى تدل على الحال أو الاستقبال، أو إلى صيغة مجردة من الدلالة على الزمن؛ لمقصد بلاغي يكمن خلف العدول اللفظي.

ومن ذلك على سبيل المثال قراءة الجماعة لقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ﴾ [سورة النساء/٢٤]، حيث تعدل القراءة العامة عن التعبير بصيغة الماضي الذي جرى عليها نسق الآية السابقة التي يبيِّن الله ﷻ فيها المحرَّمات من النساء ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾ [سورة النساء/٢٣]، تعدل عن الماضي إلى التعبير بصيغة المصدر في قوله: ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة النساء/٢٤]، ثم ما تلبث أن تعود إلى صيغة الماضي في قوله: ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ [سورة النساء/٢٤]، مما يؤذن بأن دلالة المصدر هي المرادة هنا دون غيرها.

وقرأ أبو حيوة (كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ)، بصيغة الماضي، مراعاةً لما تقدَّم من أسلوب التعبير. أي: أوجب الله عليكم تحريم ذلك.(١)

وإيثار صيغة المصدر في القراءة المتواترة؛ للمبالغة في تأكيد الالتزام والعمل بمضمون ما تقدَّم من الكلام، لأن صيغة المصدر تفيد تأكيد معنى الحدث، وتقدير المعنى في هذه القراءة: كتب اللهُ عليكم تحريم ما تقدَّمَ ذكره من المحرمات كتَاباً مِنَ اللهِ، فالزموه.(٢)

وهذا المعنى هو الذي ألمح إليه أبو السعود بقوله: "﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ﴾ عطف على ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾، وتوسيط قوله تعالى: ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة النساء/٢٤] بينهما؛ للمبالغة في الحمل على المحافظة على

---

(١) المحتَسَب، ١/١٨٥، والكشف والبيان، ٣/٢٨٥، والكشاف، ١/٥٢٩، والمحرر الوجيز، ٢/٣٦، وزاد المسير، ٢/٥١، والجامع لأحكام القرآن، ٥/١٢٤، وأنوار التنزيل، ٢/١٧٠، والبحر المحيط، ٣/٢٢٣، والدر المصون، ٣/٦٤٩، وإرشاد العقل، ٢/١٦٤، وروح المعاني، ٥/٤.

(٢) معاني الزجّاج، ٢/٣٦، والكشاف، ١/٥٢٩، والمحرر الوجيز، ٢/٣٥-٣٦، وزاد المسير، ٢/٥١، ومفاتيح الغيب، ١٠/٣٥، والجامع لأحكام القرآن، ٥/١٢٣، وأنوار التنزيل، ٢/١٧٠، والبحر المحيط، ٣/٢٢٢–٢٢٤، والدر المصون، ٣/٦٤٨-٦٤٩، واللباب، ٦/٣٠٠–٣٠١، والسراج المنير، ١/٣٣٩، وإرشاد العقل، ٢/١٦٤، وروح المعاني، ٥/٤، والتفسير المنير، ٥/٨.

المحرمات المذكورة."[1]

ومما جرى على خلاف الظاهر قراءة الجمهور لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [سورة النمل/٨٧]، حيث قرأ جمهور القراء (آتُوْهُ) بمد الهمزة وضم التاء، بصيغة اسم الفاعل، وقرأ حفص وحمزة وخلف (أَتَوْهُ) بقصر الهمزة وفتح التاء، بصيغة الفعل الماضي.[2]

وقراءة حفص تراعي لفظ (فَفَزِعَ) وتجري على نسقه، فهي قراءة جارية وفق الظاهر اللفظي،[3] ويكمن حسنها في دلالتها على سرعة تحقق الفعل، مما يجعل الكلام أدخل في الرهبة وأعظم في باب الوعيد.[4]

أما قراءة الجمهور فتعدل عن الظاهر اللفظي إلى الأصل المعنوي، وتؤثر التعبير بصيغة اسم الفاعل الدالَّة على الحال والاستقبال غالباً؛ حملاً على المعنى؛ إذ الأصل أن هذا الحدث (الإتيان بصغار وانكسار) من الأحداث المستقبلة.

وفي قراءة الجمهور للآية تفنن في أداء معاني هذه الآية التي بدأت بصيغة المضارع (يُنْفَخُ)، ثم عدلت إلى الماضي (فَفَزِعَ، شَاءَ)، ثم إلى اسم الفاعل (آتُوْهُ).

وبذلك يكون تعدد القراءات، وموافقة الظاهر في بعض القراءات، ومخالفته في بعضها الآخر هو الذي جمع إلى نظم هذه الآية جميع وجوه الحسن، وحقق له جماله اللفظي والمعنوي.

ومما خرج عن مقتضى الظاهر اللفظي أيضاً قراءة العامة لقوله تعالى: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [سورة هود/٧٦]، حيث عدلت القراءة المتواترة عن صيغة المضي التي تقدَّمت في (قَدْ جَاءَ) إلى صيغة اسم الفاعل (وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ) الدالة على الاستقبال، خلافاً لما ورد في بعض القراءات الشاذة (وإِنَّهُمْ أتاهُمْ) بصيغة الفعل الماضي وفق الظاهر المتقدِّم والنسق اللفظي السابق.[5]

والقراءة الشاذة تعبِّر بالماضي عن المضارع؛ دلالة على سرعة تحقق وقوعه، ومعناها كمعنى قوله تعالى: ﴿أَتَى

(١) إرشاد العقل، ١٦٤/٢.

(٢) السبعة، ص ٤٨٧، والتيسير، ص ١١٢، والإقناع، ص ٤٣٨، والنشر، ٣٧٩/٢، وتحبير التيسير، ص ٤٩٥.

(٣) مفاتيح الغيب، ١٨٩/٢٤، والجامع لأحكام القرآن، ٢٤٢/١٣، والإتحاف، ص ٦٠٤، والتحرير والتنوير، ٣١٧/١٩.

(٤) مفاتيح الغيب، ١٨٨/٢٤، وتفسير الجلالين، ص ٥٠٤، والسراج المنير، ١٢٠/٣، والبحر المديد، ٢٣٩/٥، والتحرير والتنوير، ٣١٦/١٩، والتفسير المنير، ٤٠/٢٠.

(٥) نُسِبَت هذه القراءة إلى عمرو بن هرم. انظر: البحر المحيط، ٢٤٦/٥، والدر المصون، ٣٦٠/٦، واللباب، ٥٣١/١٠، وروح المعاني، ١٠٤/١٢.

أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [سورة النحل/١].(١) وهي بذلك تجمع حسن الموافقة اللفظية إلى جمال المعنى.

أما القراءة المتواترة فتراعي المعنى؛ لأن العذاب الذي أعدَّه الله ﷻ لقوم لوط، وأخبر ﷻ به خليله إبراهيم ﵇ آت فيما يستقبل، وإنما آثرت القراءة المتواترة العدول عن الظاهر اللفظي؛ تفنناً في أداء المعنى دون الإخلال بمقاصده البلاغية؛ حيث جمعت بين سرعة الإنجاز والتحقق عندما عبَّرت بصيغة الماضي عن قوله: " إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ"، وعبَّرت عن المعنى الأصلي بصيغة الاستقبال (وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ).

والخلاصة: أن العدول عن نسق الاستقبال إلى المضي غالباً ما يكون لغرض الدلالة على سرعة تحقق وحدوث الأمر، وقد يحمل مع هذه المعاني الدلالة على التهديد عندما يكون السياق القرآني يتحدث عن عذابٍ أو حدثٍ من أحداث القيامة. أما العدول عن نسق المضي إلى الاستقبال فغالباً ما يكون لأجل مراعاة المعنى الأصلي.

والعدول عن نسق الظاهر في أزمنة الأفعال يضفي على نظم الآية أساليب من التنويع والتفنن؛ مما يجدد نشاط السامع، ويدعوه للإصغاء، كما يجمع نظم القرآن إليه مزايا الحسن اللفظية والمعنوية عندما ينوع قراءاته المتواترة. والأمثلة القرآنية الآنفة الذكر، وما انطوت عليه من قراءات متعددة تهدي إلى أن الوجوه البلاغية لا تترتَّب دائماً على العدول عن الظاهر، بل إن مجيء الكلام على ظاهره لا يخلو – غالباً – من مدلول بلاغي، فلكلٍ وظيفته وغرضه البلاغي في سياقه القرآني، وخاصَّة عندما يقع التغاير بين قراءاته المتواترة، والسياق القرآني يهدينا أحياناً إلى أن موافقة الكلام للظاهر أبلغ وأدل على المقصود من مخالفته، فالبلاغة أو الافتنان لا تكمن دائماً في الخروج عن المعهود اللغوي،(٢) وإن كان تغاير القراءات – لا سيما المتواترة – لا يخلو في جميع وجوهه من مزايا الحسن.

---

(١) البحر المحيط، ٢٤٦/٥، وروح المعاني، ١٠٤/١٢.

(٢) التوجيه البلاغي، ص ١٨٨. بتصرُّف.

الخاتمة

الحمد لله الذي يسَّر لي إتمام هذا البحث إنه نعم الموفِّق ونعم المُعين، والصلاة والسلام على النبي محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدَ هذه الرحلة الطويلة والممتعة في رحاب القرآن؛ بحثاً عن الدرر الكامنة في قراءاته، والتقاط جواهرها البلاغية يمكن تلخيص النتائج التي توصَّل إليها هذا البحث بالآتي:

١- عرَّف البحث علم القراءات بأنه العلم الذي يعنى بكيفيات أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله. وأورد أقوال العلماء في بيان معنى الأحرف السبعة، ورجَّح أنها وجوه التغاير الواردة في القرآن الكريم، وهي: اختلاف الأسماء بالإفراد والتذكير والتثنية والجمع، والاختلاف في الإعراب، والاختلاف في التصريف، والاختلاف بالتقديم والتأخير، والاختلاف بالإبدال، والاختلاف بالزيادة والنقص، والاختلاف باللهجات من التفخيم والترقيق والإمالة. وقد نبَّه البحث على أنَّ قراءات الأئمة السبعة ليست هي الأحرف السبعة، بل جزء من الأحرف السبعة التي أنزلت على النبي ﷺ.

٢- اختلف العلماء في تحديد العلاقة بين القرآن والقراءات، فذهب بعضهم إلى القول بتغايرهما، وقال آخرون باتحادهما، وذهب آخرون إلى تداخلهما. وقد رجَّح البحث كون القرآن ومطلق القراءات حقيقتين متغايرتين؛ لأن القراءات الشاذة لا يطلق عليها اسم القرآن، أما القراءات المتواترة فكلها قرآنٌ متعبدٌ بتلاوته.

٣- رجَّح البحث أن تنوع القراءات قد نشأ في العهد المدني زمن نزول القرآن، وليس في العهد المكِّي. وأكَّد على أن القراءات المتواترة ليست موضع اجتهاد؛ فالنبي ﷺ قد قرأ بها كما أقرأه جبريل عليه السلام، ولم يُعمل اجتهاده في شيء منها، ثم نقلها عنه الصحابة رضي الله عنهم، حتى وصلت إلى الأئمة القراء، فوضعوا أصولها، وبيَّنوا قواعدها في ضوء ما وصل إليهم منقولاً عن النبي ﷺ. أي: إنَّ نسبة القراءات إلى القراء لا تعني أنهم هم الذين أنشؤوها أو اجتهدوا في تأليفها، وإنما نسبت إليهم؛ لأنهم هم الذين اعتنوا بها، وضبطوها، ووضعوا لها القواعد والأصول.

٤- نظراً لأهمية علم القراءات وكونه يُعنَى بشكل مباشر بكلام الله سبحانه وتعالى فقد انبرى العلماء منذ العصور الإسلامية الأولى لتنقية هذا العلم وحفظه، فوضعوا شروطاً قوية تؤكِّد أن هذا الكلام قد نُقِلَ برواياته المختلفة ووجوهه عن النبيّ ﷺ عن ربّ العزة سبحانه وتعالى. وهذه الشروط هي: أن يصح سندها، وأن توافق وجهاً من وجوه النحو، وأن توافق رسم المصحف العثماني على الشكل الذي كُتب في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وإذا ثبتت القراءة بالسند المتواتر أصبحت حجة في النحو، ولا تضعَّف أو تردُّ لمخالفتها المشهور من القواعد النحوية؛ لأن القراءات المتواترة قرآن مُوحَى، وهي حَكَم بين المذاهب النحوية المختلفة؛ لأن القواعد النحوية يعتريها

النقص أحياناً؛ بسبب ضياع كثير من كلام العرب، والقراءات القرآنية تستدرك على القواعد النحوية في بعض جوانبها، أو تسدُّ النقص الناتج عن ضعف الاستقراء.

٥- يعدُّ الإمام ابن مجاهد (٣٢٤هـ) من أبرز الأعلام الَّذين تركوا آثاراً جليلة وبصمات مهمة في تاريخ علم القراءات؛ حيث عكف على تمحيص الروايات وتحقيق الأسانيد في وقت كثر فيه اللحن، واختلطت القراءات المروية عن النبي ﷺ بغيرها مما قرأ به أهل البدع والأهواء. وتكمن أهمية عمله فيما قام به من البحث والتحقيق، والاستقراء والتتبع، وضبط ما تواتر من أسانيد القراء، وقد نتج عن بحثه: اختيار سبع قراءات رآها الأصح والأثبت من بين القراءات الكثيرة المتنوعة التي عرفت في عصره وقبله بقليل، وهذه القراءات هي التي اشتهر بخدمتها الأئمة: نافع بن عبد الرحمن المدني، وعبد الله بن كثير الداري، وأبو عمرو بن العلاء البصري، وعبد الله ابن عامر اليحصبي، وعاصم بن أبي النجود الأسدي، وحمزة بن حبيب الزيات الكوفي، وعلي بن حمزة الكسائي. وقد جاء اقتصاره على هؤلاء السبعة مصادفةً ومن غير قصد؛ إذ أخذ على نفسه ألا يروي إلا عمن اشتهر بالضبط، والأمانة، وطول العمر في ملازمة القراءة، واتفاق الآراء على الأخذ عنه والتلقي منه، فلم يتم له ما أراد إلا عن هؤلاء السبعة وحدهم. وفي ذلك ألَّف كتابه المشهور (السبعة في القراءات) الذي ضمنه قراءة الأئمة المذكورين، وما فيها من اختلاف وجوه القراءة بين أشهر راويين عن كل إمامٍ منهم. وقد كان لعمله هذا أثر كبير في التراث الإسلامي؛ حيث عكف كثير من العلماء بعد ابن مجاهد على دراسة وتوجيه القراءات السبع التي أثبت تواترها، ومنهم: الإمام أبو علي الفارسي (٣٧٧هـ) الذي درس معانيها ووجوهها اللغوية والنحوية في كتابه الحجة للقراء السبعة، والإمام الداني (٤٤٤هـ) الذي ألَّف كتابي التيسير وجامع البيان في القراءات السبع، والشاطبي (٥٩٠هـ) الذي نظمها في قصيدة حرز الأماني.

ويعدُّ الإمام ابن الجزري (٨٣٣هـ) من أبرز العلماء الَّذين عنوا بتحقيق علم القراءات؛ حيث عكف على دراسة القراءات السبع، فدرس طرقها وتحقق من توفر شروط قبولها، ثم أضاف إليها ثلاث قراءات أخرى أثبت تواتر أسانيدها بالحجج الواضحة، بعد أن كانت الأمة -سابقاً- تختلف في تواترها، وهي قراءات الأئمة: أبي جعفر يزيد بن القعقاع المدني، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري، وخلف بن هشام البزّار. وصنف في ذلك كتابه الشهير: (النشر في القراءات العشر) الذي ضمَّنه القراءات العشر ورواياتها وطرقها.

٦- اتفق علماء القراءات على التمييز بين قراءة الأئمة العشرة، وقراءة رواتهم الذين أخذوا عنهم، وقراءة من أخذ عن رواتهم، فأطلقوا اسم القراءة على ما نُسِبَ لأحد الأئمة العشرة، شريطة اتفاق الروايات والطرق التي نقلت عنه، واسم الرواية على ما نُسِبَ للراوي عن الإمام شريطة اتفاق الطرق التي نقلت عنه، وأطلقوا مصطلح الطريق على ما يُنسَب إلى من أخذ عن الرواة فنازلاً، ومصطلح الوجه على ما كان راجعاً إلى تخيير القارئ فيه.

٧- عرَّف البحث علم توجيه القراءات بأنه: (علم يُعنى بالكشف عن وجوه إعراب القراءات، وعللها، وحججها، وبيان معانيها، والإيضاح عنها) وبيَّن أنَّ هذا العلم قد نشأ زمن الصحابة ﷺ؛ حيث ورد في بعض الروايات عنهم تعليلات وتوجيهات متفرقة لبعض القراءات؛ بغرض تعليلها أو تفسيرها، كالذي أثر عن ابن عباس رضي الله عنهما في توجيه قراءة (نُنْشِزُهَا) [سورة البقرة/٢٥٩]، وما أُثرَ عن عائشة رضي الله عنها من توجيه قراءة (هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ) [سورة المائدة/ ١١٢]، كما أُثِر بعض التوجيهات عن بعض التابعين، كتوجيه أبي عمرو ابن العلاء لقراءات قوله تعالى: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ [سورة القصص/٢٣].

ويعدُّ الإمام ابن جرير الطبري (٣١٠هـ) من أوائل العلماء والمفسرين الَّذين تتبعوا القراءات القرآنية توجيهاً وبياناً، حيث كان يذكر في تفسيره وجوه القراءات المتعددة، ويبيِّن حجة كل منها من حيث اللغة والنحو ويحتج لها بما يحضره من شواهد الشعر والنثر، كما يحتج للقراءات من جهة موافقتها لبعض اللهجات العربية القديمة، ويستخرج الأحكام الفقهية المترتبة على تنوع القراءات. ثمَّ ظهرت الدراسات المستقلة في توجيه القراءات والاحتجاج لها، فكان كتاب الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه (٣٧٠هـ) والحجة للقراء السبعة للفارسي (٣٧٧هـ)، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ)؛ مما عرج بهذا الفن من مرحلة الملاحظات الأولية المتفرقة إلى مرحلة الاستقلال والنضج.

ويزداد علم توجيه القراءات رسوخاً في العصر الحاضر على أيدي الباحثين المعاصرين الذين يدرسون كل ناحية منه على حدة دراسة مستقلة تتميَّز بالتفصيل والاستقصاء، فبعضهم يحتج للقراءات من جهة موافقتها للقواعد النحوية، أو يحتج بها لإثبات بعض القواعد النحوية المرجوحة، وآخرون يدرسون تنوع الصيغ الصرفية للقراءات المختلفة وأوزانها واشتقاقاتها، والمعاني المترتبة على تغايرها، وبعض الباحثين يدرس القراءات من حيث موافقتها لبعض اللهجات العربية القديمة، وبعضهم يدرس الأحكام الفقهية المترتبة على تنوع القراءات، وآخرون يدرسون الوجوه البلاغية للقراءات المتعددة، كما هو الحال في هذه الأطروحة التي تُعنى بالتوجيه البلاغي للقراءات. وقد عرَّفت الباحثة التوجيه البلاغي بأنه (العلم الذي يعنى بدراسة الأغراض البلاغية التي تشتمل عليها القراءات المتنوعة، ويبرز دورها في إثراء معاني القرآن ومقاصده البلاغية.)

٨- تنقسم القراءات من حيث صلتها بالمعاني إلى قسمين: القراءات التي لا تتعلق بالتفسير ولا ترتبط به، ومنها: اختلاف القراء في وجوه النطق بالحروف والحركات، كمقادير المد، والإمالات. وهذا النوع من القراءات لا يؤثر في معاني الآيات، بل يبقى تفسيرها واحداً على جميع الوجوه المقروء بها. والقراءات التي يؤثِّر اختلافها في معاني الآيات، ومنها: اختلاف القراء في حروف الكلمات، واختلافهم في الحركات التي يختلف معنى الفعل باختلافها، وهذا النوع من القراءات إما أن يؤكِّد المعنى الذي جاءت به القراءات الأخرى، أو يكمِّله، أو

يوسّعه، أو ينتج المزيد من المعاني. وهذه القراءات يجب على المفسر العلم بها، ولا يعذر بجهلها؛ لأنها تندرج تحت المصدر التفسيري الأول الذي يستعين به المفسِّر؛ لأن تفسير الآية استعانةً بقراءاتها المتواترة يُعدُّ تفسيراً للقرآن بالقرآن، ويقوم تعدد القراءات في هذه الحالة مقام تعدد الآيات.

أما القراءات الشاذة فاختلف العلماء في تفسير القرآن بها والعمل بمقتضاها على مذهبين سبق بيانهما في ثنايا البحث، وقد رجَّح البحث أنَّ القراءات الآحاد والمدرجة التي صحَّ سندها من مصادر التفسير أيضاً، والرجوع إليها في التفسير يكون من باب تفسير القرآن بالسنة النبوية إذا كانت مرفوعة إلى النبي ﷺ، أو من باب تفسير القرآن بقول الصحابي إذا كانت موقوفة عليه. وأخذ المفسِّر بها أولى من أخذه عمَّن دون الصحابة؛ لأن تفسير الصحابة مقدَّم على تفسير التابعين وعلى اجتهاد المفسِّر برأيه. أما القراءات الشاذة غير صحيحة الإسناد فيمتنع التفسير بها، والقراءة الموضوعة يحرم العمل بمضمونها، أو تفسير القرآن بمقتضاها.

٩- يعدُّ اختلاف المعاني الناتج عن تعدد القراءات المتواترة اختلاف تنوع وتكامل، وليس اختلاف تناقض وتنافر؛ إذ إنَّ المعاني المتغايرة الناتجة عن القراءات المتعددة لا تؤدي إلى إحالة المعاني الأخرى أو فسادها. وقد بيَّنت الدراسة أن القراءات المتواترة تؤدي في بعض الأحيان إلى توسيع المعاني أو تعددها، إلا أنها لا تؤدي إلى تناقض المعاني الناتجة عنها؛ لأنها جميعاً من لدن حكيم خبير.

أما ما يبدو للمفسر — أحياناً – من التعارض بين القراءات المتواترة فهو تعارض ظاهري لمن تأمل وتدبر؛ لذا يجب على المفسر أن يجمع بين القراءات المتعارضة ظاهراً في معنى يؤلف بينها؛ فإن استحال التوفيق، فجميع القراءات حينئذٍ بمنزلة آيات متعددة، لكل واحدة منها معنى مستقل. ولا ينبغي للمفسِّر الترجيح بين القراءات المتواترة أو رفض بعضها؛ لأن كلاً منها قرآنٌ مقطوعٌ بقرآنيته. ويعدُّ إنكار إحدى القراءات المتواترة إنكاراً للقرآن، أو توهيناً من قدره، وفيه من الإثم ما لا يخفى.

وإذا كان التعارض بين معنى قراءتين: إحداهما شاذة، والأخرى متواترة، فيجب على المفسِّر التوفيق بينهما، إلا إذا كان بين المعنيين تعارضٌ حقيقي، فيجب عليه أن يفسِّر الآية بالقراءة المتواترة دون الشاذة؛ لأن القراءة المتواترة ثابتة ومجمع عليها؛ لأنها قرآن مقطوع به، ولا يقوى الشاذ من القراءات على معارضته.

١٠- البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى حال المخاطَب مع فصاحته. والفصاحة تأتي وصفاً للألفاظ المفردة خلافاً للبلاغة التي لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعاني؛ ولذلك فإن العلاقة بين البلاغة والفصاحة علاقة عموم وخصوص، فالبلاغة أخص من الفصاحة؛ لأن كلَّ كلام بليغٍ فصيحٌ، وليس كلُّ كلام فصيحٍ بليغاً.

والكلام ليس على درجة واحدة من البلاغة، بل كلما كان الكلام الفصيح في مفرداته وجمله أكثر مراعاة لحال المخاطب وتأثيراً في نفسه ازداد حسناً، وكلما كان أوفى بالخصوصيات والاعتبارات المعتدّ بها عند علماء

البيان كان أكثر ارتقاء في منازل البلاغة، وبالعكس كلما بَعُد الكلام عن مطابقة مقتضى حال المخاطب وضعف تأثيره في نفسه، كان أقل رتبة في البلاغة. فالكلام البليغ له طرفان: طرف أعلى رفيع، يمتنع أن يوجد ما هو أشد منه تناسباً مع حال المخاطب، وتأثيراً في نفسه، وهو حد الإعجاز. وطرف أسفل منحط إذا نزل عنه درجة واحدة خرج عن كونه مفيداً للمعنى، والتحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات، وإن كان صحيح الإعراب. وبين هذين الطرفين مراتب كثيرة متفاوتة بحسب تفاوت المقامات ورعاية الاعتبارات، والبعد من أسباب الإخلال بالفصاحة، فأعلاها رتبة كلام النبي محمد ﷺ، الذي أوتي جوامع الكلم، ودونها مراتب كثيرة لا تزال تنزل حتى تقارب الطرف الأسفل من مراتب البلاغة.

١١- وجميع آيات وسور القرآن متساوية في البلاغة، وتتبوأ أعلى مراتبها، ولا يوجد فيه آية هي أبلغ من غيرها، وقد نقل السيوطي إجماع العلماء على أنه يمتنع أن يوجد في تراكيب القرآن ما هو أشد تناسباً واعتدالاً في إفادة ذلك المعنى منها. واختلف العلماء في تفاوت ألفاظ القرآن الكريم في الفصاحة، رغم اتفاقهم على أن القرآن الكريم في أعلى مراتب البلاغة، فذهب بعضهم إلى عدم تفاوت ألفاظ القرآن الكريم في الفصاحة، فكل كلمة فيه هي بالذروة العليا منها، وإن كان بعض الناس أحسن إحساساً له من بعض، كما أن بعضهم يفطن للموزون بخلاف بعض. وذهب آخرون إلى تفاوت فصاحة ألفاظ القرآن الكريم، ففيه الفصيح والأفصح، ولا تتبوأ جميع ألفاظه أرقى درجات الفصاحة. واستدلوا بأنَّ القرآن لو جاء بأفصح الألفاظ لكان على غير النمط المعتاد في كلام العرب من الجمع بين الأفصح والفصيح، فجاء على نمط كلامهم المعتاد؛ ليتم ظهور العجز عن معارضته. وقد ظهر للباحثة أن الخلاف بين الفريقين لفظي؛ لأن الفريق الأول نظر إلى الكلمة بحسب موقعها، فلم ير في كلام العرب ما هو أفصح منها، والفريق الثاني نظر إلى كلمات القرآن بمعزل عن سياقها، فوجد فيها الفصيح والأفصح، وبذلك يكون كلا المذهبين صواباً بالنظر إلى حيثياته.

١٢- قسم البلاغيُّون علم البلاغة إلى ثلاثة أقسام، هي: علم المعاني الذي يعنى بموقع الكلمة المفردة، والصياغة وأحوال التراكيب. وعلم البيان الذي يعنى بدراسة التصوير البياني، وعلم البديع الذي يعنى بألوان التزيين والتحسين التي تضاف إلى الكلام فتكسبه جمالاً زائداً. ويعدُّ علم البلاغة من المصادر الرئيسة التي يستعين بها المفسِّر في الكشف عن مراد الله ﷻ من كلامه، وتكاد لا تجد مفسراً أغفله أو تفسيراً خلا من الاستعانة بقواعده، بل إن بعض المفسِّرين جعل هذا العلم وقواعده المنطلق في تفسير آيات القرآن الكريم من خلال تطبيق القواعد البلاغية في أثناء تفسير كلام العزيز العليم.

وقد حظي علم توجيه القراءات باهتمام كثير من المفسِّرين الذين طبقوا قواعد البلاغة في أثناء توجيههم وتعليلهم للقراءات المتنوعة وبيان وجوهها المختلفة؛ لأن قواعد هذا العلم يمكن أن تنطبق على القراءات التي

يكون تنوعها غير خارج عن دائرة القواعد البلاغية؛ فكثير من القراءات تدور وجوه اختلافها بين التعريف والتنكير، أو التقديم والتأخير، أو الحذف والذكر، أو الخبر والإنشاء، أو اختلاف الإسناد الذي يندرج في باب الخروج عن مقتضى الظاهر، وهذه كلها تشكِّل أهم المباحث البلاغية التي تؤلِّف علم المعاني.

والقواعد البلاغية تسهم في تعليل القراءات المتنوعة والكشف عن وجوهها المتعددة، فإذا لحظ المفسِّر أن الاختلاف بين القراءات يدور بين التعريف والتنكير، أو بين الخبر والإنشاء فإنه يستحضر الأغراض البلاغية التي يدل عليها كل مقام، ويستنتج اعتماداً عليها المعاني التي تدل عليها القراءات المتنوعة. ومما يؤكِّد أهمية المباحث البلاغية في توجيه القراءات أن بعض المفسرين استند إلى المسائل البلاغية لترجيح بعض القراءات التي يراها أبلغ من غيرها، وأكثر دلالة على المعنى، وتناسباً مع السياق.

١٣- بيَّنت الدراسة أحكام الترجيح بين القراءات، ولخَّصَته في الحالات الآتية: إذا كانت المفاضلة بين قراءة متواترة وأخرى شاذة فالقراءة المتواترة ترجح على الشاذة وتُقدَّم عليها؛ لتفاوت القراءتين في القطع والثبوت، ولا حرج على المفسِّر في اختيار المعنى الذي تدل عليه القراءة المتواترة، دون المعنى الذي تدل عليه القراءة الشاذة، وإن كان التوفيق بينهما أولى؛ لأنه يثري المعاني التي تدل عليها الآيات القرآنية.

أما إذا كانت المفاضلة بين القراءات المتواترة فلا يجوز ترجيح بعضها على بعض إلى درجة تضعيف وتوهين القراءات المرجوحة، أو إنكارها والطعن فيها؛ لأن جميع هذه القراءات تعدُّ قرآناً مُنزَلاً من لدن حكيم خبير. وواجب المفسِّر تجاهها: قبولها، والتوفيق بينها، دون ترجيح؛ لكون كل منها قرآناً مقطوعاً بقرآنيته، ولأن إنكار إحدى القراءات المتواترة يعدُّ إنكاراً للقرآن أو توهيناً من قدره، وفي كلا الأمرين من الإثم ما لا يخفى.

والمفاضلة بين القراءات المتواترة دون تضعيف القراءة المرجوحة جائز، بشرط بيان سبب الترجيح، أو بيان رجحان القراءة من جهة معينة، كجهة البلاغة أو التوافق مع معنى الآية وسياقها. وهذا النوع من الترجيح كثر نقله عن كثير من العلماء والمفسرين، لكنْ الأَولى خلافه؛ نظراً لقدسية القراءات المتواترة ومصدرها الربانيّ؛ ولذلك ذهبت الباحثة إلى أن الترجيح بين القراءات المتواترة مسلك غير مستحسن؛ إذ يجدر بالمفسِّر التماس وجوه البلاغة في جميع القراءات المتواترة دون ترجيح؛ لأن جميع القراءات المتواترة كلام الله، الذي قضى بتعددها؛ لِحِكَمٍ أرادها. ولذلك حاولت الباحثة في هذه الأطروحة الاستدراك على ما فعله المفسرون من الترجيح بين القراءات المتواترة، فبحثت عن وجوه البلاغة وعن المعاني الكلية التي تجمع بين القراءات، وتوفق بينها.

١٤- يذخر القرآن الكريم بالدلائل التي تدل على إعجازه؛ إلا أن بلاغته العليا، وجمال سبكه وروعة تأليفه من أدل الشواهد على سماوية هذا الكتاب، ونظمه هو آية إعجازه والوجه الوحيد الذي لا يقبل المعارضة.

وقد عرَّف البحث نظم القرآن بأنه تآلف الحروف والكلمات والجمل القرآنية ودلالاتها المعنوية، وسبكها

في قالب محكم، وصياغتها بطريقة فريدة تدل على المعاني والأغراض المرادة دلالة واضحة. وعرف إعجاز القرآن بأنه ارتقاء نظم القرآن في البلاغة حداً يفوق قدرة البشر جميعاً، بحيث يضعفهم عن معارضته رغم توفر الدواعي. ثمَّ بيَّن أن بلاغة نظمه تكمن في قدرة النص القرآني بألفاظه وتراكيبه وطريقة تأليفه على إيصال المعنى الدقيق للسامع بما يتطابق مع مقتضى حاله. وبناء على ذلك فسَّرت الباحثة عنوان البحث: (أثر تعدد القراءات في بلاغة النظم القرآني) بأنه دراسة السمو البلاغي المتحصل في نظم القرآن من تنوع دلالات القراءات المتعددة، وتعدد التوجيهات البلاغية المتشعبة في مباحث علم البلاغة.

١٥- ذكرت الباحثة أن العلماء قد أجمعوا على أن الإعجاز يتحقق في بلاغة نظم القرآن، لكنهم اختلفوا: فمنهم من عدَّ البلاغة وجه الإعجاز الوحيد، ومنهم من أضاف إليها وجوهاً أخرى، فنسب الإعجاز إلى أخبار القرآن، وتشريعاته، وغير ذلك. وقد بيَّن البحث رجحان مذهب من يرى أنَّ نظم القرآن وما اشتمل عليه من مزايا بيانية هو وجه الإعجاز الوحيد الذي وقع به التحدي، والوجوه الأخرى هي دلائل ربانية القرآن، وليست وجوه إعجازه المُتحدَّى بها.

وكذلك بيَّن البحث أقوال العلماء في بيان القدر المعجز من القرآن، ثمَّ رجح مذهب الأشاعرة وهو تحقق الإعجاز بأقصر سورة من القرآن، وما يقدَّر بقدرها من آيات السور الأخرى، وبناء عليه: رفضت الباحثة نسبة الإعجاز إلى الكلمة والحرف الواحد من القرآن؛ أو نسبة الإعجاز إلى القراءات بمعزل عن آياتها، بل نسبت الإعجاز إلى الآيات التي اشتملت على القراءات المتعددة، ثم بيَّنت أن العلاقة بين البلاغة والإعجاز علاقة عموم وخصوص، فالكلمات بمفردها لا توصف بالبلاغة ولا الإعجاز، وإن جاز وصفها بالفصاحة؛ لأن البلاغة صفة التراكيب والجمل دون الكلمات، وكذلك لا توصف الجمل القرآنية مطلقاً بالإعجاز، بل توصف بالبلاغة فقط؛ لأن الإعجاز لا يتحقق بأقل من سورة أو ما يقوم مقامها من الآيات.

١٦- تبيَّن من خلال الدراسة أن تبادل الأفعال المختلَف في قراءتها بين مختلف الصيغ التصريفية يدل على بلاغة نظم القرآن؛ حيث يؤدي التبادل بين صيغة الفعل المجرد وأحد صيغ الزيادة إلى تعدد معنى الفعل وتردده بين معناه الأصلي والمعنى الذي تدل عليه صيغة الزيادة. وبذلك تفيد الكلمة الواحدة مختلفة التصريف معاني الأفعال مجردة من أي زيادة معنوية، ومعانٍ أخرى متولدة من معنى التكثير وما ينتج عنه من مبالغة وتكرير، أو من معنى التعدية وما ينتج عنه من معانٍ أخرى، وبذلك ينتج عن تنوع القراءات تعدد دلالات الآيات.

وقد أظهرت الدراسة أن أكثر المفسرين يذهبون إلى تفسير قراءات صيغة (فَاعَل) بالمفاعلة في كل موضع لا يحيل نظم الآيات ودلالاتها هذا التفسير، أما المواضع التي يكون فيها الله ﷻ أحد طرفي المفاعلة، فيحاول بعض المفسرين التماس وجوه تفسيرية يمكن تخريج القراءة بها على معنى يتوافق ومعنى المفاعلة، ويتوقف آخرون

فيحملون القراءات على غير معنى المفاعلة، كالتأكيد والمبالغة وغير ذلك.

ودلَّ الاستقراء على أن تبادل القراءات بين صيغتي فعَّلَ وأَفْعَلَ أكثر ما يكون بمعنى واحد، وإن وجِد فرق بين القراءتين فهو في معنى التكرير والتكثير الذي تدل عليه صيغة (فَعَّلَ).

وهدى البحث إلى أن نظم الآيات وسياقها هو الحكم على مدلولات الأفعال التي يتغاير بناؤها التصريفي، فهو الذي يهدي إلى القول بتغاير معناها أو عدم تغايره.

١٧- دلَّت الدراسة على أن الأسماء التي تغايرت قراءاتها بين صيغ المصادر غالباً ما تكون بمعنى واحد إلا إذا كانت كل قراءة هي صيغة لمصدر يشتق منه فعل هو غير الفعل المشتق من صيغة المصدر الذي أتت به القراءة الأخرى، ومثل هذا التنوع يثري نظم القرآن بالمعاني الكثيرة المتولدة من الألفاظ القليلة.

أما تبادل القراءات بين المصدر وبعض أبنية المشتقات فيؤدي إلى تعدد الدلالات المعنوية والبلاغية للكلمات المختلف في قراءتها؛ لأن المشتقات تفيد معاني زائدة على المعنى المجرَّد الذي يدل عليه المصدر؛ فاسم الفاعل يشارك المصدر في الدلالة على الحدث، ويفارقه في كونه دالاًّ على من قام بالفعل، والصفة المشبهة باسم الفاعل تدل على معنى قائم بالموصوف على وجه الثبوت لا الحدوث. والقيمة البلاغية لاسمي الزمان والمكان تكمن في الإيجاز؛ حيث إنَّهما يدلَّان بكلمة واحدة على المعنى المجرد وزمان أو مكان وقوعه، والوصول إلى هذه الدلالة بتعبيرات أخرى خالية من اسمي الزمان أو المكان ممكن، لكنها تعبيرات لن تبلغ في الإيجاز مبلغهما، فمزية كل منهما أنه يؤدي بكلمة واحدة ما لا يؤديه غيره إلا بكلمات متعددة.

وتعدد الدلالات البلاغية والمعنوية هو ثمرة تبادل القراءات بين أبنية المصادر والمشتقات؛ حيث لا يمكن إغفال القيمة البلاغية للوصف بالمصدر الذي يدل على المبالغة حين يجعل الموصوف هو ذات الحدث، كما لا يمكن إغفال قيمة المعنى الذي تدل عليه المشتقات؛ فهاتان القيمتان البلاغيتان تسهمان في إثراء نظم القرآن الذي يتسم بالإيجاز، ويعبر بكلمة واحدة عن مدلولات كثيرة.

وقريب من ذلك ما ينتج عن تبادل القراءات بين أبنية المشتقات، فالتبادل بين صيغتي اسم الفاعل واسم المفعول في كثير من القراءات المتواترة يؤدي إلى تردد معنى الكلمة المختلَف في قراءتها بين دلالتي اسم الفاعل والمفعول، ويُنتِج آثاراً في معنى ونظم الآية عموماً. والتبادل بين صيغة اسم الفاعل وصيغ مبالغته يسفر عن تأكيد المعنى والمبالغة في تصويره على قراءة من قرأ بصيغ المبالغة. والقراءات الواردة على صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل تفيد المبالغة غالباً، لأنها تفيد ثبوت الوصف لصاحبها ثبوتاً عاماً وفي جميع الأوقات، وهذا بالنظر إلى الكلمة بمفردها وبمعزل عن سياقها، وعندما يُنظَر إلى جميع القراءات ضمن سياقها لا يخفى الوجه الذي يقوِّي جميع القراءات، ويشهد لبلاغتها، وقوة ارتباطها بنظم القرآن.

أي: إنَّ تبادل الأسماء في القراءات بين أبنية المشتقات يؤدي إلى تعدد الدلالات البلاغية والمعنوية للآية المختلف في قراءتها، لكون القراءتين تفيدان معاني جديدة تضاف إلى المعنى الأصلي للمصدر. وهذا يسهم في إثراء نظم القرآن والدلالة على إيجازه؛ حيث تعبِّر القراءات بالألفاظ القليلة عن المعاني الكثيرة.

١٨- ورد تبادل القراءات بين الاسم والفعل في مواضع متعددة في القرآن الكريم، فأدى ذلك إلى التبادل بين مدلول الاسم من حيث هو لفظ دال على حدث غير مقترن بزمن، وبين مدلول الفعل من حيث هو لفظ دال على حدَث مقترن بزمن، كما أضاف هذا التبادل دلالات بلاغية إلى الآيات فضلاً عن الدلالات المعنوية؛ حيث أفاد التعبير بالفعلية الحدوث، وأفاد التعبير بالاسمية ثبوت الوصف للموصوف، وأفاد الوصف بالمصدر المبالغة؛ لأنه الوصف بالمصدر يجعل الموصوف هو ذات الحدث؛ لشدة ملازمته له.

وظهرت البلاغة في قراءات الاسمية والفعلية في بعض الآيات من جهة المشابهة؛ حيث شابهت القراءة بالاسمية الآيات السابقة، وشابهت القراءة بالفعلية الآيات اللاحقة، أو العكس، ودلَّ تحقيق المشابهة بين القراءات وما يسبقها أو يتلوها على بلاغة نظم القرآن الذي راعى بكلمة واحدة التناسب بين السابق واللاحق، من خلال تنويع القراءة.

١٩- تبادلت بعض القراءات المتواترة بين جذرين لغويين مختلفين، مما أدى إلى اختلاف معاني القراءات، واتساع مدلول الآيات المشتملة على القراءات المتعددة. والتعدد الدلالي في معنى الآية دون اضطراب أو تناقض هو أحد الآثار الناتجة عن تبادل القراءات بين الجذور اللغوية المختلفة، وقد تجلَّى الأثر البلاغي في الإيجاز: وهو التعبير باللفظ القليل عن المعنى الكثير.

وهذه الإمكانات التي يضفيها تنوع القراءات على المعنى الدلالي تفرَّد بها النص القرآني دون غيره من النصوص، وهو أمر ذو صلة وثيقة بعلمي الدلالة والتفسير، كما له صلة بالبلاغة بمفهومها الشامل؛ لأن هذا النوع من التغاير يبحث في العلاقة بين تغاير الصيغ الصرفية والمعنى والتأويل، ويربط ذلك بسياقات النص وملابساته، وهذا ما يعرف في علم البلاغة بتناسب المقال مع المقام، وهو جوهر البلاغة وأساسها.

وهذا الجانب لم يعره البحث البلاغي الخالص كبير اهتمام عند بحثه في بلاغة المفرَد، كما لم يهتم بالفنون البلاغية المترتبة على تغاير القراءات إلا إشارات سريعة ضمَّنها بعض البلاغيين ثنايا سطورهم. أما المفسرون وموجهو القراءات فقد كانت عنايتهم بهذا الجانب أكبر من عناية البلاغيين، ولذلك أضفت دراساتهم البلاغية للقراءات المتنوعة نوعاً من الجدَّة والابتكار على البلاغة التقليدية، والبحث البلاغي برمَّته.

٢٠- بيَّنت الدراسة أن ما يترتب على تغاير العلامة الإعرابية من المعاني الوظيفية الأولى ومن معانٍ بلاغية إنما هو أمر راجعٌ إلى السياق، وقرائن الأحوال الأخرى. والتغاير الإعرابي في القراءات المتنوعة، وتعدد الوجوه

الإعرابية التي يمكن بها تأويل القراءة الواحدة يؤدي إلى تكثير المعاني في الآية الواحدة، مما يسهم في إثراء النص القرآني، ولا يخفى ما في ذلك من الإيجاز والدلالة على إعجاز نظم القرآن؛ حيث يعبِّر نظم القرآن بالكلمة الواحدة عن المعاني الكثيرة من خلال القراءات المتنوعة. والإيجاز الذي هو محور البلاغة وعمودها هو الأثر الأبرز من الآثار البلاغية الناتجة عن تعدد إعراب القراءات، وينتج إلى جانبه آثار أخرى تتضح من سياق كل آية.

وقد بيَّنت الدراسة أن القاعدة التي تحكم تغاير إعراب القراءات هي أن الاسم إذا خولف إعرابه في معرض المدح والذم كانت المخالفة فيه بقصد إبراز المدح أو الذم للصفة التي اختلف إعرابها عن سياقها. فإذا خولف بإعراب الأوصاف كان المقصود أكمل؛ لأن الكلام عند الاختلاف يصير كأنه أنواع من الكلام، وضروب من البيان، وعند الاتحاد في الإعراب يكون وجهاً واحداً وجملة واحدة. أي: إنَّ المخالفة الإعرابية غالباً ما تكون للتفنن الموجب لإيقاظ السامع وتحريكه إلى الجد في الإصغاء؛ فإن تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني، وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم، ويستجلب مزيد رغبة فيه من المخاطب. وهذا لا يغض من قيمة القراءة الجارية على المتابعة الإعرابية؛ لأن تبعية الكلام لما قبله في الإعراب تفيد التأكيد على ما ذكر من الكلام، وتنبِّه على شدة الاتصال بينهما، أما قطع الكلام عما قبله فيفيد المبالغة، ويحرك الأذهان إلى الإصغاء.

٢١- إنَّ كلَّ ما ذُكِر آنفاً من بلاغة الكلمة في جملتها، وبلاغة النظم النحوي للجملة ليس إلا شطراً من الإعجاز وبعضاً من سماته، أما الشطر الآخر فيكمن في طريقة التركيب التي لا يُرى أبدع ولا أليق بنظم القرآن منها. وقد أوضح البحث ذلك من خلال دراسة الأساليب المتنوعة التي جرت عليها القراءات المتواترة. فعلى سبيل المثال أسهم تبادل القراءات بين أسلوبي الاستفهام والخبر في تعدد معاني الآية المختلَف في قراءتها، ودلَّ ذلك على إعجاز نظم القرآن من خلال إيجازه؛ حيث أدت القراءات المتنوعة الكثير من المعاني بالألفاظ القليلة، وبيَّنت قدرة النظم على أداء المعنى بأساليب متعددة تبدو متعارضة في الظاهر لكنها في الحقيقة آيةٌ في التوافق عند مراعاة الحيثيات المختلفة التي تكتنف السياق، ومقام الأسلوبين، هذا فضلاً عن المعاني البلاغية الأخرى التي يمليها سياق كل قراءة من القراءات، كالتوبيخ، أو الإنكار، أو التعجب، وغيرها.

وكذلك دل تبادل القراءات بين أسلوبي الخبر والإنشاء على بلاغة الإيجاز في نظم القرآن؛ حيث حمل هذان الأسلوبان للآية معاني متعددة، فقامت كل قراءة مقام آية مستقلة، كمَّلت معنى القراءة الأخرى، وأجابت عن التساؤلات التي تعرض للمتدبر في المعاني، وأظهرت ما بين سطور المعاني الظاهرية من دلالات ثانوية، أو دلَّت على تعدد الأحوال والمقامات التي تكتنف جميع القراءات.

وقد دلَّت الدراسة على أن الإيجاز والتفنن في التعبير عن المعنى الواحد بطرائق متعددة هما أبرز الآثار

البلاغية الناتجة عن تبادل القراءات بين الوصل والفصل. وبيَّنت الدراسة أن المشاركة الإعرابية وقراءات فتح الهمزة تقوي الاتصال المعنوي بين الجمل، والمخالفة الإعرابية وقراءات كسر الهمزة تضعف هذا الاتصال، وتنبِّه الأذهان على معانٍ جديدة يمكن تفسير المخالفة بها، وهذا التنوع يعدُّ من بلاغة الإيجاز في نظم القرآن.

كما بيَّنت الدراسة أن تبادل القراءات بين حالتي بناء الفعل للفاعل وبنائه للمفعول يجعل الآية المشتملة على تلك القراءات بمنزلة آيات متعددة، مما يدلُّ على دور القراءات المتنوعة في تحقيق سمة الإيجاز لنظم الآيات، ويبرز قدرة النص القرآني على التفنن في التعبير عن المعنى الواحد بأكثر من طريقة كل منها تلفت نظر القارئ والسامع إلى معنى ووجه غير الذي تفيده الأخرى.

ودلَّ التبادل في القراءات بين الفعل اللازم والمتعدي على تكامل معاني القراءات وعدم تناقضها، رغم جريان التبادل بين حالتين: حالة لا تحتاج فيها الجملة المختلَف في قراءتها إلى مفعول، وأخرى تحتاج فيها إلى مفعول، لكنه محذوف؛ لدلالة الكلام عليه، أو لتذهب النفس في تقديره كل مذهب، أو لتركيز الاهتمام على الحدث دون من وقع به.

٢٢- بيَّنت الدراسة أن التبادل بين التنكير والتعريف بـ(ال) لم يجرِ فيما بين القراءات المتواترة إطلاقاً، وإنما جرى بين القراءات المتواترة من جهة والشاذة من جهة أخرى، وقد بيَّنت الدراسة أن القراءة الشاذة قد تكون بلاغياً في قوة المتواترة عندما لا تضيف إلى المعنى شيئاً جديداً سوى الإشارة إلى الجنس، أو إلى معهودٍ في الذهن، لكن غالباً ما كانت القراءة المتواترة أبلغ من الشاذة؛ لأن التعريف فيها أو التنكير كان أليق بغرض الآيات وسياقها.

أما التبادل بين التنكير والتعريف بالإضافة فقد جرى فيما بين القراءات المتواترة، كما جرى بين القراءات المتواترة والشاذة، وقد بيَّنت الدراسة أنه إذا تبادلت القراءات المتواترة بين حالتي التعريف بالإضافة والتنكير فغالباً ما تؤول القراءات المتنوعة إلى معنى واحد، وإن دلَّ التنكير والتعريف على وجوه بلاغية تتناسب وسياق كل آية، غير أن هذه الوجوه المتنوعة تدل غالباً على أن هذا التنوع من باب التفنن في التعبير عن المعنى الواحد بعدِّة أساليب. وقد ثبتت هذه النتيجة بالاستقراء لجميع القراءات المتواترة الجارية على هذا النمط من التبادل.

٢٣- بيَّنت الدراسة أن الغرض البلاغي من تنويع القراءات بين حالتي التقديم والتأخير هو الإشعار بأهمية المقدَّم؛ حيث قدَّم القرآن المؤخَّر في بعض القراءات وأخَّره في قراءات أخرى؛ ليبرز عنايته بمضمون القراءتين، ويشير إلى أن لكل قراءة وجهاً بلاغياً يكاد يكون هو الأنسب والأليق بالسياق، وهذا التنويع من بلاغة نظم القرآن.

وقد تبيَّن أن القراءة المتواترة حين تخالف الشاذة في التقديم والتأخير فإن هذه المخالفة تحتمل أموراً، منها: أن ما قدمته الآية المتواترة هو موضع العناية والاهتمام كما يشير إلى ذلك السياق، أو أنّ تقديمه هو الأصل وبه يكون المعنى أوضح، وقد يكون التقديم والتأخير؛ لمراعاة توافق الفواصل.

٢٤- الالتفات أسلوب بلاغيٌ يهز نشاط السامع ويدعوه للإصغاء؛ لأنَّ التفنن وتلوين الأساليب يطرد الضجر والملل الذي جبلت عليه النفوس، كما يحقق لنظم القرآن غاية الإيجاز والاقتصاد في التعبير؛ لأن المتكلِّم يعبِّر عما في نفسه بمجرد تحويل أسلوب الكلام، وسياق الآيات هو الذي يحدِّد المعنى الذي يلقيه الالتفات على الآية بحسب اختلاف المقام بين الوعد والوعيد.

وقد دلَّ البحث على أن الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في مقام الوعد يحمل معاني اللطف والرحمة والتشريف والإيناس والامتنان وكل معاني التكريم التي يحتملها سياق الآيات، أما الالتفات في مقام الوعيد فغالباً ما يكون للمبالغة في الإنكار والتهديد والترهيب والتوبيخ بحسب ما يسمح به السياق من المعاني والوجوه. وعندما يكون مضمون الكلام الحث على أمر من الأمور فإنَّ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب يكون أدعى إلى المسارعة في امتثال الأمر؛ لأن الخطاب يحبِّب الأمر إلى نفس المخاطَب، ويُرغِّبه في قبوله.

وكذلك بيَّنت الدراسة أنَّ التحقير والازدراء هما أبرز المعاني التي يمكن ملاحظتها في قراءات الالتفات إلى الغيبة من الخطاب، لأن الرجوع إلى الغيبة بعد الخطاب يؤذن بأن الإعراض عن المخاطَبين هو الأنسب لمقام الكلام؛ إذ غالباً ما يكون المقام مقتضياً لطرح المخاطبين، وترك الالتفات إليهم.

وقراءات الالتفات إلى التكلُّم تضيف إلى الفعل الملتفَت إليه معنى التعظيم والتفخيم؛ إذ إنَّها تنسب هذه الأفعال في مقام الوعد والإقبال إلى الله ﷻ صراحة، وبذلك تجعل الكلام أبلغ في الامتنان، وأعظم في بيان قدر النعمة المُخبَر عنها بطريق التكلُّم. وقد تبيَّن أن الالتفات إلى التكلُّم في مقام الوعد كان أكثر منه في مقام الوعيد، ولعل ذلك يرجع إلى أن مقام التكلُّم مقام إقبال؛ فناسبه الترغيب والوعد أكثر من الترهيب والوعيد.

وبيَّن البحث أنَّ الالتفات من التكلم إلى الغيبة صورة نادرة التحقق في القراءات المتواترة، وإن وجدت فعناية المفسرين بتوجيهها ضعيفة، ويمكن التماس وجوهها مما ذكره البلاغيون من أغراض الالتفات ووجوهه البلاغية، ومما أشار إليه المفسرون في مواضع أخرى، على أن يكون ذلك مما يتوافق مع سياق ومقام الآية. وبشكل عام أكثر ما وقع في القراءات من صور تجري على الالتفات من التكلم إلى الغيبة هو على مذهب السكاكي؛ فكثيراً ما يعبر الله ﷻ عن نفسه ابتداءً بصيغة الغائب، وهو كثير في القرآن الكريم، لكنه ليس موضع البحث في هذه الأطروحة؛ لأنه لا يجري على طريقة التحويل من أسلوب إلى آخر من أساليب الكلام.

وقد بيَّنت الدراسة أن وجه البلاغة في قراءات الالتفات يتجلى فيما يحمله الالتفات من معانٍ بلاغية تدعو للخروج عن مقتضى الظاهر، وتثري النص القرآني بالوجوه البلاغية والمزايا المعنوية، ووجه البلاغة في القراءات الأخرى يتجلى في تجاوبها وتناسبها مع النظام والنسق العام. أي: إنَّ قراءات الالتفات أليق بسياق الآيات المعنوي، والقراءات الأخرى أنسب لسياقها اللفظي، وقد جمع نظم القرآن بينهما، فجمع بذلك إليه

الفضيلتين، وأثبت إعجاز القرآن الذي حقَّق للنظم جماله اللفظي وبلاغته المعنوية بمجرد تحويل أسلوب الكلام.

٢٥- إنَّ الآيات التي تتبادل قراءاتها المتواترة بين موافقة الظاهر ومخالفته تجمع إلى نظمها جمال الأسلوب وجمال المعنى؛ لأن العدول عن الظاهر ينبّه الأذهان على أن هناك معاني ووجوهاً بلاغية تكمن خلف أستار العدول والمخالفة، مما يدعو القارئ والسامع للتفكر في الآية وسياقها، والبحث عن أوجه العدول وأسراره البلاغية التي يكمن بها سر المعنى ومغزاه؛ إذ لولا المعاني الكامنة خلف أستار المخالفة والعدول عن الظاهر لما آثر القرآن ترك النسق اللفظي إلى غيره. فعلى سبيل المثال غالباً ما يكون العدول عن نسق الاستقبال إلى المضي؛ لغرض الدلالة على سرعة تحقق وحدوث الأمر، وقد يحمل مع هذه المعاني الدلالة على التهديد عندما يكون السياق القرآني يتحدث عن عذابٍ أو حدثٍ من أحداث القيامة.

والعدول عن نسق الظاهر في أزمنة الأفعال يضفي على نظم الآية أساليب من التنويع والتفنن، مما يجدد نشاط السامع، ويدعوه للإصغاء، ونظم القرآن يجمع إليه مزايا الحسن اللفظية والمعنوية عندما ينوع قراءاته المتواترة. والأمثلة القرآنية المذكورة في ثنايا البحث، وما انطوت عليه من قراءات متعددة تهدي إلى أن الوجوه البلاغية لا تترتَّب دائماً على العدول عن الظاهر، بل إن مجيء الكلام على ظاهره لا يخلو من مدلول بلاغي، فلكل وظيفته وغرضه البلاغي في سياقه القرآني، وخاصَّة عندما يقع التغاير بين القراءات المتواترة.

التوصيات والمقترحات:

١- في ختام هذا البحث أحثُّ الباحثين على التعمّق في دراسة جميع المسائل المتعلقة بالإعجاز اللغوي لنظم القرآن، وأوصي الباحثين في مجال الدراسات اللغوية والشرعية بالاستفادة من علم القراءات في أبحاثهم، وعدم إهمال القراءات المتواترة أو إغفال حقَّها من الدراسة؛ لأن القراءات المتواترة جزءٌ لا يتجزأ من نسيج القرآن، وإدراجها في البحوث المتعلقة بالقضايا القرآنية واللغوية سيدعم البحوث بالحقائق العلمية، ويساعد الباحث في بلوغ الحق والصواب الذي يبتغيه في دراسته.

٢- إنَّ هذه الدراسة تناولت المباحث البلاغية المتعلقة بالقراءات على سبيل التمثيل لا الحصر؛ لأن الشواهد البلاغية ووجوه القراءات المتنوعة كانت أكبر من طاقة البحث، ومن العسير على أي باحث الإلمام بها؛ لذا أقترح على الباحثين إفراد القراءات المتعلقة ببلاغة التنوع الإعرابي أو التصريفي، واستقراء القراءات المتبادلة بين حالات الذكر والحذف، والوصل والفصل، والالتفات، وغيرها ودراستها دراسة وافية مستقلة.

٣- أقترح على الباحثين تشكيل لجنة تعنى باستقراء القراءات المتواترة والشاذة في معجم مفهرس على حسب ترتيبها في سور القرآن، ثم عزوها إلى أصحابها ومن قرأ بها، وبيان الأوجه البلاغية واللغوية والإعرابية التي تحتملها

كل قراءة بشكل موجز، فإن ذلك ييسر على الباحثين بعدَهم الرجوع إلى القراءات المتنوعة ودراستها بشكل مفصَّل خلال بحوثهم ودراساتهم اللغوية والقرآنية.

٤- يفتقد المسلمون اليوم كثيراً من الكتب المتعلقة بعلم القراءات مما يرجع إلى القرون الإسلامية الأولى كالكتب التي ألَّفها الطبري وابن مجاهد وغيرهما، وقد كان كثيرٌ من هذه الكتب موجوداً حتى عصر ابن الجزري الذي رجع إليها في أثناء تأليفه لكتابه النشر؛ لذا أحثُّ الباحثين والهيئات العلمية على التعاون وتكثيف الجهود في سبيل البحث والتنقيب عن هذه الكتب المفقودة وتحقيقها ونشرها.

٥- لا يزال علم القراءات محتاجاً إلى مزيد من البحث والدراسة، فبعض مصادر هذا العلم مخطوط، وبعضها مطبوع في طبعات رديئة أشبه بالمخطوطات، أو مطوي في رفوف المكتبات الخاصة والعامة، وهي تنتظر من يستخرجها، ويعمل في تحقيقها، ولا شك أنَّ تحقيق هذه الكتب سيسهم في نشر علم القراءات، وييسر الاطلاع عليها من قبل الباحثين.

٦- لا يزال علم القراءات حبيس المساجد، ويكاد يكون مجهولاً من قبل طلاب العلم في الجامعات؛ ولذلك تجد حجم الإقبال على دراسته غير متناسب مع أهميته؛ لذا ألتمس من الجامعات العربية عموماً والجامعات السورية خصوصاً أن تولي هذا العلم المزيد من العناية والاهتمام. وأقترح إدراج مقرَّرات في كليات اللغة العربية والشريعة تعنى بدراسة القراءات والتعريف بها تفصيلاً؛ لأنَّ تدريس مادة القراءات ضمن المقرَّرات الدراسية سيمكِّن الطلبة من تحصيل المعلومات الأساسية التي تؤهِّلهم للبحث والدراسة والتحقيق في مجال هذا العلم.

٧- ألتمس من المهتمِّين بحفظ المعلومات الكترونياً العمل على تسخير الحواسب لخدمة علم القراءات، فقد فاضت المكتبات الالكترونية بكتب التفسير والفقه وأصوله والحديث وشروحه، غير أنها لم تعنَ بكتابة كتب القراءات إلا بالقليل النادر الذي لا يتناسب وأهمية هذا العلم.

وبعد فإن هذا أبرز ما توصَّل إليه البحث من نتائج بعد دراسة الآثار البلاغية للقراءات المتعددة، وبيان منزلتها من بلاغة نظم القرآن، وتلك أبرز التوصيات والمقترحات، وإني لا أبرئ نفسي من الزلل والنسيان، ولا أدعي في هذا البحث الكمال، أو إيفاء المسائل حقها من العرض والمناقشة، فإن الكمال لله وحده، وتمام الإيفاء مطلب عزيز المنال. وحسبي أني قد بذلت غاية الجهد، ومنحت البحث أقصى ما يمكن أن أمنحه من الصبر والوقت، فإن كنت قد وفقت فذاك من كرم الله ومنِّه، وهو ما أبتغيه وأسعى لنواله، وإن كانت الأخرى فذاك نقص الإنسان، وكلٌ يُؤخَذ منه ويُردُّ عليه، وإني أرحب بكل نقد يثري البحث، وتوجيه يرتقي بمسائله.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكتب له القبول، وأن يجعل فيه النفع للعالمين، ويجعلني ممَّن يخدم كتابه العظيم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو حسبي ونعم الوكيل.

فهرس الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس القراءات المتواترة

فهرس القراءات الشاذة

فهرس الأحاديث النبويَّة والآثار

فهرس الأشعار

فهرس المصطلحات العلمية

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

	رقم الصفحة
سورة الفاتحة	
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [٢-٣]	٢٣٨
﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [٤]	٤٨، ٢١٣
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [٥]	٩٧، ٤٧٤، ٤٧٦
سورة البقرة	
﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [٢]	٤٥٤
﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٥]	٤١٨
﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [٧]	٥٤١
﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [٩]	١١٨
﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [١٠]	١٦٥
﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ۞ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [١٤-١٥]	ح٣٧٩
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [١٦]	٥٤٢
﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [١٨]	٤١٨
﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [١٩]	ح١٠٤
﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٢٣]	و، ١٢٣، ح٣٥٠
﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [٢٣-٢٤]	١٢٩
﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [٣١]	١٠٨
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [٣٤]	ح١٠٠
﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [٣٧]	٢٤٣، ٤٨٥
﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ۞ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ [٤٠-٤١]	٤٤٠

﴿وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٤٢]	ح٣٦٣
﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [٤٤]	ح٣٣٣
﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ [٤٩]	١١٠
﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [٥١]	ح١٧٠
﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [٥٨]	٤٢١
﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [٦٥]	ح٣٥٠
﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ [٦٩]	٢٢١
﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [٧١]	ح١٠٠، ح٤٩٣
﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ [٧٦]	٣٣٥
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [٨٣]	١٠٩، ٤٤٦ ٤٤٧، ح٥٠٥
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ﴾ [٨٤]	ح٤٩٢
﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [٩٦]	١٠٦، ٤٥٧، ٤٥٨
﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [١٠٦]	٩٤
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [١١٣]	٣٨١
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ [١١٤]	٣٨١
﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ [١١٦]	٣٨١
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [١١٩]	٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥
﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [١٢٠]	٣٦٤، ٣٦٥
﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [١٢٤]	٣٥١، ٤٨٤، ٤٨٦
﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [١٢٥]	٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢
﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ [١٢٧]	٤٤٣

﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٣٢]	١٧٣
﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [١٤٣]	٢١٨
﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [١٤٤]	١٠٩
﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [١٥٢]	د
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ [١٥٥]	٥٤٢
﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [١٧٩]	ح١٠٣
﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [١٨٢]	٢٠٤
﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [١٨٧]	٢٤٧
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [١٨٨]	ح٤٩١
﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [١٩١]	١١١، ١٦٦
﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [١٩٣]	٢٨٧
﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[١٩٧]	١١٧
﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [١٩٧]	٤٩٩
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [٢٠٤]	١٣٨
﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [٢١٠]	٢٥٨
﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ [٢١٤]	٢٨٦، ح٣٣٣
﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَآ أَنْفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [٢١٥]	ح١٠٠
﴿وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [٢١٧]	ح٢٧٣
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [٢١٩]	٢٣٣
﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [٢٢١]	٢٠٧
﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [٢٢٣]	ح٣٣٣
﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ	٣٦٧، ٤٦٣

الآية	رقم الصفحة
بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ [٢٣٣]	
﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [٢٣٤]	٨٤
﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [٢٣٨]	ح١٠٣
﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [٢٤٠]	٢٤٢
﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [٢٤٥]	١٧٥
﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [٢٥١]	١٩١، ١٩٢
﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٢٥٩]	٥٣، ١٢٠، ١٨٤، ٢٢٨، ٢٢٩، ح٣٣٣، ٣٥٣
﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [٢٧١]	٣١٠
﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ [٢٧٢]	٣٦٦
﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[٢٧٤]	٣٨٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [٢٧٨–٢٧٩]	٤٥٤، ٤٨٢
﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [٢٨٢]	٢٩٥
﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [٢٨٦]	ح٣٦٣

سورة آل عمران	**رقم الصفحة**
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢١]	١٦٦
﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢٦]	٢١٥
﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾[٣٥]	٤٥٦
﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [٣٦]	٤٥٦، ٥٠٦

﴿أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [٣٧]	ح٣٣٣، ٥٤٥
﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[٤٣]	٤٧٨
﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[٥٦-٥٧]	٥١٩
﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [٥٩]	ح٤٩١
﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تبع دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾[٧٣]	١٠٨، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٣٧
﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [٨١]	٥٣١
﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ﴾[١١١]	٣٧٠، ٤٥٤
﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۝ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾[١١٣-١١٥]	٤٩٨
﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوهُ﴾[١١٥]	
﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ﴾ [١١٨]	٢٠٨
﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [١٢٨]	٤٦٠
﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١٣٢-١٣٣]	٣٨٣
﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [١٣٥]	ح٣٣٣
﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾[١٤٢]	١٦٧
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [١٤٤]	ح١٠١، ١٠٧، ٣٣٩، ٣٤٠، ٤٥٩، ٤٦١
﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[١٤٦]	١٦٦، ٤٧٩
﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [١٥١]	ح٣٣١
﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾[١٥٢]	١٥٥
﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا	٥٠١

بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[١٨٠]	
﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ﴾ [١٩٥]	٤٧٨

سورة النساء	**رقم الصفحة**
﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [١]	٥٥٤
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [١]	٢٧١
﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[١]	٢٧٢
﴿وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾ [٥]	٣٦٣
﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [١٣]	٥١٤
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾ [٢٣]	٥٥٧
﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ [٢٤]	٢٠٧، ٥٥٧
﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [٢٥]	٢٠٦
﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [٣١]	٢٣٣
﴿وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [٣١]	٢٠١
﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [٣٤]	٤٤٥
﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [٤٠]	١٧٥
﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [٤٦]	١٩
﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [٦٣]	٨٥، ٩١
﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧٣]	٢٨٦
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [٨٢]	٧٦
﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [٩٤]	١٨٩
﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [٩٤]	١٨٨، ١٨٩

﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [٩٤]	١٨٩
﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ [١٢٧]	٢٧٣
﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا﴾ [١٢٨]	١٧٧
﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [١٦٢]	٥١١
﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [١٧٦]	٢٣٦

سورة المائدة	**رقم الصفحة**

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [٥]	٢٠٦
﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [١٣]	١١٦
﴿يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [٣١]	١٢٤
﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [٤٥]	٤٠٤
﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ۞ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [٤٦-٤٧]	٣٥٤
﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [٤٧]	٢٨٥ح، ٣٥٥
﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [٤٨]	
﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ۞ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [٤٩-٥٠]	٥٠٣
﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ۞ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ [٥٢-٥٣]	٣٨٤-٣٨٥، ٣٨٦
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ [٥٧]	٢٧٥

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [٦٠]	٢٧٦-٢٧٧
﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [٧٥]	٤٥٩
﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ [٨٩]	١١٠
﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ [٨٩]	٤٤٩
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ [٩١]	٢٣٣
﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ [٩٥]	٢٩٦، ٣١١
﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [٩٩]	٣٦٦
﴿لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [١٠١]	٣٦٣ح
﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [١٠٥]	٣٥٠
﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [١١٠]	٥٤٥-٥٤٦
﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء قَالَ اتَّقُواْ اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [١١٢]	٥٣، ٤٤٤
﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [١١٥]	٤٢٩
سورة الأنعام	**رقم الصفحة**
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [١]	٢٢٧
﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [١٥-١٦]	٤٢٣
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۞ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [٢١-٢٢]	٥١٥
﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [٢٣]	٣٧٥
﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [٣٢]	٤٤٧
﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [٦٥]	١٦٣

﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [٥٧]	٢١٥، ٢٣٠
﴿وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ﴾ [٨١]	٤٠٨
﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ [٩٣]	٤٤٣
﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ [٩٥]	٢٢٥، ٥٥٢
﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [٩٦]	٢٢٥، ٥٥١
﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾ [٩٧]	٢٢٦، ٥٥٢
﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [٩٨]	٢٢٦، ٥٥٢
﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [٩٩]	٢٢٦، ٥٥٢
﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [١٠٥]	١٦٩
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [١١٥]	٥٣٧
﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [١١٩]	١٦١، ٤٣٤
﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [١٢١]	٣٩٠
﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [١٢٥]	١٩٨
﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [١٢٥]	ح١٧٢
﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ [١٢٧-١٢٨]	٥١٦
﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [١٣٥]	٥٣٨
﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [سورة الأنعام/١٤٣-١٤٤]	٤٦٤، ح٤٦٤، ٤٦٥
﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [١٥٨]	٢٥٩
﴿الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ [١٥٩]	١٧٦
﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [١٦٤]	٤٣٠

سورة الأعراف	**رقم الصفحة**

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [٣]	٥٠٨
﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [٢٢]	ح١٥٣

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [٢٦]	٢٤٥
﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [٢٧]	ح٤٩٢، ٥٣٥
﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [٢٩]	ح٤٩٢
﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [٣٢]	٢٣١
﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [٤٣]	٣٨٧
﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ [٧٣]	٣١٨
﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [٨٠]	٣٣٩
﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [٨١]	٣٣٨، ٣٣٩
﴿حَتَّى عَفَوْا﴾ [٩٥]	٢٨٧
﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [٩٧]	٣٩٢
﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى﴾ [٩٨]	٣٩٣
﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [٩٨]	٣٩٢
﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ [٩٩]	٣٩٣
﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ﴾ [١٠٠]	٣٩٣
﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [١٠٩]	٢١١
﴿قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۞ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [١٠٩-١١٠]	٤٥٦
﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۞ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۞ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۞ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [١٠٩-١١٢]	٢١٢
﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [١١٢]	٢١٠
﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [١١٣]	٢١٠، ٣٤١
﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [١١٤]	٣٤١
﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [١١٦]	٢١٠، ٢١١
﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [١١٧]	ح١٧٢

﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ [١٢٠]	٢١٠
﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [١٢٧]	١٦٣-١٦٤
﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ [١٤١]	١٦٤
﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ [١٤٢]	ح١٠٣، ح١٧٠
﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [١٤٣]	١٩٧
﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [١٤٤]	٢٠٩
﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [١٤٩]	٣٧٣
﴿ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [١٥٠]	٣٦٣
﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [١٦١]	٤٢١
﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾ [١٦٤]	٢٤٨
﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [١٧٠]	١٧٤
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ [١٧٢]	٤٢٦
﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [١٧٩]	١٦٣
﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [١٨٦]	٥١٧
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [١٨٩]	٢٢٧
﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ [١٩٣]	ح١٧٢
﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ [١٩٣]	ح٩٩
﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [١٩٦]	٤٧٥
﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [١٩٩]	ح٣٥٠
﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [٢٠٤]	١٢

سورة الأنفال	رقم الصفحة
﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [٧]	٤٠٨
﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [١٧]	١٩٢
﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [١٨]	٢٠٣، ح٤٧١
﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [١٩]	ح٤٩١
﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [٣٢]	٣٥٨
﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [٣٩]	٢٨٧
﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [٦٧]	٤٥٨
سورة التوبة	
﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [١٢]	١١٩
﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [٢٤]	٥٣٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ [٣٨]	٣٤٠
﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [٤٠]	٤٥٦
﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [٤٠]	٢٤٩
﴿أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ﴾ [٥٣]	ح٣٥٠
﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [٦٢]	٥٤٦
﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [٦٤]	٢٠٨
﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [٦٦]	ح٣٦٣
﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [١٠٠]	٢٥٩، ٢٧٩
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [١٠٣]	٣١٨
﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ	١٠٧، ٤٠١، ٤٧٨

وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ [١١١]	
﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾ [١١٢]	٤٠١
﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [١٢٧]	١٥٥
﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِله إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [١٢٩]	٤٧٦
سورة يونس	**رقم الصفحة**
﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ [٢]	١٩٤
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [٥]	٥١٢
﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [١٥]	٢٦-٢٧
﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ [٢٢]	ح١٤٢
﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [٢٢]	ح٥٢٧
﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ [٢٧]	٥٥٤
﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ﴾ [٢٨]	ح٥١٦
﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾ [٣٠]	٢٣١
﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ [٣٠]	٢٦٣
﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [٣٣].	٥٣٧
﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٣٨]	و، ١٢٣، ١٣٠
﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ [٤٢]	٤٦٠
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [٤٤-٤٥]	٥١٦
﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [٥٩]	٣٤٠
﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٦٢]	٤٠٨

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [٧٨]	٤٩٥
﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [٧٩]	٢١٠
﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ [٨٨]	١٦١، ٤٣٤
﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [٩٦]	٥٣٧
﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [١٠٨]	١٦٢
سورة هود	**رقم الصفحة**
﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [١٣]	و، ١٢٣، ١٢٨
﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٤]	٣٣٣ح
﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [٣٧]	٣٥٠
﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [٤٠]	٤٦٣
﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [٤٠]	٤٦٠
﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [٤٦]	٢٢٢
﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [٤٦]	٢٢٣
﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [٥٤]	٣٧٩ح
﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ [٦٩]	١٩٠
﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [٧٣]	٢٦٨
﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [٧٦]	٥٥٨
﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَامَا نَشَاءُ﴾ [٨٧]	٣٣٣ح
﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [٩٣]	٥٣٨
﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [١١٢]	٤٢٧
﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾ [١٢١]	٥٣٨
سورة يوسف	
﴿اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ [٩]	٤٥٤

﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ [١٣]	٤٥٦، ٤٦٢
﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾ [١٩]	٤٦٥
﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [٢٤]	٢٠٩
﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [٤٠، ٦٧]	٢١٥
﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [٥٣]	٣٧٩ح
﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [٦٣]	١٩٥
﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [٦٤]	١٩٥
﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ [٦٥]	١٩٥
﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ [٨٤]	٤٦٦
﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٨٦]	٣٤٤
﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [٨٩]	٣٤٣، ٣٤٤
﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [٩٠]	٣٤٣
﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [١١١]	٢٣١

سورة الرعد	رقم الصفحة

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ [٣]	٤٤٧
﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾ [٤]	٢٦١
﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [٧]	٤٦٠
﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۞ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [٢٣-٢٤]	٤٤٣
﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [٤٣]	٧٩

سورة إبراهيم

﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [١]	٤٢٢-٤٢٣
﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۞ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [١-٢]	٣٩٨

﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [٤]	١٦٢
﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [٧]	د
﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [١٨]	٥٥١
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [١٩]	٢٢٦، ٥٥١، ٥٥٤
﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [٢٤]	٤٨٦-٤٨٧
﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [٢٧]	١٦٢
﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [٣٠]	١٦١، ٤٣٤،
﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [٣٤]	٤٧١
﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [٣٥]	٣٧٣
﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [٤٦]	٧٨، ١٢٠، ٣٠٠
﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ [٤٧]	٣٠٣

سورة الحجر	**رقم الصفحة**
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [٩]	٢٦٩
﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ [٢٢]	٥٢٦، ٥٢٨
﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [٢٤-٢٥]	ح٥١٧
﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [٤٠]	٢٠٩
﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ [٦٥]	٤٩٥
سورة النحل	
﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [١]	٥٠٧، ٥٥٦، ٥٥٩
﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [١٨]	٢٧٧
﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [٢٥]	٤٣٥
﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ [٢٨]	١٨٨
﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [٥١]	٤٦٤
﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ۞ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا	٤٢٧

فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [٥٣-٥٤]	
﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [٥٧]	ح١٠٣
﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾ [٨١]	٢٤٦
﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ [٨٧]	١٨٨
﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٩٥]	٥١٣
﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٩٦]	٥١٣
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٩٧]	٥٢٢
﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [١١٢]	٥٤٣

سورة الإسراء

	رقم الصفحة
﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ [١٢]	٥٤٦
﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [١٣]	٥٢٢
﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا﴾ [٤٠]	ح٣٣٣
﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ [٦٧]	٥١٨
﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ۞ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ [٦٨-٦٩]	٥١٧
﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [٨٨]	١٢٣، ح١٢٥
﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [٩٧]	ح٥١٦

سورة الكهف

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ [١٧]	١٨٠
﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [١٨]	٢٢١، ح٢٨٩
﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [١٩]	ح٣٣٣

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [٢٢]	٣٨٦
﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [٢٦]	٣٦٨
﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً﴾ [٣٢]	٢٦٢
﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۞ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ [٣٢-٣٣]	٥٤٤
﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ [٣٥]	٥٤٤
﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۞ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [٣٥-٣٦]	٥٤٤
﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [٤٤]	٢٦٣
﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [٤٧]	٤٣٠، ٤٩٢
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [٥٠]	٥٢٢
﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ۞ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ [٥١-٥٢]	٥٢٠، ٥٣١
﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ [٥٩]	١٩٩
﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [٧٩]	٤٤٨
﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [٩٣]	١٦٢
سورة مريم	**رقم الصفحة**
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [٤]	ح١٠٣
﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۞ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [٥-٦]	٣١٧
﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [٩]	٥٣٢
﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [٢٥]	ح١٧٩
﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [٥١]	٧٢، ٢٠٩

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۞ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [٦٠-٦١]	٥٣٦
﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾ [٧٣]	ح٣٣٣
﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [٩٠]	١٨١، ٣٠١
﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۞ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [٩٠-٩١]	٣٠١
سورة طه	**رقم الصفحة**
﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۞ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [١٢-١٣]	٥٣١
﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۞ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۞ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۞ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۞ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ [٢٥-٢٩]	٣٥٦-٣٥٧
﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا﴾ [٢٩]	٣٥٦
﴿هَارُونَ أَخِي ۞ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۞ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [٣٠-٣٢]	٣٥٥
﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾ [٤٠]	ح١٥٣
﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ [٥٣]	ح٥١٣
﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [٦٩]	٢١١
﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ [٧٧]	٣٦٩
﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ ﴾ [٨٠]	ح١٧٠
﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ [٨١]	٢٨٦
﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ۞ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [٨٠-٨١]	٥٣١
﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ [٩١]	٢٨٧
﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ۞ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [٩٥-٩٦]	٤٤٥
﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [١٠٢]	٤٣١

﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [١١١]	٣٧١
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [١١٢]	٣٢٣، ٣٧١
﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ [١١٨-١١٩]	١١٧
﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ [١٢٠]	١٥٣ح

سورة الأنبياء

	رقم الصفحة
﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [٤]	٣٦٠
﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [٢٣]	٣٩٦
﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [٣٠]	٤٥٦
﴿أَفَئِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [٣٤]	٣٣٩، ٣٤٠
﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [٧٨]	٥٤٦
﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ [٨١]	٢٥٣
﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [٩١]	٥٤٥
﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [١٠٣]	٤٦٨، ٤٦٩
﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ [١٠٦]	٨٥
﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [١١٢]	٣٦٠

سورة الحج

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [٥]	١١٩
﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [٩]	٤٣٤، ١٦١
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ [١١]	١٩
﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [١٩]	٥٤٧
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [٢٥]	٣٧٩ح
﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [٣٨]	١٧٠، ح١٧٠
﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ	١١٥

اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [٤٠]	
﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾ [٥١]	٢٠٥
﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾ [٥٩]	٢٠١
﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [٦٢]	٤٠٨

سورة المؤمنون	رقم الصفحة
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [٨]	٥٣٩
﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾ [٢٠]	٤٣٥
﴿رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [٢٦]	٣٧٣
﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [٢٧]	٤٦٣-٤٦٤
﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [٢٩]	٢٠١
﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [٥٠]	٥٤٥
﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٩١-٩٢]	٢٦٥ح
﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ [١٠٠]	٥٣٨
﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [١٠٦]	١٩٢-١٩٣
﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [١١٠]	٣٤٨
﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [١١١]	٤٠٨
﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [١١٢]	٣٦٠
﴿قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [١١٤]	٣٦٠
﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [١١٦]	٢٦٧، ٢٦٩

سورة النور

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [١]	٢٠٨
﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٣]	٢٠٧
﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [٤]	٢٠٧

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [٢٣]	٢٠٧
﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [٢٥]	٢٦٣
﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ [٣٤]	٢٠٨
﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ [٣٥]	٤٥٦
﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [٤٤]	٥٥٣
﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٤٥]	٢٢٦، ٥٥٣، ٥٥٤
﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٤٦]	٢٠٨

سورة الفرقان

	رقم الصفحة
﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [٢]	٥٥٤
﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ۞ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ [٧-٨]	٣١٦
﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا﴾ [١٠]	٣١٣
﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [١١]	٣١٦
﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ۞ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ [١٦-١٧]	٥١٦، ٥٢١
﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [٤١]	٤٣٧
﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [٤٥]	ح١٥٣
﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۞ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ [٦٨-٦٩]	٣٢١
﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [٦٩]	١٧٥

سورة الشعراء

﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [٤]	٥٥٥
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ۞ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ [١٢-١٣]	٣٥٧

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢٣]	٣٣٣ح
﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [٢٤]	٣٣٣ح
﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [٣٤]	٢١١
﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۞ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [٣٤-٣٥]	٢١١
﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۞ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ [٣٦-٣٧]	٢١٢
﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ [٣٧]	٢١١
﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [٤١]	٣٤٢
﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ [٤٣]	٣٥٠ح
﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [٤٥]	
﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ [٥٦]	٢١٦
﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۞ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۞ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [٦١-٦٣]	٣٧٠
﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ۞ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ [١٣٢-١٣٣]	٣٧٩ح
﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [٢٢٤]	١٧٢ح

سورة النمل	رقم الصفحة

﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [٧]	٤٧٠، ٤٧٢
﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ [٢٠]	٣٣٣ح
﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ [٣٨]	٣٣٣ح
﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ [٤٩]	٢٠٠
﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٥٩]	٥٠٤
﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [٦٢]	٥٠٨
﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ [٦٦]	١٧٧-١٧٨
﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ [٨٠]	٢٢٧

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ [٨١]	٢٢٧
﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [٨٧]	٤٦٨، ح٤٩٢، ٥٥٨
﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [٨٩]	٤٦٨، ٤٧٢

سورة القصص

	رقم الصفحة
﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [١٢]	ح١٥٣، ٤٥٤
﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [١٥]	ح٢٨٩
﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ [٢٣]	٥٣، ٤٣٢، ٥٦٢
﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [٣٤]	٩١، ٣٢٠، ٣٥٧
﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ۞ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [٣٦-٣٧]	٣٨٨
﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ [٧٠]	٤٧٦

سورة العنكبوت

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [١٧-١٩]	٥٠٩
﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [١٨]	٤٦٠
﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ [٢٠]	١٩٣
﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [٢٨]	٣٣٩
﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ [٢٩]	٣٤١
﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا﴾ [٥١]	٤٠٨

سورة الروم	رقم الصفحة
﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ، أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ۞ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٨-١١]	٥٠٢
﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ۞ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ۞ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۞ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [١٢–١٥]	٥٠٢
﴿الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ [٣٢]	١٧٦
﴿وَمِنْ ءايَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّراتٍ﴾ [٤٦]	٥٢٦
سورة لقمان	
﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۞ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [٢-٣]	٢٥٣
﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٥]	٤١٨
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [٦]	١٦١، ٤٣٤
﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [١٤]	د
﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [١٩]	٤٦٩
﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [٢٥]	١٠٠ح
سورة السجدة	
﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [١٢]	٤٤٣-٤٤٤
﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ﴾ [١٣]	١٨٢
﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [١٦]	١٨٢
﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٧]	١٨٢
﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ﴾ [٢٠]	١٨٢

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [٢٤]	٤٧٦-٤٧٧
سورة الأحزاب	**رقم الصفحة**
﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ [٤]	ح١٠١
﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَاْ﴾ [١٠]	٣٧٠
﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ﴾ [٤٨]	٣٧٠
سورة سبأ	
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [٣]	٢١٢، ح٢٦٥
﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾ [٥]	٢٠٥
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [٧]	ح١٥٣
﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [٨]	٥١٨
﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [٩]	٥١٧-٥١٨
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [١٠]	٢٥٢
﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾ [١١]	٤٤٧
﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [١٢]	٢٥٢
﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [١٣]	٤٦٠
﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ [١٤]	ح١٥٣
﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ [١٥]	٥٤٠
﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ۞ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [١٨-١٩]	٣٥٧
﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾ [٣٨]	٢٠٥
﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۞ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [٣٩-٤٠]	٥١٦
﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [٥١]	٥٥٦

‌	رقم الصفحة
سورة فاطر	
﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [٩]	ح٤٩٢، ح٥١٣
﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [٢٨]	٤٦٠
سورة يس	
﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ [١٤]	٩٧
﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ ياقَوْمِ اتَّبِعُواْ الْمُرْسَلِينَ﴾ [٢٠]	٤٥٣
﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ۞ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [٣٤-٣٥]	٤٣٧
﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ [٣٦]	٤٦٥
﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ [٦٦]	١٠٩
﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ [٦٧]	٥٣٨
سورة الصافات	
﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ [٦]	٤٧١
﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [١٢]	١١١
﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [٤٠، ٧٤، ١٢٨، ١٦٠]	ح٧٣، ٢٠٩
﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ [١٠٢]	٨٤
﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ۞ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [١٢٥-١٢٦]	٤٠١، ٤٠٤
﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۞ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۞ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ [١٥١-١٥٣]	٣٤٥
﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [١٥٤]	٣٤٦
﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [١٦٩]	٢٠٩
سورة ص	**رقم الصفحة**
﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [٤]	٢١١
﴿وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ [٢٤]	٤٦٠
﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ	١٦٢

اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [٢٦]	
﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [٤٦]	٢٠٩
﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ۞ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ۞ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۞ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۞ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [٤٩-٥٣]	٥٠٠
﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [٥٣]	٥٠٠
﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ۞ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ [٦٢-٦٣]	٣٤٧، ٣٤٨
﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [٨٣]	٢٠٩

سورة الزمر

﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[٨]	١٦١، ٤٣٤
﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٩]	٤١٩
﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ [٣٨]	ح٤٧١
﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [٣٩]	٥٣٨
﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [٦٦]	٤٧٤
﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [٦٨]	٥٥٠

سورة غافر

﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [٦]	٥٣٧
﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [١٤]	٢٠٩
﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [٢٦]	٣٩٤
﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۞ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [٣٦-٣٧]	٣٠٤
﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [٣٩]	٤٥٤

سورة فصلت	رقم الصفحة
﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [٤٠]	٣٥٠ح
﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [٤٢]	ث

سورة الشورى	
﴿فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [١٥]	٣٧٩ح
﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [٣٠]	٣٨٩
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۞ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ [٣٢-٣٣]	٥٢٨

سورة الزخرف	
﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ [١٦]	٣٤٥
﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ﴾ [سورة الزخرف/١٩]	٢٧٨
﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ۞ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [٢٣-٢٤]	٣٦١، ٥٣٢
﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ [٢٤]	٣٦١
﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ [٣٨]	٤١١
﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [٣٩]	٤١٠
﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [٧٧]	٣٥٠ح
﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۞ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [٨٢-٨٦]	٥٠٣

سورة الدخان	رقم الصفحة
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ [٣]	٢٦٥، ٤٠٨
﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾	٢٦٤

[٦-٧]	
﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [٨]	٢٦٤
﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [٢٥-٢٦]	٤٥٤
﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۞ طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ [٤٣-٤٤]	٤١١
﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [٤٩]	٣٥٠ح، ٤١١، ٤١٢
﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [٥٤]	٤٧٢

سورة الأحقاف

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [٢٠]	٣٤٨-٣٤٩
﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٢٤]	٥٢٦

سورة محمد

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾[٤]	٣٥٠
﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [٤]	١٦٦
﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۞ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [٥-٦]	١٦٨
﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ [٢٥]	١٨٢-١٨٣
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [٢٦]	٥٥١
﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [٢٧]	٥٥١

سورة الفتح

	رقم الصفحة
﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [١٧]	٥١٤
﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [١٨]	٤٥٦

سورة الحجرات	**رقم الصفحة**
﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا﴾ [٩]	٥٤٧، ٥٤٨
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [١٠]	٥٤٨
سورة ق	
﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [٧]	٤٦٥
سورة الذاريات	
﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ [٦]	٥٥٠
﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ [١٢]	ح٣٣٣
﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ [٢٣]	٤٠٨
﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [٤١]	٥٢٦، ح٥٢٧
سورة الطور	
﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [٢٠]	٤٧٢
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [٢١]	١٧٩
﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [٢١]	ح١٠٣
﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [٣٣-٣٤]	١٢٩
﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [٣٤]	١٣٠
﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ [٣٩]	٣٤٥
سورة النجم	
﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأنثى﴾ [٢١]	٣٤٥
﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ [٣٢]	٢٣٣
﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [٤٥]	٤٦٥
سورة الرحمن	
﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [٢٦]	٤٦٣
﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ [٣٣]	٤٧٨
﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ [٣٥]	٢٦٦

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [٦٠]	٤٢٣
سورة الواقعة	**رقم الصفحة**
﴿لاَ يُصَدَّعُون عَنْها وَلاَ يُنْزِفون﴾ [١٩]	ح١٤٤
﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ۞ لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ [٧٨-٧٩]	٢٧٠
﴿فَأَمَّا إِنْ كانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۞ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [٨٨-٨٩]	ح٦٣
سورة الحديد	
﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [٨]	٤٢٦
﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ [١١]	١٧٦
﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [٢٤]	٤٨٩
سورة المجادلة	
﴿وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [٨]	ح١٧٩
سورة الحشر	
﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٨-٩]	٢٦١
﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٢]	٤٠٠
﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾ [٢٣]	٢١٤
﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [٢٤]	٢٢٧، ٤٠٠
سورة الممتحنة	
﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ [١٠]	١٧٤
سورة الصف	
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [١٠]	ح١٥٣
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ [١٤]	ح٤٧١
سورة الجمعة	**رقم الصفحة**
﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾ [١]	٢١٤

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [٥]	٤٦٢
سورة المنافقون	
﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [٤]	١٣٨
﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [١٠]	ح٢٨٥
سورة التغابن	
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [٢]	٤٧٨
﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [٩]	٥١٤
﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [١٨]	٤٥٦
سورة الطلاق	
﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [٢]	٨٤
﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ [٧]	٣٥٠
﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ [١١]	٢٠٨
﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [١١]	٥١٤
سورة التحريم	
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [٨]	١٩٦
سورة الملك	
﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ [سورة الملك/٣]	١٩٣
﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [١٣]	ح٣٥٠
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ [١٩]	ح١٠٠
سورة القلم	
﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ، إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [١٤-١٥]	٣٣٥
﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [٣٩]	٨٤

سورة الحاقة	رقم الصفحة
﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۞ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۞ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ۞ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [٣٨-٤٢]	٥٠٨
سورة المعارج	
﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ [١١]	٤٧٢
﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَى ۞ نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾ [١٥-١٦]	٢٥٤
﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ [١٧]	٢٥٥
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [سورة المعارج/٣٢]	٥٣٩
﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ [٣٣]	٥٣٩
﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [٤٤]	٤٧٢
سورة نوح	
﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [١٧]	٢٠١
﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [٢٢]	٣٠١
﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [٢٨]	ح١٠٣، ح٣٥٠
سورة الجن	
﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ﴾ [١]	٤٠٨
﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [١٧]	٥١٨
﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً﴾ [١٩]	٤٩، ٤٦٣
﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [٢٠]	٣٦١
﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [٢٦]	٣٦٨
سورة المزمل	
﴿قُمْ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [٢]	٢٨١، ٢٨٢
﴿نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً﴾ [٣]	٢٨٠، ٢٨١
﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ [٤]	٢٨١، ٢٨٢
﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۞ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [٨-٩]	ح٢٦٥، ٤٠٣
﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ [٢٠]	٢٨٠

﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ﴾ [٢٠]	٢٨١
﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾ [٢٠]	٤٩٩
سورة المدثر	**رقم الصفحة**
﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ [٦]	٣١٩
سورة القيامة	
﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [١]	ح٦٣
﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ [٧]	١٦٠
﴿يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ [١٠]	ح٣٣٣
﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۞ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۞ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [١٦-١٩]	٣٦
﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [١٧]	٧
﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۞ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [١٧-١٨]	١٢
﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ۞ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ [٣٣-٣٤]	ح١٤٢
سورة المرسلات	
﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ [١٦]	ح٣٣٣
﴿انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۞ انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ [٢٩-٣٠]	ح٦٣، ٣٥٩
﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ [٣٠]	٤٨
سورة النازعات	
﴿أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۞ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ۞ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [١٠-١٢]	١١٦
﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾ [١١]	٢١٧
سورة عبس	
﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ۞ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ [٣-٤]	٣٠٧
﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ [٢٢]	٥٣
سورة التكوير	
﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [٨-٩]	١٦٤
﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۞ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۞ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ [١٠-١٢]	١٦٤
﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [٢٤]	٢٣٤

سورة الانشقاق	رقم الصفحة
﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۞ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۞ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۞ وَيَصْلَى سَعِيرًا ۞ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۞ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ۞ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ [٦-١٥]	٥٣٣
﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ [١٩]	٥٣٣
﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [٢٠]	٥٣٤
سورة البروج	
﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ۞ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [١٤-١٥]	٢٦٧
﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [١٢]	٢٦٧
﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۞ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [سورة البروج/٢١-٢٢]	٢٦٩
سورة الطارق	
﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ [١٣]	٢٣١
﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [١٧]	٣٧٩ح
سورة الأعلى	
﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ [٦]	٨٠
سورة الفجر	
﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [١٨]	١٧٢
﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [٢١]	١٩٧
﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾ [٢٢]	٢٥٩
﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [٢٤]	٤٢٩ح
﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ۞ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ۞ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ [٢٤-٢٦]	٤٢٨
سورة البلد	
﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ [١١-١٢]	٢٢٤
﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۞ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ [١٣-١٤]	٢٢٤

	رقم الصفحة
سورة الشمس	
﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ [١٢]	٣٩٦
﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۞ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [١٤-١٥]	٣٩٥
سورة الليل	
﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [١]	٦٦
سورة العلق	
﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [١]	٤٣٦
سورة البينة	
﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [٥]	٢٠٩
سورة العصر	
﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [٢]	٤٥٦
سورة المسد	
﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [١]	٩٤
سورة الإخلاص	
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [١]	٩٤

فهرس القراءات المتواترة[1]

القراءات المتواترة	رقم الصفحة
﴿مَالِكِ﴾ ، ﴿مَلِكِ﴾ [سورة الفاتحة/٤]	٤٨، ٦٣، ح٦٣، ٧٨، ٢١٣، ح٢١٣
قرأ بعض القراء العشرة ﴿الصِّرَاطَ﴾ [سورة الفاتحة/٦] بالسين، وقرأ حمزة بالصاد مشمة صوت الزاي، وقرأ الباقون بالصاد الخالصة.	٧٧
﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾، ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾ [سورة البقرة/٩]	٦٣، ١١٨
﴿يَكْذِبُونَ﴾، ﴿يُكَذِّبُونَ﴾ [سورة البقرة/١٠]	١٦٥
﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾، ﴿فَتَلَقَّى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٌ﴾ [سورة البقرة/٣٧]	٢٤٣، ٢٤٤
﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾، ﴿فَارْهَبُونِي﴾ [سورة البقرة/٤٠]	٤٤١
﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾، ﴿فَاتَّقُونِي﴾ [سورة البقرة/٤١]	٤٤١
﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾، ﴿تُغْفَرْ لكم﴾، ﴿يُغْفَرْ لكم﴾ [سورة البقرة/٥٨]	ح٤٢١، ٤٢٢
﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾، ﴿لَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [سورة البقرة/٨٣]	١٠٩
﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، ﴿حَسَنًا﴾ [سورة البقرة/٨٣]	٤٤٦، ٤٤٧
﴿الْقُدْسِ﴾، ﴿الْقُدُسِ﴾. [سورة البقرة/٨٧]	٧٧
﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾، ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ﴾ [سورة البقرة/١١٦]	٣٨١
﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾، ﴿وَلَا تَسْأَلْ﴾ [سورة البقرة/١١٩]	٣٦٣
﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ [سورة البقرة/١٢٥].	٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢
﴿وَوَصَّى﴾ ، ﴿وَأَوْصَى﴾ [سورة البقرة/١٣٢]	٦٣، ١٧٣
﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، ﴿لَرَؤُفٌ﴾ [سورة البقرة/١٤٣]	٢١٨، ح٢١٨
﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾، ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة البقرة/١٤٤]	١٠٩
﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا﴾، ﴿مُوَّصٍ﴾ [سورة البقرة/١٨٢]	٢٠٤
﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُم﴾، ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُم عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوكُم فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُم﴾ [سورة البقرة/١٩١]	١١١، ح١٦٦
﴿فَلَا رَفَثٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالَ﴾، ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾ [سورة البقرة/١٩٧]	١١٧، ح١١٧

(١) لا أعزو القراءات إلى قرائها في هذا الفهرس، بل أحيل إلى الصفحة التي وردت فيها القراءات في البحث معزوة لقرائها تفصيلاً، وأبتدئ في هذا الفهرس بالقراءة التي يقرأ بها حفص عن عاصم.

القراءات	رقم الصفحة
﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾، ﴿وَالْمَلَائِكَةِ﴾ [سورة البقرة/٢١٠]	٢٥٨
﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾، ﴿يَقُولُ﴾ [سورة البقرة/٢١٤].	٢٨٦
﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، ﴿كَثِيرٌ﴾ [سورة البقرة/٢١٩]	٢٣٢
﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾، ﴿لَا تُضَارُّ﴾، ﴿لا تضارْ﴾ [سورة البقرة/٢٣٣]	٣٦٧، ح٣٦٧
﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾، ﴿وَصِيَّةٌ﴾ [سورة البقرة/٢٤٠]	٢٤٢
﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾، ﴿فَيُضَعِّفَهُ﴾ [سورة البقرة/٢٤٥]	ح١٧٥
﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾ ﴿وَلَوْلَا دِفَاعُ﴾ [سورة البقرة/٢٥١]	١٩١، ١٩٢
﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾، ﴿نُنْشِرُهَا﴾ [سورة البقرة/٢٥٩]	٥٣، ٧٨، ٢٢٨، ح٢٢٨، ٢٢٩، ٥٦١
﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، ﴿قَالَ اعْلَمْ﴾ [سورة البقرة/٢٥٩]	١٢٠، ح١٢٠، ١٨٤، ٣٥٣
﴿وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾، ﴿وَنُكَفِّرْ﴾، ﴿وَنُكَفِّرُ﴾ [سورة البقرة/٢٧١]	٣١٠، ح٣١٠
﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾، ﴿لَا تُظْلَمُونَ وَلَا تَظْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة/٢٧٩]	٤٨٢، ٤٨٣
﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾، ﴿إِنْ تَضِلَّ﴾ [سورة البقرة/٢٨٢]	٢٩٦
﴿فَتُذَكِّرَ﴾، ﴿فَتُذَكِّرُ﴾، ﴿فَتُذْكِرَ﴾[سورة البقرة/٢٨٢]	٢٩٥، ٢٩٦
﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ ﴿وَيُقَاتِلُونَ﴾ [سورة آل عمران/٢١]	ح١٦٦
﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ﴾ [سورة آل عمران/٣٦]	٥٠٦
﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾، ﴿فَنُوَفِّيهِمْ﴾ [سورة آل عمران/٥٧]	٥١٩
﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَمَا أُوتِيتُمْ﴾، ﴿آنْ يُؤْتَى﴾ [سورة آل عمران/٧٣]	١٠٨، ٣٣٤
﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾، ﴿آتَيْنَاكُمْ﴾ [سورة آل عمران/٨١]	ح٥٣١، ٥٣٢
﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوهُ﴾ [سورة آل عمران/١١٥]	٤٩٨، ح٤٩٨، ٤٩٩
﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، ﴿سَارِعُوا إِلَى﴾ [سورة آل عمران/١٣٣]	٣٨٣
﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾، ﴿قُتِلَ مَعَهُ﴾ [سورة آل عمران/١٤٦]	ح١٦٦، ١٦٧، ١٦٨
﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة آل عمران/١٨٠]	٥٠١
﴿وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾، ﴿وَقُتِلُوا وَقَاتَلُوا﴾ [سورة آل عمران/١٩٥]	٤٧٨
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾، ﴿وَالْأَرْحَامِ﴾ [سورة النساء /١]	ح٨٨، ٢٧١، ٢٧٢
﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾، ﴿نُدْخِلْهُ﴾ [سورة النساء/١٣]	ح٥١٤

القراءات	رقم الصفحة
﴿أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾، ﴿الْمُحْصِنَاتِ﴾ [سورة النساء/٢٥]	٢٠٦، ٢٠٧
﴿حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾، ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهَ﴾ [سورة النساء/٣٤]	٤٤٥
﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾، ﴿يُضَعِّفْهَا﴾ [سورة النساء/٤٠]	ح١٧٥
﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾، ﴿السَّلَمَ﴾ [سورة النساء/٩٤]	١٨٨، ح١٨٨، ١٨٩، ١٩٠
﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا﴾، ﴿يَصَّالَحَا﴾ [سورة النساء/١٢٨]	١٧٧، ح١٧٧
﴿أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، ﴿أُولَئِكَ سَيُؤْتِيهِمْ﴾ [سورة النساء/١٦٢]	٥١١
﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ﴾، ﴿وَالْمُحْصِنَاتُ﴾ [سورة المائدة/٥]	٢٠٦، ٢٠٧،
﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَّةً﴾ [سورة المائدة/١٣]	١١٦، ح١١٦،
﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾، ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذْنَ بِالْأُذْنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ﴾، ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفُ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنُ بِالْأُذُنِ وَالسِّنُّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ﴾ [سورة المائدة/٤٥]	٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦
﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾، ﴿وَلِيَحْكُمَ﴾ [سورة المائدة/٤٧]	٣٥٤
﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾، ﴿تَبْغُونَ﴾ [سورة المائدة/٥٠]	٥٠٤، ح٥٠٤
﴿وَيَقُول الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ﴿يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [سورة المائدة/٥٣]	٣٨٥، ح٣٨٥
﴿وَالْكُفَّارَ﴾، ﴿وَالْكُفَّارِ﴾ [سورة المائدة/٥٧]	٢٧٥
﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾، ﴿وَعَبُدَ الطَّاغُوتِ﴾ [سورة المائدة/٦٠]	٢٧٧
﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾، ﴿عَقَدْتُمْ﴾، ﴿عَاقَدْتُمْ﴾ [سورة المائدة/٨٩]	ح١١٠
﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾، ﴿هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ﴾ [سورة المائدة/١١٢]	٥٣، ٤٤٤، ٥٦١-٥٦٢
﴿مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾، ﴿مَنْ يَصْرِفْ﴾ [سورة الأنعام/١٦]	٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥
﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ﴾، ﴿يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ﴾ [سورة الأنعام/٢٢]	ح٥١٥، ٥١٦
﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، ﴿رَبَّنَا﴾ [سورة الأنعام/٢٣]	٣٧٥
﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ [سورة الأنعام/٣٢]	٤٤٧
﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾، ﴿يَقْضِ﴾ [سورة الأنعام/٥٧]	٢٣٠، ح٢٣٠، ٢٣١
﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾، ﴿وَجَاعِلُ اللَّيْلِ﴾ [سورة الأنعام/٩٦]	٢٢٥، ٥٥١
﴿لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ﴾، ﴿لَيَضِلُّونَ﴾ [سورة الأنعام/١١٩]	ح١٦١، ح٤٣٤
﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾، ﴿دَارَسْتَ﴾ [سورة الأنعام/١٠٥]	١٦٩

القراءات	رقم الصفحة
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، ﴿كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ [سورة الأنعام/١١٥]	ح٥٣٧
﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾، ﴿حَرِجًا﴾ [سورة الأنعام/١٢٥]	١٩٨، ح١٩٨
﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾، ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ [سورة الأنعام/١٢٨]	٥١٦، ح٥١٦
﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾، ﴿مَكَانَاتِكُمْ﴾ [سورة الأنعام/١٣٥]	٥٣٨
﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾، ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ [سورة الأنعام/١٣٧]	ح٨٨، ح٨٩، ١٠٨
﴿الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾، ﴿فَارَقُوا﴾ [سورة الأنعام/١٥٩]	١٧٦، ح١٧٦
﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿يتذكَّرون﴾ [سورة الأعراف/٣]	ح٥٠٨
﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾، ﴿وَلِبَاسَ التَّقْوَى﴾ [سورة الأعراف/٢٦]	٢٤٥، ح٢٤٥، ٢٤٦
﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾، ﴿مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ [سورة الأعراف/٤٣]	٣٨٧
﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾، ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ [سورة الأعراف/٨١]	٣٣٩
﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾، ﴿أَوْ أَمِنَ﴾ [سورة الأعراف/٩٨]	٣٩٢
﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾، ﴿سَحَّارٍ﴾ [سورة الأعراف/١١٢]	٢١٠، ٢١١، ٢١٢
﴿قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾، ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ [سورة الأعراف/١١٣]	٣٤١
﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ﴾، ﴿سَنَقْتُلُ﴾ [سورة الأعراف/١٢٧]	ح١٦٣
﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾، ﴿يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [سورة الأعراف/١٤١]	ح١٦٣
﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾، ﴿دَكَّاء﴾ [سورة الأعراف/١٤٣]	١٩٧، ح١٩٧، ١٩٨
﴿لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾،﴿لَئِنْ لَمْ تَرْحَمْنَا رَبَّنَا وَتَغْفِرْ﴾ [سورة الأعراف/١٤٩]	٣٧٣، ٣٧٤
﴿نَغْفِرْ لَكُمْ﴾، ﴿تُغْفَرْ لكم﴾، ﴿يُغْفَرْ لكم﴾ [سورة الأعراف/١٦١]	٤٢١، ح٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣
﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾، ﴿مَعْذِرَةٌ﴾ [سورة الأعراف/١٦٤]	٢٤٨
﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾، ﴿يُمْسِكُونَ﴾ [سورة الأعراف/١٧٠]	١٧٤، ح١٧٤
﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾، ﴿وَيَذَرْهُمْ﴾ [سورة الأعراف/١٨٦]	٥١٧
﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾، ﴿مُوَهِّنٌ﴾ [سورة الأنفال/١٨]	٢٠٣، ح٢٠٣، ٢٠٤
﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾، ﴿لا إِيمَانَ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة/١٢]	١١٩، ح١١٩
﴿مَسَاجِدَ اللهِ﴾، ﴿مَسْجِدَ اللهِ﴾ [سورة التوبة/١٧]	ح٥٢٩
﴿وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾، ﴿وَعَشِيرَاتُكُمْ﴾ [سورة التوبة/٢٤]	ح٥٣٩
﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾، ﴿وَكَلِمَةَ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة/٤٠]	٢٤٩
﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾، ﴿الْأَنْصَارُ﴾ [سورة التوبة/١٠٠]	٢٥٩

القراءات	رقم الصفحة
﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾، ﴿مِن تَحْتِهَا﴾ [سورة التوبة/١٠٠]	٢٧٩
﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾، ﴿فَيُقْتَلُونَ وَيَقْتُلُونَ﴾ [سورة التوبة/١١١]	١٠٧، ح١٠٧، ٤٧٨
﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾، ﴿لَسِحْرٌ﴾ [سورة يونس/٢]	١٩٤، ح١٩٤
﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، ﴿نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ [سورة يونس/٥]	٥١٢
﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾، ﴿تَتْلُو﴾ [سورة يونس/٣٠]	٢٣٢، ح٢٣٢
﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، ﴿كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ [سورة يونس/٣٣]	ح٥٣٧
﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ﴾، ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ [سورة يونس/٤٥]	٥١٦، ح٥١٦
﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾، ﴿سَحَّارٍ﴾ [سورة يونس/٧٩]	٢١٠، ح٢١٠، ٢١١، ٢١٢
﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾، ﴿لِيَضِلُّوا﴾ [سورة يونس/٨٨]	ح١٦١، ح٤٣٤
﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، ﴿كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ [سورة يونس/٩٦]	ح٥٣٧
﴿مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ بالتنوين، ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾ بالإضافة [سورة هود/٤٠]	٤٦٤
﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، ﴿عَمِلَ﴾ [سورة هود/٤٦]	٢٢٢، ح٢٢٢
﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾، ﴿قَالَ سِلْمٌ﴾ [سورة هود/٦٩]	١٩٠
﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾، ﴿مَكَانَاتِكُمْ﴾ [سورة هود/٩٣]	٥٣٨
﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾، ﴿مَكَانَاتِكُمْ﴾ [سورة هود/١٢١]	٥٣٨
﴿قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾، ﴿يَا بُشْرَايَ﴾ [سورة يوسف/١٩]	٤٦٥
﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾، ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ [سورة يوسف/٢٤]	٢٠٩، ح٢٠٩
﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾، ﴿حِفْظًا﴾ [سورة يوسف/٦٤]	١٩٥، ح١٩٥
﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ بالفتح، وبالإمالة [سورة يوسف/٨٤]	٤٦٧
﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾، ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ [سورة يوسف/٩٠]	٣٤٣
﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾، ﴿وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ صِنْوَانٍ وَغَيْرِ صِنْوَانٍ﴾ [سورة الرعد/٤]	٢٦١
﴿اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، ﴿اللَّهُ﴾ [سورة إبراهيم/٢]	٣٩٩
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾، ﴿خَالِقُ﴾ [سورة إبراهيم/١٩]	٢٢٦، ح٢٢٦
﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾، ﴿لِيَضِلُّوا﴾ [سورة إبراهيم/٣٠]	ح١٦١، ح٤٣٤
﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾، ﴿لَتَزُولُ﴾ [سورة إبراهيم/٤٦]	٧٨، ١٢٠، ح١٢٠، ١٢١، ٣٠٠
﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ﴾، ﴿الرِّيَاحَ﴾ [سورة الحجر/٢٢]	٥٢٨

القراءات	رقم الصفحة
﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾، ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ [سورة الحجر/٤٠]	ح٢٠٩
﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ﴿تُشْرِكُونَ﴾ [سورة النحل/١]	٥٠٧
﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ﴾، ﴿وَلَيَجْزِيَنَّ﴾ [سورة النحل/٩٦]	٥١٣
﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا﴾، ﴿وَيُخْرَجُ﴾، ﴿وَيَخْرُجُ﴾ [سورة الإسراء/١٣]	ح٥٢٢، ٥٢٣
﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ۞ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾، ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ نَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ نُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ۞ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ نُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَنُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَنُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾، ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ۞ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَتُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ [سورة الإسراء/٦٨-٦٩]	ح٥١٧
﴿تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾، ﴿تَزْوَرُّ﴾، ﴿تَزَّاوَرُ﴾ [سورة الكهف/١٧]	١٨٠
﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾، ﴿وَلَا تُشْرِكْ﴾ [سورة الكهف/٢٦]	٣٦٨
﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾، ﴿خَيْرًا مِنْهُمَا﴾ [سورة الكهف/٣٦]	٥٤٤
﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾، ﴿الْحَقُّ﴾ [سورة الكهف/٤٤]	٢٦٣
﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾، ﴿تُسَيَّرُ الْجِبَالُ﴾ [سورة الكهف/٤٧]	ح٤٣١
﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ﴾، ﴿أَشْهَدْنَاهُمْ﴾ [سورة الكهف/٥١]	ح٥٣١
﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾، ﴿وَيَوْمَ نَقُولُ﴾ [سورة الكهف/٥٢]	٥٢٠
﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾، ﴿لِمُهْلَكِهِمْ﴾، ﴿لِمَهْلَكِهِمْ﴾ [سورة الكهف/٥٩]	١٩٩، ٢٠٠
﴿قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾، ﴿يُفْقِهُونَ﴾ [سورة الكهف/٩٣]	١٦٢، ح١٦٢
﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾، ﴿يَرِثْنِي وَيَرِثْ﴾ [سورة مريم/٦]	٣١٧، ٣١٨
وقوله: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾، ﴿خَلَقْنَاكَ﴾ [سورة مريم/٩]	ح٥٣٢
﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾، ﴿مُخْلِصًا﴾ [سورة مريم/٥١]	٧٢، ح٢٠٩
﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾، ﴿يَنفَطِرْنَ﴾ [سورة مريم/٩٠]	١٨١، ح١٨١
﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾، ﴿وَأَنَّا اخْتَرْنَاكَ﴾ [سورة طه/١٣]	ح٥٣١
﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۞ وَأَشْرِكْهُ﴾، ﴿أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۞ وَأُشْرِكْهُ﴾ [سورة طه/٣١-٣٢]	٣٥٥
﴿لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾، ﴿لَا تَخَفْ﴾ [سورة طه/٧٧]	٣٦٩

القراءات	رقم الصفحة
﴿أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ۞ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، ﴿أَنْجَيْتُكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْتُكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ۞ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْتُكُمْ﴾ [سورة طه/٨٠-٨١]	ح٥٣١
﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾، ﴿نَنْفُخُ﴾ [سورة طه/١٠٢]	ح٤٣١
﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾، ﴿فَلَا يَخَفْ﴾ [سورة طه/١١٢]	٣٢٣، ٣٧١
﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾، ﴿وَإِنَّكَ لَا تَظْمَأُ﴾ [سورة طه/١١٩]	١١٧، ح١١٧
﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، ﴿قُلْ﴾ [سورة الأنبياء/٤]	ح٣٦٠
﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾، ﴿قُلْ﴾ [سورة الأنبياء/١١٢]	ح٣٦٠
﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾، ﴿وَرَبَأَتْ﴾ [سورة الحج/٥]	١١٩، ١٢٠
﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ﴿لِيَضِلَّ﴾ [سورة الحج/٩]	ح٤٣٤، ح١٦١
﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ﴿يَدْفَعُ﴾ [سورة الحج/٣٨]	ح١٧٠، ١٧١
﴿لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ﴾، ﴿لَهُدِمَتْ﴾ [سورة الحج/٤٠]	١١٥، ح١١٥
﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾، ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ [سورة الحج/٥١]	٢٠٥، ح٢٠٥
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾، ﴿لِأَمَانَتِهِمْ﴾ [سورة المؤمنون/٨]	ح٥٣٩
﴿تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾، ﴿تُنْبِتُ بِالدُّهْنِ﴾ [سورة المؤمنون/٢٠]	٤٣٥، ٤٣٦
﴿مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾، ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [سورة المؤمنون/٢٧]	٤٦٣
﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا﴾، ﴿أَنْزِلْنِي مَنْزِلًا﴾ [سورة المؤمنون/٢٩]	٢٠١
﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ [سورة المؤمنون/٩٢]	ح٢٦٥
﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾، ﴿شَقَاوَتُنَا﴾ [سورة المؤمنون/١٠٦]	١٩٣
﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾، ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [سورة المؤمنون/١١١]	٤٠٩
﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾، ﴿قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ [سورة المؤمنون/١١٢]	ح٣٦٠
﴿قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾، ﴿قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ﴾ [سورة المؤمنون/١١٤]	ح٣٦٠
﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾، ﴿الْمُحْصِنَاتِ﴾ [سورة النور/٤]	٢٠٦، ٢٠٧
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾، ﴿الْمُحْصِنَاتِ﴾ [سورة النور/٢٣]	٢٠٦، ٢٠٧
﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾، ﴿مُبَيَّنَاتٍ﴾ [سورة النور/٣٤]	٢٠٨، ح٢٠٨
﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾، ﴿خَالِقُ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ [سورة النور/٤٥]	٢٢٦، ح٢٢٦، ٥٥٣
﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾، ﴿مُبَيَّنَاتٍ﴾ [سورة النور/٤٦]	٢٠٨، ٢٠٨
﴿وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا﴾، ﴿وَيَجْعَلُ﴾ [سورة الفرقان/١٠]	٣١٣

القراءات	رقم الصفحة
﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ﴾، ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ﴾، ﴿نَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَنَقُولُ﴾ [سورة الفرقان/١٧]	٥١٦، ح٥١٦، ٥٢١
﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾، ﴿يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾ [سورة الفرقان/٦٩]	٣٢١، ح٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣
﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، ﴿يُضَعَّفْ﴾ [سورة الفرقان/٦٩]	ح١٧٥
﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾، ﴿حَذِرُونَ﴾ [سورة الشعراء/٥٦]	٢١٦، ح٢١٦، ٢١٧
﴿أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾، ﴿بِشِهَابِ قَبَسٍ﴾ [سورة النمل/٧]	٤٧٠
﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾، ﴿مَهْلَكَ﴾، ﴿مُهْلَكَ﴾ [سورة النمل/٤٩]	٢٠٠، ٢٠١
﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [سورة النمل/٥٩]	٥٠٤
﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا يَذَّكَّرُونَ﴾ [سورة النمل/٦٢]	ح٥٠٨
﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾، ﴿أَدْرَكَ﴾ [سورة النمل/٦٦]	١٧٨
﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾، ﴿تَهْدِي﴾ [سورة النمل/٨١]	٢٢٧
﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾، ﴿فَزَعِ يَوْمِئِذٍ﴾ [سورة النمل/٨٩]	٤٦٨
﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾، ﴿آتُوهُ﴾ [سورة النمل/٨٧]	٥٥٨
﴿لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾، ﴿حَتَّى يَصْدُرَ الرِّعَاءُ﴾ [سورة القصص/٢٣]	ح٥٣، ٤٣٢، ٤٣٣
﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾، ﴿يُصَدِّقْنِي﴾ [سورة القصص/٣٤]	٣٢٠
﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى﴾، ﴿قَالَ مُوسَى﴾ [سورة القصص/٣٧]	٣٨٨
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، ﴿أَوَلَمْ تَرَوْا﴾ [سورة العنكبوت/١٩]	٥٠٩
﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾، ﴿النَّشَاءَةَ﴾ [سورة العنكبوت/٢٠]	١٩٣، ح١٩٣
﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾، ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ﴾ [سورة العنكبوت/٢٨]	٣٣٩، ٣٤٠
﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [سورة الروم/١١]	ح٥٠٢، ٥٠٣
﴿الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾، ﴿فَارَقُوا﴾ [سورة الروم/٣٢]	١٧٦، ح١٧٦
﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾، ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [سورة لقمان/٣]	٢٥٣
﴿مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ﴿لِيَضِلَّ﴾ [سورة لقمان/٦]	ح١٦١، ح٤٣٤
﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾، ﴿أُخْفِيْ﴾ [سورة السجدة/١٧]	١٨٢، ح١٨٢
﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾، ﴿عَلَّامِ﴾ [سورة سبأ/٣]	٢١٢، ح٢١٢
﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ [سورة سبأ/٣]	ح٢٦٥
﴿مُعَاجِزِينَ﴾، ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ [سورة سبأ/٥، ٣٨]	٢٠٥، ح٢٠٥

القراءات	رقم الصفحة
﴿إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿إِنْ يَشَأْ يَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يُسْقِطْ﴾ [سورة سبأ/٩]	ح٥١٨
﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾، ﴿الرِّيحُ﴾ [سورة سبأ/١٢]	٢٥٢
﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ﴾، ﴿مَسَاكِنِهِمْ﴾ [سورة سبأ/١٥]	ح٥٤٠
﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾، ﴿رَبَّنَا بَعِّدْ﴾، ﴿رَبُّنَا بَاعَدَ﴾ [سورة سبأ/١٩]	٣٥٧، ٣٥٨
﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ﴾، ﴿نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ﴾ [سورة سبأ/٤٠]	ح٥١٦
﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾، ﴿وَمَا عَمِلَتْ﴾ [سورة يس/٣٥]	٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩
﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾، ﴿مَكَانَاتِهِمْ﴾ [سورة يس/٦٧]	٥٣٨
﴿بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾، ﴿بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾، ﴿بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبَ﴾ [سورة الصافات/٦]	ح٤٧١
﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾، ﴿بَلْ عَجِبْتُ﴾ [سورة الصافات/١٢]	١١١، ح١١١
﴿الْمُخْلَصِينَ﴾، ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ [سورة الصافات/٤٠، ٧٤، ١٢٨، ١٦٠]	ح٢٠٩
﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾، ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ﴾ [سورة الصافات/١٢٦]	٤٠١، ح٤٠١، ٤٠٢
﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾، ﴿اصْطَفَى﴾ [سورة الصافات/١٥٣]	٣٤٥
﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾، ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ [سورة الصافات/١٦٩]	ح٢٠٩
﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾، ﴿هَذَا مَا يُوعَدُونَ﴾ [سورة ص/٥٣]	ح٥٠٠، ٥٠١
﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾، ﴿اتَّخَذْنَاهُمْ﴾ [سورة ص/٦٣]	٣٤٧
﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾، ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ [سورة ص/٨٣]	ح٢٠٩
﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾، ﴿لِيَضِلَّ﴾ [سورة الزمر/٨]	ح١٦١، ح٤٣٤
﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾، ﴿مَكَانَاتِكُمْ﴾ [سورة الزمر/٣٩]	٥٣٨
﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، ﴿كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ [سورة غافر/٦]	ح٥٣٧
﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ ﴿وَأَنْ يَظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ﴾ [سورة غافر/٢٦]	٣٩٤، ح٣٩٤
﴿فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾، ﴿فَأَطَّلِعُ﴾ [سورة غافر/٣٧]	٣٠٤
﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ [سورة الشورى/٣٠]	٣٨٩، ٣٩١
﴿يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾، ﴿الرِّيَاحَ﴾ [٣٣]	ح٥٢٨
﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾، ﴿قُلْ﴾ [سورة الزخرف/٢٤]	ح٣٦١
﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى﴾، ﴿أَوَلَوْ جِئْنَاكُمْ﴾ [سورة الزخرف/٢٤]	٥٣٢
﴿أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾، ﴿إِنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [سورة الزخرف/٣٩]	٤١٠

القراءات	رقم الصفحة
﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [سورة الزخرف/٨٥]	ح٥٠٣
﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ﴾، ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ﴾ [سورة الدخان/٧]	٢٦٤
﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾، ﴿أَنَّكَ أَنْتَ﴾ [سورة الدخان/٤٩]	٤١١، ٤١٢
﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾، ﴿أَأَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾ [سورة الأحقاف/٢٠]	٣٤٩
﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾، ﴿وَالَّذِينَ قَاتَلُوا﴾ [سورة محمد/٤]	ح١٦٦، ١٦٨
﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾، ﴿أُمْلِيْ﴾، ﴿أُمْلِيَ﴾ [سورة محمد/٢٥]	١٨٣، ح١٨٣
﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾، ﴿نُدْخِلْهُ﴾ [سورة الفتح/١٧]	ح٥١٤
﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، ﴿بَيْنَ إِخْوَتِكُمْ﴾ [سورة الحجرات/١٠]	٥٤٨
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾، ﴿أَتْبَعْنَاهُمْ﴾ [سورة الطور/٢١]	١٧٩، ح١٧٩
﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ﴾، ﴿وَنُحَاسٍ﴾ [سورة الرحمن/٣٥]	٢٦٦
﴿فَرَوْحٌ﴾، ﴿فَرُوحٌ﴾ [سورة الواقعة/٨٩]	٦٣، ح٦٣
﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾، ﴿أُخِذَ مِيثَاقُكُمْ﴾ [سورة الحديد/٨]	٤٢٦
﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ﴾، ﴿فَيُضَعِّفَهُ﴾ [سورة الحديد/١١]	ح١٧٥
﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [سورة الحديد/٢٤]	٤٨٩
﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾، ﴿وَلَا تُمَسِّكُوا﴾ [سورة الممتحنة/١٠]	١٧٤، ح١٧٤
﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ﴾، ﴿نُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَنُدْخِلْهُ﴾ [سورة التغابن/٩]	ح٥١٤
﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾، ﴿مُبَيَّنَاتٍ﴾ [سورة الطلاق/١١]	٢٠٨، ح٢٠٨
﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾، ﴿نُدْخِلْهُ﴾ [سورة الطلاق/١١]	ح٥١٤
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾، ﴿نُصُوحًا﴾ [سورة التحريم/٨]	١٩٦
﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾، ﴿تَفَوُّتٍ﴾ [سورة الملك/٣]	١٩٣
﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ۞ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾، ﴿قَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا يَذَّكَّرُونَ﴾ [سورة الحاقة/٤١-٤٢]	٥٠٨-٥٠٩
﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾، ﴿نَزَّاعَةٌ﴾ [سورة المعارج/١٦]	٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾، ﴿لِأَمَانَتِهِمْ﴾ [سورة المعارج/٣٢]	ح٥٣٩
﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾، ﴿بِشَهَادَتِهِمْ﴾ [سورة المعارج/٣٣]	ح٥٣٩
﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾، ﴿نَسْلُكْهُ﴾ [سورة الجن/١٧]	ح٥١٨
﴿لِبَدًا﴾، ﴿لُبَدًا﴾ [سورة الجن/ ١٩]	٤٩
﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾، ﴿قَالَ﴾ [سورة الجن/٢٠]	ح٣٦١

القراءات	رقم الصفحة
﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ﴾ [سورة المزمل/٩]	ح٢٦٥، ٤٠٣، ح٤٠٣، ٤٠٤
﴿ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾، ﴿وَنِصْفِهِ وَثُلُثِهِ﴾ [سورة المزمل/٢٠]	٢٨٠،
﴿لَا أُقْسِمُ﴾، ﴿لَأُقْسِمُ﴾ [سورة القيامة/١]	٦٣، ح٦٣
﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾، ﴿بَرَقَ﴾ [سورة القيامة/٧]	١٦٠، ح١٦٠
﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾، ﴿انْطَلَقُوا﴾ [سورة المرسلات/٣٠]	٤٨-٤٩، ح٦٣، ٣٥٩
﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾، ﴿نَاخِرَةً﴾ [سورة النازعات/١١]	١١٦، ح١١٦، ١١٧، ٢١٧، ح٢١٧، ٢١٨
﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾، ﴿فَتَنْفَعُهُ﴾ [سورة عبس/٤]	٣٠٧
﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾، ﴿قُتِّلَتْ﴾ [سورة التكوير/٩]	ح١٦٤
﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾، ﴿نُشِّرَتْ﴾ [سورة التكوير/١٠]	ح١٦٤
﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾، ﴿سُعِرَتْ﴾ [سورة التكوير/١٢]	ح١٦٤
﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾، ﴿بِظَنِينٍ﴾ [سورة التكوير/٢٤]	١٣٧، ٢٣٤، ح٢٣٤
﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾، ﴿لَتَرْكَبَنَّ﴾ [سورة الانشقاق/١٩]	٥٣٣
﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾، ﴿الْمَجِيدِ﴾ [سورة البروج/١٥]	٢٦٧
﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾، ﴿مَحْفُوظٌ﴾ [سورة البروج/٢٢]	٢٦٩
﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾، ﴿تَحُضُّونَ﴾، ﴿يَحُضُّونَ﴾ [سورة الفجر/١٨]	١٧٢، ح١٧٢
﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ۞ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ ﴿ لَا يُعَذَّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ۞ وَلَا يُوثَقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الفجر/٢٥-٢٦]	٤٢٨، ٤٢٩
﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۞ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ﴾، ﴿فَكَّ رَقَبَةً ۞ أَوْ أَطْعَمَ﴾ [سورة البلد/١٣-١٤]	٢٢٤، ح٢٢٤
﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾، ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ [سورة الشمس/١٥]	٣٩٥

فهرس القراءات الشاذة[1]

القراءات الشاذة	رقم الصفحة
(مَلَكَ يومَ الدين) [سورة الفاتحة/٤]	٦٧
(وعلى أسماعهم) [سورة البقرة/٧]	٥٤١
(فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ) [سورة البقرة/١٦]	٥٤٢
(وعُلِّمَ آدَمُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) [سورة البقرة/٣١]	١٠٨
(يَذْبَحُون أَبْنَاءَكُمْ) [سورة البقرة/٤٩]	١١٠
(وَلَتجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ على الحياة) [سورة البقرة/٩٦]	ح١٠٦، ٤٥٧، ٤٥٨
(ولن تُسألَ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ) [سورة البقرة/١١٩]	٣٦٤
(وما تُسألُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ) [سورة البقرة/١١٩]	٣٦٤
(وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمُ رَبَّهُ) [سورة البقرة/١٢٤]	٤٨٤
(لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالمون) [سورة البقرة/١٢٤]	٤٨٥، ٤٨٦
(وَيَقُولاَنِ: رَبَّنَا تَقَبَّلْ) [سورة البقرة/١٢٧]	٤٤٣
(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بأشياء مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ) [سورة البقرة/١٥٥]	٥٤٢
(فعدة من أيام أخر متتابعات) [سورة البقرة/١٨٤، ١٨٥]	ح٧٤
(فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات) [سورة البقرة/١٩٦]	ح٧٤
(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ في مواسم الحج) [سورة البقرة/١٩٨]	٦٨
(قل فيهما إثم كثير وإثمهما أكثر) [سورة البقرة/٢١٩]	٢٣٣
(إلاَّ أن يأتيهم اللهُ والملائكةُ في ظللٍ) [سورة البقرة/٢١٠]	٢٥٨
(والصلاة الوسطى صلاة العصر) [سورة البقرة/٢٣٨]	ح٧٤
(قيل اعلم) [سورة البقرة/ ٢٥٩]	٣٥٤
(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ويَستعينون بالله على ما أَصابَهم) [سورة آل عمران/١٠٤]	٦٩
(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ رسلٌ) [سورة آل عمران/١٤٤]	ح١٠٧، ٤٥٩
(تساءلون به وبالأرحام) [سورة النساء/١]	٢٧٢

(١) لا أعزو القراءات إلى قرائها في هذا الفهرس، بل أحيل إلى الصفحة التي وردت فيها القراءات في البحث معزوة لقرائها تفصيلاً.

القراءات الشاذة	رقم الصفحة
(وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ من أم) [سورة النساء/١٢]	٦٨
(كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) [سورة النساء/٢٤]	٥٥٧
(وَمَنْ عَبَدُوا الطَّاغُوتَ) [سورة المائدة/٦٠]	٢٧٧
(مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ رُسُلٌ) [سورة المائدة/٧٥]	٤٥٩
(فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ) [سورة المائدة/٨٩]	٤٤٩، ٤٥٠
(مَنْ يَصْرِفِ اللَّهُ عَنْهُ) [سورة الأنعام/١٦]	٤٢٤، ٤٢٥
(إن الحكم إلا لله يقضي بالحق) [سورة الأنعام/٥٧]	٢٣١
(وهو خير القاصين) [سورة الأنعام/٥٧]	٢٣١
(إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُ) [سورة الأعراف/٢٧]	٥٣٥
(قال عذابي أُصيبُ به من أَسَاءَ) [سورة الأعراف/١٥٦]	٦٨، ٧٦
(مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى) [سورة الأنفال/٦٧]	٤٥٨
(أَثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ) [سورة التوبة/٣٨]	٣٤٠
(إلا عن موعدة وعدها أَبَاهُ) [سورة التوبة/١١٤]	٦٨
(لقد جَاءكم رَسولٌ مِنْ أنفَسِكم) [سورة التوبة/١٢٨]	٦٦
(كَأَنَّمَا يَغْشَى) [سورة يونس/٢٧]	٥٥٤
(لتكون لمن خَلَفك آية) [سورة يونس/٩٢]	٦٧
(إنه عَمَلٌ غيرُ صَالحٍ أن تسألني ما ليس لك به علم) [سورة هود/٤٦]	٢٢٣
(وإِنَّهُمْ أتاهُمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ) [سورة هود/٧٦]	٥٥٨
(خيرُ الحافظين) [سورة يوسف/٦٤]	١٩٥
(ومِنْ عِندِهِ عُلِم الكتاب) [سورة الرعد/٤٣]	٧٩
(كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ثَابِتٍ أَصْلُهَا) [سورة إبراهيم/٢٤]	٤٨٦، ٤٨٧
(وَآتَاكُمْ مِنْ كُلٍّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) [سورة إبراهيم/٣٤]	٤٧١
(ومكروا مكرهم، وعند الله مكرُهم، ولولا كلمة الله لزال من مكرهم الجبال) [سورة إبراهيم/٤٦]	٣٠١
(وإن كاد مكرهم لتزول) [سورة إبراهيم/٤٦]	٣٠١
(وما كان مَكْرُهُمْ) [سورة إبراهيم/٤٦]	٣٠٢
(وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَيُخْرَجُ لَهُ) [سورة الإسراء/١٣]	٥٢٣
(هُنالك الوَلايةُ الحقُّ للهِ) [سورة الكهف/٤٤]	٢٦٣

القراءات الشاذة	رقم الصفحة
(وكان أَمَامَهم مَلِكٌ يأخذ كل سَفينةٍ صَالحةٍ غَصباً) [سورة الكهف/٧٩]	٦٦
(يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا) [سورة الكهف/٧٩]	٤٤٨
(جنَّةَ عدنٍ)، (جَنَّةُ) [سورة مريم/٦١]	٥٣٦
(مِنْ أَثَرِ فرسِ الرَّسُولِ) [سورة طه/٩٦]	٤٤٦
(وَكُنَّا لِحُكْمِهِما شَاهِدِينَ) [سورة الأنبياء/٧٨]	٥٤٦
(وَجعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيتين لِلْعَالَمِينَ) [سورة الأنبياء/٩١]	٥٤٥
(هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمَا فِي رَبِّهِمْ) [سورة الحج/١٩]	٥٤٧
(وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيتين) [سورة المؤمنون/٥٠]	٥٤٥
(تبارك الذي إن شاء يجعلْ) [سورة الفرقان/١٠]	٣١٤
(فتظل أعناقهم) [سورة الشعراء/٤]	ح٥٥٥
(ربُّنَا بَعَّدَ بين أسفارنا) [سورة سبأ/١٩]	٣٥٨
(وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأَخْذٌ) [سورة سبأ/٥١]	٥٥٦
(إنما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ) [سورة فاطر/٢٨]	٦٨
(فَاسْتَبِقُوا الصِّرَاطَ) [سورة يس/٦٦]	١٠٩
(بحورِ عينٍ) [سورة الدخان/٥٤]	ح٤٧٢
(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلَتَا) [سورة الحجرات/٩]	٥٤٧
(بحورِ عينٍ) [سورة الطور/٢٠]	ح٤٧٢
(كَمَثَلِ حِمَارٍ) [سورة الجمعة/٥]	٤٦٢
(يَحْمِلُ الأَسْفَارَ) [سورة الجمعة/٥]	٤٦٢
(إذا طلقتم النساء فطلقوهن لقبل عدتهن) [سورة الطلاق/١]	ح٧٣
(عَذَابِ يَوْمَئِذٍ) [سورة المعارج/١١]	ح٤٧٢
(ذلةُ ذلك اليومِ) [سورة المعارج/٤٤]	ح٤٧٢
(لكل امرئ منهم يومئذ شأن يَعْنِيه) [سورة عبس/٣٧]	٦٨
(وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى) [سورة الليل/٣]	٦٦

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

الحديث	القائل	رقم الصفحة
استقيموا ولن تحصوا	النبي ﷺ	٢٨١
أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام عَلَى حَرْفٍ، فَرَاجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ فَيَزِيدُنِي	النبي ﷺ	٢٥
أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ – قَالَ – فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام	أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ ﵁	١٥، ١٨، ٣٦
أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام قَالَ: يَا مُحَمَّدُ اقْرَأْ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ	عن أبي بكرة ﵁	٢٥
أن رسول الله ﷺ لما فرغ من طوافه عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه	جابر بن عبد الله ﵁	٣٥٣
إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ	النبي ﷺ	٢٥، ٢٧
أُنزِل القرآن على سبعة أحرف	النبي ﷺ	١١٤
بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة، فصبحنا القوم فهزمناهم	أسامة بن زيد ﵁	١٨٩
دخلت في نفر من أصحاب عبد الله – يعني ابنَ مسعود – الشام	علقمة بن قيس ﵁	٦٦
سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ	عمر بن الخطاب ﵁	٢٧، ح٣٧
عرض عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا، فَقُلْتُ: لا، يَا رَبِّ	النبي ﷺ	٣١٥
كان ابن عباس ﵁ يقرأ: وكان أَمَامَهم مَلِكٌ يأخذ كل سَفينةٍ	سعيد بن جبير ﵁	٦٦
كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَالِجُ مِنْ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ	عبد الله بْنِ عَبَّاسٍ ﵁	٣٦
كان رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون، فقال: السلام عليكم	عبد الله بن عباس ﵁	١٨٩
كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الرِّيَاحِ فَهِيَ رَحْمَةٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ	أبي بن كعب ﵁	٥٢٦
لا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلا يَخْلَقُ مِنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ.	النبي ﷺ	٨٢
لبيك إنَّ الحمد والنعمة لك	النبي ﷺ	٤٠٨
لقيَ رسولُ الله ﷺ جبريلَ عليه السلام، فقال: يا جبريلُ، إني بُعثْتُ إلى أمةٍ	أبي بن كعب ﵁	١٨، ٣٥
لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ، قَالَ رَجُلٌ: وَلاَ إِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟	النبي ﷺ	٤٢٥
لَيْسَ مِنْهَا إِلاَّ شَافٍ كَافٍ، إِنْ قُلْتَ: سَمِيعًا عَلِيمًا عَزِيزًا حَكِيمًا	النبي ﷺ	٢٦
ما هبت ريح قط إلا جثا النبي ﷺ على ركبتيه وقال: "اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رَحْمَةً، وَلا تَجْعَلْهَا عَذَابًا	عبد الله بن عباس ﵁	٥٢٦
والله ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز،	الوليد بن المغيرة	١٣٩
وافقت ربي في ثلاث، فقلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم	عمر بن الخطاب ﵁	٣٥١
وكلكم مسؤول عن رعيته	النبي ﷺ	٣٦٣
يصلي أربع ركعات، فلا تَسأَلْ عن حسنهن وطولهن	عائشة رضي الله عنها	٣٦٤

فهرس الأشعار

البيت		رقم الصفحة
مَتَى تَأْتِنا تُلْمِم بِنَا فِي دِيَارِنَا	تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً وَناراً تَأَجَّجَا	٣٢٢
نَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أَرْبابُ الفَلَجْ	نَضْرِبُ بِالبِيضِ وَنَرْجُو بالفَرَج	٤٣٦
مَتى تأْتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نَارِهِ	تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدِ	٣٢٢
هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ اليَمَانِينَ مُصْعِدُ	جَنِيبٌ وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوثَقُ	٤٦٢
رأيْتَ ذوي الحاجاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ	قَطِينا لَهُمْ حتى إذا أنْبَتَ البَقْلُ	٤٣٦
لاَ يَفْرَحُونَ إذا نَالَتْ رِمَاحُهُمُ	قَوْماً، وَلَيْسوا مَجَازِيعاً إذا نِيلوا	٤٨٠
لا يَقَعُ الطَّعْنُ إلاّ في نُحُورِهِمُ	وما لَهُمْ عنْ حِياضِ الموْتِ تَهْلِيل	٤٨٠
مَن يَفعَلِ الحسناتِ اللهُ يَشكُرُهَا	....	٣٩٠

فهرس المصطلحات العلمية

الأحرف السبعة	١٩، ٢٠	الاستعارة	ح١٠٤
أسلوب، أسلوب القرآن	١٣٤	أسلوب الحكيم	ح٤٩١
الإسناد	ح٩٨	الإطناب	ح١٠٣
الإعجاز	١٢٤	إعجاز القرآن	١٢٥
الالتفات	ح١٠٩، ح٤٩١، ٤٩٥	الإمالة	ح٧٠
الإنشاء	ح١٠٢	الإيجاز	ح١٠٢
البلاغة	٨٤-٨٥	تجاهل العارف	ح٤٩٣
التسهيل	ح٧١	التشبيه	ح١٠٤
التعقيد	٨٩	التغليب	ح٤٩٢
تنافر الحروف	٨٦-٨٧	تنافر الكلمات	٨٩-٩٠
التوجيه البلاغي	٥٧	الجملة الاسمية والفعلية	ح٩٩
الخبر	ح٩٨	الحقيقة والمجاز	ح١١١
السجع	ح١٣٥	الرواية	٤٨
السند الصحيح	ح٥٩	السند	٤
الطريق	٤٨	ضعف التأليف	٨٨
القراءات	٧	علم أصول الفقه	٥
القراءات الشاذة	٦٧	القراءات الآحاد	٦٤
القراءات المدرجة	٦٨	القراءات المتواترة	٦٢
قراءة النبي ﷺ	ح٦٤	القراءات المشهورة	٦٣
القرآن	١٢-١٣	القراءات الموضوعة	٦٧
القلب	ح٤٩٣	القصر	ح١٠١
متعلقات الفعل	ح١٠١	الكناية	ح١٠٤
المجاز المفرد المرسل	ح١١١	المحسنات اللفظية والمعنوية	ح١٠٥
المد	ح٧٠	مخالفة القياس اللغوي	٨٧
المعجزة	١٢٤	المساواة	ح١٠٣
مقتضى الحال	ح٨٥	نظم القرآن	١٣٤
الوجه	٤٨	وجوه إعجاز القرآن	ح١٢٦
الوصل والفصل	ح١٠٢، ٣٧٨	ياءات الزوائد	٤٤٠

فهرس الأعلام المترجم لهم الوارد ذكرهم في المتن

اسم العلم	رقم الصفحة
أبان بن تغلب	٤٤
إبراهيم بن أبي عبلة	٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٥، ٥٤٧
ابن الأثير: ضياء الدين	٥٠٩، ٥٥٠
ابن الجزري: محمد بن محمد بن محمد	ق، ٩، ١٠، ١١، ٣٠، ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٧٧، ٢٧٩، ٢٨٠، ٥٦١، ٥٧٢
ابن المعتز: عبد الله بن المعتز بن المتوكل	١٤٠، ٤٩٥
ابن جماز	٣٤٥
ابن جني: أبو الفتح عثمان	ق، ٥٢، ٦٧، ٢٣٧، ٢٥٦، ٤٤٥، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٨٧
ابن حبان: أبو حاتم	٢٠
ابن خالويه: الحسين بن أحمد النحوي	ر، ٥٥، ٦٧، ٣٥٢، ٥٦٢
ابن ذكوان: عبد الله بن أحمد بن بشير	٤٩، ٥١٣
ابن عادل الحنبلي: أبو حفص	ش، ٢٨٩، ٣٠٢، ٣٩٣
ابن عاشور: الطاهر	١٤٩، ٢٤٦، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٥، ٣٥٢، ٣٨٧، ٣٨٨، ٤٢٢، ٤٣٥، ٤٦١، ٤٨١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٥٥
ابن عامر اليحصبي الشامي	٤٣، ٤٥، ٤٩، ١٠٨، ٣١٣، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٣٩، ٣٥٠، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦٨، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٥، ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٥، ٣٩٩، ٤٠٤، ٤١٠، ٤١١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٨٩، ٥٠٤، ٥٠٦، ٥٠٨، ٥١٧، ٥٢١، ٥٤٤، ٥٦١
ابن عبدان	٤٩
ابن عرفة الورغمي	٢٩٠
ابن عطية الأندلسي	٩٦، ١٣٦، ١٧٠، ٢٣٠، ٢٥٢، ٢٦١، ٢٧٣، ٢٧٤، ٣١١، ٣١٢، ٣١٨، ٣٣٨، ٣٥٦، ٤٦٠، ٤٦٤، ٤٨٥
ابن قتيبة الدينوري	١٤٢
ابن كثير المكي	ش، ٤٥، ٥٠، ٦٣، ١٠٨، ١٦٩، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٦١، ٢٦٦، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٩٦، ٣١٣، ٣٢٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٣، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٧، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٨٥، ٣٨٨،

اسم العلم	رقم الصفحة
ابن كثير المكي	٣٩٢، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٤٠، ٤٤١، ٥٠١، ٥٠٨، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٧، ٥٢١، ٥٣٣، ٥٤٤، ٥٦١
ابن مالك: جمال الدين الطائي	٢٤١
ابن مجاهد: أبو بكر	ق، ٣٠، ٤٠، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٥٠، ٥٤، ٥٩، ،٥٦٠، ٥٦١، ٥٧٢
ابن محيصن	٤١
ابن هشام الأنصاري	٢٤٢
أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق	٤٤
أبو السعود العمادي	١٩٠، ٣٠١، ٤٠١، ٤٨٠، ٤٨٦، ٥٥٧
أبو الشعثاء: جابر بن زيد	٤٨٤
أبو الفضل الرازي	٣١
أبو جعفر: يزيد بن القعقاع	ش، ٤١، ٤٦، ٤٧، ٥٠، ١١٩، ١٢٠، ٢٥٨، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٤٥، ٣٤٦، ٤٠٤، ٤٣٢، ٤٤٠، ٤٤٥، ٥١٣، ٥١٧، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٦١
أبو حنيفة: النعمان بن ثابت	٤٤٩، ٤٨٤
أبو حيان الأندلسي	ق، ش، ٩، ١٠، ١٦٧، ٢٤٥، ٢٥٦، ٢٦١، ٢٧٤، ٢٩٠، ٣٠٣، ٣١٢، ٣٤٦، ٣٧٤، ٣٩٣، ٣٩٩، ٤٠٢، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٩٩، ٥٠٠
أبو حيوة شريح بن يزيد الحضرمي	٤٣، ٤٥٨، ٥٥٧
أبو زرعة ابن زنجلة	ر، ١٦٧، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٣٠٣، ٣١١، ٣١٢، ٣١٨، ٣٩٣
أبو عبيد القاسم بن سلام	٤٤، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣١٨، ٣٢١، ٣٣٩، ٣٤٠، ٤٢٥، ٤٤٧، ٤٦٨
أبو عبيدة معمر بن المثنى	١٤٠، ٢٦١
أبو علي الفارسي	ر، ٢٣٢، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٢، ٢٧٨، ٣٠٣، ٣٣٨، ٣٤٢، ٣٥٦، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٩٣، ٤٠٢، ٤٢٥، ٤٢٩، ٤٣٥، ٤٦٩، ٤٧٩، ٤٨٢، ٥٤٥، ٥٦١
أبو عمرو بن العلاء البصري	ش، ١٧، ٣٣، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٥٣، ١٦٩، ٢١٧، ٢٣٢، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٩٩، ٣١٤، ٣١٧، ٣٤٩، ٣٥٧، ٣٦٧، ٤٠٠، ٤٠٤، ٤٢٦، ٤٣٢، ٤٣٥، ٤٤٠، ٤٤٢، ٥١٧، ٥٦١، ٥٦٢
أحمد بن حنبل	٦٤

اسم العلم	رقم الصفحة
الأخفش: سعيد بن مسعدة	ر، ٢٠٥، ٢٦٠، ٤٨٣
الأشعري: أبو الحسن	١٢٩، ١٣٠
الأصبهاني: أبو بكر	٥٠، ٣٤٥
الأعمش: سليمان بن مهران	٤٢، ١٨٥، ٣٥٤، ٤٨٥
الآلوسي: أبو الفضل شهاب الدين	٢٦٨، ٢٩٨، ٣٠٨، ٣١٩، ٣٤٢، ٣٤٦، ٤٥٨، ٥٢٠، ٥٢٣، ٥٣٢، ٥٥٥
الأنباري: أبو البركات	٢٤١
الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب	١٢٩، ١٣٠، ١٤٤
الباقولي: أبو الحسن	٥٥
البزي: أحمد بن محمد بن عبد الله	٦٣
البقاعي: برهان الدين	٢٩٣، ٣٨٢، ٣٨٣، ٤٢٣
البوطي محمد سعيد رمضان	٣١
البيضاوي: ناصر الدين	٢٥١، ٢٧٣، ٣١٤
الترمذي: الإمام أبو عيسى	ص، ١٨، ٣٥
الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر	١٤١، ١٤٢
الجرجاني: عبد القاهر	ي، ٩٠، ١٣٣، ١٣٤، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ٢٣٩، ٢٩٨، ٣٧٨، ٤٥٧، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٨١
الحسن بن يسار البصري	٢٥٠، ٢٨١، ٤٧١
حسن ضياء الدين عتر	٢٨، ٣٢، ١٣٧
حفص بن سليمان بن المغيرة	ص، ١٦، ٤٨، ٢٠٠، ٢٤٨، ٢٥٤، ٢٦١، ٣٠٤، ٣١٤، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٢، ٤٤٢، ٤٦٣، ٥١٢، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٥٨
الحلواني: أحمد بن يزيد	٤٩
حمزة بن حبيب الزيات	ش، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٢٢٧، ٢٥٣، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٢٠، ٣٤٨، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٦٩، ٣٧٠، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٢٤، ٤٤٢، ٥١١، ٥١٨، ٥٢٠، ٥٢٨، ٥٥٨، ٥٦١
حميد بن قيس الأعرج	٤١
الحُوفي أبو الحسن النحوي	٢٤٦

اسم العلم	رقم الصفحة
الخطابي: حمد بن محمد ابن خطاب البستي	٩٣، ٩٥، ١٣٤، ١٤٣
خلف بن هشام بن البزّار الكوفي	ش، ٤٧، ٤٨، ١٩٣، ٢٦٧، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٧٣، ٣٧٥، ٤٢٣، ٤٣٧، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٦، ٤٧٨، ٥٠٧، ٥٠٩، ٥١١، ٥١٧، ٥٢٨، ٥٣٣، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٨، ٥٦١
الخليل بن أحمد الفراهيدي	٥٤، ٣١٢، ٣٤٠
الداني: أبو عمرو	ق، ٤٦، ٤٧، ١١٥، ٥٦١
دراز: محمد عبد الله	١٣٦، ١٥٠
الدمياطي البناء	١٤
الرازي: فخر الدين	١٤٧، ١٦٨، ٢٥٦، ٢٧٤، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٥، ٣٠٣، ٤٠٢، ٤٢٦
الرافعي: مصطفى صادق	١٥٠
الرماني: علي بن عيسى أبو الحسن النحوي	١٤٣
روح بن عبد المؤمن	٤٩، ٢٦٦
رويس: محمد بن المتوكل أبو عبد الله	٤٨، ٦٣، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٣٥، ٥١٩
الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن السري	ر، ٢١٦، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٤٨٦
الزرقاني: عبد العظيم	١٠، ١٣، ٢٠، ٣١، ٧٦
الزركشي محمد بن بهادر	ر، ش، ٩، ١٠، ١٣، ١٥، ١٦، ٥٢، ٩٣، ٩٥، ١١٥، ١٥٦
الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر	ق، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧، ٢٤١، ٢٥٦، ٢٧٣، ٢٧٨، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣١٤، ٣٤٦، ٣٩٩، ٤٩٥، ٤٩٦، ٥٥٠
السدي: إسماعيل بن عبد الرحمن	٤٦٦
سعيد بن جبير	٦٦
سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي	٢٩٩
السكاكي: أبو يعقوب	١٤٨، ٤٧٦، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٥٢٣، ٥٥٠، ٥٧١
السمين الحلبي: أحمد بن يوسف	٢٦٢، ٣٥٢، ٣٩٣
سيبويه: عمرو بن عثمان	ر، ٥٤، ٢٤١، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٧٤، ٣١٢، ٣١٤، ٣٤٠، ٤٧٥
سيد قطب	١٥٠
السيوطي: جلال الدين	ق، ١٣، ٢٠، ٢٨، ٦٢، ٩٥، ٢٥٦، ٥٤١، ٥٦٤
الشاطبي: القاسم بن فيرة	٤٧، ٤٨، ٥٦١

اسم العلم	رقم الصفحة
الشربيني: شمس الدين محمد بن أحمد	٢٩٣، ٢٩٤
شعبان إسماعيل	١٥، ٣١
شعبة أبو بكر بن عياش	١٩٦، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٥٢، ٣١٣، ٣٢٢، ٤٢٣، ٤٣٧، ٥٠٦، ٥٠٩، ٥٣٨
الشوكاني: محمد بن علي	٢٦٨، ٣١٨
شيبة بن نصاح	٤١
الطبري أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد	٤٥، ٥٤، ٧٩، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٦٧، ١٨٩، ١٩٠، ٢٠٤، ٢١٢، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٣٢، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٦٠، ٢٦٤، ٢٧٣، ٢٧٨، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٠٠، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣١١، ٣١٢، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٥٢، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٧٤، ٤٠١، ٤١٢، ٤١٣، ٤٢٥، ٤٤٧، ٤٥٠، ٤٦٨، ٥٦٢، ٥٧٢
عاصم الجحدري: أبو المجشِّر	٤٢
عاصم بن أبي النجود	ص، ش، ١٦، ٣٣، ٤٢، ٤٥، ٤٨، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٥٣، ٣٠٧، ٣١٣، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٤٩، ٤٠٤، ٤٢٣، ٤٤٠، ٤٤١، ٥٠٤، ٥٠٦، ٥١٣، ٥١٧، ٥٢٦
عطية بن قيس الكلابي	٤٣
العكبري: أبو البقاء	ر، ش، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٦٢، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٣١٨، ٣٥١، ٣٥٢، ٤٦١، ٤٨٢، ٤٨٤
علقمة بن قيس	٦٦
عيسى بن عمر الثقفي	٤٢
الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد	ر، ١٣٩، ٢٠٥، ٢١٦، ٢٤١، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٩٤، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٤٦، ٣٩٦، ٤٠٤، ٤٦٨
الفضل بن شاذان	٤٩
قالون: عيسى بن ميناء بن وردان	٥٠
قتادة بن دعامة السدوسي	٢٠٥، ٤٨٥
القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري	٢٤٦، ٢٤٨، ٢٧٦، ٢٩٠، ٢٩٥، ٣١٨، ٣٢١، ٣٤٦، ٣٥٨، ٣٧٤، ٣٩٦، ٥٤٥
القزويني: جلال الدين	٨٧، ٨٨، ٤٩٥

اسم العلم	رقم الصفحة
قنبل: أبو عمر محمد بن عبد الرحمن	٦٣
الكسائي: علي بن حمزة	ش، ٤٢، ٤٥، ٤٨، ٥٠، ٧٨، ١٢٠، ١٢١، ٢٠٦، ٢٦٣، ٢٧٥، ٢٧٦، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣١٧، ٣٤٨، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٤٤، ٤٤٥، ٥١٨، ٥٦١
الكفوي: أبو البقاء	ر، ٩٢
لاشين: موسى شاهين	٣٢
مالك بن أنس	٦٤
المبرِّد: أبو العباس محمد بن يزيد	٢٩٨، ٣١٤، ٤٧٨
مجاهد بن جبر	٣١٥
محيسن: الدكتور محمد سالم	١٤، ١٥، ١٦، ٥٥
المفضَّل بن محمد الضبي	٤٨٢، ٤٨٣
مقاتل بن سليمان	٤٤
مكي بن أبي طالب القيسي	٣٣، ٥٢، ٥٥، ٢٢٣، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٥٠، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٩٤، ٢٩٦، ٣٠٤، ٣٠٩، ٣١٤، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٣٥، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٥٢، ٣٥٥، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٨٢، ٣٨٨، ٣٩٥، ٤٠٧، ٤٢٥، ٤٣٨، ٤٧٩، ٥٤٥، ٥٦٢
نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني	ش، ١٧، ٣٣، ٤١، ٤٥، ٤٨، ٥٠، ٢٦٩، ٢٨٦، ٣١٤، ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٨٥، ٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٢، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٨٩، ٥١٤، ٥٢٢، ٥٣٢، ٥٦١
النحاس: أبو جعفر	ر، ١١٤، ٢٢٣، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٥٣، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٩٠، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٨، ٣١٢، ٣١٤، ٣١٨، ٣٢٢، ٣٤٦، ٣٥٢، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٩، ٤٠٤
نور الدين عتر	د، ٣٢
النيسابوري: نظام الدين	٢٩١، ٢٩٢
هشام بن عمار السلمي	٤٩، ٣٥٧
الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد	١٨٩، ٣١٥، ٣١٦
ورش: عثمان بن سعيد المصري	١٧، ٤٨، ٥٠، ٣٤٥

اسم العلم	رقم الصفحة
الوليد بن المغيرة	١٣٩
يحيى بن الحارث الذماري	٤٣
يحيى بن حمزة بن العلوي اليمني	١٤٩، ٥٥٠
يعقوب بن إسحاق الحضرمي	ش، ٤٢، ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٦٣، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٩، ٣٣٩، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٣، ٣٦٤، ٤٠١، ٤٢٣، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٦، ٤٦٩، ٥٠٦، ٥٠٩، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٦١

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر والمراجع:

١. الإبانة عن معاني القراءات، للإمام مكي بن أبي طالب حموش القيسي (٤٣٧هـ)، تح: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ط، د.ت.

٢. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي (١٣٠٧هـ)، تح: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٣٩٨هـ. ١٩٧٨م.

٣. إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، للعلّامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (٦٦٥هـ)، تح: إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، د.ط، د.ت.

٤. أبنية الأفعال: دراسة لغوية قرآنية، د. نجاة عبد العظيم الكوفي، دار الثقافة، القاهرة، د.ط./١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٥. الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، للعلّامة علي بن عبد الكافي السبكي (٧٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٦. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للعلّامة شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي (١١١٧هـ)، تح: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٧. إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، ط١/١٩٩٧م.

٨. الإتقان في علوم القرآن، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د. ط./١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

٩. أثر القراءات الشاذة في الدراسات النحوية والصرفية، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في النحو والصرف، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، إعداد: أحمد محمد أبو عريش الغامدي، إشراف: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

١٠. أثر القراءات في تعدد المعاني في تفسير التحرير والتنوير، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في جامعة دمشق، قسم علوم القرآن والحديث، إعداد الطالبة انشراح سويد، إشراف د. علي أسعد، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

١١. الأحرف السبعة للقرآن، للإمام أبي عمرو الداني، (٤٤٤هـ)، تح: د. عبد المهيمن الطحان، دار المنارة، جدة، ط١/١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٢. الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها، د. حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، دمشق، ط١/١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

١٣. الأحرف القرآنية السبعة، د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، عالم الكتب، الرياض، ط١/١٤١١هـ-١٩٩١م.

١٤. أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (٥٤٣هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣/١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٥. الإحكام في أصول الأحكام، لأبي الحسن علي بن محمد الآمدي (٦٣١هـ)، تح: د. سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١/١٤٠٤هـ.

١٦. أخبار القضاة، للقاضي أبي بكر محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي البغدادي، الملقب بوكيع، (٣٠٦هـ)، تح: عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١/ ١٣٦٦هـ-١٩٤٧م.

١٧. اختلاف البنيَّة الصرفيَّة في القراءات السبع من طريق الشاطبيَّة، توجيهه وأثره على المعنى، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغويات والنحو والصرف، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، إعداد الطالب: منصور سعيد أحمد أبو راس، إشراف: د. مصطفى عبد الحفيظ سالم، ١٤٢٥-١٤٢٦هـ.

١٨. الاختيار عند القراء، مفهومه، مراحله، وأثره في القراءات، بحث مقدَّم لنيل درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية، إعداد الطالب: أنيس بن إدريس بن عبد الرحمن فلاته، إشراف: د. محمد ولد سيدي ولد حبيب، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، ١٤٢١هـ.

١٩. الاختيار لتعليل المختار، لأبي الفضل عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي (٦٨٣هـ)، تح: عبد اللطيف محمد عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣/١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٢٠. أدب الكاتب، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروزي الدينوري (٢٧٦هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر، ط٤/١٩٦٣م.

٢١. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء، لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (٦٢٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١١ هـ-١٩٩١م.

٢٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، للإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي، (٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط.، د.ت.

٢٣. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للعلَّامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠هـ)، تح: الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، ط١/١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٢٤. الإرشادات الجلية في القراءات السبع من طريق الشاطبية، د. محمد سالم محيسن (١٤٢٢هـ)، دار محيسن، القاهرة، ط١/١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٢٥. أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري (٥٣٨هـ)، دار الفكر، دمشق، د.ط./١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٢٦. أسباب النزول، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (٤٦٨هـ)، دار الاتحاد العربي ومؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، د.ط./١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

٢٧. أسرار البلاغة، للإمام عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط١/١٩٩١م.

٢٨. أسرار العربية، لأبي البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد الأنباري (٥٧٦هـ)، تح: د. فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، ط١/١٩٩٥م.
٢٩. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، د. محمد بن محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، ط٤/١٤٠٨هـ.
٣٠. إسعاف المبطأ برجال الموطأ، للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، د.ط./١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
٣١. أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د. حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط./١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٣٢. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النّورسي، تح: إحسان قاسم الصالحي، ط١/١٤٠٩هـ-١٩٩٣م.
٣٣. الأشباه والنظائر، للإمام تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١١هـ-١٩٩١م.
٣٤. أشهر المصطلحات في فن الأداء وعلم القراءات، ويليه متن الدرة المضية، أحمد محمود عبد السميع الحفيان، دار الكتب العلمية بيروت، ط١/١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٣٥. أصول السرخسي، للعلّامة محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي أبي بكر (٤٨٣هـ)، د.ط.، د.ت.
٣٦. الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن سهل السراج النحوي البغدادي (٣١٦هـ)، تح: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط.، د.ت.
٣٧. الأصول، دراسة أبيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، حسان تمام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط./١٩٨٢م.
٣٨. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، (١٣٩٣هـ)، تح: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ط١/١٤١٥هـ. ١٩٩٥م.
٣٩. الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة، د.أحمد بن محمد الخراط، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ط./ ١٤٢٦هـ.
٤٠. إعجاز القراءات القرآنية (دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القراء)، صبري الأشوح، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١/١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٤١. إعجاز القرآن البياني، ودلائل مصدره الرباني، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، عمان، ط١/١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٤٢. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي (١٩٣٧م)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٩/١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
٤٣. إعجاز القرآن، للإمام أبي بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني (٤٠٣هـ)، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط٥/١٩٩٧م.

٤٤. الإعجاز في دراسات السابقين، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، ط١/١٩٧٤م.
٤٥. إعراب القراءات السبع وعللها، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (٣٧٠هـ)، تح: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١/١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
٤٦. إعراب القرآن، المنسوب إلى الزجاج، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامي، دار الكتاب المصري، القاهرة، د.ط.، د.ت.
٤٧. إعراب القرآن، للعلَّامة أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (٣٣٨هـ)، تح: د.زهير غازي زاهد، دار عالم الكتب، بيروت، ط٣/١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
٤٨. الإعلال والإبدال والإدغام في ضوء القراءات القرآنية واللهجات العربية، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الفلسفة في اللغة العربية، تخصص النحو والصرف، جامعة أم القرى، كلية التربية للبنات، مكة المكرمة، إعداد الطالبة: أنجب غلام نبي بن غلام محمد، إشراف: أ. د. عبد الله درويش، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
٤٩. أعلام تونسيون، الصادق الزمرلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١/١٩٨٦م.
٥٠. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي (١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط٥/١٩٨٠م.
٥١. الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، تح: علي مهنا، وسمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط٢/د.ت.
٥٢. الإقناع في القراءات السبع، للإمام أبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري ابن الباذش (٥٤٠هـ)، تح: الشيخ أحمد فريد المزيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
٥٣. اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، أدورد فنديك، دار صادر بيروت، ط١/١٨٩٦م.
٥٤. الأم، للإمام أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي (٢٠٤هـ) مع مختصر المزني، دار الفكر، دمشق، ط٢/١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٥٥. الإمام محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير والتنوير، للطالب محمد سعد ابن عبد الله القرني، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، إشراف: د. محمد ولد سيدي ولد حبيب، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة.
٥٦. إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (٦١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٥٧. الانتصاف من الكشاف، للعلَّامة أحمد بن محمد المعروف بابن المنير السكندري (٦٨٣هـ)، حاشية على الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، للعلَّامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١/١٤٠٧هـ.
٥٨. الأنساب، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (٥٦٢هـ)، تح: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، ط١/١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٥٩. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (٥٧٦هـ)، دار الفكر، دمشق، د.ط.، د.ت.
٦٠. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للإمام ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي البيضاوي، (٦٨٥هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ط.، د.ت.
٦١. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري (٧٦١هـ)، دار الجيل، بيروت، ط٥/١٩٧٩م.
٦٢. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبي بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٥/١٤٢٤هـ-٢٠٠٠م.
٦٣. الإيضاح في علوم البلاغة، لجلال الدين أبي عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني (٧٣٩هـ)، تح: الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٤/١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٦٤. الإيضاح في علوم البلاغة، لجلال الدين أبي عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني (٧٣٩هـ)، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط٣/د.ت.
٦٥. الإيمان، للعلَّامة أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٧٢٨هـ)، تح: محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي، عمان/الأردن، ط٥/١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٦٦. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين ابن نجيم الحنفي (٩٧٠هـ)، دار المعرفة، بيروت، د.ط.، د.ت.
٦٧. بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي (٣٧٣هـ)، تح: د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
٦٨. البحر المحيط في أصول الفقه، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (٧٩٤هـ)، تح: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٦٩. البحر المحيط، للعلَّامة محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، (٧٤٥هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٧٠. البحر المديد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي (١٢٢٤هـ)، دار الكتب العلمية . بيروت، ط٢/١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.
٧١. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، للإمام أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي الشهير بابن رشد الحفيد (٥٩٥هـ)، تح: خالد العطار، دار الفكر، بيروت، د.ط.، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٧٢. البداية والنهاية، للحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (٧٧٤هـ)، تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١/١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٧٣. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للعلَّامة علاء الدين الكاساني (٥٨٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، ١٩٨٢م.

٧٤. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للعلَّامة القاضي محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ)، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٧٥. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للعلَّامة محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ)، دار المعرفة، بيروت، د.ط.، د.ت.
٧٦. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، للشيخ عبد الفتاح القاضي، (١٤٠٣هـ)، تح: الشيخ صبري رجب كريِّم، دار السلام، القاهرة، ط١/١٤٢٩هـ. ٢٠٠٨م.
٧٧. البديع، عبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي (٢٩٦هـ)، تح: إغناطيوس كراتشقوفسكي، دار المسيرة، بيروت، ط٣/١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
٧٨. البرهان في أصول الفقه، للعلَّامة عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (٤٧٨هـ)، تح: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٧٩. البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط٣/١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٨٠. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، أ. عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ط/١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٨١. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، د.ط.، د.ت.
٨٢. البلاغة الاصطلاحية، د. عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣/١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٨٣. البلاغة العالية، أ. عبد المتعال الصعيدي، تح: د. عبد القادر حسين، مطبعة الآداب والمطبعة النموذجية، القاهرة، ط٢/١٤١١هـ-١٩٩١م.
٨٤. البلاغة العربية (أسسها وعلومها وفنونها)، للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم/دمشق، والدار الشامية/بيروت، ط١/١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٨٥. البلاغة تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٩/١٩٩٥م.
٨٦. البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، إربد/الأردن، ط٤/١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٨٧. البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية، أ.د.فضل حسن عباس، دار النور، بيروت، ط١/١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
٨٨. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، للعلَّامة محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، (٨١٧هـ)، تح: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط١/١٤٠٧هـ.
٨٩. بيان إعجاز القرآن، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (٣٨٨هـ)، ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني (٣٨٦هـ)، والخطابي (٣٨٨هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، تح: محمد خلف الله، ود.محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط٣/١٩٧٦م.

٩٠. البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)، تح: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط١/١٩٦٨م.
٩١. تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام اللغوي أبي الفيض محمد بن محمّد بن عبد الرزّاق مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي، (١٢٠٥هـ)، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ط.، د.ت.
٩٢. تاريخ القراءات في المشرق المغرب، د. محمد المختار ولد أباه، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، المغرب، د. ط.، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٩٣. تاريخ القرآن، د.عبد الصبور شاهين، دار القلم، بيروت، د.ط./١٩٦٦م.
٩٤. تاريخ القرآن الكريم، د. محمد سالم محيسن (١٤٢٢هـ)، دار محيسن، القاهرة، ط١/١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٩٥. تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.، د.ت.
٩٦. تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، لأبي الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي (بعد ٧٩٣هـ)، تح: د.مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٩٧. تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ)، تح: أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط٢/١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
٩٨. التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (٦١٦هـ)، تح: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، د.ط.، د.ت.
٩٩. تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، للحافظ المؤرِّخ علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي (٥٧١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣/١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
١٠٠. تحبير التيسير في القراءات العشر، للإمام شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف ابن الجزري (٨٣٣هـ)، دار الفرقان، تح: د.أحمد محمد مفلح القضاة، الأردن /عمان، ط١/١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
١٠١. التحرير والتنوير، المعروف بتفسير ابن عاشور، للشيخ الطاهر ابن عاشور (١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١/١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
١٠٢. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، د.ط.،د.ت.
١٠٣. تذكرة الحفاظ، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، تح: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
١٠٤. التذكرة في القراءات الثلاث المتواترة وتوجيهها من طريق الدرّة، د. محمد سالم محيسن، مطبعة مختار، د.ط/١٩٧٨م.

١٠٥. التذكرة في القراءات الثمان، للإمام أبي الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون (٣٩٩هـ)، رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، تح: د.أيمن رشدي سويد، بإشراف: د.محمود محمد الطناحي، أ.د.عبد الفتاح إسماعيل شلبي، عام ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٠٦. تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١/١٩٨٢م.

١٠٧. التسهيل لعلوم التنزيل، للإمام أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزيّ الكلبي (٧٤١هـ)، تح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٠٨. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١٦/١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٠٩. التعديل والتجريح لمن خرَّج له البخاري في الجامع الصحيح، للحافظ أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي المالكي (٤٧٤هـ)، تح: د.أبو لبابة حسين، دار اللواء، الرياض، ط١/١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١١٠. تفسير ابن عرفة المالكي، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي (٨٠٣هـ)، تح: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، ط١/١٩٨٦م.

١١١. التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف، القاهرة، ط٥/١٩٦٨م.

١١٢. تفسير الجلالين، للإمامين جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (٨٦٤هـ)، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، دار الحديث، القاهرة، ط١/د.ت.

١١٣. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، للعلَّامة علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (٧٤١هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١/١٣٩٩ هـ /١٩٧٩م.

١١٤. تفسير السراج المنير، للعلَّامة شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني (٩٧٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.، د.ت.

١١٥. تفسير العز بن عبد السلام، للإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي (٦٦٠هـ)، تح: د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، ط١/١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١١٦. تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (٣٩٩هـ)، تح: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، ط١/١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١١٧. تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، للإمام الحافظ عبد الرحمن بن محمَّد ابن إدريس الرازي ابن أبي حاتم (٣٢٧هـ)، تح: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرَّمة والرياض، ط١/١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١١٨. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ)، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الرياض، ط٢/١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١١٩. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ. د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١/١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

١٢٠. تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي (١٥٠هـ)، تح: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٢١. التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧/١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م.

١٢٢. التفسير وعلوم القرآن، أ.د.نور الدين عتر، منشورات جامعة دمشق، د.ط./١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

١٢٣. تقريب التهذيب، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تح: محمد عوَّامة، دار الرشيد، حلب، ط١/ ١٤٠٦هـ.

١٢٤. التقرير والتحبير، للعلَّامة محمد بن محمد ابن أمير الحاج الحنبلي (٧٣٣هـ)، تح: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

١٢٥. التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، لأبي بكر محمد بن عبد الغني البغدادي (٦٢٩هـ)، تح: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٠٨هـ.

١٢٦. التلخيص في القراءات الثمان، للإمام أبي معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري (٤٧٨هـ)، رسالة مقدَّمة إلى قسم الكتاب والسنة لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، إعداد الطالب: محمد حسن عقيل موسى، بإشراف: د. محمد ولد سيدي ولد الحبيب، عام ١٤١٢هـ.

١٢٧. التلخيص في علوم البلاغة، لجلال الدين أبي عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني (٧٣٩هـ)، تح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢/١٩٣٢م.

١٢٨. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (٤٦٣هـ)، تح: مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري، نشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، د.ط/١٣٨٧هـ.

١٢٩. تنوع خطاب القرآن الكريم في العهد المدني (دراسة لغوية)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها إلى قسم اللغة العربية بكلية التربية، بعدن، إعداد الطالب: صالح عبد الله منصور مسود العولقي، إشراف: د.عبد الله صالح عمر بابعير، ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.

١٣٠. تهذيب التهذيب، للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، دار الفكر دمشق، ط١/١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

١٣١. تهذيب الكمال، للحافظ يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبي الحجاج المزي (٧٤٢هـ)، تح: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١/١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

١٣٢. تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، (٣٧٠هـ)، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١/١٤٢١هـ -٢٠٠١م.

١٣٣. التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، د. أحمد سعد محمد، نشر مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢/د.ت.

١٣٤. توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية لغة وإعراباً وتفسيراً، بحث مقدَّم لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، إعداد الطالب: عبد العزيز بن علي بن علي الحربي، إشراف: د. محمد سيدي الحبيب، عام ١٤١٧هـ.

١٣٥. التوضيح الأبهر لتذكرة ابن الملقن في علم الأثر، للإمام محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان السخاوي (٩٠٢هـ)، تح: عبد الله بن محمد عبد الرحيم البخاري، مكتبة أصول السلف، الرياض، ط١/١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

١٣٦. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (٧٤٩هـ)، تح: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط١/١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.

١٣٧. تونس وجامع الزيتونة، محمد الخضر حسين، تح: علي الرضا الحسيني،ط/١٣٩١هـ-١٩٧١م.

١٣٨. تيسير التحرير، للعلَّامة محمد أمين المعروف بأمير بادشاه (٩٧٢هـ)، دار الفكر، دمشق، د.ط.، د.ت.

١٣٩. التيسير في القراءات السبع، للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو الداني (٤٤٤هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢/١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

١٤٠. الثقات، للحافظ محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي (٣٥٤هـ)، تح: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، دمشق، ط١/١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

١٤١. جامع البيان في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني (٤٤٤هـ) (من أول فرش الحروف إلى نهاية سورة الأنعام)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، دراسة وتحقيق: طلحة بن محمد توفيق بن ملا حسن، إشراف: أ.د. محمد بن سيدي بن حبيب الشنقيطي، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، العام الدراسي: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٤٢. جامع البيان في تأويل القرآن، للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (٣١٠ هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١/١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠م.

١٤٣. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (٦٧١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١/١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

١٤٤. الجرح والتعديل، للإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبي محمد الرازي التميمي (٣٢٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١/١٢٧١هـ-١٩٥٢م.

١٤٥. جزء فيه قراءات النبي ﷺ، للإمام حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان بن عدي بن صهبان أبي عمرو الدوري (٢٤٦هـ)، تح: د.حكمت بشير ياسين، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١/١٩٨٨م.

١٤٦. الجنى الداني في حروف المعاني، لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (٧٤٩هـ)، تح: د. فخر الدين قباوة، أ. محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

١٤٧. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، تح: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١/١٩٩٩م.
١٤٨. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (٨٧٥هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ط.، د.ت.
١٤٩. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لأبي محمد عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي (٧٧٥هـ)، نشر مير محمد كتب خانه، كراتشي، د.ط.، د.ت.
١٥٠. حاشية ابن التمجيد مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي (٨٨٠هـ) على تفسير الإمام البيضاوي (٦٨٥هـ)، تح: عبد الله محمود محمد عمر، مطبوعة على ذيل حاشية القونوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
١٥١. حاشية الآجرومية، للعلَّامة عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي (١٣٩٢هـ)، د.ط.، د.ت.
١٥٢. حاشية الشهاب الخفاجي (١٠٦٩هـ) المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي (٦٨٥هـ)، دار صادر، بيروت، د.ط.، د.ت.
١٥٣. حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، للعلَّامة محمد بن علي الصبان الشافعي (١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
١٥٤. حاشية العطار على جمع الجوامع، حاشية الشيخ حسن بن محمد بن محمود العطار (١٢٥٠هـ) على شرح المحلي على جمع الجوامع للإمام ابن السبكي (٧٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.، د.ت.
١٥٥. حاشية القونوي عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي (١١٩٥هـ) على تفسير الإمام البيضاوي (٦٨٥هـ)، ومعه حاشية ابن التمجيد مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي (٨٨٠هـ)، تح: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
١٥٦. حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، للمحقق محمد أمين الشهير بابن عابدين (١٢٥٢هـ)، ويليه تكملة ابن عابدين لنجل المؤلف، تح: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، د.ط/١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
١٥٧. الحاوي الكبير، للعلَّامة أبي الحسن الماوردي (٤٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
١٥٨. حجة القراءات، للإمام عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبي زرعة (٤٠٣هـ)، تح: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥/١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١٥٩. الحجة في القراءات السبع، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (٣٧٠هـ)،تح: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط٤/١٤٠١هـ.

١٦٠. الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد، للإمام أبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (٣٧٧هـ)، تح: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط١/١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
١٦١. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للعلَّامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبرهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١/١٣٦٨هـ-١٩٦٧م.
١٦٢. حواشي العلامتين الفهامتين الشيخ عبد الحميد الشرواني والعلَّامة الشيخ أحمد بن قاسم العبادي على تحفة المحتاج بشرح المنهاج، للإمام شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي الشافعي(٨٥٢هـ)، وبهامشه تحفة المحتاج بشرح المنهاج، د.ط.، د.ت.
١٦٣. الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١/١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
١٦٤. خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧/١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
١٦٥. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د.عبد العظيم المطعنى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١/١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
١٦٦. الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، تح: محمد علي النجار، دار عالم الكتب، بيروت، د.ط.، د.ت.
١٦٧. الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن الكريم، فريد بن عبد العزيز الزامل السُلَيم، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١/١٤٢٧هـ.
١٦٨. خواطر حول القرآن الكريم المعروف بتفسير الشعراوي، للشيخ محمد متولي الشعراوي، تح: د.أحمد عمر هاشم، مطابع أخبار اليوم الثقافية، د.ط./١٩٩١م.
١٦٩. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدايم السمين الحلبي (٧٥٦هـ)، تح: أحمد محمد الخرَّاط، دار القلم، دمشق، د.ط.، د.ت.
١٧٠. دراسات لأسلوب القرآن، أ.عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة، د.ط.، د.ت.
١٧١. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (٨٥٢هـ)، تح: محمد عبد المعيد ضان، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر أباد/الهند، ط٢/١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
١٧٢. دروس التصريف، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ط١/١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
١٧٣. دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٧/١٩٩٢م.
١٧٤. دلائل الإعجاز، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (٤٧١هـ)، تح: د.محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١/١٩٩٥م.
١٧٥. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي (٧٩٩هـ)، تح: د.محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث القاهرة، د.ط.، د.ت.

١٧٦. ديوان الحطيئة، تح: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، ط٢/١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
١٧٧. ديوان النابغة الجعدي، تح: عبد العزيز الرباح، مطبوعات المكتب الإسلامي، دمشق، د.ط./١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
١٧٨. ديوان حسان بن ثابت ﷺ، تح: د.وليد عرفات، دار صادر، بيروت، د.ط/٢٠٠٦م.
١٧٩. ديوان زهير بن أبي سلمى، بشرح ثعلب، القاهرة، د.ط./١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
١٨٠. الرسالة الشافية، للإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (٤٧١هـ)، ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني (٣٨٦هـ)، والخطابي (٣٨٨هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، تح: محمد خلف الله، ود.محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط٣/١٩٧٦م.
١٨١. رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم، دوافعها ودفعها، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٤/١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
١٨٢. رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، لأبي النصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٦٣هـ)، تح: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، عالم الكتب، بيروت، ط١/١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
١٨٣. روائع البيان في إعجاز القرآن، أ.د. محمد سالم محيسن، دار محيسن، القاهرة، ط١/١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
١٨٤. روح البيان في تفسير القرآن، لأبي الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي (١١٢٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط.، د.ت.
١٨٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلّامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، (١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط.، د.ت.
١٨٦. روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ)، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ)، تح: د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ط٢/١٣٩٩هـ.
١٨٧. الروضة في القراءات الإحدى عشرة، للإمام أبي علي الحسن بن محمد بن إبراهيم المالكي البغدادي (٤٣٨هـ)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، دراسة وتحقيق: نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل، إشراف: د.عبد العزيز بن أحمد إسماعيل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه، عام ١٤١٥هـ.
١٨٨. زاد المسير في علم التفسير، للإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣/١٤٠٤هـ.
١٨٩. زاد المعاد في هدي خير العباد، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (٧٥١هـ)، تح: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط١٤/١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.
١٩٠. الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (٣٢٨هـ)، تح: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١/١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١٩١. السبعة في القراءات، لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي، (٣٢٤هـ)، تح: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢/١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

١٩٢. سر الفصاحة، للأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

١٩٣. سنن ابن ماجه، للحافظ محمد بن يزيد أبي عبد الله القزويني (٢٧٥هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، د.ط.، د.ت.

١٩٤. سنن أبي داود، للحافظ سليمان بن الأشعث أبي داود السجستاني الأزدي (٢٧٥هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

١٩٥. سنن البيهقي الكبرى، للحافظ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبي بكر البيهقي (٤٥٨هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، د.ط./١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

١٩٦. سنن الترمذي، للإمام الحافظ محمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي السلمي، (٢٧٩هـ)، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط.، د.ت.

١٩٧. السنن الكبرى، للإمام أحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي (٣٠٣هـ)، تح: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١١هـ-١٩٩١م.

١٩٨. سير أعلام النبلاء، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (٧٤٨هـ)، تح: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩/١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

١٩٩. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي (١٠٨٩هـ)، تح: عبد القادر ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١/١٤٠٦-١٩٨٦م.

٢٠٠. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لابن عقيل عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (٧٦٩هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط٢٠/١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٢٠١. شرح الرضي على كافية ابن الحاجب (٦٤٦هـ)، لرضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي (٦٨٦هـ)، تح: يوسف حسن عمر، نشر جامعة قاريونس، د.ط./١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٢٠٢. شرح الزركشي على مختصر الخرقي، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي (٧٧٢هـ)، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢٠٣. شرح القصيدة الكافية في التصريف، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، تح: د. ناصر حسين علي، المطبعة التعاونية، دمشق، د.ط.، د.ت.

٢٠٤. شرح الكوكب المنير، لأبي البقاء تقي الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار (٩٧٢هـ)، تح: محمد الزحيلي و نزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط٢/١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٠٥. شرح المفصل، لموفق الدين ابن يعيش النحوي (٦٤٣هـ)، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المتنبي القاهرة، د.ط.، د.ت.

٢٠٦. شرح ديوان الحماسة، لأبي تمَّام، تأليف أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (٤٢١هـ)، تح: غَريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٢٠٧. شرح شافية ابن الحاجب، لرضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي (٦٨٦هـ)، تح: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد يحيى عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٢٠٨. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، للعلَّامة عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام (٧٦١هـ)، تح: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ط١/١٩٨٤م.

٢٠٩. شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لأبي القاسم محمد بن محمد بن محمد بن علي النويري (٨٥٧هـ)، تح: د. مجدي محمد سرور سعد باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٢١٠. شرح فتح القدير، للعلَّامة كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي (٦٨١هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ط.، د.ت.

٢١١. شرح قصيدة "بانت سعادُ" للشيخ أبي محمد جمال الدين عبد الله ابن هشام الأنصاري (٧٦١هـ)، وبهامشه حاشية الإمام الشيخ إبراهيم الباجوري (١٢٧٧هـ)، د.ط.، د.ت.

٢١٢. شرح قصيدة كعب بن زهير "بانت سعادُ" في مدح رسول الله ﷺ، لابن حجة الحموي (٨٣٧هـ)، تح: د. علي حسين البوّاب، مكتبة المعارف الرياض، طبعة جديدة/١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.

٢١٣. شرح قطر الندى وبل الصدى، لأبي محمد عبد الله جمال الدين ابن هشام الأنصاري، (٧٦١هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط١١/١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.

٢١٤. شرح مختصر التصريف العِزّي في فن الصرف لمسعود بن عمر سعد الدين التفتازاني، تح: د. عبد العال سالم مُكرَم، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط٨/١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢١٥. شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ)، تح: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٠هـ.

٢١٦. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للعلَّامة القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي (٥٤٤هـ)، مذيلاً بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، للعلَّامة أحمد بن محمد بن محمد الشمني (٨٧٣هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١/١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٢١٧. شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، لأبي عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي (٦٧٢هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.، د.ت.

٢١٨. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، للعلَّامة أحمد بن علي القلقشندي (٨٢١هـ)، تح: د.يوسف علي طويل دار الفكر، دمشق، ط١/١٩٨٧م.

٢١٩. الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، للعلَّامة إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢/١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٢٢٠. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (٣٥٤هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢/١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٢٢١. صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي (٢٥٦هـ)، تح: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، واليمامة، بيروت، ط٣/١٤٠٧هـ. ١٩٨٧م.

٢٢٢. صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط.، د.ت.

٢٢٣. صفاء الكلمة في التعبير القرآني، د. عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض، ط١/١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٢٢٤. صفوة الصفوة، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي (٥٩٧هـ)، تح: محمود فاخوري، د.محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، ط٢/١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٢٢٥. الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (٣٩٥هـ)، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط./١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٢٢٦. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للعلَّامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، (٩٠٢هـ)، مكتبة الحياة، بيروت، د.ط.، د.ت.

٢٢٧. طبقات الحفاظ، للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، (٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٠٣هـ-١٩٨٢م.

٢٢٨. طبقات الشافعية الكبرى، للإمام تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٦٣هـ)، تح: د. محمود محمد الطناحي، ود.عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، ط٢/١٤١٣هـ.

٢٢٩. طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، (٨٥١هـ)، تح: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط١/١٤٠٧هـ.

٢٣٠. طبقات الفقهاء، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، (٤٧٦هـ)، تهذيب محمد بن جلال الدين ابن منظور، تح: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ط١/١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

٢٣١. طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، تح: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط١/١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢٣٢. طبقات المفسرين، للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (٩١١هـ)، تح: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١/١٣٩٦هـ.

٢٣٣. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن العلوي اليمني (٧٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط./١٩٨٣م.

٢٣٤. طيبة النشر في القراءات العشر، للإمام محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن الجزري (٨٣٣هـ)، تح: محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى، جدة، ط١/١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٢٣٥. الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، تقديم محمود شاكر، ط١/١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
٢٣٦. الظواهر الصوتية في كتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الغرناطي في ضوء علم اللغة الحديث، بحث مقدَّم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، إعداد: عبد القادر سيلا، وإشراف: أ.د.فوزي يوسف الهابط، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية اللغة العربية، قسم اللغويات، العام الدراسي ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٢٣٧. العبر في خبر من غبر، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، تح: د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، د.ط./١٩٨٤م.
٢٣٨. العقيدة الطحاوية، للإمام أبي جعفر الطحاوي (٣٢١هـ)، تح: مجدي أبو عريش، دار البيارق، بيروت، عمان، ط١/١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٢٣٩. علل القراءات، لأبي منصور الأزهري (٣٧٠هـ)، تح: نوال إبراهيم الحلوة، ط١/١٤١٢هـ.
٢٤٠. علل النحو، لأبي الحسن محمد بن عبد الله الورَّاق، تح: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض، ط١/١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٢٤١. علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٥/١٩٩٨م.
٢٤٢. علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح، للإمام أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح (٦٤٣هـ)، تح: د. نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١/١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
٢٤٣. العنوان في القراءات السبع، لأبي طاهر إسماعيل بن خلف المقرئ الأنصاري الأندلسي (٤٥٥هـ)، تح: د.زهير زاهد، د.خليل العطية، دار عالم الكتب، بيروت، ط١/١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٢٤٤. العين، للعلَّامة اللغوي الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ)، تح: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار الهلال، د.ط.، د.ت.
٢٤٥. غاية النهاية في طبقات القراء، للإمام محمد بن محمد ابن الجزري (٨٣٣هـ)، نشر براجستر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣/١٤٠٢هـ.
٢٤٦. الغاية في القراءات العشر، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني (٣٨١هـ)، تح: محمد غياث الجنباز، دار الشوَّاف، الرياض، ط٢/١٤١١هـ-١٩٩٠م.
٢٤٧. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (بعد ٨٥٠هـ)، تح: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٢٤٨. غريب القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ)، تح: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط./١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
٢٤٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، (٨٥٢هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، د.ط./١٣٧٩هـ-١٩٥٩م.
٢٥٠. فتح الرحمن الرحيم في تفسير القرآن الكريم، أ.د. محمد سالم محيسن، دار محيسن، القاهرة، ط١/١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٢٥١. فتح العزيز شرح الوجيز، لأبي القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي (٦٢٣هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ط.، د.ت.

٢٥٢. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ط.، د.ت.

٢٥٣. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للإمام الطيبي الحسين بن عبد الله (٧٤٣هـ)، دراسة وتحقيق لسورة آل عمران، رسالة معدة لنيل درجة الماجستير، إعداد: حسن بن أحمد بلغيث العمري، بإشراف: د.حكمت بشير ياسين، الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، كلية القرآن الكريم، قسم التفسير، عام ١٤١٦هـ.

٢٥٤. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للإمام الطيبي الحسين بن عبد الله (٧٤٣هـ)، دراسة وتحقيق من أوله إلى آية ١١٧ من سورة البقرة، رسالة معدة لنيل درجة الدكتوراه، إعداد: صالح عبد الرحمن الفايز، بإشراف: د.حكمت بشير ياسين، الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، كلية القرآن الكريم، قسم التفسير، عام ١٤١٣هـ.

٢٥٥. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للإمام الطيبي الحسين بن عبد الله (٧٤٣هـ)، دراسة وتحقيق لسورة الأنعام، رسالة معدة لنيل درجة الماجستير، إعداد: أمجد علي شاه، بإشراف: د.حكمت بشير ياسين، الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، كلية القرآن الكريم، قسم التفسير، د.ت.

٢٥٦. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للإمام شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، دراسة وتحقيق سورة الأنبياء إلى نهاية سورة الشعراء، رسالة معدة لنيل درجة الماجستير، إعداد: عبد القدوس راجي محمد موسى، بإشراف: د.عبد الله محمد الأمين، الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، كلية القرآن الكريم، قسم التفسير، عام ١٤١٦هـ.

٢٥٧. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للطيبي (٧٤٣هـ)، دراسة وتحقيق لسورتي النساء والمائدة، رسالة معدة لنيل درجة الدكتوراه، إعداد: صالح بن ناصر الناصر، بإشراف: د.حكمت بشير ياسين، الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، كلية القرآن الكريم، قسم التفسير، عام ١٤١٥هـ.

٢٥٨. الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط.، د.ت.

٢٥٩. الفلك الدائر على المثل السائر، للعلَّامة عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد ابن أبي الحديد (٦٥٦هـ)، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ط.، د.ت.

٢٦٠. الفهرست، للعلَّامة محمد بن إسحاق أبي الفرج ابن النديم البغدادي، (٣٨٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، د.ط./١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٢٦١. فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي (٧٦٤هـ)، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١/١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

٢٦٢. في رحاب القرآن الكريم، د. محمد سالم محيسن (١٤٢٢هـ)، دار الجيل، بيروت، د.ط.، ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.

٢٦٣. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت-القاهرة، ط١٧/١٤١٢هـ.

٢٦٤. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، (٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط.، د.ت.

٢٦٥. القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، للشيخ عبد الفتاح القاضي (١٤٠٣هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط./١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٢٦٦. القراءات العشر المختلفة في العلامة الإعرابية وأثر ذلك في المعنى، من خلال كتاب النشر لابن الجزري، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في النحو والصرف، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، للطالب: مبروك حمود الشمري، إشراف: د. سعد حمدان الغامدي، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٢٦٧. القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره والردُّ عليه، تأليف محمد عارف عثمان موسى الهرري، ط١/١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٢٦٨. القراءات عند ابن جرير الطبري في ضوء اللغة والنحو، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية، إعداد: أحمد خالد بابكر، وإشراف: د. عبد العزيز برهام، بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٢٦٩. القراءات في الكتاب لسيبويه (توجيهاً نحوياً)، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة، إعداد الطالبة: نبيهة عبد الرحيم السندي، إشراف: أ.د. عبد العزيز برهام، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، فرع اللغويات، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٢٧٠. القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، إعداد: محمد بن عمر بن سالم بازمول، إشراف: د. عبد الستار فتح الله سعيد، دار الهجرة، الرياض، ط١/١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٢٧١. القراءات: أحكامها ومصدرها، د. شعبان محمد إسماعيل، دار السلام، القاهرة، د.ط/١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٢٧٢. قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن علي الحربي، دار القاسم، الرياض، ط١/١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٢٧٣. القواعد والإشارات في أصول القراءات، لأبي العباس أحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضا الحموي (٧٩١هـ)، تح: د. عبد الكريم محمد الحسن بكار، دار القلم، دمشق، ط١/١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٢٧٤. القواعد والفوائد الأصولية ومايتبعها من الأحكام الفرعية، لابن اللحام علاء الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عباس البعلي الدمشقي الحنبلي (٨٠٣هـ)، تح: عبد الكريم الفضيلي، المكتبة العصرية، د.ط.، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٧٥. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الذهبي الدمشقي (٧٤٨هـ)، تح: محمد عوامة وأحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، ط١/١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٢٧٦. الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (٦٣٠هـ)، تح: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢/١٤١٥هـ.

٢٧٧. الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣/١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢٧٨. الكامل في ضعفاء الرجال، للعلاّمة عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد أبي أحمد الجرجاني (٣٦٥هـ)، تح: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، ط٣/١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٢٧٩. كتاب المصاحف، لأبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن أبي داود السجستاني (٣١٠هـ)، تح: محمد ابن عبده، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، د.ط.، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٢٨٠. كتاب سيبويه، لأبي البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (١٨٠هـ)، تح: د. عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د.ط.، د.ت.
٢٨١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (٥٣٨هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط.، د.ت.
٢٨٢. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (٥٣٨هـ)، تح: محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣/١٤٢٤هـ.
٢٨٣. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للعلَّامة مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي، (١٠٦٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٣هـ. ١٩٩٢م.
٢٨٤. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، للإمام مكي بن أبي طالب بن مختار القيسي (٤٣٧هـ)، تح: د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥/١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
٢٨٥. الكشف والبيان، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (٤٢٧هـ)، تح: الشيخ أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١/١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
٢٨٦. الكفاية الكبرى في القراءات العشر، لأبي العز محمد بن الحسين بن بندار القلانسي (٥٢١هـ)، تح: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة، طنطا، ط١/١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
٢٨٧. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (١٠٩٤هـ)، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط./١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٢٨٨. الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، للشيخ نجم الدين محمد بن محمد الغزي (١٠٦١هـ)، تح: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٢٨٩. اللآلئ الحسان في علوم القرآن، د. موسى شاهين لاشين، دار الشروق، القاهرة، ط١/١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٢٩٠. اللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (٦١٦هـ)، تح: د. غازي مختار طليمات، دار الفكر، دمشق، ط١/١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
٢٩١. اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي (٨٨٠هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٢٩٢. لسان العرب، للعلَّامة محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (٧١١هـ)، دار صادر-بيروت، ط١/د.ت.
٢٩٣. لسان الميزان، للعلَّامة أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي (٨٥٢هـ)، تح: دائرة المعرف النظامية في الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٣/١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٢٩٤. لغة القرآن الكريم، د. عبد الجليل عبد الرحيم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن، ط١/١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٢٩٥. اللمع في العربية، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي (٣٩٢هـ)، تح: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، د.ط./١٩٧٢م.

٢٩٦. مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، دار المسلم، الرياض، ط٢/١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٢٩٧. مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢٤/٢٠٠٠م.

٢٩٨. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١١/١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٢٩٩. المبدع في شرح المقنع، لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح الحنبلي (٨٨٤هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، د.ط./١٤٠٠هـ.

٣٠٠. المبسوط في القراءات العشر، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني (٣٨١هـ)، تح: سبيع حمزة حاكمي، نشر مجمع اللغة العربية بدمشق، د.ط./١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٣٠١. المبسوط، لأبي عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني (١٨٩هـ)، تح: أبو الوفا الأفغاني، نشر إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي، د.ط.، د.ت.

٣٠٢. المبهج في القراءات الثمان وقراءة الأعمش وابن محيصن واختيار خلف واليزيدي، للإمام أبي محمد عبد الله بن علي ابن أحمد المعروف بسبط الخياط البغدادي (٥٤١هـ)، بحث مقدَّم لنيل درجة الدكتوراه في اللغة، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، إعداد الطالبة: وفاء عبد الله قزمار، إشراف: د.عبد الفتاح إسماعيل شلبي، عام ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣٠٣. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لأبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي (٦٣٧هـ)، تح: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط./١٩٩٥م.

٣٠٤. مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (٢١٠هـ)، تح: د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط.، د.ت.

٣٠٥. مجموع الفتاوى، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٧٢٨هـ)، تح: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، المنصورة، ط٣/١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٣٠٦. المجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ط.، د.ت.

٣٠٧. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والكشف عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، تح: علي النجدي ناصيف، د. عبد الحليم النجار، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د.ط./١٣٨٦هـ. ١٩٦٦م.

٣٠٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للعلَّامة المفسر أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (٥٤٢هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٣٠٩. المحكم والمحيط الأعظم، للعلَّامة أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (٤٥٨هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٣١٠. المحلى، لأبي محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم (٤٥٦هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، دار الفكر، دمشق، د.ط.، د.ت.
٣١١. المحيط في اللغة، لأبي القاسم الصاحب إسماعيل بن عباد (٣٨٥هـ)، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار عالم الكتب، بيروت، ط١/١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٣١٢. مختار الصحاح، للعلَّامة محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (٧٢١هـ)، تح: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ط١/١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٣١٣. مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات، إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري، دار الحضارة، الرياض، ط١/١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
٣١٤. مختصر المعاني، للعلَّامة سعد الدين التفتازاني (٧٩٢هـ)، دار الفكر، دمشق، ط١/١٤١١هـ-١٩٩١م.
٣١٥. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (٧١٠هـ)، تح: مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت، د.ط./٢٠٠٥م.
٣١٦. مدخل إعجاز القرآن، محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط١/١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٣١٧. مدخل القراءات القرآنية في الإعجاز البلاغي، د. محمد إبراهيم شادي، دار السعادة، القاهرة، د.ط./١٩٨٧م.
٣١٨. مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، د. عدنان زرزور، دار القلم، دمشق، ط١/١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٣١٩. المدخل إلى علم القراءات، د.شعبان إسماعيل، دار سالم، مكة المكرمة، ط١/١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
٣٢٠. المدخل لدراسة القرآن الكريم، أ.د. محمد محمد أبو شهبة، دار اللواء، الرياض، ط٣/١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٣٢١. مذاهب التفسير الإسلامي، جولد تسهير، ترجمة د. عبد الحليم النجار، دار اقرأ، بيروت، ط٢/١٩٨٣م.
٣٢٢. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (٦٦٥هـ)، تح: طيار آلتي قولاج، دار صادر، بيروت، د.ط./١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
٣٢٣. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٩٩٨م.
٣٢٤. المستدرك على الصحيحين، للإمام محمد بن عبد الله أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، (٤٠٥هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١١هـ-١٩٩٠م.
٣٢٥. المستنير في تخريج القراءات المتواترة من حيث اللغة والإعراب والتفسير، د. محمد سالم محيسن، دار محيسن للطباعة والنشر، القاهرة، ط٥/١٣٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٣٢٦. مسند أبي يعلى، لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي (٣٠٧هـ)، دار المأمون للتراث، دمشق، تح: حسين سليم أسد، ط١/١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٣٢٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢/١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٣٢٨. مسند الإمام الشافعي، للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.، د.ت.

٣٢٩. مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، للحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (٣٥٤هـ)، تح: مرزوق على إبراهيم، دار الوفاء، المنصورة، ط١/١٤١١هـ-١٩٩١م.

٣٣٠. مشكل إعراب القرآن، للإمام مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ)، تح: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢/١٤٠٥هـ.

٣٣١. معالم التنزيل، لمحيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٦هـ)، تح: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، ط٤/١٤١٦هـ-١٩٩٧م.

٣٣٢. معاني القرآن الكريم، للعلَّامة أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (٣٣٨هـ)، تح: محمد علي الصابوني نشر جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١/١٤٠٩هـ.

٣٣٣. معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، (٣١١هـ)، تح: د. عبد الجليل عبده شلبي، دار عالم الكتب، بيروت،، ط١/١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣٣٤. معاني القرآن، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (٢١٥هـ)، تح: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١/١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٣٣٥. معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرَّاء (٢٠٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط٣/١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٣٣٦. معترك الأقران في إعجاز القرآن، للإمام أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣٣٧. المعتمد في أصول الفقه، لأبي الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري (٤٣٦هـ)، تح: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٠٣هـ.

٣٣٨. المعجزة الخالدة، د. حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣/١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٣٣٩. معجم الفروق اللغوية، لأبي الهلال العسكري (٣٩٥هـ)، تح: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الاسلامي، ط١/١٤١٢هـ-٢٠٠٠م.

٣٤٠. معجم المطبوعات العربية، يوسف اليان سركيس، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، د.ط.، د.ت.

٣٤١. معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٣٤٢. المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تح: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، د.ط.، د.ت.

٣٤٣. معجم لغة الفقهاء، د.محمد رواس قلعة جي، د. حامد صادق قنيبي، دار النفائس، بيروت، ط٢/١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣٤٤. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط٢/١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٣٤٥. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (٧٤٨هـ)، تح: بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١/١٤٠٤هـ.

٣٤٦. المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، د. محمد سالم محيسن (١٤٢٢هـ)، دار الجيل، بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة، ط٢/١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣٤٧. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ)، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١/١٤٠٥هـ.

٣٤٨. مفاتيح العربية على متن الآجرومية، فيصل بن عبد العزيز آل مبارك، تح: عبد العزيز بن سعد الدغيثر، دار الصميعي، ط١/١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٣٤٩. مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير، للإمام المفسر فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٣٥٠. مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (٦٢٦هـ)، تح: أكرم عثمان يوسف، دار الرسالة، بغداد، ط١/١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٣٥١. المفتاح في الصرف، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الجرجاني (٤٧١هـ)، تح: د. علي توفيق الحَمَد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١/١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٣٥٢. مفردات ألفاظ القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، (٥٠٢هـ)، دار القلم، دمشق، د.ط.، د.ت.

٣٥٣. المفصل في صنعة الإعراب، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)، تح: د. علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١/١٩٩٣م.

٣٥٤. المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، د. محمد سالم محيسن (١٤٢٢هـ)، دار محيسن، القاهرة، ط٦/١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٣٥٥. المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ)، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، دار عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت.

٣٥٦. مقدمة في أصول التفسير، للعلَّامة أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (٧٢٨هـ)، تح: فوَّاز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، بيروت، ط١/١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٣٥٧. مقدمة في أصول الحديث، للعلَّامة عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي (١٠٥٢هـ)، تح: سلمان الحسيني الندوي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢/١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٣٥٨. الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (٥٤٨هـ)، تح: أمير علي مهنا، علي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، ط٣/١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٣٥٩. من روائع القرآن (تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عزوجل)، أ.د.محمد سعيد رمضان البوطي (٢٠١٣م)، مكتبة الفارابي، دمشق، ط٥/١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
٣٦٠. مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ عبد العظيم الزرقاني (١٣٦٧هـ)، تح: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ط١/١٩٩٦م.
٣٦١. المنثور في القواعد، للإمام أبي عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ)، تح: د. تيسير فائق أحمد محمود، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط٢/١٤٠٥هـ.
٣٦٢. منجد المقرئين ومرشد الطالبين، للإمام محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري، (٨٣٣هـ)، تح: عبد الحليم بن محمد الهادي قابة، دار البلاغ، الجزائر، ط١/١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٣٦٣. المنح الإلهية في جمع القراءات السبع من طريق الشاطبية، للشيخ خالد بن محمد الحافظ العِلْمي، دار الزمان، المدينة المنورة، ط١/١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٣٦٤. المنخول من تعليقات الأصول، للإمام أبي حامد الغزالي (٥٠٥هـ)، تح: محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ط٣/١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٣٦٥. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢/١٣٩٢هـ.
٣٦٦. منهج النقد في علوم الحديث، أ.د. نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، ط٣/١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٣٦٧. المهذب في فقه الإمام الشافعي، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، (٤٧٦هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ط.، د.ت.
٣٦٨. موجز البلاغة، للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، (١٣٩٣هـ)، المطبعة التونسية، تونس، ط١/د.ت.
٣٦٩. الموضِّح في وجوه القراءات وعللها، للإمام أبي عبد الله نصر بن علي بن محمد الشيرازي الفارسي الفسوي المعروف بابن أبي مريم (٥٦٥هـ)، تح: د.عمر حمدان الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن، جدَّة، ط١/١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٣٧٠. المُيسَّر في القراءات الأربع عشرة، للشيخ محمد فهد خاروف، تح: الشيخ محمد كريّم راجح، دار الكلم الطيب، دمشق-بيروت، ط١/١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٣٧١. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، د. محمد عبد الله دراز، تح: عبد الحميد الدخاخني، دار طيبة، الرياض، ط١/١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٣٧٢. النجوم الزاهرة في القراءات العشر المتواترة وتوجيهها من طريقي الشاطبية والدرة، د. محمد سالم محيسن (١٤٢٢هـ)، دار محيسن، القاهرة، د. ط.، د. ت.

٣٧٣. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تَغري بَردي الأتابكي (٨٧٤هـ)، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
٣٧٤. النحو الوافي، عباس حسن (١٣٩٨هـ)، دار المعارف، ط١٥/د.ت.
٣٧٥. النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي)، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة، ط١/١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٣٧٦. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تح: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير، الرياض، ط١/١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
٣٧٧. نزول القرآن على سبعة أحرف، د. مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١/١٤١١هـ-١٩٩١م.
٣٧٨. النشر في القراءات العشر، للإمام الحافظ محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (٨٣٣هـ)، تح: الشيخ علي محمد الضباع المصري، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.، د.ت.
٣٧٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لأبي الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ)،تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط./١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٣٨٠. نظم العقيان في أعيان الأعيان، للإمام جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تح: د. فيليب حتِّي (١٩٢٧م)، المكتبة العلمية، بيروت، د.ط.، د.ت..
٣٨١. نكت الانتصار لنقل لقرآن، للإمام أبي بكر الباقلاني (٤٠٣هـ)، تح: د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، دار بور سعيد، الإسكندرية، د.ط./١٩٧م.
٣٨٢. النكت في إعجاز القرآن، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (٣٨٦هـ)، ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني (٣٨٦هـ)، والخطابي (٣٨٨هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، تح: محمد خلف الله، ود.محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط٣/١٩٧٦م.
٣٨٣. النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (٤٥٠هـ)، تح: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.، د.ت.
٣٨٤. نهاية الأرب في فنون الأدب، للعلَّامة شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (٧٣٣هـ)، تح: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
٣٨٥. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (٦٠٦هـ)، تح: د. نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر، بيروت، ط١/١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
٣٨٦. نهاية السول شرح منهاج الوصول، للعلَّامة جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي (٧٧٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٣٨٧. النور السافر عن أخبار القرن العاشر، للشيخ عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروسي، (١٠٣٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٣٨٨. الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، إعداد محمد أحمد عبد العزيز الجمل، إشراف: أ.د. فضل حسن عباس، جامعة اليرموك، الأردن، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٣٨٩. وجوه من الإعجاز القرآني، مصطفى الدباغ، دار المنار، الزرقاء – الأردن، ط١/١٩٨٢.
٣٩٠. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (٤٦٨هـ)، د.ط.، د.ت.
٣٩١. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (٤٦٨هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي أحمد معوض، ود. أحمد محمد صيرة، ود. أحمد عبد الغني الجمل، ود. عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
٣٩٢. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، (٦٨١هـ)، تح: إحسان عباس، دار صادر . بيروت، ط١/١٩٩٤م.
٣٩٣. اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر، للعلَّامة عبد الرؤوف المناوي (١٠٣١هـ)، تح: المرتضي الزين أحمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١/١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

ثالثاً: الدوريات والمجلات:

٣٩٤. الاتجاه اللغوي في تفسير القرآن، د. سامي عبد الله الكناني، بحث منشور في مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع٦، سنة ١٩٩٩م.
٣٩٥. الإعجاز البياني في الصوت القرآني، إعداد: د. نجيب علي عبد الله السودي، بحث مقدَّم إلى مؤتمر كلية الشريعة السابع المنعقد بجامعة الزرقاء الأهلية، الأردن، سنة ٢٠٠٥م، تحت عنوان (إعجاز القرآن الكريم).
٣٩٦. الالتفات في البلاغة العربية ونماذج من أسرار بلاغته في القرآن الكريم، د. طاهر عبد الرحمن قحطان، مجلة الدراسات الاجتماعية، مجلة علمية محكَّمة تصدر عن جامعة العلوم والتكنولوجيا بصنعاء، ع/١٩، يناير-يونيو عام٢٠٠٥م.
٣٩٧. د.موسى لاشين في ذمة الله، مقال للدكتور ناصر وهدان في مجلة الوعي الإسلامي: مجلة كويتية شهرية، ع٥٣٢ لعام ٢٠١٠م.
٣٩٨. القراءة الشاذة عند الأصوليين وأثرها في اختلاف الفقهاء، د. علي بن سعد الضويحي، مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، العدد ٤٩، إصدار من رجب إلى شوال سنة ١٤١٧هـ.
٣٩٩. مفهوم الجرجاني للإعجاز القرآني، د. أحمد جمال العمري، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ع٣٧، سنة ١٣٩٧هـ.
٤٠٠. نظرات في شروط القراءات وحجيتها لغةً وشرعاً، د. محسن هاشم درويش، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية، المجلد٥، ع١.
٤٠١. وداعا شيخ علماء السنة موسى شاهين لاشين، مقال للدكتور محمد المختار محمد المهدي، مجلة التبيان الصادرة عن الجمعية الشرعية الرئيسية بالقاهرة، ع٥٥ صفر ١٤٣٠هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
الرموز المستخدمة	ب
إهداء	ج
كلمة شكر وتقدير	د
المقدمة	و
أهداف البحث	ط
أهمية البحث	ط
أسباب اختيار الموضوع	ي
صعوبات البحث	ك
الدراسات السابقة	ك
خطة البحث	ن
منهج البحث	ت
الباب التمهيدي: مدخل إلى القراءات، وبلاغة النظم القرآني.	١
الفصل الأول: التعريف بالقراءات.	٣
المبحث الأول: تعريف القراءات، والألفاظ ذات الصلة.	٦
المطلب الأول: تعريف القراءات	٧
أولاً: القراءات: لغةً	٧
ثانياً: معنى القراءات اصطلاحاً	٩
المطلب الثاني: القرآن والقراءات	١٢
أولاً: تعريف القرآن	١٢
ثانياً: علاقة القرآن بالقراءات	١٣
القول الأول: القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان.	١٣
القول الثاني: القرآن والقراءات حقيقتان متحدتان.	١٤
القول الثالث: العلاقة بين القرآن والقراءات هي علاقة الجزء بالكل.	١٥
ثالثاً: مناقشة الآراء وبيان الراجح منها.	١٦

المطلب الثالث: الأحرف السبعة والقراءات.	١٨
أولاً: معنى الأحرف السبعة	١٩
الحرف لغة	١٩
الأحرف السبعة اصطلاحاً	٢٠
ثانياً: مناقشة الوجوه المذكورة وبيان الوجه الراجح.	٢٤
ثالثاً: العلاقة بين القراءات والأحرف السبعة.	٣٣
المبحث الثاني: دراسة تاريخية في علم القراءات، وتوجيهها.	٣٤
المطلب الأول: نشأة علم القراءات.	٣٥
المطلب الثاني: تدوين علم القراءات.	٤٤
المطلب الثالث: علم توجيه القراءات: نشأته وتطوره.	٥٢
تعريف علم توجيه القراءات.	٥٢
نشأة علم توجيه القراءات.	٥٣
أنواع توجيه القراءات.	٥٥
تعريف التوجيه البلاغي.	٥٧
المبحث الثالث: أنواع القراءات وأحكامها.	٥٨
المطلب الأول: أنواع القراءات من حيث أسانيدها، وتوفُّر شروط قبولها، وأحكامها.	٥٩
أولاً: درجة الصحة المطلوبة لقبول القراءة.	٦٠
ثانياً: أنواع القراءات من حيث صحة أسانيدها.	٦٢
المطلب الثاني: أنواع القراءات من حيث تعلقها بالتفسير، وأحكامها.	٧٠
أولاً: أنواع القراءات من حيث تعلقها بالتفسير، وصلتها بتعدد المعاني.	٧٠
ثانياً: حكم الاحتجاج والتفسير بالقراءات المتنوعة.	٧٢
ثالثاً: حكم تعارض معاني القراءات.	٧٦
الفصل الثاني: دراسة موجزة في البلاغة، ونظم القرآن.	٨١
المبحث الأول: تعريف البلاغة، وأقسامها.	٨٣
المطلب الأول: تعريف البلاغة، والألفاظ ذات الصلة.	٨٤
أولاً: تعريف البلاغة.	٨٤
ثانياً: تعريف الفصاحة.	٨٦

ثالثاً: العلاقة بين البلاغة والفصاحة، والفرق بينهما.	٩٠
رابعاً: تفاوت آيات القرآن الكريم في مراتب البلاغة والفصاحة.	٩٢
أ – مراتب البلاغة	٩٢
ب – تفاوت ألفاظ القرآن الكريم في الفصاحة.	٩٥
المطلب الثاني: أقسام علم البلاغة.	٩٧
أولاً: علم المعاني.	٩٧
ثانياً: علم البيان.	١٠٣
ثالثاً: علم البديع.	١٠٥
المطلب الثالث: أثر علم البلاغة في توجيه القراءات وترجيحها.	١٠٦
أولاً: أثر علم البلاغة في توجيه القراءات.	١٠٦
ثانياً: أثر علم البلاغة في ترجيح بعض القراءات.	١١٢
حكم الترجيح بين القراءات.	١١٣
ترجيح بعض القراءات على بعض استناداً لعلوم البلاغة وسياق الآيات.	١١٥
إنكار بعض القراءات لضعف وجوهها البلاغية، وعدم تناسبها مع سياق الآيات.	١١٨
المبحث الثاني: دراسة موجزة لنظم القرآن، ووجوه إعجازه.	١٢٢
المطلب الأول: تعريف إعجاز القرآن، وبيان وجوهه.	١٢٤
أولاً: تعريف الإعجاز.	١٢٤
ثانياً: وجوه إعجاز القرآن الكريم.	١٢٦
ثالثاً: القدر المعجز من القرآن.	١٢٩
المطلب الثاني: تعريف نظم القرآن.	١٣٣
المطلب الثالث: بلاغة نظم القرآن وإعجازه في دراسات السابقين.	١٣٨
أولاً: نشأة البلاغة العربية عموماً، وبلاغة النظم القرآني خصوصاً.	١٣٨
ثانياً: التأصيل والتأليف في علوم البلاغة وإعجاز نظم القرآن.	١٣٩
ثالثاً: نضج الدراسات المتخصِّصة في الإعجاز البلاغي للقرآن.	١٤٤
رابعاً: تقنين علوم البلاغة	١٤٧
الباب الأول: تعدد دلالات كلمات القراءات، وأثره في بلاغة النظم.	١٥٢
الفصل الأول: تعدد دلالات الصيغ الصرفية للقراءات المتواترة، وأثره في بلاغة النظم.	١٥٤

المبحث الأول: التنوع التصريفي في أبنية الأفعال، وأثره في بلاغة النظم.	١٥٧
المطلب الأول: التنوع التصريفي للقراءات بين صيغ الثلاثي ومزيدها.	١٦٠
أولاً: التنوع التصريفي للقراءات بين صيغ الثلاثي ومزيدها بحرف.	١٦٠
١ - التبادل بين صيغ الثلاثي و(أفْعَلَ).	١٦١
٢ - التبادل بين صيغ الثلاثي و(فَعَّلَ).	١٦٣
٣ — التبادل بين (فَعَلَ) و(فَاعَلَ).	١٦٥
ثانياً: التنوع التصريفي للقراءات بين صيغ الثلاثي ومزيدها بحرفين.	١٧١
المطلب الثاني: التنوع التصريفي للقراءات بين صيغ مزيد الثلاثي.	١٧٣
أولاً: التنوع التصريفي للقراءات بين صيغ مزيد الثلاثي بحرف ومزيده بحرف أو حرفين.	١٧٣
١ - التبادل بين (فَعَّلَ) و(أَفْعَلَ).	١٧٣
٢ - التبادل بين بين (فَعَّلَ) و(فَاعَلَ).	١٧٥
٣ - التبادل بين (أَفْعَلَ) و(تَفَاعَلَ).	١٧٦
٤ - التبادل بين (أَفْعَلَ) و(افْتَعَلَ).	١٧٨
ثانياً: التنوع التصريفي للقراءات بين صيغ مزيد الثلاثي بحرفين.	١٧٩
١ - التبادل بين (افْعَلَّ) و(تَفَاعَلَ).	١٧٩
٢ - التبادل بين (انْفَعَلَ) و(تَفَعَّلَ).	١٨٠
المبحث الثاني: التنوع التصريفي في أبنية الأسماء، وأثره في بلاغة النظم.	١٨٦
المطلب الأول: التبادل بين المصادر وأبنية المشتقات.	١٨٨
أولاً: التبادل بين المصادر.	١٨٨
ثانياً: التبادل بين المصدر واسم الفاعل، أو صيغ مبالغته.	١٩٤
ثالثاً: التبادل بين المصدر والصفة المشبهة باسم الفاعل.	١٩٧
رابعاً: التبادل بين المصدر واسم المكان أو الزمان.	١٩٩
المطلب الثاني: التبادل بين أبنية المشتقات.	٢٠٣
أولاً: التبادل بين اسم الفاعل ومثيله.	٢٠٣
ثانياً: التبادل بين اسمي الفاعل والمفعول.	٢٠٦
ثالثاً: التبادل بين اسم الفاعل وصيغ المبالغة.	٢١٠
رابعاً: التبادل بين صيغتي اسم الفاعل والصفة المشبهة به.	٢١٣

خامساً: التبادل بين صيغ مبالغة اسم الفاعل والصفة المشبهة.	٢١٨
المبحث الثالث: تبادل القراءات بين الاسمية والفعلية، وأثره في بلاغة النظم.	٢٢٠
المطلب الأول: التبادل بين الاسمية والفعلية، وأثره في بلاغة النظم.	٢٢٢
المطلب الثاني: التبادل بين الجذور اللغوية المتغايرة، وأثره في بلاغة النظم.	٢٢٨
أولاً: التبادل بين الجذور اللغوية المتغايرة للأفعال المختلَف في قراءتها.	٢٢٨
ثانياً: التبادل بين الجذور اللغوية المتغايرة للأسماء المختلف في قراءتها.	٢٣٢
الفصل الثاني: تغاير إعراب القراءات، وأثره في بلاغة نظم القرآن.	٢٣٦
المبحث الأول: تنوع إعراب الأسماء المختلف في قراءتها، وأثره في بلاغة النظم.	٢٤٠
المطلب الأول: تبادل القراءات بين الرفع والنصب، وأثره في بلاغة النظم.	٢٤٣
المطلب الثاني: تبادل القراءات بين الرفع والجرِّ، وأثره في بلاغة النظم.	٢٥٨
المطلب الثالث: تبادل القراءات بين الجرِّ والنصب، وأثره في بلاغة النظم.	٢٧١
المبحث الثاني: تنوع إعراب الأفعال المختلف في قراءتها، وأثره في بلاغة النظم.	٢٨٤
المطلب الأول: التبادل بين الرفع والنصب، وأثره في بلاغة النظم.	٢٨٦
المطلب الثاني: التبادل بين الرفع والجزم، وأثره في بلاغة النظم.	٣٠٩
الباب الثاني: تعدد أحوال الجمل القرآنية نتيجة تنوع القراءات، وأثره في بلاغة نظم القرآن.	٣٢٥
الفصل الأول: تعدد أحوال الإسناد والربط في جمل القراءات، وأثره في بلاغة نظم القرآن.	٣٢٨
المبحث الأول: تبادل القراءات بين الإسنادين الخبري والإنشائي، وأثره في بلاغة النظم.	٣٣٠
المطلب الأول: تنوع القراءات بين الإخبار والاستفهام، وأثره في بلاغة النظم.	٣٣٣
المطلب الثاني: تنوع القراءات بين الإخبار والأمر، وأثره في بلاغة النظم.	٣٥٠
المطلب الثالث: تنوع القراءات بين الإخبار والنهي، وأثره في بلاغة النظم.	٣٦٣
المطلب الرابع: تنوع القراءات بين الإخبار والنداء، وأثره في بلاغة النظم.	٣٧٣
المبحث الثاني: تبادل القراءات بين الوصل والفصل، وأثره في بلاغة نظم القرآن.	٣٧٧
المطلب الأول: الوصل والفصل اللفظي، وأثرهما في بلاغة نظم القرآن.	٣٨١
أولاً: تبادل القراءات بين الوصل والفصل اللفظي، وأثره في بلاغة النظم.	٣٨١
ثانياً: تعاور وتعاقب حروف العطف على بعض القراءات، وأثره في بلاغة نظم القرآن.	٣٩٢
المطلب الثاني: الوصل والفصل المعنوي، وأثرهما في بلاغة نظم القرآن.	٣٩٨
أولاً: تبادل القراءات بين الوصل والفصل الإعرابي المعنوي، وأثره في بلاغة نظم القرآن.	٣٩٨

ثانياً: تبادل القراءات بين (إنَّ) و(أنَّ)، وأثره في بلاغة نظم القرآن.	٤٠٧
الفصل الثاني: تعدد أحوال المسند والمسند إليه وعناصر الجملة، وأثره في بلاغة نظم القرآن.	٤١٤
المبحث الأول: تبادل القراءات بين الحذف والذكر، وأثره في بلاغة نظم القرآن.	٤١٧
المطلب الأول: تبادل القراءات بين حذف الفاعل وإضماره، وأثره في بلاغة النظم.	٤٢١
المطلب الثاني: تبادل القراءات بين ذكر المفعول وحذفه، وأثره في بلاغة النظم.	٤٣٢
المطلب الثالث: حذف عناصر الجملة الأخرى في بعض القراءات، وأثره في بلاغة النظم.	٤٤٢
أولاً: حذف الفعل في بعض القراءات المتواترة، وأثره في بلاغة النظم.	٤٤٢
ثانياً: حذف المضاف في بعض القراءات المتواترة، وأثره في بلاغة النظم.	٤٤٤
ثالثاً: حذف الموصوف في بعض القراءات المتواترة، وأثره في بلاغة النظم.	٤٤٦
رابعاً: حذف الصفة في بعض القراءات المتواترة، وأثره في بلاغة النظم.	٤٤٨
المبحث الثاني: التبادل بين التنكير والتعريف، أو التقديم والتأخير، وأثره في بلاغة النظم.	٤٥١
المطلب الأول: تبادل القراءات بين التعريف والتنكير، وأثره في بلاغة النظم.	٤٥٣
أولاً: تبادل القراءات بين التنكير والتعريف بـ(ال).	٤٥٦
ثانياً: تبادل القراءات بين التنكير والتعريف بالإضافة.	٤٦٣
المطلب الثاني: تبادل القراءات بين التقديم والتأخير، وأثره في بلاغة النظم.	٤٧٤
الفصل الثالث: خروج بعض القراءات عن مقتضى الظاهر، وأثره في بلاغة نظم القرآن.	٤٩٠
المبحث الأول: الالتفات في بعض القراءات، وأثره في بلاغة النظم.	٤٩٤
المطلب الأول: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.	٤٩٨
المطلب الثاني: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.	٥٠٦
المطلب الثالث: الالتفات من الغيبة إلى التكلم.	٥١١
المطلب الرابع: الالتفات من التكلم إلى الغيبة.	٥١٩
المبحث الثاني: العدول في ضمائر الأعداد، وصيغ الأفعال، وأثره في بلاغة النظم.	٥٢٤
المطلب الأول: العدول عما يقتضي الظاهر من الإفراد إلى الجمع.	٥٣١
المطلب الثاني: العدول عما يقتضي الظاهر من الجمع إلى الإفراد.	٥٣٧
المطلب الثالث: العدول عما يقتضي الظاهر من الإفراد أو الجمع إلى التثنية، وبالعكس.	٥٤٤
المطلب الرابع: العدول عن مقتضى الظاهر في صيغ الأفعال.	٥٥٠
أولاً: عدول بعض القراءات المتواترة إلى التعبير بالماضي، وأثره في بلاغة النظم.	٥٥١

ثانياً: عدول بعض القراءات المتواترة عن المضي إلى الاستقبال، وأثره في بلاغة النظم.	٥٥٧
الخاتمة.	٥٦٠
التوصيات والمقترحات.	٥٧٢
فهرس الفهارس	٥٧٤
فهرس الآيات القرآنية	٥٧٥
فهرس القراءات المتواترة	٦١٢
فهرس القراءات الشاذة	٦٢٣
فهرس الأحاديث النبويَّة والآثار	٦٢٦
فهرس الأشعار	٦٢٧
فهرس المصطلحات العلمية	٦٢٨
فهرس الأعلام	٦٢٩
فهرس المصادر والمراجع	٦٣٦
فهرس الموضوعات	٦٦٣